Hp

هاري بوتر

و

مقدسات الموت



تأليف: ج. ك. رولينج

Hp

هارى بوتر

ومقدسات الموت

تأليف : ج.ك. رولينج



العنوان: هارى بوتر ومقدسات الموت

Harry Potter and the Deathly Hallows

تأليف: ج.ك رولينج

ترجمة: سحر جبر محمود

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Published by arrangement with J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency
10 Eel Brook Studios, 125 Moore Park Road, London SW6 4PS, UK

ترجمة قصة Harry Potter and the Deathly Hallows
تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
بترخيص من J.K. Rowling c/o Christopher Little Agency



الترقيم الدولى: 8-4205-14-977 رقم الإيداع: 2007/26365 الطبعة 1: يناير 2008

الإدارة العامة:
21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى:
80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع:
18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية:
408 طريق الحرية. رشدى
تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة:
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com

١ صعود سيد الظلام

ظهر الرجلان فجأة من العدم فى الطريق الضيق الذى ينيره القمر على بعد بضع ياردات من بعضهما البعض، ومرت ثانيةٌ، ظلا فيها ساكنين وعصا كل منهما موجهة إلى صدر الآخر؛ ثم عرف كل منهما الآخر، فأعاد كلٌ منهما عصاه تحت عباءته وبدأا يمشيان بسرعة فى نفس الاتجاه.

سأل الأطول بينهما الآخر: «أخبار طيبة؟».

أجاب (سيفيروس سناب): «رائعة».

كان الطريق الضيق محاطًا بعليق برى قصير من جهة اليسار وبشجيرات عالية مقلمة بإتقان من جهة اليمين، وكانت عباءة كلا الرجلين تلتف حول كواحل أقدامهما وهما يمشيان.

قال (ياكسلى): «أعتقد أننى قد أكون متأخرًا، كان الأمر أكثر تعقيدًا مما توقعت، أتمنى أن يكون راضيًا. ولكنك تبدو واثقًا أن استقبالك سيكون جيدًا»، وكانت ملامح وجهه القاسية تظهر وتختفى كلما أخفت فروع الأشجار نور القمر.

أومأ (سناب) برأسه، ولكنه لم يوضح أكثر، وانعطفا يمينًا إلى طريق واسع للسيارات يخرجهما من الطريق الضيق وانعطف سور الأشجار معهما واستمرا إلى ما وراء البوابة الرائعة المصنوعة من الحديد المشغول، والتى تقطع طريق الرجلين. لم يتمهلا، ورفع كل منهما ذراعه اليسرى فى صمت وكأنهما يؤديان التحية ومرًا مباشرة خلال المعدن الأسود وكأنه دخان.

كان سياج شجر السدر يكتم وقْع أقدام الرجلين وسمعا صوت خشخشة فى مكان ما على يمينهما، فسحب (ياكسلى) عصاه مرة أخرى ووجهها فوق رأس مرافقه ولكن اتضح أن مصدر الضوضاء لم يكن سوى طاووس شاهق البياض يختال بعظمة فوق حافة سياج الأشجار.

قال (ياكسلى): «إنه دائمًا يهيئ لنفسه جميع وسائل الراحة. لوشيوس. *الطاووس...*». ثم أعاد عصاه تحت عباءته وهو يصدر صوتًا مثل الشخير.

ظهر قصر ريفى جميل من وسط الظلمة فى نهاية طريق السيارات المستقيم، كان الضوء يشع من نوافذ الدور الأرضى. وفى مكان ما فى الحديقة المظلمة وراء السياج، كان هناك صوت نافورة مياه، طقطق الحصى تحت أقدامهما بينما اتجه (سناب) و(ياكسلى) بسرعة إلى الباب الأمامى الذى انفتح إلى الداخل بمجرد وصولهما إليه رغم عدم وجود شخص ظاهر ليفتحه.

كان المدخل واسعًا ومضاءً بضوء خافت ومؤثثًا ببذخ؛ سجادة رائعة تغطى معظم الأرضية الحجرية. وتبعت عيون الأشخاص ذوى الوجوه الشاحبة الموجودين فى اللوحات (سناب) و(ياكسلى) وهما يخطوان بسرعة مارين بهم. توقف الرجلان أمام باب خشبى سميك يؤدى إلى الغرفة المجاورة وترددا لحظة لالتقاط الأنفاس ثم أدار (سناب) أكرة الباب البرونزية.

كانت قاعة الاستقبال مليئة بأشخاص صامتين، جالسين إلى مائدة طويلة مزخرفة، وكان الأثاث الأصلى للغرفة قد نقل إلى جوار الحوائط بدون اهتمام. وكان الضوء الوحيد فى الغرفة قادمًا من نيران تزأر من تحت رف مدفأة رخامية جميلة، وتعلوها مرآة مذهبة. تأخر (سناب) و(ياكسلى) لحظة على عتبة الباب حتى تعتاد عيونهما الضوء الخافت فى الغرفة، ثم جذب نظرهما أعجب شىء فى المشهد داخل المكان؛ جسم شخص يبدو أنه فاقد الوعى، معلق بالمقلوب فوق المائدة ويدور ببطء كأنه مربوط بحبل غير مرئى وقد انعكست صورته فى المرآة المذهبة، وعلى سطح المائدة المصقولة تحته. لم يكن أىٌّ من الجالسين تحت هذا المنظر الغريب ينظر إليه، ماعدا شابًّا صغيرًا يجلس تحته مباشرة تقريبًا ويبدو غير قادر على منع نفسه من النظر إليه بين كل دقيقة وأخرى.

وارتفع صوت عالٍ وواضح من على رأس المائدة: «(ياكسلى). (سناب). لقد تأخرتما جدًّا».

كان المتكلم يجلس أمام المدفأة مباشرة ومن الصعب ـ لأول وهلة ـ على القادمين من الخارج أن يروا منه أكثر من خياله. ومع اقترابهما استطاعا تمييز وجهه وسط الظلام؛ كان وجهه يشبه وجه حية ذات رأس أصلع وفتحات أنف عبارة عن شقين وعينين حمراوين لامعتين، إنسان العين بهما على شكل رأسى، وكان شاحبًا جدًّا حتى بدا كأنه يصدر إشعاعًا لؤلؤيًّا.

قال (فولدمورت) وهو يشير إلى كرسى إلى يمينه مباشرة: «اجلس هنا يا (سيفيروس) وأنت يا (ياكسلى) اجلس بجوار (دولوهوف)».

جلس الرجلان فى الأماكن التى حددت لهما. وتبعت معظم العيون حول المائدة (سناب).. ووجه (فولدمورت) الكلام له أولاً.

«إذن؟».

«مولاى، تنوى جماعة العنقاء نقل (هارى بوتر) من مكانه الآمن الحالى يوم السبت القادم عندما يحل الظلام».

تزايد اهتمام الموجودين حول المائدة بصورة واضحة وتجمد بعضهم فى مكانه، بينما تململ آخرون وإن بقوا جميعًا يحدقون إلى (سناب) و(فولدمورت).

كرر (فولدمورت): «السبت القادم عندما يحل الظلام»، وحدقت عيناه الحمراوان إلى عينى (سناب) السوداوين بتركيز شديد جعل بعض المشاهدين يبعدون أنظارهم وكأنهم خائفون من أن يصيبهم بعض اللهيب الخارج من النظرة النارية، لكن (سناب) ظل ينظر بهدوء إلى وجه (فولدمورت).. وبعد دقيقة أو اثنتين، تقوس فم (فولدمورت) عديم الشفاه بشكل بدا كأنه يبتسم.

«جيد. جيد جدًا. وقد وصلتك هذه المعلومة من..».

قال (سناب): «من المصدر الذى ناقشناه».

«مولاى».

مال (ياكسلى) إلى الأمام لينظر عبر المائدة الطويلة إلى (فولدمورت) و(سناب)، واستدارت كل الوجوه إليه.

«ولكننى سمعت شيئًا مختلفًا يا مولاى».

انتظر (ياكسلى) ولكن (فولدمورت) لم يتكلم، فأكمل قائلاً: «أخبرنى (داوليش)، المدافع ضد السحر الأسود أن (بوتر) لن ينقل قبل يوم ثلاثين من الشهر، فى الليلة السابقة لبلوغه السابعة عشرة».

كان (سناب) يبتسم.

وقال: «أخبرنى مصدرى بأن هناك خططًا للتضليل، يجب أن تكون هذه. لا شك أنهم وضعوا تعويذة للخلط بين الأشياء على داوليش. ليست هذه هى المرة الأولى التى يفعلون فيها ذلك، فمن المعروف أنه موضع شك».

قال (ياكسلى): «أؤكد *لك* يا مولاى (داوليش) بدا متأكدًا جدًا».

قال سناب: «إذا كانت التعويذة قد ألقيت عليه فعلاً، فمن الطبيعى أن يكون متأكدًا، أؤكد لك يا (ياكسلى) أن مكتب الدفاع ضد السحر الأسود لن يكون له دور فى حماية (هارى بوتر)، فالجماعة تعتقد أننا تسللنا إلى الوزارة».

قال رجل مكتنز الجسم يجلس على مقربة من (ياكسلى): «يبدو أن الجماعة بدأت تفهم أخيرًا، ها». وأخذ يقهقه وشاركه الضحك بعض الموجودين حول المائدة.

لم يشاركهم (فولدمورت) الضحك، وانتقلت نظرته إلى أعلى، إلى الجسد الذى يدور ببطء فوقهم، وبدا أنه يفكر بعمق.

وأكمل (ياكسلى) كلامه: «يعتقد (داوليش) أن فرقة كاملة من المدافعين ستستخدم فى نقل الولد».

ورفع (فولدمورت) يده البيضاء الضخمة، فتوقف (ياكسلى) عن الكلام فورًا وأخذ ينظر باستياء إلى (فولدمورت) وهو يستدير ناحية (سناب).

«أين سيخبئون الولد بعد ذلك؟».

قال سناب: «فى منزل أحد أعضاء الجماعة. قال لى المصدر إن المكان قد تم تأمينه على أفضل ما تستطيع الجماعة والوزارة معًا توفيره. أعتقد أن هناك فرصة ضئيلة لأخذه بمجرد وصوله هناك يا مولاى، إلا إذا سقطت الوزارة قبل يوم السبت القادم بالطبع، والذى قد يمنحنا الفرصة لاكتشاف وإبطال قدر كافٍ من التعاويذ تمكننا من اختراق الباقى».

نادى (فولدمورت) من آخر المائدة وضوء النار يلمع بطريقة غريبة فى عينيه الحمراوين: «حسنًا.. هل ستكون الوزارة قد سقطت بحلول السبت القادم؟».

استدارت كل الرءوس مرة أخرى نحو (ياكسلى) الذى استقام فى جلسته وقال: «لدىَّ أخبار جيدة فيما يخص ذلك يا مولاى. لقد نجحت بصعوبة ـ وبعد مجهود كبير ـ فى وضع تعويذة تحكم على (بيوس ثيكنس)».

ظهر الإعجاب على وجوه الكثير من الجالسين بجوار (ياكسلى)؛ وربت جاره (دولوهوف) ذو الوجه الطويل الملتوى على ظهره.

قال (فولدمورت): «حسنًا إنها بداية جيدة. ولكن (ثيكنس) مجرد رجل واحد. ويجب أن يكون (سكريمجور) محاطًا برجالنا قبل أن أتحرك؛ لأن محاولة واحدة فاشلة لقتل وزير السحر ستعيدنى إلى الوراء لمسافة طويلة».

«نعم هذا حقيقى يا مولاى، لكنك تعرف أن منصب (ثيكنس) كمدير إدارة تنفيذ القانون السحرى يتيح له الاتصال المنتظم، ليس فقط مع الوزير نفسه ولكن مع كل مديرى إدارات الوزارة الآخرين، وأعتقد أنه سيكون من السهل ـ بعد أن أصبح أحد كبار المسئولين تحت تحكمنا ـ أن نخضع الباقين وبعدها يمكنهم جميعًا أن يعملوا معًا للقضاء على (سكريمجور)».

قال (فولدمورت): «هذا إذا لم يكتشفوا صديقنا (ثيكنس) قبل أن يقوم بتحويل الباقين. وعلى كل الأحوال، فمن غير المحتمل أن تصبح الوزارة لى قبل يوم السبت القادم؛ لذلك إذا كنا لا نستطيع الوصول إلى الولد فى المكان الذى سينقل إليه، فيجب أن نفعل ذلك أثناء النقل».

قال (ياكسلى) الذى كان على ما يبدو مصممًا على الحصول على بعض الاستحسان: «نحن متفوقون عليهم فى هذا المجال يا مولاى، فلدينا الآن العديد من الأشخاص مزروعين داخل إدارة النقل السحرى. وإذا حدث أن انتقل (بوتر) آنيًا أو استخدم شبكة فلو، فسنعرف ذلك على الفور».

قال (سناب): «لن يفعل أيًا من ذلك. فقد استبعدت الجماعة أى صورة من النقل تتحكم فيها أو تنظمها الوزارة؛ لقد فقدوا الثقة فى كل ما له علاقة بالمكان».

قال (فولدمورت): «وهذا أفضل؛ لأنهم بذلك سيضطرون إلى نقله فى العراء وسيكون القبض عليه أكثر سهولة».

ومرة أخرى، نظر (فولدمورت) إلى الجسد الذى يدور وأكمل قائلاً: «سوف أتولى أمر هذا الولد بنفسى. لقد حدث الكثير من الأخطاء فيما يخص (هارى بوتر)، بعضها أخطائى أنا شخصيًا؛ فبقاء (بوتر) على قيد الحياة لم يكن نتيجة براعته هو ولكن نتيجة خطئى أنا».

وراقبت المجموعة الموجودة حول المائدة (فولدمورت) بقلق وكلٌّ منهم يبدو عليه الخوف من أن يلقى عليه اللوم لاستمرار وجود (هارى بوتر)، إلا أن (فولدمورت) بدا كما لو كان يوجه الكلام لنفسه أكثر من توجيهه لأى منهم، وهو لا يزال ينظر إلى الجسد الفاقد الوعى فوقهم.

قال: «لقد كنت مهملاً واعترضنى الحظ والمصادفات اللذان يدمران أفضل الخطط الموضوعة، لكننى أكثر فهمًا الآن. لقد أدركت أشياء كثيرة لم أكن أدركها من قبل، يجب أن أكون أنا من يقتل (هارى بوتر). وهذا ما سيكون».

وما إن انتهى حتى ارتفع صوت نواح مريع مفاجئ، وكأنه رد على كلامه.. بدا كأنه صرخة فظيعة مليئة بالألم واليأس، ونظر معظم الموجودين حول المائدة إلى أسفل باحثين عن مصدر الصوت الذى بدا كأنه صدر من تحت أقدامهم.

قال (فولدمورت) دون أن يغير نبرة صوته الهادئة المفكرة ودون أن يحول عينيه عن الجسد الدائر فى الأعلى: «..(وورمتيل)، ألم أقل لك أن تبقى سجينتنا صامتًا؟».

شهق رجل قصير يجلس فى منتصف المائدة وقال: «نعم يا مولاى».

كان يجلس منخفضًا جدًا حتى إن كرسيه يبدو للوهلة الأولى غير مشغول. زحف (وورمتيل) عن مقعده وانطلق مغادرًا الغرفة بسرعة كبيرة ولم يترك خلفه إلا ومضة فضية خاطفة تلفت الأنظار.

وأكمل (فولدمورت) وهو ينظر إلى وجوه تابعيه المتوترة: «كما كنت أقول، لقد أصبحت أكثر فهمًا للأمر الآن، سأحتاج ـ على سبيل المثال ـ أن استعير عصا أحدكم السحرية قبل أن أذهب لقتل (بوتر)..».

لم تبدِ وجوه من حوله أى شىء سوى الصدمة، وكأنه أعلن أنه ينوى استعارة إحدى أذرعتهم.

قال (فولدمورت): «هل هناك متطوعون؟ لنر... (لوشيوس)، لا أرى أى داعٍ لأن تحمل عصا معك بعد الآن».

نظر (لوشيوس مالفوى) إلى أعلى وكانت بشرته تبدو فى صفار الشمع على ضوء نيران المدفأة وعيناه متعبتان مظلمتان، وعندما تكلم كان صوته مبحوحًا.

«مولاى».

«عصاك يا (لوشيوس). أريد عصاك».

«أنا...»..

نظر (مالفوى) بطرف عينه إلى زوجته.. كانت تنظر أمامها وقد بدا وجهها فى مثل شحوب وجهه.. كان شعرها الأشقر الطويل يتدلى على ظهرها، لكن أصابعها الرفيعة التفت حول معصمه تحت الطاولة برفق، وما إن شعر بلمستها حتى وضع يده تحت ملابسه وأخرج عصاه وانتقلت العصا من شخص إلى آخر حتى وصلت إلى (فولدمورت) الذى رفعها أمام عينيه الحمراوين ليفحصها عن قرب.

«مم صُنعت؟».

همس (مالفوى): «خشب شجرة الدردار يا مولاى».

«والقلب؟».

«تنين.. وتر قلب التنين».

قال (فولدمورت): «جيد»، وسحب عصاه وأخذ يقارن بين طول كل منهما.

أبدى (لوشيوس مالفوى) حركة لجزء من الثانية وكأنه يتوقع أن (فولدمورت) سيعطيه عصاه فى مقابل العصا التى أخذها منه. لم يخطئ (فولدمورت) الحركة، واتسعت عيناه بخبث.

«أعطيك عصاى يا (لوشيوس)؟ عصاى؟!».

ابتسم بعض الموجودين مستهزئين.

«لقد أعطيتك حريتك يا (لوشيوس). أليس هذا كافيًا لك؟ ولكننى لاحظت أنك وأسرتك تبدون أقل سعادة فى الفترة الأخيرة.. ماذا عن وجودى فى منزلك الذى يضايقك يا (لوشيوس)؟».

«لا شيء يا مولاى، لا شيء!».

«يا لها من أكاذيب يا (لوشيوس)!».

بدا الصوت الناعم كأنه يهسهس حتى بعد أن توقف الفم القاسى عن الحركة. أوقف ساحر أو أكثر الارتعاد الذى أصابه بينما يرتفع صوت الفحيح أكثر؛ وكان من الممكن سماع صوت حركة شيء ثقيل على الأرضية تحت المائدة.

وظهرت الحية الضخمة وتسلقت مقعد (فولدمورت) ببطء.

ثم أخذت ترتفع وكأنها لا نهاية لها، وأخيرًا استقرت على كتفى (فولدمورت)، كانت رقبتها فى حجم فخذ رجل، وعيناها ذات البؤبؤين الرأسيين لا تطرفان، ومسح (فولدمورت) على هذا الكائن بأصابعه الطويلة الرفيعة بشرود وهو لا يزال ينظر إلى (لوشيوس مالفوى).

وقال: «لماذا تبدو أسرة (مالفوى) غير سعيدة بنصيبها؟ أليست عودتى ووصولى إلى السلطة هو الشيء الذى زعموا أنهم يتمنونه لسنوات طويلة؟».

قال (لوشيوس مالفوى) ويده ترتعد وهو يمسح العرق عن شفته العليا: «بالطبع يا مولاى. هذا ما تمنيناه فعلاً، ولا نزال».

أومأت زوجة (مالفوى) برأسها من على يساره بطريقة غريبة وهى تتجنب النظر إلى (فولدمورت) والثعبان. وكان ابنه (دراكو) على يمينه لا يزال يراقب الجسد المعلق فوقهم، فنظر إلى (فولدمورت) ثم أبعد عينيه بسرعة مرتعبًا من أن تلتقى عيناه بعينيه.

وقالت امرأة سمراء تجلس فى وسط المائدة بصوت مشبوب العاطفة: «مولاى، إن وجودك هنا فى منزل أسرتنا شرف عظيم لنا. ليست هناك سعادة أكبر من ذلك».

وكانت تختلف عن شقيقتها التى تجلس بجوارها فى الشكل بشعرها الأسود وعينيها ذواتى الجفنين الثقيلين، كما تختلف عنها فى الهيئة والسلوك؛ فبينما تجلس (نارسيسا) جامدة لا تتحرك، كانت (بيلاتريكس) تميل ناحية (فولدمورت) بطريقة تعجز الكلمات عن وصف لهفتها للاقتراب منه.

كرر (فولدمورت): «ليست هناك سعادة أكبر من ذلك».
وأدار رأسه قليلاً ناحية (بيلاتريكس): «إن هذا يعنى الكثير يا (بيلاتريكس)».
احمر وجه (بيلاتريكس)، وامتلأت عيناها بدموع الفرح.
«مولاى يعرف أنى لا أقول إلا الصدق!».
«لا توجد سعادة أكبر من ذلك.. حتى مقارنة بالحدث السعيد الذى سمعت أنه وقع فى أسرتك هذا الأسبوع؟».
حدقت به وقد انفرجت شفتاها وظهر عليها الارتباك وقالت: «لا أعرف ما الذى تعنيه يا مولاى».
«إننى أتكلم عن إبنة أختك يا (بيلاتريكس) وأنتما أيضًا يا (لوشيوس) و(نارسيسا). لقد تزوجت المستذئب (ريموس لوبين). لابد أنكم فخورون للغاية».
تعالت الضحكات الهازئة حول المائدة، ومال الكثير منهم لتبادل نظرات السرور، وقليل منهم ضربوا المائدة بقبضتهم. وتضايقت الحية الضخمة من الضوضاء ففتحت فمها وأصدرت فحيحًا غاضبًا، ولكنَّ آكلى الموت لم يسمعوه بسبب ابتهاجهم بالإذلال الذى تعرضت له (بيلاتريكس) و(آل مالفوى). وتحول وجه (بيلاتريكس) الذى كان يشع بالفرحة منذ قليل إلى وجه قبيح ملطخ بالاحمرار.
صاحت ليعلو صوتها على السرور المتدفق الذى اجتاح الموجودين بالمكان: «إنها ليست بنت أختنا يا مولاى. فنحن، (نارسيسا) وأنا، لم نر أختنا منذ أن تزوجت ذا الدم الموحل، وليست لنا أى علاقة بتلك الفتاة المشاكسة ولا بالوحش الذى تزوجته».
سأل (فولدمورت): «وأنت يا (دراكو) ماذا تقول؟ هل سترعى الجرويْن(*) عندما يخرجان؟».. ورغم أن صوته كان هادئًا فإنه سمع بوضوح وسط صفير الاستهجان وضحكات الاستهزاء.
ارتفعت أصواتهم الفرحة، ونظر (دراكو مالفوى) برعب إلى والده الذى كان يحدق إلى حجره، ثم التقت عيناه بعينى والدته التى هزت رأسها بطريقة لا تكاد تحس ثم عادت إلى تحديقها المستمر بالحائط المقابل.
قال (فولدمورت) وهو يمسح على الحية الغاضبة: «كفى كفى».
وتوقف الضحك على الفور.

(*) مفردها جرو، وهو ولد الكلب أو الذئب.

وقال: «لقد اعتلَّ العديد من أشجار العائلات العريقة مع مرور الزمن، ويجب أن تقوموا بتقليم أشجاركم؛ حتى تستعيد عافيتها.. اقطعوا الأجزاء الفاسدة التى تهدد صحة باقى الفروع». كانت (بيلاتريكس) تحدق إليه متوسلة وقد انقطعت أنفاسها.

همست (بيلاتريكس): «نعم يا مولاى. سنفعل ذلك فى أقرب فرصة ممكنة!». اغرورقت عيناها بدموع الامتنان.

قال (فولدمورت): «ستكون لك هذه الفرصة، وسنقضى على الآفات التى تؤذينا سواء فى عائلتك أو فى العالم؛ حتى لا يبقى سوى ذوى الدم النقى..».

رفع (فولدمورت) عصا (لوشيوس مالفوى) ووجهها مباشرة إلى الجسد المعلق الذى يدور ببطء فوق المِائدة، ثم بحركة صغيرة من العصا عاد الوعى إليه وتأوه وبدأ يقاوم قيودًا خفية.

سأل (فولدمورت): «هل تعرف ضيفتنا يا (سيفيروس)؟».

رفع (سناب) عينيه لينظر إلى الوجه المقلوب، ورفع جميع آكلى الموت عيونهم لينظروا إلى الأسيرة الآن وكأنهم أخذوا الإذن بأن يُظهروا فضولهم وما إن دارت الأسيرة لتواجه الضوء الصادر عن نيران المدفأة، حتى قالت بصوت خائف ملهوف: «(سيفيروس)! ساعدنى!».

قال (سناب) بينما استدار وجه السجينة إلى الجهة الأخرى مرة ثانية: «آه، طبعًا».

سأل (فولدمورت) وهو لا يزال يمسح الحية بيده الخالية من العصا: «وأنت يا (دراكو)؟». هز (دراكو) رأسه بالرفض وبدا أنه الآن ـ بعد أن استيقظت ـ أصبح غير قادر على النظر إليها.

قال (فولدمورت): «ولكنك بالطبع لم تحضر دروسها، للذين لا يعرفون، تجمعنا الليلة على شرف (تشاريتى بورباج) التى كانت تعمل أستاذة فى (هوجوورتس) لفنون السحر والشعوذة حتى عهد قريب».

وارتفعت أصوات حول المائدة تدل على فهم الموقف، وعلا صوت ساحرة ذات ظهر محنى وأسنان مدببة.

«آه.. الأستاذة (بورباج) التى علِّمت الأطفال ـ سحرة وساحرات ـ كل شىء عن العامة.. وكيف أنهم لا يختلفون عنا كثيرًا فى شىء..»..

بصق أحد آكلى الموت على الأرض ودارت (تشاريتى بورباج) لتواجه (سناب) ثانية.

«(سيفيروس)... أرجوك... أرجوك...».

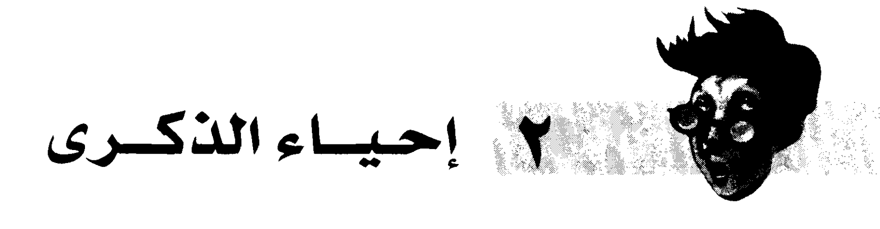
قال (فولدمورت): «صمتًا»، وبحركة أخرى من عصا (مالفوى)، صمتت (تشاريتى) وكأن فمها قد سد، وأضاف: «لست راضيًا عن تخريب وتلويث عقول السحرة الصغار، وقد قامت الأستاذة (بورباج) الأسبوع الماضى بكتابة مقال متحمس فى *المتنبئ اليومى*، تدافع فيه عن ذوى الدم الموحل. وتقول إنه من الواجب على السحرة أن يتقبلوا لصوص المعرفة السحرية وإن تضاؤل الدم النقى أصبح مطلوبًا جدًا.. تريدنا جميعًا أن نتزوج من العامة... أو، بدون شك، المستذئبين..»..

لم يضحك أحد هذه المرة، فقد كان الغضب والازدراء واضحين فى صوت (فولدمورت). وللمرة الثالثة، استدارت (تشاريتى بورباج) لتواجه (سناب). كانت الدموع تنهمر من عينيها إلى شعرها، ونظر إليها (سناب) دون أن يتحرك، بينما التفت هى مبتعدة عنه من جديد.

«*أفادا كادافرا*».

وأضاء شعاع أخضر كل ركن فى الغرفة ووقعت (تشاريتى) مُصدرةً ارتطامًا عنيفًا على المائدة التى اهتزت وصرّت. وقفز العديد من آكلى الموت متراجعين فى مقاعدهم، وسقط (دراكو) من مقعده على الأرض.

وقال (فولدمورت) بصوت هادئ: «العشاء يا (ناجينى)»، وتمايلت الحية الضخمة وانسابت من فوق كتفيه إلى الخشب المصقول.



٢ إحيــاء الذكــرى

كان (هـارى) ينزف.. دفع باب غرفة نومه بكتفه ليفتحه وهو قابض يده اليمنى على اليسرى ويلعن بصوت خافت. ارتفع صوت تكسير شيء مصنوع من الصينى، بعد أن تعثر فى فنجان من الشاى البارد كان موضوعًا على الأرض خارج باب غرفته.

«ما الذى...؟».

نظر حوله؛ كان رصيف المنزل رقم 4 فى شارع بريفت درايف خاليًا.. ربما كان كوب الشاى هو أحد أفخاخ (ددلى) الذكية. رفع (هارى) شظايا الكوب بيده اليسرى، وألقاها داخل سلة قمامة ظهرت لتوها داخل باب غرفة نومه، تاركًا يده التى تنزف مرفوعة، ثم اتجه إلى الحمام؛ ليضع إصبعه تحت مياه الصنبور.

كان يعتبر عدم قدرته على ممارسة السحر قبل أربعة أيام أخرى شيئًا غبيًّا لا معنى له ويثير الغيظ.، وإن كان عليه أن يعترف بينه وبين نفسه بأنه لم يكن ليقدر على علاج هذا القطع الممزق فى إصبعه؛ فهو لم يتعلم كيف يعالج الجروح قطُّ، والآن عندما يفكر فى الأمر - خاصة فى ضوء خططه الفورية - يبدو هذا نقصًا خطيرًا فى تعليمه السحرى. وبينما يفكر فى أن يسأل (هرميون) كيف يمكنه فعل ذلك، أخذ كمية كبيرة من ورق التواليت ومسح بها كل ما يستطيع مسحه من الشاى قبل أن يعود إلى غرفته يصفق بابها خلفه.

قضى (هارى) صباحه كُلَّه فى إفراغ محتويات حقيبته المدرسية لأول مرة منذ أن حزمها قبل ست سنوات.. كان خلال السنوات الدراسية الماضية يقوم بفرز معظم محتويات ثلاثة أرباع الجزء العلوى ويقوم بتغييرها أو تجديدها، تاركًا طبقة من الأنقاض تبلغ حوالى ربع حجم الحقيبة فى القاع - ريش كتابة قديم، عيون خنفساء مجففة، فرد جوارب قديمة لم تعد تلائمه. وكان (هارى) قبل دقائق قد وضع يده خلال هذه الطبقة وشعر بألم شديد فى الإصبع الرابع بيده اليمنى ثم سحب يده ليجدها مغطاة بالدم.

بدأ فى إفراغ باقى المحتويات ولكن بحذر أكثر هذه المرة.. جثا على ركبتيه بجوار الحقيبة مرة أخرى وتحسس قاعها ووجد شارة قديمة يتحول المكتوب عليها بين نؤيد *(سيدريك ديجورى)* و*(بوتر)* كريه *الرائحة*، وجهاز إنذار سحرى مكسور حال لونه، وقلادة ذهبية مخفية بداخلها رسالة بإمضاء «ر.أ.ب»، ثم أخيرًا اكتشف الحافة الحادة التى أصابته بالجرح، عرفها على الفور.. كانت قطعة مكسورة طولها بوصتان من المرآة المسحورة التى أعطاه إياها أبوه الروحى (سيريوس). وضعها (هارى) جانبًا وأخذ يتحسس بحذر داخل الحقيبة باحثًا عن باقى أجزائها لكنه لم يجد شيئًا باقيًا من هدية أبيه الروحى الأخيرة سوى زجاج مطحون، والذى كان يغطى الأشياء فى أعمق طبقة من الأنقاض، مثل الحصى اللامع.

وجلس (هارى) وأخذ يفحص القطعة المسننة التى جرح بها نفسه، ولم ير بها شيئًا سوى انعكاس صورة عينيه الخضراوين اللامعتين تنظران إليه.. وضع قطعة المرآة فوق نسخة هذا الصباح من *المتنبئ اليومى*، والتى كانت موضوعة على سريره ولم تُقرأ بعد. وحاول أن يُقمع الذكرى الأليمة ووخزات الأسف والاشتياق المفاجئة التى أثارهما اكتشاف المرآة المكسورة بأن يواصل إخراج الأشياء القديمة من داخل حقيبته.

تطلب الأمر ساعة كاملة ليفرغ محتوياتها تمامًا ويتخلص من الأشياء عديمة النفع منها ويصنف الباقى فى أكوام طبقًا لاحتياجه أو عدم احتياجه إليها، وقام بوضع كومة تضم ملابس المدرسة وملابس الكويدتش والمرجل وريش ورقع الكتابة ومعظم كتبه المدرسية فى ركن الغرفة ليتركها.. وفكر ما الذى ستفعله خالته وزوجها بها.. ربما سيحرقونها فى ظلام الليل وكأنهم يتخلصون من دليل على جريمة شنعاء، وأعاد وضع ملابس العامة خاصته وعباءة الإخفاء وعدة عمل الوصفات السحرية وكتب معينة وألبوم الصور الذى أعطاه له (هاجريد) منذ فترة ومجموعة من الخطابات وعصاه داخل حقيبة كتف قديمة، ووضع خارطة المارودر، والقلادة التى بها رسالة موقعة بـ«ر.أ.ب» داخل الجيب الأمامى.. لم يضع (هارى) القلادة فى هذا المكان المميز بسبب قيمتها المادية ـ فهى لا تساوى شيئًا ـ ولكن بسبب ما كلفه الوصول إليها.

وكان هناك كذلك كمية كبيرة من الجرائد موضوعة على مكتبه بجوار بومته البيضاء (هدويج).. جريدة عن كل يوم قضاه (هارى) فى شارع بريفت درايف هذا الصيف.

قام (هارى) من الأرض وتمطى وتحرك فى اتجاه المكتب.. لم تتحرك (هدويج)، بينما بدأ هو فى إلقاء الجرائد الواحدة تلو الأخرى إلى كومة الأشياء عديمة النفع. كانت البومة نائمة أو تتظاهر بذلك.. كانت غاضبة من (هارى) بسبب المدة المحدودة التى يسمح لها فيها بالخروج من القفص.

عندما اقترب من نهاية كومة الجرائد، تمهل (هارى) وأخذ يبحث عن عدد معين يعرف أنه وصل بعد عودته إلى بريفت درايف لقضاء الصيف بوقت قصير، تذكر أن به خبرًا صغيرًا فى الصفحة الأولى عن استقالة (تشاريتى بورباج) أستاذة دراسات العامة فى (هوجوورتس). ووجده أخيرًا، وفتح صفحة رقم عشرة وجلس فى كرسى المكتب وأعاد قراءة المقال الذى كان يبحث عنه.

فى ذكرى (ألباس دمبلدور): بقلم (إلفياس دوج)

لقد التقيت (ألباس دمبلدور) فى سن الحادية عشرة فى أول يوم فى (هوجوورتس)، وكان ما جذبنا إلى بعضنا البعض هو بلا شك حقيقة أن كلينا يشعر بأنه غريب عن المكان. كنت قد أصبت بمرض جدرى التنين قبل وقت قصير من وصولى إلى المدرسة، ورغم أن مرضى كان قد أصبح غير معدٍ، فإن لونى الأخضر ووجهى الذى تغطيه البثور لم يشجعا أحدًا على الاقتراب منى، أما (ألباس)، فكان قد حضر إلى (هوجوورتس) تسبقه سمعة سيئة.. كان والده (بيرسيفال) قد أدين بارتكاب اعتداء وحشى شهير على ثلاثة من شباب العامة قبلها بعام.

لم يحاول (ألباس) قطُّ إنكار التهمة عن أبيه (الذى مات فى أزكابان)، بل على العكس، عندما واتتنى الشجاعة لكى أسأله، أكد لى أنه يعرف أن والده مذنب، ورغم أن الكثيرين حاولوا جره إلى الحديث لكنه رفض أن يتحدث فى هذا الشأن المؤسف أكثر من ذلك، بل إن البعض كانوا يحاولون مدح ما فعله والده.. مفترضين أن (ألباس) أيضًا كان كارهًا للعامة. ولكنهم كانوا مخطئين لأقصى حد؛ لأن أى شخص عرف (ألباس) سوف يشهد بأنه لم يُظهر يومًا أدنى عداء للعامة، بل إن عزمه الذى لا يلين على تأييد حقوق العامة أكسبه الكثير من الأعداء خلال الأعوام التالية.

وفى غضون شهور قليلة فقط، ذاعت شهرة (دمبلدور) نفسه حتى غطت على شهرة أبيه، وبعد نهاية أول سنة له بالمدرسة، لم يعد معروفًا كابن أحد كارهى العامة، ولكن لكونه أذكى طالب شهدته المدرسة، وقد استفاد كل من خدمه الحظ ليكون صديقًا له من المثال الذى ضربه لنا، فضلاً عن مساعدته وتشجيعه الذى كان سخيًّا فى تقديمهم. وقد اعترف لى فيما بعد أنه كان يعرف وقتها أن أعظم متعة بالنسبة له هى التدريس.

لم ينل (ألباس) كل الجوائز التى تقدمها المدرسة فحسب، بل أصبح على علاقة بأشهر الأسماء فى عالم السحر تلك الأيام كذلك، بمن فى ذلك (نيكولاس فلامِل) الكيميائى الشهير، و(باثيلدا باجشوت) المؤرخة المعروفة، و(أدالبِرت وافلينج) واضع النظريات السحرية. ووجدت العديد من أبحاثه طريقها إلى المجلات العلمية المتخصصة مثل التحويل اليوم، والتحديات فى التعاويذ، وصانع الوصفات العملى. كان من المتوقع لـ(دمبلدور) مستقبل مذهل، وكان السؤال الوحيد الباقى هو متى يصبح وزيرا للسحر، ورغم زيادة التوقعات بوصوله إلى منصب الوزير خلال الأعوام التالية، فإنه لم يكن لديه أى طموحات نحوه.

وبعد ثلاث سنوات من التحاقنا بهوجورتس وصل أخو (ألباس)، (أبيرفورث) للمدرسة. كان يختلف عنه تمامًا؛ لم يكن (أبيرفورث) قارئًا كـ(دمبلدور)، وكان يحب تسوية الخلافات عن طريق المبارزات وليس بالنقاش العاقل، ولكن على الرغم من اختلافهما، فإنهما كانا صديقين على عكس ما اعتقد البعض، ولكى لا أظلم (أبيرفورث)، يجب أن أعترف أن العيش فى ظل (دمبلدور) لم يكن تجربة مريحة بأى حال من الأحوال، فقد كان تألق (دمبلدور) المستمر يهدد علاقاته بأصدقائه دائمًا، فما بالك بأخيه.

وعندما تركنا (هوجوورتس) أنا و(ألباس)، كنا ننوى أن نقوم بجولة حول العالم معًا، وكان ذلك شيئًا تقليديًّا فى ذلك الوقت.. كان الهدف من تلك الجولة هو زيارة وملاحظة السحرة الأجانب قبل أن يبدأ كلٌّ منا حياته العملية المنفصلة. ولكن القدر تدخل، ففى نفس الليلة التى كنا ننوى الرحيل فيها، ماتت والدة (ألباس)، (كيندرا)، وتركته ليكون العائل الوحيد والمسئول عن العائلة. أجلت رحيلى وقتًا كافيًا حتى أقدم التعازى فى جنازة (كيندرا)، ثم رحلت وحدى فى رحلة منفردة، فلم يكن (ألباس)

يستطيع مرافقتى بأى حال من الأحوال بعد أن أصبح مسئولاً عن أخ وأخت أصغر منه، بالإضافة إلى قليل من الذهب.

خلال هذه الفترة، قلت الاتصالات بيننا، كنت أكتب لـ(ألباس) وأصف له - ربما بدون أن أراعى مشاعره - العجائب التى شاهدتها فى رحلتى بداية من نجاتى بشق الأنفاس من الوحوش الأسطورية فى اليونان إلى تجاربى مع الكيميائيين المصريين.. لم تخبرنى خطاباته الكثير عن حياته اليومية، والتى خمنت أنها كانت مملة لدرجة محبطة بالنسبة لهذا الساحر النابغ. وبعدها بنحو سنة كنت لا أزال منغمسًا فى رحلتى التى أوشكت على الانتهاء، عندما سمعت عن حدوث فاجعة جديدة ألمَّت بـ(دمبلدور) آلمتنى كثيرًا.. موت أخته (أريانا).

ورغم أن (أريانا) كانت مريضة منذ فترة طويلة، فإن موتها بعد فترة قصيرة من موت أمهم كان له تأثير عميق على كلا أخويها. ويتفق كل المقربين من (ألباس)، وأنا أعتبر نفسى من بين هؤلاء المحظوظين - أن موت (أريانا) وشعور (ألباس) بمسئوليته عنه (رغم أنه بالطبع لم يكن مسئولاً) ترك علامة فى شخصيته إلى الأبد.

عدت إلى الوطن، لأجد شابًا عرف معاناة أكبر من سنوات عمره بكثير.. أصبح (ألباس) أكثر تحفظًا عما كان عليه من قبل وأقل مرحًا وخلوًّا للبال بكثير. ومما زاد ألمه، أن فقد (أريانا) لم يقرب بينه وبين (أبيرفورث) بل زاد الجفاء بينهما «وإن كان ذلك قد تغير مع مرور الوقت وأصبحت بينهما صداقة إن لم تكن مقربة فإنها بكل تأكيد كانت صادقة وصافية»، ولكنه لم يعد يتكلم عن أبويه أو (أريانا) منذ ذلك الوقت وتعلم أصدقاؤه ألاَّ يذكروهم.

ستقوم الكثير من الريشات بذكر الإنجازات الكثيرة التى حققها (دمبلدور) خلال السنوات التالية.. إنجازات لا تعد فى مجال المعرفة السحرية، بما فى ذلك اكتشافه للاستخدامات الاثنى عشر لدم التنين، والتى ستظل تفيد أجيالاً وأجيالاً قادمة، بالإضافة إلى الحكمة العظيمة التى أظهرها فى أحكامه كرئيس لسحرة ويذينجاموت. يقولون إنه لا توجد مبارزة تقارن بتلك التى حدثت بين (دمبلدور) و(جريندلوالد) فى عام 1945، وقد كتب من شاهدوها يصفون الرعب والرهبة اللذين شعروا بهما

وهم يتابعون هذين الساحرين البارعين وهما يتعاركان، ويعتبر انتصار (دمبلدور) وما تلاه من نتائج نقطة تحول فى تاريخ السحر، تماثل فى أهميتها الاتفاقية الدولية للمحافظة على السرية وسقوط (الذى لا يجب ذكر اسمه).

لم يكن (ألباس دمبلدور) يومًا متكبرًا أو مغرورًا، كان دائمًا ما يجد شيئًا يستحق التقدير فى الناس، مهما كان غير مهم أو حقيرًا فى الظاهر، وأنا أعتقد أن المآسى التى تعرض لها فى بداية حياته جعلته على قدر كبير من الإنسانية والتعاطف. سأفتقد صداقته أكثر مما يمكننى التعبير عنه ولكن خسارتى لا تقارن بالخسارة التى تعرض لها العالم السحرى، فقد كان (دمبلدور) أكثر نظار (هوجوورتس) إلهامًا وقد أحبه الجميع. فلقد عاش دائمًا حتى آخر ساعة فى عمره يعمل من أجل الخير.. وكان، كعهدى به دائمًا، مستعدًا لمد يد المساعدة لولد صغير مصاب بجدرى التنين، كما كان فى اليوم الذى التقيت به.

انتهى (هارى) من قراءة المقال ولكنه استمر يحدق إلى الصورة المصاحبة للنعى.. كان (دمبلدور) مبتسمًا ابتسامته الطيبة المعتادة، ولكنه عندما دقق النظر من فوق نظارته الهلالية، شعر (هارى) بأن نظرة (دمبلدور) تخترقه حتى وهو مجرد صورة فى جريدة وكان شعور (هارى) بالحزن يختلط به بعض المهانة.

كان يعتقد أنه يعرف (دمبلدور) جيدًا ولكن منذ قراءته لهذا المقال وجد نفسه مدفوعًا للاعتراف بأنه بالكاد عرفه، فهو لم يتصور يومًا طفولة (دمبلدور) أو شبابه؛ وكأنه وجد فى هذا العالم فى اللحظة التى عرفه فيها (هارى)، شيخًا جليل القدر ذا شعر فضى. كانت فكرة تصور (دمبلدور) وهو مراهق غريبة كتصور (هرميون) غبية أو تصور حيوانات سكرويت لطيفة.

لم يفكر قطُّ أن يسأل (دمبلدور) عن ماضيه. لا شك أن الأمر سيكون غريبًا وربما وقحًا، ولكن على أية حال، كان من المعروف عمومًا أن (دمبلدور) كان مشاركًا فى المبارزة الأسطورية مع (جريندلوالد) ولكن (هارى) لم يفكر أن يسأله قطُّ كيف كان الأمر، أو أن يناقش معه أيًّا من إنجازاته الأخرى. لا، كانا دائمًا يناقشان (هارى)، ماضى (هارى) ومستقبل (هارى) وخطط (هارى)... وبدا الأمر لـ (هارى) الآن، وبغض النظر عن حقيقة كون مستقبله مُعرضًا

للخطر ويشوبه غموض شديد، أنه خسر فرصًا لا يمكن تعويضها عندما فشل فى سؤال (دمبلدور) المزيد عن نفسه، رغم أن السؤال الوحيد الشخصى الذى سأله لناظره فى يوم من الأيام كان أيضًا السؤال الوحيد الذى شك أن (دمبلدور) لم يجبه عليه بصراحة.

«ماذا ترى عندما تنظر فى المرآة؟».

«أنا؟ أرى نفسى واقفًا وفى يدى زوجان من الجوارب الصوفية السميكة».

وبعد عدة دقائق من التفكير، قطع (هارى) المقال من *المتنبئ اليومى* وطواه بحرص ووضعه داخل المجلد الأول من كتاب *السحر الدفاعى العملى* وكيفية *استخدامه ضد فنون الظلام*، ثم ألقى بباقى الجرائد إلى كومة النفايات واستدار ليواجه الغرفة.. أصبحت الآن أكثر ترتيبًا. كان الشيء الوحيد المتروك فى غير مكانه هو نسخة اليوم من *المتنبئ اليومى* التى لا تزال موضوعة فوق السرير وفوقها قطعة المرآة المكسورة.

تحرك (هارى) عبر الغرفة ورفع شظية المرآة من فوق الجريدة وفتحها، كان قد نظر بسرعة إلى العناوين الرئيسية عندما تسلَّم الجريدة المطوية من بومة التوصيل مبكرًا هذا الصباح ثم ألقاها جانبًا عندما وجد أنها لا تذكر شيئًا عن (فولدمورت). كان (هارى) واثقًا أن الوزارة كانت تمنع جريدة *المتنبئ اليومى* من ذكر أى أخبار عن (فولدمورت) ولكنه فى هذه اللحظة لاحظ خبرًا لم يشاهده من قبل؛ وجد عنوانًا صغيرًا فى الجزء السفلى من الصفحة الأولى معه صورة لـ(دمبلدور) وهو يخطو بسرعة ويبدو متضايقًا:

(دمبلدور) ـ الحقيقة أخيرًا؟

ستصدر الأسبوع القادم القصة الصادمة عن حياة العبقرى غير الكفء الذى يعتبره الكثيرون أعظم السحرة فى جيله.

ستميط (ريتا سكيتر) اللثام عن الصورة المألوفة للحكمة الجليلة بيضاء اللحية لـ(دمبلدور) وتزيح الستار عن طفولته المعذبة وشبابه الطائش والنزاعات التى استمرت طوال عمره والأسرار الفظيعة التى حملها (دمبلدور) معه إلى قبره. ***لماذا*** *رضى الرجل الذى كان من المتوقع له أن يصبح وزير السحر أن يظل ناظرًا؟* ***ماذا*** *كان الهدف الحقيقى للمنظمة السرية التى يطلق عليها جماعة العنقاء؟* ***كيف*** *مات (دمبلدور)؟*

إجابة كل هذه الأسئلة والكثير غيرها سيتم الكشف عنها فى السيرة الذاتية الجديدة حياة (ألباس دمبلدور) وأكاذيبه، تأليف (ريتا سكيتر)، التى قامت (بيتى) بعمل لقاء حصرى معها فى صفحة 13 بالداخل.

فتح (هارى) الجريدة ووجد بأعلى صفحة 13 صورة تُظهر وجهًا آخر مألوفًا لامرأة ترتدى نظارة مرصعة بجواهر ذات شعر أشقر مجعد مزين، وقد كشفت عن أسنانها فيما بدا واضحًا أنه ابتسامة انتصار وكانت تحرك أصابعها فى وجهه وحاول بكل جهده أن يتجاهل هذه الصورة المقززة وبدأ يقرأ.

عندما تلتقى بـ(ريتا سكيتر)، تجد أنها أكثر دفئًا ورقّة عما توحى به كتاباتها العنيفة الشهيرة. حيتنى فى صالة منزلها المريح الدافئ وقادتنى مباشرة إلى مطبخها لتناول كوب من الشاى وقطعة من الكيك، وبدأنا نتبادل الحديث عن أحدث الشائعات هذه الأيام.

قالت (سكيتر): حسنًا، بالطبع قصة (دمبلدور) هى حلم لأى كاتب للسير الذاتية، فقد كانت حياته طويلة ومليئة وأنا متأكدة أن كتابى سيكون الأول من بين الكثير والكثير من الكتب».

لقد كانت (سكيتر) سريعة التصرف جدًّا؛ إذ استطاعت إنجاز كتابها ذى التسعمائة صفحة بعد أربعة أسابيع فقط من موت (دمبلدور) الغامض فى يونية الماضى، وقد سألتها كيف استطاعت أن تنهى كتابها بهذه السرعة الكبيرة.

«حسنًا، عندما تكونين صحفية لسنوات طويلة مثلى، فإن الوفاء بالمواعيد يكون من طبيعتك، لقد كنت أعرف أن العالم السحرى يضج فى طلب القصة الكاملة لحياته وأردت أن أكون من يحقق هذا الطلب».

ذكرت لـ(ريتا) تعليقات (إلفياس دوج) المستشار الخاص لويذينجاموت وصديق عمر (ألباس دمبلدور) والتى نشرت مؤخرًا فى الجرائد بأن كتاب (سكيتر) يحتوى على حقائق أقل من الموجودة على بطاقات شيكولاتة الضفادع.

رجعت (سكيتر) رأسها إلى الوراء وأخذت تضحك.

وقالت: «عزيزى (دودجى)! أذكر لقائى معه منذ سنوات قليلة عن حقوق عرائس البحر.. لقد أصبح مخرفًا تمامًا، وكان يظن أننا جالسون فى قاع بحيرة ويندرمير وظل يقول لى أن أحترس من سمك السلمون المرقط».

ومع ذلك، ترددت اتهامات لـ(إلفياس دوج) بعدم دقته فى أماكن كثيرة.. هل تشعر (سكيتر) أن أربعة أسابيع ـ على قلتها ـ فترة كافية للوصول إلى صورة كاملة لحياة (دمبلدور) الطويلة غير العادية؟

ابتسمت (ريتا) وضغطت بيدها على يدى وقالت: «أنت تعرفين يا عزيزتى، مثلى تمامًا، كم المعلومات التى يمكن الحصول عليها مقابل كيس ملىء بالجاليونات وعدم القبول بكلمة لا، وريشة تكتب كل ما ينطقون به بأسرع ما يمكن! كان الناس يقفون طوابير ليحكوا لى كل الفضائح التى يعرفونها عن (دمبلدور). لم يكن الناس جميعًا يعتقدون أنه رائع، أتعرفين، لقد تخطى الكثير من الشخصيات المهمة. ولكن يجب على (دودجى دوج) العجوز أن ينزل من فوق هيبوجرافه العالى؛ لأنى توصلت إلى مصدر، أكثر الصحفيين مستعد لمبادلة عصاه للوصول إليه.. وهو شخص لم يتكلم أمام الجمهور من قبل وكان قريبًا من (دمبلدور) خلال أكثر الفترات اضطرابًا فى شبابه».

وتوحى الدعاية الممهدة لكتاب (سكيتر) بشكل أكيد بأن هناك صدمات سيتعرض لها الذين يعتقدون أن (دمبلدور) عاش حياته بلا أخطاء.. سألتُها عن أكبر المفاجآت التى كشفت عنها.

ضحكت (سكيتر) وقالت: «توقفى عن ذلك يا (بيتى)، فأنا لن أقول الأشياء المهمة بالكتاب قبل أن يشتريه الناس! ومع ذلك أستطيع أن أعد بأن أى شخص يعتقد أن (دمبلدور) كان ناصعًا كلحيته سيفيق من ذلك الوهم! دعينا فقط نقُل إن أى شخص يسمع بحربه ضد (أنت ـ تعرف ـ من)، لم يخطر بباله قطُّ أنه كان منغمسًا فى فنون الظلام خلال شبابه.. وبالنسبة لساحر ظل طوال أعوامه الأخيرة يدعو للتسامح، فإنه لم يكن على نفس هذه الدرجة من الانفتاح عندما كان أصغر سنًّا. نعم، لقد كان ماضى (ألباس دمبلدور) معتمًا إلى حد كبير، إذا تغاضينا عن العائلة المريبة التى حرص بشدة على أن يتكتم أخبارها».

هل تشير (سكيتر) إلى أخى (دمبلدور) (أبيرفورث)، والذى سبَّب اتهامه بإساءة استخدام السحر ـ منذ خمسة عشر عامًا ـ فضيحة صغيرة؟

تضحك (سكيتر): «إن (أبيرفورث) ليس إلا جزءًا صغيرًا من كومة النفايات التى كشفت عنه. لا، لا، إننى أتكلم عن شىء أكثر سوءًا من أخ تافه عابث مغرم بالماعز، أسوأ من أب كاره للعامة ـ لم يستطع (دمبلدور) أن يُسكت أيًا منهما.. وعلى أية حال، فإن كليهما صدر ضده أحكام من مجلس ويذينجاموت. لا، أن الأم والأخت هما من أثارتا انتباهى وبقليل من البحث توصلت إلى الكثير من الأخبار كريهة الرائحة.. ولكن كما أقول، يجب أن تنتظرى حتى تقرئى الأبواب من التاسع للثانى عشر لتحصلى على التفاصيل الكاملة. وكل ما يمكننى أن أقوله الآن، هو أنه لا عجب أن (دمبلدور) لم يتكلم قطٌّ عن الطريقة التى كسر بها أنفه».

وعلى الرغم من تلك الفضائح العائلية التى لا يمكن احتمالها، هل تنكر (سكيتر) العبقرية التى جعلت (دمبلدور) يصل إلى العديد من الاكتشافات السحرية؟

«لقد كان عبقريًا فعلاً، ولو أن الكثيرين الآن يشككون إن كان الفضل كله يعود إليه فى كل تلك الإنجازات التى من المفترض أنه حققها وكما كشفت فى الفصل السادس عشر، فإن (إيفور ديلونسبى) يدعى أنه كان قد اكتشف ثمانى فوائد لدم التنين قبل أن يأتى (دمبلدور) و«يستعير أبحاثه».

ولكن أهمية إنجازات (دمبلدور) لا يمكن إنكارها، فماذا عن انتصاره الشهير على (جريندلوالد)؟

قالت (سكيتر) بابتسامة متألقة: «آه، الآن أنا سعيدة أنك أتيتِ على ذكر (جريندلوالد)، أخشى أن المقتنعين بعظمة النصر الذى حققه (دمبلدور)، يجب أن يهيئوا أنفسهم لقنبلة ـ ربما تكون مليئة بالنفايات. كل ما يمكننى قوله هو ألاَّ تكونوا واثقين لهذه الدرجة بأنه كانت هناك مبارزة عظيمة وأسطورية فبعد أن يقرأ الناس كتابى، فمن الممكن أن يتوصلوا إلى أن (جريندلوالد) قد أخرج منديلاً أبيض من طرف عصاه واستسلم فى هدوء!».

وترفض (سكيتر) قول أى شىء آخر عن الموضوع المثير للاهتمام وننتقل إلى موضوع العلاقات وهو الموضوع الذى سيذهل قراءها أكثر من غيره من الموضوعات.

قالت (سكيتر) وهى تومئ بخفة: «آه طبعًا، لقد خصصت فصلاً كاملاً عن العلاقة التى ربطت (دمبلدور) بـ(بوتر). والتى يقال عنها إنها غير صحية بل مشئومة.. ومرة أخرى، يجب أن يشترى قراؤك الكتاب ليعرفوا القصة كاملة، ولكن مما لا شك فيه أن اهتمام (دمبلدور) بـ(بوتر) كان غير طبيعى من البداية. هل كان ذلك فى مصلحة الولد أم لا؟ هذا ما سنعرفه.. إن الجميع يعرفون مدى اضطراب فترة المراهقة التى عاشها (بوتر)».

وسألت (ريتا) إذا كانت لا تزال على اتصال مع (هارى بوتر) والذى قامت بعمل حديث شهير معه العام الماضى، وكان سبقًا صحفيًا كبيرًا تكلم (هارى) فيه حصريًا عن اقتناعه بعودة (أنت - تعرف - من).

قالت (سكيتر): «آه، طبعًا، لقد أصبحنا على صلة قوية. مسكين (بوتر)، ليس لديه إلا القليل من الأصدقاء الحقيقيين. لقد التقيته أول مرة فى إحدى أكثر لحظات حياته اختبارًا؛ دورة السحر الثلاثية. ربما أكون أحد الأشخاص القلائل على قيد الحياة الذين يستطيعون أن يقولوا إنهم يعرفون (هارى بوتر) الحقيقى» الذى يقودنا بشكل منظم إلى الشائعات الكثيرة التى تدور عن الساعات الأخيرة فى حياة (دمبلدور)، هل تعتقد (سكيتر) أن (بوتر) كان موجودًا عندما مات (دمبلدور)؟

«حسنًا، إننى لا أريد أن أقول الكثير - إن كل شىء مذكور فى الكتاب - ولكن شهود العيان داخل قلعة (هوجوورتس) رأوا (هارى) يجرى مبتعدًا عن المكان بعد دقائق من سقوط (دمبلدور) سواء كان قد قفز أو دفع. وفى وقت لاحق، قال (بوتر) إن (سيفيروس سناب) قتله، وهو رجل يحمل ضده حقدًا شديدًا.. هل تبدو الأشياء على حقيقتها؟ هذا متروك لقرار المجتمع السحرى بعد أن يقرأ كتابى».

وعند هذه النقطة المثيرة للاهتمام، انتهى اللقاء. ليس هناك شك أن (سكيتر) كتبت كتابًا سيكون من أكثر الكتب مبيعًا. ومن المؤكد أن معجبى (دمبلدور) الكثيرين يرتجفون رعبًا مما سيتم الكشف عنه عن بطلهم المحبوب.

ورغم أن (هارى) انتهى من قراءة المقال، ظل يحدق بالصفحة وهو شارد.. تصاعد الاشمئزاز والغضب الشديدان فى داخله مثل القىء، فكوّر الجريدة فى يده

وألقى بها بكل قوته إلى الحائط لتنضم إلى باقى النفايات المكومة حول سلة المهملات الممتلئة.

وبدأ يدور حول الغرفة دون هدف، يفتح الأدراج الخالية ويحمل بعض الكتب ثم يعيدها إلى نفس مكانها وهو لا يكاد يعى ما يفعله، بينما تتردد عبارات غير مرتبة قرأها فى مقال (ريتا) فى ذهنه: فصلٌ بأكمله عن العلاقة التى ربطت (بوتر) بـ(دمبلدور)، والتى يقول البعض عنها إنها لم تكن صحية وربما مشئومة... لقد كان فى شبابه منغمسًا فى فنون الظلام.. لقد توصلت إلى مصدر، أكثر الصحفيين مستعد لمبادلة عصاه للوصول إليه.

صاح (هارى): «أكاذيب!»، وشاهد من نافذة غرفته جارهم فى المنزل المجاور، والذى كان على وشك تشغيل آلة جز الحشائش يرفع رأسه إلى أعلى بتوتر.

جلس (هارى) على السرير، فانزلقت قطعة المرآة المكسورة عنه، حملها وأخذ يقلبها بين يديه، وهو يفكر ويفكر فى (دمبلدور) والأكاذيب التى تشوه بها (ريتا سكيتر) سمعته..

ظهر أمامه وميض أزرق. تجمد (هارى) وانزلق إصبعه المجروح على الحافة مرة أخرى.. لقد تخيل ذلك. لا يمكن أن يكون ذلك سوى خيال. ونظر من فوق كتفه، ولكن لم ير سوى لون الحائط الوردى السخيف الذى اختارته الخالة (بتونيا)؛ لم يكن هناك شىء أزرق يمكن أن تعكسه المرآة، ونظر داخل قطعة المرآة مرة أخرى لكنه لم ير سوى عينيه الخضراوين تنظران إليه.

لقد تخيل ذلك، ليس هناك تفسير آخر.. تخيل ذلك؛ لأنه كان يفكر فى ناظر مدرسته المتوفى.. كان متأكدًا أن عينى (ألباس دمبلدور) الزرقاوين البراقتين لن تخترقاه مرة أخرى.



٣ رحيـل (آل درسلى)

تـردد صـوت إغـلاق الـبـاب الأمـامـى فـى الـدور الـعلوى وصـاح صـوت قـائـلاً: «يـا ولد!».

بعد ستة عشر عامًا من سماع هذا النداء، لم يكن لدى (هارى) أى شك فى أن الذى يناديه زوج خالته، ومع ذلك لم يرد عليه فورًا. كان لا يزال يحدق إلى قطعة المرآة التى خُيِّل له للحظة أنه شاهد بها عين (دمبلدور)، ولم يتحرك حتى سمع عمه يعيد النداء مرة أخرى: «*يا ولد!*»، فوقف ببطء واتجه إلى باب غرفة نومه وتمهل قليلاً حتى وضع قطعة من المرآة المكسورة فى حقيبة الكتف التى كدس بها الأشياء التى سيأخذها معه.

وعندما ظهر (هارى) على قمة السلم صاح (فيرنون درسلى): «لقد تأخرت، انزل هنا حالاً! أريد أن أتكلم معك!».

نزل (هارى) السلم ويداه داخل جيبى سرواله الچينز، وعندما وصل إلى غرفة المعيشة وجد أفراد (آل درسلى) الثلاثة هناك، كانوا جميعًا يرتدون ملابس السفر.. كان زوج خالته (فيرنون) يرتدى سترة بسحَّابة، وخالته (بتونيا) ترتدى معطفًا جميلاً، لونه يشبه لون سمك السلمون، وابن خالته الأشقر مفتول العضلات (ددلى) فى سترته الجلدية.

سأل (هارى): «نعم».

قال العم فيرنون: «اجلس!»، ورفع (هارى) حاجبيه، وأضاف العم (فيرنون): «من فضلك!» وقد بح صوته قليلاً وكأن الكلمة كانت حادة فى حلقه.

جلس (هارى) وظن أنه يعرف ما سيحدث، وبدأ زوج خالته فى قطع المكان جيئة وذهابًا بينما الخالة (بتونيا) و(ددلى) يتابعان حركته وقد ظهر القلق على وجهيْهما، وأخيرًا جعد العم (فيرنون) وجهه الأرجوانى الضخم دليلاً على التركيز، وتوقف أمام (هارى) وقال:

«لقد غيرت رأيى».

قال (هارى): «يا لها من مفاجأة!».

وصاحت الخالة (بتونيا) بصوت حاد: «لا تتكلم بتلك اللهجة»، لكن (فيرنون درسلى) أشار لها بيده أن تسكت.

قال العم (فيرنون) وهو يحدق إلى (هارى) بعينيه الضيقتين: «إن كل ما قلته لى لا يعدو أن يكون مجرد هراء.. لقد قررت ألا أصدق كلمة منه، سنظل هنا ولن نذهب إلى أى مكان».

نظر (هارى) إلى زوج خالته وهو يشعر بمزيج من الغيظ والتسلية.. فلقد اعتاد (فيرنون درسلى) تغيير رأيه كل 24 ساعة خلال الأسابيع الأربعة الماضية.. كان يحزم أمتعته ثم يفرغها ثم يحزمها من جديد فى كل مرة يغير فيها رأيه وكانت أفضل لحظة بالنسبة لـ(هارى) هى عندما حاول العم (فيرنون) رفع حقيبته دون أن يدرك أن (ددلى) قد وضع فيها أثقال تمرين الذراعين الخاص به منذ آخر مرة حزموا فيها أمتعتهم؛ مما جعله ينهار متألمًا وهو يصرخ من الألم وقد غطاه العرق.

قال (فيرنون درسلى) وقد عاد إلى قطع المكان جيئة وذهابًا مرة أخرى: «إنك تقول لى إننى أنا و(بتونيا) و(ددلى) فى خطر من... من...».

قال (هارى): «من بعض «جماعتى».. هذا صحيح».

كرر العم (فيرنون) وقد توقف أمام (هارى) مجددًا: «حسنًا، إننى لا أصدق هذا ـ لقد استيقظت أمس فى منتصف الليل، وأنا أعيد التفكير فى الأمر ولقد توصلت إلى أنها مؤامرة حتى تحصل على المنزل».

كرر (هارى): «المنزل؟ أى منزل؟».

صاح العم (فيرنون) وقد بدأت العروق تنبض فى جبينه: «هذا المنزل! *منزلنا!* إن أسعار المنازل مرتفعة جدًا فى هذه المنطقة. إنك تريد إخراجنا منه وإبعادنا عن طريقك، ثم تستخدم بعض الهوكس بوكس ويصبح المنزل باسمك و...».

سأله (هارى) صائحًا: «هل فقدت عقلك؟ مؤامرة للحصول على هذا المنزل؟ هل أنت فعلاً غبى كما تبدو؟».

صاحت العمة (بتونيا): «كيف تجرؤ..!»، لكن (فيرنون) أشار إليها من جديد؛ يبدو أن استخفاف (هارى) بمنظره لم يبد فى أهمية الخطر الذى لمحه فى كلامه.

قال (هارى): «إذا كنت قد نسيت، أحب أن أذكرك أن لدى منزلى الخاص بالفعل، لقد ترك لى أبى الروحى منزلاً، ثم ما الذى يجعلنى أريد هذا البيت؟ الذكريات الجميلة التى عشتها به؟».

وساد الصمت. اعتقد (هارى) أنه أفحم زوج خالته بمنطقه السديد.

قال العم (فيرنون) وقد بدأ المشى من جديد: «إنك تدعى أن هذا اللورد...».

قال (هارى) بنفاد صبر: «..(فولدمورت)، ولقد تكلمنا فى هذا الأمر أكثر من مائة مرة حتى الآن. وهذا ليس ادعاء، ولكنه حقيقة أخبرك بها (دمبلدور) فى العام الماضى وكذلك فعل (كنجسلى) والسيد (ويزلى) ـ».

حدب (فيرنون درسلى) كتفيه بشدة وخمَّن (هارى) أنه يحاول أن يبعد ذكرى الزيارة التى لم يعلم بها إلا فى وقتها، فقد حضر إلى منزله بعد أيام قليلة من عودة (هارى) لإجازة الصيف ساحرين ناضجين. وكان حضور (كنجسلى شاكلبولت) و(أرثر ويزلى) كأكثر الصدمات غير السارة لـ(آل درسلى). وإن كان على (هارى) أن يعترف أن السيد (ويزلى) قد قام بتدمير نصف حجرة المعيشة فى المرة السابقة التى أتى فيها إلى هنا ومن الطبيعى ألاَّ يسعد العم (فيرنون) بمشاهدته مرة أخرى.

وأكمل (هارى) حديثه: «لقد شرح لك (كنجسلى) والسيد (ويزلى) كل شىء، فما إن أبلغ السابعة عشرة حتى تنكسر تعويذة الحماية التى تحمينى وهذا ينطبق عليكم أيضًا. إن الجماعة واثقة أن (فولدمورت) سوف يستهدفكم، سواء ليعذبكم ليحاول معرفة مكانى، أو لأنه يعتقد أن أخذكم كرهائن سيجعلنى آتى لأحاول إنقاذكم».

والتقت عينا العم (فيرنون) بعينى (هارى). وكان (هارى) واثقا أنه يتساءل مثله إن كان سيحاول إنقاذهم فعلا. ثم ابتعد (فيرنون) وأكمل (هارى): «يجب أن يتم إخفاؤكم وتريد الجماعة مساعدتكم، لقد عرضوا عليكم أفضل حماية ممكنة».

لم يقل العم (فيرنون) شيئًا واستمر يقطع المكان جيئة وذهابًا. وكانت الشمس فى الخارج قد انخفضت وراء سور الشجيرات فى بريفت درايف وأوقف جارهما آلة جز الحشائش مرة أخرى.

سأل (فيرنون درسلى) فجأة: «لقد اعتقدت أن هناك وزارة للسحر».

قال (هارى) مُفاجَأً: «نعم بالفعل».

«حسنًا إذن، لماذا لا يمكنهم حمايتنا؟ يبدو لى أنه بما أننا ضحايا أبرياء ليس لنا ذنب سوى إيواء شخص مطلوب، فنحن مؤهلون لكى ننال حماية الحكومة!».

ضحك (هارى)، لم يستطع أن يمنع نفسه.. كان هذا هو المتوقع من شخص كزوج خالته، أن يضع أمله فى المؤسسة الحكومية، حتى فى العالم الذى يحتقره ولا يثق به.

أجابه (هارى): «لقد سمعت ما قاله السيد (ويزلى) و(كنجسلى)، نحن نعتقد أنهم استطاعوا اختراق الوزارة».

وخطا العم (فيرنون) إلى المدفأة ثم عاد وهو يتنفس بشدة جعلت شاربه الأسود الضخم يهتز وكان وجهه لا يزال محمرًا بسبب تركيزه.

وأخيرًا وقف أمام (هارى) من جديد وقال: «حسنًا، لنقل ـ فرضًا ـ إننا قبلنا بهذه الحماية ولكننى ما زلت لا أفهم لماذا لا يقوم (كنجسلى) بذلك».

تمكن (هارى) بصعوبة ألا يدير عينيه، لقد وجه زوج خالته هذا السؤال من قبل أكثر من ست مرات.

قال (هارى) وهو يجز على أسنانه: «كما سبق وقلت لك، يقوم (كنجسلى) بحماية رئيس وزراء العا... أقصد رئيس وزرائكم».

قال العم (فيرنون) وهو يشير إلى شاشة التلفزيون الخالية: «بالضبط ـ مما يعنى أنه الأفضل!» كان (آل درسلى) قد لمحوا (كنجسلى) فى نشرة الأخبار وهو يسير بتحفظ وراء رئيس وزراء العامة أثناء زيارته لأحد المستشفيات وقد جعلهم هذا ـ بالإضافة إلى حقيقة إتقان (كنجسلى) لكيفية ارتداء ملابسه مثل العامة، وصوته البطىء العميق الذى يوحى بالطمأنينة ـ يتعلقون بـ(كنجسلى) بطريقة لم يفعلوها مع أى ساحر آخر، وهذا مفهوم طبعًا، فهم لم يروه وهو يرتدى قرطًا فى أذنه قط.

قال (هارى): «حسنًا، إنه مشغول، ولكن (هيستيا جونز) و(ديدالوس ديجلى) أكثر من مناسبين لأداء هذه المهمة».

وبدأ العم (فيرنون): «لو أننا اطلعنا على سيرهم الذاتية..»، لكن (هارى) كان قد نفد صبره، فوقف وتقدم نحو عمه وهو يشير بدوره إلى جهاز التلفزيون وقال:

«إن تلك الحوادث ليست حوادث ـ الصدامات والتفجيرات وخروج القطارات عن خطوطها وأى شىء آخر حدث منذ آخر مرة شاهدنا فيها الأخبار. الناس يختفون ويموتون وهو الذى وراء كل ذلك ـ (فولدمورت)، لقد أخبرتك هذا مرة تلو الأخرى؛ إنه يستمتع بقتل العامة. حتى الضباب سببه الديمنتورات، وإذا كنت لا تتذكر ما هى فاسأل ابنك!».

ورفع (ددلى) يده ووضعها على فمه بينما والداه و(هارى) يراقبونه، ثم أنزل يده ببطء وسأل: «هل هناك آخرون منهم؟».

ضحك (هارى): «آخرون؟ تقصد غير الاثنين اللذين هاجمانا؟ بالطبع هناك الكثير، المئات، وربما الآلاف الآن.. إنهم ينشرون الخوف واليأس».

صاح (فيرنون درسلى): «حسنًا، حسنًا، لقد أوضحت وجهة نظرك».
قال (هارى): «أرجو ذلك؛ لأنه ما إن أبلغ السابعة عشرة، حتى تصبح كل هذه الأشياء - آكلو الموت والديمنتورات وربما حتى الإنفيرى وهى تعنى أجسامًا ميتة سحرها أحد سحرة الظلام - قادرة على الوصول إليكم وبكل تأكيد مهاجمتكم. وإذا كنت تذكر آخر مرة حاولت فيها مهاجمة ساحر، فأعتقد أنك ستتفق معى على أنك فى حاجة للمساعدة».
مرت فترة صمت قصيرة، وبدا أن الصدى البعيد لقيام (هاجريد) بتحطيم الباب الخشبى يتردد خلال السنوات الماضية. وكانت الخالة (بتونيا) تنظر إلى العم (فيرنون)، بينما يحدق (ددلى) فى (هارى) وأخيرًا نطق العم (فيرنون): «ولكن ماذا عن عملى؟ وماذا عن مدرسة (ددلى)؟ لا أظن أن هذه الأشياء تهم مجموعة من السحرة الكسالى...».
صاح فيه (هارى): «ألا تفهم؟ *سيقومون بتعذيبكم وقتلكم كما فعلوا مع والدَى!*».
قال (ددلى) بصوت عال: «أبى.. إننى ذاهب مع أفراد تلك الجماعة؟».
قال (هارى): «(ددلى)، لأول مرة فى حياتك، تقول شيئًا له معنى».
أدرك (هارى) أنه ربح المعركة؛ إذا كان (ددلى) خائفًا بما يكفى لقبول المساعدة من الجماعة فإن والديه سيرافقانه، فهما لن يفترقا عن (ددلى) الصغير الحبيب بأى حال من الأحوال، ونظر (هارى) إلى الساعة الموجودة فوق رف المدفأة.
قال: «سيصلون خلال خمس دقائق» وعندما لم يرد أحد منهم، ترك الغرفة. لم تكن فكرة انفصاله - ربما إلى الأبد - عن خالته وزوجها وابنها تقلقه، بل على العكس كان التفكير فيها يبهجه، مع أنه كان هناك صعوبة حقيقية فى الجو العام.. ماذا يقول الناس لبعضهم البعض فى نهاية ستة عشر عامًا من الكراهية الشديدة.
عاد (هارى) إلى حجرة نومه وأخذ يتجول بلا هدف وهو يحمل حقيبة الكتف ثم ألقى ببعض المكسرات الخاصة بالبوم من خلال قضبان قفص (هدويج).. وكان لها وقْع خافت فى قاع القفص تجاهلته (هدويج).
وقال لها (هارى): «سوف نرحل قريبًا، قريبًا جدًا، وعندها ستستطيعين الطيران من جديد».
رن جرس الباب، وتردد (هارى) قليلاً قبل أن يتجه خارجًا من غرفته وينزل السلم؛ فقد خطر بباله أنه من غير المتوقع أن يتأقلم (ديدالوس) و(هيستيا) وحدهما مع (آل درسلى).

علا صوت متحمس فى اللحظة التى فتح فيها (هارى) الباب: «(هارى بوتر)! إن لقاءك شرف عظيم لى على الدوام»، ورأى (هارى) رجلاً قصيرًا يرتدى قبعة لونها بنفسجى فاتح ينحنى له باحترام.

قال (هارى) وهو يبتسم بخجل نحو (هيستيا) ذات الشعر الأسود: «شكرًا يا (ديدالوس)، إنه لطف منكم أن تقوموا بذلك.. إنهم هنا، خالتى وعمى وابنهما..»..

قال (ديدالوس) بسعادة وهو يخطو داخلاً إلى غرفة المعيشة: «يومكم سعيد يا أقارب (هارى بوتر)». بدا (آل درسلى) مستائين من توجيه الحديث لهم بهذه الصورة، وتوقع (هارى) أن يعود عمه لتغيير رأيه وانكمش (ددلى) مقتربًا من والدته عندما رأى الساحِرة والساحر.

قال (ديدالوس) وهو يخرج ساعة جيب كبيرة الحجم من الصِّدار وينظر إليها: «أرى أنكم قد حزمتم أمتعتكم ومستعدون.. ممتاز! الخطة كما أخبركم (هارى) بسيطة، سنرحل قبل (هارى)؛ حتى لا نستخدم السحر داخل منزلكم ـ فلا يزال (هارى) قاصرًا وقد يعطى ذلك الفرصة للوزارة حتى تقوم بالقبض عليه، ثم سنقود السيارة لعشرة أميال أو ما يقارب ذلك، قبل أن نختفى فى مكان آمن اخترناه لكم».

ثم سأل العم (فيرنون) بأدب: «أظن أنك تعرف كيف تقود السيارة؟».

صاح العم (فيرنون) بغضب: «أعرف كيف...؟ بالطبع، إننى أجيد قيادتها!».

قال (ديدالوس): «منتهى البراعة منك يا مولاى بكل تأكيد... فأنا شخصيًا كنت لأرتبك مع كل هذه الأزرار والمقابض..». كان يعتقد أنه يجامل (فيرنون درسلى) الذى كان من الواضح أنه يفقد الثقة فى الخطة مع كل كلمة ينطقها (ديدالوس).

وغمغم هامسًا وشاربه يهتز مستنكرًا: «لا تستطيع حتى قيادة سيارة».. لكن لحسن الحظ لم يبدُ أن (ديدالوس) و(هيستيا) سمعاه.

واستطرد (ديدالوس): «ستنتظر أنت يا (هارى) حارسك. لقد حدث تغير بسيط فى الترتيبات...».

قال (هارى) فورًا: «ماذا تعنى؟ لقد اعتقدت أن (ماد ـ آى) سيأتى ويأخذنى وسأنتقل معه آنيًا».

قالت (هيستيا) بإيجاز: «لا تستطيعان ذلك، سيشرح لك (ماد ـ آى) الأمر».

كان (آل درسلى) يستمعون إلى كل ذلك وقد ظهر على وجوههم عدم الفهم وقفزوا عندما صاح صوت عال: «*أسرعوا!*». ونظر (هارى) حول الغرفة باحثًا عن مصدر الصوت قبل أن يدرك أنه صدر من ساعة الجيب الخاصة بـ(ديدالوس).

قال (ديدالوس) وهو يومئ لساعته قبل أن يعيدها إلى داخل صِداره: «صحيح، إن وقتنا شديد الضيق، فنحن نحاول أن نجعل وقت اختفاء أسرتك متوافقًا مع وقت رحيلك يا (هارى) وبالتالى تنكسر التعويذة فى نفس اللحظة التى تكونون فيها جميعًا متجهين إلى أماكن آمنة»، ثم استدار نحو (آل درسلى) وقال: «حسنًا، هل أنتم مستعدون للرحيل؟».

لم يجبه أحدٌ منهم؛ كان العم (فيرنون) لا يزال يحدق فزعًا بالنتوء الموجود فى صِدار (ديدالوس).

همست (هيستيا): «ربما من الأفضل أن ننتظر فى الصالة يا (ديدالوس)».

من الواضح أنها شعرت أنه ليس من الذوق أن يبقيا فى الغرفة بينما (هارى) و(آل درسلى) يودعون بعضهم بعضًا وداعًا مليئًا بالمشاعر وربما الدموع.

غمغم (هارى): «ليس هناك داع»، ولكن العم (فيرنون) أبدى توضيحًا آخر غير ضرورى عندما قال بصوت عال: «حسنًا، هذا هو الوداع إذن يا ولد».

ثم طوح ذراعه اليمنى نحو (هارى) ليصافحه، ولكنه فى اللحظة الأخيرة بدا غير قادر على فعل ذلك، وأغلق قبضته وبدأ يؤرجحها إلى الأمام والخلف مثل بندول الإيقاع.

قالت الخالة (بتونيا) وهى تشغل نفسها بالتأكد من أن حقيبتها مغلقة حتى تتفادى النظر إلى (هارى): «مستعد يا ديدى؟».

لم يجبها (ددلى)، لكنه وقف هناك وفمه مفتوح قليلاً مما ذكر (هارى) بالعملاق (جراوب).

قال العم (فيرنون): «هيا، لنذهب إذن».

كان قد وصل فعلاً إلى باب غرفة المعيشة عندما غمغم (ددلى): «أنا لا أفهم».

سألت الخالة (بتونيا) وهى ترفع رأسها إلى ابنها: «ما هذا الذى لا تفهمه يا صغيرى؟».

رفع (ددلى) يده السمينة وأشار إلى (هارى):

«لماذا لن يأتى (هارى) معنا؟».

تجمد العم (فيرنون) والخالة (بتونيا) فى مكانهما وهما يحدقان إلى (ددلى) وكأنه قد عبَّر عن رغبته فى أن يصبح راقص باليه.

قال العم (فيرنون) بصوت عال: «ماذا؟».

سأل (ددلى): «لماذا لن يأتى معنا؟».

قال العم (فيرنون): «حسنًا، إنه لا يرغب فى ذلك»، ثم استدار محدقًا إلى (هارى)، واستطرد: «إنك لا تريد ذلك، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «ليست لدىَّ أدنى رغبة فى ذلك».

قال العم (فيرنون) لـ(ددلى): «أرأيت؟ الآن هيا نرحل».

ومشى خارجًا من الغرفة، وسمعوا صوت الباب الأمامى يفتح، لكن (ددلى) لم يتحرك.. وبعد خطوات قليلة مترددة، توقفت الخالة (بتونيا) أيضًا.

صاح العم (فيرنون) وهو يظهر عند الباب من جديد: «ماذا الآن؟».

كان (ددلى) يبدو كما لو أنه يجد صعوبة فى صياغة فكرة معينة بالكلمات، وبعد مرور لحظات عديدة من الصراع الداخلى الذى بدا مؤلمًا: «ولكن أين سيذهب؟».

نظر العم (فيرنون) والخالة (بتونيا) إلى بعضهما البعض؛ كان من الواضح أن (ددلى) يخيفهما، وقطعت (هيستيا جونز) الصمت.

سألت وقد ظهر عليها الاندهاش: «ولكنكم.. تعرفون بكل تأكيد أين سيذهب ابن أختك».

قال (فيرنون درسلى): «بالتأكيد نعرف، سيرحل مع بعض جماعتكم، أليس كذلك؟ حسنًا يا (ددلى)، هيا نذهب إلى السيارة، فلقد سمعت الرجل، ليس لدينا وقت».

ومشى (فيرنون درسلى) مرة أخرى نحو الباب الأمامى ولكن (ددلى) لم يتبعه: «سيرحل مع بعض *جماعتنا*؟».

ظهر الغضب على (هيستيا). لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يمر فيها (هارى) بهذا الموقف، فدائمًا ما كان السحرة والساحرات يندهشون أن أقاربه المقربين لا يهتمون به إلا قليلاً - (هارى بوتر) الشهير.

أكد لها (هارى): «إن الأمر على ما يرام، بأمانة، لا أهمية للأمر».

كررت (هيستيا) وصوتها يتصاعد بصورة تنذر بالشر: «لا أهمية للأمر؟ ألا يعرف هؤلاء الناس ما مررت به؟ ألا يدركون الخطر الذى أنت معرض له؟ ألا يفهمون ما تمثله فى قلوب المنتمين إلى الحركة المناهضة لـ(فولدمورت)؟».

قال (هارى): «آه - لا، لا يعرفون كل ذلك. إنهم يعتقدون أن لا أهمية لوجودى فى هذا العالم، فى الحقيقة، لكننى اعتدت ذلك.. إننى لا أعتقد أن وجودك فى العالم بلا أهمية».

لو لم ير (هارى) شفتى (ددلى) وهما تتحركان ما كان ليصدق ذلك، وحدق إلى (ددلى) لعدة ثوانٍ قبل أن يقر بأنه لابد أن يكون ابن خالته هو الذى تكلم.. واحمر وجه (ددلى). وشعر (هارى) بالحرج والدهشة.

وقال: «حسنًا... آه.... شكرًا يا (ددلى)».

وظهر على وجه (ددلى) أنه يعانى من أفكار لا يستطيع التعبير عنها، وأخيرًا قال: «لقد أنقذت حياتى».

قال (هارى): «ليس فعلاً، إن الديمنتورات كانت لتأخذ روحك..»..

ونظر بفضول إلى ابن خالته. إنهما لم يتكلما معًا على الإطلاق سواء خلال هذا الصيف أو الصيف الماضى. كان (هارى) قد عاد إلى بريفت درايف منذ وقت قريب والتزم حجرته معظم الوقت. وخطر بباله الآن أن فنجان الشاى البارد الذى تعثر فيه لم يكن شركًا خداعيًا على الإطلاق. ورغم أن (هارى) شعر بالتأثر، فإنه كان مرتاحًا؛ لأن (ددلى) بدا مرهقًا من المجهود الذى بذله فى التعبير عن مشاعره، وبعد أن فتح فمه مرة أو مرتين، أصبح وجهه قرمزيًا ولا يستطيع قول المزيد.

انفجرت الخالة (بتونيا) فى البكاء ونظرت إليها (هيستيا) بتعاطف تحول إلى غضب عندما جرت الخالة (بتونيا) إلى (ددلى) واحتضنته بدلاً من (هارى).

وقالت وهى تنهنه بجوار خده الضخم: «كم... كم أنت رائع يا حبيبى... كى ـ كى تقول لابن خالتك شكرًا..»..

قالت (هيستيا) مستنكرة: «ولكنه لم يقل شكرًا إطلاقًا! كل ما قاله إنه لا يعتقد أن وجود (هارى) له أهمية!».

قال (هارى): «نعم، ولكن ذلك من (ددلى) كأنه قال أحبك»، كانت مشاعره موزعة بين الشعور بالضيق والرغبة فى الضحك وهو يرى الخالة (بتونيا) وهى لا تزال ممسكة بـ(ددلى) وكأنه قد أنقذ (هارى) من منزل محترق لتوه.

صاح العم (فيرنون) وهو يظهر على عتبة باب غرفة المعيشة من جديد: «هل أنتم ذاهبون أم لا؟ لقد ظننت أن وقتنا محدود!».

كان (ديدالوس ديجلى) يشاهد ما يحدث وهو مشوش، فجمع شتات نفسه بسرعة، وقال: «نعم، يجب أن نرحل فعلاً بأسرع ما يمكن يا (هارى)».

ثم تقدم إلى (هارى) وأخذ يده بين كلتا يديه.

وقال: «حظًا سعيدًا. أرجو أن نلتقى مرة أخرى. إن آمال المجتمع السحرى بأكمله موضوعة على عاتقك».

قال (هاري): «آه، حسنًا، شكرًا».

قالت (هيستيا) وهي تصافحه بدورها: «وداعًا يا (هاري)، قلوبنا معك».

قال (هاري) وهو ينظر إلى الخالة (بتونيا) و(ددلي): «أرجو أن يصبح كل شيء على ما يرام».

قال (ديجلي) بمرح: «أنا متأكد أن الأمور ستنتهي لأفضل حال»، ولوّح بقبعته وهو يغادر الغرفة ولحقت به (هيستيا).

وحرر (ددلي) نفسه من والدته برفق ومشى نحو (هاري) وكبح (هاري) رغبته في تهديده باستخدام السحر، ومد (ددلي) إليه يدًا ضخمة وردية.

قال (هاري) بصوت علا على بكاء الخالة (بتونيا) الذي تجدد: «يا إلهي! يا (ددلي) ، هل نفخت الديمنتورات شخصية مختلفة فيك؟!».

قال (ددلي) : «لا أعرف، أراك على خير يا هاري».

قال (هاري) وهو يأخذ يد (ددلي) ويصافحها: «نعم، ربما. اعتنِ بنفسك يا (ددلي)».

وابتسم (ددلي) تقريبًا ثم خطا خارجًا من الغرفة وسمع (هاري) خطواته الثقيلة على الممر الأمامي للمنزل الذي يغطيه الحصى ثم سمع صوت غلق باب السيارة.

رفعت الخالة (بتونيا) وجهها من منديلها عندما سمعت الصوت ونظرت حولها وبدا عليها أنها لم تتوقع أن تجد نفسها وحيدة مع ابن أختها.

وبسرعة أدخلت منديلها المبلل في جيبها وقالت: «حسنًا.. إلى اللقاء»، ومشت نحو الباب دون أن تنظر إليه.

قال (هاري): «وداعًا».

توقفت ونظرت وراءها، وللحظة شعر (هاري) أنها تريد أن تقول له شيئًا؛ فقد نظرت إليه نظرة غريبة مضطربة ثم بدت على وشك الكلام، لكنها هزت رأسها أخيرًا وأسرعت خارجة لتلحق بزوجها وابنها.



٤ أشبــاه (بــوتــر)

جرى (هارى) صاعدًا حجرة نومه ليصل إلى النافذة فى نفس اللحظة التى بدأت فيه سيارة (آل درسلى) تتراجع من الممر أمام المنزل وتنطلق على الطريق، كانت قمة قبعة (ديدالوس) ظاهرة بين الخالة (بتونيا) و(ددلى) فى المقعد الخلفى، وانعطفت السيارة إلى اليمين فى نهاية شارع بريفت درايف، وأصبح لون نوافذها قرمزيًا فى ضوء الشمس المائلة نحو الغروب قبل أن تختفى عن الأنظار.

التقط (هارى) قفص (هدويج) ومكنسته السهم النارى وحقيبة الكتف ونظر نظرة أخيرة إلى حجرة نومه التى كانت مرتبة على غير المعتاد، ثم نزل السلم بخطوات غير منتظمة عائدا إلى الصالة، حيث وضع القفص والمكنسة والحقيبة بالقرب من نهاية السلم. كان الضوء فى الخارج يخفت بسرعة الآن وقد أصبحت الصالة مليئة بالظلال فى ضوء المساء. وأحس بوحشة وهو يقف وقد أحاط به الصمت وهو يعرف أنه على وشك ترك المنزل للمرة الأخيرة. فى الماضى، عندما كان (آل درسلى) يتركونه وحده ويخرجون للفسحة، كانت الساعات التى يقضيها وحيدًا ممتعة للغاية؛ كان يتسلل لأخذ شىء لذيذ الطعم من الثلاجة، قبل أن يسرع للعب على كمبيوتر (ددلى) أو يشغّل التلفزيون ويتنقل بين القنوات؛ ليختار البرامج التى يحبها ويشاهدها، أعطاه تذكر هذه الأوقات شعورًا غريبًا بالفراغ؛ وكأنه يتذكر أخًا له أصغر كان قد فقده.

سأل (هدويج) التى كانت لا تزال تضع رأسها تحت جناحها: «ألا تريدين إلقاء نظرة أخيرة على المكان؟ فنحن لن نعود إلى هنا مرة أخرى؟ ألا تريدين تذكر الأوقات الطيبة؟ أعنى، انظرى إلى دواسة الباب. يا لها من ذكريات! لقد تقيأ (ددلى) فوقها بعد أن أنقذته من الديمنتورات.. واتضح أخيرًا أنه كان مقدرًا للجميل، هل تصدقين ذلك؟ وفى الصيف الماضى، دخل (دمبلدور) من هذا الباب الأمامى...»..

فقد (هارى) تتابع أفكاره للحظة ولم تفعل (هدويج) شيئًا لتساعده على استعادته، واستمرت فى وضع رأسها تحت جناحها، وأدار (هارى) ظهره للباب

الأمامى، وفتح بابًا تحت السلم: «وهنا يا (هدويج)، حيث كنت أنام! إنك لم تكونى تعرفيننى وقتها.. يا للعجب! إنه صغير جدًا، لقد نسيت ذلك..»..

نظر (هارى) حوله إلى الأحذية المكدسة والمظلات وهو يتذكر كيف كان يصحو كل يوم لينظر إلى الجزء السفلى من السلم، والذى كان عادة توجد به عنكبوت أو أكثر. كانت هذه الأيام قبل أن يعرف أى شىء عن هويته الحقيقية؛ وقبل أن يعرف كيف مات والداه ولماذا تحدث تلك الأشياء الغريبة حوله. ولكن (هارى) لا يزال قادرًا على تذكر أحلامه التى كانت تؤرقه حتى فى هذه الأيام؛ كانت أحلامًا مشوشة تتضمن ومضات من ضوء أخضر وفى إحدى المرات، كاد العم (فيرنون) يصطدم بسيارة عندما حكى له (هارى) عن حلمه بدراجة بخارية طائرة..

وسمع (هارى) فجأة صوت هدير عال يصم الآذان من مكان قريب فاعتدل واقفًا على الفور وضرب قمة رأسه فى إطار باب الخزانة المنخفض، وتمهل لحظة لاستخدام القليل من شتائم عمه (فيرنون) المنتقاة قبل أن يعود إلى المطبخ وهو يمسك برأسه ويحدق من الشباك إلى الحديقة الخلفية.

شعر كأن الظلام يتموج فى الخارج وأن الهواء نفسه يرتعش، وبدأت الأجسام تظهر فجأة أمام عينيه واحدًا تلو الآخر بعد أن رفعت تعويذة الإيهام عنهم، وفى مقدمة المشهد ظهر (هاجريد)، وهو يرتدى خوذة ونظارة واقية للعينين ويجلس على دراجة بخارية عملاقة ملحقة بها عربة جانبية سوداء. وكان باقى الناس من حوله ينزلون من فوق مكانسهم ما عدا اثنين كانا يترجلان من فوق حصانين هيكليين أسودين مجنحين.

فتح (هارى) الباب الخلفى وأسرع إليهم، وارتفعت صيحات التحية، بينما وضعت (هرميون) ذراعيها حوله وخبطه (رون) على ظهره وقال (هاجريد): «كيف حالك يا (هارى)؟ هل أنت مستعد للرحيل؟».

قال (هارى) وهو يبتسم لهم جميعًا: «بالتأكيد، ولكننى لم أكن أتوقع هذا العدد».

همهم (ماد ـ آى): «لقد تغيرت الخطة»، كان يحمل جواليْن ضخمين منتفخين، وكانت عينه السحرية تدور متنقلة من السماء المظلمة إلى المنزل إلى الحديقة بسرعة تصيب من يراها بالدوار، وقال (ماد ـ آى): «لندخل المنزل قبل أن نحكى لك عنها».

وقادهم (هارى) جميعًا إلى داخل المطبخ وهم يضحكون ويتبادلون الحديث، وجلس بعضهم على المقاعد أو فوق طاولة مطبخ الخالة (بتونيا) اللامعة

أو استندوا بجوار معدات مطبخها النظيفة: (رون) الطويل النحيف و(هرميون) التى جمعت شعرها الكثيف فى ضفيرة واحدة طويلة خلف رأسها و(فريد) و(جورج) المتشابهان حتى فى الابتسامة و(بيل) الذى تغطى وجهه الندوب وقد طال شعره والسيد (ويزلى) بوجهه الطيب ورأسه الأصلع ونظارته المنحرفة قليلاً، و(ماد - آى) برجله الواحدة وعينه السحرية الزرقاء اللامعة التى تحدث أزيزًا داخل تجويفها، و(تونكس) التى أصبح شعرها القصير ورديًّا كما تحبه، و(لوبين) وقد أصبح شعره أكثر رمادية ووجهه أكثر تجعدًا، و(فلور) برشاقتها وجمالها وشعرها الأشقر الطويل، و(كنجسلى) بسُمرته وبصلعته ومنكبيه العريضين، و(هاجريد) بلحيته وشعره المشعثين وهو يقف منحنيًا حتى يتفادى ضرب رأسه بالسقف، و(مندنجس) فلتشر القصير القذر بعينيه الجاحظتين وشعره الملبد.. وشعر (هارى) بأن قلبه يتوسع وينتعش من المنظر، شعر أنه يحبهم جميعًا إلى درجة كبيرة، حتى (مندنجس) الذى حاول خنقه آخر مرة التقيا فيها.

قال (هارى) عبر الغرفة: «لقد ظننت أنك تحمى رئيس وزراء العامة يا (كنجسلى)».

قال (كنجسلى): «يمكنه أن يستغنى عنى لليلة واحدة، فأنت أكثر أهمية».

قالت (تونكس) من مجلسها فوق غسالة الملابس: «(هارى)، خمن ماذا حدث»، وحركت يدها اليسرى أمامه فلمع الخاتم فيها.

صاح (هارى) وهو ينقل بصره بينها وبين (لوبين): «هل تزوجتما؟».

«أنا آسفة لأنك لم تكن معنا يا (هارى)، لقد كان حفلاً هادئًا جدًّا».

«هذا رائع، تهـ...».

علا صوت (مودى) على الجلبة التى حدثت قائلاً: «حسنًا، حسنًا، سيكون لدينا وقت لتبادل الأخبار لاحقًا!». وساد الصمت المطبخ. وأسقط (مودى) الجواليْن عند قدميه واستدار إلى (هارى) وقال: «كما أخبرك (ديدالوس).. لقد ألغينا الخطة أ. لقد انحاز (بيوس ثيكنس) ضدنا؛ مما جعلنا نواجه مشكلة كبيرة، لقد جعل ربط هذا المنزل بشبكة فلو أو وضع أداة انتقال فيه أو الانتقال آنيًّا منه وإليه جُنحة تستحق السجن وعمل كل ذلك بدعوى حمايتك ومنع (أنت - تعرف - من) من الوصول إليك، وهو شىء لا معنى له مطلقًا بما أن تعويذة والدتك توفر لك الحماية بالفعل، أما الذى فعله فعلاً فهو منعك من الخروج من هنا سالمًا.

«والمشكلة الثانية هى أنك لا تزال قاصرًا؛ مما يعنى أنك لا تزال تحت تعويذة التتبع».

«لا، لست...».

قال (ماد - آى) بنفاد صبر: «التتبع، التتبع! التعويذة التى ترصد النشاط السحرى حول السحرة القُصَّر، الطريقة التى تعرف بها الوزارة بممارستهم السحر! لو أنك أنت أو أى شخص حولك قام بأداء تعويذة لإخراجك من هنا، فسيعرف (ثيكنس) بها وكذلك آكلو الموت.

«لا يمكننا الانتظار حتى تنكسر التعويذة؛ لأنه فى اللحظة التى تصبح فيها فى السابعة عشرة، ستنتهى الحماية التى أعطتها لك أمك.. باختصار، يعتقد (بيوس ثيكنس) أنه قد حاصرك فى ركن لن تستطيع الخروج منه».

لم يملك (هارى) إلا أن يتفق مع (ثيكنس) هذا الذى لا يعرفه.

«ما الذى سنفعله إذن؟».

«سنقوم باستخدام وسيلة الانتقال الوحيدة الباقية، الوسيلة الوحيدة التى لا تستطيع تعويذة التتبع رصدها؛ لأننا لا نحتاج لعمل أى سحر حتى نستخدمها: المكانس، والثيسترالات، ودراجة (هاجريد) البخارية».

كان بإمكان (هارى) رؤية نقط الضعف فى هذه الخطة، لكنه أمسك لسانه؛ ليعطى الفرصة لـ(ماد - آى) حتى يكمل كلامه.

«والآن، لن تنكسر تعويذة والدتك إلا فى حالتين؛ عندما تبلغ سن الرشد أو...».

وأشار (مودى) حول المطبخ وأضاف: «..عندما تتوقف عن اعتبار هذا المكان بيتًا لك. إن خالتك وزوج خالتك ذاهبان إلى طريق مختلف عن الطريق الذى ستذهب إليه الليلة، بمعنى أنكم لن تعودوا للعيش معًا تحت نفس السقف مرة أخرى.. صحيح».

أومأ (هارى) برأسه.

«وهكذا فإنه هذه المرة عندما تغادر لن تكون لك عودة وستنكسر التعويذة فى اللحظة التى ستخرج فيها خارج نطاق البيت. لقد اخترنا كسرها مبكرًا؛ لأن البديل الوحيد لذلك كان انتظار مجىء (أنت - تعرف - من) للقبض عليك فى اللحظة التى تبلغ فيها السابعة عشرة».

«النقطة الوحيدة التى فى صالحنا، هى أن (أنت - تعرف - من)، لا يعرف أننا سنقوم بنقلك الليلة. لقد قمنا بتسريب أخبار محاولة نقل مزيفة إلى الوزارة. إنهم يعتقدون أنك لن ترحل قبل يوم ثلاثين من الشهر. ومع ذلك، فهذا (أنت - تعرف - من)،

الذى نتعامل معه؛ ولذلك لا يمكننا الاعتماد على وصول التاريخ الخاطئ إليه، فهو بالتأكيد سيرسل مجموعة من آكلى الموت يجوبون السماوات فى هذه المنطقة تحسبًا للأمر؛ لذلك فقد قمنا بإعطاء «دستة» من المنازل المختلفة كل الحماية التى نستطيع توفيرها لها، وكلها تبدو كما لو أنها المكان الذى سنقوم بإخفائك فيه، وكلها لها علاقة ما بالجماعة مثل: منزلى، وشقة (كنجسلى) وبيت خالة (مولى مورييل).. هل فهمت المقصود؟».

قال (هارى): «نعم». وإن لم يكن صادقًا تمامًا؛ لأنه كان لا يزال يرى نقطة ضعف واضحة فى الخطة.

«وأنت سوف تذهب إلى منزل أهل (تونكس)؛ وبمجرد أن تصبح داخل حدود التعويذة الحامية التى وضعناها حول منزلهم، سيكون بإمكانك استخدام أداة انتقال تنقلك إلى الجحر.. هل لديك أسئلة؟».

قال (هارى): «آه، نعم، ربما لن يعرفوا أى منزل من الاثنى عشر منزلاً سأتجه إليه فى البداية، ولكن ألن يكون الأمر واضحًا»، وأشار برأسه إلى الواقفين حوله، واستطرد: «عندما يتجه أربعة عشر شخصًا منا إلى منزل والدى (تونكس)؟».

قال (مودى): «آه، لقد نسيت ذكر أهم نقطة فى الخطة، لن يطير الأشخاص الأربعة عشر إلى منزل والدى (تونكس)، سيكون هناك سبعة (هارى بوتر) يطيرون فى السماء الليلة، كل واحد منهم مع مرافق وكل اثنين سيتوجهان إلى منزل آمن مختلف».

وأخرج (مودى) من داخل عباءته قارورة بها شىء يشبه الطين، ولم تكن هناك حاجة لأن يقول كلمة أخرى؛ فقد فهم (هارى) باقى الخطة فورًا.

قال (هارى) بصوت عال تردد بين جدران المطبخ: «لا، لن يحدث هذا أبدًا!».

قالت (هرميون) بطريقة عكست رضاها عن نفسها: «لقد أخبرتهم أنك ستتعامل مع الأمر بهذه الطريقة!».

«إذا اعتقدتم أننى سأترك ستة أشخاص يخاطرون بحياتهم..!».

قال (رون): «..وكأنها المرة الأولى لنا التى نتعرض فيها للخطر».

«إن الأمر مختلف، ستتظاهرون أنكم أنا..».

قال (فريد) بصراحة: «لا أحد منا يتمنى ذلك فعلاً يا (هارى). تخيل لو حدث خطأ وبقينا نحفاء وعابسين إلى الأبد».

لم يبتسم (هارى).

«لا يمكنكم أن تفعلوا ذلك إذا لم أتعاون معكم، فأنتم تحتاجون لى حتى أعطيكم بعض الشَّعر».

قال (جورج): «هذا يفسد الخطة، من الواضح أنه ليس لدينا فرصة أن نأخذ بعض الشعر منك لو أنك لم تتعاون معنا».

وقال (فريد): «صحيح، ثلاثة عشر شخصًا ضد واحد بمفرده، ليس مسموحًا له بممارسة السحر بعد، ليست لدينا فرصة على الإطلاق».

قال (هارى): «مضحك وممتع للغاية».

قال (مودى) وعينه السحرية ترتجف قليلاً فى محجرها وهو يحدق إلى (هارى): «إذا اضطررنا إلى استخدام القوة، فسنقوم بذلك، إن كل الموجودين هنا ناضجون يا (بوتر) وكلهم مستعدون للمخاطرة».

هز (مندنجس) كتفيه ولوى وجهه؛ زاغت العين السحرية إلى جانب رأس (مودى) لتحدق به.

قال (مودى): «فلنتوقف عن المناقشة، الوقت يجرى. أريد بعض الشعر منك يا ولد، حالاً».

(هارى): «ولكن هذا جنون، ليست هناك حاجة...».

صاح (مودى): «ليست هناك حاجة! بينما (أنت ـ تعرف ـ من) فى انتظارك بالخارج ونصف الوزارة فى صفه؟ (بوتر)، إذا كنا محظوظين، فسيكون قد ابتلع الطعم ويستعد الآن للإيقاع بك يوم ثلاثين فى الشهر. ولكنه سيكون مجنونًا لو أنه لم يضع واحدًا أو أكثر من آكلى الموت بالخارج ليراقبوك، إن هذا ما كنت أفعله لو كنت مكانه، فهم قد لا يكون بإمكانهم الوصول إليك داخل هذا المنزل بسبب تعويذة والدتك، ولكنها على وشك الانكسار وهم يعلمون الموقف الصعب للمكان، وفرصتنا الوحيدة هى استخدام نسخ مزيفة منك، فحتى (أنت ـ تعرف ـ من) لا يستطيع تقسيم نفسه إلى سبعة».

التقت عينا (هارى) بعينى (هرميون)، فأبعد نظره على الفور.

«ولذلك يا (بوتر) أعطنى بعضًا من شعرك إذا سمحت».

ونظر (هارى) إلى (رون) الذى أجابه بنظرة تقول له أن يفعل ذلك.

صاح (مودى): «الآن!».

ورفع (هارى) يده إلى قمة رأسه وجذب بعض الشعر منها وهم جميعًا يراقبونه.

قال (مودى): «جيد»، ثم مال إلى الأمام وجذب سدادة قارورة الوصفة، واستطرد: «ضعها هنا لو سمحت».

وأسقط (هارى) الشعر فى السائل الذى يشبه الطين. وفى اللحظة التى لمس فيها الشعر سطح الوصفة، بدأت تفور وتدخن ثم فجأة تحولت إلى لون ذهبى براق نقى.

قالت (هرميون): «آه، إنك تبدو شهيًا أكثر من (كراب) و(جويل) يا (هارى)»، ثم لمحت منظر (رون) وحاجباه مرفوعان فاحمرت قليلاً وقالت: «آه، أنت تعرف ما أعنيه، لقد بدت وصفة (جويل) مقرفة للغاية».

قال (مودى): «حسنًا إذن، أيتها النسخ المزيفة من (بوتر)، اصطفوا هنا لو سمحتم» واصطف (رون) و(هرميون) و(فريد) و(جورج) و(فلور) أمام حوض الخالة (بتونيا) اللامع.

قال (لوبين): «لا يزال ينقصنا واحد».

قال (هاجريد) بصوت خشن: «ها هو»، ورفع (مندنجس) من ياقته ورماه بالقرب من (فلور) التى جعدت أنفها بطريقة واضحة، وابتعدت لتقف بين (فريد) و(جورج).

قال مندنجس: «أنا حارس مدافع، وعما قريب سأكون حاميًا».

صاح فيه (مودى): «اسكت، كما سبق وقلت لك إنك تشبه الدودة اللافقارية، لا عزم لك، كما أن آكلى الموت سيسعون إلى القبض على (بوتر) وليس إلى قتله. لقد كان (دمبلدور) دائمًا يقول إن (أنت ـ تعرف ـ من) سيرغب شخصيًا فى قتل (بوتر)؛ ولذلك فإن الحراس هم الذين سيتعرضون إلى الخطر الأكبر؛ لأن آكلى الموت سيرغبون فى قتلهم».

لم يبد (مندنجس) مطمئنًا، ولكن (مودى) كان يخرج الآن من داخل عباءته نصف «دستة» من الأكواب؛ كل منها فى حجم البيضة، ثم قام بتوزيعها عليهم قبل أن يسكب وصفة التخفى فى كلٍّ منها.

«هيا، الجميع معًا...»..

وشرب (رون) و(هرميون) و(فريد) و(جورج) و(فلور) و(مندنجس) معًا، وكلهم شهقوا وجعدوا وجوههم عندما وصلت الوصفة إلى حلوقهم، وبدأت ملامحهم تنتفخ وتتشوه مثل الشمع الساخن، كانت (هرميون) و(مندنجس) يزدادان طولاً بينما (رون) و(فريد) و(جورج) ينكمشون، وبدأ شعرهم يتحول إلى اللون الأسود وبدا كأن شعر (هرميون) و(فلور) يتراجع إلى الداخل.

كان (مودى) يقوم الآن بفك أربطة الجواليْن اللذين أتى بهما معه دون أن يهتم بما يحدث لهم، وعندما وقف معتدلا مرة أخرى، كان هناك ستة (هارى بوتر) يشهقون ويلهثون.

نظر (فريد) و(جورج) إلى بعضهما البعض وصاحا: «واو! إننا متطابقان تمامًا!».

قال (فريد) وهو ينظر إلى صورته المنعكسة على الغلاية: «لا أعرف، ولكننى لا أزال أظن أننى أكثر وسامة».

قالت (فلور) وهى تنظر إلى صورتها المنعكسة على باب الميكروويف: «لا تنظر إلىَّ يا (بيل)؛ إننى صورة».

قال (مودى) وهو يشير إلى الجوال الأول: «هؤلاء الذين أصبحت ملابسهم واسعة، لدىَّ ملابس أصغر هنا والعكس بالعكس. ولا تنسوا النظارات، هناك ست منها فى الجيوب الجانبية وعندما تنتهون من ارتداء ملابسكم، هناك أمتعة فى الجوال الآخر».

وفكر (هارى بوتر) الحقيقى أن هذا يكاد يكون أغرب شىء مر به وأخذ يراقب أقرانه وهم يبحثون داخل الجوالين ويخرجون أطقم الملابس ويرتدون النظارات ويضعون أشياءهم الشخصية داخلهما، وشعر أنه يريد أن يطلب إليهم أن يُظهروا بعض الاحترام لخصوصيته، حيث بدءوا يخلعون ملابسهم دون أن يشعروا بأى خجل أو قلق، كانوا يشعرون به لو أنهم يعرون أجسادهم هم وليس جسد (هارى).

قال (رون) وهو ينظر إلى صدره العارى: «لقد كنت أعرف أن (جينى) تكذب بشأن ذلك الوشم».

قالت (هرميون) وهى تضع النظارة: «إن مدى بصرك فظيع يا (هارى)».

وعندما انتهوا من ارتداء ملابسهم، أخذ كل منهم حقائب كتف تشبه حقيبته وأقفاصًا بها بوم أبيض محنط من الجوال الثانى.

قال (مودى) بعد أن أصبح أمامه أخيرًا سبعة (هارى) مرتدين ملابسهم ويحملون أمتعتهم: «جيد، ستكون المجموعات كالتالى؛ سيطير (مندنجس) معى باستخدام المكانس».

قال (هارى) الذى يقف على مقربة من الباب الخلفى معترضًا: «ولماذا أكون أنا معك؟».

صاح (مودى): «لأنك الشخص الوحيد الذى يحتاج إلى مراقبة»، وكانت عينه السحرية لا تبتعد عن (مندنجس) واستطرد قائلاً: «(آرثر) و(فريد)...».

قال التوءم الذى كان يشير إليه (مودى): «أنا (جورج)، ألا يمكنك أن تفرق بيننا حتى ونحن (هارى)؟».

«آسف يا (جورج)..».
«لقد كنت أمزح معك، إننى (فريد) فعلاً».
نهره (مودى) قائلاً: «كفى عبثًا! الأخ الآخر، (جورج) أو (فريد)، أو أيًا كنت، ستكون مع (ريموس). الآنسة (ديلاكور)...».
قال (بيل): «سآخذ (فلور) معى فوق (ثيسترال)، فهى لا تحب المكانس».
مشت (فلور) لتقف بجواره وهى تنظر إليه نظرة عاطفية مستسلمة، تمنى (هارى) من كل قلبه ألا تظهر على وجهه مرة أخرى.
«والآنسة (جرانجر) مع (كنجسلى) فوق (ثيسترال)..».
كانت (هرميون) تبدو مطمئنة وهى تبادل (كنجسلى) الابتسام؛ كان (هارى) يعرف أن (هرميون) أيضًا تفتقر إلى الثقة فوق عصى المكانس.
قالت (تونكس) بمرح وقد أطاحت بحامل الأكواب وهى تلوح فى اتجاه (رون): «وهذا يعنى أننا سنكون معًا يا (رون)».
لم يبدُ (رون) سعيدًا كـ(هرميون).
قال (هاجريد) وهو يبدو قلقًا: «وستكون أنت معى يا (هارى).. هل هذا جيد؟ سنكون فوق الدراجة، فالمكنسة والثيسترال لا تتحمل وزنى، كما أنه لن يكون هناك مساحة كافية على المقعد وأنا جالس فوقه أيضًا؛ لذلك ستكون أنت فى العربة الجانبية».
قال (هارى): «هذا رائع».. لكنه لم يكن صادقًا تمامًا.
قال (مودى) الذى بدا أنه يخمن ما يشعر به (هارى): «نحن نعتقد أن آكلى الموت سيتوقعون أن تكون فوق المكنسة، لقد كان لدى (سناب) ما يكفى من الوقت ليقول لهم كل شىء عنك لم يذكره من قبل؛ لذلك إذا اشتبكنا مع أى من آكلى الموت، فنحن نُراهن على أنهم سيختارون (بوتر) الذى يبدو مرتاحًا فوق المكنسة، حسنًا إذن»، وربط الجوال الذى به ملابس الستة (بوتر) المزيفين، وتقدمهم إلى الباب وقال: «أمامنا ثلاث دقائق فقط قبل أن نرحل، ليس هناك داعٍ لإغلاق الباب الخلفى؛ فهو لن يمنع آكلى الموت من الدخول عندما يأتون للبحث... هيا بنا...».
أسرع (هارى) إلى الصالة؛ ليحضر حقيبته ومكنسته وقفص (هدويج) قبل أن ينضم إلى الآخرين فى الحديقة الخلفية المظلمة. كانت المكانس قد أصبحت فى الأيدى على كلا الجانبين، وكان (كنجسلى) قد ساعد (هرميون) لتصعد ظهر

الثيسترال، بينما ركبت (فلور) على الآخر مع (بيل)، وكان (هاجريد) يقف مستعدًا بجوار الدراجة البخارية وقد وضع النظارة الواقية.

قال (هارى): «هل هذه هى...؟ هل هذه دراجة (سيريوس)؟».

قال (هاجريد) وهو يبتسم لـ(هارى): «هى نفسها، وآخر مرة كنت فيها يا (هارى) كان من الممكن أن أحملك داخل يد واحدة!».

لم يستطع (هارى) أن يمنع نفسه من الشعور بالقليل من الهوان وهو يركب فى العربة الجانبية. فقد وضعه ذلك فى مكان تحتهم جميعًا بعدة أقدام، وضحك (رون) من منظره وهو يجلس هناك مثل طفل داخل عربة كهربائية فى الملاهى، ووضع (هارى) حقيبته ومكنسته عند قدميه داخل العربة وحشر قفص (هدويج) بين ركبتيه، كان المكان غير مريح إلى أقصى درجة.

قال (هاجريد): «لقد أضاف إليها (آرثر) بعض الأشياء»، وأثار هذا عدم ارتياح (هارى)، وركب (هاجريد) فوق الدراجة التى أصدرت صريرًا وغاصت بضع بوصات فى الأرض فقال: «هناك بعض الخدع فوق لوحة القيادة الآن، هذا الزر كان فكرتى».

وأشار بإصبعه الضخم إلى زر بنفسجى بالقرب من عداد السرعة، وقال السيد (ويزلى) الذى كان يقف بالقرب منهم وهو يمسك بمكنسته: «كن حذرًا لو سمحت، أنا لا أزال غير متأكد من أن ذلك صواب ولا ينبغى استخدامه إلا فى حالات الطوارئ».

قال (مودى): «حسنًا إذن، فليستعد الجميع لو سمحتم، أريد أن نرحل جميعًا فى نفس الوقت بالضبط و إلا سيفقد كل ما فعلناه معناه».

ركب الجميع مكانسهم.

قالت (تونكس): «أمسك بقوة يا (رون)»، ورأى (هارى) (رون) وهو يختلس نظرة مذنبة نحو (لوبين) قبل أن يضع يديه على جانبى خصرها، وأدار (هاجريد) محرك الدراجة، وبدأت تهدر مثل التنين، بينما أخذت العربة الجانبية تهتز.

صاح (مودى): «حظًا سعيدًا لكم جميعًا. أراكم جميعًا بعد ساعة فى الجحر، هيا عند «العدة» الثالثة: واحد... اثنين... ثلاثة..»..

كان هناك صوت هدير شديد من الدراجة البخارية، وشعر (هارى) أن العربة الجانبية تترنح بشدة؛ كان يصعد فى الهواء بسرعة، وعيناه تدمعان قليلاً وقد تراجع شعره عن وجهه، وكانت المكانس ترتفع حوله أيضًا. وشاهد ذيل الثيسترال الطويل يختلج وهو يمر به، وكانت قدماه المحشورتان داخل العربة الجانبية مع

قفص (هدويج) وحقيبته تؤلمانه وقد بدأ يشعر بالخدر فيهما. كان يشعر بتعب شديد جعله ينسى إلقاء نظرة أخيرة على المنزل رقم 4 بشارع بريفت درايف.. وفى الوقت الذى نظر فيه من فوق حافة العربة، لم يكن بإمكانه أن يعرف أى منزل هو، وأخذوا يصعدون السماء أعلى وأعلى، ثم فجأة ظهر حولهم من العدم ثلاثون شخصًا يرتدون أغطية رأس تخفى وجوههم، كانوا متوقفين وسط الهواء وقد شكلوا دائرة كبيرة، من الواضح أن أفراد الجماعة قد صعدوا فى وسطها ـ صرخات، دفقات من الضوء الأخضر المشتعل على الجانبين، وصرخ (هاجريد) وانقلبت الدراجة البخارية وفقد (هارى) إحساسه بالمكان؛ أصبحت أضواء الطريق فوقه وعلت الصرخات من حوله، كان متمسكًا بالعربة وانزلق قفص (هدويج) ومكنسته وحقيبته من تحت ركبتيه.

«لا، (هدويج)!».

ووقعت المكنسة بسرعة نحو الأرض، بينما استطاع (هارى) بالكاد أن يمسك بحزام الحقيبة وطرف القفص، واهتزت الدراجة معتدلة، وعبرت لحظة راحة قصيرة، ثم عادت دفقات الضوء الأخضر مرة أخرى، وصرخت البومة صرخة شديدة قبل أن تسقط على أرضية القفص.

«لا.. لا!».

وعلا صوت محرك الدراجة قبل أن تندفع إلى الأمام ولمح (هارى) آكلى الموت يتفرقون عندما اندفع (هاجريد) مخترقًا دائرتهم.

«(هدويج).. (هدويج)..».

ولكن البومة كانت راقدة لا تتحرك وكأنها لعبة على أرضية قفصها.

لم يتقبل (هارى) ما حدث وكان خوفه على الآخرين شديدًا، نظر من فوق كتفه ورأى حشدًا من الناس يتحركون، وشهبًا من الضوء الأخضر فى كل مكان وكان هناك شخصان يركبان مكنستين يطيران مبتعدين، ولكنه لم يستطع أن يميز من هما.

صاح (هارى) فوق صوت المحرك الراعد: «يجب أن نعود يا (هاجريد)، يجب أن نعود!»، وجذب عصاه ودفع قفص (هدويج) إلى أرضية العربة، رافضًا تصديق موتها، واستطرد: «(هاجريد)، **استدر!**».

صاح (هاجريد): «إن مهمتى هى أن أوصلك سالمًا يا (هارى)!»، وزاد من سرعته.

وصاح (هارى): «قف قف!». ولكن عندما نظر إلى الوراء مرة أخرى، اندفعت دفقتان من الضوء الأخضر تعبران بجوار أذنه اليسرى؛ كان أربعة من آكلى الموت قد انفصلوا من الدائرة وبدءوا يطاردونهم وهم يصوبون نحو ظهر (هاجريد) الواسع. انعطف (هاجريد) بقوة، لكنَّ آكلى الموت كانوا يتابعون الدراجة عن كثب، واندفعت لعنات أخرى وراءهم، واضطر (هارى) إلى خفض رأسه داخل العربة حتى يتفاداها. وبينما كانوا يتعرجون فى طريقهم، صاح (هارى): «*ستوبيفاى*»، وانطلق شعاع أحمر من طرف عصاه محدثًا فجوة بين آكلى الموت الذين يطاردونهم حيث تفرقوا ليتفادوه.

صاح (هاجريد): «تمسك يا (هارى)، إن ذلك سيقضى عليهم!»، ونظر (هارى) إلى أعلى ليراه يضغط بإصبعه الضخم على زر أخضر بالقرب من فتحة الوقود.

خرج من أنبوب العادم حائط صلب من الطوب وأدار (هارى) رأسه ليراه يكبر ويتوسع فى الهواء وانحرف ثلاثة من آكلى الموت واستطاعوا أن يتفادوه بينما لم يكن الرابع محظوظًا مثلهم؛ فقد اختفى عن نظره ثم وقع مثل صخرة من وراء الحائط، وقد انكسرت مكنسته إلى أجزاء صغيرة وتأخر أحد زملائه لينقذه، ولكن الظلمة ابتلعته هو والحائط الموجود وسط الهواء عندما مال (هاجريد) فوق ذراعى القيادة وزاد السرعة.

ومر مزيد من اللعنات القاتلة فوق رأس (هارى) صادرة عن عصى آكلى الموت الباقين؛ كانوا يصوبون ناحية (هاجريد). ورد عليهم (هارى) بتعاويذ صعق أخرى؛ وتصادمت الأشعة الحمراء والخضراء وسط الهواء، وتطاير شرر مختلف الألوان ذكَّر (هارى) بالألعاب النارية وبأن العامة فى الأسفل لن يكون لديهم أدنى فكرة عما يحدث.

وصاح (هاجريد): «هيا لنفعل ذلك ثانية، تماسك يا (هارى)!»، وضغط (هاجريد) على زر آخر وخرجت شبكة من أنبوب العادم، لكنَّ آكلى الموت كانوا مستعدين لها هذه المرة واستطاعوا تفاديها كما عاد زميلهم الذى كان قد تأخر لإنقاذ صديقه فاقد الوعى، وقد ظهر فجأة من وسط الظلمة وأصبح هناك ثلاثة مطاردين يتابعون الدراجة ويمطرونها باللعنات.

وصاح (هاجريد) مرة أخرى: «هذا سيوقفهم، تمسك بشدة يا (هارى)!»، ورآه (هارى) يضغط بيده على الزر البنفسجى بجوار عداد السرعة.

وتصاعد صوت هدير، لا يمكن أن تخطئه الأذن، وانطلقت نيران التنين البيضاء والزرقاء من أنبوب العادم، وانطلقت الدراجة البخارية إلى الأمام كالطلقة وقد تصاعد صوت تصدع فى المعدن، ورأى (هارى) آكلى الموت وهم ينحرفون مبتعدين ليتفادوا شعلة النار المميتة المتصاعدة من الدراجة، وفى نفس اللحظة شعر بأن العربة الجانبية تتمايل بشكل ينذر بالخطر، وانكسرت الوصلة المعدنية التى تربطها بالدراجة البخارية بسبب تزايد السرعة الكبيرة.

صاح (هاجريد): «لا تقلق يا (هارى)!». وقد وقع على ظهره بسبب اندفاعة السرعة الشديدة. لم يكن هناك أى شخص يقوم بتوجيه الدراجة الآن وبدأت العربة الجانبية تهتز بشدة.

صاح (هاجريد) وهو يخرج من داخل جيب معطفه مظلته الوردية: «سأصلح ذلك يا (هارى)، لا تقلق!».

«لا يا (هاجريد)! اتركنى أنا أقوم بذلك!».

« **ريبارو!** ».

ارتفع صوت فرقعة شديدة وانفصلت العربة الجانبية من الدراجة تمامًا، واندفع (هارى) إلى الأمام، متأثرا بالاندفاع الشديد وسرعة انطلاق الدراجة البخارية، ثم بدأت العربة الجانبية تنخفض إلى الأسفل.. ومن شدة يأسه، وجه (هارى) عصاه إلى العربة الجانبية وصاح: «وينجارديوم *ليفيوسا!*».

وارتفعت العربة الجانبية مثل الفلين، لا يمكن توجيهها ولكن لا يزال الهواء يحملها على الأقل؛ وشعر بالارتياح لثانية، ولكن اندفع المزيد من اللعنات من حوله وعرف أن آكلى الموت الثلاثة اقتربوا منه.

صاح (هاجريد) من وسط الظلمة: «أنا قادم يا (هارى)!».. إلا أن (هارى) كان يشعر أن العربة قد بدأت فى الهبوط من جديد، كان (هارى) منخفضًا إلى أقصى ما يستطيع، وأشار إلى وسط الأشخاص القادمين وصاح: «*إيمبديمنتا!*».

وأصابت اللعنة آكل الموت الذى فى الوسط وللحظة كان الرجل ممدودًا فى الهواء بشكل غريب وكأنه ضرب حاجزًا غير مرئى وكاد أحد زملائه أن يرتطم به، ثم بدأت العربة تسقط بسرعة وألقاه آكل الموت الباقى بلعنة مرت قريبة جدًا من (هارى) وجعلته ينخفض تحت حافة العربة فضُربتْ سِنه بقوة بحافة مقعده.

«أنا قادم يا (هارى)، أنا قادم!».

وأمسكت يد ضخمة بياقة ملابسه من الخلف ورفعته من داخل العربة الثقيلة، وجذب (هارى) حقيبته معه وهو يدفع نفسه فوق مقعد الدراجة ليجد نفسه جالسا ظهرًا لظهر مع (هاجريد). وارتفعا إلى أعلى، مبتعديْن عن آكل الموت الباقى، وبصق (هارى) الدم من فمه وأشار بعصاه إلى العربة التى تسقط، وصاح: «*كونفرينجو!*».

وانفجرت العربة، وشعر (هارى) بانفجار مؤلم وفظيع فى أحشائه من أجل (هدويج) وأطاح الانفجار بأقرب آكلى الموت من فوق عصاه وخفف زميله سرعته واختفى.

أخذ (هاجريد) ينتحب: «أنا آسف يا (هارى)، أنا آسف، لم يكن علىَّ أن أحاول إصلاحها بنفسى، ليس لديك مساحة كافية للجلوس».

وأجابه (هارى) صائحًا: «ليس هناك مشكلة، استمر فى الطيران فقط!».

وظهر اثنان أخران من آكلى الموت من وسط الظلمة وأخذا يقتربان بسرعة، وبدأا يمطرانهما باللعنات من جديد عبر المساحة الفاصلة بينهم وانحرف (هاجريد) وأخذ يطير فى مسار متعرج؛ وعرف (هارى) أن (هاجريد) لا يجرؤ على استخدام زر نيران التنين مرة أخرى و(هارى) يجلس بصورة غير آمنة فى هذه الدراجة، وبدأ (هارى) يلقى مطارديهم بتعاويذ صعق الواحدة تلو الأخرى، لكنها لم توقفهما وألقى عليهما لعنة عرقلة أخرى وانحرف أقرب آكل للموت ليتفاداها وانزلق غطاء الرأس عن رأسه، وعلى ضوء تعويذة الصعق التالية رأى (هارى) وجه (ستانلى شونبايك) - (ستان) الخالى من التعبير بشكل غريب.

صاح (هارى): «*أكسبيليارموس!*».

«هذا هو، هذا هو، إنه الحقيقى!».

ووصلت صيحة آكل الموت المغطى الرأس إلى (هارى) وقد علت على صوت هدير محرك الدراجة البخارية.. وفى اللحظة التالية، تأخر كلا المطاردين وتواريا عن الأنظار.

صاح (هاجريد): «ماذا حدث يا (هارى)؟ أين ذهبا؟».

«لا أعرف!».

ولكن (هارى) كان خائفًا؛ فلقد سمع آكل الموت المغطى الرأس وهو يصيح: «إنه الحقيقى»، كيف عرف ذلك؟ وأخذ يحدق حوله إلى الظلمة التى تبدو خالية، وشعر بالخطر.. أين ذهبا؟

والتف فوق مقعده ليواجه مقدمة الدراجة وأمسك بظهر معطف (هاجريد)، وقال: «(هاجريد)، استخدم زر نيران التنين مرة أخرى وأخرجنا من هنا!».
«تمسك جيدًا يا (هارى)!».
وسمع صوت هدير يصم الآذان مرة أخرى واندفعت النيران البيضاء والزرقاء من أنبوب العادم، وشعر (هارى) بأنه ينزلق إلى الوراء من فوق المساحة الصغيرة التى يشغلها من المقعد، وتراجع (هاجريد) إلى الخلف فوقه وهو بالكاد يستطيع المحافظة على يده فوق ذراعى القيادة.
وصاح (هاجريد): «أظن أننا هربنا منهم يا (هارى)! أظن أننا نجحنا!».
ولكن (هارى) لم يكن مقتنعًا: «كان يشعر بالخوف وهو ينظر يمينه ويساره باحثا عن مطاردين وهو متأكد أنهم سيظهرون.. لماذا تأخروا إلى الوراء؟ وكان أحدهم لا يزال ممسكًا بعصاه... *إنه هو، إنه الحقيقى*... وقد قال ذلك مباشرة بعد أن حاول أن يجرد (ستان) من عصاه...
صاح (هاجريد): «لقد وصلنا يا (هارى)، لقد انتهى الأمر تقريبًا!».
وشعر (هارى) بأن الدراجة انخفضت قليلاً، رغم أن الأضواء بالأسفل كانت لا تزال تبدو بعيدة مثل النجوم.
وبدأت الندبة فى جبهته تؤلمه بشدة؛ بعد أن ظهر آكلو الموت على جانبى الدراجة، وأخطأت لعنتان قاتلتان آتيتان من الخلف (هارى) بمليمترات قليلة.
ثم رآه (هارى)؛ كان (فولدمورت) يطير مثل الدخان فوق الريح بدون مكنسة أو (ثيسترال) ليحمله، وكان وجهه الذى يشبه الحية يتلألأ فى الظلام ورفعت أصابعه البيضاء عصاه مرة أخرى.
أطلق (هاجريد) صرخة فزع وقاد الدراجة البخارية منخفضًا بها رأسيًا وكان (هارى) متعلقًا بـ(هاجريد) بكل ما يستطيع من قوة وأخذ يرسل لعنات صعق من عصاه بشكل عشوائى، بينما الليل يدور من حوله، ورأى جسدًا يطير عابرًا بجواره، فعرف أنه أصاب أحدهم، ولكنه فى هذه اللحظة سمع صوت انفجار ورأى شررًا يخرج من المحرك، ودارت الدراجة البخارية فى الهواء وخرجت عن نطاق السيطرة تمامًا.
مرت دفقات الضوء الأخضر بسرعة بجوارهما مرة أخرى، وأصبح (هارى) لا يعرف فوقه من تحته وكانت ندبته تؤلمه بشدة وشعر أن الموت سيأتيه فى أى

لحظة الآن، وشاهد شخصًا مغطى الرأس فوق مكنسته على بُعد أقدام قليلة منه وهو يرفع ذراعه.

«لا!».

وأطلق (هاجريد) صرخة غاضبة، وألقى بنفسه على آكل الموت، وشعر (هارى) بالرعب عندما رأى (هاجريد) وآكل الموت يسقطان بعيدًا عن نظره، وقد أصبح وزنهما معًا ثقيلاً جدًا على المكنسة.

كان بالكاد ممسكًا الدراجة بركبتيه، وسمع (هارى) صرخة (فولدمورت): «إنه لى!».

لقد انتهى الأمر، لم يكن يستطيع أن يرى أو يحدد مكان (فولدمورت) ولمح آكل موت آخر وهو يندفع مبتعدًا عن الطريق وسمع: «أفادا...».

دفعه شدة ألم ندبته إلى أن يغلق عينيه، فتصرفت عصاه من تلقاء نفسها وشعر أنها تسحب يده إلى الخلف مثل مغناطيس قوى، وشاهد تدفق نيران ذهبية من خلال جفنيه شبه المغلقين، وسمع صوت فرقعة ثم صرخة رعب وصاح آكل الموت الباقى، وصرخ (فولدمورت): «لا!».. وبطريقة ما، وجد (هارى) أنفه على بعد بوصة واحدة من زر نيران التنين، فضغط عليه بيده الخالية من العصا وأطلقت الدراجة مزيدًا من النيران فى الهواء وهى تسرع مباشرة نحو الأرض.

ونادى (هارى) وهو متشبث بكل ما يستطيع من قوة بالدراجة: «(هاجريد)! (هاجريد).. *أشيو (هاجريد)!*».

وتزايدت سرعة الدراجة وهى متجهة نحو الأرض، وكان وجه (هارى) فى اتجاه ذراعى القيادة ولا يرى شيئًا سوى الأضواء البعيدة وهى تقترب أكثر وأكثر، كان على وشك الاصطدام بالأرض ولم يكن فى وسعه شىء ليفعله، وسمع (هارى) من ورائه صرخة:

«عصاك يا (سيلوين)، أعطنى عصاك!».

وشعر بـ(فولدمورت) قبل أن يراه، وعندما نظر بطرف عينه وجد نفسه يحدق إلى عينى (فولدمورت) الحمراوين وكان واثقًا أنهما آخر شىء سيراه فى حياته واستعد (فولدمورت) ليرميه بلعنة أخيرة.

ثم اختفى (فولدمورت)، ونظر (هارى) إلى أسفل ورأى (هاجريد) ممددًا على الأرض تحته، فتمسك بشدة بذراعى القيادة ليتفادى الاصطدام به، وتلمس باحثًا عن المكابح، لكن الدراجة اصطدمت ببركة من الطين، بصوت يصم الآذان، وقوة هزت الأرض.

٥ المحارب الصريع

«(هاجريد)؟».

جاهد (هارى) ليخرج نفسه من بين أنقاض المعدن والجلد التى تحيط به، وغطست يداه فى بوصات من المياه الموحلة وهو يحاول الوقوف. لم يفهم أين ذهب (فولدمورت) وتوقع منه أن يظهر فجأة من وسط الظلمة فى أى لحظة. كان يشعر بشىء ساخن يسيل من جبينه إلى ذقنه. وزحف خارجًا من البركة وهو يتعثر واتجه نحو الكتلة الكبيرة السوداء الموجودة على الأرض التى هى (هاجريد).

«(هاجريد)؟ (هاجريد)، أجبنى..».

لكن الكتلة السوداء لم تتحرك.

«من هناك؟ هل هذا بوتر؟ هل أنت (هارى بوتر)؟».

لم يعرف (هارى) صوت الرجل، ثم صاح صوت امرأة: «لقد تحطما يا (تيد)! تحطما فى الحديقة!».

كان رأس (هارى) يدور.

وأخذ يكرر ببلادة وقد سقط على ركبتيه: «(هاجريد)».

وكان الشىء التالى الذى شعر به هو أنه يرقد على ظهره على شىء بدا مثل الوسادة وهو يشعر بألم شديد فى ضلوعه وذراعه اليمنى، وقد نمت السن التى فقدها، ولا تزال الندبة فى جبينه تنبض.

«(هاجريد)؟».

فتح عينيه ليجد نفسه ممددًا على أريكة فى غرفة جلوس غريبة مضاءة باللمبات وحقيبته موضوعة على الأرض على مسافة قريبة منه، وقد غطاها الوحل وشاهد (هارى) رجلاً ذا شعر ناعم وبطن كبير يراقبه بقلق.

قال الرجل: «(هاجريد) بخير يا بنى، زوجتى تعتنى به الآن. كيف تشعر؟ هل هناك أى شىء آخر مكسور؟ أصلحت ضلوعك وسنّك وذراعك، على فكرة، أنا (تيد)، تيد (تونكس) ـ والد (دورا)».

وجلس (هارى) بسرعة شديدة لدرجة أنه شعر بالأضواء تضرب فى عينيه وشعر بالغثيان والدوار.

«(فولدمورت) ـ».

قال تيد (تونكس) وهو يضع يده على كتف (هارى) ويدفعه ليرتاح على الوسائد: «استرح، الآن، كان هذا الحادث الذى تعرضت له شديدًا. ما الذى حدث على أى حال؟ هل حدث عطل بالدراجة البخارية؟ هل سببت ابتكارات (آرثر ويزلى) المشاكل مرة أخرى، هى وأدوات العامة الغريبة؟».

قال (هارى)، بينما كانت ندبته تنبض مثل الجرح المفتوح: «لا، آكلو الموت، الكثير منهم ـ لقد اصطدمنا وتحطمت الدراجة..».

قال تيد بحدة: «آكلو الموت؟ ما الذى تعنيه بآكلى الموت؟ لقد اعتقدت أنهم لا يعرفون أنك ستنقل الليلة، لقد اعتقدت...».

قال (هارى): «لقد عرفوا».

ونظر تيد (تونكس) إلى السقف فوقه وكأنه يستطيع رؤية السماء فى الخارج من خلاله.

وقال: «حسنًا، نحن نعرف أن تعويذة الحماية التى وضعناها حول البيت توقفهم.. إذن، ليس بإمكانهم أن يقتربوا من البيت لمسافة مائة ياردة حول المكان من كل اتجاه».

وعرف (هارى) لماذا اختفى (فولدمورت)؛ كان ذلك فى اللحظة التى عبرت فيها الدراجة البخارية الحاجز السحرى الذى وضعته الجماعة، وتمنى (هارى) أن تستمر التعاويذ فى العمل، وتخيل (فولدمورت) على بعد مائة ياردة فوقهم فى هذه اللحظة، وهو يبحث عن طريقة للنفاذ داخل ما تخيله (هارى) مثل فقاعة كبيرة شفافة وأنزل رجليه من على الأريكة؛ كان يحتاج إلى رؤية (هاجريد) بعينيه حتى يصدق أنه على قيد الحياة، وكان بالكاد قد وقف على قدميه عندما انفتح باب ودخل (هاجريد) منه بصعوبة وقد غطى الدم والوحل وجهه وهو يعرج قليلاً، ولكنه حىٌّ بمعجزة.

«هارى!».

وأوقع فى طريقه اثنتين من الموائد الصغيرة وزهرية وفى خطوتين كان قد قطع الغرفة وجذب (هارى) وعانقه عناقًا شديدًا كاد يكسر ضلوعه التى تم إصلاحها منذ قليل.

وقال: «يا إلهى! (هارى)، كيف نجوت من هذا؟ لقد اعتقدت أننا هالكان».

«نعم وأنا أيضًا لا أصدق..».

وقطع (هارى) حديثه عندما لاحظ المرأة التى دخلت الغرفة خلف (هاجريد).

وصاح: «أنتِ!». وأدخل يديه فى جيبه ولكنه كان خاليًا.

قال (تيد): «عصاك هنا يا بنى وربت بها على ذراع (هارى)»، وأضاف: «لقد وقعت بجوارك بالضبط وقد التقطتها، والتى تصيح فيها هذه هى زوجتى».

«آه، أنا ـ أنا آسف».

وعندما رآها (هارى) عن قرب أكثر، بدا التشابه بين السيدة (تونكس) وأختها (بيلاتريكس) أقل، كان شعرها بنيًا فاتحًا وعيناها واسعتين وتبدو فيهما الطيبة وإن كان قد ظهر فيهما بعض الشموخ بعد هتاف (هارى).

وسألت: «ماذا حدث لابنتنا؟ لقد قال (هاجريد) إنكم وقعتم فى كمين.. أين (نيمفادورا)؟».

قال (هارى): «لا أعرف، فنحن لا نعرف ما الذى حدث للآخرين».

وتبادلت هى و(تيد) النظرات، وشعر (هارى) بمزيج من الخوف والذنب. وعندما شاهد التعبير المرتسم على وجهيهما فكر فى أنه إذا مات أى شخص من الآخرين، فسيكون ذلك خطأه، لقد وافق على الخطة وأعطاهم شعره....

وخطر بباله فجأة «أداة الانتقال، يجب أن نذهب إلى الجحر حتى نعرف ما حدث وبعدها سنرسل لكم رسالة، أو ـ أو سيقوم (تونكس) بذلك، بمجرد...».

قال (تيد): «ستكون (دورا) على ما يرام يا (دروميدا)، إنها تجيد ما تفعله وقد مرت بالعديد من المواقف الصعبة أثناء عملها مع المدافعين». وأضاف موجها كلامه إلى (هارى): «إن أداة الانتقال هنا، وسترحل خلال ثلاث دقائق، إذا كنت تريد اللحاق بها».

قال (هارى) بعد أن سحب حقيبته ووضعها فوق كتفه: «نعم، نريد ذلك، أنا ــ».

ونظر إلى السيدة (تونكس) وهو يريد الاعتذار لها عن حالة الخوف التى سيتركها عليها، والتى شعر أنه مسئول عنها، ولكنه لم يستطع التفكير فى شىء ليقوله، لقد بدا كل الكلام الذى خطر فى باله فارغًا وغير صادق.

وأخيرًا قال: «سأخبر (تونكس) ـ دورا ـ أن ترسل لكم رسالة لتطمئنكم عندما... شكرًا لكم على معالجتكم لنا وعلى ما فعلتموه. أنا..».

وكان سعيدًا بترك الغرفة واللحاق بـ(تيد) عبر صالة صغيرة، ثم إلى غرفة نوم وتبعهما (هاجريد) وهو يخفض رأسه؛ حتى لا يرتطم بإطار الباب.

وقال (تيد): «هاهى ذى أداة الانتقال يا بنى».

وأشار السيد (تونكس) إلى فرشاة شعر ذات ظهر فضى موضوعة فوق التسريحة.

قال (هارى): «شكرًا»، واقترب ليضع إصبعه عليها ويستعد للرحيل. قال (هاجريد) وهو ينظر حوله: «انتظر لحظة، أين (هدويج)؟».

قال (هارى): «لقد أصيبت بلعنة».

وصدمه إدراك الأمر وشعر بالخجل من نفسه عندما طفرت الدموع من عينيه. لقد كانت البومة رفيقته ووسيلة اتصاله العظيمة بالعالم السحرى فى كل مرة كان يضطر فيها للعودة إلى (آل درسلى).

وربت (هاجريد) على كتفه بيده العملاقة ربتة مؤلمة.

وقال بفظاظة: «لا عليك، لقد عاشت حياة عظيمة».

وقال تيد (تونكس) محذرًا عندما لمعت الفرشاة بلون أزرق براق: «(هاجريد)!»، ووضع (هاجريد) إصبعه على الفرشاة فى الوقت المناسب.

وشعر (هارى) برجة فى سرته وكأن هناك صنارة قد جذبته إلى الأمام إلى داخل الفراغ وأخذ يدور دون تحكم وشعر أن إصبعه التصق بأداة الانتقال، بينما هو و(هاجريد) يبتعدان بسرعة عن السيد (تونكس).. وبعد ثوان، لمست قدما (هارى) الأرض الصلبة وسقط على يديه وركبتيه فى فناء الجحر وسمع صرخات. وألقى بفرشاة الشعر التى توقفت عن اللمعان، ووقف وهو يتمايل قليلاً، ورأى السيدة (ويزلى) و(جينى) وهما تنزلان السلالم من الباب الخلفى بسرعة، بينما كان (هاجريد) الذى انهار عند الهبوط مثله يحاول الوقوف على قدميه.

صاحت السيدة (ويزلى): «(هارى)؟ ألست (هارى) الحقيقى؟ ماذا حدث؟ أين الباقون؟».

قال (هارى) وهو يلهث: «ما الذى تعنيه؟ ألم يعد أحد؟».

وظهرت الإجابة بوضوح على وجه السيدة (ويزلى) الشاحب.

وأخبرها (هارى): «كان آكلو الموت فى انتظارنا، ووجدنا أنفسنا محاصرين فى اللحظة التى أقلعنا فيها ـ كانوا يعرفون أنها الليلة ـ لا أعرف ماذا حدث للباقين. أربعة منهم طاردونا. وفعلنا كل ما بوسعنا لنهرب منهم، ثم لحق بنا (فولدمورت)..».

كانت هناك نبرة تبرير فى صوته، وكأنه يتلمس منها أن تفهم لماذا لا يعرف ما حدث لأبنائها، ولكن...

قالت السيدة (ويزلى) وهى تجذبه وتحتضنه حِضْنًا شعر أنه لا يستحقه: «شكرًا لله على سلامتك».

وسألها (هاجريد) وهو يبدو مترنحًا قليلاً: «أليس لديك بعض الشراب يا (مولى) لأغراض علاجية؟».

كان يمكنها أن تحضر بعضًا منه بالسحر لكن (هارى) شعر أنها تريد إخفاء وجهها عندما أسرعت عائدة نحو المنزل، والتفت إلى (جينى) التى أجابت رغبته فى المعلومات فورًا دون أن يتكلم.

قالت: «كان يجب أن يكون (رون) و(تونكس) أول الواصلين لكنهما لم يلحقا بأداة انتقالهما، فقد عادت بدونهما» وأشارت إلى علبة زيت صدئة ملقاة بجوارهم، ثم أشارت إلى حذاء قديم وقالت: «وهذه كانت من المفترض أن تحضر أبى و(فريد) حيث كانا ثانى مجموعة ستصل وأنت و(هاجريد) المجموعة الثالثة»، ونظرت إلى ساعتها وقالت: «ومن المفترض أن يصل (جورج) و(لوبين) فى غضون دقيقة واحدة، إذا كانا قد لحقا بأداة انتقالهما».

وظهرت السيدة (ويزلى) مرة أخرى وهى تحمل زجاجة شراب وأعطتها إلى (هاجريد) الذى نزع سدادتها وشربها دفعة واحدة.

وصاحت (جينى) وهى تشير إلى بقعة تبعد عنهم بضعة أقدام: «أمى!».

وظهر ضوء أزرق فى وسط الظلمة وأخذ يزداد اتساعًا ولمعانًا وظهر (لوبين) و(جورج) يدوران قبل أن يسقطا، وعرف (هارى) على الفور أن هناك خطأً كان (لوبين) يسند (جورج) الذى كان فاقدًا الوعى ووجهه يغطيه الدم.

جرى (هارى) إلى الأمام وأمسك بقدمى (جورج)، وحملاه هو و(لوبين) إلى داخل المنزل عبر المطبخ إلى حجرة الجلوس، حيث وضعاه فوق الأريكة وعندما سقط الضوء على رأس (جورج) شهقت (جينى)، وشعر (هارى) بتقلصات فى معدته، كانت إحدى أذنى (جورج) مفقودة وكان جانب رأسه وعنقه مبللاً بالكثير من الدماء قرمزية اللون، وما إن انحنت السيدة (ويزلى) فوق ابنها حتى جذب (لوبين) (هارى) من ذراعه وسحبه بقوة معيدًا إياه إلى المطبخ، حيث كان (هاجريد) يحاول إدخال جسمه الضخم عبر باب المنزل الخلفى.

قال (هاجريد) مستنكرًا: «اتركه! اترك هارى!».

وتجاهله (لوبين).

وسأل (هارى) وهو يهزه قليلاً: «من المخلوق الذى كان يجلس فى الركن، فى أول مرة زار فيها (هارى بوتر) مكتبى فى (هوجوورتس)؟ أجبنى!».

«كان (جريندلو) فى حوض، أليس كذلك؟».

وأفلت (لوبين) (هارى) ووقع بجوار خزانة المطبخ.

وصاح (هاجريد): «ماذا حدث هنا؟».

قال (لوبين) بإيجاز: «أنا آسف يا (هارى) ولكن كان يجب أن أتأكد، لقد تمت خيانتنا، كان (فولدمورت) يعرف أنك سترحل الليلة، والأشخاص الوحيدون الذين كانوا يعرفون ذلك هم الذين قاموا بتنفيذ الخطة، كان يمكن أن تكون محتالاً».

قال (هاجريد) لاهثًا وهو لا يزال يحاول الدخول من الباب: «لماذا إذن لم تتأكد منى أنا أيضًا؟».

قال (لوبين) وهو يرفع نظره إلى أعلى لكى ينظر إلى (هاجريد): «إنك نصف عملاق، ووصفة التخفى مصممة لتعمل على البشر فقط».

كانت فكرة خيانة أحد أعضاء الجماعة فظيعة، لم يستطع (هارى) أن يصدق أن أحدا منهم يفعل ذلك وقال: «لا أحد فى الجماعة أخبر (فولدمورت) أننا سنتحرك الليلة، لقد لحق بى (فولدمورت) قرب النهاية فقط، لم يكن يعرف أيهم أنا، ولو عرف الخطة، لكان عرف من البداية أننى سأكون مع (هاجريد)».

قال (لوبين) بحدة: «هل لحق بك (فولدمورت)؟ ماذا حدث؟ كيف هربت منه؟».

شرح له (هارى) ما حدث باختصار كيف ظهر على آكلى الموت الذين كانوا يطاردونهم فجأة أنهم عرفوا أنه (هارى) الحقيقى، وكيف توقفوا عن مطاردتهما وكيف بدا أنهم أعلموا (فولدمورت) الذى ظهر فجأة قبل أن يصل (هارى) و(هاجريد) إلى حمى منزل والدى (تونكس) مباشرة.

«عرفوك؟ ولكن كيف؟ ما الذى فعلته؟».

حاول (هارى) أن يتذكر، وبدت الرحلة مثل غشاوة من الرعب والاضطراب وقال: «لقد شاهدت (ستان شونبايك)... أتعرف؟ ذلك الشخص الذى كان يعمل محصلاً فى أتوبيس الفارس! وحاولت أن أجرده من عصاه بدلاً من... حسنًا، إنه لا يعرف ما يفعله، أليس كذلك؟ فهو يتصرف تحت تأثير تعويذة تحكم بالتأكيد!».

بدا الذهول على وجه (لوبين)، وقال: «لقد مضى وقت التجريد من السلاح يا (هارى)! هؤلاء الأشخاص يحاولون القبض عليك وقتلك! على الأقل اصعقهم لو لم تكن مستعدًا لقتلهم!».

قال (هارى): «لقد كنا على ارتفاع مئات الأقدام! و(ستان) ليس واعيًا لنفسه، ولو كنت صعقته، ووقع لكان قد مات وكأننى استخدمت تعويذة *أفاداكادفرا* بالضبط! لقد أنقذتنى تعويذة *أكسبيليا*رموس من (فولدمورت) منذ عامين». ذكره

(لوبين) بـ(زاكاريس سميث) من منزل (هافلباف) الذى سخر من (هارى) لرغبته فى تعليم جيش (دمبلدور) كيفية تأدية تعويذة التجريد من السلاح.

قال (لوبين) وهو يحاول التحكم فى أعصابه بصعوبة: «نعم يا (هارى) وقد شاهد عدد كبير من آكلى الموت هذا الموقف! سامحنى، ولكنه كان تصرفًا غير معتاد، خاصة أنك معرض لخطر الموت، كما أن تكرار ذلك الليلة أمام آكلى الموت الذين يجب أن يكونوا قد شاهدوا ذلك أو سمعوا عنه يعتبر انتحارًا!».

قال (هارى) غاضبًا: «إذن تعتقد أننى كان يجب أن أقتل (ستان شونبايك)؟».

قال (لوبين): «بالطبع لا، ولكنَّ آكلى الموت ـ وبصراحة، معظم الناس! ـ سيتوقعون منك أن تهاجمهم مثلما يهاجمونك! تعويذة *أكسبيليا*رموس تعويذة مفيدة يا (هارى)، ولكن يبدو أن آكلى الموت يعتقدون أنها تعويذتك المختارة وكأنها تحمل توقيعك، وأنا أطلب إليك بإلحاح ألا تجعلها كذلك!».

كان (لوبين) يجعل (هارى) يشعر بالغباء، إلا أنه كان لايزال يشعر ببعض التحدى داخله.

قال (هارى): «لن أقتل الناس لأبعدهم عن طريقى لمجرد أنهم موجودون هناك فقط، فهذا عمل (فولدمورت)؟».

وفقد (لوبين) أعصابه فى نفس اللحظة التى نجح فيها (هاجريد) أخيرًا فى المرور من الباب وسحب كرسيًا وجلس عليه فانهار تحته، وتجاهل (هارى) اعتذاراته المرتبكة وسأل (لوبين) مرة أخرى:

«هل سيكون (جورج) على ما يرام؟».

وبدا أن توتر (لوبين) ضد (هارى) قد اختفى عندما سأل هذا السؤال.

«أعتقد هذا، لكن ليس هناك فرصة لنمو الأذن من جديد، ليس عندما تنتزع بلعنة ـ».

كانت هناك صوت ضجة فى الخارج، وأسرع (لوبين) بسرعة إلى الباب الخلفى، بينما قفز (هارى) فوق قدمى (هاجريد) وخرجا إلى الفناء، وظهر شخصان فى الفناء وما إن جرى (هارى) فى اتجاههما حتى أدرك أنهما (هرميون) ـ وقد عادت إلى مظهرها العادى ـ و(كنجسلى)، وكلاهما ممسكان بشماعة معطف ملتوية، ورمت (هرميون) بنفسها بين ذراعى (هارى) ولكن (كنجسلى) لم يُبدِ أى سعادة برؤية أى منهما.. ومن فوق كتف (هرميون)، شاهده (هارى) وهو يرفع عصاه ويوجهها إلى صدر (لوبين).

ويقول: «ما آخر كلمات قالها (ألباس دمبلدور) لكلينا معًا؟».

قال (لوبين) بهدوء: «*هارى هو أفضل أمل لدينا.. ضعوا* ثقتكم فيه».
ووجه (كنجسلى) عصاه إلى (هارى) ولكن (لوبين) قال: «إنه هو، لقد تأكدت من ذلك!».
قال (كنجسلى) وهو يعيد عصاه تحت عباءته: «حسنًا، حسنًا، ولكنَّ هناك شخصًا خاننا! لقد عرفوا، عرفوا أنها الليلة!».
رد (لوبين): «يبدو ذلك، ولكن من الواضح أنهم لم يعرفوا أنه سيكون سبعة هارى».
زمجر (كنجسلى): «تعزية صغيرة، من أيضًا عاد؟».
«فقط (هارى) و(هاجريد) و(جورج) وأنا».
وكبتت (هرميون) تأوهًا صغيرًا خلف يدها.
وسأل (لوبين) (كنجسلى): «ماذا حدث لكم؟».
ترنح (كنجسلى) وقال: «لقد طاردنا خمسة منهم، وقد جرحنا اثنين وربما قتلنا آخر ورأينا (أنت ـ تعرف ـ من) أيضًا؛ لقد انضم إلى المطاردة فى منتصف الطريق ولكنه اختفى بسرعة إلى حد ما. (ريموس)، إنه يستطيع...».
أكمل (هارى): «الطيران، لقد رأيته أيضًا، لقد أتى خلفنا أنا و(هاجريد)».
قال (كنجسلى): «إذن هذا سبب رحيله ـ ليتبعكم! لم أفهم قط لماذا اختفى؟ لكن ما الذى جعله يغير أهدافه؟».
قال (لوبين): «لقد تصرف (هارى) بلطف أكثر من اللازم مع (ستان شونبايك)».
كررت (هرميون): «(ستان)؟ ولكننى اعتقدت أنه فى أزكابان؟».
أطلق (كنجسلى) ضحكة كئيبة خالية من المرح.
وقال: «من الواضح يا (هرميون) أن هناك هروبًا جماعيًا غطت على أخباره الوزارة، لقد انزلق غطاء رأس (ترافيرس) عندما أصابته لعنتى، ومن المفترض أن يكون داخل أزكابان أيضًا، ولكن ماذا حدث لك يا (ريموس)؟ وأين (جورج)؟».
قال (لوبين): «لقد فقد إحدى أذنيه».
ورددت (هرميون) بصوت عال: «فقد!».
قال (لوبين): «فعلها سناب».
صاح (هارى): «*(سناب)*؟ لكنك لم تقل».
(لوبين): «لقد وقع غطاء رأسه أثناء المطاردة، لقد كانت تعويذة *سيكتومسيمبرا* دائمًا تخصص (سناب). للأسف، لا أستطيع أن أقول إننى رددت عليه بما يستحقه، ولكن هذا كل ما كان بوسعى؛ حتى أستطيع الإبقاء على (جورج) فوق مكنسته بعد أن أصيب، فقد كان يفقد الكثير من الدماء».

ساد الصمت بينهم جميعًا، بينما كانوا ينظرون إلى السماء. لم تكن هناك أى إشارة لأى حركة، وكانت النجوم تلمع كأنها تحدق إليهم غير مبالية دون أن تطرف ولا يغطيها أصدقاؤهم الطائرون. أين (رون)؟ أين (فريد) والسيد (ويزلى)؟ أين (بيل) و(فلور) و(تونكس) و(ماد ـ آى) و(مندنجس)؟

نادى (هاجريد) من الباب الذى انحشر فيه من جديد: «(هارى)، تعال وساعدنا!». كان (هارى) سعيدًا بأن يفعل شيئًا ليشغله، فشده ليحرره وبعدها، اتجه مارًا بالمطبخ الخالى عائدًا إلى حجرة الجلوس، حيث كانت السيدة (ويزلى) و(جينى) لا تزالان تمرضان (جورج). كانت السيدة (ويزلى) قد أوقفت النزيف الآن، ورأى (هارى) على ضوء المصباح فتحة نظيفة فى المكان الذى كانت توجد فيه أذن (جورج).

«وكيف هو؟».

نظرت السيدة (ويزلى) حولها وقالت: «لا يمكننى أن أجعلها تنمو مرة أخرى، ليس وقد تم إزالتها بالسحر الأسود، ولكن الأمر كان يمكن أن يكون أسوأ... إنه حى».

قال (هارى): «نعم، الشكر لله».

سألت (جينى): «هل سمعت أحدًا آخر فى الفناء؟».

قال (هارى): «(هرميون) و(كنجسلى)».

همست (جينى): «الحمد لله». ونظرا لبعضهما البعض؛ أراد (هارى) أن يحتضنها؛ أن يتعلق بها، ولم يهتم حتى بوجود السيدة (ويزلى) بالمكان، ولكن قبل أن يتحرك، سمعا صوت اصطدام قادمًا من المطبخ.

«سأجعلهم يعرفون من أنا يا (كنجسلى)، بعد ما رأيت ما حدث لابنى، ابتعد عن طريقى لو كنت تعرف مصلحتك!».

لم يسمع (هارى) السيد (ويزلى) وهو يصيح بهذه الطريقة من قبل، واندفع داخلاً إلى حجرة المعيشة، والعرق يتلألأ فى الجزء الأصلع من رأسه ومالت نظارته قليلاً، ودخل (فريد) وراءه مباشرة، وكلاهما شاحبان لكنهما غير مصابيْن.

وبكت السيدة (ويزلى): «(آرثر)! الحمد لله!».

«كيف هو؟».

سقط السيد (ويزلى) على ركبتيه بجوار (جورج)، ولأول مرة منذ قابله (هارى)، بدا على (فريد) أنه لا يجد ما يقوله، وشهق عندما رأى جرح شقيقه التوءم من فوق ظهر الأريكة وكأنه لا يصدق ما يراه.

ويبدو أن صوت وصول (فريد) ووالده قد أيقظه ففتح عينيه.

همست السيدة (ويزلى): «كيف تشعر يا جورجى؟».

واتجهت يد (جورج) نحو جانب رأسه.

وغمغم: «مثل القديسين».

وصاح (فريد) وقد ظهر عليه الرعب: «ماذا به؟ هل تأثر عقله؟».

كرر (جورج) وهو يفتح عينيه وينظر إلى شقيقه: «مثل القديسين، أتعرف... لقد أصبحت مثقوبًا، هل فهمتها يا (فريد)؟».

زاد بكاء السيدة (ويزلى) واحمر وجه فريد الشاحب.

وقال لجورج: «يا له من شيء مثير للشفقة! أمامك عالم واسع ملىء بكلمات المزاح التى لها علاقة بالأذن ولم تجد سوى الثقب؟».

قال (جورج) وهو يبتسم لأمه التى غطت الدموع وجهها: «آه، حسنًا، ستكونين قادرة على التمييز بيننا الآن على أية حال يا أمى».

ونظر حوله.

«أهلاً يا (هارى) ـ أنت (هارى)، أليس كذلك؟».

قال (هارى) وهو يتحرك مقتربًا من الأريكة: «بلى، أنا».

قال (جورج): «حسنًا، على الأقل، نجحنا فى إعادتك، لماذا لم ينضم (رون) و(بيل) إلى الزحام الموجود حول سرير مرضى؟».

قالت السيدة (ويزلى): «إنهما لم يعودا بعد يا (جورج)». واختفت الابتسامة من وجه (جورج)، ونظر (هارى) إلى جينى وطلب منها أن ترافقه إلى الخارج. وبينما كانا يعبران المطبخ قالت له بصوت خفيض: «كان يجب أن يكون (رون) و(تونكس) قد عادا منذ فترة، فرحلتهما ليست طويلة، إن منزل الخالة (موربيل) ليس بعيدًا إلى هذا الحد».

لم يقل (هارى) شيئًا، كان يحاول السيطرة على خوفه منذ اللحظة التى وصل فيها إلى الجحر، ولكنه الآن تغلب عليه وأصبح يشعر به يزحف فوق جلده ويختلج فى صدره ويغلق حنجرته، وبينما كانا ينزلان السلالم الخلفية إلى الفناء المظلم أمسكت (جينى) يده.

كان (كنجسلى) يخطو جيئة وذهابًا وهو يلقى نظرة إلى السماء فى كل مرة يغير فيها اتجاهه. وتذكر (هارى) ذهاب وإياب العم (فيرنون) فى حجرة المعيشة منذ مليون سنة مضت. وكان (هاجريد) و(هرميون) و(لوبين) يقفون بجوار بعضهم البعض؛ الكتف فى الكتف وهم يحدقون أعلى فى صمت. ولم ينظر أحد منهم إلى (هارى) و(جينى) عندما انضما إلى مراقبتهم الصامتة.

تمددت الدقائق إلى ما بدا مثل سنوات، وكانت أقل حركة للريح تجعلهم يقفزون ويلتفون فى اتجاه الشجرة أو الشجيرات التى تحركت وكلهم أمل أن أحد أعضاء الجماعة المفقودين قد يقفز سليمًا من أى ضرر من بين أغصانها ـ ثم فجأة تجسمت مكنسة فوقهم مباشرة ثم تعرجت متجهة نحو الأرض.

صرخت (هرميون): «إنهم هم!».

هبطت (تونكس) بزحلقة شديدة أثارت التراب والحصى وانتشروا فى كل مكان.

وقالت (تونكس) وهى تترجل من فوق المكنسة إلى ذراعى (لوبين): «(ريموس)!».

كان وجهه جامدًا أبيض غير قادر على الكلام، ونزل (رون) من فوق المكنسة وهو يبدو دائخًا واتجه إلى (هارى) و(هرميون).

وغمغم: «أنتم على ما يرام» قبل أن ترمى (هرميون) بنفسها عليه وتحتضنه بقوة. «لقد اعتقدت... اعتقدت...».

قال (رون) وهو يربت على ظهرها: «إننى بخير».

قالت (تونكس) بحرارة وقد خرجت من بين ذراعى (لوبين): «لقد كان (رون) عظيمًا، رائعًا، لقد صعق أحد آكلى الموت فى رأسه مباشرة وأنتم تعرفون صعوبة التصويب على هدف متحرك من فوق مكنسة طائرة ــ».

قالت (هرميون) وهى ترفع نظرها إلى (رون) وذراعاها لا تزالان حول عنقه: «هل فعلت ذلك؟».

قال (رون) بقليل من التذمر وهو يحرر نفسه منها: «دائمًا نبرة المفاجأة، هل نحن آخر من عاد؟».

ردت جينى: «لا، نحن مازلنا فى انتظار (بيل) و(فلور) و(ماد ـ آى) و(مندنجس)، سأذهب لأخبر أمى أنك بخير يا (رون) ــ».

ركضت عائدة إلى الداخل.

قال (لوبين) وقد بدا غاضبًا تقريبًا من (تونكس): «ما الذى أخركما؟ ماذا حدث؟».

قالت (تونكس): «(بيلاتريكس)، إنها تريدنى بنفس القدر الذى تريد به (هارى) يا (ريموس)، لقد بذلت كل ما فى جهدها لقتلى. كم أتمنى لو أننى استطعت النيل منها، فبيننا ثأر قديم، ولكننا جرحنا (رودولوفوس)... ثم وصلنا إلى منزل خالة (رون) موريل ولم نلحق بأداة الانتقال وبدأت هى تثير الضجة حولنا..».

كانت هناك عضلة تقفز فى فك (لوبين)، وأومأ برأسه وبدا غير قادر على قول شىء آخر.

والتفتت (تونكس) إلى (هارى) و(هرميون) و(كنجسلى): «إذن ماذا حدث معكم؟».

وأخذوا يحكون ما حدث أثناء رحلة كل منهم، ولكن استمرار غياب (بيل) و(فلور) و(ماد - آى) و(مندنجس) ظل طوال الوقت ممدودًا فوقهم مثل الجليد، وازدادت العضة الثلجية قوةً مع الوقت، فلم يعد باستطاعتهم تجاهلها.

قال (كنجسلى) أخيرًا، بعد مسح السماء بعينيه مرة أخيرة: «يجب أن أعود إلى شارع دواننج الآن. كان يجب أن أكون هناك منذ ساعة مضت، أعلمونى فور عودتهم».

وأومأ (لوبين)، وأشار (كنجسلى) مودعًا الآخرين ومشى فى الظلام ناحية البوابة، وظن (هارى) أنه سمع صوت فرقعة ضعيفة، عندما قام (كنجسلى) بالانتقال آنيًا بعد أن عبر حدود الجحر.

وعاد السيد والسيدة (ويزلى) وهما يجريان هابطين السلالم الخلفية، و(جينى) خلفهما. وقاما كلا الوالدين بعناق (رون) قبل أن يلتفتا إلى (لوبين) و(تونكس).

قالت السيدة (ويزلى): «شكرًا لكم على اعتنائكم بأبنائنا».

قالت (تونكس) على الفور: «لا تكونى سخيفة يا مولى».

سأل (لوبين): «كيف حال (جورج)؟».

صاح (رون): «ماذا حدث له؟».

«لقد فقد».

علا صوت هادر غطى على نهاية جملة السيدة ويزلى؛ وظهر (ثيسترال) فى السماء.. حام حول المكان قبل أن يهبط على بعد بضعة أقدام قليلة منهم وانزلق من فوقه بيل و(فلور).. ملابسهما غير مرتبة ولكنهما سليمان.

«بيل! شكرًا لله، شكرًا لله..».

جرت السيدة (ويزلى) إلى الأمام، ولكن عناق بيل كان متكلفًا، وقد نظر مباشرة نحو أبيه وقال: «لقد مات (ماد - آى)».

لم يتكلم أو يتحرك أى منهم. وشعر (هارى) وكأن شيئًا بداخله يسقط ويسقط إلى الأرض ويتركه إلى الأبد.

قال بيل: «رأينا ما حدث». وأومأت (فلور) والدموع تلمع على خدودها فى الضوء الآتى من نافذة المطبخ، وأضاف بيل: «حدث ذلك فور هروبنا من الدائرة مباشرة، كان (ماد - آى) و(دنج) بالقرب منا، يتجهان إلى الشمال مثلنا. ذهب (فولدمورت) وراءهم مباشرة - إنه يستطيع الطيران. وفزع دنج، لقد سمعت صرخته، حاول (ماد - آى) أن يوقفه ولكنه انتقل آنيًا، وأصابت لعنة (فولدمورت)

(مـاد ـ آى) فى وجهه، ووقع إلى الوراء من فوق مكنسته ولم يكن هنـاك مـا نستطيع فعله من أجله، لا شىء، لقد كان هنـاك ستة منهم يطاردوننـا ـ».

وخفت صوت (بيل).

قـال (لوبين): «بـالطبع، لم يكن بـإمكـانكم أن تفعلوا أى شىء».

ووقفوا جميعًا ينظرون إلى بعضهم البعض. ولم يستطع (هـارى) استيعاب الأمر. مـات (مـاد ـ آى)؛ لا يمكن أن يحدث هذا... (مـاد ـ آى) بكل صلابته وشجاعته... يموت هكذا وهو الذى نجـا من كل شىء تقريبًا!!

وأخيرًا، بدا أن الجميع قد أدركوا معًا، رغم أن أحدًا لم يقل شيئًا، أنه لا داعىَ للانتظار فى الفنـاء بعد الآن، وتبعوا السيد والسيدة (ويزلى) فى صمت عـائدين إلى الجحر ثم دخلوا إلى غرفة المعيشة ليجدوا (فريد) و(جورج) يضحكـان معا.

قـال (فريد) وهو يتفرس فى وجوهـهم وهم يدخلون: «مـا الأمر؟ مـاذا حدث؟ ومن؟».

قـال السيد (ويزلى): «مـات (مـاد ـ آى)».

تحولت ابتسـامة التوءمين إلى تجهم من الصدمة.. لم يعرف أىٌّ منهمـا مـاذا عليه أن يفعل، كـانت (تونكس) تبكى فى صمت وهى تغطى عينيهـا بمنديل، كـان (هـارى) يعرف مدى قربهـا من (مـاد ـ آى)، فقد كـانت المفضلة لديه وتحت حمـايته فى وزارة السحر. جلس (هـاجريد) على الأرض فى الركن، حيث شغل معظم المساحة، وأخذ يمسح عينيه بمنديله الذى فى حجم مفرش المـائدة.

ومشى (بيل) إلى البوفيه وأحضر زجـاجة شراب وبعض الأكواب.

قـال (بيل): «خذوا» وبحركة من عصـاه أرسل اثنتى عشرة كأسًا طـائرة، ورفع الثلاثة عشر شخصًا كئوسهم إلى أعلى وقـال (بيل): «(مـاد ـ آى)».

ورددوا جميعًا: «(مـاد ـ آى)» وشربوا.

وردد (هـاجريد) متـأخرًا قليلاً عنهم وقد أصـابه الفواق: «(مـاد ـ آى)».

شعر (هـارى) بـالشراب النـارى يحرق حلقه، وبدا أنه يرسل المشاعر لتحرق أحشاءه مرة أخرى، ويطرد الخدر والأحـاسيس غير الواقعية ويملؤه بشعور يشبه الشجـاعة.

قـال (لوبين) الذى شرب كأسه فورًا: «إذن فقد انتقل (مندنجس) آنيًّـا؟».

تغير الجو على الفور؛ توتر الجميع وأخذوا ينظرون إلى (لوبين) يحثونه على الاستمرار، رغم تخوفهم ممـا يمكن أن يسمعوه.

قـال (بيل): «أنـا أعرف مـا تفكر به.. فكرت فى ذلك أيضًـا وأنـا فى طريقى إلى هنـا.. من الواضح أنهم كانوا فى انتظارنـا، أليس كذلك؟ ولكن (مندنجس) لا يمكن أن يكون

خائنًا، فهم لم يعرفوا بوجود سبعة (هارى)، لقد أربكهم ذلك لحظة ظهورنا، وإذا كنت قد نسيت، فأذكرك أن (مندنجس) نفسه هو الذى اقترح هذه الفكرة. لماذا إذن لم يذكر لهم النقطة الأساسية فى الخطة لو أنه هو الذى أخبرهم بها؟ أعتقد أنه شعر بالفزع بكل بساطة، فهو لم يكن يريد المشاركة منذ البداية وأجبره (ماد - آى) على ذلك، وقد بدأ (أنت - تعرف - من) بمطاردتهم.. إن ذلك كفيل بأن يشعر أى شخص بالفزع».

قالت (تونكس) وهى تبكى: «لقد تصرف (أنت - تعرف - من) كما توقع (ماد - آى) تمامًا.. قال (ماد - آى) أنه سيتوقع أن يكون (هارى) الحقيقى مع أقوى المدافعين وأكثرهم مهارة.. وقد بدأ بمطاردة (ماد - آى) فعلاً، وعندما هرب مندنجس، اتجه إلى (كنجسلى)..».

قالت (فلور) بلكنتها الفرنسية الواضحة: «إن كل ذلك جيد، ولكنه مازال لا يوضح كيف عرفوا أننا سنقوم بنقل (هارى) الليلة.. لقد أهمل شخص ما، وسرب الموعد لشخص من خارج الجماعة.. إن ذلك هو التفسير الوحيد لمعرفتهم الموعد لكن ليست الخطة بالكامل».

وأخذت تحدق إليهم جميعًا والدموع لا تزال تغطى وجهها الجميل، وبقوا جميعًا صامتين، بدون أن يجرؤ أحد منهم على مخالفتها.. بينما الصوت الوحيد الذى يقطع الصمت هو صوت فواق (هاجريد)، الذى خاطر بحياته لإنقاذ (هارى)، والذى يحبه ويثق به، والذى تم خداعه فى إحدى المرات لكى يعطى (فولدمورت) معلومات خطيرة فى مقابل بيضة تنين...

قال (هارى) بصوت عال: «لا». ونظروا جميعًا إليه مندهشين؛ يبدو أن الشراب النارى قد جعل صوته أكثر قوة من المعتاد، وأضاف (هارى): «أعنى... لو أن أحدًا أخطأ وقال شيئًا دون قصد، أعلم أنهم لم يقصدوا ذلك.. ذلك ليس خطأهم، وكرر ثانية بصوت أعلى قليلاً من الطريقة التى اعتاد أن يتحدث بها: يجب أن نثق فى بعضنا البعض.. إننى أثق بكم جميعًا، ولا أظن أن أى شخص فى هذه الغرفة سوف يبيعنى إلى (فولدمورت) أبدًا».

وتبع كلماته المزيد من الصمت.. كانوا جميعًا ينظرون إليه، وشعر (هارى) بالحرارة مرة أخرى وشرب بعض من شرابه ليشغل نفسه وبينما يشرب، فكر فى (ماد - آى).. كثيرًا ما انتقد (ماد - آى) استعداد (دمبلدور) للثقة فى الناس.

قال (فريد) بدون توقع: «أحسنت القول يا هارى».

قال (جورج): «حقًا». ونظر بطرف عينه إلى (فريد) الذى التوى فمه.

كان (لوبين) ينظر إلى (هارى) بغرابة؛ نظرات أقرب إلى الإشفاق.

سأله (هارى): «هل تعتقد أننى أحمق؟».

قال (لوبين): «لا، أعتقد أنك مثل (جيمس) الذى كان يعتبر عدم الثقة فى أصدقائه هو قمة العار».

فهم (هارى) ما يقصده (لوبين).. كان مَن خان والده واحدًا من أقرب أصدقائه إليه، (بيتر بيتيجرو). شعر بغضب غير منطقى وأراد أن يناقش، إلا أن (لوبين) التفت بعيدًا عنه ووضع كأسه على المائدة الجانبية، ووجه كلامه إلى (بيل): «هناك عمل لتقوم به، يمكننى أن أسأل (كنجسلى) إذا كان...».

رد (بيل) فورًا: «لا، سأفعل ذلك، سوف آتى معك».

قالت (فلور) و(تونكس) معا: «إلى أين أنتما ذاهبان؟».

قال (لوبين): «جثة (ماد ـ آى).. يجب أن نستعيدها».

قالت السيدة (ويزلى) وهى تنظر إلى (بيل) متوسلة: «ألا يمكن؟».

رد بيل: «ننتظر؟! ليس إلا إذا كنت تفضلين أن يأخذها آكلو الموت إذن؟».

لم يقل أحد شيئًا.. وودعهم (لوبين) وبيل وذهبا.

وجلس بقيتهم فى الكراسى، ماعدا (هارى) الذى ظل واقفًا.

وخيمت عليهم صدمة الموت ورهبته.

قال (هارى): «يجب أن أذهب أنا أيضًا».

حدقت إليه عشرة أزواج من العيون المذعورة.

قالت السيدة (ويزلى): «لا تكن سخيفًا يا (هارى)، عم تتحدث؟».

«لا يمكننى البقاء هنا».

ومسح جبينه، لقد كان يشعر بوخز فيه مرة أخرى؛ لم يكن قد ألمه بهذه الطريقة منذ أكثر من عام.

«إنكم جميعًا معرضون للخطر ما دمت أنا هنا. أنا لا أريد..».

قالت السيدة (ويزلى): «لا تكن سخيفًا! إن الهدف الوحيد لكل ما تم فعله الليلة هو وصولك هنا سالمًا، والحمد لله أن الخطة نجحت، وقد وافقت (فلور) على الزواج هنا بدلاً من فرنسا، وقمنا بجميع الترتيبات من أجل أن نبقى جميعًا معًا ونرعاك..».

إنها لم تفهم أنها جعلته يشعر بشعور أسوأ وليس أفضل.

«لو اكتشف (فولدمورت) أننى هنا».

سألت السيدة (ويزلى): «ولماذا يكتشف ذلك؟».

قال السيد (ويزلى): «اثنا عشر مكانًا يمكن أن تكون فيها يا (هارى) وليس لديه طريقة فى أىٍّ من تلك المنازل الآمنة أنت».

قال (هارى): «إننى لست قلقًا على نفسى!».

قال السيد (ويزلى) بهدوء: «نعرف ذلك، ولكن إذا رحلت فسيكون كل ما بذلناه الليلة بلا معنى».

صاح (هاجريد): «إنك لن تذهب إلى أى مكان، يا إلهى! بعد كل ما مررنا به الليلة لنصل إلى هنا؟!».

قال (جورج) وهو يرفع نفسه عن الوسائد: «نعم! وماذا عن أذنى النازفة؟».

«أنا أعرف ذلك..».

«لم يكن (ماد - آى) ليريدك..».

صاح (هارى): «أعرف!».

وشعر أنه محاصر ومعرض للابتزاز؛ هل يعتقدون أنه لا يعرف ما فعلوه من أجله، ألا يفهمون أنه من أجل هذا السبب بالتحديد، يريد الذهاب الآن.. حتى لا يتعرضوا للمزيد من المعاناة بسببه؟ وسادت فترة صمت طويلة مؤلمة، واستمرت ندبته فى النبض والوخز حتى قطعت السيدة (ويزلى) الصمت أخيرًا.

قالت محاولة تلطيف الجو: «أين (هدويج) يا (هارى)؟ يمكننا أن نضعها مع (بيجويدجين) ونعطيها شيئًا لتأكله».

وتقلصت أحشاؤه، ولم يكن قادرًا على إخبارها بالحقيقة، وشرب باقى كأسه ليتفادى الرد عليها.

قال (هاجريد): «انتظر حتى ينتشر الخبر وإنك قد فعلت ذلك ثانية يا (هارى)، لقد نجوت منه، وحاربته عندما كان على بعد خطوة منك!».

قال (هارى) بصراحة: «لم يكن أنا، إنها عصاى، لقد تصرفت وحدها».

وبعد عدة لحظات، قالت (هرميون) برقة: «لكن هذا مستحيل يا (هارى). تعنى أنك قمت بأداء سحر بدون أن تقصد؛ وتصرفت غريزيًا».

قال (هارى): «لا، كانت الدراجة تسقط، ولم أكن أستطع تحديد مكان (فولدمورت)، ولكن عصاى أدارت يدى ووجدته ورمته بتعويذة لم أستطع حتى تعرفُها، فأنا لم أجعل ألسنة ذهبية تخرج من طرف العصا من قبل».

قال السيد (ويزلى): «عادة ما نبدع ونؤدى سحرًا يفوق أحلامنا عندما نتعرض لضغط، وهذا ما يفعله الأطفال الصغار عادة قبل أن يتم تدريبهم..».

قال (هارى) وهو يجز على أسنانه: «لم يكن الأمر هكذا». كانت ندبته تؤلمه وشعر بالغضب والإحباط؛ لقد كره فكرة أن يتخيلوا جميعًا أن لديه قوى سحرية تماثل قوى (فولدمورت).

لم يقل أى منهم شيئًا وعرف أنهم لم يصدقوه. وعندما قلَّب الموضوع فى عقله، وجد أنه لم يسمع من قبل عن عصا تقوم بتأدية سحر من تلقاء نفسها.

ازداد الألم فى ندبته، وحاول بكل قوته أن يمنع نفسه من التأوه بصوت وغمغم بشىء عن الهواء المنعش ووضع كأسه وغادر الغرفة.

وبينما يقطع الفناء، رفع الثيسترال الضخم رأسه وهز أجنحته الضخمة التى تشبه أجنحة الخفافيش ثم عاد إلى أكل العشب وتوقف (هارى) عند البوابة التى تقود إلى الحديقة، وأخذ يحدق إلى نباتاتها التى نمت أكثر من اللازم ويدلك جبينه المتألم ويفكر فى (دمبلدور).. كان (دمبلدور) سيصدقه، إنه متأكد من ذلك وكان يعرف كيف ولماذا تصرفت عصا (هارى) بهذه الاستقلالية؛ لأن (دمبلدور) دائمًا لديه كل الإجابات؛ لقد كان يعرف كل شىء عن العصى السحرية، لقد شرح لـ(هارى) الصلة الغريبة التى تربط بين عصاه وعصا (فولدمورت)... ولكن (دمبلدور)، مثل (ماد ـ آى) و(سيريوس) ووالديه وبومته المسكينة.. كلهم ذهبوا إلى حيث لن يستطيع (هارى) الكلام معهم مرة أخرى.. وشعر باحتراق فى حلقه لا علاقة له بالشراب النارى هذه المرة..

ثم فجأة، وبدون سبب، وصل ألم رأسه إلى ذروته وبينما أمسك بجبينه وأغلق عينيه، صرخ صوت داخل رأسه.

«*لقد قلت لى إن المشكلة ستحل باستخدامى عصا أخرى*».

وظهرت داخل عقله رؤية تمثل رجلاً عجوزًا نحيلاً يرتدى ملابس مهترئة ويرقد على أرض حجرية وهو يصرخ.. صرخة فظيعة.. صرخة من يتعرض لألم فظيع لا يحتمل...

«لا، لا، أتوسل إليك، أتوسل إليك...».

«لقد كذبت على لورد (فولدمورت) يا (أوليفاندور)!».

«لم أفعل... أقسم إننى لم أفعل...».

«لقد قصدت مساعدة بوتر، مساعدته فى النجاة منى!».

«أقسم لك إننى لم أفعل... لقد اعتقدت أن عصا أخرى ستعمل...».

«فسر لى، إذن، ماذا حدث. لقد تحطمت عصا لوشيوس!».

«لا أستطيع أن أفهم.. إن الصلة موجودة بين عصاك وعصاه فقط».

«*أكاذيب!*».

«أرجوك.. أتوسل إليك...».

ورأى (هارى) اليد البيضاء ترفع عصاها وشعر بموجة الغضب الشرير التى سيطرت على (فولدمورت) ورأى الشيخ الضعيف وهو يئن على الأرض من شدة الألم.

«(هارى)؟».

وانتهى الأمر بنفس السرعة التى بدأ بها، ووقف (هارى) يرتجف فى الظلام وهو يمسك ببوابة الحديقة وقد تسارعت نبضات قلبه، بينما مازال يشعر بالوخز فى ندبته. ومرت لحظات عديدة قبل أن يدرك أن (رون) و(هرميون) بجواره.

وهمست (هرميون): «عد إلى المنزل يا (هارى)، هل مازلت تفكر فى الرحيل؟».

قال (رون) وهو يضرب (هارى) على ظهره: «نعم، يجب أن تبقى معنا يا صديقى».

سألت (هرميون) وقد أصبحت قريبة بما يكفى لترى وجهه: «هل أنت على ما يرام؟ إنك تبدو فى حالة مريعة!».

قال (هارى) بارتجاف: «حسنًا، ولكنى فى الأغلب أبدو فى حالة أفضل من (أوليفاندور)..».

وعندما انتهى من إخبارهم بما رآه، بدا (رون) مشدوها، بينما ظهر الرعب على (هرميون) بشكل واضح.

وقالت: «ولكن من المفروض أن هذا قد توقف! ندبتك ـ من المفروض ألا تفعل ذلك بعد الآن! يجب ألا تترك هذه الصلة تفتح بينك وبينه من جديد ـ لقد أرادك (دمبلدور) أن تغلق عقلك».

وعندما لم يجب، جذبت ذراعه.

وقالت: «(هارى)، لقد استولى على الوزارة والصحف ونصف المجتمع السحرى! نتركه داخل رأسك أيضًا».



٦ الغول الذى يرتدى البيجاما

خيمت صدمة خسارة (ماد ـ آى) على المنزل خلال الأيام التالية؛ وظل (هارى) يتوقع أن يراه داخلا عبر الباب الخلفى للجحر كباقى أعضاء الجماعة الذين كانوا يدخلون ويخرجون منه ليتبادلوا الأخبار. وشعر (هارى) أن الشيء الوحيد الذى يمكن أن يخفف إحساسه بالذنب والحزن، هو البدء فى مهمته للبحث عن الهوركروكسات وتدميرها بأسرع وقت ممكن.

قال (رون): «حسنًا، لا يمكنك أن تفعل شيئًا بخصوص..». وحرك شفتيه بكلمة *الهوركروكسات* بدون أن ينطقها وأكمل: «حتى تبلغ السابعة عشرة، فمازالت تعويذة التتبع موجودة عليك، ويمكننا أن نخطط للأمر هنا، ألا نستطيع؟ أم»وخفض صوته إلى حد الهمس: «هل تظن أنك أصبحت تعرف مكان أنت ـ تعرف ـ ماذا؟».

اعترف (هارى): «لا».

قال (رون): «أعتقد أن (هرميون) قد قامت ببعض الأبحاث، وقد قالت إنها تحتفظ بها حتى تصل أنت إلى هنا».

كانوا يجلسون على مائدة الإفطار؛ كان السيد (ويزلى) و(بيل) قد رحلا منذ قليل إلى العمل؛ وصعدت السيدة (ويزلى) لإيقاظ (هرميون) وجينى، بينما تركتهم (فلور) لتأخذ حمامًا.

قال (هارى): «ستنكسر تعويذة التتبع فى اليوم الحادى والثلاثين من الشهر، وهذا يعنى أننى أحتاج للبقاء هنا لمدة أربعة أيام فقط ثم يمكننى بعدها..».

صحح (رون) كلامه بجدية: «خمسة أيام، يجب أن ننتظر حتى نحضر حفل الزفاف، سيقتلوننا إذا لم نفعل».

وفهم (هارى) إنه يقصد (فلور) والسيدة ويزلى.

قال (رون): «إنه يوم واحد زيادة». وظهر التمرد على (هارى).

«ألا يدركون أهمية...؟».

قال (رون): «بالطبع لا يدركون، فليس لديهم فكرة عن الأمر، وبما أنك ذكرت ذلك، فأنا أريد أن أتكلم معك عنه».

ونظر (رون) من الباب إلى الصالة؛ ليتأكد أن السيدة (ويزلى) ليست فى طريقها للعودة بعد، ثم مال مقتربًا من (هارى).

وقال: «لقد حاولت أمى أن تعرف منى أنا و(هرميون)، ما الذى سنفعله وستكون أنت التالى، فاستعد، وقد سألنا أبى و(لوبين) أيضًا، ولكن عندما قلنا لهم إن (دمبلدور) طلب إليك ألا تخبر أى شخص سوانا، توقفوا عن سؤالنا ولكن ليس أمى، فهى قوية الإرادة».

تحقق توقع (رون) خلال ساعات، فقبل وقت الغداء بقليل، انتزعت السيدة (ويزلى) (هارى) من الآخرين بأن طلبت منه أن يأتى للتعرف على فردة جورب تعتقد أنها ربما أتت من حقيبته. وما إن انفردت به داخل حجرة الغسيل الصغيرة بالمطبخ حتى بادرُت بسؤاله، وبدأت بلهجة خفيفة عادية: «يبدو أن (رون) و(هرميون) يعتقدان أن ثلاثتكم لن تعودوا إلىَ (هوجوورتس)».

قال (هارى): «آه، حسنًا، هذا صحيح».

وفَتح جهاز كى الثياب وحده فى الركن وأخرج ملابس بدت تخص السيد ويزلى.

قالت السيدة (ويزلى): «هل يمكننى أن أسأل لماذا تنوون ترك دراستكم؟».

غمغم (هارى): «حسنًا، لقد ترك لى (دمبلدور) أشياء لأقوم بها، و(رون) و(هرميون) يعرفان الأمر ويريدان أن يأتيا معى».

«وما نوع هذه الأشياء؟».

«آسف لا أستطيع..».

قالت السيدة (ويزلى): «حسنًا، بصراحة، أعتقد أننا (آرثر) وأنا لنا الحق فى أن نعرف، وأنا متأكدة أن السيد والسيدة جرانجر يوافقاننا!».

كان (هارى) خائفًا من هجوم الآباء القلقين، وأجبر نفسه على النظر إلى عينى السيدة (ويزلى) مباشرة، ولاحظ عندما فعل ذلك أنهما كانتا بنفس درجة اللون البنى لعينى جينى، ولم يساعده ذلك.

«لم يرد (دمبلدور) أن يعرف أى شخص آخر بالأمر يا سيدة ويزلى. أنا آسف. (رون) و(هرميون) ليسا مضطرين لأن يأتيا معى، إنه خيارهم..».

قالت السيدة (ويزلى) بحدة وقد كفت عن التظاهر: «أنا لا أعتقد أن *عليك* أن تذهب أنت أيضًا، إنكم بالكاد وصلتم إلى سن الرشد! إن ما تقوله هراء، لو أن (دمبلدور) لديه ما يريد عمله، فإن لديه الجماعة بأسرها تحت إمرته! يمكن أن تكون قد أسأت فهمه يا (هارى). ربما كان يخبرك بشىء يريده أن يتم، وأنت اعتقدت أنه يقصد أن تقوم *أنت* به».

قال (هارى) بوضوح: «لم أسئ الفهم، يجب أن أكون أنا من يفعل لك».

وأعاد إليها فردة الجورب الذى كان من المفترض أن يتعرفه وكان مزينًا برسومات ذهبية:

«وهذه ليست لى، فأنا لا أشجع فريق بودليمر يونايتد».

قالت السيدة (ويزلى) وقد عادت فجأة إلى لهجتها العادية: «آه، بالطبع لا، كان يجب أن أعرف، حسنًا يا (هارى)، بما أنك مازلت معنا هنا، فلا أظن أنك تمانع فى المساعدة فى الإعداد لحفل زفاف بيل و(فلور) أليس كذلك؟ ما زال هناك الكثير الذى يجب عمله بعد».

قال (هارى) وقد جعله التغيير المفاجئ للموضوع يشعر ببعض الارتباك: «لا - أنا - بالطبع لا أمانع».

ردت عليه: «هذا لطف منك». وابتسمت وهى تترك غرفة الغسيل.

ومنذ هذه اللحظة، أبقت السيدة (ويزلى) (هارى) و(رون) و(هرميون) مشغولين بترتيبات حفل الزفاف، لدرجة أنهم لم يجدوا وقتا للتفكير؛ وكان أفضل تفسير لذلك هو أن السيدة (ويزلى) تريد أن تبعد تفكيرهم عن (ماد - آى) والرعب الذى تعرضوا له أثناء رحلتهم الأخيرة. ولكن بعد يومين من التنظيف المستمر لأدوات المائدة وتنسيق الألوان وتعليق الزينات والزهور والتخلص من أقزام الحديقة ومساعدة السيدة (ويزلى) فى طبخ أنواع عديدة من المعجنات والفطائر المختلفة، بدأ (هارى) يشك أن لها دافعًا آخر. فقد كانت المهام التى يطلب منهم عملها تبقيهم دائمًا بعيدًا عن بعضهم؛ ولم يجد فرصة للحديث معهم على انفراد منذ الليلة الأولى له فى الجحر عندما أخبرهم عن قيام (فولدمورت) بتعذيب (أوليفاندور).

قالت جينى لـ (هارى) بصوت هامس وهم يعدون المائدة من أجل العشاء فى ثالث ليلة له بالمكان: «أعتقد أن أمى تظن أنها إذا منعت ثلاثتكم من الجلوس معًا والتخطيط، فإنها بذلك ستؤخر رحيلكم».

وتمتم (هارى): «ثم ما الذى تظنه سيحدث بعد ذلك؟ شخص آخر سيقوم بقتل (فولدمورت)، بينما تحجزنا نحن هنا لنصنع فطائر ڤول - أو - فان؟».

تكلم (هارى) بدون تفكير ثم رأى وجه جينى وقد ابيض.

قالت: «إذن فالأمر حقيقى؟ هذا هو ما تنوون فعله؟».

قال (هارى) مراوغًا: «أنا - لا - لقد كنت أمزح».

وأخذا ينظران إلى بعضهما البعض، وأصبح تعبير جينى يحمل شيئًا أكثر من الصدمة. وفجأة أدرك (هارى) أن هذه هى المرة الأولى التى يكونان فيها على

انفراد معًا منذ تلك الساعات المسروقة التى كانا يقضيانها معًا فى الأركان المعزولة فى ملاعب (هوجوورتس). كان متأكدًا أنها تتذكرها أيضًا. وقفز كلاهما عندما فتح الباب ودخل السيد (ويزلى) و(كنجسلى) وبيل.

دائمًا ما كان ينضم إليهم بعضٍ أعضاء الجماعة على العشاء الآن؛ لأن الجحر أصبح المقر الرئيسى للجماعة بدلاً من المنزل رقم 12 شارع جريمولد. وقد شرح السيد (ويزلى) الأمر له، بأنه بعد وفاة (دمبلدور)، حافظ السر، أصبح كل واحد من الذين استودعهم (دمبلدور) سر مكان جريمولد حافظًا للسر فى المقابل.

«وبما أن هناك حوالى عشرين يعرفون مكانه، فإن تأثير تعويذة عدم كشف السر تخف بنسبة كبيرةٍ مما يزيد فرص وصول السر إلى آكلى الموت عشرين مرة، ولا يمكننا أن نتوقع أن يستمر المكان خافيًا عنهم أكثر من ذلك».

وسأل (هارى): «ولكن بالتأكيد سيكون (سناب) قد أخبر آكلى الموت بالعنوان الآن؟».

«حسنًا، لقد وضع (ماد - آى) بعض اللعنات ضد (سناب) فى حالة ما إذا ظهر هناك مرة أخرى. ونأمل أنها ستكون قوية بما يكفى لتبعده عن المكان وتخرس لسانه إذا حاول أن يتكلم عنه، ولكن لا يمكننا أن نكون واثقين من الأمر. كما أن الاستمرار فى استخدام المكان كمقر للجماعة صار جنونًا بعد أن أصبحت الحماية حول المكان غير مستقرة».

كان المطبخ مزدحمًا جدًا هذه الليلة لدرجة أنه أصبح من الصعب المناورة بالسكاكين والشوك. ووجد (هارى) نفسه جالسًا بجوار جينى؛ وجعلته الأشياء التى تنتقل بينهما بدون كلام، يتمنى لو أن عددًا من الناس فصل بينهم فى الجلوس. كان يحاول بكل جهده تجنب لمس ذراعها حتى إنه بالكاد لمس قطع دجاجته.

سأل (هارى) بيل: «أهناك أخبار عن (ماد - آى)؟».

رد بيل: «لا شىء».

لم يستطيعوا عمل جنازة لمودى؛ لأن بيل و(لوبين) فشلا فى استرجاع جثته. كان من الصعب تحديد المكان الذى سقط فيه، خاصة بسبب الظلام والارتباك الذى سببته المعركة.

وأكمل بيل: «لم ترد أى أخبار فى *المتنبئ اليومى* عن موته أو العثور على جثته، ولكن هذا لا يعنى شيئًا. فهم يتكتمون على الكثير من الأخبار هذه الأيام».

وسأل (هارى) السيد (ويزلى) عبر المائدة: «ألم يحددوا جلسة استماع عن كل السحر الذى قمتُ به للهروب من آكلى الموت، رغم عدم بلوغى سن الرشد؟».

وعندما هز السيد (ويزلى) رأسه أكمل (هارى) قائلاً: «بسبب أنهم يعرفون أننى لم يكن لدى خيار، أم أنهم لا يريدوننى أن أخبر العالم أن (فولدمورت) قد هاجمنى؟».

«السبب الأخير على ما أظن؟ فـ(سكريمجور) لا يريد الاعتراف بأن (أنت ـ تعرف ـ من) يضاهيه قوة، ولا أن أزكابان قد شهد هروبًا جماعيًا».

قال (هارى): «صحيح، لماذا يخبر الناس بالحقيقة؟». كان ممسكًا بسكينه بقوة لدرجة أن الندوب الصغيرة الموجودة على ظهر يده اليمنى ظهرت بعد أن أصبحت أكثر بياضًا من لون جلده: «يجب *ألا أقول الأكاذيب*».

قال (رون) غاضبًا: «أليس هناك أحد فى الوزارة مستعدًا للوقوف أمامه؟».

رد السيد (ويزلى): «بالطبع يا (رون)، ولكن الناس مرعوبون، مرعوبون من أن يكونوا هم من سيختفون لاحقًا، أو أن أولادهم هم من سيتعرضون للهجوم! هناك شائعات فظيعة تدور، أنا لا أصدق مثلاً، أن أستاذة دراسات العامة فى (هوجوورتس) قد استقالت. لا أحد رآها منذ أسابيع، وفى هذه الأثناء، يظل (سكريمجور) مغلقًا على نفسه داخل مكتبه طوال اليوم: كل ما أرجوه أن يكون يعمل على إنجاز خطة ما».

ومرت فترة صمت، نقلت فيها السيدة (ويزلى) الأطباق الخالية جانبًا باستخدام السحر وقامت بتقديم فطيرة التفاح.

وبعد أن انتهى الجميع من أكل الحلوى قالت (فلور): «يجب أن نقرر كيف ستتنكر من أجل الحفل يا (هارى)؛ وعندما ظهر عدم الفهم على (هارى) قالت: «بالطبع ليس بين ضيوفنا آكلو موت، ولكننا لا نضمن ألا يبوحوا بالسر عرضًا بعد أن يتناولوا الشراب».

وفهم (هارى) من كلامها أنها مازالت تشك فى (هاجريد).

قالت السيدة (ويزلى) من على رأس المائدة: «نعم، أنتِ على حق». كانت نظارتها على أنفها وهى تراجع قائمة المهام الضخمة التى كتبتها على رق طويل جدًا وقالت: «والآن يا (رون)، هل أنهيت تنظيف غرفتك؟».

هتف (رون) وهو يرمى بملعقته ويحدق إلى والدته: «*لماذا*؟ لماذا يجب أن أنظف غرفتى؟ أنا و(هارى) مستريحان فيها كما هى!».

«سنقيم حفل زفاف أخيك هنا بعد أيام قلائل يا فتى..».

سأل (رون) غاضبًا: «وهل سيتزوجان فى غرفتى؟ لا! إذن لماذا بحق قبعة (ميرلين) المتهدلة..».

قال السيد (ويزلى) بحزم: «لا تكلم أمك بهذه الطريقة، ونفذ ما سمعته».

عبس (رون) فى وجه والديه وأمسك بملعقة وهاجم آخر لقيمات من فطيرة التفاح.

أخبر (هارى) (رون): «يمكننى أن أساعد، فأنا مسئول عن بعض الفوضى الموجودة بها». ولكن السيدة (ويزلى) قطعت عليه الطريق.

«لا يا عزيزى (هارى)، أفضل أكثر لو أنك ساعدت (آرثر) فى تنظيف عشة الدجاج. وأنت يا (هرميون)، سأكون ممتنة لك لو أنك غيرت مفارش السرير لمسيو ومدام (ديلاكور)، أنت تعرفين أنهم سيصلون غدًا فى الحادية عشرة صباحًا».

ولكن اتضح أن المطلوب عمله للدجاج قليل جدًا.

قال السيد (ويزلى) لـ (هارى) وهو يغلق الطريق أمامه إلى داخل حظيرة الدجاج: «ليس هناك حاجة لأى مساعدة، ولكن لا تذكر الأمر لمولى، لقد أرسل لى تيد (تونكس) معظم ما بقى من دراجة (سيريوس)، وأنا أخفى - أو قل احتفظ به - هنا. إن بها أشياء رائعة؛ هناك مكبس للعادم، هذا اسمه على ما أعتقد، وبطارية رائعة وستكون فرصة عظيمة لمعرفة كيف تعمل الفرامل. سأحاول أن أعيد تجميعها مرة أخرى عندما تكون مولى - أقصد عندما يكون لدى وقت».

وعندما عادوا إلى المنزل، لم يروا السيدة (ويزلى) فى أى مكان قريب، لذلك انتهز (هارى) الفرصة وانسل صاعدًا حجرة (رون) الموجودة بالدور العلوى.

قال (رون): «ها أنا أقوم بتنظيفها». وعندما رأى (هارى) يدخل الغرفة، قال بارتياح: «آه، إنه أنت». واستلقى على السرير الذى من الواضح أنه تركه لتوه. ووجد (هارى) الغرفة على حالها من الفوضى كما كانت طوال الأسبوع؛ الشىء الوحيد المختلف هو وجود (هرميون) التى تجلس الآن فى الركن البعيد وقطها الزنجبيلى اللون كروكشانكس عند قدميها، وتقوم بفرز الكتب، والتى أدرك (هارى) أن بعضها يخصه، إلى كومتين هائلتين.

قالت بينما جلس (هارى) على سريره الذى يطوى: «أهلاً (هارى)».

«كيف استطعت أن تهربى؟».

قالت (هرميون): «آه، لقد نسيت والدة (رون) أنها طلبت إلىَّ أنا و(جينى) أن نقوم بتغيير مفارش السرير أمس». ورمت كتاب *علم الأعداد السحرية وقواعده* فوق إحدى الكومات وكتاب *صعود وهبوط فنون الظلام* إلى الكومة الأخرى.

أخبر (رون) (هارى): «لقد كنا لتونا نتكلم عن (ماد - آى)، أظن أنه يمكن أن يكون قد نجا».

قال (هارى): «ولكن بيل رآه عندما ضربته اللعنة القاتلة».

قال (رون): «نعم ولكن بيل أيضًا كان يتعرض للهجوم فى نفس اللحظة، كيف يمكنه أن يكون متأكدًا مما رآه؟».

قالت (هرميون) وهى تزن كتاب *فرق الكويدتش فى بريطانيا وأيرلندا* بيدها: «ولكن حتى لو كانت اللعنة أخطأته، فلا يمكنه النجاة بعد أن وقع لمسافة ألف قدم».

«ويمكن أن يكون قد استخدم تعويذة درع..».

قال (هارى): «لقد قالت (فلور) أن عصاه طارت من يده».

قال (رون) عابسًا وهو يلكم وسادته لتأخذ شكلاً أكثر راحة: «حسنًا، حسنًا، إذن كنتم تريدانه ميتًا!».

قالت (هرميون) وقد ظهرت عليها الصدمة: «بالطبع لا نريده ميتًا! من المحزن أن يكون قد مات! ولكننا نريد أن نكون واقعيين!».

لأول مرة، تصور (هارى) جسد (ماد ـ آى) وهو محطم كما كان (دمبلدور)، بينما تلك العين السحرية مازالت تئز داخل محجرها، وشعر بفورة نفور مختلطة مع رغبة غريبة فى أن يضحك.

قال (رون) بحكمة: «ربما قام آكلو الموت بإخفاء آثار المعركة وهذا تسبب فى أن أحدًا لم يعثر عليه».

قال (هارى): «نعم مثلما حدث لبارى كرواتش، عندما حولوه إلى عظمة ودفن فى الحديقة الأمامية لكوخ (هاجريد). ربما يكونون قد قاموا بتحويل (مودى) وحنطوه».

وعلا صوت (هرميون) الباكى: «لا!». ونظر (هارى) إليها مصدومًا ليراها قد انفجرت فى البكاء وهى ممسكة بكتاب *أبجدية سبيلمان*.

قال (هارى) وهو يكافح القيام من فوق سريره القديم بصعوبة: «أوه، لا، لم أكن أحاول أن أضايقك يا (هرميون)..».

وقفز (رون) من فوق سريره الذى أصدرت سوستته الصدئة صوت صريرًا عاليًا ووصل إلى (هرميون) أولاً، ووضع إحدى ذراعيه حولها، بينما أخرج من جيب بنطاله منديلاً شديد الاتساخ كان قد استخدمه فى وقت سابق فى تنظيف الفرن وأخرج عصاه بسرعة وأشار بها إلى قطعة القماش المهترئة وقال: «تيرجو».

ونظفت العصا معظم الشحم الموجود على المنديل وبدا (رون) فرحًا بنفسه إلى حد ما وهو يعطيه إلى (هرميون) وهو مازال يدخن قليلاً.

ومخطت (هرميون) أنفها وأصابها بعض الفواق وهى تقول: «آه... شكرًا يا رون... أنا آسفة... ولكن الأمر فـ ـظيع أليس كذلك؟ بعد أن ـ أن مات (دمبلدور)... أنا فقط لا ـ لا أستطيع تخيُّل موت (ماد ـ آى). لقد كان يبدو شديد الصلابة!».

قال (رون) وهو يعانقها: «نعم، أعرف، ولكنك تعرفين ما الذى كان سيقوله لو أنه هنا؟».

قـالت (هرميون) وهـى تمسح عينيها: «الحـ ـ حـذر والتيقظ الدائم».
قـال (رون) وهـو يومئ برأسه: «هذا صحيح، كـان سيقول لنـا أن نتعلم ممـا حدث لـه. ومـا تعلمته هو ألا أثق أبدًا بـهذا القصير التـافه الجبـان مندنجس».
ضحكت (هرميون) بحزن ومـالت إلى الأمـام لتلتقط كتـابين آخرين.
وبعد ثـانية، انتزع (رون) ذراعه من حول كتفيها بسرعة فقد أوقعت *الكتاب الوحشى عن الوحوش* على قدمه وانفكَّ الكتـاب من الحزام الذى يمسك أجزاءه وهـاجم (رون) بشراسة.
صـاحت (هرميون): «أنـا آسفة، أنـا آسفة!». بينمـا شد (هـارى) الكتـاب من قدم (رون) وأعـاد غلقه بإحكام.
سأل (رون) وهـو يعرجُ عـائدًا إلى سريره: «مـا الذى ستفعلينه بكل هذه الكتب على أية حـال؟».
قـالت (هرميون): «أحـاول فقط أن أقرر أيهم سنـأخذه معنـا عندمـا نذهب للبحث عن الـهوركروكسـات».
قـال (رون) وهـو يضرب جبهته بيده: «آه، صحيح، لقد نسيت أننـا سنطارد (فولدمورت) ونـحن نركب داخل مكتبـة متـحركة».
قـالت (هرميون): «هـا هـا» ثم نظرت إلى أسفل نحو كتـاب *أبجدية سبيلمان* وقـالت: «أتساءل إن كنـا سنحتـاج لترجمة أى رموز قديمة هذا ممكن... أظن أن من الأفضل أن نـأخذه، لنكون فى أمـان».
وضعت الكتـاب على الكومة الكبرى والتقطت كتـاب *تـاريخ (هوجوورتس)*.
قـال (هـارى): «اسمعـا».
كـان قد اعتدل فى جلسته ونظر إليه (رون) و(هرميون) ووجهـاهمـا يحملان تعبيرًا ممـاثلاً عبـارة عن خليط من التسليم وعدم المبـالاة بـالخطر.
وبدأ (هـارى): «أعرف أنكمـا قلتمـا بعد جنـازة (دمبلدور) أنكمـا تريدان القدوم معى».
قـال (رون) لـ(هرميون) وهـو يدير عينيه: «هـاهو قد بدأ».
تنهدت (هرميون) وهـى تعود إلى الكتب: «كمـا نعرف أنـه سيفعل، أتعرف، أعتقد أننى سآخذ كتـاب *تـاريخ (هوجوورتس)*، حتـى لو كنـا لن نعود إلى هنـاك، لا أظن أننى سأكون مستريحة لو أنه ليس...».
قـال (هـارى) مجددًا: «اسمعـا».
قـالت (هرميون): «لا يـا (هـارى)، اسمع *أنت*. نـحن آتيـان معك. لقد قررنـا ذلك منذ شهور مضت ـ بل سنوات فـى الحقيقـة».

«ولكن».

قال (رون) ناصحًا: «اسكت».

أكمل (هارى): «ـ هل أنتما متأكدان من أنكما فكرتما جيدًا فى الأمر؟».

قالت (هرميون) وهى ترمى كتاب نزهات *مع الغيلان* على الكومة المنبوذة بنظرة حادة نوعًا ما: «لنر، لقد بدأت بتجهيز أمتعتى منذ أيام طويلة، ونحن مستعدان للرحيل بمجرد أن تقول لنا هيا، ولمعلوماتك لقد قمنا بعمل الكثير من السحر الصعب، وغنى عن الذكر تهريب مخزون وصفة التخفى الخاصة بـ(ماد ـ آى) بالكامل دون علم والدة (رون).

«كما أننى قمت بتعديل ذاكرة والدى، حتى إنهما مقتنعان الآن بأنهما يدعيان (ويندل) و(مونيكا ويلكينز) وأن طموحهما فى الحياة هو الهجرة إلى أستراليا، وهو ما فعلاه الآن. وذلك حتى يصعب على (فولدمورت) تتبع آثارهما ويستجوبهما عنى أو عنك؛ لأننى لسوء الحظ، قد أخبرتهما بأشياء كثيرة عنك.

إذا نجوت وعدت من رحلة بحثنا عن الهوركروكسات، فسوف أجد أمى وأبى وأرفع عنهما السحر. وإذا لم أعد، حسنًا، فأعتقد أننى وضعت عليهما تعويذة كافية لتبقيهما فى أمان وسعادة. فـ (ويندل) و(مونيكا ويلكينز) لا يعرفان أن لديهما ابنة».

كانت عينا (هرميون) مغرورقتين بالدموع من جديد. وقام (رون) من السرير مرة أخرى ووضع ذراعه حول كتفيها وعبس فى وجه (هارى) وكأنه يعنفه على افتقاره للكياسة، لم يستطع (هارى) أن يفكر فى شىء يقوله، وخاصة لأنه كان من غير المعتاد تمامًا أن يعلم (رون) أى شخص آخر حسن التصرف.

« أنا ـ آسف ـ جدًا ـ يا (هرميون) ـ لم..».

«لم تدرك أننا ـ أنا و(رون)، نعلم جيدًا ما يمكن أن يحدث لنا لو أتينا معك؟ حسنًا إننا نعلم تمامًا ما نحن مقبلان عليه، أريه يا (رون) ما فعلت».

قال (رون): «لا، لقد أُكل منذ قليل».

(هرميون): «أخبره، إنه يريد أن يعرف!».

رون: «آه، حسنًا، تعال يا (هارى)».

للمرة الثانية سحب (رون) ذراعه من حول (هرميون) وخرج من الباب.

رون: «هيا».

سأل (هارى) وهو يتبع (رون) خارجًا من الغرفة إلى الدرج: «لماذا؟».

قال (رون) وهو يشير بالعصا إلى السقف المنخفض: «ديسكيندو». وفتحت كوة فوق رأسيهما تمامًا وانزلق منها سلم حتى أقدامهما، كان هناك صوت فظيع كأنه

خليط من صوت أنين وصوت شفط شيء يخرج من الفتحة المربعة، ومعه رائحة كريهة مثل رائحة المجارى المفتوحة.

سأله (هارى): «هذا هو غولكم؛ أليس كذلك؟». لم يكن قد رأى هذا المخلوق من قبل ولكنه كان يصدر أحيانًا ضوضاء تزعجهم فى سكون الليل.

قال (رون) وهو يصعد السلم: «نعم، هو، تعال وانظر إليه».

تبع (هارى) (رون) صاعدًا وراءه السلالم القليلة القصيرة إلى داخل الحجرة العلوية الصغيرة، كان رأسه وكتفاه قد دخلت فى الغرفة قبل أن يرى المخلوق نائمًا فى الظلام وقد انكمش حول نفسه على بعد أقدام قليلة منه وفمه الواسع مفتوح على آخره.

(هارى): «ولكنه... إنه يبدو... هل ترتدى الغيلان فى العادة بيجامات؟».

قال (رون): «لا، وليس لديها فى العادة شعر أحمر أو هذا العدد من البثور».

تأمل (هارى) هذا المخلوق وشعر ببعض النفور. كان يبدو آدميًا فى الحجم وشكل الجسم وكان يرتدى ما أدرك (هارى) بعد أن اعتادت عيناه الظلام بيجاما قديمة من بيجامات رون. وكان أيضًا متأكدًا أن الغيلان عادة ما تكون صلعاء وتغطى أجسامها مادة لزجة إلى حد ما، بدلاً مما يراه من الشعر الذى يغطى رأسه بوضوح والفقاقيع البنفسجية الغاضبة.

قال (رون): «إنه أنا، هل تلاحظ؟».

قال (هارى): «لا، لا ألاحظ ذلك».

قال (رون): «سأوضح لك الأمر عندما نعود إلى غرفتى، فإن الرائحة تضايقنى».

ونزلا السلالم، وأغلق (رون) السقف وانضما إلى (هرميون) ليجداها لا تزال تفرز الكتب.

قال (رون): «ما إن نرحل حتى ينزل الغول ليعيش فى غرفتى، أعتقد أنه يتطلع إلى ذلك فعلاً.. حسنًا، من الصعب أن أعرف ذلك، فكل ما يفعله هو أن يعوى ويسيل اللعاب من فمه ـ ولكنه يومئ برأسه كثيرًا عندما أذكر الأمر على أية حال وعندما نرحل، سيكون أنا وقد غطتنى البثور. جيد، هه؟».

ظهرت الحيرة فقط على وجه (هارى).

ظهر الإحباط على (رون) لعدم إدراك (هارى) لعبقرية الخطة وقال: «بالطبع فكرة جيدة! انظر، عندما لا يعود ثلاثتنا إلى (هوجوورتس)، سيظن الجميع أننا لابد أن نكون معك، أليس كذلك؟ وهذا يعنى أن آكلى الموت سيذهبون مباشرة لعائلاتنا ليعرفوا إن كان لديهم أى معلومات عن مكان وجودك».

قالت (هرميون): «ولكننا نأمل أن يبدو الأمر كما لو أننى رحلت مع والدى، فالكثير من المولودين لآباء من العامة يفكرون فى الاختفاء فى هذه اللحظة».

قال (رون): «أما بالنسبة لعائلتى، فلا يمكن إخفاء جميع أفرادها، سيبدو الأمر مريبا جدًا، كما أنهم لا يستطيعون جميعًا ترك وظائفهم. لذلك، فسنقول إننى مريض جدًا بمرض جلدى معد؛ ولهذا لا يمكننى العودة إلى المدرسة، وإذا حدث أن جاء أحد ليتأكد من الأمر، يمكن لأبى وأمى أن يُرياه الغول وهو نائم فى فراشى وقد غطته الفقاقيع وبما أنه مرضٌ معدٍ، فإنهم لن يحاولوا الاقتراب منه، ولن يكون من المهم أن يقول أى شىء أيضًا، فمن المعروف أنك لا تستطيع الكلام عندما يصل الفطر إلى لِهاة حلقك».

سأل (هارى): «هل يعرف والداك بهذه الخطة؟».

قال (رون): «والدى يعرف، فقد ساعد (فريد) و(جورج) فى تحويل الغول. أما أمى... حسنًا، لقد رأيت كيف تفكر. إنها لن تقبل برحيلنا، إلا بعد أن نذهب فعلا».

ساد الصمت الغرفة، لا يقطعه إلا أصوات مكتومة بسيطة، حيث استمرت (هرميون) فى إلقاء الكتب على إحدى الكومتين أو الأخرى، بينما جلس (رون) يراقبها. وأخذ (هارى) ينقل بصره بينهما وهو غير قادر على قول أى شىء. فقد جعلته الإجراءات التى اتخذوها لحماية أسرهم يدرك أكثر من أى شىء آخر فعلوه أنهم بالفعل سيأتون معه وأنهم يدركون جيدًا مدى خطورة هذا الأمر. كم أراد أن يخبرهم عما يعنيه هذا بالنسبة له ولكنه ببساطة لم يجد كلمات على درجة كافية من الأهمية ليقولها.

وقطع الصمت فجأة صوت السيدة (ويزلى) المكتوم وهى تصيح من أربعة طوابق أسفلهم.

قال (رون): «ربما تكون جينى قد تركت بعض الأتربة على حلقة مفرش المائدة. لا أعرف لماذا توجب على (آل ديلاكور) أن يأتوا مبكرًا قبل حفل الزفاف بيومين».

قالت (هرميون) وهى تنظر بتردد لكتاب *لقاء مع جنية ناعقة*: «ستكون أخت (فلور) وصيفتها فى الزفاف، ويجب أن تكون هنا من أجل بروفة الحفل وهى أصغر من أن تأتى بمفردها».

قال (رون): «سيزيد وجود الضيوف من توتر أمى».

ألقت (هرميون) كتاب نظرية *السحر الدفاعى* إلى الكتب المتروكة بدون نظرة ثانية والتقطت كتاب تقييم *التعليم السحرى فى أوربا*، وقالت: «ما يجب أن نتفق

عليه هو المكان الذى سنذهب إليه بعد أن نرحل من هنا. أنا أعرف أنك قلت إنك تريد الذهاب إلى جورديك هولو أولا يا (هارى) وأنا أفهم لماذا، ولكن... حسنًا... ألا يجب أن نعطى الهوركروكسات الأولوية؟».

قال (هارى): «لو كنا نعرف مكان أى من الهوركروكسات، لكنت قد وافقتك». لم يكن (هارى) يصدق أن (هرميون) تتفهم فعلا رغبته فى العودة إلى جورديك هولو. زيارة قبر والديه ليست إلا جزءًا صغيرًا من السبب. فلديه شعور قوى، لا تفسير له، أن المكان يحمل إجابات لأسئلته. ربما لأنه المكان الذى شهد نجاته من لعنة (فولدمورت) القاتلة؛ وبما أنه معرض الآن لنفس المصير من جديد، يريد العودة إليه، وفهم ما حدث.

سألت (هرميون): «ألا تعتقد أن هناك احتمال أن (فولدمورت) قد وضع مراقبة على جورديك هولو؟ ربما يكون قد توقع عودتك لزيارة قبر والديك عندما تصبح حرًا فى الذهاب إلى أى مكان يعجبك؟».

لم يخطر هذا فى بال (هارى) من قبل، وبينما يكافح لإيجاد حجة ليعارضها بها، تكلم (رون) وكان من الواضح أنه يتبع تيار أفكاره الخاص.

قال: «هذا الشخص ر.أ.ب، هذا الذى سرق القلادة الحقيقية».

أومأت (هرميون).

رون: «لقد قال فى رسالته إنه كان سيحطمها، أليس كذلك؟».

سحب (هارى) حقيبة الكتف تجاهه وسحب من داخلها الهوركروكس المزيف الذى لا تزال به رسالة ر.أ.ب.

وقرأ (هارى): «*لقد سرقت الهوركروكس الحقيقى وأنوى تدميره فى أقرب وقت ممكن*».

قال (رون): «حسنًا، ماذا لو أنه دمره بالفعل؟».

قالت (هرميون) معترضة: «أو أنها هى التى دمرته».

قال (رون): «مهما كان، هذا يعنى نقص واحد من العدد الذى يجب علينا تدميره!».

قالت (هرميون): «نعم، ولكن ما زال علينا أن نحاول تتبع القلادة الحقيقية، أليس كذلك؟ لنعرف إن كانت قد دُمرت أم لا».

سأل (رون): «ولكن عندما نصل إليه، كيف تستطيعين *أنت* تدمير هوركروكس؟».

قالت (هرميون): «حسنًا، لقد كنت أقوم بأبحاث فى هذا الموضوع».

سأل (هارى): «كيف؟ لقد اعتقدت أنه لا توجد كتب عن الهوركروكسات فى المكتبة».

قالت (هرميون) التى تحول وجهها إلى اللون الوردى: «لم يكن هناك، لقد رفعها (دمبلدور) جميعًا، ولكنه لم ـ لم يدمرها».

جلس (رون) معتدلاً وقد اتسعت عيناه.

وقال: «كيف بحق سروال ميرلين تمكنت من الوصول إلى كتب الهوركروكسات هذه؟».

قالت (هرميون) وهى تنظر من (هارى) إلى (رون) بنوع من اليأس: «إنها ليست ـ ليست سرقة! إنها ما زالت من كتب المكتبة حتى لو رفعها (دمبلدور) من على الرفوف. على أية حال، لو كان أراد فعلاً ألا يصل أحد إليها، أنا متأكدة أنه كان سيجعل الأمور أكثر صعوبة..».

قال (رون): «ادخلى فى الموضوع!».

قالت (هرميون) بصوت خفيض: «حسنًا... لقد كان الأمر سهلا، قمت باستخدام تعويذة استدعاء. أنت تعرف *أكسيو*. ووجدتها تطير من نافذة مكتب (دمبلدور) مباشرة إلى عنبر نوم البنات».

سأل (هارى) وهو ينظر إليها بمزيج من الإعجاب وعدم التصديق: «ولكن متى قمت بذلك؟».

قالت (هرميون) بصوت أضعف: «بعد جنازته ـ جنازة (دمبلدور) مباشرة، وبعد أن اتفقنا على ترك المدرسة والذهاب للبحث عن الهوركروكسات، لقد خطر لى الأمر عندما صعدت لأجلب حاجياتى ففكرت فى أنه كلما عرفت أكثر عن هذه الأشياء، كان ذلك أفضل... وكنت وقتها وحدى... لذلك حاولت... ونجح الأمر. لقد طارت مباشرة من خلال النافذة المفتوحة وقمت بحزمها معى».

وابتلعت ريقها ثم قالت بتوسل: «لا أصدق أن (دمبلدور) ما كان ليغضب، فنحن لن نستخدم المعلومات فى عمل هوركروكسات، أليس كذلك؟».

قال (رون): «هل تسمعيننا نشكو؟ أين هذه الكتب على أية حال؟».

بحثت (هرميون) للحظة ثم استخرجت من الكومة مجلدًا ضخمًا مغطًى بجلد أسود باهت، وقد ظهر عليها بعض الاشمئزاز وهى تحمله بحذر شديد كما لو أنه شىء مات حديثًا.

وقالت: «هذا الكتاب يعطى تعليمات واضحة عن كيفية عمل الهوركروكس. *أسرار أكثر فنون الظلام شرًا*، إنه كتاب فظيع، رهيب فعلاً، ملىء بالسحر الشرير. أتساءل متى رفعه (دمبلدور) من المكتبة... إذا كان لم يفعل ذلك حتى أصبح ناظرًا، فإنى أراهن أن (فولدمورت) قد حصل على كل المعلومات التى يحتاجها من هذا الكتاب».

سأل (رون): «لماذا سأل سلوجهورن عن كيفية عمل هوركروكس إذن، لو كان قد قرأ ذلك بالفعل؟».

قال (هارى): «لقد تقرب من سلوجهورن ليعرف ما الذى سيحدث عندما تقسم روحك إلى سبعة أقسام. كان (دمبلدور) متأكدًا من معرفة ريدل بكيفية عمل الهوركروكس عندما قام بسؤال سلوجهورن عنهم. وأعتقد أنك على حق يا (هرميون)، فمن الممكن جدًا أن يكون قد حصل على هذه المعلومات من هذا الكتاب بالذات».

قالت (هرميون): «كلما قرأت أكثر عنهم، ازدادوا بشاعة فى نظرى وأصبحت أقل تصديقًا أنه قام بصنع ستة منهم فعلاً. فهم يحذرونك فى الكتاب من عدم استقرار الباقى من روحك إذا قمت بتمزيقها، وهذا فى حالة قيامك بصنع هوركروكس واحد فقط!».

وتذكر (هارى) كلام (دمبلدور) عن تجاوز (فولدمورت) حدود «الشر المعتاد».

سأل (رون): «هل هناك طريقة لإعادة تجميع روحك مرة أخرى؟».

قالت (هرميون) بابتسامة جوفاء: «نعم، لكن ذلك سيكون مؤلمًا ألمًا لا يطاق».

سأل (هارى): «لماذا؟ كيف يتم ذلك؟».

قالت (هرميون): «تأنيب الضمير، يجب أن تشعر فعلاً بفظاعة ما فعلته. ومذكور فى الحاشية أن الألم يمكن أن يحطمك. لا أستطيع أن أتخيل (فولدمورت) يجرب. هل تستطيع أنت؟».

قال (رون) قبل أن يستطيع (هارى) الإجابة: «لا، ولكن هل يذكر الكتاب كيفية تدمير الهوركروكسات؟».

قالت (هرميون): «نعم». وأخذت تقلب الصفحات الرقيقة وكأنها تفحص أحشاء متعفنة وقالت: «لأنه يحذر سحرة الظلام وينصحهم بضرورة وضع تعاويذ قوية عليها وقد فهمت مما قرأته أن ما فعله (هارى) بمفكرة ريدل كان أحد الطرق القليلة الفعالة فى تدمير الهوركروكسات».

سأل (هارى): «ماذا؟ طعنه بناب حية الباسيليسك؟».

قال (رون): «نحن إذن محظوظون؛ لأن لدينا كمية كبيرة من أنياب الباسيليسك، لقد كنت أتساءل ماذا سنفعل بها؟».

قالت (هرميون) بصبر: «لا يلزم أن يكون ناب باسيليسك، لكنه يجب أن يكون شيئًا له قوة تدميرية كبيرة؛ حتى لا يستطيع الهوركروكس إصلاح نفسه، إن سم الباسيليسك ليس له إلا ترياق واحد وهو شديد الندرة..».

قال (هارى) وهو يومئ برأسه: «.. دموع العنقاء».

قالت (هرميون): «بالضبط، مشكلتنا أن هناك عددًا قليلاً من المواد له قوة تدميرية مثل سم الباسيليسك، ومن الخطر حملها والتحرك بها، وهذه مشكلة يجب

أن نجد لها حلاً، خاصة أن تمزيق أو تحطيم أو تكسير الهوركروكس لن يحقق المطلوب، يجب أن ندمره بشكل لا ينجح السحر فى إصلاحه».

قال (رون): «ولكن إذا استطعنا تدمير الشىء الذى تعيش فيه، ألا يمكن لهذا الجزء من الروح أن يذهب ويستمر فى الحياة داخل شىء آخر؟».

قالت (هرميون): «لأن الهوركروكس هو عكس الجسد البشرى تمامًا»، ظهرت الحيرة على وجه (هارى) و(رون) بجلاء، فأسرعت (هرميون) بإكمال كلامها: «انظرا، إذا التقطت سيفًا الآن يا (رون)، وقمت بإمراره خلالك، فسأدمر جسدك، ولكنى لن أوذى روحك بالمرة».

قال (رون): «وهذا بالطبع سيكون عزاء حقيقيًا لى أنا متأكد».

ضحك (هارى).

قالت (هرميون): «يجب أن يكون كذلك بالفعل! ولكن ما أريد قوله هو أنه مهما حدث لجسدك، فستنجو روحك وتظل سليمة، بعكس الهوركروكس فقطعة الروح بداخله تعتمد على الشىء الذى يحتويها ـ أو جسدها المسحور من أجل البقاء، ولا يمكنها أن تعيش بدونه».

وتذكر (هارى) الحبر وهو يتدفق، مثل الدماء، من الصفحات بعد أن قام بطعنها وصرخات الجزء الذى كان موجودا بها من روح (فولدمورت) وهى تختفى وقال: «لقد ماتت تلك المفكرة نوعًا ما عندما قمت بطعنها».

«وما إن تم تدمير المفكرة تمامًا، لم يستطع جزء الروح الموجود بها أن يستمر فى الحياة. لقد حاولت جينى أن تتخلص من المفكرة قبلك بأن ترميها فى المرحاض، ولكن من الواضح أنها عادت مرة أخرى وكأنها جديدة».

قال (رون) عابسا: «انتظرا، لقد كان جزء الروح الموجود فى هذه المفكرة يمتلك (جينى)، أليس كذلك؟ كيف يعمل ذلك إذن؟!».

«مادام الوعاء السحرى الذى يحملها ما زال سليمًا، فإنه يمكن لجزء الروح داخله أن يتنقل داخلاً وخارجًا منه إلى شخص ما لو اقترب أكثر من اللازم من الشىء»، وأضافت قبل أن يتكلم (رون): «وأنا لا أقصد أن يحمله لفترة طويلة مثلاً، فالأمر ليس له علاقة بلمس الشىء، ولكن ما أقصده هو أن يقترب منه عاطفيًا. لقد وضعت جينى قلبها فى هذه المفكرة، وجعلت نفسها بذلك ضعيفة بشكل لا يصدق. فإنك تصبح فى مأزق حقيقى لو أنك تعلقت بالهوركروكس أو اعتمدت عليه».

قال (هارى): «أتساءل كيف استطاع (دمبلدور) تدمير الخاتم، لماذا لم أسأله؟ إننى لم...».

وخفت صوته حتى سكت، وأخذ يفكر بكل الأشياء التى كان يجب أن يسأل (دمبلدور) عنها، فمنذ موت الناظر، و(هارى) يشعر بأنه قد أهدر الكثير من الفرص عندما كان (دمبلدور) حيًّا؛ ليعرف أشياء أكثر، و... ليكتشف كل شيء...

وانتهى الصمت عندما فتح باب غرفة النوم بقوة هزت الجدران، وانكمشت (هرميون) وأوقعت كتاب *أكثر فنون الظلام* شرًّا، وأسرع (كروكشانكس) يختبئ تحت السرير وهو يهسهس بسخط؛ وقفز (رون) من فراشه، وانزلق على أحد أغلفة شيكولاتة الضفادع الملقاة على الأرض وضرب رأسه فى الحائط المقابل، ومد (هارى) يده غريزيا ليخرج عصاه قبل أن يدرك أنه كان ينظر إلى السيدة (ويزلى) التى كان شعرها مشعثا ووجهها ملتوٍ من شدة الغضب.

قالت بصوت مرتجف: «أنا آسفة جداً أن أقطع عليكم هذا التجمع الصغير الدافئ. أنا متأكدة أنكم تحتاجون إلى الراحة... ولكن هدايا حفل الزفاف مكدسة فى غرفتى وتحتاج إلى من يفرزها، وأنا أعتقد أنكم وافقتم على أن تقوموا بالمساعدة».

قالت (هرميون): «بالطبع سنفعل... نحن آسفون..». وقد بدا عليها الرعب وهى تقفز واقفة حتى أن الكتب تطايرت فى كل اتجاه.

وأسرعت (هرميون) تتبع السيدة (ويزلى) إلى خارج الغرفة وهى تنظر إلى (هارى) و(رون) فى ضيق.

وقال (رون) بصوت خافت وهو مازال يدلك رأسه ويتبعها مع (هارى): «إن ذلك أشبه بأن يكون المرء جنيًّا منزليًّا ولكن دون الإحساس بالرضا عن العمل. لن أشعر بأى سعادة حتى ينتهى هذا الحفل».

قال (هارى): «صحيح، ووقتها لن يكون لدينا شيء لنفعله سوى البحث عن الهوركروكسات... سيكون الأمر وكأننا فى إجازة، أليس كذلك؟».

بدأ (رون) يضحك، ولكنه ما إن رأى كومة الهدايا الكبيرة التى تنتظره فى حجرة السيدة ويزلى، حتى سكت فجأة.

وصلت (آل ديلاكور) فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى، وكان (هارى) و(رون) و(هرميون) وجينى يشعرون بالحنق نحو (آل فلور) بحلول ذلك الوقت، فقد اضطر (رون) إلى الصعود إلى غرفته مكرهًا ليغير جوربه ويلبس فردتين متشابهتين، وحاول (هارى) أن يسوى شعره. وعندما أصبحوا جميعًا على درجة كافية من الأناقة، تجمعوا فى الفناء الخلفى المشمس لينتظروا الزوار.

لم ير (هارى) المكان مرتبًا إلى هذه الدرجة من قبل؛ اختفت المراجل الصدئة والأحذية القديمة ذات الرقبة العالية التى كانت عادة مبعثرة على درجات السلم عند الباب الخلفى ووُضِع اثنان بدلاً من الشجيرات المرفرفة الجديدة الموجودة على كلا جانبى الباب داخل أوانى الزرع، ورغم عدم وجود أى نسيم، كانت الأوراق تتمايل بتكاسل، وتعطى تأثيرًا جذابًا، أما الحديقة فقد تم تقليمها وتشذيبها وقص حشائشها، لكن (هارى) الذى كان يحب حالتها القديمة وقد طالت حشائشها، فكر أنها تبدو مهجورة إلى حد ما بدون فرق أقزام الحدائق المعتادة.

لم يكن لدى (هارى) أى فكرة عن عدد التعاويذ الأمنية التى وضعت على الجحر سواء من الجماعة أو الوزارة، ولكن كل ما يعرفه هو أنه أصبح من غير الممكن لأى شخص أن يسافر بالسحر مباشرة إلى المكان؛ لذلك فقد ذهب السيد (ويزلى) لمقابلة (آل ديلاكور) فوق التل القريب، حيث كانوا سيصلون باستخدام أداة انتقال. وكان أول صوت يشير إلى اقترابهم، صوت ضحكة عالية النبرة، اتضح أنها ضحكة السيد (ويزلى) الذى ظهر عند البوابة بعد لحظات وهو محمل بالأمتعة ووراءه سيدة شقراء جميلة، ترتدى عباءة فى لون ورق الشجر، لا يمكن أن تكون إلا والدة (فلور).

صاحت (فلور): «*ماما! بابا!*». وأسرعت لتحتضن والدتها.

لم يكن مسيو (ديلاكور) جذابا كزوجته بأى حال من الأحوال، كان أقصر منها وشديد الامتلاء وله لحية سوداء مدببة صغيرة، لكنه بدا ذا قلب طيب. واتجه نحو السيدة (ويزلى) بحذائه ذى الرقبة العالية والكعب العالى. وقبلها مرتين على كل خد، وتركها مرتبكة.

قال بصوت عميق: «لقد تحملتم الكثير من التعب، لقد أخبرتنا (فلور) أنكم بذلتم الكثير من الجهد».

ردت السيدة (ويزلى): «أوه، لا مشكلة! لا مشكلة على الإطلاق! ليس هناك أى تعب بالمرة!».

خفف (رون) من توتره بأن ركل أحد أقزام الحديقة، وجده ينظر من وراء إحدى الشجيرات المرفرفة الجديدة.

قال مسيو (ديلاكور) وهو مازال يمسك يد السيدة (ويزلى) بين يديه الممتلئتين ويبتسم: «أيتها السيدة العزيزة! إنه لشرف عظيم لنا أن تتحد عائلتانا بهذا الزواج! اسمحى لى أن أقدم لكِ زوجتى، (أبوللينى)».

تقدمت مدام (ديلاكور) إلى الإمام وقامت بتقبيل السيدة (ويزلى) بدورها.
وقالت بالفرنسية: «*تشرفنا*. لقد حكى لنا زوجك قصصًا فى غاية التسلية!».
ضحك السيد (ويزلى) بشدة؛ ورمته السيدة (ويزلى) بنظرة، فصمت على الفور ورسم على وجهه تعبيرًا مناسبًا لزيارة أحد الأصدقاء المقربين المرضى.
قال السيد (ديلاكور): «وبالطبع التقيت بابنتى الصغيرة (جابرييل)!». كانت (جابرييل) ذات الأحد عشر عاما صورة مصغرة من (فلور)؛ شعرها ذو اللون الفضى الأشقر الخالص يصل إلى خصرها، ابتسمت للسيدة (ويزلى) ثم عانقتها، ثم ألقت إلى (هارى) نظرة حارة، وهى تحرك رموشها. وتنحنحت جينى بصوت عال.
قالت السيدة (ويزلى) بمرح: «حسنًا، تفضلوا! هيا!». ودخل (آل ديلاكور) إلى المنزل، بعد الكثير من «لا، أرجوك!». و «بعد منك!». و«لا شكر على واجب».
وسرعان ما اتضح أن أفراد (آل ديلاكور) ضيوف لطاف ومفيدون. فقد بدوا سعداء بكل شيء وحريصين على المساعدة فى تحضيرات حفل الزفاف. ووصف السيد (ديلاكور) كل تفصيلات الحفل بدءًا من ترتيب جلوس المدعوين الى أحذية وصيفات الشرف بأنها «رائعة!»، أما السيدة (ديلاكور)، فقد أظهرت مهارة واضحة فى التعاويذ المنزلية وقامت بتنظيف الفرن بشكل ممتاز فى لحظة؛ وأخذت (جابرييل) تتبع أختها الكبرى فى كل مكان، محاولة المساعدة بأى طريقة ممكنة وهى تتحدث الفرنسية بسرعة.
ومن جانب آخر، لم يكن الجُحر مبنيًا لاستيعاب هذا العدد الكبير من الناس. كان السيد والسيدة (ويزلى) ينامان الآن فى غرفة الجلوس، بعد أن رفضا احتجاجات السيد والسيدة (ديلاكور) وأصرا على أن يأخذا غرفة نومهما. شاركت (جابرييل) (فلور) فى غرفة (بيرسى) القديمة، بينما سيتقاسم (بيل) حجرته مع وصيفه (تشارلى)، عندما يصل من رومانيا. وأصبحت فرص اجتماعهم لوضع أى خطط معًا غير موجودة تقريبًا، وكانوا يائسين لدرجة ان (هارى) و(رون) و(هرميون) لجئوا إلى التطوع لإطعام الدجاج هربًا من ازدحام المنزل.
زمجر (رون): «يبدو أنها لن تتركنا أبدًا وحدنا!». بعد أن أحبط ظهور السيدة (ويزلى) محاولتهم الثانية للاجتماع فى الفناء عندما خرجت وهى تحمل سلة الغسيل الكبيرة بين ذراعيها.
وقالت وهى تقترب منهم: «ياه! جيد، لقد أطعمتم الدجاج. من الأفضل أن نحبسهم مرة أخرى قبل وصول الرجال فى الغد..». وأوضحت قائلة: «سيقومون بنصب خيمة

من أجل حفل الزفاف، ثم صمتت ومالت لتنظر إلى حظيرة الدجاج وقد ظهر عليها الإرهاق وقالت: «خيمات ميلامانت السحرية... إنها جيدة جداً. وسيقوم (بيل) بمرافقتهم.. من الأفضل أن تبقى فى الداخل بينما هم هنا يا (هارى). يجب أن أعترف بأن وجود كل تلك التعاويذ الأمنية حول المكان جعل تنظيم العرس أكثر تعقيدًا».

قال (هارى) بتواضع: «أنا آسف».

قالت السيدة (ويزلى) على الفور: «أوه! لا تكن سخيفًا يا عزيزى! لم أكن أقصد ذلك ـ حسنًا، إن سلامتك أهم بكثير! فى الحقيقة، لقد كنت أريد أن أسألك كيف تريد الاحتفال بعيد ميلادك يا (هارى). فيوم بلوغك السبعة عشر يومٌ مهمٌ على كل حال..».

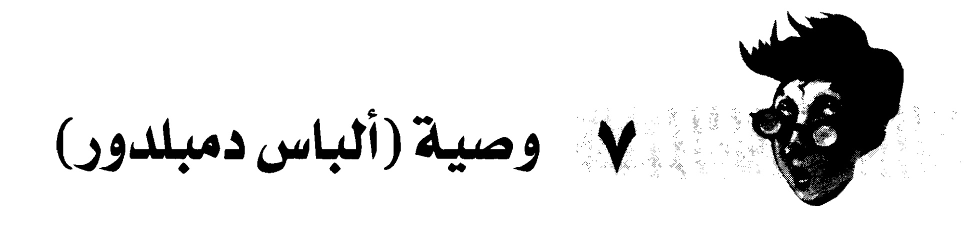
قال (هارى) بسرعة وهو يفكر فى الأعباء الإضافية التى سيسببها لهم: «لا أريد أى شىء كبير، حقًا يا سيدة (ويزلى)، مجرد عشاء عادى سيكون جيدًا... سيكون اليوم السابق على حفل الزفاف..».

«آه، حسنًا، إذا كنت متأكدًا يا عزيزى، فسوف أدعو (ريموس) و(تونكس)، ما رأيك؟ وماذا عن (هاجريد)؟».

قال (هارى): «سيكون ذلك رائعًا ولكن أرجوكِ لا تحملى نفسك الكثير من المشقة».

«لا مشكلة، لا مشكلة... ليست هناك أى مشقة على الإطلاق..».

نظرت إليه نظرة طويلة فاحصة، ثم ابتسمت قليلاً بحزن، واعتدلت، ومشت مبتعدة وأخذ (هارى) يراقبها وهى تلوح بعصاها قرب حبل الغسيل، بينما الملابس المبتلة ترتفع فى الهواء وتعلق نفسها على الحبل. وفجأة، شعر بشعور قوى بتأنيب الضمير يجتاحه بسبب الإزعاج والألم اللذين سيسببهما لها.



٧ وصية (ألباس دمبلدور)

كان يمشى فى ضوء الفجر الأزرق البارد، وفى الأسفل، كانت هناك بلدة صغيرة يلفها الضباب. هل سيجد الرجل الذى يبحث عنه هناك؟ الرجل الذى يريده بشدة لدرجة أنه لا يستطيع التفكير بشىء آخر، الرجل الذى لديه الحل، حل مشكلته...

«هيه، استيقظ».

فتح (هارى) عينيه. كان نائما مرة أخرى على سريره الصغير داخل غرفة (رون) العلوية المتسخة. لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ومازالت الغرفة مظلمة. كان بيجويدجين نائمًا ورأسه تحت جناحه الصغير وكان (هارى) يشعر بألم فى ندبته.

« لقد كنت تهمهم وأنت نائم».

«حقًا».

«نعم، (جريجوروفيتش)، لقد ظللت تقول: (جريجوروفيتش)».

لم يكن (هارى) واضعًا نظارته؛ لذلك كان وجه (رون) غير واضح.

«ومن هو (جريجوروفيتش)؟».

«لا أعرف، وكيف لى أن أعرف؟ لقد كنت أنت من يردد ذلك».

دعك (هارى) جبهته وهو يفكر. كانت لديه شعور غامض بأنه سمع بالاسم من قبل، ولكنه لا يستطيع أن يتذكر أين.

«أعتقد أن (فولدمورت) يبحث عنه».

قال (رون) بحرارة: «الرجل المسكين».

جلس (هارى) وهو مازال يدعك ندبته وقد أفاق من نومه الآن، وحاول أن يتذكر ما رآه فى حلمه، ولكن كل ما تذكره كان الأفق الجبلى والحدود الخارجية لقرية صغيرة قابعة فى وادٍ عميق.

«أعتقد أنه فى الخارج».

«من، (جريجوروفيتش)؟».

«(فولدمورت). أعتقد أنه فى مكان ما فى الخارج، يبحث عن (جريجوروفيتش). المكان الذى رأيته لا يشبه أى مكان فى بريطانيا».

«أتظن أنك كنت تنظر داخل عقله مرة أخرى؟».

كان (رون) يبدو قلقًا.

قال (هارى): «اصنع بى معروفا ولا تخبر (هرميون)، ولو أنى لا أعرف كيف تتوقع منى أن أوقف رؤية أشياء تأتينى فى نومى..».

حدق قليلاً إلى قفص بيجويدجين، وهو يفكر.. لماذا يبدو اسم (جريجوروفيتش) مألوفًا له؟

قال ببطء: «أعتقد أن له علاقة ما بالكويدتش. هناك صلة ما، ولكن لا أستطيع - لا أستطيع تحديد ما هى».

قال (رون): «الكويدتش؟ إنك لا تفكر بجريجوروفيتش بالتأكيد؟».

«من؟».

«دراجومير جورجوفيتش، مطارد، انتقل إلى فريق مدافع تشادلى بعد أن حقق رقمًا قياسيًا منذ عامين. فهو صاحب الرقم القياسى فى إمساك أكبر عدد من كرات الكوافل خلال موسم واحد».

قال (هارى): «لا، إننى بكل تأكيد لا أفكر فى جورجوفيتش».

قال (رون): «أنا أيضًا أحاول ألا أفكر فيه، حسنًا، عيد ميلاد سعيد على أية حال».

«واو! هذا صحيح، لقد نسيت! لقد أصبحت فى السابعة عشرة!».

أمسك (هارى) العصا الموجودة بجوار سريره، ووجهها نحو المكتب الملىء بالأشياء المكدسة حيث ترك نظارته وقال: «*أكسيو النظارة!*».

ورغم أنها لا تبعد سوى قدم واحد منه، فإنه شعر بسعادة كبيرة عندما رأى النظارة تطير متجهة نحوه، حتى ضربت عينيه على الأقل.

نخر (رون): «رائع».

احتفالاً بإزالة تعويذة التتبع من عليه، جعل (هارى) حاجيات (رون) تطير حول الغرفة، مما أيقظ بيجويدجين من نومه وجعله يحرك جناحيه متخبطا داخل قفصه بحماس. وحاول (هارى) أن يعقد رباط حذائه الرياضى باستخدام السحر، إلا أن فك العقدة الناتجة باليد استغرق دقائق عديدة، ثم حول (هارى) الملابس البرتقالية فى ملصقات فريق مدافع تشادلى الذى يشجعه (رون) إلى اللون الأزرق الزاهى؛ لأن الفكرة أثارت إعجابه فقط.

نصح (رون) (هـارى) قـائلاً: «مـا كنت لأجعل تلك الأشياء تطير بيدى». ثم ضحك عندما أوقفهم (هـارى) على الفور وقـال: «هذه هديتك، افتحـهـا هنـا، فـأنـا لا أريد أن تراهـا أمى».

قـال (هـارى) وهـو ينظر إلى العلبـة مستطيلة الشكل: «كتـاب؟ أليس هذا مختلفًا قليلاً عن العـادة؟».

قـال (رون): «إنـه ليس كتـابًا عـاديًا، إنـه منجم للذهب؛ *اثنتـا* عشرة *طريقة* مجربة *لجذب الساحرات*. إنـه يشرح كل مـا تحتـاج لمعرفته عن الفتيـات. لو أنـه كـان لدى العـام المـاضى، لكنت عرفت بـالضبط كيف أتـخلص من لافيندر وكيف أتعـامل مع... حسنًا، لقد أعطـانى (فريد) و(جورج) نسخة، وقد تعلمت الكثير منه. سوف تفـاجأ، فـالأمر لا يتعلق كله بـالعصى أيضًا».

وعندمـا وصلا إلى المطبخ، وجدا كومة من الهدايـا تنتظره فوق المـائدة كـان بيل ومسيو (ديلاكور) ينـهيـان فطورهمـا، بينمـا السيدة (ويزلى) واقفة بجوار المقلاة تتكلم معهمـا.

قـالت السيدة (ويزلى) وهـى تبتسم لـه: «لقد طلب منى (آرثر) أن أتمنى لك عيد ميلاد سعيدًا يـا (هـارى). كـان عليه أن يرحل مبكرًا إلى العمل، ولكنـه سيكون موجودًا وقت العشاء. هديتنـا لك هـى الموجودة على القمة».

جلس (هـارى) وأخذ العلبـة المربعـة التـى أشـارت إليهـا وفتـحـهـا وكـانت سـاعـة تشبه إلى حد كبير تلك التـى أهداهـا السيد والسيدة (ويزلى) لـ (رون) عندمـا بلغ السـابعة عشرة؛ كـانت مصنوعـة من الذهب وهنـاك نجوم تتحرك داخلهـا بدلاً من العقـارب.

قـالت السيدة (ويزلى) وهـى تنظر إليه مترقبـة من عند الموقد: «من التقليدى أن تهدى السـاحر سـاعـة عندمـا يصل إلى سن النضج، أخشى أنـهـا ليست جديدة كسـاعـة (رون)، لقد كـانت فـى الحقيقة ملكًا لأخى (فـابيـان) ولم يكن يحـافظ على متعلقـاته كثيرًا. إن بـهـا نقرة صغيرة فـى الخلف، ولكن...».

ولم تستطع أن تكمل كلامـهـا؛ لأن (هـارى) وقف واحتضنـهـا وحـاول أن يضع الكثير من الأشيـاء التـى أراد قولهـا فـى هذا العنـاق وربمـا تكون قد فـهمتـهـا؛ لأنـهـا ربتت على خده بقوة عندمـا تركهـا، ثم حركت عصـاهـا ببعض العشوائية ممـا تسبب فـى أن تقفز قطعـة من اللحم من داخل المقلاة إلى الأرض.

قـالت (هرميون) وهـى تسرع داخلـة إلى المطبخ وتضع هديتـهـا فوق الكومـة: «عيد ميلاد سعيد يـا هـارى! إنـهـا شىء بسيط ولكن أرجو أن تعجبك»، وسـألت (رون): «مـاذا أحضرت لـه؟ «ولكنـه بدا كـأنـه لم يسمع.

وقال (رون): «هيا، افتح هدية (هرميون)!».

لقد اشترت له جهاز إنذار سحريًا جديدًا. كانت بقية الهدايا عبارة عن آلة حلاقة سحرية من بيل و(فلور)، وقال له مسيو (ديلاكور) بلغته الفرنسية مؤكدًا: «آه نعم، إن ذلك سيوفر لك أنعم حلاقة يمكنك الحصول عليها، ولكن عليك أن تخبره بشكل واضح ما تريده... وإلا ستجد نفسك قد فقدت قدرًا من الشعر أكثر مما تريده..». وكان هناك أيضًا علبة شيكولاتة من (آل ديلاكور) وصندوق ضخم مليء بأحدث سلع السحرة والساحرات (ويزلى) من (فريد) و(جورج).

لم يتأخر (هارى) و(رون) و(هرميون) كثيرا على المائدة؛ لأن حضور السيدة (ديلاكور) و(فلور) وجابرييل جعل المطبخ مزدحمًا بطريقة غير مريحة.

قالت (هرميون) بمرح وهى تأخذ هدايا (هارى) من بين ذراعيه وثلاثتهم يصعدون السلم: «سأقوم بحزم هذه من أجلك، لقد انتهيت من ذلك، إننى فقط فى انتظار عودة باقى سراويلك من الغسيل، يا (رون)..».

قطع همهمة (رون) صوت باب يفتح عند بسطة الطابق الأول.

«هارى، هل يمكنك أن تأتى هنا للحظة؟».

كانت هذه (جينى). توقف (رون) على الفور، لكن (هرميون) أمسكته من مرفقه وشدته ليكمل صعود السلم. وتبع (هارى) (جينى) إلى داخل غرفتها وهو يشعر بعصبية.

لم يكن قد دخل غرفتها من قبل. كانت صغيرة لكن جميلة. كان هناك ملصق كبير لفريق ويرد سيسترز معلق على أحد الحوائط وصورة جوينوج جونيس، كابتن فريق هوليهد هاربيز للكويدتش والمكون من ساحرات فقط على الحائط الآخر. كان هناك مكتب فى مواجهة النافذة المفتوحة التى تطل على البستان الذى لعب فيه الكويدتش من قبل مع (جينى) ضد (رون) و(هرميون)، والذى توجد به الآن خيمة ضخمة ذات لون أبيض لؤلؤى. وكان العلم الذهبى الموجود فوق قمة الخيمة فى مستوى غرفة (جينى).

نظرت (جينى) إلى وجه (هارى) وأخذت نفسًا عميقًا وقالت: «عيد ميلاد سعيد يا (هارى)».

«نعم... شكرًا».

كانت تنظر إليه بثبات، لكنه وجد صعوبة فى أن يبادلها النظرات؛ كان الأمر أشبه بالتحديق إلى ضوء مبهر.

قال بصوت خافت وهو يشير إلى النافذة: «منظر جميل».

تجاهلت ذلك، ولم يكن يستطيع لومها.

قالت: «لم أستطع أن أفكر فى شىء أحضره لك».

« ليس عليكِ أن تحضرى لى أى شىء».

تغاضت عن ذلك أيضًا.

«لم أعرف ماذا سيكون نافعًا بالنسبة لك، شىء غير كبير، حتى تستطيع أخذه معك».

نظر إليها نظرة سريعة، وجد عينيها مغرورقتين بالدموع؛ وفكر أن أحد الأشياء الرائعة فى (جينى) أنها قليلاً ما تبكى. كان أحيانًا يفكر فى أن نشأتها وسط ستة من الإخوة قد جعلتها أكثر صلابة.

خطت خطوة مقتربة منه.

وقالت: «لذلك فكرت أننى أريد أن أعطيك شيئًا لتتذكرنى به، أتعرف، فى حالة لقائك بإحدى فتيات الفيلا، عندما ترحل لتفعل ما تنوى أن تفعله».

«بكل صراحة، لا أظن أنه ستكون هناك فرصة لأى مواعدات».

وهمست: «هذه هى الكلمات الفضية التى كنت أنتظر سماعها». ثم بدأت تقبله بطريقة لم تفعلها من قبل وبادلها (هارى) التقبيل، كانت إحدى يديه فوق ظهرها والثانية فوق شعرها الطويل ذى الرائحة الزكية.

وانفتح الباب فجأة بصوت خبطة عالية وقفزا مبتعدين عن بعضهما البعض.

قال (رون) بطريقة جارحة: «آه، آسف».

قالت (هرميون): «(رون)!». كانت قد وصلت وراءه مباشرة وقد انقطع نفسها قليلاً. ومرت فترة من الصمت المتوتر ثم قالت (جينى) بصوت خافت خالٍ من التعبير: «حسنًا، عيد ميلاد سعيد على أية حال يا هارى».

كانت أذن (رون) محمرة وظهر التوتر على (هرميون). ودَّ (هارى) أن يغلق الباب فى وجهيهما، وشعر كأن تيارًا من الهواء البارد قد دخل إلى الغرفة عندما فتح الباب وانتهت لحظته الذهبية سريعًا كفرقعة فقاعة الصابون. وبدا كأن كل الأسباب التى دعته إلى إنهاء علاقته بجينى ويبتعد عنها قد تسللت داخلة إلى الغرفة مع (رون)، وانتهت كل لحظات الغفلة السعيدة.

نظر إلى (جينى) يريد قول شىء لا يعرف ما هو، ولكنها كانت قد أعطته ظهرها وفكر فى أنها ربما تكون قد استسلمت للدموع لمرة واحدة، لم يكن بيده شىء يفعله ليواسيها أمام رون.

قال: «سأراك فى وقت لاحق»، وتبع الاثنين الآخرين خارجًا من الغرفة.

نزل (رون) إلى أسفل ومر بالمطبخ الذى كان لا يزال مزدحمًا، خارجًا إلى الفناء وظل (هارى) يتبعه طوال الطريق ومشت (هرميون) وراءهما وقد ظهر عليها الخوف.

وعندما وصلوا إلى المرج المعزول الذى تم قص حشائشه منذ وقت قريب، التفت (رون) إلى (هارى).

وقال: «لقد سبق وقطعت علاقتك بها، ما الذى تفعله الآن، أتتلاعب بها؟».

قال (هارى) وقد لحقت بهما (هرميون): «أنا لا أتلاعب بها».

« (رون)..».

رفع (رون) يده ليطلب إليها الصمت.

«ولقد كانت فى غايةِ الحزن عندما أنهيت ما بينكما..».

«وكذلك كنت أنا، وأنت تعرف لماذا أنهيتها، ولم يكن السبب أنى رغبت فى ذلك».

«نعم، ولكنك قمت بتقبيلها الآن، مما سيجعلها تأمل فى علاقتكما من جديد..».

«إنها ليست غبية، إنها تعرف أن ذلك لا يمكن أن يحدث. إنها لا تتوقع ـ أن ينتهى الأمر بزواجنا، أو..».

وبينما يقول ذلك، تكونت صورة حية فى عقل (هارى) لـ(جينى) وهى ترتدى فستانًا أبيض وتتزوج شخصًا غريبًا، طويلاً، كريهًا، لا وجه له. ثم خطر بباله فجأة أن مستقبلها غير مقيد أو مثقل بالأعباء، بينما مستقبله هو... لا يمكنه أن يرى شيئًا سوى (فولدمورت) أمامه.

«ولكنك إذا ظللت تلمسها فى كل فرصة تتاح لك..».

قال (هارى) بجفاء: «لن يحدث ذلك ثانية، اتفقنا؟». كانت السماء صافية فى ذلك اليوم ولكنه شعر كأن الشمس قد غابت عنها.

بدا (رون) شبه مستاء وشبه خجل؛ تمايل للخلف وإلى الأمام للحظة ثم قال: «حسنًا إذن، هذا... نعم».

لم تحاول (جينى) أن تلتقى بـ(هارى) على انفراد مرة أخرى خلال اليوم، ولم تظهر سواء بنظرة أو إشارة أنهما قد تشاركا فى شىء أكثر من حديث مهذب داخل غرفتها. وجاء وصول (تشارلى) نجدة لـ(هارى). فقد ألهته مشاهدة السيدة (ويزلى) وهى تجبر (تشارلى) على الجلوس على كرسى وترفع عصاها مهددة وهى تعلن أنه على وشك الحصول على قَصة شعر مناسبة عن أى شىء آخر.

ونظرًا لأن مطبخ الجحر لم يكن يتسع لكل الموجودين فى عشاء عيد ميلاد (هارى) وذلك قبل وصول (تشارلى) و(لوبين) و(تونكس) و(هاجريد) حتى، فقد تم

وضع العديد من الموائد بجوار بعضها البعض فى الحديقة، وسحر (فريد) و(جورج) مجموعة من المصابيح البنفسجية، مكتوبا عليها بحروف بارزة كبيرة رقم 17، لتظل طائرة فى الهواء فوق الضيوف. كان جرح (جورج) يبدو نظيفًا ومرتبًا بفضل رعاية السيدة ويزلى، لكن (هارى) لم يكن قد اعتاد بعد الفتحة المظلمة فى جانب وجهه، بغض النظر عن مزاح التوءمين الدائم بخصوصها.

جعلت (هرميون) شرائط باللون الأرجوانى والذهبى تخرج من طرف عصاها وتلف نفسها بشكل جميل فنى حول فروع الأشجار.

ولوحت (هرميون) بعصاها مرة أخيرة محولة لون الأوراق على شجرة التفاح إلى اللون الذهبى وقال (رون): «جميل، إن لك ذوقًا مميزًا فعلاً».

قالت (هرميون) وقد بدا عليها السرور وبعض الارتباك: «شكرًا يا (رون)!». وأبعد (هارى) نظره عنهما وهو يبتسم لنفسه، وجاءه خاطر غريب بأنه سيجد فصلا عن المجاملات، عندما يجد وقتًا ليقرأ نسخته من كتاب *اثنتا عشرة طريقة مجربة لجذب الساحرات*؛ والتقت عيناه بعينى (جينى)، فابتسم لها، ثم تذكر وعده لـ (رون) وأسرع يفتح حديثًا مع مسيو (ديلاكور).

دخلت السيدة (ويزلى) من البوابة ومعها ما بدا مثل كرة سنيتش فى حجم كرة شاطئ تطير أمامها وأخذت تقول: «ابتعدوا عن الطريق! ابتعدوا عن الطريق!». وأدرك (هارى) بعد ثوان أن هذه هى كعكة عيد ميلاده وأن السيدة (ويزلى) تحركها بعصاها أمامها بدلاً من أن تحملها فوق الأرض غير المستوية، وعندما هبطت الكعكة أخيرًا فى وسط المائدة، قال (هارى): «إن هذا يبدو مذهلاً يا سيدة ويزلى».

قالت من فوق كتفيها بحب: «إنه لا شىء يا عزيزى» ورفع (رون) إبهامه إلى أعلى مشجعًا وحرك فمه قائلاً بدون صوت: «*رائعة*».

فى الساعة السابعة، وصل الضيوف، وقام (فريد) و(جورج) اللذان كانا فى انتظارهم فى نهاية الممر بإدخالهم إلى المنزل. وكان (هاجريد) يرتدى أفضل وأفظع سترة بنية مشعرة عنده للمناسبة. ورغم أن (لوبين) قد ابتسم قليلاً وهو يصافح (هارى)، إلا أن (هارى) شعر بأنه يبدو غير سعيد إلى حد ما، والأغرب أن (تونكس) كانت تجلس بجواره متهللة الوجه على عكسه.

قالت وهى تحتضنه بقوة: «عيد ميلاد سعيد يا هارى».

قال (هاجريد) وهو يأخذ كأس عصير فى حجم الدلو من (فريد): «أصبحت فى السابعة عشرة، هه، لقد مرت ست سنوات على أول لقاء لنا، أتذكره يا (هارى)؟».

قال (هارى) وهو يبتسم له: «بشكل غير واضح، ألم تحطم الباب الأمامى وتصنع ذيل خنزير لـ (ددلى) بالسحر، وتقول لى إننى ساحر؟».

قهقه (هاجريد) وقال: «لقد نسيت التفاصيل. هل أنت بخير يا (رون)، وأنتِ يا (هرميون)؟».

قالت (هرميون): «نحن بخير. كيف حالك أنت؟».

«آه، حسنًا، ليس سيئًا، لقد كنت مشغولاً، لدينا خيول وحيدة القرن وليدة، سأريكم إياها عندما تعودون؛ تفادى (هارى) تحديق (رون) و(هرميون)، بينما أخذ (هاجريد) يفتش داخل جيبه، قبل أن يقول: «خذ يا (هارى)، لم أستطع التفكير فى شىء لأحضره لك، ثم تذكرت هذه؛ وأخرج جرابًا صغيرًا، فيه بعض الفرو القليل مربوطًا بحبل طويل، من الواضح أنه يلبس حول الرقبة وأضاف: «إنه مصنوع من جلد الحمار. وإذا قمت بإخفاء شىء داخله، فلن يستطيع أحد إخراجه منه سوى مالكه. إنه نادر جدًّا».

قال (هارى): «شكرًا يا (هاجريد)!».

قال (هاجريد) وهو يلوح بيده التى فى حجم غطاء برميل: «إنه لا شىء. هذا (تشارلى)! لقد كنت دائمًا أحبه ـ مرحبا يا (تشارلى)!».

اقترب (تشارلى) وهو يمرر يده على شعره بشىء من الحسرة بعد أن أصبح شديد القصر. كان أقصر طولاً من (رون) وتغطى ذراعيه القويتين الخدوش والحروق.

« أهلا يا (هاجريد)، كيف حالك؟».

« لقد كنت أريد أن أكتب إليك منذ وقت طويل. كيف حال نوربيرت؟».

ضحك (تشارلى): «نوربيرت؟ التنين النرويجى؟ نحن نناديه نوربيرتا الآن».

« ماذا ـ نوربيرت فتاة؟».

قال (تشارلى): «نعم».

سألت (هرميون): «كيف يمكنك أن تميزهن؟».

قال (تشارلى): «إن إناث التنانين شرسة بعض الشىء»، ثم نظر من فوق كتفيه وخفض صوته، وقال: «أتمنى أن يسرع أبى ويأتى هنا، إن أمى تستشيط غضبًا».

قال: «كم أتمنى لو أن أبى يسرع بالحضور، إن أمى تزداد غضبًا مع مرور الوقت».

نظروا جميعًا نحو السيدة (ويزلى). كانت تحاول أن تتكلم مع السيدة (ديلاكور) وهى تنظر بين لحظة وأخرى نحو البوابة.

ثم وجهت حديثها لجميع الموجودين بالحديقة بعد لحظة أو نحوها: «أظن أن علينا أن نبدأ بدون (آرثر)، لابد أن شيئًا قد عطله فى ـ آه!».

ورأوه جميعًا فى نفس اللحظة، طارت شعلة من الضوء عبر الفناء، ثم تجسدت إلى حيوان ابن عرس فضى فوق المائدة والذى وقف على قدميه الخلفيتين وتكلم بصوت السيد ويزلى.

« وزير السحر سيأتى معى».

تلاشى الباتروناس فى الهواء، تاركًا (آل فلور) يحدِّقون فى المكان الذى اختفى فيه بدهشة.

قال (لوبين) على الفور: يجب ألا نكون هنا، أنا آسف يا (هارى) ـ سأشرح لك الأمر فى وقت آخر..».

وأمسك برسغ (تونكس) وسحبها معه مبتعدًا؛ وعندما وصلوا إلى السياج تسلقوه واختفوا عن الأنظار. بدت السيدة (ويزلى) محتارة.

قالت: «الوزير ـ لكن لماذا؟ ـ لا أفهم..».

ولكن لم تكن هناك فرصة لمناقشة الأمر؛ وبعد ثانية، ظهر السيد (ويزلى) من العدم عند البوابة، يرافقه روفوس (سكريمجور)، والذى دل عليه شعره الكثيف الطويل الأشيب.

مشى القادمان الجديدان عبر الفناء نحو الحديقة وإلى المائدة التى تضيئها المصابيح، حيث يجلس الجميع صامتين يراقبونهما وهما يقتربان وعندما سقط ضوء المصابيح على (سكريمجور)، رأى (هارى) أنه يبدو أكبر سنًّا بكثير عن آخر مرة رآه فيها وكان يبدو نحيلاً ومتجهمًا أيضًا.

قال (سكريمجور) متوقفًا قبل أن يصل إلى المائدة: «آسف على المقاطعة، خاصة أنى متطفل على الحفل».

وتوقفت عيناه قليلاً عند الكعكة الضخمة التى تشبه السنيتش.

«كل سنة وأنت طيب».

قال (هارى): «شكرًا».

وأكمل (سكريمجور) قائلاً: «إننى أطلب كلمة معك على انفراد، وكذلك السيد رونالد (ويزلى) والآنسة (هرميون) جرانجر».

قال (رون) مندهشًا: «نحن؟ لماذا نحن؟».

قال: «سوف أخبركما عندما نذهب إلى مكان أكثر خصوصية»، وسأل السيد (ويزلى): «هل هناك مكان كهذا؟».

قـال السيـد (ويـزلى) الـذى بـدا مـتوتـرًا: «نـعم، بـالـطـبـع، حـجـرة الجلـوس، لماذا لا تذهبوا إليـهـا؟».

قال (سكريمجور) لرون: يمكنك أن تقودنا إلى هناك. لا داعى لأن ترافقنا يا (آرثر)».

ورأى (هـارى) السيد والسيدة (ويزلى) يتبـادلان نظرة قلقة.

بينما وقف هو و(رون) و(هرميون) واتجهوا عائدين إلى البيت فى صمت. وعرف (هـارى) أن الاثنين الآخرين يفكران مثله: بـأن (سكريمجور) لابد أن يكون قد عرف بطريقة ما أن ثلاثتهم قد قرروا عدم العودة إلى (هوجوورتس).

لم يتكلم (سكريمجور) بينما يمرون بالمطبخ غير المرتب وصولا إلى حجرة الجلوس بالجحر. ورغم أن الحديقة كانت مضاءة بضوء المساء الذهبى الخفيف، كان المكان هنا مظلمًا: لوَّح (هـارى) بعصاه إلى المصابيح الزيتية، وهو يدخل الغرفة الرثة والمريحة لكن جلس (سكريمجور) على كرسى ذى ذراعين مسترخيًا، اعتاد السيد (ويزلى) الجلوس عليه وترك (هـارى) و(رون) و(هرميون) يحشرون أنفسهم ليجلسوا بجوار بعضهم البعض فوق الأريكة وما إن جلسوا حتى بدأ (سكريمجور) فى الكلام.

قال: «لدىَّ بعض الأسئلة التى أريد أن أوجهها لثلاثتكم، وأعتقد أنه سيكون من الأفضل لو سألت كلا منكم على حدة. هل يمكن أن تنتظرا فوق. سأبدأ برونالد». وأشار إلى (هـارى) و(هرميون).

قال (هـارى) بينما تومئ (هرميون) بقوة موافقة على كلامه: «لن نذهب إلى أى مكان، يمكنك أن تتحدث معنا جميعًا، أو لن نتحدث على الإطلاق».

ورماهم (سكريمجور) بنظرة تقييمية باردة، وتولد عند (هـارى) انطباع بـأن الوزير يتساءل إن كان الأمر يستحق تكوين عداوات فى هذا الوقت المبكر أم لا.

وأخيرًا هز الوزير كتفيه وتنحنح قائلاً: «حسنًا، فليكن، سأتحدث إليكم معًا، إننى هنا، كما أنا واثق أنكم تعرفون، من أجل وصية (ألباس دمبلدور).

نظر (هـارى) و(رون) و(هرميون) إلى بعضهم البعض.

« من الواضح أنكم مندهشون! ألم تكونوا تعرفون أن (دمبلدور) قد ترك لكم أى شىء؟».

قال (رون): «لنا جميعًا؟ لى أنا و(هرميون) أيضًا؟».

«نعم، لكم جميعًا».

ولكن (هـارى) قاطعه.

«لقد مات (دمبلدور) منذ أكثر من شهر، لماذا استغرق إعطاؤنا ما تركه لنا كل هذا الوقت؟».

قالت (هرميون) قبل أن يرد (سكريمجور): «أليس الأمر واضحًا؟ لقد أرادوا فحص ما تركه لنا». واضطرب صوتها قليلاً وأضافت: «ليس لك حق فى أن تفعل ذلك!».

قال (سكريمجور) رافضًا: «لدى كل الحق، إن قانون المصادرة المبررة يعطى الوزارة الحق فى مصادرة محتويات أية وصية...».

قالت (هرميون): «لقد تم وضع هذا القانون لوقف توريث الأدوات الخاصة بالسحر الأسود، ومن المفترض أن يكون لدى الوزارة دليل قوى أن ممتلكات المتوفى غير قانونية قبل أن تصادرها! هل تقول لى أن (دمبلدور) كان يحاول أن يورثنا شيئًا ملعونًا؟».

سأل (سكريمجور): «هل تنوين العمل فى مجال القانون السحرى يا آنسة جراينجر؟».

ردت (هرميون): «لا، لن أفعل، فأنا أرجو أن أعمل شيئًا مفيدًا فى هذا العالم!».

ضحك رون. واتجهت عينا (سكريمجور) إليه ثم ابتعدت مرة أخرى، عندما تكلم (هارى).

«إذن، لماذا قررت أن تتركنا نأخذ أشياءنا الآن؟ ألم تستطع التفكير فى حجة للاحتفاظ بها؟».

قالت (هرميون) على الفور: «لابد أن مهلة الواحد والثلاثين يومًا قد انتهت لا يمكنهم أن يحتفظوا بالأشياء لمدة أطول، ما لم يثبتوا أنها خطرة. أليس كذلك؟».

سأل (سكريمجور) متجاهلاً (هرميون): «هل يمكنك أن تقول أنك كنت مقربًا من (دمبلدور) يا رونالد؟ «وظهر الفزع على رون.

« أنا؟ لا ـ أبدًا... لقد كان (هارى) دائمًا الذى...».

ونظر (رون) حوله إلى (هارى) و(هرميون)، ليجد (هرميون) ترميه بنظرة تقول له توقف عن *الكلام الآن!* ولكن الضرر حدث، فقد بدا على (سكريمجور) أنه سمع ما كان يتوقع ويريد أن يسمعه بالضبط. وانقض على إجابة (رون) مثل طائر جارح.

«إذا لم تكن مقربًا من (دمبلدور)، فكيف تفسر حقيقة كونه قد تذكرك فى وصيته؟ لقد أوصى بأشياء معدودة بشكل استثنائى. فغالبية ممتلكاته ـ بما فيها مكتبته الخاصة، أدواته السحرية وباقى ممتلكاته الشخصية ـ تركت لهوجورتس، فلماذا تعتقد أنه ميزكم وترك لكم هذه الأشياء؟».

قال (رون): «أنا... لا أعرف، أنا... عندما أقول أننا لم نكن مقربين... أنا أقصد، أعتقد أنه كان يحبنى...».

قالت (هرميون): «إنكِ متواضع يا (رون)، لقد كان (دمبلدور) مغرمًا بك».

كان هذا القول مخالفًا للحقيقة لدرجة كبيرة؛ فـ (هارى) يعلم جيدًا أن (رون) ودمبلدور لم يلتقيا وحدهما قطُّ وأن الاتصال المباشر بينهما لا يذكر، ولكن (سكريمجور) لم يبد أنه يستمع، فقد وضع يده داخل عباءته وأخرج جرابًا أكبر بكثير من الذى أعطاه (هاجريد) لـ (هارى) وأخرج منه رقعة ملفوفة، فتحها وقرأ فيها بصوت عال.

«*«آخر وصية وشهادة لألباس بيرسيفال ويلفريك بريان (دمبلدور)...»*. نعم، هاهو... «*إلى رونالدو بيْليوس ويزلى، أترك ساحب الضوء الخاص بى، على أمل أن يتذكرنى عندما يقوم باستخدامه*»...».

وأخرج (سكريمجور) من الجراب شيئًا رآه (هارى) من قبل؛ كان يبدو مثل ولاعة سجائر فضية ولكن يمكنه امتصاص كل الضوء من المكان وإعادته بضغطة واحدة عليها. ومال (سكريمجور) إلى الأمام وأعطى ساحب الضوء لرون، الذى أخذه وأخذ يقلبه فى يده وقد بدا مذهولاً.

قال (سكريمجور) وهو يراقب (رون): «يا له من شيء قيم! ومن الممكن ألا يكون له مثيل، فهو من تصميم (دمبلدور) نفسه بالتأكيد. لماذا يترك لك شيئًا نادرًا كهذا؟».

هز (رون) رأسه وهو يبدو حائرًا.

وأكمل (سكريمجور): «لابد أن (دمبلدور) قد علم الآلاف من الطلاب، ومع ذلك فالثلاثة الوحيدون الذين تذكرهم فى وصيته كانوا أنتم. لماذا؟ ما الاستخدام الذى أعتقد أنك ستفعله بساحب الضوء فيه يا سيد ويزلى؟».

تمتم (رون): «لإطفاء النور على ما أعتقد، ما الذى يمكننى عمله به غير ذلك؟».

من الواضح أن (سكريمجور) لم يكن لديه أى اقتراحات، وبعد أن حدق شزرًا إلى (رون) للحظة أو اثنتين، التفت عائدًا إلى وصية (دمبلدور).

«*...«إلى الآنسة (هرميون) جين جراينجر، أترك نسختى من كتاب حكايات (بيدلى) آملاً أن تجده ممتعًا ومفيدًا*»...».

وأخرج (سكريمجور) من داخل الجراب صفحة كتاب صغيرة تبدو عتيقة مثل كتاب *أسرار أكثر فنون الظلام شرًّا* الموجود فى الأعلى، وكان غِلاف الكتاب متسخًا وقد تقشرت بعض أجزائه. وأخذته (هرميون) من (سكريمجور) دون أن

تتكلم وحملت الكتاب على حجرها وحدقت فيه. ورأى (هارى) أن الكتاب مكتوب بطلاسم لم يقرأها من قبل. وبينما ينظر، سقطت دمعة على الرموز البارزة.

سأل (سكريمجور): «ما الذى جعل (دمبلدور) يترك لك هذا الكتاب يا آنسة جراينجر؟».

قالت (هرميون) بصوت فاتر وهى تمسح عينيها بكمها: «لقد كان يعرف أننى أحب الكتب».

«ولكن، لماذا هذا الكتاب بالذات؟».

«لا أعرف، لابد أنه اعتقد أننى سأستمتع بقراءته».

«هل سبق وناقشتِ الشفرات أو أى طرق أخرى لتوصيل الرسائل السرية مع (دمبلدور)؟».

قالت (هرميون) وهى مازالت تمسح عينيها بكمها: «لا، لم يحدث، وإذا كانت الوزارة لم تجد أى شفرات مختفية فى الكتاب خلال واحد وثلاثين يومًا، أشك أننى سأجدها».

وكتمت نشيجًا كاد يفلت منها، وكانوا يجلسون محشورين معًا، حتى إن (رون) وجد صعوبة فى إخراج ذراعه ليحيط به كتف (هرميون). والتفت (سكريمجور) عائدًا للوصية.

وانقبضت أمعاء (هارى) من إحساس مفاجئ بالإثارة عندما قرأ (سكريمجور): *«إلى (هارى جيمس بوتر)، أترك السنيتش الذى أمسك به فى أول مباراة كويدتش له فى (هوجوورتس)، ليكون تذكرة له بمكافأة المثابرة والمهارة».*

وما إن أخرج (سكريمجور) الكرة الذهبية الشديدة الصغر، التى فى حجم حبة عين الجمل، وبدأت أجنحتها الفضية تخفق بضعف إلى حد ما، حتى إنه لم يتمالك (هارى) نفسه من أن يشعر ببعض الإحباط.

سأله (سكريمجور): «لماذا ترك لك (دمبلدور) هذا السنيتش؟».

قال (هارى): «ليست لدى فكرة. لأجل الأسباب التى قرأتها كما أفترض... لتذكيرى بما يمكن أن تحصل عليه كجزاء... المثابرة وما إلى ذلك».

«إنك تظن إذن أنه مجرد تذكار رمزى؟».

قال (هارى): «أفترض هذا، ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟».

قال (سكريمجور) وهو يلف كرسيه قليلاً مقربًا إياه من الأريكة: «أنا الذى يسأل الأسئلة» كانت السماء قد أظلمت فى الخارج الآن؛ وقد علت الخيمة الموجودة وراء النافذة بلونها الأبيض بياض الأشباح فوق سياج الشجيرات.

قال (سكريمجور) لـ (هارى): «لقد لاحظت أن كعكة عيد ميلادك على شكل سنيتش. لماذا ذلك؟».

ضحكت (هرميون) مستهزئة.

وقالت: «ألا يمكن أن يكون ذلك راجعًا بكل بساطة إلى كون (هارى) باحثًا عظيمًا، أم أن ذلك واضحٌ أكثر من اللازم، ويجب أن تكون هناك رسالة سرية من (دمبلدور) مخبأة داخل الكريمة!».

قال (سكريمجور): «أنا لا أعتقد أن هناك أى شىء مخفى فى الكريمة. ولكن السنيتش يمكن أن يكون مكانًا مثاليًّا لإخفاء شىء صغير، وأنا متأكد أنك تعرفين السبب؟».

هز (هارى) كتفيه، بينما أجابته (هرميون) وفكر (هارى) أن إجابة الأسئلة بشكل صحيح عادة متأصلة فيها حتى إنها لا تستطيع مقاومة إغرائها.

قالت: «لأن السنيتش لديها من نوع خاص».

قال (هارى) و(رون) معًا: «ماذا؟». كان كلاهما يعتبران أن معرفة (هرميون) بالكويدتش لا تذكر.

قال (سكريمجور): «هذا صحيح. لا يتم لمس السنيتش لا تلمسها يد إنسان عارية قبل أن يتم إطلاقها، ولا حتى بواسطة صانعها الذى يرتدى قفازات أثناء صناعتها، إنها تحمل تعويذة تجعلها تتعرف على أول إنسان يضع يده عليها، فى حالة الخلاف على من أمسك بها أولا».

ورفع الكرة الصغيرة عاليًا وأضاف: «ستتذكر السنيتش هذه لمستك يا بوتر. وقد خطر لى أن (دمبلدور) بمهارته السحرية التى لا حدود لها، بغض النظر عن أخطائه الأخرى، يمكن أن يكون قد سحر هذه السنيتش بحيث لا تفتح لأحد غيرك».

وازدادت سرعة ضربات قلب (هارى). كان متأكدًا أن (سكريمجور) على حق. كيف يمكنه أن يتفادى أخذ السنيتش بيده العارية أمام الوزير؟

قال (سكريمجور): «لم تقل شيئًا، ربما تعرف فعلاً ما الذى تحويه السنيتش؟».

قال (هارى): «لا»، كان ما زال يتساءل كيف يمكنه أن يبدو كأنه لمس السنيتش بدون أن يفعل ذلك فعلا. لو أنه يجيد الليجيمنسى، لأمكنه أن يقرأ عقل (هرميون)؛ كان باستطاعته أن يسمع عقلها يئز بجواره.

قال (سكريمجور) بهدوء: «خذها».

والتقت عينا (هارى) بعينى الوزير الصفراوين وعرف أن لا خيار لديه أن يطيعه. فمد يده ومال (سكريمجور) مرة أخرى ووضع السنيتش ببطء وتعمد داخل راحة يد (هارى).

لم يحدث شىء. وعندما أغلق (هارى) أصابعه عليها. توقفت أجنحتها المتعبة من الرفرفة. واستمر (سكريمجور) و(رون) و(هرميون) يحدقون بحرص إلى الكرة المخفية جزئيًا فى كف (هارى) الآن وكأنهم مازالوا يرجون أن تتحول بشكل ما.

قال (هارى) ببرود: «لقد كان هذا دراماتيكيًا». وضحك (رون) و(هرميون).

سألت (هرميون) وهى تقوم من فوق الأريكة: «هذا كل شىء إذن، أليس كذلك؟».

قال (سكريمجور) الذى بدا فى مزاج سيئ الآن: «ليس تمامًا، لقد ترك لك (دمبلدور) شيئًا آخر يا بوتر».

سأل (هارى) وقد اشتعلت حماسته: «ما هو؟».

لم يتعب (سكريمجور) نفسه بالقراءة فى الوصية هذه المرة.

وقال: «سيف جودريك جريفندور».

تجمد (رون) و(هرميون) ونظر (هارى) حوله باحثًا عن إشارة لظهور مقبض السيف المغطى بالياقوت، ولكن (سكريمجور) لم يسحب السيف من الجراب الجلدى، والذى بدا على أية حال أصغر بكثير من أن يضم السيف.

سأل (هارى) متشككًا: «أين هو إذن؟».

قال (سكريمجور): «لسوء الحظ، فإن هذا السيف لم يكن ملكًا لـ (دمبلدور) حتى يهبه لأحد. إن سيف جودريك جريفندور هو أثر تاريخى مهم، ومثل هذه الممتلكات...».

قالت (هرميون) بحرارة: «إنه ملك لـ (هارى)، لقد اختاره، فهو الذى وجده، لقد خرج إليه من قبعة التنسيق..».

قال (سكريمجور): «طبقًا لمصادر تاريخية موثوقة، فإن السيف يمكن أن يقدم نفسه إلى أى من طلاب جريفندور الذين يستحقونه، وهذا لا يجعله ملكية شخصية للسيد (بوتر) فقط، مهما كان رأى (دمبلدور) فى الأمر».

وحك (سكريمجور) خده ذا الحلاقة السيئة وهو يحدق فى (هارى) وقال: «لماذا تعتقد؟».

قال (هارى) وهو يكافح ألا يفقد أعصابه: «دمبلدور يريد إعطائى السيف، ربما اعتقد أنه سيبدو جميلاً عندما أضعه على حائطى».

صاح (سكريمجور) مزمجرًا: «هذه ليست مزحة يا بوتر! هل السبب هو اعتقاد (دمبلدور) أن سيف جودريك جريفندور هو الوحيد الذى يستطيع هزيمة وريث (سليذرين)؟ هل يريد إعطاءك هذا السيف يا (بوتر)؛ لأنه يعتقد، مثل الكثيرين، أنك الشخص الذى اختاره القدر للقضاء على ذلك (الذى لا يجب ذكر اسمه)؟».

قال (هارى): «نظرية مشوقة، هل حاول أحد قطُّ غرز سيف فى (فولدمورت)؟ ربما يجب أن تختار الوزارة بعض الأشخاص وتكلفهم بذلك بدلاً من أن يضيعوا وقتهم فى تفكيك ساحب الضوء أو التغطية على هروب جماعى من أزكابان.

هل هذا هو ما كنت تفعله أيها الوزير، تغلق على نفسك باب مكتبك، وتحاول كسر السنيتش؟ الناس يموتون، ولقد كدت أن أكون أحدهم، لقد طاردنى (فولدمورت) عبر ثلاث مقاطعات، وقتل (ماد - آى) (مودى)، ومع ذلك لم تقل الوزارة كلمة عن أى من هذا، أليس كذلك؟ ومازلت تتوقع منا أن نتعاون معك؟!».

صاح (سكريمجور) وهو يقف: «لقد تجاوزت حدودك!». قفز (هارى) واقفًا أيضًا وتقدم (سكريمجور) نحو (هارى) وهو يعرج ونغزه فى صدره بقوة بطرف عصاه والتى صنعت فتحة فى التيشيرت مثل سيجارة مشتعلة.

قال (رون): «هيه!». وهو يقفز على قدميه ويرفع عصاه، ولكن (هارى) قال: «لا، هل تريد أن تعطيه عذرًا لكى يقبض علينا؟».

قال (سكريمجور) وهو يتنفس بصعوبة فى وجه (هارى): «تتذكر أنك لست فى المدرسة وتتذكر أننى لست (دمبلدور) الذى كان يغفر لك وقاحتك وتمردك، ربما تعتقد أن تلك الندبة تاج على رأسك يا (بوتر) ولكنى لا أقبل أن يخبرنى فتى فى السابعة عشرة كيف أقوم بعملى! لقد حان الوقت لكى تتعلم بعض الاحترام!».

قال (هارى): «لقد حان الوقت لكى تناله باستحقاق!».

واهتزت الأرض؛ كان هناك صوت خطوات تجرى، ثم فتح باب غرفة الجلوس بعنف واندفع السيد والسيدة (ويزلى) داخلين منه.

بدا السيد (ويزلى) فزعًا لرؤية (هارى) والوزير يقفان فى مواجهة بعضهما البعض فى تحدٍّ: «اعتقدنا أننا... أننا... سمعنا...».

قالت السيدة (ويزلى) وهو تنهج: «أصوات عالية».

رجع (سكريمجور) خطوتين مبتعدًا عن (هارى)، ثم نظر إلى الفجوة التى صنعها فى التيشيرت وبدا عليه أنه ندم على فقده لأعصابه.

قال وهو ينظر إلى (هارى) مباشرة فى وجهه مرة أخرى: «لم ـ لم يحدث شىء، إننى آسف على موقفك هذا، يبدو أنك تعتقد أن الوزارة لا ترغب فى ما تريده ـ وأراده (دمبلدور). ينبغى أن نعمل معًا».

قال (هارى): «لا تعجبنى أساليبكم أيها الوزير، هل تذكر؟».

وللمرة الثانية، رفع قبضة يده اليمنى وعرض عليه الندوب التى مازالت ظاهرة باللون الأبيض على ظهرها يجب *ألا أقول الأكاذيب*. وتصلب تعبير وجه (سكريمجور) والتفت مبتعدًا بدون أن يضيف كلمة أخرى، وأخذ يعرج خارجًا من الغرفة. أسرعت السيدة (ويزلى) وراءه، وسمع (هارى) خطواتها تتوقف عند الباب الخلفى وبعد دقيقة أو نحوها قالت: «لقد ذهب!».

سأل السيد (ويزلى) وهو ينظر حوله نحو (هارى) و(رون) و(هرميون): «ما الذى كان يريده؟». بينما أسرعت السيدة (ويزلى) عائدة إليهم.

قال (هارى): «أتى ليعطينا ما تركه (دمبلدور) لنا، لقد كشفوا عما تحويه وصيته منذ فترة قصيرة».

بعد وقت قصير وأثناء حفل العشاء فى الحديقة فى الخارج، انتقلت الأشياء الثلاثة التى أعطاهم إياها (سكريمجور) من يد إلى يد. وأخذ الجميع يتعجبون من ساحب الضوء وكتاب *حكايات الشاعر (بيدلى)* وتحسروا من رفض (سكريمجور) توريث السيف لـ (هارى)، ولكن أحدًا منهم لم يستطع أن يقدم اقتراحًا عن السبب الذى يجعل (دمبلدور) يترك كرة سنيتش قديمة لـ (هارى)، وبينما كان السيد (ويزلى) يفحص ساحب الضوء للمرة الثالثة أو الرابعة، قالت السيدة (ويزلى): «(هارى)، عزيزى، إن الجميع يتضورون جوعًا، لم نرد أن نبدأ بدونك... هل أبدأ بتقديم العشاء الآن؟».

أكل الجميع بسرعة إلى حد ما، ثم بعد أن أنشدوا مهنئين (هارى) على عجل وأكلوا من الكعكة مسرعين، انتهت الحفلة. وكان (هاجريد) مدعوا إلى حفل الزفاف فى اليوم التالى، ولكنه كان كبيرًا جدًّا على الجحر الذى أصبح لا يتسع للمزيد من الضيوف، فتركوه لينام فى خيمة فى الحقل المجاور.

همس (هارى) لـ (هرميون) وهم يساعدون السيدة (ويزلى) فى إعادة الحديقة إلى وضعها الطبيعى: «تعالَ إلى غرفتنا بعد أن ينام الجميع».

وعندما صعدوا إلى غرفتهم، أخذ (رون) يفحص ساحب الضوء، بينما ملأ (هارى) الجراب الجلدى الذى أعطاه له (هاجريد)، ليس بالذهب، ولكن بالأشياء القيمة فى نظره، رغم أن بعضها قد يبدو بلا أى قيمة؛ مثل خراطة المارودر، القطعة الباقية

من مرآة (سيريوس) المسحورة، وقلادة ر.أ.ب. وجذب الحبل ليغلقها ولبس الحقيبة حول عنقه ثم جلس وهو يحمل السنيتش القديم وأخذ يراقب جناحيه يرفرفان بوهن وأخيرًا طرقت (هرميون) على الباب ودخلت على أطراف أصابعها.

وقالت بهمس: «موفلياتو» وهى تشير فى اتجاه السلالم.

قال (رون): «اعتقدت أنك لا توافقين على هذه التعويذة؟».

قالت (هرميون): «إن الظروف تتغير، والآن أرنا ساحب الضوء هذا».

أطاعها (رون) على الفور ورفع ساحب الضوء أمامه ونقره، انطفأ المصباح الذى أضاءوه على الفور.

همست (هرميون) فى الظلام: «الفكرة هى أننا كان يمكن أن نصل إلى ذلك لو استخدمنا مسحوق بيرو للإظلام الفورى».

كان هناك نقرة صغيرة، وعادت كرة الضوء إلى السقف وأضاءت كل المصابيح.

قال (رون) مدافعًا: «ولكنه مازال رائعًا، ومما سمعته، فإن (دمبلدور) صنعه بنفسه!».

«أعرف، لكنه لم يتركها لك تحديدًا فى وصيته، لتساعدنا على إطفاء الأضواء فقط!».

سأل (هارى): «هل تعتقدون أنه كان يعرف أن الوزارة ستصادر وصيته وتقوم بفحص كل ما تركه لنا؟».

قالت (هرميون): «بالتأكيد، إنه لم يستطع إخبارنا فى وصيته لماذا يترك لنا هذه الأشياء ولكن هذا مازال لا يفسر..».

سأل (رون): «... لماذا لم يعطنا أى إشارة عن الأمر أثناء حياته؟».

قالت (هرميون) وهى تتصفح كتاب حكايات *الشاعر (بيدلى)*: «حسنًا، بالضبط، إذا كانت هذه الأشياء مهمة لدرجة أنه أراد إيصالها إلينا من تحت أنف الوزارة، فإن ذلك يجعلنا نفكر أنه كان يجب أن يخبرنا السبب... إلا إذا ظن أن الأمر واضح؟».

قال (رون): «لقد كان ظنه خاطئًا إذن، أليس كذلك؟ لقد كنت دائمًا أقول إنه مجنون. عبقرى وكل شىء، ولكنه مجنون. يترك لـ (هارى) سنيتش قديمة ـ ما الذى يعنيه بكل ذلك؟!».

قالت (هرميون): «ليست لدى فكرة، عندما جعلك (سكريمجور) تأخذها يا (هارى) كنت متأكدة أن شيئًا سوف يحدث!».

قال (هارى) وقد تزايد نبضه وهو يرفع السنيتش فى يده: «نعم، حسنًا، لم أكن لأحاول تجربة الأمر بجدية أمام (سكريمجور) على أية حال».

سألت (هرميون): «ما الذى تعنيه؟».

قال (هارى): «هذه كرة السنيتش التى أمسكت بها فى أول مباراة كويدتش لى فى حياتى؟ ألا تذكران؟».

ظهرت الحيرة على (هرميون) بينما كتم (رون) نفسه وهو يشير باهتياج بين (هارى) والسنيتش مرارًا، حتى تكلم أخيرًا.

«لقد كانت هذه الكرة التى كدت تبتلعها!».

قال (هارى) وقد تسارعت ضربات قلبه: «بالضبط، ووضع الكرة داخل فمه ولكنها لم تفتح وشعر بالإحباط وخيبة الأمل المريرة تتجمعان بداخله ولكن (هرميون) صاحت.

«كتابة! هناك كتابة فوقها، بسرعة، انظر!».

كاد أن يوقع السنيُتش بسبب المفاجأة والحماس، كانت (هرميون) على حق وجد كتابة محفورة على السطح الذهبى الناعم، الذى كان خاليًا منذ ثوان، عبارة من خمس كلمات مكتوبة بخط دقيق مائل عرف (هارى) أنه خط (دمبلدور).

«*افتح فى الختام*».

وكان بالكاد قد قرأها، عندما اختفت الكلمات من جديد.

«*افتح فى الختام*... ما المفترض أن يعنيه هذا؟».

هز (رون) و(هرميون) رأسيهما وقد ظهرت عليهم الحيرة!

«افتح فى الختام... فى الختام... افتح فى الختام...».

ولكن بغض النظر عن عدد المرات التى كرر فيها الكلمات، مع تقليب الصوت ورفعه وخفضه، لم يستطيعوا استنباط أى معنى آخر منها.

قال (رون) أخيرًا بعد أن تركوا محاولة استنباط معنى من الكتابة التى ظهرت على السنيتش: «والسيف، لماذا أراد إعطاء (هارى) السيف؟».

قال (هارى) بهدوء: «ولماذا لم يخبرنى ببساطة، لقد كان *هناك* معلقًا على الحائط فى مكتبه أثناء كل أحاديثنا فى العام الماضى! وإذا كان قد أرادنى أن آخذه، فلماذا لم يعطنى إياه وقتها؟».

وشعر كأنه جالس فى امتحان وأمامه سؤال يجب أن يجد إجابة له. إلا أن عقله كان بطيئا لا يستجيب. هل هناك شىء لم يفهمه خلال محادثاته الطويلة مع (دمبلدور) فى العام الماضى؟ شىء كان يجب أن يعرف معناه؟ هل توقع منه (دمبلدور) أن يفهم؟

قالت (هرميون): «أما بالنسبة لهذا الكتاب، حكايات *الشاعر (بيدلى)*... فإنى لم أسمع به قط من قبل!».

قال (رون) باستنكار: «لم تسمعى عن حكايات *الشاعر* (بيدلى) من قبل؟ لابد أنك تمزحين، صحيح؟».

قالت (هرميون) مفاجأةً: «لا لست أمزح! هل تعرفها إذن؟».

«حسنًا، بالطبع أعرفها!».

نظر (هارى) إليه مندهشًا، كانت فكرة أن يكون (رون) قد قرأ كتابًا لم تقرأه (هرميون) غير مسبوقة ولكن (رون) بدا حائرًا من دهشتهم.

«غير معقول! إن كل قصص الأطفال القديمة من المفترض أنها من حكايات (بيدلى)، أليس كذلك؟ *نافورة الحظ السعيد*... *الساحر والقدر القافز*.. *بابيتى رابيتى وجذعها الثرثار*..».

قالت (هرميون) وهى تقهقه: «اسمح لى ماذا كانت الأخيرة؟».

قال (رون) وهو ينقل بصره غير مصدق بين (هارى) و(هرميون): «كفا عن ذلك! لابد أنكما سمعتما عن بابيتى رابيتى..».

قالت (هرميون): «(رون) إنك تعلم جيدًا أن (هارى) وأنا قد نشأنا بين العامة! إننا لم نسمع قصصًا مثل هذه ونحن أطفال، لقد سمعنا عن *الأميرة والأقزام السبعة وسندريلا*».

سأل (رون): «ما هذه.. نوع من الأمراض؟».

سألت (هرميون) وهى تنحنى مرة أخرى فوق الطلاسم: «هذه إذن قصص للأطفال؟».

قال (رون) بعدم ثقة: «نعم، أعنى أن ذلك ما تسمعينه، كل هذه القصص القديمة أتت من (بيدلى). ولا أعرف كيف ستكون فى صيغتها الأصلية».

«ولكنى أتساءل لماذا اعتقد (دمبلدور) أننى يجب أن أقرأها؟».

سمعوا صوت صرير فى الأسفل.

قال (رون) بتوتر: «ربما كان (تشارلى) يتسلل خارجًا بعد أن نامت أمى ليجعل شعره ينمو من جديد».

همست (هرميون): «على كل الأحوال، يجب أن نذهب للنوم الآن، لن يكون من المناسب أن نصحو متأخرين غدًا».

وافقها (رون): «لا، جريمة قتل ثلاثية تقوم بها والدة العريس يمكن أن تجعل حفل الزفاف كئيبًا إلى حد ما. سأطفئ الأنوار».

ونقر على ساحب الضوء بمجرد أن تركت (هرميون) الغرفة.



٨ حفـــل الزفـــاف

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى، وقف (هارى)، و(رون)، و(فريد)، و(جورج) خارج الخيمة الكبيرة البيضاء فى البستان، فى انتظار وصول ضيوف العرس. كان (هارى) قد تناول رشفة كبيرة من وصفة التخفى وأصبح شبيهًا لفتى عامى أحمر الشعر من بلدة أوترى سانت كاتشبول القريبة، والتى سرق منها (فريد) الشعر باستخدام تعويذة استدعاء. وكانت الخطة أن يقدموا (هارى) على أنه «ابن عمهم (بارنى)» ويعتمدوا على وجود عدد كبير من الأقارب لعائلة (ويزلى) للتمويه عليه.

كان كل واحد من الأربعة يمسك بخريطة لجلوس المدعوين، حتى يقوموا بمساعدة الضيوف على الوصول إلى أماكن جلوسهم الصحيحة. وكانت هناك مجموعة من النوادل(*) الذين يرتدون ملابس بيضاء قد وصلوا قبل ذلك بساعة، بالإضافة إلى فرقة موسيقية ترتدى سترات ذهبية، وجميع هؤلاء السحرة يجلسون حاليًا تحت شجرة قريبة. وكان (هارى) يستطيع رؤية دخان الغليون الأزرق، المتصاعد فى مكان جلوسهم.

وكان مدخل الخيمة خلف (هارى) يكشف عن صفوف وصفوف من الكراسى الذهبية الرقيقة على جانبى سجادة أرجوانية طويلة، أما أعمدة الخيمة، فكانت مغطاة بالزهور البيضاء والذهبية، بينما قام (فريد) و(جورج) بتثبيت مجموعة ضخمة من البالونات الذهبية فوق المكان الذى سيصبح فيه بيل و(فلور) زوجا وزوجة بعد قليل. وفى الخارج، كان النحل والفراش يحوم بتكاسل فوق الحشائش وسياج الشجيرات. لم يكن (هارى) يشعر بالراحة؛ لأن الفتى العامى الذى كان يتخذ مظهره كان ذا جسم ممتلئ قليلاً عنه؛ مما جعله يشعر بأن ملابسه ساخنة وضيقة، خاصة فى مثل هذا اليوم الصيفى الحار.

(*) المفرد: نادل، وهو الشخص الذى يسأل الضيوف ماذا يريدون أن يشربوا ويقدمه لهم.

قال (فريد) وهو يرفع ياقة عباءته: «عندما أتزوج، لن أتعب نفسى بكل هذا الهراء. يمكنكم جميعًا ارتداء ما تريدونه، وسوف أضع لعنة تجميد لكامل الجسم على أمى حتى ينتهى كل شيء».

قال (جورج): «لم تكن سيئة جدًا هذا الصباح، مع وضع بكائها فى الاعتبار قليلاً بسبب غياب بيرسى، ولكن من يريده؟ أوه، يا إلهى! أعدوا أنفسكم، ها هم يأتون، انظروا».

ظهر عدد من الأشخاص، يرتدون ملابس ملونة زاهية، من العدم الواحد تلو الآخر خارج الحدود البعيدة للفناء. وفى غضون دقائق، تشكل الموكب وبدأ يزحف متخذًا طريقه عبر الحديقة متجها نحو الخيمة. كانت الزهور الجميلة الغريبة والطيور المسحورة المرفرفة تزين قبعات الساحرات، بينما تتألق الأحجار الثمينة من أربطة عنق العديد من السحرة؛ وارتفعت همهمة الأحاديث المتحمسة أكثر وأكثر، مغطية على صوت طنين النحل بينما يقترب الحشد من الخيمة.

قال (جورج) وهو يرفع عنقه ليرى أفضل: «ممتاز، أظن أننى أرى بعض فتيات الفيلا من أبناء عمومتنا. سيحتاجون إلى مساعدة لفهم العادات الإنكليزية، سأقوم بالاهتمام بهم..».

قال (فريد): «ليس بهذه السرعة، يا ذا الأذن المبتورة». واندفع متجاوزًا مجموعة من الساحرات متوسطات العمر يتصدرن الموكب، ثم قال بالفرنسية لفتاتين فرنسيتين جميلتين: «*هل تسمحان لى بمساعدتكما؟*»، ضحكت الفتاتان وسمحتا له بأن يرافقهما إلى الداخل. ترك (جورج) للتعامل مع الساحرات الكهول، بينما تولى (رون) أمر زميل السيد (ويزلى) القديم فى الوزارة، بيركنز، وجاء من نصيب (هارى) زوجان عجوزان أصمان.

وما إن خرج (هارى) من الخيمة حتى سمع صوتًا مألوفًا يقول: «أهلاً»، ووجد أمامه (تونكس) و(لوبين) فى مقدمة الصف. كانت قد حولت شعرها إلى اللون الأشقر من أجل المناسبة وقالت: «لقد أخبرنا (آرثر) أنك ذو الشعر المعقوص. آسفين من أجل الليلة الماضية»، وأضافت هامسة بينما يقودهما (هارى) إلى أعلى الممر: «لقد أصبحت الوزارة شديدة العداء للمستذئبين فى الوقت الحالى وفكرنا أن وجودنا قد لا يكون فى صالحك».

قال (هارى) موجهًا كلامه للوبين أكثر من (تونكس): «لا بأس، إننى أفهم». ابتسم له (لوبين) ابتسامة سريعة، ولكن ما إن ابتعد (هارى)، حتى رأى تجاعيد

البؤس ترتسم على وجه (لوبين) مجددًا. لم يفهم الأمر، ولكن لم يكن ثمة وقت للتعمق فى الأمر: كان (هاجريد) يسبب قدرًا من الاضطراب، بعد أن أساء فهم تعليمات (فريد)، فلم يجلس على الكرسى الضخم الذى تم توسيعه وتعزيزه بالسحر من أجله فى الصف الخلفى، وجلس بدلاً منه على خمسة كراسى أصبحت الآن تشبه كومة كبيرة من أعواد الكبريت الذهبية.

وبينما يقوم السيد (ويزلى) بإصلاح الضرر، أخذ (هاجريد) يصيح معتذرًا لكل من يستمع إليه. وأسرع (هارى) عائدًا إلى المدخل، ليجد (رون) واقفًا مع أحد أغرب السحرة شكلاً.. كان أحول العينين قليلاً، وله شعر أبيض يصل إلى كتفه يشبه حلوى غزل البنات، ويرتدى طربوشًا تتأرجح زلمتها أمام أنفه وثوبًا فى لون صفار البيض وحول عنقه سلسلة ذهبية تتدلى منها علامة رمزية لامعة غريبة الشكل، تشبه عينًا مثلثة.

قال وهو يمد يده إلى (هارى) مصافحًا: «(زينوفيليوس لافجرد)، أنا وابنتى نعيش فوق التل قريبًا من هنا، وكان من كرم (آل ويزلى) أن قاموا بدعوتنا». وأضاف موجها حديثه إلى (رون): «ولكنى أعتقد أنك تعرف ابنتى لونا؟».

قال (رون): «نعم. هل حضرت معك؟».

«لقد تمهلت قليلاً فى الحديقة الصغيرة الساحرة لتقول مرحبًا لأقزام الحديقة، إنها حقًا آفات مجيدة! عدد قليل من السحرة فقط هو من يدرك مدى ما يمكن أن يتعلمه من تلك الأقزام الصغيرة الحكيمة، أو لنعطها الاسم الصحيح، جيرنومبلى جاردينسى».

قال (رون): «يعرف أقزام حديقتنا الكثير من الشتائم، ولكنى أعتقد أن (فريد) و(جورج) قد علموهم إياها».

وقاد مجموعة من السحرة إلى داخل الخيمة، بينما لونا تقترب مسرعة.

وقالت: «أهلاً يا هارى»!

قال (هارى) مرتبكًا: «أ ـ اسمى بارنى».

سألت بمرح: «أوه، هل غيرت اسمك أيضًا؟».

«كيف عرفت..؟».

قالت: «أوه، من تعبير وجهك فقط».

كانت لونا ترتدى عباءة صفراء زاهية مثل أبيها، وتزين شعرها بزهرة دوار شمس كبيرة وبمجرد أن تعتاد على وهج كل شىء، فإن التأثير العام لمظهرها يبدو لطيفا جدًا.. على الأقل لم يكن هناك فجل يتدلى من أذنيها.

لم ينتبه (زينوفيليوس) الذى كان منهمكًا فى الحديث مع أحد المعارف، إلى الحديث الذى تبادلته لونا مع (هارى)، وبعد أن ودع صديقه، التفت الى ابنته، التى رفعت إصبعها إليه، وقالت: «انظر يا أبى، لقد عضنى أحد أقزام الحديقة!».

قال السيد (لافجرد) وهو يمسك بأصبع لونا ويفحص علامة العض التى تنزف: «كم هذا رائع! لعاب أقزام الحديقة مفيد جدًا. (لونا)، حتى، لو شعرتِ بأى ازدهار لمواهبك اليوم ـ ربما رغبة غير متوقعة فى غناء الأوبرا أو الصياح فى الميرميش ـ لا تكبتيها! يمكن أن تكون هدية لك من *الجيرنومبلى!*».

أطلق (رون) ضحكة مدوية، وهو يمر بهم فى الاتجاه المعاكس.

قالت لونا بطمأنينة وهارى يقودها هى (زينوفيليوس) إلى مقاعدهم: «يستطيع (رون) الضحك، ولكن والدى قد قام بالكثير من الأبحاث عن سحر *الجيرنومبلى*».

قال (هارى) الذى كان قد قرر منذ زمن طويل عدم تحدى لونا أو آراء والدها الغريبة: «حقًا؟ هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين وضع أى شىء على هذه العضة، مع ذلك؟».

قالت لونا وهى تمص إصبعها وتنظر إلى ملابس (هارى) حالمة: «أوه، إنه بخير، تبدو أنيقًا. لقد أخبرت أبى أن معظم الناس ربما يرتدون العباءات، لكنه يرى أن عليك ارتداء ألوان الشمس فى حفلات الزفاف من أجل الحظ، أتعرف».

وما إن تركته لونا لتلحق بوالدها، حتى ظهر (رون) وقد تأبطت ذراعه ساحرة عجوز.. أعطاها أنفها المدبب، وتحديد عينيها الأحمر، وقبعتها الوردية ذات الريش مظهر طائر بشروش غاضب.

«... وشعرك أطول بكثير يا رونالد. لقد تصورت للحظة أنك جينيفرا. بحق لحية (ميرلين)، ما الذى يرتديه (زينوفيليوس) لوفجود؟ إن لون ملابسه يشبه البيض المخفوق المقلى». ثم سألت (هارى): «من أنت؟».

«أوه نعم، يا خالتى (موربيل)، هذا هو ابن عمنا بارنى».

«ويزلى آخر؟ إنكم تتكاثرون مثل أقزام الحديقة. ألم يحضر (هارى بوتر)؟ كنت آمل أن ألتقيه. ظننت أنه صديق لك يا رونالد، أم أنك كنت تتفاخر فقط؟».

«لا ـ لم يستطع القدوم..».

صاحت فى (هارى): «همم، اعتذر إذن، أليس كذلك؟ ليس غبيًا كما يبدو فى صوره فى الصحف. لقد قمت للتو بإرشاد العروس حول أفضل طريقة لارتداء تاجى. لقد صنعه الأقزام الأسطوريون، وهو متوارث فى عائلتى منذ عدة قرون. إنها فتاة

جميلة، ولكنها مازالت ـ فرنسية. حسنًا، حسنًا، أبحث لى عن مقعد جيد يا رونالد. لقد بلغت مئة وسبع سنوات من العمر ولا يجب أن أظل واقفة على قدمى طويلاً».

نظر (رون) لـ (هارى) نظرة ذات مغزى وهو يمر به ولم يظهر مجددًا لبعض الوقت: وعندما التقيا بعدها عند المدخل، كان (هارى) قد أرشد أكثر من عشرة أشخاص آخرين إلى أماكنهم. وقد امتلأت الخيمة تقريبًا الآن، ولأول مرة، لم يكن هناك طابور منتظر بالخارج.

قال (رون) وهو ينظف جبهته بكمه: «(موريل) هذه كابوس، لقد كانت تأتى لقضاء عيد الميلاد معنا كل عام، ثم، الحمد لله، اعتبرت تفجير (فريد) و(جورج) قنبلة روث تحت كرسيها على العشاء إهانة ولم تعد تأتى. يقول أبى دائمًا إنها ستستبعدهم من وصيتها ـ وكأن ذلك يهمهم. طبقًا للمعدل الذين يتقدمون به، سينتهى بهم الأمر إلى أغنى من أى شخص فى العائلة..». ثم أضاف وعيناه تطرفان بسرعة نوعًا ما، بينما تسرع (هرميون) نحوهما: «واو! تبدين رائعة».

قالت (هرميون) وهى تبتسم: «دائمًا نبرة المفاجأة» كانت ترتدى فستانًا خفيفًا ذا لون بنفسجى فاتح وحذاء ذا كعب عالٍ من نفس اللون؛ كان شعرها أملس ولامعًا. ثم أضافت: «إن خالتك الكبيرة (موريل) لا تتفق معك، لقد قابلتها منذ قليل فى الطابق العلوى بينما كانت تعطى (فلور) التاج. وقالت: «يا إلهى، هل هذه هى المولودة للعامة؟» ثم «وقفة سيئة وكاحلان نحيفان..»».

قال (رون): «لا تأخذى الأمر بشكل شخصى، فهى وقحة مع الجميع».

سأل (جورج) وهو يظهر خارجًا من الخيمة مع (فريد): «أتتحدثون عن (موريل)؟ نعم، لقد أخبرتنى منذ قليل أن أذنىَّ غير متوازنتين. تلك الخفاشة العجوز. ومع ذلك، كم كنت أتمنى لو أن العم (بيليوس) لا يزال معنا، لقد كان يثير الضحك فعلاً فى حفلات الزفاف».

سألت (هرميون): «أليس هو ذاك الذى شهد نذيرًا وتوفى بعدها بأربع وعشرين ساعة؟».

وافقها (جورج): «حسنًا، نعم، لقد أصبح غريب الأطوار إلى حد ما فى أيامه الأخيرة».

قال (فريد): «ولكن قبل أن يفقد عقله، كان حياة وروح الحفلات. كان يشرب زجاجة شراب نارى كاملة، ثم يسرع إلى حلبه الرقص، ويرفع ملابسه، ويبدأ فى سحب باقات الزهور من..».

قالت (هرميون) بينما استغرق (هارى) فى الضحك: «نعم، كان يبدو ظريفًا جدًا».

«قال (رون): «لم يتزوج أبدًا، لسبب ما».

قالت (هرميون): «لقد أذهلتنى».

وكانوا جميعًا مستغرقين فى الضحك لدرجة أن أحدًا منهم لم يلاحظ الشاب الصغير ذا الشعر القاتم والأنف المعقوف والحواجب السميكة السوداء، الذى وصل أخيرًا، حتى رفع دعوته لـ (رون) وقال وعيناه على (هرميون): «تبدين رائعة».

صرخت: «فيكتور!». وأوقعت حقيبتها الصغيرة المطرزة، والتى أحدثت دويًا كبيرًا لا يتناسب أبدًا مع حجمها. ثم مالت لالتقاطها وقد أحمر وجهها خجلاً وقالت: «لم أكن أعرف أنك ـ يا إلهى! ـ من الرائع أن أراك ـ كيف حالك؟».

تحول لون أذن (رون) إلى الأحمر الزاهى مرة أخرى. وبعد أن نظر إلى دعوة (كرام)، قال بصوت عال وكأنه لا يصدق كلمة منها: «كيف أتيت هنا؟».

قال (كرام)، وقد ارتفع حاجباه: «(فلور) دعتنى».

لم يكن (هارى) يحمل أى ضغينة ضد (كرام)، فصافحه؛ ثم شعر أن من الحكمة أن يبعده عن طريق (رون)، فعرض عليه أن يريه مقعدًا.

قال (كرام)، وهما يدخلان إلى الخيمة التى أصبحت ممتلئة الآن: «يبدو أن صديقك غير سعيد برؤيتى»، ثم أضاف وهو ينظر إلى شعر (هارى) الأحمر المجعد: «أم أنه قريبك؟».

تمتم (هارى): «ابن عمى». ولكن (كرام) لم يكن يسمعه، فقد أثار ظهوره ضجة، خصوصًا بين بنات العم (فيلا): فقد كان، قبل كل شىء، لاعب الكويدتش الشهير. وبينما كان الناس ما زالوا يرفعون أعناقهم ليروه جيدًا، جاء (رون)، و(هرميون)، و(فريد)، و(جورج) مسرعين عبر الممر.

قال (فريد) لـ(هارى): «حان وقت الجلوس أو ستدهسنا العروس».

وجلس (هارى) و(رون) و(هرميون) فى مقاعدهم فى الصف الثانى خلف (فريد) و(جورج). كان وجه (هرميون) يبدو ورديًا إلى حد ما وأذنا (رون) لا تزالان قرمزيتين. وبعد لحظات، تمتم إلى (هارى): «هل رأيت لحيته الصغيرة الغبية؟».

نخر (هارى) ولم يعلق.

وساد الخيمة الدافئة شعور من الترقب الممزوج بالتوتر، ولم يقطع حالة الدمدمة العامة سوى انفجار بعض الضحكات المتحمسة من وقت لآخر. وظهر

السيد والسيدة (ويزلى) فى الممر، وهم يلوحون ويبتسمون لأقاربهم؛ وكانت السيدة (ويزلى) ترتدى طقمًا جديدًا من الملابس بلون العقيق الأزرق وقبعة تتماشى معه.

وبعد لحظة وقف بيل و(تشارلى) فى مقدمة الخيمة، وهما يرتديان عباءات مزينة بورد أبيض مكان الزراير؛ وأصدر (فريد) صفيرًا كالذئاب وانفجرت ضحكات بنات العم (فيلا). ثم سكت الجميع عندما ارتفع صوت موسيقى صادرة مما بدا وكأنه بالونات ذهبية.

قالت (هرميون): «أووووه!». وهى تدور فى مقعدها لتنظر إلى المدخل.

وارتفع صوت تنهيدة جماعية عظيمة صادرة من السحرة والساحرات المدعوين، بينما يمشى مسيو (ديلاكور) و(فلور) بطول الدرب، تهادت (فلور) برشاقة، بينما يثب مسيو (ديلاكور) بجوارها وهو يبتسم. كانت ترتدى فستانًا أبيض شديد البساطة، بدا وكأن وهجًا فضيًا شديدًا ينبعث منه. ورغم أن إشعاعها عادة ما يغطى على الجميع عند المقارنة، لكنه اليوم كان يجمّل كل من يسقط عليه. وارتدت (جينى) وجابرييل فساتين ذات لون ذهبى، وبدتا اليوم وقد ازدادتا جمالاً عن المعتاد، وعندما وصلت (فلور) إلى بيل، لم يبد عليه أنه التقى فينرير جريباك قط فى يوم من الأيام.

قال صوت منغم بعض الشيء: «أيها السيدات والسادة»، وشعر (هارى) بصدمة خفيفة عندما شاهد نفس الساحر القصير ذا الشعر المجدول الذى ترأس جنازة (دمبلدور)، يقف أمام بيل و(فلور) ويقول: «لقد اجتمعنا هنا اليوم للاحتفال باتحاد اثنين من الأرواح المخلصة..».

قالت الخالة (موريل) بصوت هامس إلى حد ما: «نعم، إن تاجى يزيد الشكل العام جمالا ولكنى يجب أن أقول إن تفصيلة فستان جينفرا قصيرة بشكل زائد عن اللازم».

نظرت (جينى) حولها، وابتسمت ابتسامة عريضة، ثم غمزت لـ (هارى)، قبل أن تحول وجهها إلى الأمام ثانية بسرعة. تجول عقل (هارى) بعيدًا عن الخيمة، عائدا إلى أوقات الظهيرة التى قضاها مع (جينى) وحدهما فى الأجزاء المنعزلة من ساحات المدرسة. بدت هذه الأوقات وكأنها حدثت منذ زمن طويل؛ لقد كانت دائمًا تبدو أجمل من أن تكون حقيقية، كما لو كان يسرق ساعات مشرقة من حياة شخص عادى، شخص لا توجد على جبهته ندبه على شكل البرق.

«هل تقبل يا وليام (آرثر)، (فلور) إيزابيل؟».

وفى الصف الأول، كانت السيدة (ويزلى) ومدام (ديلاكور) تنشجان بهدوء فى مناديلهم المطرزة، بينما أخبر صوت يشبه النفير صادر من مؤخرة الخيمة الجميع بأن (هاجريد) قد أخرج أحد مناديله التى فى حجم مفرش المائدة. التفتت (هرميون) مبتسمة إلى هارى؛ كانت عيناها أيضًا مغرورقتين بالدموع.

«...إذن، أعلن ارتباطكما مدى الحياة».

رفع الساحر ذو الشعر المجدول عصاه عاليًا فوق رأسى بيل و(فلور) لتسقط عليهما نجوم فضية، وأخذت تدور حول أصابعهما المشتبكة معا. وقاد (فريد) و(جورج) موجة من التصفيق، فانفجرت البالونات الذهبية، وحلقت طيور عصافير الجنة وأجراس ذهبية صغيرة خارجة منهم، مضيفة أغانيها ودقاتها إلى الضجيج.

قال الساحر ذو الشعر المجدول: «سيداتى وسادتى! إذا سمحتم أن تتفضلوا بالوقوف!».

وقف الجميع، بينما تذمرت الخالة (موربيل) بصوت مسموع؛ ولوح بعصاه من جديد. وارتفعت الكراسى التى كانوا يجلسون عليها برشاقة فى الهواء، بينما اختفت جدران الخيمة المطرزة، فأصبحوا يقفون تحت مظله تدعمها أعمدة ذهبية، وسط منظر رائع للحديقة المضاءة بنور الشمس والريف الذى يحيط بها. ثم امتد حوض من الذهب المصهور من وسط الخيمة مشكلاً حلبه رقص لامعة؛ وتجمعت الكراسى الطائرة حول موائد صغيرة تغطيها مفارش بيضاء، ثم هبطت جميعها برشاقة إلى الأرض حولها، واتجه أفراد الفرقة ذوو السترات الذهبية نحو المنصة.

قال (رون) مستحسنًا: «رائع»، عندما ظهر النوادل من كل الاتجاهات وبعضهم يحمل صوانى فضية عليها عصير القرع وشراب الزبدة والشراب النارى بينما يحمل آخرون أكوامًا من كعك الفواكه والشطائر.

قالت (هرميون): «علينا أن نذهب ونهنئهم!». ووقفت على أطراف أصابعها لترى المكان الذى اختفى فيه بيل و(فلور) وسط حشود المهنئين.

هز (رون) كتفيه وقال: «سيكون لدينا وقت لذلك لاحقًا». واختطف ثلاثة من أكواب شراب الزبد من أحد الصوانى المارة وأعطى أحدهم لـ(هارى). وقال: «يا (هرميون)، فلنبحث عن مائدة... ليس هناك! ولا فى أى مكان قريب من (موربيل)..».

أرشدهم (رون) إلى الطريق عبر حلبة الرقص الفارغة، وهو ينظر يمينًا ويسارًا؛ كان (هارى) متأكدًا أنه ينظر مترقبًا ظهور (كرام). وعند وصولهم إلى الجانب الآخر من الخيمة، وجدوا معظم الموائد مشغولة: كانت المائدة الوحيدة الخالية هى تلك التى تجلس فيها لونا وحدها.

سألها (رون): «هل يمكننا الجلوس معك؟».

قالت بسعادة: «طبعًا، لقد ذهب أبى للتو ليعطى بيل و(فلور) هديتنا».

سأل (رون): «ما هى؟ كمية من جذور نبات الجوردى تكفى طوال العمر؟».

وجهت (هرميون) له ركلة من تحت المائدة، ولكنها أصابت (هارى) بدلاً منه. لم يستطع (هارى) تتبع مسار الحديث لبضع لحظات وقد دمعت عيناه من الألم.

وبدأت الفرقة العزف ونزل بيل و(فلور) إلى حلبه الرقص أولاً، وسط تصفيق كبير؛ وبعد حين، قاد السيد (ويزلى) مدام (ديلاكور) إلى الحلبة وتبعتهما السيدة (ويزلى) ووالد (فلور).

قالت (لونا): «أحب هذه الأغنية»، وتمايلت مع نغمة تشبه نغمة الفالس، ثم وقفت بعد بضع ثوان، وتهادت متجهة إلى حلبه الرقص، حيث أخذت تدور حول المكان وحدها، وقد أغلقت عينيها وأخذت تلوح بذراعيها.

قال (رون) بإعجاب: «إنها رائعة؟ أليس كذلك؟ لديها قيم جيدة».

ولكن الابتسامة اختفت من وجهه دفعة واحدة: بعد أن جلس (فيكتور كرام) فى مقعد لونا الشاغر. بدت (هرميون) مبتهجة باضطراب، إلا أن (كرام) لم يأت هذه المرة لمجاملتها. فقد قال وقد ظهر التجهم على وجهه: «من هذا الرجل الذى يرتدى اللون الأصفر؟».

قال (رون): «هذا هو (زينوفيليوس) لوفجود، إنه والد صديقة لنا». ودلت لهجته المشاكسة على أنه لا ينوى الضحك من (زينوفيليوس)، على الرغم من الاستفزاز الواضح. ثم قال فجأة لـ (هرميون): «تعالى لنرقص».

بدت وكأنها أخذت على غرة ولكنها كانت مسرورة أيضًا، ونهضت واختفيا معًا وسط الحشد المتزايد على حلبه الرقص.

سأل (كرام) وهو سارح الذهن للحظة: «آه، هل هما مرتبطان الآن؟».

قال (هارى): «آه ـ نوعا ما».

سأله (كرام): «من أنت؟».

«بارنى ويزلى».

تصافحا.

«أنت، بارنى ـ هل تعرف هذا الرجل لوفجود جيدًا؟».

«لا، لقد التقيت به اليوم فقط. لماذا؟».

حدق (كرام) من فوق كأسه، وأخذ يراقب (زينوفيليوس) الذى كان يتحدث مع عدد من السحرة على الجانب الآخر من حلبة الرقص.

قال (كرام): «لأنه لو لم يكن ضيف (فلور)، لبارزته هنا والآن، بسبب الرمز القذر الذى يرتديه على صدره».

قال (هارى): «رمز؟». ونظر إلى (زينوفيليوس) بدوره، ليجد العين المثلثة الغريبة تلمع على صدره وأضاف: «لماذا؟ ما الذى يعيبه؟».

«(جريندلوالد). هذا هو رمز (جريندلوالد)».

«(جريندلوالد)... الساحر الأسود الذى هزمه (دمبلدور)؟».

«بالضبط».

تحركت عضلات فك (كرام) وكأنه يمضغ، ثم قال: «قتل (جريندلوالد) العديد من الناس، ومن بينهم جدى. إنه بالطبع لم يكن أبدًا قويًّا فى هذا البلد، يقولون إنه كان يخشى (دمبلدور)، ومن الواضح أنهم على حق، بالنظر إلى نهايته. ولكن هذا..». وأشار بإصبعه إلى (زينوفيليوس) وأكمل: « ـ هذا هو رمزه، لقد عرفته على الفور: لقد حفره (جريندلوالد) على الجدار فى دورمسترانج، عندما كان تلميذًا هناك. وقد قام بعض البلهاء بنسخه على كتبهم وملابسهم وهم يعتقدون أن الصدمة ستجعلهم مثارًا للإعجاب ـ حتى أعطيناهم عن الذين قتل (جريندلوالد) أفرادا من أسرهم وأعطيناهم درسا جعلهم يمتنعون عن ذلك».

طقطق (كرام) أصابعه مهددا وهو يحدق فى (زينوفيليوس). شعر (هارى) بالحيرة، فقد بدا له من المستبعد تمامًا أن يكون والد لونا من المؤيدين لفنون الظلام، كما أنه يبدو أن لا أحد آخر فى الخيمة تعرف على الرمز الثلاثى الذى يشبه الطلاسم.

«هل أنت متأكد تمامًا من أن الرمز يخص (جريندلوالد)..؟».

قال (كرام) ببرود: «لست مخطئا، لقد تتبعت الرمز لسنوات عديدة، وأعرفه جيدًا».

قال (هارى): «حسنًا، هناك احتمال أن (زينوفيليوس) لا يعرف ما الذى يعنيه هذا الرمز، إن (آل لوفجود) عائلة... غير عادية بشكل كبير. يمكن ببساطة أن يكون قد التقطه من مكان ما، واعتقد أنها شريحة عرضية من رأس سنوركاك مجعد القرن أو شىء من هذا القبيل».

«شريحة عرضية من ماذا؟».

«حسنًا، أنا لا أعرف ما هى، ولكن يبدو أنه وابنته يذهبان فى رحلات بحثًا عنهم...».

شعر (هارى) بأن محاولته لتفسير سلوك (لونا) ووالدها فاشلة.

قال (هارى) وهو يشير إلى (لونا)، التى كانت ما زالت ترقص وحدها، وهى تلوح بذراعيها حول رأسها كمن يحاول طرد البراغيث: «هذه هى».

سأل (كرام): «لماذا تفعل ذلك؟».

قال (هارى) الذى تعرف على الأعراض: «ربما تحاول التخلص من الراكسبارت».

وبدا (كرام) غير واثق إن كان (هارى) يسخر منه أم لا. وسحب عصاه من داخل ملابسه ونقرها على فخذيه مهددًا؛ وتطاير الشرر من طرفها.

قال (هارى) بصوت عال: «(جريجوروفيتش)!»، وجفلَ (كرام)، ولكن (هارى) كان متحمسًا جدًا، فلم يهتم؛ عادت إليه الذكرى عندما رأى عصا (كرام): كان (أوليفاندور) يأخذها ويفحصها بعناية قبل دورة السحر الثلاثية.

سأل (كرام) بارتياب: «ماذا عنه؟».

«إنه صانع للعصى السحرية!».

قال (كرام): «أعرف هذا».

«لقد صنع عصاك! لهذا اعتقدت ـ الكويدتش..».

كان (كرام) يزداد ارتيابًا كل لحظة.

«كيف عرفت أن (جريجوروفيتش) هو الذى صنع عصاى؟».

قال (هارى) مرتجلا: «أظن أننى... أننى قرأته فى مكان ما... ربما فى... فى مجلة للمشجعين« وبدا (كرام) أكثر هدوءًا.

وقال: «لم أدرك أننى ناقشت عصاى مع مجلات التشجيع».

«إذن... أ... أين هو (جريجوروفيتش) هذه الأيام؟».

ظهرت الحيرة على (كرام).

وقال: «لقد تقاعد قبل عدة سنوات. كنت واحدًا من آخر من اشتروا عصا من (جريجوروفيتش). إن عصيه هى الأفضل ـ رغم أننى أعرف، بطبيعة الحال، أنكم أيها البريطانيون تشترون عصيكم من (أوليفاندور)».

لم يجبه (هارى) وتظاهر بأنه يراقب الراقصين مثل (كرام)، ولكنه كان يجهد عقله بالتفكير. لقد كان (فولدمورت) إذن يبحث عن صانع عصى مشهور.. ولم يكن عليه أن يفكر طويلا ليعرف السبب: من المؤكد أن السبب هو ما صنعته عصا (هارى) ليلة أن طارده (فولدمورت) وهم يطيرون عبر السماء. لقد هزمت العصا المصنوعة من خشب شجرة عيد الميلاد وريش العنقاء العصا المقترضة، وهو شيء لم يتوقعه (أوليفاندور) أو يفهمه. هل سيكون (جريجوروفيتش) أكثر دراية منه؟ هل هو حقًا أكثر مهارة من (أوليفاندور)، هل يعرف أسرارًا عن العصى لا يعرفها (أوليفاندور)؟

قال (كرام) معيدا (هارى) إلى الواقع: «هذه الفتاة جميلة. هل هى قريبتك أيضًا؟». كان (كرام) يشير إلى (جينى) التى انضمت لتوها إلى لونا.

قال (هارى) وقد شعر بالغيظ فجأة: «نعم، إنها مرتبطة بأحدهم وهو من النوع الغيور. رجل ضخم.. من الأفضل ألا تتصادم معه».

أحدث (كرام) صوتًا يعبر به عن استيائه.

وشرب ما بقى من كأسه قبل أن يقف ويقول: «ما فائدة أن يكون الشخص لاعب كويدتش دولى، إذا كانت كل الفتيات الجميلات مرتبطات؟».

وأسرع مبتعدا تاركا (هارى) الذى أخذ شطيرة من نادل بالقرب منه وشق طريقه حول حافة حلبة الرقص المزدحمة. أراد أن يجد (رون)، ليخبره عن (جريجوروفيتش)، لكنه كان يرقص مع (هرميون) فى وسط الحلبة. استند (هارى) إلى أحد الأعمدة الذهبية وأخذ يراقب (جينى) وهى ترقص مع (لى جوردان) صديق (فريد) و(جورج)، وهو يحاول ألا يشعر بالاستياء إزاء الوعد الذى أعطاه لرون.

لم يكن قد ذهب إلى عرس من قبل، لذلك لم يكن قادرًا على الحكم عن مدى اختلاف حفلات السحرة عن حفلات العامة، ولكنه كان متأكدًا جدًا بأن الأخير لن ينطوى على كعكه عرس فوقها تمثالان لطائر العنقاء طارا محلقين بمجرد قطع الكعكة، أو زجاجات شراب تطير حرة فى الهواء بين حشود المدعوين. ومع اقتراب المساء، وقد بدأت العث تستقر تحت المظلة التى تضيئها فوانيس ذهبية طائرة، أصبح المرح والصخب خارجًا عن السيطرة. واختفى (فريد) و(جورج) منذ أمد بعيد فى الظلام مع اثنين من بنات عمومة (فلور)؛ وأخذ (تشارلى)، و(هاجريد)، وساحر غليظ الجسم قصير يرتدى قبعة بنفسجية يغنون «أودو البطل» فى أحد الأركان.

تجول (هارى) وسط المدعوين ليهرب من عم مخمور من أعمام (رون)، بدا وكأنه غير متأكد إن كان (هارى) ابنه أم لا، وشاهد ساحرًا عجوزًا يجلس وحيدًا

على أحد الموائد. وقد جعلته سحابة الشعر البيضاء فوق رأسه يبدو مثل نبات هندباء برى هرم وكان على رأسه طربوش أكلته العثة. كان يبدو مألوفا بشكل غامض لـ (هارى) الذى أجهد عقله ليتذكر من هو حتى أدرك فجأة أنه (إلفياس دوج)، أحد أعضاء جماعة العنقاء، وكاتب نعى (دمبلدور).

اتجه (هارى) إليه.

وقال: «هل يمكننى الجلوس؟».

قال (دوج): «طبعًا، طبعًا»؛ كان صوته عالى الطبقة وله أزيز.

مال (هارى) عليه.

«أنا (هارى بوتر) يا سيد (دوج)».

شهق (دوج).

وقال: «ابنى العزيز! لقد أخبرنى (آرثر) أنك هنا، متنكرًا... لقد أسعدتنى جدًا... وشرفتنى!».

وصب (دوج) لـ (هارى) كأسًا من الشراب وهو يرتجف من السرور.

قال هامسًا: «لقد فكرت أن أكتب إليك... بعد موت (ألباس)... الصدمة... وبالنسبة لك، أنا متأكد..».

امتلأت عينا (دوج) شديدة الصغر بدموع مفاجئة.

قال (هارى): «لقد قرأت النعى الذى كتبته فى *المتنبئ اليومى*. لم أكن أدرك أنك تعرف الأستاذ (دمبلدور) جيدًا».

قال (دوج) وهو يمسح عينيه بالمنديل: «أعرفه جيدًا كما يعرفه الجميع. ولكنى بالتأكيد عرفته لمدة أطول من الجميع، لو أسقطت (أبيرفورث) من الحسبان ـ ولسبب ما، يبدو أن الناس يسقطون (أبيرفورث) من حسابهم دائمًا».

«بذكر *المتنبئ اليومى* لا أدرى إذا كنت رأيت يا سيد (دوج) ـ؟».

«أوه، أرجوك نادنى (إلفياس) يا فتاى العزيز».

«(إلفياس)، لا أدرى إذا كنت قد رأيت المقابلة التى أجرتها (ريتا سكيتر) عن (دمبلدور)؟».

احمر وجه (دوج) من الغضب.

«نعم يا (هارى)، رأيته. إن تلك المرأة، أو العُقاب(*) النارية قد يكون أدق فى التعبير، ضايقتنى حتى تدفعنى للكلام معها، وأنا أشعر بالخجل أن أقول إننى

(*) طائر من الجوارح حاد البصر ضخم يتغذى على الجيف.

أصبحت وقحًا نوعًا، فقد نعتها بأنها سمكة السلمون المرقطة تتدخل فيما لا يعنيها، وكانت النتيجة، كما رأيت، هى التشكيك فى قواى العقلية».

تابع (هارى): «حسنًا، فى تلك المقابلة، ألمحت (ريتا سكيتر) إلى أن الأستاذ (دمبلدور) كان متورطًا فى فنون الظلام فى شبابه».

رد (دوج) على الفور: «لا تصدق كلمة واحدة من ذلك يا هارى! ولا أى كلمة! لا تجعل شيئًا يشوه ذكرياتك عن (ألباس دمبلدور)!».

نظر (هارى) إلى وجه (دوج) الجاد المستاء وشعر بالإحباط بدلاً من الاطمئنان. هل يعتقد (دوج) حقًا أن (هارى) يمكنه وبكل بساطة أن يختار ألا يصدق؟ ألا يفهم (دوج) أن (هارى) يريد أن يتأكد وأن يعرف كل شيء؟».

وربما يكون (دوج) قد أدرك مشاعر (هارى)؛ لأنه تطلَّع إليه فى قلق وأسرع يقول: «إن ريتا سكيتر...».

ولكن صوتًا مجلجلاً قاطعه.

«(ريتا سكيتر)؟ أوه! كم أحبها، دائمًا أقرأ لها!».

نظر (هارى) ودوج ليجدا الخالة (موريل) واقفة قربهم وكأس الشراب فى يدها، بينما الريشة الموجودة فى قبعتها ترقص، وأضافت: «لقد كتبت كتابًا عن (دمبلدور)، أتعرف ذلك!».

قال (دوج): «أهلاً (موريل)، نعم، لقد كنا لتونا نناقش...».

«أنت هناك! أعطنى مقعدك، إن عمرى مئة سنة وسبع!».

قفز ابن عم آخر من (آل ويزلى)، أحمر الشعر، من مقعده، وقد ظهر عليه الفزع، وطوحته العمة (موريل) حول المائدة بقوة مدهشة وجلست عليه بين (دوج) و(هارى).

وقالت لـ(هارى): «مرحبًا مرة أخرى يا بارى، أو مهما كان اسمك. ما الذى كنتم تقولونه الآن عن (ريتا سكيتر) يا (إلفياس)؟ أتعرف أنها كتبت سيرة حياة (دمبلدور)؟ لا أستطيع الانتظار لقراءته. يجب أن أتذكر حجز نسخة عند (فلوريش وبلوتس)!».

تجمد وجه (دوج) وظهرت عليه القسوة، لكن الخالة (موريل) شربت ما بقى من كأسها ونقرت أصابعها النحيفة لنادل مار لتأخذ كأسًا آخر. وأخذت رشفة كبيرة من الشراب، ثم تجشأت وقالت: «ليس هناك داع لأن تبدوا مثل زوج من الضفادع المحنطة! قبل أن يصبح محترمًا وجليلاً وكل ذلك الهراء، كانت هناك بعض الشائعات القوية الغريبة عن (ألباس)!».

قال دوج، وقد تحول لونه إلى الأحمر مرة أخرى: «مجرد نميمة لا أساس لها من الصحة».

ردت الخالة موريل: «هذا هو المتوقع منك يا (إلفياس)، لقد لاحظت كيف تفاديت الأجزاء اللزجة بحياة صاحبك فى ذلك النعى الذى كتبته!».

قال (دوج) ببرود: «أنا آسف؛ لأنك تعتقدين ذلك، ولكنى أؤكد لك أننى كنت أكتب من القلب».

«أوه، كلنا نعلم أنك تبجل دمبلدور؛ بل إننى أظن أنك ستظل تعتقد أنه قديس، حتى لو اتضح فعلاً أنه تخلص من شقيقته السكويب!».

صاح (دوج): «موريل!».

وشعر (هارى) ببرودة لا علاقة لها بالشراب البارد تتسلل فى صدره.

وسأل (موريل): «ما الذى تعنينه؟ من الذى قال إن شقيقته كانت سكويب؟ لقد ظننت أنها كانت مريضة؟».

قالت الخالة (موريل) وهى تبدو سعيدة من الأثر الذى أحدثته: «ظنك خاطئ إذن يا بارى! على أية حال، كيف تتوقع أن تعرف شيئًا عن الأمر؟ لقد حدث كل ذلك قبل سنوات وسنوات من مجرد التفكير بك يا عزيزى، والحقيقة هى أن هؤلاء الذين كانوا على قيد الحياة وقتها لم يعرفوا حقيقة ما حدث قط، ولهذا السبب لا أستطيع الانتظار لمعرفة ما توصلت إليه (سكيتر)! لقد غطى (دمبلدور) على أخبار أخته لفترة طويلة من الزمن!».

قال (دوج) وهو يتنفس بصعوبة: «غير صحيح! غير صحيح تمامًا!».

قال (هارى) دون تفكير، وهو لا يزال يشعر بالبرودة داخله: «لم يخبرنى قط أن أخته كانت سكويب».

صاحت (موريل)، وهى تتمايل قليلاً فى مقعدها، محاولة التركيز على (هارى): «وما السبب الذى يدفعه لأن يخبرك بشىء كهذا؟».

قال (إلفياس) بصوت شديد الانفعال: «سبب عدم كلام (ألباس) أبدًا عن (أريانا) واضح تمامًا فى رأيى. لقد دمره موتها تمامًا..».

زعقت (موريل): «لماذا لم يرها أحد على الإطلاق يا (إلفياس)؟ لماذا لم يعرف نصف جماعتنا بوجودها قط، حتى حملت فى نعش إلى خارج البيت، وتم عمل مأتم لها؟ أين كان القديس (ألباس) بينما كانت (أريانا) محبوسة فى القبو؟ بعيدًا، يظهر نبوغه وعبقريته فى (هوجوورتس)، بدون أن يهتم لما يجرى فى بيته!».

سأل (هارى): «ما الذى تعنينه بأنها كانت محبوسة فى القبو؟ ما هذا؟».
كان (دوج) يبدو بائسا، بينما أجابت الخالة (مورييل) (هارى) مرة أخرى.
«لقد كانت أم (دمبلدور) امرأة مرعبة، مخيفه تمامًا. كانت مولدة لأبوين من العامة، رغم أننى سمعت أنها كانت تتظاهر بخلاف ذلك..».
همس (دوج) بائسًا: «لم تتظاهر قط بشيء من هذا القبيل! لقد كانت (كيندرا) امرأة طيبة». ولكن الخالة (موريل) تجاهلته.
« ـ كانت فخورة وشديدة التسلط، من نوع الساحرات اللاتى يشعرن بالذل لإنجاب سكويب..».
صاح (دوج) وهو مازال يتنفس بثقل: «(أريانا) لم تكن سكويب!».
قالت الخالة (موريل): «هذا ما تقوله يا (إلفياس)، فسر لى إذن لماذا لم تلتحق أبدًا بهوجورتس!». ثم التفت إلى (هارى) مرة أخرى وقالت: «فى أيامنا، غالبًا ما كان يتم التكتم على السكويب، ولكن المغالاة إلى حد سجن فتاة صغيرة فى المنزل، والزعم بأنها غير موجودة..».
قال (دوج): «أقول لك إن هذا ليس ما حدث!»، ولكن الخالة (موريل) أكملت ما تقوله، موجهة كلامها إلى (هارى).
« عادة ما كان يتم إلحاق السكويب بمدارس العامة وتشجيعهم على الاندماج فى مجتمع العامة... وكان ذلك أرحم بكثير من محاولة إيجاد مكان لهم فى العالم السحرى، حيث سيكونون دائمًا من الدرجة الثانية، ولكن بطبيعة الحال لم تجرؤ (كيندرا) (دمبلدور) على ترك ابنتها تذهب إلى مدارس العامة..».
قال (دوج) يائسًا: «لقد كانت (أريانا) ضعيفة. وكانت عليلة لدرجة لا تسمح لها...».
صاحت (موريل): «..لا تسمح لها بمغادره المنزل؟». ومع ذلك فإنها لم ترسل أبدًا لمستشفى سانت مونجو ولم يستدع أى معالج لرؤيتها قط!».
«حقًا يا (موريل)، كيف يمكنك معرفة ما إذا كان..».
«لعلمك يا (إلفياس)، كان ابن عمى (لانكيلوت) معالجًا فى سانت مونجو فى ذلك الوقت، وقد أخبر أسرتى بثقة شديدة بأن (أريانا) لم تذهب قط إلى هناك. وقد اعتقد (لانكيلوت) أن ذلك مريب جدًا!».
بدا (دوج) على وشك البكاء، بينما نقرت الخالة (موريل) أصابعها لتطلب المزيد من الشراب وقد بدا عليها بأنها قمة الاستمتاع بما يحدث. أما (هارى) فقد

أخذ يتذكر وهو يشعر بالخدر فى جسمه، كيف حبسه (آل درسلى) فى أحد المرات، وأبقوه بعيدًا عن أنظار الجميع من أجل جريمة كونه ساحرًا. هل عانت أخت (دمبلدور) من نفس المصيرِ للسبب العكسى: سجنت لافتقادها للموهبة السحرية؟ وهل تركها (دمبلدور) حقًا لمصيرها وذهب إلى (هوجوورتس) لإثبات موهبته وذكائه؟

واستأنفت (موريل) كلامها: « الآن لو أن (كيندرا) لم تمت أولاً، لقلت إنها هى التى أجهزت على (أريانا)..».

زمجر (دوج): «كيف يمكنك قول شىء كهذا يا (موريل)؟ أم تقتل ابنتها؟ فكرى فيما تقولينه!».

هزت الخالة (موريل) كتفيها وقالت: «إذا كانت الأم التى نتكلم عنها قد استطاعت حبس ابنتها لسنوات غير محددة، لماذا لا تقتلها؟ ولكن كما كنت أقول، بأن ذلك لا يتناسب مع ترتيب الأحداث؛ لأن (كيندرا) ماتت قبل (أريانا) ـ كيف ماتت؟ لا أحد يبدو متأكدًا من السبب على الإطلاق».

قال (دوج) فى محاولة شجاعة لتسخيف ما تقوله: «أوه، ليس هناك شك أن (أرينا) قد قتلتها، ولمَ لا؟».

قالت الخالة (موريل) بروية: «نعم، ربما تكون قد بذلت محاولة يائسة من أجل الحرية وقتلت (كيندرا) أثناء الصراع. هز رأسك بقدر ما تريد يا (إلفياس)! لقد حضرت جنازة (أريانا)، أليس كذلك؟».

قال (دوج) عبر شفاه ترتجف: «نعم، حضرتها، ولا أذكر مناسبة أكثر حزنًا منها. لقد كان (ألباس) محطم القلب..».

«لم يكن قلبه هو الشىء الوحيد المحطم. ألم يكسر (أبيرفورث) أنف (ألباس) فى منتصف القداس؟».

إذا كان الرعب قد ظهر على (دوج) قبل هذا، فإنه لا شىء مقارنة بما بدا على وجهه الآن، وكأن (موريل) قد طعنته بخنجر. وكركرت بصوت عال وهى تجرع شرابها، وسال بعض الشراب أسفل ذقنها.

وصاح (دوج): «كيف يمكنك..؟».

قالت (موريل) بسعادة: «لقد كانت والدتى صديقة (باثيلدا باجشوت) العجوز. وقد حكت (باثيلدا) كل ما حدث لأمى، بينما كنت أستمع لها عند الباب. ووفقا لـ (باثيلدا)، فقد حدثت مشاجرة بجوار النعش، حيث صرخ (أبيرفورث) بأن موت

(أريانا) كان خطأ (ألباس) ثم لكمه فى وجهه. ولم يحاول (ألباس) حتى أن يدافع عن نفسه، وهذا شىء غريب فى حد ذاته، فقد كان (ألباس) قادرًا على تدمير (أبيرفورث) فى مبارزة بينما يداه الاثنتان مقيدتان خلف ظهره».

احتست (موريل) المزيد من شرابها وقد بدا أن سرد كل تلك الفضائح القديمة يجعلها تزداد زهوًا بنفسها بقدر ما تفزع (دوج). لم يعرف (هارى) ماذا يعتقد، أو ماذا يصدق: كان يريد أن يعرف الحقيقة، ولكن كل ما فعله (دوج) كان الجلوس هناك والثغاء عن صحة (أريانا) الضعيفة. لم يستطع (هارى) أن يصدق أن (دمبلدور) لم يتدخل إذا كانت مثل هذه القسوة تحدث داخل بيته، ومع ذلك لم يكن هناك شك فى وجود شىء غريب فى القصة.

قالت (موريل) وقد أصابها الفواق قليلاً بعد أن خفضت كأسها: «وأقول لك شيئًا آخر، أعتقد أن (باثيلدا) هى التى باحت إلى (ريتا سكيتر) بكل ذلك. فكل تلميحات (سكيتر) فى الحديث عن مصدر هام مقرب إلى (دمبلدور) تشير إليها، خاصة أنها حضرت كل ما يخص موضوع (أريانا)!».

همس (دوج): «لا لم تتحدث (باثيلدا) مع (ريتا سكيتر) قط!».

قال (هارى): «(باثيلدا باجشوت)؟ صاحبة كتاب *تاريخ السحر*؟».

كان الاسم مطبوعًا على غلاف كتاب من كتب (هارى) المدرسية، وإن لم يكن من الكتب التى اهتم بأن يقرأها.

قال (دوج) متعلقًا بسؤال (هارى) مثلما يتعلق الغريق فى طوق النجاة: «نعم، أحد أكثر المؤرخين السحريين موهبة وصديقة قديمة لـ(ألباس)».

قالت الخالة (موريل) بمرح: «وقد سمعت أنها أصبحت مخرفة جدًا هذه الأيام».

قال (دوج): «إذا كان الأمر كذلك، فإنه من العار على (سكيتر) أن تستغلها بهذا الشكل، كما أنه لا يمكن الاعتداد بأى شىء قد تكون (باثيلدا) قد قالته!».

قالت الخالة (موريل): «أوه، هناك سبل لإعادة الذكريات، وأنا متأكدة من أن (ريتا سكيتر) تعرفها كلها، ولكن حتى لو كانت (باثيلدا) مجنونة تمامًا، فأنا متأكدة من أنه لا يزال لديها صور فوتوغرافية قديمة، وربما رسائل. لقد عرفت (دمبلدور) لسنوات ولو كنت مكانها، لاعتقدت أن الأمر يستحق رحلة إلى جودريك هولو».

كان (هارى) قد أخذ رشفة من شراب الزبد، فغص. وأخذ (دوج) يخبطه على ظهره بينما (هارى) يسعل وينظر إلى الخالة (موريل) بعينين دامعتين. وما إن

استطاع السيطرة على صوته مرة أخرى، حتى سأل: «هل تعيش (باثيلدا باجشوت) فى جودريك هولو؟»).

«أوه نعم، لقد كانت تعيش هناك منذ بعيد! بينما انتقل (آل دمبلدور) إلى هناك بعد أن سُجن بيرسيفال، وكانت هى جارتهم».

«هل عاش (آل دمبلدور) فى جودريك هولو؟».

قالت الخالة (موريل) بنزق: «نعم يا بارى، هذا هو ما قلته للتو».

شعر (هارى) بالفراغ، وكأن مشاعره قد نضبت. طوال ست السنوات التى عرف فيها (دمبلدور)، لم يحدث أبدًا أن أخبره ولو لمرة واحدة بأن كليهما قد عاش وفقد أحباءه فى جودريك هولو. لماذا؟ هل دفن ليلى وجيمس بالقرب من أم (دمبلدور) وأخته؟ هل زار (دمبلدور) قبريهما، وربما مر (بليلى) و(جيمس) وهو يفعل ذلك؟ ولم يخبر (هارى) أبدًا ولو مرة... لم يتعب بنفسه بأن يخبره أبدًا...

ولماذا كان الأمر مهمًا له لهذه الدرجة، لم يستطع (هارى) تفسير الأمر ولا حتى لنفسه، ولكنه أحس أن عدم إخباره عن هذا المكان وعن تجاربهما المتشابهة فيه يعد بمثابة كذبة. كان يحدق أمامه، يكاد لا يلاحظ ما يدور حوله، فلم يدرك أن (هرميون) قد ظهرت من وسط الزحام حتى سحبت كرسيًا وجلست بجواره.

قالت وهى تلهث: «لا أستطيع الرقص أكثر من ذلك»، ثم خلعت فردة حذائها وأخذت تفرك باطن قدمها وهى تقول: «لقد ذهب (رون) ليحضر المزيد من شراب الزبد. إنه شىء غريب بعض الشىء، لقد رأيت الآن (فيكتور كرام) وهو يندفع مبتعدًا عن والد (لونا)، يبدو أنهما كانا يتجادلان..». ثم سألته بصوت هامس وهى تحدق فيه: «هل أنت على ما يرام يا (هارى)؟».

لم يعرف (هارى) من أين يبدأ، ولكن ذلك لم يكن مهمًا. وفى تلك اللحظة، جاء شىء كبير فضى هابطًا من خلال المظلة على حلبه الرقص. وحط حيوان الفهد الرشيق اللامع بخفة وسط الراقصين المندهشين. وتحولت الرءوس إليه، بينما تجمد القريبون منه بسخافة فى منتصف الرقص. ثم فتحت الباترونوس فمها على آخره وتكلمت بصوت (كنجسلى شاكلبولت) العالى العميق البطىء.

قال: «سقطت الوزارة. ومات (سكريمجور). إنهم *قادمون*».



٩ مكـان للاختـباء

بدا كل شىء ضبابيًّا، بطيئًا. وقفز (هارى) و(هرميون) على أقدامهما وقد سحب كلاً منهما عصاه. كان الكثير من الناس قد بدءوا يدركون لتوهم أن شيئًا غريبًا قد حدث؛ كانت الرءوس مازالت تتحول نحو الفهد الفضى بينما يختفى. انتشر الصمت مثل موجات بأردة خارجة من المكان الذى حطت فيه الباترونوس. ثم صرخ شخص ما.

انضم (هارى) و(هرميون) إلى الجمهور الهلع. وبدأ الضيوف يركضون فى كل الاتجاهات؛ كثيرون كانوا ينتقلون آنيًّا؛ لقد انكسرت تعاويذ الحماية الموضوعة على الجحر.

وبكت (هرميون): «(رون)! (رون)، أين أنت؟».

وبينما يشقون طريقهم عبر حلبة الرقص، رأى (هارى) أشخاصًا ملثمين يرتدون عباءات يظهرون فى الزحام؛ ثم رأى (لوبين) و(تونكس)، وقد رفع كل منهما عصاه، وسمعهما يصيحان معًا: «بروتيجو!».، وتردد صدى البكاء من جميع الجهات ـ

نادت (هرميون): «(رون)! (رون)!». وهى توشك على البكاء بينما هى وهارى يشقان طريقهما بصعوبة بين الضيوف المرعوبين: وأمسك (هارى) يدها ليكون متأكدًا أنهما لا ينفصلان عن بعضهما، بينما سمعا أزيز شعاع ضوء فوق رأسيهما، لم يعرف إن كانت تلك تعويذة حماية أو شيئًا آخر أكثر فظاعة ـ

ثم ظهر (رون)، وأمسك بذراع (هرميون) الحرة، وشعر (هارى) بها تدور فى مكانها؛ ثم اختفت المشاهد وخمدت الأصوات وشعر بالظلام يضغط عليه؛ كان كل ما يشعر به هو يد (هرميون) بينما يعتصره المكان والزمان، بعيدًا عن الجُحر، بعيدًا عن أكلة الموت المهاجمين، وربما بعيدًا عن (فولدمورت) نفسه...

قال صوت (رون): «أين نحن؟».

فتح (هارى) عينيه. واعتقد للحظة أنهم لم يغادروا العرس بعد؛ كانوا لا يزالون محاطين بالناس.

قالت (هرميون) لاهثة: «شارع توتنهام كورت امشوا، هيا تحركوا، نحتاج إلى البحث عن مكان ما حتى تقوما بتغيير ملابسكما».

أطاعها (هارى)، وأخذوا يمشون قليلاً ويجرون قليلاً فى الشارع المظلم الواسع المزدحم بمعربدى آخر الليل وقد اصطفت المتاجر المغلقة على جانبى الطريق، بينما تتألق النجوم فوقهم. وتحركت حافلة ذات طابقين ببطء بجوارهما، كان بها مجموعة من رواد الحانات المرحين الذين حدقوا فيهم وهم يمرون؛ كان (هارى) و(رون) ما زالا يرتديان العباءات.

قال (رون) بينما انفجرت شابة ضاحكة عندما وقع بصرها عليه: «(هرميون)، ليس لدينا شىء لنغير ملابسنا به».

قال (هارى) وهو يلعن غباءه داخليا: «لماذا لم أتأكد أن عباءة التخفى معى؟ لقد كنت أحتفظ بها معى طوال العام و..».

قالت (هرميون): «إن الأمر على ما يرام، إن العباءة معى، ومعى ملابس لكلٍّ منكما، فقط حاولا التصرف بطريقة طبيعية حتى ـ هذا مكان مناسب».

قادتهم إلى شارع جانبى، ثم إلى ستر حارة معتمة.

قال (هارى) عابسا فى وجه (هرميون): «تقولين إن معك العباءة، والملابس...» لم تكن (هرميون) تحمل شيئًا سوى حقيبة يدها المطرز الصغيرة، والتى كانت تفتش فيها الآن.

قالت (هرميون): «نعم، خذوا»، وأصابت (هارى) و(رون) دهشة عظيمة وهم يشاهدونها تخرج سروال جينز، وقمصانًا، وبعض الجوارب، وأخيرًا عباءة الإخفاء الفضية.

«كيف بحق الجحيم ـ؟».

قالت (هرميون): «تعويذة تمديد لا يمكن تتبعها. شديدة الصعوبة، ولكنى أعتقد أننى أديتها بشكل جيد؛ على أى حال، لقد تمكنت من وضع كل شىء نحتاج إليه هنا». وهزت الحقيبة الصغيرة الضعيفة هزة صغيرة وتردد صوت صدى يشبه تدحرج عدد من الأشياء الثقيلة داخل حاوية للبضاعة. و قالت وهى تنظر داخلها «أوه، اللعنة، من المؤكد أن هذه هى الكتب ولقد قمت برصها جميعًا حسب الموضوع... حسنًا... (هارى)، من الأفضل أن تأخذ عباءة الإخفاء، وأنت يا (رون)، هيا عجل بتغيير ملابسك..».

سأل (هارى) و(رون) يخلع ملابسه: «متى فعلتِ كل هذا؟».

«لقد أخبرتكما ونحن فى الجحر، لقد كنت أقوم بحزم الأشياء الضرورية منذ أيام كما تعلمون، تحسبًا لاضطرارنا إلى الهروب السريع. وقد قمت بحزم حقيبة الكتف الخاصة بك صباح اليوم يا (هارى) بعد أن قمت بتغيير ملابسك، ووضعتها فى الداخل هنا... كان لدى شعور..».

قال (رون) وهى يعطيها ملابسه المحزومة: «إنك مدهشة فعلاً».

قال (هرميون): «شكرًا» وابتسمت ابتسامة صغيرة وهى تدفع الملابس إلى داخل الحقيبة. ثم أضافت: «أرجوك يا (هارى) أن تضع هذه العباءة عليك!».

رمى (هارى) عباءة الإخفاء حول كتفيه وسحبها فوق رأسه مختفيا عن الأنظار. وكان قد بدأ لتوه فى إدراك ما يحدث.

وقال: «الآخرون ـ الجميع فى حفل الزفاف..».

همست (هرميون): «لا يمكننا أن نقلق بخصوص ذلك الآن. إنهم يريدونك أنت يا (هارى)، وسنضع الجميع فى وضع أكثر خطورة لو عدنا».

قال (رون) الذى بدا وكأنه عرف ما ينوى (هارى) قوله، حتى بدون أن يرى وجهه: «إنها على حق. معظم أفراد الجماعة هناك، وسيعتنون بالجميع».

أومأ (هارى) برأسه، ثم تذكر أنهم لا يستطيعون رؤيته، فقال: «نعم». ولكنه فكر بجينى، وشعر بالخوف يخرج فقاعات مثل الحمض فى بطنه.

قالت (هرميون): «هيا، أعتقد أننا يجب أن تمضى قدمًا».

وتركوا الشارع الجانبى عائدين إلى الطريق الرئيسية من جديد، ورأوا مجموعة من الرجال على الجانب الآخر يغنون ويلوحون عبر الرصيف.

سأل (رون) (هرميون): «لمجرد الفضول، لماذا شارع توتنهام كورت بالذات؟».

«ليست لدى أى فكرة، لقد خطر ببالى فقط، لكننى متأكدة من أننا أكثر أمانا فى عالم العامة، فهم لن يتوقعوا وجودنا هنا».

قال (رون)، وهو ينظر حولهم: «صحيح، ولكن ألا تشعرين أننا مكشوفون قليلاً؟».

سألت (هرميون) وقد تراجعت قليلاً من الخوف عندما أخذ الرجال على الجانب الآخر من الطريق يصفرون لها: «هل هناك أى مكان آخر؟ لا يمكننا حجز غرف فى المرجل الراشح، أليس كذلك؟ والمنزل فى شارع جريمولد مستبعد إذا كان (سناب) يستطيع الوصول إليه... أعتقد أن بوسعنا الذهاب إلى منزل والدى، رغم أن هناك احتمال أن يحاولوا التحقق منه... أوه، كم أتمنى أن يسكتوا!».

صاح أحد الرجال السكارى على الرصيف المقابل: «ما رأيك يا عزيزتى؟ هل ترغبين فى تناول بعض الشراب؟ اتركى أحمر الشعر وتعالى تناولى مشروبًا معى!».

قالت (هرميون) بسرعة بينما فتح (رون) فمه ليرد: «هيا نجلس فى مكان ما. انظروا، هذا مكان مناسب، فلندخل هنا!»».

كان مقهى صغيرًا رثًّا من المقاهى التى تفتح طوال الليل. كانت هناك طبقة خفيفة من الدهن تغطى الأسطح الفورميكا لجميع الموائد، ولكنه خال من الرواد على الأقل. وجلس (هارى) إلى إحدى الموائد أولا وجلس (رون) بجواره فى مقابلة (هرميون) التى لم يعجبها أن يكون ظهرها إلى المدخل: وأخذت تنظر من فوق كتفيها كثيرًا حتى بدت كما لو أنها مصابة بحالة عصبية. لم يحب (هارى) الجلوس؛ كان المشى يعطيه إحساسًا خادعًا بأن لديهم هدفًا. وشعر تحت العباءة بزوال آخر آثار وصفة التخفى، وقد بدأت يداه تعود إلى طولهما وشكلهما الطبيعى، وأخرج نظارته من جيبه ووضعها على عينيه من جديد.

وبعد دقيقة أو دقيقتين، قال (رون): «أتعلمون، لسنا بعيدين عن المرجل الراشح هنا، إنه فى تشارنج كروس..».

قالت (هرميون) على الفور«لا يمكننا الذهاب إلى هناك يا (رون)!».

«ليس للبقاء، ولكن لمعرفة ما يجرى!».

«نعرف ماذا يجرى! لقد استولى (فولدمورت) على الوزارة، ماذا نريد أن نعرف أكثر من ذلك؟».

«حسنًا، حسنًا، كانت مجرد فكرة!».

وعادوا للصمت. وجاءت النادلة التى تمضغ العلكة إليهم، فطلبت (هرميون) اثنين كابتشينو: فقد كان الأمر يبدو غريبا أن تطلب واحدًا لـ (هارى) بينما هو غير مرئى. ودخل اثنان من العمال الضخام الأجسام إلى المقهى وجلسوا فى مائدة بجوارهم. وخفضت (هرميون) صوتها إلى حد الهمس.

«ما رأيكم لو أننا نجد مكانًا هادئًا ننتقل إليه آنيًا ثم نتجه إلى الريف. وبمجرد أن نصل هناك، يمكننا أن نرسل رسالة إلى الجماعة».

سأل (رون): «هل يمكنك أن تصنعى ذلك الباترونوس المتكلم، إذن؟».

قال (هرميون): «لقد كانت أتدرب عليه، وأعتقد أننى أستطيع ذلك».

قال (رون): «حسنًا، مادام ذلك لن يلحق بهم ضررًا، رغم أنهم يمكن أن يكونوا قد اعتقلوا بالفعل». ثم أضاف بعد تناول رشفة واحدة من القهوة الرمادية

الرغوية: «يا إلهى! إن طعمها مثير للاشمئزاز»، سمعته النادلة؛ وحدقته بنظرة كريهة وهى ذاهبة لأخذ طلبات الرواد الجدد. وأشار إليها الأضخم من الاثنين العمال لتبتعد، وعندما نظر (هارى) فيه، وجده أشقر وذا جسم شديد الضخامة، ووقفت النادلة تحدق إليه وقد شعرت بالإهانة.

قال (رون): «لنذهب من هنا، لا أريد أن أشرب هذا الوحل. هل لديك بعض نقود العامة لدفع ثمن ذلك يا (هرميون)؟».

قالت (هرميون) وهى تتنهد وتمسك بحقيبتها المطرزة: «نعم، لقد أخذت جميع مدخرات جمعية الإسكان قبل أن آتى إلى الجحر. إننى أراهن أن الفكة كلها فى القاع».

قام العاملان بحركة متشابهة، وقلدهما (هارى) دون تفكير: أخرج الثلاثة عصيهم. تأخر (رون)، لبضع ثوانٍ فى إدراك ما يجرى، ثم اندفع عبر المائدة، ودفع (هرميون) جانبًا على مقعدها. وحطمت قوة تعويذة آكل الموت الجدار الذى كانت رأس (رون) تستند عليه منذ لحظة، وصاح (هارى)، الذى كان ما زال خفيًّا: «*ستوبيفاى*».

أصابت دفقة الضوء الأحمر آكل الموت الأشقر الضخم فى وجهه: فوقع على الجنب وفقد وعيه. وأطلق رفيقة الذى لم يستطع رؤية من أطلق التعويذة، لعنة أخرى على (رون): وانطلقت حبال سوداء لامعة من طرف عصاه وقامت بتقييد (رون) من رأسه إلى قدميه ـ وصرخت النادلة وجرت فى اتجاه الباب ـ ورمى (هارى) تعويذة أخرى على آكل الموت ذى الوجه الملتوى الذى قام بتقييد (رون)، ولكنها أخطأته، ثم عادت وارتدت على النافذة وأصابت النادلة التى انهارت أمام الباب.

وصاح آكل الموت: «*إكسبلسو*»، وانفجرت المائدة التى يقف (هارى) وراءها: وأطاحت قوة الانفجار به ليضرب الجدار ويشعر بعصاه تترك يده، بينما انزلقت العباءة عنه.

صرخت (هرميون) من خارج مجال الرؤية: «*بيتريفيكوس توتالوس!*». وسقط آكل الموت إلى الأمام مثل تمثال ووقع بصوت هبدة عالية على الأرض التى يغطيها أجزاء الأكواب الصينية والمائدة المحطمة والقهوة. وزحفت (هرميون) خارجة من تحت المقعد، وهى تنفض بقايا زجاج منفضة سجائر من شعرها، بينما جسدها كله يرتعش.

وصاحت (هرميون): «د ـ (*ديفيندو*)»، وهى تشير بعصاها إلى (رون) الذى صاح متألما عندما شقت ركبة سرواله الجينز، وجرحته جرحًا عميقًا، فقالت: «أوه، أنا آسفة يا (رون)، إن يدى تهتز! (*ديفيندو*)!».

وسقطت الحبال المقطعة بعيدًا، وقف (رون) على قدميه، وهو يهز ذراعيه ليستعيد الشعور بهما. التقط (هارى) عصاه ومشى فوق الأنقاض متجهًا إلى المكان الذى يرقد فيه آكل الموت الأشقر الضخم، والذى كان متمددًا عبر أحد المقاعد.

قال (هارى): «كان يجب أن أعرفه، فقد كان موجودًا ليلة موت (دمبلدور)». وعدل آكل الموت الأسمر بقدمه؛ تحركت عينا الرجل بسرعة بين (هارى) (رون) و(هرميون).

قال (رون): «هذا (دولوهوف)، عرفته من ملصقات المطلوب ضبطهم. وأعتقد أن الضخم هو ثورفين رولى».

قالت (هرميون) بصوت هستيرى إلى حد ما: «أسماؤهم لا تهم! المهم هو كيف عثروا علينا؟ وماذا سنفعل الآن؟».

وبدا أن ذعرها قد صفى عقل (هارى) بطريقة ما.

وقال لها: «أغلقى الباب، وأطفئى الأنوار يا (رون)».

ونظر إلى (دولوهوف) المشلول الحركة وأخذ يفكر بسرعة، وسمع صوت غلق قفل الباب، بينما نقر (رون) ساحب الضوء ليغرق المقهى فى الظلام. وكان (هارى) يستطيع سماع الرجال الذين ضايقوا (هرميون) فى وقت سابق، وهم يصيحون فى فتاة أخرى على البعد.

همس (رون) إلى (هارى) خلال الظلام: «ماذا سنفعل معهم؟»؛ ثم قال بصوت أكثر هدوءًا: «اقتلهم؟ كانوا ليقتلوننا. وقد كادوا يفعلون ذلك الآن».

ارتجفت (هرميون) وخطت خطوة إلى الوراء، وهز (هارى) رأسه.

وقال: «نحتاج إلى محو ذاكرتهم فقط، إن الأمر أفضل هكذا، بهذه الطريقة لن يستطيعوا اقتفاء أثرنا، أما إذا قتلتهم، فسيكشف هذا أننا كنا هنا».

قال (رون) وقد بدا كأن هما انزاح عن كاهله: «أنت الرئيس، ولكننى لم أقم بتعويذة محو ذاكرة من قبل».

قالت (هرميون): «ولا أنا، ولكنى أعرف النظرية».

أخذت نفسًا عميقًا لتهدأ، ثم أشارت بعصاها إلى جبهة (دولوهوف)، وقالت: «*أوبليفيات*».

وفقدت عينا (دولوهوف) التركيز على الفور وأصبحت حالمة.

قال (هارى)، وهو يربت على ظهرها: «عبقرية! اعتنِ بالآخر والنادلة بينما أنا و(رون) ننظف المكان».

قال (رون): «ننظف المكان؟ لماذا؟». ونظر حوله إلى المقهى المدعو إلى حد ما.

«ألا تعتقد أنهم قد يتساءلون ماذا حدث لهم لو أفاقوا ليجدوا أنفسهم فى مكان يبدو كأنه قد تعرض للقصف؟».

«أوه نعم، عندك حق..».

كافح (رون) لحظة حتى انتزع عصاه من داخل جيبه.

«لا غرابة فى أننى لا أستطيع إخراجها، لقد قمت بحزم سروالى الجينز القديم يا (هرميون)، إنه ضيق».

هسهست (هرميون): «أوه، أنا آسفة جدًا». وبينما تجر النادلة مبعدة إياها عن النافذة، سمعها (هارى) تتمتم باقتراح المكان الذى يمكن لـ (رون) أن يضع فيه عصاه بدلاً من ذلك.

وبعد أن عاد المقهى إلى وضعه السابق، رفعوا آكلى الموت إلى أماكنهم حول المائدة وأسندوهم فى مواجهة بعضهم البعض.

ثم سألت (هرميون) وهى تنظر من رجل خامل إلى الآخر: «ولكن كيف وجدونا؟ كيف عرفوا مكاننا؟».

والتفتت إلى (هارى).

وقالت: «هل تظن أن ـ أنك ما زلت تحت تعويذة التتبع يا (هارى)؟».

قال (رون): «لا يمكن أن تكون مازالت عليه، فهى تنكسر عند بلوغ السابعة عشرة، هذا هو القانون السحرى، ولا يمكن وضعها على الكبار».

قالت (هرميون): «هذا هو ما تعرفه، ولكن ماذا لو أن آكلى الموت وجدوا طريقة لوضعها على فتى فى السابعة عشرة؟».

«ولكن (هارى) لم يكن بالقرب من أى واحد من آكلى الموت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية. من الذى من المفترض أن يكون قد أعاد وضع تعويذة التتبع عليه؟».

لم ترد (هرميون). وشعر (هارى) بأنه ملوث، وملطخ: هل هذه هى الطريقة التى وجدهم بها آكلو الموت حقا؟

وبدأ يقول: «إذا كنت لا أستطيع استخدام السحر، وأنتم لا تستطيعون استخدام السحر بالقرب منى، دون أن يكشف ذلك عن مكاننا..».

قالت (هرميون) بحزم: «لن ننفصل عن بعضنا!».

قال (رون): «نحن فى حاجة إلى مكان آمن نختبئ فيه. مكان يعطينا بعض الوقت لكى نتدبر الأمر».

قال (هارى): «المنزل بشارع جريمولد».

فغر الاثنان الآخران فَاهَهُما.

لا تكن سخيفا يا (هارى)، يستطيع (سناب) الدخول إليه!».

«لقد قال والد (رون) إنهم وضعوا على المكان لعنات ضده». وأكمل بسرعة قبل أن تبدأ (هرميون) فى الجدال: «وحتى لو لم تنجح، ماذا سيحدث؟ أقسم، بأننى لا أريد شيئًا أفضل من لقاء (سناب)!».

«ولكن..».

«(هرميون)، هل هناك أى مكان آخر؟ إنها أفضل فرصة متاحة لنا. فسناب فى النهاية آكل موتى واحد فقط. ولو أننى مازلت تحت تعويذة التتبع فعلاً، سنضطر لمواجهة حشود كبيرة منهم فى كل مكان آخر نذهب إليه».

لم تستطع مجادلته، وإن بدا عليها أنها تود أن تفعل ذلك. وبينما تفتح هى باب المقهى، نقر (رون) ساحب الضوء، معيدا الأنوار إلى المكان. ثم، عند العدة الثالثة لـ (هارى)، عكسوا التعاويذ على ضحاياهم الثلاث، وقبل أن تستطيع النادلة أو أى من آكلى الموت أن يفعل شيئًا أكثر من التقلب وهم نائمون، دار (هارى) و(رون) و(هرميون) فى أماكنهم واختفوا داخل الظلام الضاغط مرة أخرى.

وبعد ثوان، اتسعت رئتا (هارى) بامتنان وفتح عينيه: كانوا يقفون فى وسط ميدان صغير حقير مألوف. كانت المنازل العالية المهدمة تشرف عليهم من كل حدب وصوب. كان المنزل رقم 12 ظاهرًا لهم، لأن من أخبرهم بوجوده هو (دمبلدور)، حافظ سره، وهرعوا إليه، وهم يتأكدون كل بضع ياردات من أن أحدًا لا يتبعهم أو يلاحظهم. وتسابقوا صاعدين السلالم الحجرية، ونقر (هارى) الباب الأمامى بعصاه مرة، وسمعوا صوت تكات معدنية متتالية، وصلصلة سلسلة حديدية، ثم انفتح الباب مصدرًا صريرًا وأسرعوا مجتازين العتبة إلى داخل المنزل.

وما إن أغلق (هارى) الباب وراءهم، حتى اشتعلت مصابيح الغاز القديمة الطراز وعادت للحياة، وألقت بضوئها المتأرجح على طول الممر المؤدى إلى الصالة. كان يبدو تمامًا، كما يتذكره (هارى): مخيفًا، تملأ خيوط العناكب أركانه، وتلقى رءوس أقزام المنازل المعلقة على الحوائط ظلالاً غريبة على السلالم. وكانت صورة والدة (سيريوس) مازالت مختفية خلف الستائر الطويلة السوداء. الشىء الوحيد الذى لم يكن فى مكانه، كان حامل مظلات قدم الغول، والذى كان ملقى على جانبه وكأن (تونكس) قد أطاحت به من جديد.

وهمست (هرميون) وهى تشير إليه: «أعتقد أن شخصًا ما كان هنا».

غمغم (رون): «لا يمكن أن يكون ذلك حدث؛ لأن الجماعة رحلت».

سأل (هارى): «إذن، أين تلك اللعنات التى وضعوها ضد (سناب)؟».

قال (رون) مقترحًا: «ربما لا يتم تفعيلها إلا فى حالة ظهوره؟».

وظلوا قريبين من بعضهم عند ممسحة الأرجل وظهورهم إلى الباب، خائفين أن يخطوا خطوات أكبر إلى داخل المنزل.

قال (هارى): «حسنًا، لا يمكننا أن نبقى هنا إلى الأبد»، وخطا خطوة إلى الأمام. *«سيفيروس (سناب)؟»*.

سمعوا صوت (ماد - آى) يهمس خارجًا من الظلام، مما جعل ثلاثتهم يقفزون خوفًا إلى الوراء. وصاح (هارى): «نحن لسنا (سناب)!»، ثم أزّ شىء فوقه مثل الهواء البارد والتف لسانه إلى الخلف على نفسه، مما جعل الكلام مستحيلاً. وقبل أن يرفع يده ليتحسس داخل فمه، انفك لسانه مرة أخرى.

وبدا أن الاثنين الآخرين قد شعرا بنفس الإحساس الفظيع. كان (رون) يصدر صوتا وكأنه على وشك القىء؛ بينما تلعثمت (هرميون) قائلة: «هـ - هذه بـ - بالتأكيد لعنة ر - ربط لسان وضعها (ماد - آى) ضد (سناب)!».

خطا (هارى) خطوة أخرى إلى الأمام بحذر. وتحرك شىء فى الظلال فى نهاية القاعة، وقبل أن ينطق أى منهم بكلمة أخرى، قام جسد من داخل السجادة، جسد طويل، ومخيف، وبلون الغبار؛ وصرخت (هرميون) وكذا فعلت السيدة بلاك التى فتحت الستائر التى تغطى صورتها؛ كان الجسم الرمادى ينزلق مقتربًا منهم أسرع وأسرع، بينما لحيته وشعره اللذان يصلان إلى خصره يتطايران خلفه، كان وجهه غائرًا هزيلاً، ومحاجر عينيه خالية: كان وجهًا مألوفًا جدًّا، وإن كان تغير ليصبح مخيفًا، ورفع ذراعًا هزيلة مشيرًا إلى (هارى).

صاح (هارى): «لا! لا! لم نكن نحن! نحن لم نقتلك...»، ورغم أنه كان قد رفع عصاه، فلم تخطر بباله أى تعاويذ.

وما إن قيلت كلمة «قتل»، حتى انفجر الشىء الرمادى مثيرًا سحابة كبيرة من الغبار: والتفت (هارى) وهو يسعل وعيناه تدمعان بقوة ليجد (هرميون) جاثمة على الأرض عند الباب وذراعاها فوق رأسها، و(رون) يربت على كتفها بخوف، وهو يرتجف من رأسه إلى أخماص قدميه ويقول: «إن الأمر عـ - على ما يرام... لقد ا - اختفى...».

كان الغبار يدور حول (هارى) مثل الضباب، والتقط مصباح الغاز الأزرق، بينما واصلت السيدة بلاك الصراخ.

«دم موحل، قذارة، وصمات عار، لطخات خزى، على منزل آبائى..».
صاح (هارى): «اصمتى!». ووجه عصاه نحوها، وأغلقت الستائر بدوى وانفجار شرر أحمر، لتسكتها مرة أخرى.
قالت (هرميون) وهى تنشج، بينما (رون) يساعدها لتقف على قدميها: «كان... كان ذلك..».
قال (هارى): «نعم، ولكنه لم يكن حقًا هو. فقط شىء ليخيف سناب».
وتساءل (هارى)، إن كانت قد نجحت، أم أن (سناب) قد طرح الجسد المخيف جانبًا بنفس السهولة التى قتل بها (دمبلدور) الحقيقية؟ وبأعصاب ما زالت متوترة، قاد الآخرين عبر الصالة وهو نصف متوقع ظهور بعض التعاويذ الإرهابية الجديدة، ولكنْ لا شىء تحرك باستثناء فأر جرى بطول حافة الحائط.
وهمست (هرميون): «قبل أن نذهب أبعد من ذلك، أعتقد أنه من الأفضل أن نفحص المكان»، ورفعت عصاها، وقالت: «(*هومينوم ريفيليو*)».
لم يحدث شىء.
وقال (رون) بلطف: «حسنًا، لقد تعرضت لصدمة شديدة قبل قليل، من المفترض أن يفعل ذلك؟».
قالت (هرميون) بعبوس: «فعلت ما قصدت أن تفعله! فهذه التعويذة لكشف وجود البشر بالمكان، وليس هناك أحد هنا غيرنا!».
قال (رون) وهو ينظر إلى البقعة بالسجادة التى قامت منها الجثة: «والعجوز المغبر».
قالت (هرميون) وهى تلقى نظرة خائفة على نفس المكان: «هيا نصعد». وقادت الطريق وهم يصعدون الدرج الذى يصدر صريرًا إلى قاعة الرسم فى الطابق الأول.
لوحت (هرميون) بعصاها مشعلة مصابيح الغاز القديمة، ثم ارتعشت قليلاً فى الغرفة المليئة بالتيارات الهوائية الباردة، ثم جلست على الأريكة، وقد لفت ذراعيها بإحكام حول نفسها. واتجه (رون) إلى النافذة وحرك الستائر المخملية الثقيلة جانبا مسافة بوصة.
وقال: «لا أستطيع رؤية أى شخص فى الخارج. وأظن أنه لو كانت تعويذة التتبع مازالت على (هارى)، لكانوا قد تبعونا إلى هنا. أنا أعرف أنهم لا يستطيعون الدخول إلى المنزل، ولكن ـ ماذا هناك يا (هارى)؟».
صرخ (هارى) متألمًا: كانت ندبته تؤلمه من جديد، بينما ومض شىء عبر ذهنه مثل ضوء مبهر على ماء. ورأى ظلاً كبيرًا وشعر بغضب، لم يكن بنفسه، يسرى خلال جسده، عنيفًا وسريعًا كأنه صدمة كهربائية.

سأل (رون) وهو يتقدم نحو (هارى): «ما الذى رأيته؟ هل رأيته فى منزلى؟».
«لا، لقد شعرت بغضب فقط ـ إنه حقًا غاضب..».
قال (رون) بصوت عال: «ولكن هذا يمكن أن يكون فى الجحر. ماذا أيضًا؟ ألم تر أى شىء آخر؟ هل كان يقوم بتوجيه لعنة إلى أحد؟».
«لا، لقد شعرت بالغضب فقط ـ لا أستطيع أن أقول..».
شعر (هارى) بالانزعاج، والتشويش، زادته (هرميون) عندما قالت فى صوت خائف: «ندبتك، مرة أخرى؟ ولكن ماذا يجرى؟ لقد ظننت أن هذا الاتصال قد أغلق!».
تمتم (هارى) وندبته لا تزال تؤلمه، بشكل يمنعه من التركيز: «لقد أغلق فعلاً لبعض الوقت، ولكنى أعتقد أنه يفتح من جديد فى كل مرة يفقد فيها السيطرة على أعصابه، وهذا هو الوضع الذى كانت عليه..».
قالت (هرميون) بحدة: «ولكنك يجب أن تغلق عقلك! إن (دمبلدور) لم يردك أن تستخدم هذا الاتصال يا (هارى)، وطلب منك أن تغلقه، وهذا هو السبب الذى كان من المفترض أن تستخدم الأوكلومينسى من أجله! وإلا استطاع (فولدمورت) أن يزرع صورًا كاذبة فى عقلك، أتذكر؟».
قال (هارى) وهو يصر على أسنانه: «نعم، أتذكر جيدًا، شكرًا»؛ لم يكن فى حاجة لأن تخبره (هرميون) أن (فولدمورت) قد استخدم هذا الاتصال النفسى بينهم فى إحدى المرات ليقوده إلى فخ، ولا أن ذلك قد أدى إلى موت (سيريوس). وتمنى لو أنه لم يصرح لهما بما يراه ويشعر به؛ فقد جعل هذا (فولدمورت) يبدو أكثر تهديدًا، كما لو كان يضغط على نافذة الغرفة، وازداد الألم فى ندبته وحاول محاربته: ولكنه كان أشبه بمقاومة الرغبة فى القىء.
أدار ظهره لـ (رون) و(هرميون) متظاهرًا بفحص اللوحة القديمة التى تمثل شجرة (آل بلاك) المعلقة على الحائط. ثم صرخت (هرميون): وسحب (هارى) عصاه من جديد، والتف ليرى باترونوس فضيًا يطير داخلا من نافذة غرفة الرسم ويهبط على الأرض أمامهم، ويتجمع مكونًا شكل ابن عرس يتحدث بصوت والد (رون).
«*جميع أفراد الأسرة بخير، لا تردوا، فنحن مراقبون*».
تلاشت الباترونوس، وأطلق (رون) صوتًا ما بين نشيج وآهة وسقط على الأريكة: وانضمت (هرميون) إليه، وأمسكت بذراعه.
وقالت هامسة: «إنهم بخير، إنهم بخير!». وعانقها (رون) وهو نصف ضاحك.
وقال من فوق كتف (هرميون): «(هارى)، أنا..».

قال (هارى) وقد تعب من ألم رأسه: «ليست هناك مشكلة، إنهم أسرتك، ومن الطبيعى أن تقلق عليهم. أشعر بنفس إحساسك». ثم فكر بجينى وقال فى نفسه: «بل أنا أشعر بنفس إحساسك *بالفعل*».

ووصل الألم فى الندبة إلى ذروته، مثلما حدث فى حديقة الجحر من قبل. وسمع (هرميون) تقول بضعف: «لا أريد أن أكون وحدى. هل يمكننا استخدام أكياس النوم التى أحضرتها معى ونخيم هنا الليلة؟».

سمع (هارى) (رون) يوافقها. وشعر أنه لا يستطيع محاربة الألم أكثر من ذلك، واضطر إلى الاستسلام له.

وتمتم: «سأذهب إلى الحمام». وغادر الغرفة بأسرع ما يمكنه دون أن يجرى.

وبالكاد وصل إليه: ودفع الباب وراءه بيدين مرتجفتين وأمسك رأسه الذى يدق وسقط أرضًا، ثم وسط الألم الشديد، شعر بالغضب الذى لا يخصه يتملك روحه، ورأى غرفة طويلة مضاءة بنيران المدفأة فقط، وآكل الموت العملاق الأشقر على الأرض، يصرخ ويتلوى، بينما شخص صغير يقف فوقه وعصاه ممدودة أمامه، بينما تكلم (هارى) بصوت عال بارد قاس.

«أكثر يا رولى، أم ربما من الأفضل أن ننهى الأمر ونطعمك إلى ناجينى؟ إن لورد (فولدمورت) ليس متأكدًا أنه سيغفر هذه المرة... أدعوتمونى أن أعود من أجل هذا، لتخبرونى أن (هارى بوتر) هرب مرة أخرى؟ دراكو، أذق رولى طعم استيائنا... افعل ذلك، أو ذق طعم غضبى بنفسك!».

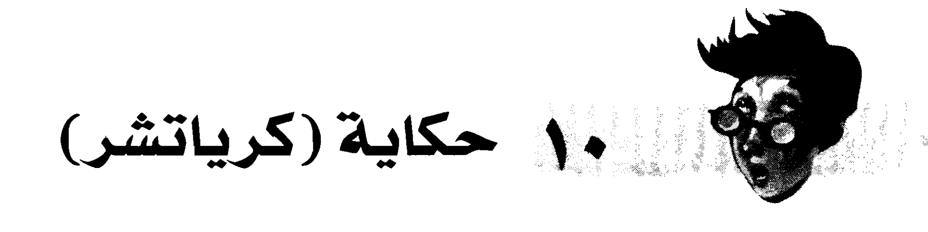
سقطت كتلة خشب فى النار: وتوهجت النيران، ووقع ضوءها على الوجه المدبب الأبيض المرعوب، وأخذ (هارى) نفسًا عميقًا وفتح عينيه وهو يشعر كمن يخرج من تحت مياه عميقة.

كان ممددًا على الأرضية الرخامية السوداء الباردة، وأنفه على بعد بوصة واحدة من ذيول الحيَّات الفضية التى تدعم حوض الاستحمام الكبير. واعتدل جالسًا. وبدا كأن وجه (مالفوى) النحيف، المرعوب يحرق داخل عينيه. وشعر (هارى) بالتقزز مما رآه، ومن الاستخدام الذى أصبح (فولدمورت) يستخدمه لدراكو.

وكان هناك دق شديد على الباب، وقفز (هارى) عندما رن صوت (هرميون).

«(هارى)، هل تريد فرشاة أسنانك؟ إنها معى هنا».

وقال وهو يكافح لكى يبقى صوته عاديًا: «نعم، رائع، شكرًا». ونهض ليسمح لها بالدخول.



١٠ حكاية (كرياتشر)

استيقظ (هارى) مبكرًا فى اليوم التالى ليجد نفسه ملفوفا فى حقيبة النوم على أرضية حجرة الاستقبال. كان جزءٌ من السماء ظاهرًا من بين الستائر الثقيلة وبدت ذات لون أزرق صافٍ يشبه لون الحبر السائل وتدل على أن الساعة فى وقت ما بين الليل والفجر. ولمْ يقطع الهدوء السائد فى المكان سوى صوت تنفس (رون) و(هرميون) المنتظم البطىء. ونظر (هارى) إلى الأشكال المظلمة التى تصنعها أجسامهم على الأرضية بجواره وكان (رون) قد أبدى شهامة وأصر على أن تنام (هرميون) على وسائد الأريكة، ولذلك خيالها فوق خيال (رون) وذراعها ممدودة إلى الأرضية وأصابعها على بعد بوصات قليلة من أصابع (رون)، حتى إن (هارى) تساءل إن كانا قد ناما وهما يمسكان بأيدى بعضهما وجعلته هذه الفكرة يشعر بالوحدة بشكل غريب.

ونظر إلى السقف الذى تغطيه الظلال والثريا التى تغطيها خيوط العنكبوت. وتذكر أنه كان يقف منذ أقل من أربع وعشرين ساعة فى ضوء الشمس عند مدخل الخيمة، منتظرًا ليساعد ضيوف حفل الزفاف فى الوصول إلى أماكنهم وشعر كأن عمرًا يفصل بينه وبين ذلك. ما الذى سوف يحدث الآن؟ إنه مستلقٍ على الأرضية يفكر فى الهوركروكسات، فى المهمة المعقدة المخيفة التى تركها له (دمبلدور)... (دمبلدور)...

وشعر بأن الحزن الذى استولى عليه منذ موت (دمبلدور) قد أصبح مختلفًا الآن، شعر وكأن الاتهامات التى سمعها من مورييل قد عششت فى عقله وأثرت على ذكرياته، عن الساحر الذى يعتبره مثلاً أعلى له، مثلما يؤثر المرض على الجسم. هل يمكن أن يترك (دمبلدور) أشياء مثل هذه تحدث؟ هل كان مثل (ددلى) راضيًا عن مشاهدة الإهمال والأذى طالما لا يطاله هو؟ هل يمكن أن يكون قد تخلى عن أخته التى تعرضت للسجن والإخفاء؟

وفكر (هارى) بجودريك هولو، بالقبور التى لم يذكر (دمبلدور) عنها شيئًا قط، وفكر بالأشياء الغامضة التى ما زالت بلا تفسير، فى وصية (دمبلدور)، وتزايد

استياؤه فى الظلام. لماذا لم يخبره (دمبلدور)؟ ولماذا لم يشرح له؟ هل اهتم (دمبلدور) بـ(هارى) يومًا؟ أم أن (هارى) لم يزد بالنسبة له عن أداة يلمعها ويشحذها بدون أن يثق بها أو يستودعها أسراره؟

لم يستطع (هارى) أن يظل مستلقيا لا يصاحبه شىء سوى الأفكار المريرة. وقرر يائسًا أن يبحث عن شىء يشتت أفكاره، وانزلق خارجًا من حقيبة النوم والتقط عصاه وزحف خارجًا من الغرفة، وعندما وصل أمام الباب، همس قائلاً: *«لوموس»* وبدأ يصعد السلالم مهتديا بضوء عصاه.

وفى الطابق الثانى، وجد غرفة النوم التى نام فيها هو و (رون) فى آخر مرة كانا فيها هنا، ونظر داخلها ووجد أبواب الدولاب مفتوحة ومفرش السرير مزاحًا إلى الخلف. وتذكر (هارى) رجل الغول التى وجدوها مقلوبة بالأسفل. لقد قام شخص بتفتيش المنزل بعد أن تركته الجماعة. سناب؟ أو ربما (مندنجس) هو الذى نهب الكثير من الأشياء من هذا المنزل سواء قبل أو بعد موت (سيريوس)؟ ونظر (هارى) إلى البرواز الذى أحيانًا ما يحتوى على لوحة فينياس نيجيلوس بلاك، جد (سيريوس) الأكبر، ولكنه كان خاليا، ولا يظهر به سوى امتداد الخلفية الرمادية.. من الواضح أن فينياس نيجيلوس يقضى الليلة فى مكتب الناظر فى (هوجوورتس).

واستمر (هارى) فى صعود السلالم حتى وصل إلى الطابق الأخير، والذى لم يكن به سوى بابين، كان الباب الذى يواجهه يحمل لافتة صغيرة مكتوبًا عليها اسم *(سيريوس)*. لم يكن (هارى) قد دخل غرفة نوم أبيه الروحى من قبل، فدفع الباب وهو يرفع عصاه لأقصى ما يستطيع لتلقى ضوئها على أكبر مساحة ممكنة من المكان.

كانت الغرفة واسعة، ولابد أنها كانت يوما فى غاية الجمال. كان السرير واسعًا ورأسه الخشبى منحوتًا بأشكال زخرفية جميلة، وكانت هناك نافذة طويلة مختفية وراء ستائر مخملية طويلة، أما الثريا فيغطيها التراب، وبقايا الشموع مازالت موجودة داخل قواعدها التى يتدلى الشمع المتجمد منها مثل قطرات الثلج وتغطى الصور الموجودة على الحائط ولوح السرير طبقة من الأتربة؛ بينما امتدت شبكة عنكبوت من الثريا إلى قمة الدولاب الخشبى الكبير. وبينما تقدم (هارى) إلى داخل الغرفة، سمع صوت حركة الفئران المنزعجة.

وبدا أن (سيريوس) قد قام وهو فى سن المراهقة بتغطية الحوائط بعدد كبير من الملصقات والصور حتى أصبحت المساحة الظاهرة من الحائط الناعم ذى اللون الفضى الرمادى صغيرة جدًّا. وافترض (هارى) أن والدى (سيريوس) لم يستطيعا إزالة

سحر الالتصاق الدائم الذى يبقيها على الحائط؛ لأنه كان متأكدا من أن ذوق ابنهم الأكبر فى تزيين حجرته لم يكن ليرضيهم. ويبدو أن (سيريوس) قد بالغ فى ما فعله حتى يضايقهم. كان هناك العديد من لافتات (جريفندور) **الكبيرة** بألوانها البنفسجية والذهبية لإظهار اختلافه عن باقى أفراد أسرته الذين ينتمون جميعا إلى (آل سليذرين). وهناك أيضًا العديد من صور الدراجات البخارية الخاصة بالعامة، وكذلك (أعجب (هارى) بجرأة (سيريوس)، للعديد من الملصقات التى يظهر بها فتيات من العامة يرتدين ثياب البحر؛ وكان (هارى) يعرف أنهم من العامة؛ لأن صورهم لم تكن تتحرك، بينما ابتساماتهم الخفيفة وأعينهم المحدقة مجمدة على الورق وكان هذا مقارنة بالصورة الوحيدة السحرية المعلقة على الحائط؛ والتى تمثل أربعة من طلبة (هوجوورتس) يقفون ممسكون بأذرع بعضهم البعض وهم يضحكون للكاميرا.

وعرف (هارى) والده، مما جعله يشعر بالسعادة.. كان (جيمس) يرتدى نظارة وشعره الأسود غير المرتب والمرفوع من الخلف يشبه شعر (هارى) تمامًا. ويقف بجواره (سيريوس)، وسيما بعدم مبالاة وقد بدا وجهه المتعجرف قليلاً أكثر شبابا وسعادة عن أى يوم رآه فيه (هارى) وهو حى. وعلى يمين (سيريوس)، وقف بيتجرو، ممتلئ الجسم ويصل طوله بالكاد إلى كتفى (سيريوس)، وقد دمعت عيناه وشعت منه البهجة لضمه إلى هذه المجموعة الرائعة، لما كان عليه (جيمس) و(سيريوس) من الشهرة والتمرد، وعلى يسار (جيمس)، وقف لوبين، رث الثياب قليلاً وقد بدت عليه نفس المفاجأة السعيدة من أن يكون محبوبا ومرحبًا به فى المجموعة... هل كان ذلك موجودا بالصورة أم أن (هارى) رأى كل هذه الأشياء فيها؛ لأنه يعرف كيف كان الوضع؟ وحاول رفعها عن الحائط؛ فقد أصبحت ملكه الآن، بعد أن ترك له (سيريوس) كل شىء يملكه - ولكنه لم يستطع نزعها من الحائط. لم يترك (سيريوس) أى فرصة لوالديه فى أن يستطيعا إعادة تزيين غرفته.

نظر (هارى) حوله إلى الأرضية، كانت السماء فى الخارج تزداد ضوءا؛ وكشف عمود الضوء عن أوراق وكتب وأشياء صغيرة مبعثرة على السجادة من الواضح أن حجرة (سيريوس) قد تم تفتيشها أيضًا، ولكن يبدو أنه تم الحكم على معظم محتوياتها إن لم يكن كلها بأنها بلا قيمة. بعض الكتب كانت ممزقة بشدة وقد فصلت أغلفتها وانتشرت صفحات شتى منها فى أرضية الغرفة.

وانحنى (هارى) والتقط أجزاء قليلة من الأوراق وقام بفحصها وتعرف واحدة منها بأنها جزء من كتاب *تاريخ السحر* لـ (باثيلدا باجشوت)، والأخرى خاصة

بكتيب للإصلاح اليدوى لدراجة بخارية، أما الثالثة فكانت مكتوبة بخط اليد ومجعدة، فقام بفردها.

عزيزى (بادفوت)،

أشكرك شكرًا جزيلاً على هدية عيد ميلاد (هارى)! لقد أعجبته كثيرًا. إن عمره لم يزد عن عام واحد، ومع ذلك أصبح يطير فوق مكنسة، لقد بدا سعيدا جدًّا بنفسه، لقد وضعت صورة فى الخطاب حتى تراه. إنها لا ترتفع أكثر من قدمين فوق الأرض ولكنه كاد يقتل القطة وقام بتحطيم زهرية ورد فظيعة كانت بتونيا قد أرسلتها إلى فى عيد الميلاد (إننى بالطبع لا أشتكى). لقد اعتقد (جيمس) أن الأمر مضحك بالطبع ويقول إنه سيصبح لاعب كويدتش رائعًا ولكننا اضطررنا إلى إبعاد كل التحف الموجودة فى المنزل، كما أننا لا نرفع عيوننا عنه عندما يبدأ فى ركوبها.

لقد كان ضل عيد ميلاده هادئًا، نحن و(باثيلدا) العجوز فقط، والتى كانت دائمًا لطيفة معنا، كما أنها مولعة بـ (هارى) جدًّا. لقد أسفنا لعدم تمكنك من الحضور، ولكن الجماعة يجب أن تكون لها الأولوية بالطبع، و(هارى) ليس كبيرا بما يكفى ليعرف عيد ميلاده على أية حال! لقد أصبح (جيمس) محبطا إلى حد ما بسبب حبسه هنا، إنه يحاول ألا يظهر ذلك، ولكنى أشعر به - مازالت عباءة الإخفاء لدى (دمبلدور)، لذلك ليست لديه فرصة للقيام ببعض التجول، وزيارة منك قد ترفع معنوياته كثيرا. لقد زارنا وورمى فى عطلة نهاية الأسبوع الماضى. لقد اعتقدت أنه يبدو مكتئبًا إلى حد ما، ولكن ذلك قد يكون سببه الأخبار التى سمعناها عن (آل ماكينون)؛ لقد بكيت طوال الأمسية عندما سمعت بما حدث لهم.

تزورنا (باثيلدا) معظم الأيام، إنها عجوز رائعة ولديها قصص عجيبة عن (دمبلدور)، لست واثقة أن ذلك سيعجبه لو سمعه! ولا أعرف القدر الذى يمكننى تصديقه من كلامها، وذلك لأن الأمر يبدو من غير معقول أن يكون (دمبلدور).

شعر (هارى) بالتنميل يسرى فى جميع أطراف جسده. ووقف بلا حراك، ممسكا بالورقة المعجزة بين أصابعه التى لا إحساس بها، بينما حدث انفجار داخله وشعر بالفرحة والحزن يندفعان بنفس الكيفية خلال عروقه، ومال ناحية السرير وجلس.

قرأ الخطاب مرة أخرى، ولكنه لم يستطع استخلاص أى معنى أكثر مما وصل إليه فى المرة الأولى وأخذ يحدق فى الكتابة نفسها. ووجد أنها تكتب حرف الجيم بنفس الطريقة التى يكتبه بها (هارى)؛ وأخذ يبحث عنهم فى الخطاب وشعر بأن كل واحد منهم تلويحة تحية يلمحها من خلف حجاب. كان الخطاب كنزًا حقيقيًا ودليلاً أن (ليلى بوتر) قد عاشت، عاشت فعلا، وأن يدها الدافئة قد تحركت يوما على الورق وهى تكتب هذه الحروف، هذه الكلمات، كلمات عنه، عن (هارى) ابنها.

ثم مسح الدموع من عينيه بتململ، وأعاد قراءة الخطاب، وقد ركز هذه المرة على المعنى. وكأنه يستمع إلى صوت يعرفه قليلاً.

لقد كان لديهم قطة... ربما تكون قد هلكت مثل والديه فى (جحر جودريك)... أو ربما هربت عندما لم يعد هناك من يطعمها... اشترى له (سيريوس) أول مكنسة سحرية ركبها... كان والداه يعرفان (باثيلدا باجشوت)؛ هل عرفهما (دمبلدور) إلى بعضهم؟ *مازالت عباءة الإخفاء لدى (دمبلدور)*... هناك شيء غريب هنا...

تمهل (هارى)، وأخذ يفكر فى كلمات والدته. لماذا أخذ (دمبلدور) عباءة الإخفاء من (جيمس)؟ فـ (هارى) يتذكر بوضوح ما قاله له ناظره قبل سنوات، «*لا أحتاج لعباءة حتى أصبح غير مرئى*»؛ ربما كان أحد أفراد الجماعة الأقل منه موهبة يحتاج إليها، وقام (دمبلدور) بنقلها إليه؟ وأكمل (هارى) القراءة...

لقد زارنا وورمى... بيتجرو، الخائن، كان مكتئبًا. هل كان كذلك فعلا؟ هل كان يعرف أنه يرى (جيمس) و(ليلى) أحياء للمرة الأخيرة؟

وأخيرًا (باثيلدا) مرة أخرى، والتى تحكى قصصًا مذهلة عن (دمبلدور)؛ يبدو غير معقول *أن يكون (دمبلدور)*

أن يكون (دمبلدور) ماذا؟ ولكن هناك الكثير من الأشياء التى لا تصدق عن (دمبلدور)، هل حصل مرة على درجة سيئة فى امتحان التحويل، على سبيل المثال، أو أنه كان يمارس السحر الطائش مثل (أبيرفورث)...

وقف (هارى) على قدميه وأخذ يبحث بعينيه عن الأرضية، ربما يكون باقى الخطاب فى مكان ما هنا. وأخذ يمسك بالأوراق ويعاملها بعدم اهتمام يماثل عدم اهتمام الباحث الأول بسبب شدة حماسه؛ وأخذ يفتح الأدراج ويبحث داخل الكتب ووقف فوق كرسى ليبحث فوق الدولاب وزحف تحت السرير والمقاعد ذات الذراعين.

وأخيرًا، وجد ما بدا مثل قطعة من الورق تحت أحد الأدراج، بينما هو ممدد على الأرض ووجهه إلى الأسفل. وعندما أخرجها وجد أنها الصورة التى وصفتها

(ليلى) فى خطابها.. طفل صغير طائرا فوق ما بدا فى الصورة مثل مكنسة شديدة الصغر، وهو يهتز من الضحك، بينما زوج من الأقدام التى يجب أن تكون قدما (جيمس) تجرى وراءه. وضع (هارى) الصورة وخطاب (ليلى) فى جيبه واستمر يبحث عن الورقة الثانية.

إلا أنه بعد مرور ربع ساعة أخرى، اضطر للتسليم بأن باقى خطاب والدته ليس موجودا. هل يكون قد فقد ببساطة خلال الستة عشر عاما التى مرت منذ كتابته، أم أن من قام بتفتيش المكان قد أخذه؟ قرأ (هارى) الورقة الأولى مرة أخرى، كان فى هذه المرة يبحث عما يجعل الورقة الثانية ذات قيمة. فمكنسته اللعبة لا يمكن أن تثير اهتمام آكلى الموت بأى حال من الأحوال... الشيء الوحيد الذى يراه قد يكون مفيدا لهم هنا هو معلومات محتملة عن (دمبلدور). يبدو من غير *المعقول أن* يكون *(دمبلدور)* ـ ماذا؟

«(هارى)! (هارى)! (هارى)!».

رد (هارى): «أنا هنا! ماذا حدث؟».

كان هناك صوت أقدام مسرعة أمام الباب، ثم دخلت (هرميون) مسرعة.

وقالت بأنفاس مأخوذة: «لقد صحونا من نومنا ولم نعرف أين أنت!». ثم صاحت من فوق كتفها: «رون! لقد وجدته!».

وتردد صوت (رون) المتذمر من على بعد عدة طوابق تحتهم.

«جيد! قولى له عن لسانى إنه أحمق!».

ونظرت إلى أرجاء الغرفة المبعثرة وقالت: «لا تختفِ هكذا بدون أن تخبرنا، أرجوك، لقد أصابنا الرعب! ما الذى كنت تفعله؟».

«انظرى ما الذى وجدته توًّا».

مد يده بخطاب أمه وتناولته (هرميون) منه وقرأته، بينما (هارى) يراقبها. وعندما انتهت من قراءة الصفحة نظرت إليه وقالت:

«ياه يا (هارى)...».

«وهناك هذه أيضًا».

وأعطاها الصورة الممزقة، وابتسمت (هرميون) عندما رأت الطفل الذى يطير مختفيا عن النظر داخل الصورة على مكنسته اللعبة.

قال (هارى): «لقد كنت أبحث عن باقى الخطاب، ولكنه ليس هنا».

ونظرت (هرميون) حولها.

«هل صنعت كل هذه الفوضى، أم أن بعضها كان موجودًا أصلاً عندما وصلت إلى هنا؟».

قال (هارى): «لقد قام شخص بتفتيش المكان قبلى».

«هذا ما اعتقدته. كل غرفة نظرت فيها وأنا فى طريقى إلى هنا تمَّ تفتيشها من قبل. ما الذى كانوا يبحثون عنه، ماذا تعتقد؟».

«معلومات عن الجماعة، فى حالة ما إذا كان سناب».

«ولكنى أتصور أن لديه بالفعل كل ما يحتاج معرفته، أعنى، لقد كان عضوًا بالجماعة، أليس كذلك؟».

قال (هارى) حريصًا على مناقشة نظريته: «حسنًا، إذن فماذا عن معلومات عن (دمبلدور)؟ الورقة الثانية من هذا الخطاب، على سبيل المثال. هل تعرفين من هى (باثيلدا) التى تذكرها أمى فى خطابها؟».

«من؟».

«(باثيلدا) باجشوت، مؤلفة».

«قالت (هرميون) وقد بدا عليها الاهتمام: «*تاريخ السحر*، إذن فقد كان والداك يعرفانها؟ لقد كانت مؤرخة سحرية مذهلة».

قال (هارى): «إنها ما زالت على قيد الحياة وتعيش فى جودريك هولو، لقد كانت خالة (رون) الكبرى موريل تتحدث عنها فى حفل الزفاف. إنها تعرف أسرة (دمبلدور) أيضًا. سيكون الكلام معها جديرا بالاهتمام».

كان هناك تفهم أكثر من اللازم فى الابتسامة التى منحتها (هرميون) لـ(هارى) مما ضايقه. وأخذ منها الخطاب والصورة ووضعهما داخل الجراب الذى يحمله حول عنقه حتى لا ينظر إليها ويفضح ما يشعر به.

قالت (هرميون): «أتفهم رغبتك فى الحديث إليها عن والدك ووالدتك و(دمبلدور) أيضًا ولكن ذلك لن يساعدنا فى بحثنا عن الهوركروكسات، أليس كذلك؟». لم يجبها (هارى) واستمرت فى كلامها قائلة: «(هارى)، أعرف أنك تريد الذهاب إلى جودريك هولو، ولكنى خائفة... خائفة من السهولة التى وجدنا بها آكلى الموت بالأمس، وهذا جعلنى أشعر، أكثر من السابق، أننا يجب أن نتجنب المكان الذى دفن فيه والداك، أنا متأكدة أنهم سيتوقعون منك أن تزوره».

قال (هارى) وهو لا يزال يتجنب النظر إليها: «ليس ذلك فقط، لقد قالت (موريل) أشياء عن (دمبلدور) فى حفل الزفاف. وأنا أريد أن أعرف الحقيقة..».

وأخبر (هرميون) بكل ما قالته له (موريبل). وبعد أن انتهى، قالت: «بالطبع، أستطيع أفهم لماذا يضايقك ذلك يا (هاري)..».

قال (هاري) كاذبًا: «..لست متضايقًا، إننى فقط أريد أن أعرف إن كان ذلك صحيحًا أم لا..».

«(هاري)، هل تعتقد أنك ستعرف الحقيقة من امرأة عجوز حقود مثل (موريبل)؟ أو من (ريتا سكيتر)، كيف يمكنك أن تصدقهم؟ لقد كنت تعرف (دمبلدور)!».

غمغم (هاري): «لقد اعتقدت أننى أعرفه».

«ولكنك تعرف مقدار الحقيقة الموجودة فى كل ما تكتبه ريتا! إن (دوج) على حق، كيف يمكنك أن تترك هؤلاء الناس يشوهون ذكرياتك عن (دمبلدور)؟».

أبعد نظره عنها، محاولاً ألا يكشف عن الاستياء الذى يشعر به. ها قد عدنا مرة أخرى؛ اختر ما تصدقه. إنه يريد الحقيقة، لماذا يصر الجميع على ألا يصل إليها؟

وبعد فترة صمت قصيرة، اقترحت (هرميون): «هل نعود إلى المطبخ لنبحث عن شىء نفطر به؟».

ووافقها ولكن بدون رغبة حقيقية وتبعها خارجا من الغرفة، وعبر أمام الغرفة الأخرى. كان هناك خدوش واضحة فى الدهان أسفل لافتة صغيرة لم يكن قد لاحظها من قبل بسبب الظلام، وتوقف على رأس السلم ليقرأها.

كانت لافتة صغيرة فخمة، مكتوبة بخط اليد بطريقة مرتبة، من نوعية الأشياء التى قد يلصقها (بيرسى ويزلى) على باب حجرة نومه:

لا تدخل

بدون أن يُؤْذَنَ لك

(ريجولوس أركتوروس بلاك)

وشعر بالإثارة تنتشر فى جسمه، ولكنه لم يعرف السبب على الفور. قرأ اللافتة مرة أخرى. كانت (هرميون) قد سبقته فى نزول السلم.

قال: «(هرميون) عودى إلى هنا». واندهش أن صوته كان هادئا لهذه الدرجة.

«ما الأمر؟».

«أظن أننى وجدت ر.أ.ب».

كان هناك صوت شهقة، ثم جرت (هرميون) صاعدة السلم.

«فى خطاب والدتك؟ ولكنى لم أر..».

هز (هارى) رأسه وهو يشير إلى لافتة (ريجولوس). قرأتها وأمسكت ذراع (هارى) بشدة حتى إنه شعر بالألم.

وهمست: «شقيق (سيريوس)؟».

قال (هارى): «كان آكل موت، لقد أخبرنى (سيريوس) عنه. انضم إليهم وهو صغير جدًا فى السن ثم غير رأيه وحاول تركهم - ولهذا قتلوه».

شهقت (هرميون): «هذا معقول. لو أنه كان آكل موت، فقد كان إذن على علاقة بفولدمورت، وإذا كان قد تراجع، فمن المنطقى أن يرغب فى إسقاط (فولدمورت)!».

وتركت يد (هارى) ومالت فوق سور السلم وصاحت: «رون! رون! تعال إلى هنا، بسرعة!».

وبعد دقيقة ظهر (رون) وهو ينهج وعصاه مرفوعة فى يده.

«ما الذى حدث؟ لو كان عناكب عملاقة مرة أخرى، فأنا أريد تناول الفطور قبل أن..».

ثم عبس فى اتجاه اللافتة على باب (ريجولوس) التى تشير إليها (هرميون) فى صمت.

«ماذا؟ كان هذا شقيق (سيريوس) أليس كذلك؟ (ريجولوس أركتوروس بلاك)... (ريجولوس)... ر.أ.ب! القلادة - إنك لا تظن -؟».

قال (هارى): «لنكتشف ذلك». ثم دفع الباب؛ كان موصدا وأشارت (هرميون) بعصاها إلى مقبض الباب وقالت: «*ألوهومورا*». وسمعوا صوت تكة، وفتح الباب.

ودخلوا من عتبة الباب وهم يحدقون حولهم.. بدت غرفة (ريجولوس) أصغر قليلاً من غرفة (سيريوس) وإن كان كلاهما يشعرك بالفخامة السابقة. ولكن بينما يريد (سيريوس) الإعلان عن اختلافه عن باقى الأسرة، يؤكد (ريجولوس) انتمائه لهم.. كانت ألوان سليذرين الخضراء والفضية كل شىء.. السرير والحوائط والشبابيك. وهلال (آل بلاك) مرسومًا على الحائط فوق السرير بجوار الشعار، توجورس بور. وأسفل هذا، هناك مجموعة من الأخبار مقطوعة من صحف قديمة قد اصفر لونها وكانت كلها ملتصقة معًا لتصنع لوحة ثابتة. وعبرت (هرميون) الغرفة لتفحصها.

قالت: «إنها جميعا عن (فولدمورت). يبدو أن (ريجولوس) كان أحد معجبيه لعدد من السنوات، قبل أن يلتحق بآكلى الموت..»..

وتصاعدت هبة من الغبار من مفرش السرير عندما جلست عليه لتقرأ المكتوب فى تلك الأخبار. وفى نفس الوقت، لاحظ (هارى)، لوحة فوتوغرافية أخرى؛ تضم فريق الكويدتش فى (هوجوورتس) يبتسم ويلوح من داخل إطار الصورة. واقترب منه ورأى الحية المرسومة على صدور فريق (سليذرين). وعرف (هارى) (ريجولوس) على الفور، كان الفتى ذو الشعر الأسود والنظرة المتعجرفة قليلاً مثل أخيه الذى يجلس فى وسط الصورة فى الصف الأمامى؛ وإن كان أصغر فى الجسم وأنحف وأقل وسامة من (سيريوس).

قال (هارى): «إنه يلعب باحثا».

قالت (هرميون) بغموض: «ماذا؟». كانت ما زالت تقرأ قصاصات الصحف الخاصة بفولدمورت.

قال (هارى): «إنه يجلس فى منتصف الصف الأمامى فى مكان الباحث... لا عليكما». وأدرك أنهما لم يكونا يستمعان إليه؛ ووجد (رون) جاثيًا على يديه وركبتيه على الأرض يبحث تحت خزانة الملابس ونظر (هارى) حول الغرفة باحثا عن أماكن مناسبة لإخفاء الأشياء وذهب إلى المكتب. ووجد أن هناك شخصًا قد قام بالبحث داخله قبلهم. كانت محتويات الدرج من كتب دراسية وريشات كتابة قديمة مقلوبة رأسا على عقب، وتحطمت زجاجة حبر منذ وقت قريب داخل الدرج، حتى إن الحبر اللزج يغطى كل محتويات الدرج.

قالت (هرميون)، و(هارى) يمسح أصابعه التى لوثها الحبر فى سرواله الجينز: «هناك طريقة أسهل». ورفعت عصاها وقالت: «*أكسيو لوكيت*».

لم يحدث شيء وظهرت خيبة الأمل على (رون) الذى كان يفحص ثنيات الستائر التى حال لونها.

«هل انتهى الأمر إذن، القلادة ليست هنا».

قالت (هرميون): «آه، من الممكن أن تكون مازالت هنا ولكن عليها سحر مضاد. تعويذة لمنع استدعائها بالسحر».

قال (هارى): «مثل التعويذة التى وضعها (فولدمورت) على الحوض الحجرى فى الكهف».

وتذكر (هارى) كيف كان غير قادر على استدعاء القلادة المزيفة.

سأل (رون): «كيف يفترض أن نجدها إذن؟».

قالت (هرميون): «بالبحث اليدوى».

قال (رون): «فكرة جيدة». وأدار عينيه واستأنف فحص ثنيات الستائر. وقاموا بمسح كل بوصة فى الغرفة خلال مدة زادت عن الساعة، ثم اضطروا أخيرًا إلى التسليم بأن القلادة ليست هناك.

كانت الشمس قد أشرقت الآن؛ وبهرهم ضوءها حتى من خلال نوافذ السلالم المغبرة.

قالت (هرميون) بلهجة تشجيع بعد أن ظهر على (هارى) و(رون) الإحباط، بينما بدت هى أكثر تصميما وهم نازلون إلى الأسفل: «من الممكن أن تكون فى مكان ما فى المنزل رغم ذلك، سواء استطاع أن يحطمها أم لا، إنه لا يرغب، أليس كذلك؟ هل تذكرون كل الأشياء الفظيعة التى اضطررنا أن نتخلص منها عندما كنا هنا آخر مرة؟ الساعة التى كانت تلقى بالمسامير على الجميع وتلك العباءة القديمة التى حاربت (رون)، من الممكن أن يكون (ريجولوس) قد وضع كل ذلك لحماية المكان الذى أخفى فيه القلادة، حتى وإن كنا لم ندرك ذلك فى... فى... ».

ونظر (هارى) و(رون) إليها ليجدوها قد وقفت وإحدى قدميها فى وسط الهواء وقد بدت مبهوتة وعيناها تائهتان وتشبه شخصا قد تم محو ذاكرته منذ قليل.

وأنهت جملتها هامسة: «... فى ذلك الوقت».

سأل (رون): «هل هناك خطأ ما؟».

«لقد كانت القلادة هناك».

قال (رون) و(هارى) معا: «ماذا؟».

«فى الخزانة الموجودة فى حجرة الرسم. لم يستطع أحد فتحها، وقمنا... قمنا..»..

وشعر (هارى) بحجر ينزلق من صدره إلى معدته وتذكر أنهم قد تبادلوها فيما بينهم وكل واحد منهم يحاول فتحها، ثم تم رميها مع القمامة مع علبة النشوق الذى به بودرة تسبب الدمامل وصندوق الموسيقى الذى يصيب الجميع بالنعاس...

قال (هارى): «لقد سرق (كرياتشر) الكثير من هذه الأشياء وأعادها». كانت هذه فرصتهم الوحيدة، الأمل الوحيد الباقى لهم وسوف يتشبث به إلى أن يضطر مرغما إلى تركه وأضاف: «لقد كانت لديه مجموعة كبيرة من هذه الأشياء فى خزانة المطبخ. هيا».

وجرى نازلا السلم درجتين معا، بينما الاثنان الآخران يتبعانه بأسرع ما يستطيعان. لقد صنعوا الكثير من الضوضاء حتى إنهم أيقظوا لوحة والدة (سيريوس) وهم يمرون عبر الصالة.

وأخذت تصيح خلفهم وهم يسرعون داخلين إلى بدروم المطبخ ويغلقون الباب خلفهم: «*قذارة! دم موحل! غثاء!*».

وجرى (هارى) بطول الغرفة ثم انزلق متوقفا عند باب خزانة (كرياتشر) وشد الباب بقوة ليفتحه، ليجد الملاءات القديمة القذرة التى كان قزم المنزل يلبسها أثناء نومه فى السابق، ولكنها لم تعد تلمع بالحلى الصغيرة، زهيدة الثمن التى أنقذها (كرياتشر). الشىء الوحيد الذى وجدوه هو نسخة قديمة من مجلة *النبل الطبيعى المختصة بعلم الأنساب السحرى*. ورفض (هارى) تصديق عينيه، فاختطف الملاءات وهزها.. تدحرج فأر ميت واقعا إلى الأرض، وتأوه (رون) وهو يرمى بنفسه على كرسى من كراسى المطبخ؛ وأغلقت (هرميون) عينيها.

قال (هارى): «إن الأمر لم ينته بعد». ثم رفع صوته مناديا: «(كرياتشر)!».

سمعوا صوت طقطقة عاليًا، وظهر قزم المنزل الذى ورثه (هارى) من (سيريوس) بدون رغبتِه أمام المدفأة الخالية الباردة؛ كان شديد الصغر، لا يزيد حجمه عن نصف حجم الإنسان العادى وجلده شاحب مكرمش، بينما نما الشعر الأبيض بغزارة من أذنيه اللتين تشبهان أذنى الخفاش، ومازال يرتدى الثياب الرثة القذرة التى رأوه يلبسها فى أول مرة قابلوه فيها، ودلت نظرة الازدراء التى رمى بها (هارى) على أن موقفه من تغيير ملكيته لم يتغير مثل مظهره.

قال (كرياتشر) بصوته الذى يشبه صوت الضفدعة: «مولاى». وانحنى وهو يغمغم إلى ركبتيه: «عدت إلى منزل مولاى القديم مع خائن الدم (ويزلى) وذات الدم الموحل..».

صاح به (هارى): «أمنعك من أن تدعو أى شخص خائن الدم، أو ذى الدم الموحل».

لم يكن يحب (كرياتشر) بأنفه الأفطس وعينيه المحتقنتين، حتى لو كان الجنى لم يقم بخيانة (سيريوس) إلى (فولدمورت).

قال (هارى) وقد ازدادت سرعة دقات قلبه وهو ينظر إلى القزم: «أريد أن أسألك سؤالاً، وآمرك أن تجيب عنه بصدق، هل تفهم؟».

قال (كرياتشر) وهو ينحنى مرة أخرى: «نعم مولاى». ورأى (هارى) شفتيه تتحركان بلا صوت، من المؤكد أنها تردد الإهانات التى منع من أن ينطقها.

قال (هارى) بينما دقات قلبه كالطبول فى مواجهة ضلوعه: «منذ عامين، كانت هناك قلادة ذهبية كبيرة فى حجرة الرسم بالأعلى وقد قمنا برميها. هل قمت بسرقتها وإعادتها؟».

مرت لحظة صمت، قام (كرياتشر) خلالها بالاعتدال واقفا ونظر إلى وجه (هارى) وقال: «نعم».

سأله (هارى) فرحًا، بينما ظهر السرور على (رون) و(هرميون): «أين هى الآن؟».
أغلق (كرياتشر) عينيه وكأنه لا يطيق رؤية رد فعلهم على الكلمة التالية.
«ذهبت».
رد (هارى) وقد تركه السرور: «ذهبت؟ ما الذى تعنيه بأنها ذهبت؟».
ارتعد القزم وتمايل.
قال (هارى) بهياج: «(كرياتشر)، آمرك أن..».
قال القزم وعيناه مازالتا مغمضتين: «(مندنجس) فليتشر. سرق (مندنجس فليتشر) كل شيء؛ صور الآنسة بيلا والآنسة سيسى، قفازات سيدتى ووسام ميرلين من الطبقة الأولى، الكئوس التى عليها هلال العائلة و، و..».
كان (كرياتشر) يلتقط أنفاسه بصعوبة وصدره يعلو ويهبط بسرعة، ثم فتح عينيه وصرخ صرخة قوية وقال:
«ـ *والقلادة، قلادة السيد (ريجولوس)، لقد أخطأ (كرياتشر)، فشل (كرياتشر) فى إطاعة أوامره!*».
تصرف (هارى) غريزيًا، عندما اندفع (كرياتشر) إلى قضيب المدفأة، رمى بنفسه عليه وشل حركته واختلطت صرخة (هرميون) بصراخ (كرياتشر)، ولكن (هارى) صاح بصوت أعلى منهم: «(كرياتشر)، آمرك أن تبقى بلا حراك!».
وشعر بالقزم يتجمد، فتركه، وظل (كرياتشر) ممددًا على ظهره على الأرض الحجرية الباردة بلا حراك، بينما الدموع تسيل من عينيه المجعدة.
همست (هرميون): «(هارى)، اتركه يقوم!».
نخر (هارى) قائلاً وهو يركع بجواره: «حتى يضرب نفسه بالقضيب؟ لا أعتقد ذلك. أليس كذلك يا (كرياتشر)، إننى أريد الحقيقة؛ كيف تعرف أن (مندنجس فليتشر) هو من سرق القلادة؟».
وشهق القزم عندما سالت الدموع فوق أنفه ودخلت فمه المليء بالأسنان الرمادية وقال: لقد رآه (كرياتشر)! رآه (كرياتشر) خارجا من خزانة (كرياتشر) ويداه ممتلئتان بكنوز (كرياتشر). وطلب (كرياتشر) من اللص أن يتوقف ولكن (مندنجس فليتشر) ضحك وجرى....».
قال (هارى): «لقد قلت إن القلادة تخص السيد (ريجولوس). لماذا؟ من أين أتت تلك القلادة؟ وما علاقتها بريجولوس؟ اجلس يا (كرياتشر) وأخبرنى بكل شيء تعرفه عن القلادة وعلاقة (ريجولوس) بها!».

وجلس القزم وجسمه مجعد مثل الكرة، وقد وضع وجهه المبلل بين ركبتيه وبدأ يميل إلى الأمام والخلف وتكلم بصوت مكتوم ولكنه واضح وسط الصمت الذى يلف المطبخ.

«هرب السيد (سيريوس) وارتحنا منه؛ لأنه كان فتى سيئًا وكسر قلب سيدتى بأساليبه المتمردة ولكن مولاى (ريجولوس) كان فخورا بنفسه؛ ويعرف واجبه نحو اسم بلاك، والحفاظ على كرامة دمه النقى. ظل يتكلم لسنوات عن سيد الظلام الذى سيخرج بالسحرة من الخفاء ليحكموا العامة والسحرة من مواليد ـ العامة... وعندما أصبح فى السادسة عشرة من عمره، انضم مولاى (ريجولوس) إلى سيد الظلام وبدا شديد الفخر والسعادة بأن يقوم بخدمته...

ثم فى يوم من الأيام بعد مرور سنة من انضمامه إليه، نزل مولاى (ريجولوس) إلى المطبخ ليرى (كرياتشر). كان مولاى (ريجولوس) يحب (كرياتشر) دائمًا. قال السيد (ريجولوس)... قال...».

أخذ القزم يهتز للأمام والخلف بسرعة أكبر.

«... قال إن سيد الظلام يطلب قزمًا».

رد (هارى) : «(فولدمورت) يحتاج *لقزم*؟». ونظر حوله إلى (رون) و(هرميون) اللذين بَدَوَا فى حيرة من أمرهما مثله.

وتأوه القزم: «آه، نعم، وقد تطوع السيد (ريجولوس بكرياتشر). لقد كان ذلك شرفا. قال السيد (ريجولوس) أن ذلك شرف له ولـ(كرياتشر) الذى يجب أن يفعل ما يطلبه منه سيد الظلام... ثم يعود بعدها إلى المنزل».

وازداد تمايل كرياتش أكثر وأخذ ينشج.

«وذهب (كرياتشر) للورد الأسود. ولم يقل سيد الظلام لكرياتشر ما عليه أن يفعله ولكنه أخذه معه إلى كهف بجوار البحر. ووراء الكهف كانت هناك مغارة كبيرة داخلها بحيرة سوداء كبيرة..»..

وشعر (هارى) أن الشعر الموجود على مؤخرة رقبته يقف، وشعر أن صوت (كرياتشر) الذى يشبه نعيق الضفادع يصل إليه عبر المياه المظلمة. ورأى ما حدث بوضوح وكأنه كان حاضرًا.

«... كان هناك قارب...».

بالطبع كان هناك قارب؛ (هارى) يعرف القارب الصغير الأخضر الذى تم سحره حتى لا يحمل سوى ساحر واحد وضحية واحدة إلى الجزيرة الموجودة فى

المنتصف؛ هذه إذن هى الطريقة التى اختبر بها (فولدمورت) الدفاعات التى تحيط بالهوركروكس؛ عن طريق مخلوق يمكن التخلص منه، قزم منزل...

«كان هناك حـ ـ حوض ملىء بوصفة على الجزيرة وجعل سيد الظلام (كرياتشر) يشربها...».

وارتعد القزم من رأسه لقدميه.

«وشرب (كرياتشر) وبينما يشرب، شاهد أشياء فظيعة... وشعر (كرياتشر) بأحشائه تحترق... ونادى (كرياتشر) سيده (ريجولوس) لينقذه ونادى سيدته بلاك ولكن سيد الظلام ضحك فقط... وأجبر (كرياتشر) على شرب الوصفة كلها... ووضع القلادة فى الحوض الخالى... وملأه بالمزيد من الوصفة».

«ثم أبحر سيد الظلام مبتعدا، تاركا (كرياتشر) على الجزيرة..».

كان بإمكان (هارى) أن يرى ما حدث. لقد شاهد وجه (فولدمورت) الأبيض الذى يشبه الحية وهو يختفى فى الظلام وعيناه مثبتتان على القزم المتخبط الذى سيموت خلال دقائق عندما يرضخ إلى الشعور اليائس بالعطش الذى تسببه الوصفة الحارقة لضحاياها... ولكن إلى هنا، لم يستطع خيال (هارى) أن يستمر أكثر؛ لأنه لم يستطع أن يرى كيف هرب (كرياتشر).

«كان (كرياتشر) يحتاج إلى الماء، وزحف إلى نهاية الجزيرة وشرب من البحيرة السوداء... وخرجت أيدٍ؛ أيدٍ ميتة من الماء وجذبت (كرياتشر) تحت السطح..».

سأل (هارى): «كيف نجوت؟». ولم يفاجأ عندما وجد نفسه يهمس.

رفع (كرياتشر) رأسه القبيح ونظر إلى (هارى) بعينيه الكبيرتين الحمراوين.

وقال: «لقد قال مولاى (ريجولوس) (لكرياتشر) أن يعود».

«أعلم ولكن كيف هربت من الأنفيرى؟».

لم يبد على (كرياتشر) أنه فهم.

وكرر: «لقد قال مولاى (ريجولوس) لـ (كرياتشر) أن يعود».

«أعرف، لكن..».

قال (رون): «حسنًا، إن الأمر واضح، أليس كذلك يا (هارى)؟ لقد انتقل آنيًّا!».

قال (هارى): «ولكن... لا يمكنك أن تنتقل آنيًّا خارجًا من الكهف، وإلا كان (دمبلدور)..».

قال (رون): «إن سحر أقزام المنازل ليس مثل سحر البشر، أليس كذلك؟ أعنى أنهم يستطيعون الانتقال آنيًّا من وإلى (هوجوورتس)، عندما لا نستطيع نحن ذلك».

ومرت لحظة صمت، بينما يهضم (هارى) هذه الفكرة. كيف يمكن لفولدمورت أن يرتكب مثل هذه الغلطة؟ وبينما يفكر فى ذلك، تكلمت (هرميون) بصوت بارد جدًا:

«بالطبع لقد قلل (فولدمورت) من شأن سحر أقزام المنازل مثل كل أصحاب الدم النقى الذين يعاملونهم مثل الحيوانات... لن يخطر بباله أبدًا بأن لديهم سحرا لا يمتلكه هو».

وتمتم (كرياتشر): «إن أعظم قانون للقزم المنزلى هو إطاعة أوامر سيده.. لقد طلب من (كرياتشر) أن يعود إلى المنزل، فعاد (كرياتشر) إلى المنزل..»..

قالت (هرميون) بلطف: «حسنًا لقد فعلت ما طلب منك. أليس كذلك؟ إنك لم تعصِ سيدك على الإطلاق!».

هز (كرياتشر) رأسهُ وهو مازال يهتز إلى الأمام والخلف.

سأله (هارى): «ماذا حدث عندما عدت؟ ماذا قال (ريجولوس) عندما أخبرته بما حدث؟».

قال (كرياتشر): «كان مولاى (ريجولوس) قلقا جدًا جدًا وطلب من (كرياتشر) أن يبقى مختبئا ولا يترك المنزل، ثم... بعد وقت قصير... حضر مولاى (ريجولوس) ليجد (كرياتشر) داخل خزانته فى إحدى الليالى، وبدا مولاى (ريجولوس) غريبا، ليس كما عهده (كرياتشر)، كان شديد القلق، يستطيع (كرياتشر) أن يشعر بذلك... وطلب من (كرياتشر) أن يأخذه إلى الكهف، الكهف الذى ذهب (كرياتشر) إليه مع سيد الظلام...».

ورحلا معا. كان بإمكان (هارى) أن يتخيلهما بوضوح. القزم العجوز الخائف والباحث النحيف ذا الشعر الأسود الذى يشبه (سيريوس)... كان (كرياتشر) يعرف كيفية فتح المدخل المخفى إلى المغارة الموجودة تحت الأرض، ويعرف كيف يرفع القارب الصغير؛ وأبحر معه هذه المرة حبيبه (ريجولوس) إلى الجزيرة حيث يوجد الحوض المملوء بالوصفة...

قال (هارى) باشمئزاز: «وجعلك تشرب الوصفة؟».

قال (كرياتشر) والدموع تجرى على جانبى أنفه الذى يشبه الخطم: «أخرج مولاى (ريجولوس) من جيبه قلادة تشبه القلادة التى لدى سيد الظلام وأعطاها لـ(كرياتشر) وأخبره أن يقوم بتبديل القلادات عندما يصبح الحوض خاليا من الوصفة..»..

وأصبح نشيج (كرياتشر) حشرجة واضطر (هارى) إلى التركيز بقوة حتى يفهمه.

«وأمر ـ (كرياتشر) ـ أن يرحل ـ بدونه. وأخبر (كرياتشر) ـ أن يذهب للمنزل ـ ولا يخبر سيدته ـ ما فعله ـ ولكن يدمر ـ القلادة الأولى، وشرب ـ كل الوصفة ـ

وبدل (كرياتشر) القلادتين ـ وأخذ يراقب... بينما مولاى (ريجولوس)... يسحب تحت المياه.... و... ».

وناحت (هرميون) التى كانت تبكى: «آه يا (كرياتشر)!». ونزلت على ركبتيها بجوار القزم وحاولت أن تعانقه. ولكنه وقف على قدميه فورًا مبتعدا عنها.

«ذات الدم الموحل لمست (كرياتشر)، إنه لن يسمح بذلك، ما الذى ستقوله سيدته؟».

صاح به (هارى): «لقد أخبرتك ألا تدعوها بذات الدم الموحل!». ولكن القزم كان قد بدأ بمعاقبة نفسه فعلاً؛ فقد أوقع نفسه إلى الأرض وأخذ يضرب جبهته بالأرض.

صاحت (هرميون): «أوقفه ـ أوقفه! ألا ترى الآن، كم هى مؤلمة الطريقة التى يضطرون فيها إلى الطاعة؟».

صاح (هارى): «(كرياتشر) ـ توقف، توقف!».

تمدد القزم على الأرض وهو ينهج ويرتعد، بينما المخاط الأخضر يلمع حول أنفه، وقد ظهرت كدمة حمراء فوق جبينه الشاحب حيث قام بضرب نفسه، وانتفخت عيناه وسبحت فى الدموع. لم ير (هارى) فى حياته شيئًا يثير الشفقة كهذا.

وقال فورًا، حيث كان عازمًا على أن يعرف القصة الكاملة:

«إذن أحضرت القلادة إلى المنزل وحاولت تدميرها؟».

وتأوه القزم وقال: «لم يفلح أى شىء فعلته فى ترك علامة عليها. وحاول (كرياتشر) كل شىء، كل شىء يعرفه، لكن شيئا لم يفلح... هناك الكثير من التعاويذ القوية على غلافها، كان (كرياتشر) متأكدا أن الطريقة الوحيدة لتدميرها هى الوصول إلى داخلها، ولكنها لم تفتح... عاقب (كرياتشر) نفسه وحاول مرة أخرى، وعاقب نفسه وحاول مرة ثانية. فشل (كرياتشر) فى إطاعة أوامره. لم يستطيع (كرياتشر) تدمير القلادة! وأصبحت سيدته مجنونة من الحزن؛ لأن سيده (ريجولوس) اختفى، ولم يستطع (كرياتشر) إخبارها بما حدث، لا، لأن سيده (ريجولوس) مـ ـ مـ ـ منعه من أن يقول ما حدث فى الكـ ـ كهف إلى أى شخص فى العـ ـ عـ ـ عائلة...».

بدأ (كرياتشر) ينشج بشدة وأصبحت كلماته غير مترابطة. وسالت الدموع على خدود (هرميون) وهى تراقب (كرياتشر)، ولكنها لم تجرؤ على لمسه مرة أخرى.

وحتى (رون)، الذى لم يكن يحب (كرياتشر) بدا متألما، وقف (هارى) وهز رأسه، محاولا أن يصفيها.

ثم قال أخيرًا: «أنا لا أفهمك يا (كرياتشر). حاول (فولدمورت) قتلك ومات (ريجولوس) وهو يحاول هزيمة (فولدمورت) ومع ذلك، كنت سعيدًا بخيانة (سيريوس) إلى (فولدمورت)؟ كنت سعيدًا بأن تذهب إلى (نارسيسا) و(بيلاتريكس)، وتمرر معلومات لـ(فولدمورت) من خلالهما...».

قالت (هرميون) وهى تمسح عينيها بظهر يدها: «(هارى)، إن (كرياتشر) لا يفكر بهذه الطريقة، إنه عبد؛ إن أقزام المنازل معتادون على المعاملة السيئة الوحشية؛ وما فعله (فولدمورت) لـ(كرياتشر) لم يكن خارجا على المعتاد بالنسبة له. ثم ما الذى تعنيه الحرب بين السحرة بالنسبة لقزم مثل (كرياتشر)؟ إنه وفى للناس الذين يعاملونه معاملة طيبة، ولابد أن السيدة بلاك كانت كذلك، وكذلك كان (ريجولوس) بالتأكيد وقد قام بخدمتها طوعًا وتبع معتقداتهم» وتابعت حديثها عندما بدأ (هارى) يعترض: «أعرف ما ستقوله، إن (ريجولوس) قد غير رأيه... ولكنه على ما يبدو لم يشرح ذلك لـ(كرياتشر)، هل فعل؟ وأنا أعتقد أنى أعرف لماذا. كان (كرياتشر) و(آل ريجولوس) فى أمان أكثر إذا بقوا متبعين لسياسة الدم النقى. كان (ريجولوس) يحاول حمايتهم جميعًا».

«(سيريوس)..».

«لقد كان (سيريوس) يعامل (كرياتشر) معاملة فظيعة، ومن غير المفيد أن تبدو هكذا، فأنت تعرف الحقيقة. كان (كرياتشر) يعيش وحده لفترة طويلة عند أتى (سيريوس) ليعيش هنا، ولابد أنه كان يحتاج بشدة إلى بعض العاطفة. وأنا متأكدة أن الآنسة سيسى والآنسة بيلا عاملوا (كرياتشر) بطريقة رائعة عند ظهوره، ولذلك قدم لهم معروفا وأخبرهم بكل شىء أرادوا معرفته. لقد كنت أقول دائمًا أن السحرة سوف يدفعون ثمن المعاملة السيئة التى يعاملون بها أقزام المنازل. حسنًا، لقد فعل (فولدمورت)... وكذلك فعل (سيريوس)».

لم يجد (هارى) شيئًا ليقوله. وبينما يراقب (كرياتشر) ينشج على الأرض وتذكر ما قاله له (دمبلدور) بعد ساعات قليلة من موت (سيريوس): *لا أعتقد أن (سيريوس) نظر إلى (كرياتشر) أبدًا على أنه كائن حى له مشاعر قوية مثل البشر..*

قال (هارى) بعد فترة: «(كرياتشر)، عندما تشعر أنك قادر على ذلك... من فضلك اجلس معتدلا».

ومرت العديد من الدقائق قبل أن ينتهى فواق (كرياتشر) ويسكت.

ثم دفع نفسه إلى وضع الجلوس مرة أخرى وهو يدعك مفاصل أصابعه فى عينيه مثل طفل صغير.

قال (هارى): «(كرياتشر) سوف أطلب منك أن تفعل شيئًا» ونظر إلى (هرميون) لتساعده؛ أراد أن يعطى الأمر بصورة لطيفة، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن يريد أن يتظاهر بأنه ليس أمرًا. ويبدو أن التغير فى اللهجة قد أعجبها؛ لأنها نظرت إليه مشجعة.

«(كرياتشر)، أريدك، إذا سمحت، أن تذهب وتجد (مندنجس فليتشر). فنحن نحتاج إلى معرفة مكان القلادة - معرفة مكان قلادة السيد (ريجولوس)، إن الأمر هام جدًّا. نريد أن ننهى العمل الذى بدأه السيد (ريجولوس). نريد - أ - أن نتأكد أن موته لم يذهب بلا فائدة».

أنزل (كرياتشر) يديه ورفع وجهه إلى (هارى).

وقال: «أجد (مندنجس فليتشر)؟».

قال (هارى): «وتحضره هنا فى منزل جريمولد. هل تظن أنك تستطيع فعل ذلك من أجلنا؟».

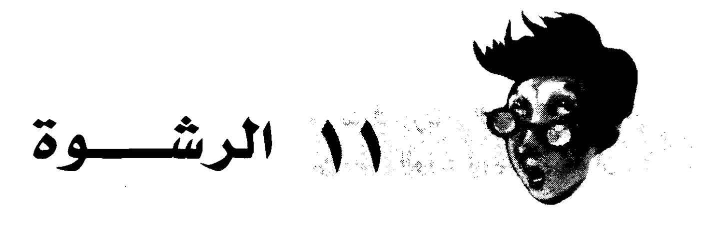
وبينما أومأ (كرياتشر) ووقف على قدميه، خطر إلهام مفاجئ فى بال (هارى).

فجذب جراب هاجريد وأخرج منه الهوركروكس المزيف. القلادة البديلة التى وضع فيها (ريجولوس) الرسالة من أجل (فولدمورت).

وقال وهو يضع القلادة فى يد القزم: «(كرياتشر)، أريدك أن تأخذ هذه. فهى تخص (ريجولوس) وأنا متأكد أنه سيريدك أن تأخذها كتعبير عن تقديره لكل ما فعلته..».

قال (رون) : «لقد فعلت الصواب يا صديقى».، بينما نظر القزم إلى القلادة وأطلق صرخة من الصدمة والحزن ورمى بنفسه إلى الأرض مرة أخرى.

ومرت نصف ساعة قبل أن يستطيعوا تهدئة (كرياتشر) الذى استحوذ عليه الانفعال عندما قدم له وريث (آل بلاك) هدية حتى إنه أصبح لا يستطيع الوقوف على قدميه. وعندما نجح أخيرًا فى المشى عدة خطوات. صاحبوه إلى خزانته وراقبوه وهو يخبئ القلادة بأمان بين ملاءته القذرة، وأكدوا له أنهم سيجعلون حمايتها أولى أولوياتهم، بينما هو غائب، ثم انحنى انحناءتين منخفضتين لـ(هارى) و(رون) وأعطى اختلاجة غريبة فى اتجاه (هرميون)، ربما كانت محاولة لإبداء تحية احترام، ثم اختفى بصوت *الطقطقة* العالى المعتاد.



١١ الرشـــــوة

إذا كانِ (كرياتشر) قد استطاع الهروب من بحيرة مليئة بالأنفيرى، فإن (هارى) كان واثقًا أن مهمة أسر (مندنجس) لن تستغرق أكثر من بضع ساعات، وأخذ يطوف المنزل طوال الصباح وهو فى حالة توقع شديد. إلا أن (كرياتشر) لم يعد فى ذلك الصباح أو حتى بعد الظهر. وعندما حل الليل، شعر (هارى) بالإحباط والقلق، وكان العشاء مكونا فى الأساس من الخبز العطن الذى استخدمت (هرميون) مختلف تعاويذ التحويل عليه، ولكنها جميعا فشلت وبقى كما هو.

ولم يعد (كرياتشر) فى اليوم التالى أيضًا، ولا اليوم الذى تلاه. وظهر رجلان يرتديان عباءتين فى الميدان خارج المنزل رقم 12، وظلوا هناك إلى الليل، وهم يحدقون فى اتجاه المنزل الذى لا يستطيعون رؤيته.

قال (رون) بينما كان هو و(هارى) و(هرميون) يراقبونهما من نافذة غرفة الاستقبال: «إنهم من آكلى الموت، بالتأكيد. أظن أنهم يعرفون أننا هنا.».

قالت (هرميون) رغم الخوف البادى عليها: «لا أعتقد ذلك، و إلا أرسلوا (سناب) إلى الداخل خلفنا، أليس كذلك؟».

سأل (رون): «هل تظنون أنه دخل إلى هنا وربطت لعنة مودى لسانه؟».

قالت (هرميون): «نعم، وإلا كان قد أخبرهم كيفية الدخول إلى المكان، لكنهم على الأرجح يراقبون ليتأكدوا أننا لم نأت إلى هنا. فهم يعرفون أن (هارى) يملك المنزل، على أية حال».

سأل (هارى): «وكيف يعرفون ـ ؟».

«تقوم الوزارة بمراجعة وصايا السحرة، ألا تذكر؟ إنهم يعرفون أن (سيريوس) ترك لك المكان».

زاد وجود آكلى الموت خارج المنزل رقم 12 بشارع جريمولد، نفسية الموجودين داخله سوءا؛ خاصة أنه لم تصلهم كلمة من أى شخص خارج المكان منذ باترونوس السيد (ويزلى). وبدأ التوتر يظهر عليهم وازدادت عصبية (رون)، واكتسب عادة مزعجة حيث أصبح يلعب طوال الوقت بساحب الضوء الموجود فى

جيبه؛ مما ضايق (هرميون) التى كانت تقطع الوقت، فى انتظار (كرياتشر)، فى دراسة كتاب *حكايات بيدلى الشاعر*، ولم تعجبها الطريقة التى ظل الضوء ينطفئ ويعود بها.

صاحت فى المساء الثالث بعد رحيل (كرياتشر)، بعد أن قام (رون) بسحب الضوء من غرفة الاستقبال مرة أخرى: «أيمكن أن توقف ذلك!».

قال (رون) وهو ينقر على ساحب الضوء معيدا الضوء إلى المكان: «آسف، آسف! أنا لا أعرف أننى أفعل ذلك!».

«حسنًا، حاول أن تجد شيئا مفيدًا لتشغل به نفسك؟».

«ماذا، كقراءة قصص الأطفال مثلاً؟».

«لقد ترك لى (دمبلدور) هذا الكتاب يا (رون)..».

«وترك لى ساحب الضوء، ربما من المفترض أن استخدامه!».

لم يستطع (هارى) الوقوف والاستماع إلى *تشاحنهما*، فانسل خارجا من الغرفة دون أن يلاحظه أحد منهما. واتجه نحو المطبخ فى الطابق السفلى، والذى ظل يتردد عليه؛ لأنه كان واثقًا أن (كرياتشر) على الأرجح سيعود إلى الظهور هناك. لكنه وهو فى منتصف طريقه إلى أسفل السلم للوصول إلى الصالة، سمع صوت دقة على الباب الأمامى، ثم التكات المعدنية وصلصلة السلاسل الحديدية.

وشعر بتوتر فى كل عصب فى جسمه: وأخرج عصاه، وانتقل إلى الظلال بجوار رءوس الأقزام وانتظر. فتح الباب: وشاهد لمحة من الميدان الذى تضيئه اللمبات فى الخارج، ودخل الشخص المغطى الرأس إلى الصالة وأغلق الباب وراءه. وخطا الداخل خطوة إلى الأمام، وارتفع صوت مودى سائلاً: «*(سيفيروس سناب)*؟». ثم ارتفع الجسد المغبر من نهاية الصالة وهرع إليه، رافعًا يده الميتة.

قال صوت هادئ: «لست أنا من قتلك يا (ألباس)».

وكسرت اللعنة، وانفجر الجسد المغبر مرة أخرى، وكان من المستحيل معرفة شخصية القادم الجديد من خلال السحابة الرمادية الكثيفة التى خلفها وراءه.

فوجه (هارى) عصاه إلى وسطها.

وقال: «لا تتحرك!».

كان قد نسى لوحة السيدة بلاك التى جعل صياحه الستائر التى تغطيها تفتح وبدأت تصرخ: «*دم موحل وقذارة جلبت العار إلى بيتى*».

وجاء (رون) و(هرميون) نازلين السلم بسرعة خلف (هارى)، وكل منهما رافع عصاه مثله، نحو الرجل المجهول الذى يقف الآن فى القاعة وذراعاه مرفوعتان.

«لا تطلقوا لعناتكم، إنه أنا، ريموس!».

قالت (هرميون) بصوت ضعيف: «أوه، والحمد لله». ووجهت عصاها إلى لوحة السيدة بلاك بدلاً منه؛ وأغلقت الستائر مرة أخرى محدثة دويًا وساد الصمت المكان، وخفض (رون) أيضًا عصاه، ولكن (هارى) لم يفعل.

وصاح فى اتجاهه: «أظهر نفسك!».

وتقدم لوبين إلى الأمام ليقف فى ضوء المصباح، ويداه لا تزالان مرفوعتين عاليا فى إشارة عن الاستسلام.

وقال: «أنا ريموس جون لوبين، مستذئب، أعرف أحيانًا باسم مونى، وأنا واحد من الأربعة الذين أبدعوا خارطة المارودر، متزوج من نيمفادورا المعروفة عادة باسم (تونكس)، وأنا الذى علمتك كيف تصنع باترونوس يا (هارى)، والذى يتخذ هيئة الأيل».

قال (هارى) وهو يخفض عصاه: «حسنًا، على أية حال، كان يجب أن أتحقق».

ويما أننى كنت يوما معلمكم فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام، فإننى أتفق معك تمامًا فى ضرورة أن تتحقق. (رون)، (هرميون)، كان عليكما ألا تخفضا دفاعاتكما بهذه السرعة».

وجروا إلى أسفل السلم فى اتجاهه. كان يرتدى عباءة سفر سوداء سميكة، وقد ظهر عليه الإرهاق الشديد، ولكنه بدا مسرورا برؤيتهم.

وسألهم: «ليس هناك أى أثر لسيفيروس إذن؟».

قال (هارى): «لا، ماذا يحدث؟ هل الجميع بخير؟».

قال لوبين: «نعم، ولكننا جميعا تحت المراقبة. هناك عدد من آكلى الموت فى الميدان بالخارج..».

«نعرف..».

«كان على أن أنتقل آنيًا لأصل على الدرجة الأخيرة أمام الباب الأمامى بالضبط لأتأكد أنهم لن يرونى. إنهم لا يعرفون أنكم فى الداخل وإلا فأنا متأكد أنهم ما كانوا ليحضروا المزيد من الناس فى الخارج؛ إنهم منتشرون فى كل مكان له أى صلة بك يا (هارى). لنذهب إلى الطابق الأسفل، هناك الكثير لأقوله لكم، وأريد أن أعرف ماذا حدث لكم بعد أن تركتم الجحر».

ونزلوا إلى المطبخ، حيث لوحت (هرميون) بعصاها فى اتجاه المدفأة، فاشتعلت النيران فيها على الفور، وقد ألقت رحابة وهمية على الجدران الحجرية الموحشة وتألق ضياؤها على الطاولة الخشبية الطويلة. وأخرج لوبين بعض الشراب من تحت عباءة السفر الخاصة به وجلسوا.

قال لوبين: «ما كنت لآتى إلى هنا قبل ثلاثة أيام، ولكنى كنت أحتاج إلى التخلص من آكل الموت الذى يتعقبنى، هل جئتم مباشرة إلى هنا بعد حفل الزفاف؟».

قال (هارى): «لا، ليس قبل أن نصطدم باثنين من آكلى الموت فى شارع توتنهام كورت».

سكب لوبين معظم شرابه على ملابسه.

«*ماذا؟*».

وحكوا له ما حدث؛ وعندما انتهوا، ظهر الذهول على لوبين.

«ولكن كيف وجدوكم بهذه السرعة؟ من المستحيل تتبع شخص ينتقل آنيًا، إلا إذا أمسكت بهم وهم يختفون!».

قال (هارى): «كما أنه لا يبدو من المرجح أنهم كانوا يمشون مصادفة فى شارع توتنهام كورت فى ذلك الوقت، أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) مقترحة: «لقد تساءلنا إن كانت تعويذة التتبع مازالت على (هارى)؟».

قال لوبين: «مستحيل». وظهرت العجرفة على (رون)، وشعر (هارى) بالارتياح الشديد، وأكمل لوبين: «ولكن بصرف النظر عن أى شىء آخر، فإنهم ما كانوا ليصبحوا متأكدين من وجود (هارى) هنا لو أن تعويذة التتبع مازالت عليه. ولكنى لا أستطيع أن افهم كيف أمكنهم اقتفاء أثركم إلى شارع توتنهام كورت، إن هذا مقلق، مقلق فعلا».

كان يبدو منزعجا، ولكن (هارى) شعر أن تلك المسألة يمكن أن تنتظر.

«أخبرنا ماذا حدث بعد مغادرتنا، إننا لم نسمع شيئًا منذ أخبرنا والد (رون) أن الأسرة بخير».

قال لوبين: «حسنًا، لقد أنقذنا كنجسلى، بفضل تحذيره، تمكن أكثر ضيوف الحفل من الانتقال آنيًا قبل وصولهم».

قاطعته (هرميون): «هل كانوا من آكلى الموت أم أشخاصًا من الوزارة؟».

قال لوبين: «خليط منهم؛ ولكن بعد أن أصبحت النيات والمقاصد واحدة، أصبحوا شيئًا واحدًا الآن، كان هناك حوالى اثنى عشر منهم، ولكنهم لم يعرفوا بوجودك هناك يا (هارى). لقد سمع آرثر إشاعة أنهم قاموا بتعذيب (سكريمجور) ليعرفوا مكانك قبل أن يقتلوه؛ لو كان ذلك صحيحًا، فإنه امتنع عن الغدر بك».

نظر (هارى) إلى (رون) و(هرميون)؛ ليجد وجوههم تعكس نفس مشاعر الصدمة والامتنان التى شعر بها. وفكر أنه لم يكن يحب (سكريمجور) كثيرًا، ولكن لو كان ما قاله (لوبين) صحيحًا، فإن أخر ما فعله الرجل فى حياته كان محاولة حماية (هارى).

واستطرد (لوبين) قائلاً: «لقد قام آكلو الموت بتفتيش الجحر من أعلاه لأسفله. وعثروا على الغول، ولكنهم لم يريدوا الاقتراب كثيرًا منه ـ ثم قاموا باستجواب من بقوا منا لساعات. كانوا يحاولون الحصول على معلومات عنك يا (هارى)، ولكن بالطبع لا أحد من خارج الجماعة كان يعرف بوجودك هناك.

«وفى الوقت نفسه الذى فضوا فيه حفل الزفاف، كان آكلو الموت يدخلون إلى كل بيت له علاقة بأعضاء الجماعة فى البلاد». وأضاف بسرعة وقد توقع السؤال: «ليس هناك قتلى، ولكنهم كانوا عنيفين، حتى إنهم أحرقوا منزل ديدالوس ديجلى، ولكنه كما تعلمون لم يكن هناك، وقد استخدموا تعويذة التعذيب على أسرة (تونكس)، ليعرفوا منهم المكان الذى ذهبت إليه بعد أن زرتهم. إنهم مازالوا يهتزون بالطبع، ولكن باستثناء ذلك بخير».

سأل (هارى) متذكرا كيف كانت تعاويذ الحماية فعالة فى الليلة التى وقع فيها فى حديقة منزل والدى (تونكس): «كيف تمكن آكلو الموت من اختراق كل تعاويذ الحماية السحرية الموجودة؟».

قال لوبين: «يجب أن تفهم يا (هارى)، أن آكلى الموت قد كسبوا قوة الوزارة بأكملها إلى صفهم. لقد حصلوا على سلطة أداء التعاويذ الوحشية دون خوف من أن تحدد هويتهم أو يقبض عليهم. وتمكنوا من اختراق كل تعويذة دفاعية صنعناها ضدهم؟ وعندما يدخلون إلى المكان، يصبحون صرحاء تمامًا فيما يختص بسبب مجيئهم».

سألت (هرميون) بصوت متوتر: «وهل يعطون سببا لتعذيب الناس ليعرفوا مكان (هارى) منهم؟».

قال (لوبين): «حسنًا». تردد للحظة، ثم أخرج نسخة مطوية من جريدة *المتنبئ اليومى*.

وقال وهو يعطيها لـ (هارى) عبر الطاولة «خذها، ستعرف عاجلا أو آجلا، على أية حال. هذه هى ذريعتهم لمطاردتك».

فتح (هارى) الجريدة. كانت هناك صورة ضخمة لوجهه تملأ الصفحة الأولى. وقرأ العنوان الموجود أعلاها:

مطلوب لاستجوابه حول مقتل
(ألباس دمبلدور)

أطلق (رون) و(هرميون) زفرات غاضبة، ولكن (هارى) لم يقل شيئا، دفع الجريدة بعيدا؛ لم يشأ أن يقرأ أكثر من ذلك: فهو يعرف ما سيقولونه. لا أحد يعلم من قتل (دمبلدور) سوى الذين كانوا أعلى البرج عندما مات، وكما سبق وأخبرت ريتا سكيتر العالم السحرى، لقد شوهد (هارى) وهو يجرى خارجا من المكان بعد لحظات من وقوع (دمبلدور).

قال لوبين: «أنا آسف يا (هارى)».

قالت (هرميون) بغضب: «إذن استولى آكلو الموت على *المتنبئ اليومى* أيضًا؟».

أومأ لوبين.

«ولكن الناس بالتأكيد يدركون ماذا يحدث؟».

قال لوبين: «تم الانقلاب بشكل سلس وبدون ضجة. رسميًا، لم يقتل (سكريمجور) ولكنه استقال وحل محله (بيوس ثيكنس) الذى وضعوا عليه تعويذة التحكم».

سأل (رون): «لماذا لم يعلن (فولدمورت) نفسه وزيرا للسحر؟».

ضحك لوبين.

«إنه ليس بحاجة إلى ذلك يا (رون). فهو الوزير فعلا، ولكن ما الذى يدفعه للجلوس وراء مكتب فى الوزارة؟ عميله (ثيكنس) يعتنى بالأعمال اليومية، تاركًا (فولدمورت) حرًا فى مد سلطته إلى ما خارج الوزارة.

«هناك الكثير من الناس استنتجوا ما حدث بالطبع: فقد تغيرت سياسات الوزارة تغيرا جذريا خلال الأيام القليلة الماضية، وهناك الكثير من الهمس بأن (فولدمورت) وراء ذلك التغيير. ولكن المهم أنه مجرد همس لا يجرءون على الإفضاء به إلى بعضهم البعض، فهم لا يعرفون من الذى يمكن أن يثقوا به؛ ويخافون أن يرفعوا أصواتهم بالكلام، خوفًا من أن تكون شكوكهم فى محلها

وتصبح أسرهم مستهدفة. إن (فولدمورت) يلعب لعبته بذكاء شديد. إنه يعرف أن إعلانه عن نفسه يمكن أن يؤدى إلى إثارة التمرد العام، بينما بقاؤه خلف الستار أوجد حالة من الارتباك وعدم اليقين والخوف».

قال (هارى): «وهذا التغيير الجذرى فى سياسة الوزارة ينطوى على تحذير العالم السحرى عالم ضدى بدلاً من (فولدمورت)؟».

قال لوبين: «هذا بالتأكيد جزء من التغيير. وتلك حركة شديدة البراعة من (فولدمورت). فالآن بعد أن مات (دمبلدور)، أصبحت أنت ـ الفتى الذى نجا ـ الرمز ونقطة التجمع لأية مقاومة ضده. وعندما يوحى بأن لك يدًا فى مقتل البطل القديم، فإنه لم يضع ثمنا لرأسك فقط، وإنما زرع الشك والخوف بين العديد من الذين دافعوا عنك أيضًا.

«وفى الوقت نفسه، بدأت الوزارة بالتحرك ضد السحرة المولدين لآباء من العامة».

أشار لوبين إلى *المتنبئ اليومى*.

وقال: «انظروا إلى الصفحة الثانية».

وأخذت (هرميون) تقلب الصفحات بنفس تعبير النفور الذى كان يبدو على وجهها وهى تقلب كتاب *أسرار أكثر فنون الظلام شرًا*.

وقرأت بصوت عال: *«تسجيل مواليد العامة! تقوم وزارة السحر حاليًا بإجراء مسح لما يسمى بـ«مواليد العامة» لمعرفة كيف استطاعوا امتلاك الأسرار السحرية.*

«تكشف الأبحاث الحديثة التى قامت بها إدارة كشف الغموض بالوزارة أن انتقال القوى السحرية من شخص إلى آخر لا يتم إلا من خلال تكاثر السحرة. وعندما لا يثبت وجود أسلاف من السحرة لمن يطلق عليهم مواليد العامة، فعلى الأرجح أنهم حصلوا على قواهم السحرية عن طريق السرقة أو باستخدام العنف.

«قررت الوزارة التخلص من هؤلاء المغتصبين للقوى السحرية، وتحقيقا لهذه الغاية، أصدرت دعوة إلى من يسمون بمولدى العامة لتقديم أنفسهم لمقابلة لجنة تسجيل مواليد العامة التى تم تعيينها حديثا».

قال (رون): «لن يدع الناس ذلك يحدث».

قال لوبين: «إنه يحدث بالفعل يا (رون). يتم تجميع المولدين للعامة بالفعل بينما نتكلم الآن».

قال (رون): «ولكن كيف يفترض أنهم قاموا 'بسرقة' السحر؟». هذا جنون، لو أن سرقة القوى السحرية ممكنٌ، لما كان هناك أى (سكويب)، أليس كذلك؟».

قال لوبين: «أعرف، ومع ذلك، ما لم يكن بإمكانك أن تثبت أن لديك قريبًا واحدًا من السحرة على الأقل، فإنك تعتبر قد حصلت على قواك السحرية بصورة غير شرعية ولابد وأن تعاقب».

ونظر (رون) نحو (هرميون)، ثم قال: «ماذا لو أن أصحاب الدم النقى وذوى الدم الهجين قد أقسموا أن أحد مواليد العامة قريب لهم؟ سأخبر الجميع أن (هرميون) بنت عمى..».

غطت (هرميون) يد (رون) بيدها وضغطت عليها.

وقالت: «شكرًا يا (رون)، ولكنى لا أستطيع أن أتركك..».

قال (رون) بشراسةٍ وأمسك بيدها إلى الوراء: «ليس لديك خيار. سوف أعلمك شجرة عائلتى حتى يمكنك الإجابة عن أى سؤال».

ضحكت (هرميون) ضحكة مرتعشة.

وقالت: «رون، بما أننا هاربان مع (هارى بوتر)، أكثر شخص مطلوب فى البلد، فلا أعتقد أن الأمر مهم. ربما لو كنت سأعود إلى المدرسة، لكان الوضع مختلفًا».

ثم سألت لوبين: «ما خطط (فولدمورت) لـ ((هوجوورتس))؟».

وأجابها: «أصبح الحضور إلزاميا لجميع شباب السحرة والساحرات. تم إعلان ذلك بالأمس. وهو تغيير كبير؛ لأن الذهاب إلى (هوجوورتس) لم يكن إلزاميا من قبل. فرغم أن معظم السحرة والساحرات فى بريطانيا تلقوا تعليمهم فى (هوجوورتس)، لكنْ كان دائمًا لآبائهم الحق فى تعليمهم بالمنزل أو إرسالهم لتلقى العلم فى الخارج إذا رغبوا فى ذلك. وبهذه الطريقة، سيضع (فولدمورت) جميع أفراد المجتمع السحرى تحت عينيه منذ سن مبكرة. كما أنها وسيلة أخرى لاستئصال مواليد العامة؛ لأن الطلاب يجب أن يقدموا ما يفيد بمكانة دمائهم ـ بمعنى إعطاء الوزارة ما يثبت انتماءهم إلى آباء من السحرة قبل السماح لهم بالالتحاق بالمدرسة».

شعر (هارى) بالتقزز والغضب: ففى هذه اللحظة، يوجد أطفال فى الحادية عشرة من أعمارهم، ينظرون إلى أكوام الكتب التى قاموا بشرائها حديثًا، وهم غير مدركين أنهم لن يروا (هوجوورتس)، وربما لن يروا أسرهم مرة أخرى.

وتمتم: «إنه... إنه..». كان يكافح من أجل العثور على كلمات تعبر عن الأفكار المرعبة التى خطرت بباله، ولكن لوبين قال بهدوء: «أعرف».

تردد لوبين.

ثم قال: «سأتفهم الأمر لو أنك لم تستطع تأكيد هذا يا (هارى)، ولكن الجماعة لديها انطباع أن (دمبلدور) ترك لك مهمة ما لتقوم بها».

أجاب (هارى): «هذا صحيح، و(رون) و(هرميون) يعرفون بها، وسيأتون معى».

«هل يمكنك أن تفضى بطبيعة هذه المهمة إليّ؟».

نظر (هارى) إلى الوجه الذى ملأته التجاعيد قبل الأوان، وأحاط به الشعر الرمادى الكثيف، وتمنى لو كان بإمكانه أن يجيب إجابة مختلفة.

«لا أستطيع يا ريموس، أنا آسف. إذا لم يكن (دمبلدور) قد أخبرك، فلا أعتقد أننى أستطيع فعل ذلك».

قال لوبين وقد ظهرتِ عليه خيبة الأمل: «كنت أعرف أنك ستقول ذلك. ولكنى مع ذلك يمكن أن أكون ذا فائدة بالنسبة لكم. فأنتم تعلمون ما أنا وما أستطيع القيام به. يمكننى أن أذهب معكم لتوفير الحماية. ولن تكون هناك حاجة لتخبرنى بما تنوى فعله بالضبط».

تردد (هارى). كان العرض مغريا جدًّا، ولكنه لم يستطع تصور كيف سيمكنهم إخفاء مهمتهم عن لوبين لو ظل معهم طوال الوقت.

بدت (هرميون) متحيرة.

وسألته: «ولكن ماذا عن (تونكس)؟».

قال لوبين: «ماذا عنها؟».

قالت (هرميون) عابسة: «حسنًا، إنكما متزوجان! كيف ستشعر حيال رحيلك وذهابك معنا؟».

قال لوبين: «ستكون (تونكس) آمنة تمامًا. ستبقى فى منزل والديها».

كان هناك شيء غريب فى لهجة لوبين؛ تكاد تكون باردة. كما أن هناك شيئًا غريبًا فى فكرة أن تظل (تونكس) مختفية فى منزل والديها؛ فهى، قبل كل شيء، عضو فى الجماعة، و(هارى) يعلم جيدًا، أنها من المرجح أن ترغب فى أن تكون فى خضم الأحداث.

قالت (هرميون) مستطلعة: «ريموس، هل كل شيء على ما يرام... بينك وبين...».

قال لوبين بجفاء: «كل شيء بخير، شكرًا».

أحمر وجه (هرميون). ومرت فترة صمت أخرى، مليئة بالحرج، ثم قال لوبين بلهجة من يجبر نفسه على قبول شيء غير سار: «(تونكس) حامل».

صاحت (هرميون): «ياه، كم هذا رائع!».

وقال (رون) بحماس: «ممتاز!».

وقال (هارى): «تهانئى».

رد لوبين عليهم بابتسامة مصطنعة، أشبه بالتجهم، ثم قال: «إذن... هل تقبلون عرضى؟ ويصبح الثلاثة أربعة؟ لا أصدق أن (دمبلدور) كان ليرفض ذلك، وهو من عيننى لأعلمكم الدفاع ضد فنون الظلام، على أية حال. وأود أن أقول لكم إننى أعتقد أننا نواجه أشكالاً من السحر لم يصادفها الكثيرون منا من قبل أو حتى يتخيلوها».

نظر (رون) و(هرميون) إلى (هارى).

الذى قال: «فقط.. فقط لتكون الأمور واضحة. هل تريد ترك (تونكس) فى منزل والديها وتأتى معنا؟».

قال لوبين بلهجة تكاد تقترب من اللامبالاة: «ستكون آمنة تمامًا هناك، وسيقومان برعايتها. أنا متأكد يا (هارى) أن (جيمس) ما كان ليريدنى أن أظل معك».

قال (هارى) ببطء: «حسنًا، لست واثقًا من ذلك. فأنا متأكد أن والدى ما كان ليريد أن يعرف لماذا لا تريد أن تظل مع طفلك أنت، فى الواقع».

نضب اللون فى وجه لوبين. وانخفضت درجة حرارة المطبخ عشر درجات. تجولت عينا (رون) فى أنحاء الغرفة وكأنه يحاول استظهار جميع ما به، فى حين تأرجحت عينا (هرميون) من (هارى) إلى لوبين.

وقال لوبين أخيرًا: «إنك لا تفهم».

قال (هارى): «اشرح لى إذن».

ابتلع لوبين ريقه.

«أنا ـ لقد ارتكبت خطأً فادحًا بزواجى من (تونكس). لقد فعلت ذلك بدون أن أحكم عقلى جيدا، وشعرت بالكثير من الندم منذ ذلك الوقت».

قال (هارى): «فهمت، لذلك ستتركنا هى والطفل وتهرب معنا؟».

واندفع لوبين واقفًا على قدميه مطيحًا بالكرسى الذى كان يجلس عليه إلى الخلف، ونظر إليهم بشراسة لدرجة أن (هارى) لمح لأول مرة ظلال الذئب على وجهه الإنسانى.

«ألا تفهم ما فعلته بزوجتى وطفلى الذى لم يولد؟ لم يكن يجب أن أتزوجها أبدًا، لقد جعلتها منبوذة!».

وركل لوبين الكرسى الذى كان قد قلبه.

«إنك لم ترنى أبدًا سوى بين صفوف الجماعة، أو فى ظل حماية (دمبلدور) فى (هوجوورتس)! أنت لا تعرف كيف ينظر معظم العالم السحرى إلى المخلوقات مثلى! عندما يعرفون حقيقتى، يكادون لا يتحدثون إليّ! ألا ترى ما قمت به؟ حتى أسرتها أصبحت منبوذة بسبب زواجنا، أى أهل يقبلون أن تتزوج ابنتهم الوحيدة مستذئبًا؟ والطفل ـ الطفل..».

وقبض لوبين على خصلات من شعره؛ وقد ظهر عليه الجنون.

«إن أشباهى عادة لا يتولدون! سيكون مثلى، أنا مقتنع بذلك ـ كيف يمكننى أن أغفر لنفسى، أننى خاطرت بنقل حالتى هذه إلى طفل برىء وأنا أعرف؟ وإذا حدثت معجزة ما، ولم يكن مثلِى، فإنه سيكون أفضل حالا مئة مرة بدون أب سيظل دائمًا يشعر بالخجل منه!».

همست (هرميون) وقد ملأت الدموع عينيها: «ريموس! لا تقل ذلك ـ كيف يمكن لأى طفل أن يشعر بالخجل منك؟».

قال (هارى): «لا أدرى يا (هرميون). ربما شعرت بالخجل الشديد منه».

لم يكن (هارى) يعرف من أين ينبع غضبه، ولكنه دفعه إلى أن يقف على قدميه أيضًا، ونظر لوبين إلى (هارى) كما لو أنه قد قام بضربه.

قال (هارى): «إذا كان النظام الجديد يعتبر مواليد العامة سيئين، فكيف سيفكرون بنصف مستذئب ينتمى أبوه إلى الجماعة؟ لقد مات أبى وهو يحاول حماية والدتى وحمايتى، وأنت تظن أنه ما كان ليطلب منك أن تتخلى عن طفلك لتذهب فى مغامرة معنا؟».

قال لوبين: «كيف ـ كيف تجرؤ؟ إن ذلك ليس رغبة منى فى ـ فى مواجهة الخطر أو الحصول على مجد شخصى ـ كيف تجرؤ على الإيحاء بمثل..».

قال (هارى): «أعتقد أنك تشعر ببعض التهور. أو ربما تتوهم أنك تستطيع الحلول مكان (سيريوس)».

توسلت له (هرميون): «(هارى)، لا!». لكنه استمر يحدق فى وجه لوبين الغاضب.

قال (هارى): «لم أكن لأصدق هذا أبدًا. الرجل الذى علمنى كيف أواجه الديمنتورات، جبان».

سحب لوبين عصاه بسرعة شديدة حتى إن (هارى) بالكاد لمس عصاه؛ وكان هناك دوى عال وشعر بنفسه يطير إلى الوراء كما لو كان قد لكمه؛ وارتطم بجدار المطبخ ثم انزلق إلى الأرض، ولمح ذيل عباءة لوبين يختفى حول الباب.

وصاحت (هرميون): «ريموس، ريموس، عد!». ولكن لوبين لم يجبها. وبعد لحظة، سمعوا صوت صفقة الباب الأمامى.

بكت (هرميون) قائلة: «(هارى)! كيف استطعت ذلك؟».

قال (هارى): «كان الأمر سهلا». وشعر بتورم رأسه فى المكان الذى ارتطم بالجدار، بينما جسده مازال يرتجف من شدة الغضب.

نهر (هرميون): «لا تنظرى إلىّ بهذه الطريقة!».

زمجر (رون): «لا تبدأ بصب غضبك عليها هى أيضًا!».

قالت (هرميون) وهى تضع نفسها بينهما: «لا ـ لا ـ يجب ألا نتقاتل!».

قال (رون) لـ (هارى): «لم يكن عليك أن تقول هذه الأشياء للوبين».

قال (هارى): «لقد جلب ذلك على نفسه». وتسابقت الكثير من الصور المتقطعة فى ذهنه: (سيريوس) وهو يقع خلف الستار؛ (دمبلدور) وهو معلق ميت فى وسط الهواء؛ وميض ضوء أخضر وصوت والدته يستجدى من أجل الرحمة...

قال (هارى): «يجب ألا يترك الآباء أولادهم ما لم ـ ما لم يضطروا إلى ذلك».

قالت (هرميون): «(هارى)..». ومدت يدها إليه مواسية، ولكنه هز كتفيه مبعدا يدها ومشى بعيدا، وعيناه على النار التى صنعتها (هرميون). لقد تحدث إلى لوبين من خلال المدفأة فى أحد المرات باحثا عن الطمأنينة فيما يخص (جيمس)، وواساه لوبين. والآن، يبدو وجه لوبين الأبيض المعذب كأنه يسبح فى الهواء أمامه، ويشعر بموجة ندم شديدة مؤلمة. لم ينطق (رون) أو (هرميون) بكلمة، ولكن (هارى) كان متأكدا أنهما ينظران إلى بعضهما خلف ظهره ويتخاطبان فى صمت.

والتفت ليلمحهما وهما يبعدان نظريهما عن بعضهما بسرعة.

«أعلم أننى لم يكن ينبغى أن أدعوه بالجبان».

قال (رون) على الفور: «نعم، لم يكن لك أن تفعل ذلك».

«ولكنه يتصرف وكأنه كذلك».

قالت (هرميون): «حتى وإن كان كذلك..».

قال (هارى): «أعرف، ولكن لو جعله ذلك يعود إلى (تونكس)، ألن يكون لما فعلته فائدة فى هذه الحالة؟».

لم يستطع أن يبعد لهجة الرجاء من صوته. نظرت إليه (هرميون) متعاطفة، بينما بدا (رون) غير متأكد. ونظر (هارى) إلى قدميه وأخذ يفكر فى والده.. هل كان

(جيمس) ليوافق (هارى) على ما قاله للوبين، أم أنه كان ليصبح غاضبًا من الطريقة التى عامل بها ابنه صديقه القديم؟

وبدا كأن هناك صوت همهمة يطوف بالمطبخ الصامت ربما من أثر صدمة المشهد الأخير أو هى كلمات اللوم التى لم يفصح عنها (رون) و(هرميون). كانت جريدة *المتنبئ اليومى* التى جلبها لوبين معه لا تزال ملقاة على الطاولة، وكان وجه (هارى) الموجود فى صفحتها الأولى يحدق فى السقف. مشى (هارى) إليها وجلس، وفتح الجريدة عشوائيا، وتظاهر بقراءتها. لم يستطع فهم الكلمات؛ كان عقله ما زال مشغولا بمواجهته مع لوبين. وكان متأكدا من أن (رون) و(هرميون) قد استأنفا كلامهما الصامت على الجانب الآخر من *الجريدة*. قلب صفحة بصوت عال، وقفز اسم (دمبلدور) أمام عينيه. ومرت لحظة أو اثنتان قبل أن يفهم معنى الصورة التى يظهر فيها أفراد عائلة واحدة. كان مكتوبا أسفل الصورة: *(آل دمبلدور): من اليسار إلى اليمين: (ألباس)، (بيرسيفال)، يحمل الطفلة الوليدة (أريانا)، (كيندرا)، (أبيرفورث).*

جذبت الصورة انتباه (هارى) وأخذ يفحصها بدقة أكثر. كان والد (دمبلدور)، (بيرسيفال)، يبدو وسيما وله عينان تومضان حتى فى هذه الصورة القديمة التى حالت ألوانها. بينما الطفلة، (أريانا)، تبدو أطول قليلاً من رغيف الخبز ولا يوجد بها شىء مميز، أما أمه (كيندرا)، فكانت ذات شعر أسود كثيف مرفوع على شكل كعكه عالية. كان التصميم ظاهرا على وجهها. وبغض النظر عن الثوب الحريرى عالى الرقبة الذى ترتديه، فكر (هارى) بالهنود الحمر وهو ينظر إلى عينيها السوداوين، وعظام الوجنة المرتفعة والأنف المستقيم. وظهر (ألباس) و(أبيرفورث) يرتديان سترتين متشابهتين، كما أن قصة شعرهما التى تصل إلى الكتف كانت متطابقة. كان (ألباس) يبدو أكبر سنا بعدة سنوات، ولكن فيما عدا ذلك كان الولدان يشبهان بعضهما البعض إلى حد كبير، وإن كان ذلك بالطبع قبل أن ينكسر أنف (ألباس) وقبل أن يبدأ فى ارتداء النظارات.

كانت الأسرة تبدو سعيدة وطبيعية تمامًا، يبتسمون بصفاء من داخل صورتهم فى الجريدة. وذراع الرضيعة (أريانا) تلوح بغموض من داخل الشال الذى يحيط بها. نظر (هارى) فوق الصورة وشاهد العنوان:

مقتطفات حصرية من الكتاب الجديد عن سيرة حياة (ألباس دمبلدور) بقلم (ريتا سكيتر)

وفكر أنه من الصعب أن يجعله يشعر بشعور أسوأ مما يشعر به بالفعل، وبدأ (هارى) يقرأ:

لم تتحمل (كيندرا) (دمبلدور) المتكبرة المتغطرسة البقاء فى قرية (مولد ـ أون ـ ذا ـ وولد) بعد أن ذاعت أخبار سجن زوجها (بيرسيفال) فى أزكابان وانتشرت. ولذلك قررت اقتلاع الأسرة من مكانها هناك والانتقال إلى قرية جودريك هولو، وهى نفس القرية التى اكتسبت فيما بعد شهرة كبيرة بسبب شهودها لنجاة (هارى بوتر) الغريبة من (أنت ـ تعرف ـ من).

ومثل مولد ـ أون ـ ذا ـ وولد، كانت جودريك هولو موطنا لعدد من الأسر السحرية، ولكن بما أن (كيندرا) لا تعرف أحدًا منهم، فقد كانت بمنأى عن الفضول بخصوص جريمة زوجها، والذى عانت منه فى القرية السابقة. كما أنها رفضت محاولات جيرانها من السحرة التعرف عليها، حتى تضمن أن أحدًا لن يتدخل فى شئون أسرتها.

تقول (باثيلدا باجشوت): «قامت بغلق الباب فى وجهى عندما ذهبت لأرحب بها ومعى قدر من الكعك المنزلى. فى أول سنة لهم بالمكان، لم أر سوى الصبيين. ولم أكن لأدرك أبدًا بأن لديها ابنة لولا أننى كنت أقطف نباتات بلانجنتينس فى نور القمر فى الشتاء التالى لسكنهم بالمكان، وشاهدت (كيندرا) تقود (أريانا) إلى الحديقة الخلفية. وتمشى بها حول المرج مرة واحدة، وهى تقبض على ذراعها بحزم، ثم تعيدها إلى الداخل. ولم أعرف ماذا يعنى ذلك».

يبدو أن (كيندرا) قد فكرت أن انتقالهم إلى جودريك هولو هو الفرصة المثالية لإخفاء (أريانا) إلى الأبد، وهو شىء ربما كانت تخطط له منذ سنوات. وقد كان للتوقيت دلالة خاصة. حيث كانت (أريانا) قد بلغت بالكاد سبع سنوات عندما اختفت عن الأنظار، وهو العمر الذى يتفق معظم الخبراء على أن السحر يفصح عن نفسه فيه، إذا كان حاضرًا. لا أحد من

الأحياء الآن يتذكر إظهار (أريانا) لأدنى دلالة على وجود قوى سحرية لديها. ويبدو واضحا إذا كانت (كيندرا) قد اتخذت قرارًا بإخفاء وجود ابنتها بدلاً من أن تعانى عار الاعتراف بأنها أنجبت (سكويب). وبالطبع فإن الابتعاد عن الأصدقاء والجيران الذين يعرفون (أريانا)، جعل عملية حبسها أسهل كثيرًا. وفكرت أن عددًا قليلاً جدًا من الناس هم من يعرفون أصلا بوجود (أريانا)، كما أنه يمكن الاعتماد على شقيقتيها فى أن يحافظوا على سرها، وكان الصبيان يجيبان عن الأسئلة المحرجة التى يتعرضان لها عن شقيقتيهما بالإجابة التى لقنتهما أمهما إياها: «إن أختى ضعيفة جدًا ولا تستطيع الذهاب إلى المدرسة».

الأسبوع القادم: (ألباس دمبلدور) فى (هوجوورتس) - الجوائز والتظاهر.

كان (هارى) مخطئًا: لقد زاد ما قرأه شعوره سوءًا. وعاد يتطلع إلى صورة الأسرة التى تبدو سعيدة. هل هذا صحيح؟ كيف يمكنه أن يعرف؟ أراد الذهاب إلى جودريك هولو، حتى لو كانت (باثيلدا) فى حالة لا تسمح بالكلام معه: فإنه يريد زيارة المكان الذى فقد فيه هو و(دمبلدور) أحباءهم. وكان على وشك خفض الجريدة وسؤال (رون) و(هرميون) عن رأيهما عندما سمع صوت طقطقة تصم الآذان يتردد فى أنحاء المطبخ.

لأول مرة منذ ثلاثة أيام، نسى (هارى) كل شىء عن (كرياتشر). كان أول خاطر خطر بباله هو أن لوبين قد عاد مندفعا من جديد إلى الغرفة، ومر جزء من الثانية، لم يعرف معنى الأطراف المتقاتلة التى ظهرت من العدم بجوار كرسيه، ثم وقف على عجل، عندما خلص (كرياتشر) نفسه، وانحنى لـ (هارى)، ونقنق قائلاً: «عاد (كرياتشر) مع اللص (مندنجس فليتشر) يا مولاى».

اعتدل (مندنجس) فى مكانه بصعوبة وحاول الوقوف مخرجا عصاه لكن (هرميون) كانت أسرع منه.

«*أكسبيليارموس!*».

طارت عصا (مندنجس) فى الهواء، والتقطتها (هرميون). حاول (مندنجس) الهروب نحو السلم وقد اتسعت عيناه: تصدى (رون) له ليقع على الأرضية الحجرية ويرتطم بها بصوت مكتوم.

قال وهو يتلوى محاولا تحرير نفسه من قبضة (رون): «ماذا؟ ما الذى فعلته حتى تطلقوا قزم المنزل اللعين على؟ ما الذى تريدونه؟ ماذا فعلت، اتركونى، اتركونى، أو..».

قال (هارى): «إنك لست فى وضع يمكنك من إطلاق التهديدات». ثم ألقى الجريدة جانبا وعبر المطبخ فى بضع خطوات، قبل أن ينزل على ركبتيه بجوار (مندنجس) الذى توقف عن المقاومة وقد ظهر عليه الرعب. نهض (رون) لاهثًا، وأخذ يراقب (هارى) وهو يشير بعصاه عامدًا إلى أنف (مندنجس). كانت تفوح من (مندنجس) رائحة عرق ودخان تبغ فظيعة، وكان شعره ملبدًا وملابسه مبقعة.

قال القزم بصوته الشبيه بصوت الضفدع: «يعتذر (كرياتشر) عن التأخير فى تقديم اللص يا مولاى. إن فليتشر بارع فى تجنب القبض عليه ولديه الكثير من أماكن الاختباء وعدد كبير من المساعدين ولكن (كرياتشر) استطاع القبض عليه فى النهاية».

قال (هارى): «لقد أحسنت القيام بالمهمة يا (كرياتشر)» وانحنى القزم له.

قال (هارى) لـ(مندنجس): «لدينا بعض الأسئلة لك». وصرخ (مندنجس) على الفور: «لقد فزعت، جيد؟ لم أكن لأرغب فى المجىء، إننى لا أقصد أى إهانة يا صديقى، ولكنى لم أتطوع أبدًا للموت من أجلك، وكان (أنت ـ تعرف ـ من) اللعين يطير مقتربا منى، ما كان أى شخص ليهرب وقتها. لقد قلت منذ البداية أننى لا أريد أن أفعل ذلك».

قالت (هرميون): «لعلمك، لم ينتقل أى شخص من الباقين منا آنيًّا».

«حسنًا، أنتم إذن مجموعة من الأبطال، ولكنى لم أتظاهر أبدًا أنى مستعد لقتل نفسى..».

قال (هارى) وهى يقرب عصاه من عينى (مندنجس) المحتقنتين بالدماء: «نحن غير مهتمين بسبب هروبك من (ماد ـ آى). فنحن نعرف تمامًا أنك قطعة حثالة لا يعتمد عليها».

«حسنًا إذن، لماذا بحق الجحيم تطاردنى أقزام المنازل؟ أم أن ذلك بخصوص الكئوس اللعينة مرة أخرى؟ لم يبق أى منها معى وإلا كنت أعطيتها لك..».

قال (هارى): «الأمر ليس بخصوص الكئوس أيضًا، رغم أنك اقتربت. هلا أغلقت فمك واستمعت إلىّ».

كان من الرائع أن يكون لديه ما يفعله، أن يكون هناك شخص يستطيع استخلاص جزء ولو بسيطًا من الحقيقة منه. كانت عصا (هارى) قريبة من طرف أنف (مندنجس)، لدرجة أن عينى (مندنجس) أصابها الحول ليحاول متابعة حركتها.

بدأ (هارى): «عندما سرقت كل ما له قيمة فى هذا المنزل». ولكن (مندنجس) قاطعه مرة أخرى.

«إن (سيريوس) لم يهتم أبدًا بأى من الخردة..».

كان هناك صوت دبدبة أقدام، ولمعان شيء نحاسى، ثم دوىٌّ خبطة عالية وصرخة ألم؛ كان (كريياتشر) قد جرى نحو (مندنجس) وضربه على رأسه بالمقلاة.

وصرخ (مندنجس): «أبعدوه عنى، أبعدوه عنى. احبسوه بعيدًا!». وانكمش عندما رفع (كريياتشر) المقلاة ذات القاعدة الثقيلة مرة أخرى.

وصاح (هارى): «(كريياتشر)، لا!».

واهتزت ذراعا (كريياتشر) النحيفتان من الوزن الثقيل للمقلاة، وهما مازالتا مرفوعتين عاليًا.

وقال: «ربما واحدة أخرى من أجل الحظ يا مولاى (هارى)؟».

ضحك (رون).

قال (هارى): «نحن بحاجة إليه واعيا يا (كريياتشر)، ولكن إذا احتاج إلى إقناع، سأترك لك هذا الشرف».

قال (كريياتشر) وهو ينحنى: «شكرًا جزيلا يا مولاى». وتراجع مسافة قصيرة، وعيناه الكبيرتان مازالتا مثبتتين على (مندنجس) بنظرة اشمئزاز.

وبدأ (هارى) كلامه من جديد: «عندما جردت هذا البيت من جميع الأشياء الثمينة التى وجدتها به، أخذت مجموعة من الأشياء من خزانة المطبخ. كان بينها قلادة». وشعر (هارى) بجفاف مفاجئ فى فمه وكان يستطيع أن يشعر بتوتر (رون) و(هرميون) وحماسهما. وأضاف: «ماذا فعلت بها؟».

سأل (مندنجس): «لماذا؟ هل هى قيمة؟».

صاحت (هرميون): «مازالت معك!».

قال (رون) بفطنة: «لا، ليست معه. إنه يتساءل عما إذا كان يجب عليه طلب مبلغ أكثر من المال مقابلها».

قال (مندنجس): «أكثر؟ ما كان ذلك ليكون صعبا... فقد كنت مجبرا على التخلى عنها بدون أى مقابل».

«ماذا تعنى؟».

«كنت أبيع بعض الأشياء فى حارة دياجون وأتت إلىّ امرأة تسألنى إن كان معى ترخيص للتجارة فى الأدوات السحرية. متطفلة لعينة. كانت ستجعلنى أدفع

غرامة لولا أن القلادة أعجبتها وقالت أنها ستأخذها وتتركنى أذهب هذه المرة وأن أعتبر نفسى محظوظًا».

سأل (هارى): «من كانت تلك المرأة؟».

«لا أعرف، واحدة من حيزبونات الوزارة».

فكر (مندنجس) قليلاً وقد عقد حاجباه:

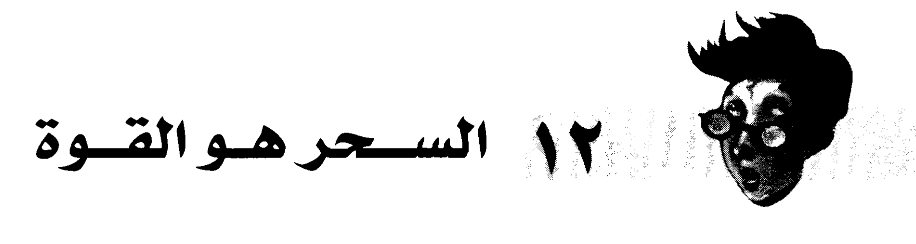
«امرأة قصيرة، هناك طوق فوق قمة رأسها».

ثم عبس وأضاف : «تبدو مثل ضفدع كبير».

أنزل (هارى) عصاه فضربت (مندنجس) على الأنف وسددت بعض الشرر الأحمر إلى حاجبيه اللذين اشتعلا.

صاحت (هرميون): «*أجوامينتى!*». وتدفقت المياه من عصاها، لتغمر همهمة (مندنجس) وتجعله يغص.

نظر (هارى) لأعلى ورأى صدمته تنعكس على وجوه (رون) و(هرميون). وشعر بالندوب الموجودة على ظهر يده اليمنى تخزه مرة أخرى.



١٢ السحر هو القوة

مرت أيام شهر أغسطس بسرعة، وذبلت الأعشاب غير المشذبة الموجودة فى الميدان وسط شارع جريمولد بسبب الشمس حتى أصبحت هشة وبنية. لم يكن أحد من سكان المنازل المحيطة بالمنزل رقم اثنى عشر يستطيع رؤية من يقطنون المنزل ولا حتى مبنى المنزل نفسه. وكان العامة الذين يعيشون فى شارع جريمولد قد قضوا بعض الوقت قبل أن يقبلوا بالخطأ الغريب فى الترقيم الذى جعل المنزل رقم أحد عشر بجوار المنزل رقم ثلاثة عشر.

ولكن مع ذلك، كان الميدان يجتذب عددًا ضئيلاً من الزوار الذين يجدون على ما يبدو تلك المفارقة مثيرة للاهتمام إلى حد كبير. فلم يكن يوم يمر دون وصول شخص أو اثنين إلى شارع جريمولد ليس لهم هدف، أو هكذا بدا، سوى الانحناء فوق السور الذى يواجه المنزلين رقم أحد عشر وثلاثة عشر، ومراقبة الفرجة بين المنزلين. ورغم اختلاف الأشخاص الذين يأتون للمراقبة يوميًا، لكنهم جميعًا يتفقون على كراهية الملابس العادية. ويبدو أن أكثر مواطنى لندن الذين يمرون بهم قد اعتادوا غرابة ملابسهم؛ لأنهم لم يكونوا يهتمون بهم إلا قليلاً وإن حدث من وقت لآخر أن نظر أحدهم إلى الوراء، مستغربا ارتداء أى شخص لمثل هذه العباءات الطويلة فى هذا الجو الحار.

ولم يكن المراقبون يشعرون بالرضا من ترقبهم الدائم بلا نتيجة. وكان أحيانًا ما يتقدم أحدهم بحماس، وكأنه قد لمح شيئًا مثيرًا للاهتمام أخيرًا، ثم يتراجع بعد لحظة وقد ظهرت عليه خيبة الأمل.

وفى اليوم الأول من سبتمبر، تزايد عدد المتربصين فى الميدان عن أى يوم آخر. كان هناك ستة رجال يرتدون عباءات طويلة يقفون فى صمت وترقب، وهم يحدقون كالمعتاد إلى المنزلين رقمى أحد عشر وثلاثة عشر، ولكن الشىء الذى ينتظرونه كان لا يزال يبدو بعيد المنال. ومع قدوم المساء، أتت معه هبة غير متوقعة من المطر البارد لأول مرة منذ أسابيع، وحدثت واحدة من تلك اللحظات التى لا تفسير لها عندما يبدو عليهم أنهم شاهدوا شيئا مثيرًا للاهتمام، فقد رفع

الرجل ذو الوجه الملتوى ذراعه ليشير إلى شيء غامض ومال أقرب مرافق له إلى الأمام وكان رجلاً قصيرًا ذا وجه شاحب، ولكنهما بعد لحظة عادا للاسترخاء فى وضعهما السابق، وقد بدا عليهما الإحباط وخيبة الأمل.

وفى الوقت ذاته، داخل المنزل رقم اثنى عشر، دخل (هارى) إلى الصالة. كان قد فقد توازنه تقريبًا أثناء انتقاله آنيًا إلى الدرجة العليا أمام الباب الأمامى مباشرة، واعتقد أن آكلى الموت يمكن أن يكونوا قد لمحوا كوعه الذى انكشف للحظة. وأغلق الباب الأمامى وراءه بهدوء، وجذب عباءة الإخفاء ووضعها فوق ذراعه، وأسرع يقطع صالة المدخل المعتمة متجهًا نحو الباب الذى يؤدى إلى الطابق الأسفل، وهو يمسك بنسخة مسروقة من *المتنبئ اليومى* فى يده.

وحيته الهمسة المعتادة: «*(سيفيروس سناب)*؟». وعصفت به الريح الباردة ثم التف لسانه للحظة.

وما إن تحرر لسانه، حتى قال: «أنا لم أقتلك». ثم حبس أنفاسه حتى انفجرت لعنة الجسد المترب. وانتظر حتى قطع نصف الطريق إلى أسفل الدرج المؤدى إلى المطبخ، مبتعدًا عن مدى سمع السيدة بلاك ومنتظرًا هدوء عاصفة الغبار، قبل أن يقول بصوت عال: «لدى أخبار جديدة، لكنها لن تعجبكم».

كان المطبخ قد أصبح مختلفًا تمامًا. كل الأسطح الموجودة به تبرق؛ أما الأوانى والمقالى النحاسية المصقولة فتعكس وهجًا ورديا الآن؛ بينما سطح المنضدة الخشبية يلمع وقد رُصت عليه الأكواب والأطباق استعدادًا لتناول العشاء، والتى انعكست عليها أضواء النيران المتأججة المتراقصة تحت القدر. ولكن شيئًا فى الغرفة لم يتغير تغييرًا شاملاً مثل قزم المنزل الذى جاء مسرعا نحو (هارى)، وهو يرتدى منشفة بيضاء نظيفة، وقد أصبحت أذناه وشعره فى مثل نظافة القطن الطبى بينما قلادة (ريجولوس) تتراقص على صدره الرقيق.

نقنق (كرياتشر) قائلاً: «اخلع حذاءك واغسل يديك قبل العشاء من فضلك يا مولاى (هارى)». وأخذ عباءة الإخفاء منه وعلقها على شماعة مثبتة على الحائط، بجوار عدد من العباءات قديمة الطراز التى تم غسلها حديثا.

سأل (رون) بقلق: «ماذا حدث؟». كان هو و(هرميون) عاكفين على دراسة حزم الملاحظات والخرائط المرسومة يدويًا متناثرة على نهاية طاولة المطبخ الطويلة، ولكنهما الآن أخذا يراقبان (هارى) وهو يخطو مقتربًا يلقى الجريدة فوق أوراق الكتابة المتناثرة.

كانت هناك صورة كبيرة لوجه مألوف لرجل ذى أنف معقوف وشعر أسود يحدق فيهم جميعًا، تحت عنوان نصه: تعيين *(سيفيروس سناب) ناظرًا لمدرسة (هوجوورتس)*.

قال (رون) و(هرميون) بصوت عال: «لا!».

كانت (هرميون) الأسرع؛ خطفت الجريدة وبدأت تقرأ الموضوع بصوت عال:

«تم تعيين (سيفيروس سناب) الذى قضى فترة طويلة أستاذًا لمادة الوصفات فى مدرسة (هوجوورتس) لتعليم السحر ناظرًا للمدرسة اليوم فى أحد أهم التغييرات التى تمت بين أعضاء هيئة التدريس فى المدرسة العريقة. كما تم تعيين الأستاذة أليكتو كارو كأستاذة لمادة دراسات العامة عقب استقالة أستاذة المادة السابقة، بينما تولى شقيقها أميكوس منصب أستاذ مادة الدفاع ضد فنون الظلام».

«أرحب بالفرصة التى أتيحت لى لتوحيد جهودنا نحو دعم التقاليد والقيم السحرية الراقية ـ «مثل ارتكاب جرائم القتل وقطع أذان الناس، على ما افترض! سناب ناظرا! سناب فى مكتب (دمبلدور)..». ثم صرخت قائلة: «بحق سروال مرلين!». مما جعل كلا من (هارى) و(رون) يقفزان. ثم قفزت واقفة واندفعت خارجة من الغرفة وهى تصيح: «سأعود بعد دقيقة!».

كرر (رون) وهو يبدو مستمتعًا: ««بحق سروال مرلين؟» لابد أنها فى غاية الانزعاج». وقرب الجريدة منه وأكمل مطالعة المقال عن سناب.

«لن يوافق الأساتذة الآخرون على ذلك. ماكجونجال، وفليتويك، وسبروات، إنهم جميعًا يعرفون الحقيقة، يعرفون كيف مات (دمبلدور). لن يقبلوا بأن يكون سناب ناظرًا للمدرسة. ومن هم الإخوة كارو هؤلاء؟».

قال (هارى): «آكلو الموت، هناك صور لهم فى الداخل. لقد كانوا فى أعلى البرج عندما قتل سناب (دمبلدور)، لذلك فقد اجتمع الأصدقاء معًا. و«وتابع (هارى) كلامه بمرارة، وهو يسحب كرسيًا ويجلس عليه: «لا أظن أن باقى المعلمين يملكون أى خيار سوى البقاء فى مناصبهم. إذا كانت الوزارة و(فولدمورت) وراء سناب، فإن الخيار سيكون بين البقاء والتدريس، أو قضاء بضع سنوات لطيفة فى أزكابان ـ هذا إذا كانوا محظوظين. وأظن أنهم سيفضلون البقاء لمحاولة حماية الطلاب».

جاء (كرياتشر) إلى المنضدة فى نشاط وهو يحمل إناء كبيرًا للحساء بين يديه، وغرف الحساء منه إلى السلطانيات المصنوعة من الصينى، وهو يصفر من بين أسنانه بينما يفعل ذلك.

قـال (هـارى) وهـو يـقـلـب الجريـدة حـتـى لا يـقـع بصـره وجـه سنـاب: «شكرًا يا (كرياتشر). حسنًا، على الأقل نعرف بالضبط مكان سناب الآن».

ورفع ملعقة من الحساء إلى فمه. لقد تحسَّن طهو (كرياتشر) بشكل كبير منذ أن أخذ قلادة (ريجولوس): كان حساء البصل الفرنسى اليوم من أفضل ما ذاقه (هارى) فى حياته.

وأخبر (رون) وهو يأكل: «هناك الكثير من أكلة الموت يراقبون المنزل.. عددهم أكثر من المعتاد. يبدو أنهم يأملون أننا سنخرج حاملين حقائب المدرسة و نتجه نحو قطار (هوجوورتس) السريع».

نظر (رون) إلى ساعة يده.

وقال: «لقد كنت أفكر فى ذلك طوال اليوم. لقد غادر القطار منذ ست ساعات تقريبًا. من الغريب ألا نكون فيه، أليس كذلك؟».

وتخيل (هارى) القطار البخارى البنفسجى الذى تبعه هو و(رون) من الجو فى إحدى المرات وهو يومض بين الحقول والتلال، مثل دودة بنفسجية تتلوى. كان متأكدًا أن جينى، ونيفيل، ولونا يجلسون معًا فى هذه اللحظة، ربما يتساءلون عن مكانه هو و(رون) و(هرميون)، أو يناقشون أفضل السبل لتقويض نظام سناب الجديد.

قال (هارى): «لقد كادوا يروننى وأنا أدخل إلى المنزل منذ قليل، لقد هبطت بطريقة سيئة على الدرجة العليا وانزلقت العباءة».

رد (رون): «افعل ذلك فى كل مرة. أوه، ها هى»، ثم أضاف وهو يدور فى مقعده ليرى (هرميون) وهى تعود إلى المطبخ: «وماذا كان ذلك باسم سروال مرلين الفضفاض؟».

قالت (هرميون) وهى تلهث: «تذكرت هذه».

كانت تحمل صورة كبيرة ذات إطار وقامت بوضعها الآن على الأرض قبل أن تأخذ حقيبتها الصغيرة المطرزة من فوق خزانة المطبخ وتفتحها، وتبدأ فى إدخال اللوحة بالقوة إليها وبالرغم من حقيقة كون اللوحة كبيرة جدًا لتوضع داخل الحقيبة الشديدة الصغر، فإنها اختفت فى غضون بضع ثوان، مثل الكثير من الأشياء، إلى أعماق الحقيبة الرحيبة.

أوضحت (هرميون): «(فينياس نيجيلوس)»، ثم رمت بحقيبتها على طاولة المطبخ، لتحدث الرنين والقعقعة المعتادة.

قال (رون): «عفوا؟». ولكن (هارى) فهمها. كانت الصورة المرسومة لفينياس نيجيلوس بلاك تستطيع التنقل بين لوحته فى قصر جريمولد والأخرى المعلقة فى مكتب الناظر فى (هوجوورتس): داخل الغرفة المستديرة الموجودة فى أعلى البرج التى لا شك أن سناب يجلس فيها الآن بعد أن أصبح له الحق فى امتلاك جميع أدوات (دمبلدور) السحرية الدقيقة الفضية وجهاز البنسيف الحجرى، وقبعة التنسيق وسيف (جريفندور) ما لم يكن قد تم نقله إلى مكان آخر.

وأوضحت (هرميون) لـ (رون) وهى تجلس فى كرسيها: «من الممكن أن يقوم سناب بإرسال فينياس نيجيلوس للبحث داخل هذا البيت نيابة عنه. ولكن دعه يجرب الآن، كل ما سيكون فينياس نيجيلوس قادرًا على رؤيته هو داخل حقيبة يدى».

قال (رون) وقد ظهر عليه الإعجاب: «تفكير ممتاز!».

قالت (هرميون) مبتسمة: «شكرًا». وسحبت حساءَها لتقربه منها وقالت: «حسنًا يا (هارى)، ما الذى حدث اليوم أيضًا؟».

قال (هارى): «لا شيء، راقبت مدخل الوزارة لمدة سبع ساعات، ولم أرها، لكننى رأيت والدك يا (رون) يبدو فى خير حال».

وأومأ (رون) مظهرًا تقديره لهذه الأخبار. كانوا قد اتفقوا على أن محاولة الاتصال بالسيد (ويزلى) فى أثناء دخوله أو خروجه من الوزارة ستكون مخاطرة شديدة؛ لأنه كان دائمًا محاطًا بموظفى الوزارة الآخرين. لكن تلك اللمحات القليلة له كانت مطمئنة حتى وإن بدا شديد التوتر والقلق.

قال (رون): «لقد كان أبى يخبرنا دائمًا أن معظم موظفى الوزارة يفضلون استخدام شبكة الفلو للوصول إلى عملهم. لهذا لم نر أمبريدج، فهى لم تكن لتمشى أبدا، وفى الأغلب تعتقد أنها أهم من تقوم بذلك».

سألت (هرميون): «وماذا عن تلك الساحرة العجوز الغريبة والساحر القصير الذى يرتدى الملابس الزرقاء؟».

قال (رون): «آه نعم، الرجل الذى يعمل فى قسم الصيانة السحرية».

سألته (هرميون) وقد أوقفت ملعقة الحساء فى وسط الهواء: «كيف عرفت أنه يعمل فى قسم الصيانة السحرية؟».

«أخبرنى أبى أن كل من يعملون فى قسم الصيانة السحرية يرتدون ملابس زرقاء».

«ولكنك لم تخبرنا بذلك أبدًا!».

أنزلت (هرميون) ملعقتها وسحبت حزمة الملاحظات والخرائط التى كانت تدرسها مع (رون) عندما دخل (هارى) إلى المطبخ.

وقالت وهى تقلب الصفحات بطريقة عنيفة: «ليس هناك شىء هنا عن الملابس الزرقاء، لا شىء!».

«حسنًا، وهل يهم الأمر؟».

«كل الأمور مهمة يا (رون)! إذا كنا سندخل إلى الوزارة بدون أن ينكشف أمرنا، خاصة أنهم بالتأكيد يترقبون دخول متسللين، فإن كل تفصيلة مهما كانت صغيرة تهم! لقد راجعنا الأمور مرة بعد مرة؛ أعنى ما الهدف من كل رحلات الاستطلاع هذه إذا لم تتعب نفسك بأخبارنا..».

«يا إلهى يا (هرميونُ) لقد نسيت تفصيلة صغيرة واحدة..».

«إنك تدرك بالطبع أنه ليس هناك مكان فى العالم الآن على الأرجح أكثر خطورة بالنسبة لنا من وزارة الـ».

قال (هارى): «أعتقد أننا ينبغى أن نقوم بذلك غدًا».

تجمدت (هرميون) بينما فمها مازال مفتوحًا، بينما غص (رون) قليلاً وهو يشرب الحساء.

كررت (هرميون): «غدا؟ هل أنت جاد يا (هارى)؟».

قال (هارى): «نعم، لا أعتقد أننا سنكون أكثر استعدادًا عما نحن الآن حتى وإن ظللنا نتجول حول مدخل الوزارة لمدة شهر آخر. كلما تأخرنا فى القيام بذلك، زاد احتمال ابتعاد تلك القلادة أكثر. هناك فرصة جيدة بالفعل أن تكون أمبريدج قد قامت برميها؛ خاصة وأنها لا تفتح».

قال (رون): «إلا إذا وجدت طريقة لفتحها، وأصبحت تحت سيطرتها الآن».

هز (هارى) كتفيه وقال: «لن يكون هناك فرق، فهى أساسا شريرة».

كانت (هرميون) تعض على شفتيها، وهى مستغرقة فى التفكير.

وأكمل (هارى) موجهًا كلامه إلى (هرميون): «لقد أصبحنا نعرف كل الأشياء المهمة. نعرف أنهم قد أوقفوا الانتقال الآنى من وإلى الوزارة؛ ونعرف أن كبار موظفى الوزارة فقط هم المسموح لهم باستخدام شبكة فلو من وإلى منازلهم الآن، من الشكاوى غير المعلنة التى سمعها (رون). كما أننا نعرف تقريبًا مكان مكتب أمبريدج، بسبب ما سمعتِ من ذلك الرجل الملتحى يقوله لصديقه..».

تلت (هرميون) ما سمعته على الفور: «*سأكون فى الطابق الأول، دولوريس تريد مقابلتى*».

قال (هارى): «بالضبط، ونحن نعلم أنك تحتاج إلى استخدام تلك العملات الغريبة، أو الرموز، أو أيا كانت؛ لأنى رأيت تلك الساحرة تقترض واحدة من صديقتها..».

«ولكننا ليس لدينا أى منها!».

تابع (هارى) بهدوء: «إذا نجحت الخطة، سنحصل عليها».

«لا أعرف يا (هارى)، لا أعرف... هناك الكثير من الأشياء التى يمكن أن تبوء بالفشل، هناك الكثير يعتمد على المصادفة..».

قال (هارى): «إن ذلك سيظل صحيحًا حتى لو قضينا ثلاثة أشهر أخرى نستعد، لقد حان وقت العمل».

كان يمكنه أن يفهم من وجوه (رون) و(هرميون) أنهم خائفون؛ لم يكن هو نفسه واثقًا تمامًا، ولكنه كان متأكدًا من أن الوقت قد حان لوضع خطتهم موضع التنفيذ.

لقد أمضوا الأسابيع الأربعة الأخيرة وهم يتبادلون ارتداء عباءة الإخفاء والتجسس على مدخل الموظفين إلى الوزارة، والذى يعرفه (رون) منذ طفولته، بفضل السيد (ويزلى). وتتبعوا العاملين بالوزارة وهم فى طريقهم للدخول إليها، وتصنتوا إلى أحاديثهم، وعرفوا من الملاحظة الدقيقة أى واحد منهم يمكن الاعتماد على مجيئه وحده، فى نفس الوقت كل يوم. وأحيانًا كانت تتاح لأحدهم فرصة الحصول على جريدة *المتنبئ اليومى* من حقيبة شخص ما. واستطاعوا ببطء صنع الرسوم التخطيطية والملاحظات المكدسة الآن أمام (هرميون).

قال (رون) ببطء: «حسنًا، دعنا نقول إننا سننفذ الخطة غدًا... أعتقد أنه ينبغى أن نذهب أنا و(هارى) فقط».

تنهدت (هرميون) وقالت: «أوه، لا تبدأ ذلك من جديد! لقد ظننت أننا قمنا بتسوية هذا الأمر».

قال (رون): «إن ذلك مختلف عن التجول حول المداخل تحت العباءة يا (هرميون)». وأشار إلى نسخة *المتنبئ اليومى* المؤرخة قبل عشرة أيام وأضاف: «إنك على قائمة مواليد العامة الذين لم يقدموا أنفسهم للاستجواب!».

«وأنت من المفترض أنك تموت من المرض الذى أصبت به فى الجحر! لو أن أحدًا يجب ألا يذهب، فهو (هارى)، هناك جائزة عشرة آلاف جاليون لمن يقبض عليه..».

قال (هارى): «حسنًا، سأبقى أنا هنا. ستعلموننى لو حدث وهزمتم (فولدمورت) فى يوم من الأيام. أليس كذلك؟».

وبينما ضحك (رون) و(هرميون)، انطلق الألم فجأة خلال الندبة الموجودة على جبهة (هارى)، وقفزت يده إليها، وعندما رأى عينى (هرميون) تضيقان، حاول التمويه على الحركة بإبعاد الشعر عن عينيه.

قال (رون): «حسنًا، إذا كنا نحن الثلاثة سنذهب، فسيكون علينا أن ننتقل آنيًا منفصلين، فلم يعد بإمكاننا الاختفاء جميعا تحت العباءة».

ازداد الألم فى ندبة (هارى) أكثر وأكثر. فوقف على الفور. وأسرع (كرياتشر) يتقدم نحوه.

وقال: «إن مولاى لم ينته من الحساء، هل يفضل مولاى تناول مشهيات الخضار واللحم، أم فطائر العسل التى يحبها مولاى؟».

«شكرًا يا (كرياتشر)، ولكنى سأعود بعد دقيقة، سأذهب إلى الحمام».

كان (هارى) يعرف أن (هرميون) تراقبه متشككة، ولكنه أسرع يصعد على السلم إلى الصالة ثم إلى الطابق الأول، ودخل إلى الحمام وأوصد الباب وراءه مجدداً وهو يتأوه من شدة الألم، ثم انهار جالسًا على حوض الاستحمام الأسود ذى الصنابير التى على شكل حيَّات مفتوحة الفم وأغلق عينيه.

كان يمشى فى شارع معتم طويل.. المبانى على جانبى الشارع لها أسطح خشبية عالية مثلثة وتبدو مثل كعك الزنجبيل المحلى بالعسل.

واقترب من أحد المنازل، ثم رأى أصابع يده البيضاء الطويلة تقترب من الباب. ودق الباب. وشعر بتزايد الإثارة داخله...

فتح الباب: وظهرت امرأة ضاحكة فى فتحته.. تغير وجهها بمجرد أن رأت وجه (هارى): ذهب الهزل وظهر الرعب عليها بدلاً منه.

قال صوت عال بارد: «(جريجوروفيتش)؟».

هزت رأسها وحاولت إغلاق الباب. أمسكت يد بيضاء بالباب ومنعتها من إغلاقه... «أريد (جريجوروفيتش)».

وقالت باللغة الألمانية وهى تهز رأسها: «إنه لا يعيش هنا! إنه لا يعيش هنا! لا يعيش هنا! أنا لا أعرفه!».

وتخلت عن محاولة إغلاق الباب، وبدأت تتراجع إلى الوراء مبتعدة إلى داخل الصالة المظلمة، وتبعها (هارى)، متجها نحوها، وقد سحبت أصابعه الطويلة عصاه.

«أين هو؟».

«لا أعلم! لقد انتقل من هنا! لا أعلم، لا أعلم!».

ورفع عصاه، وصرخت. وأتى طفلان صغيران يجريان إلى الصالة. وحاولت حمايتهما بذراعيها. وكان هناك وميض ضوء أخضر ـ

«(هارى)! (هارى)!».

فتح عينيه؛ كان قدِ انزلق إلى الأرض. و(هرميون) تدق على الباب مرة أخرى.

«افتح يا (هارى)!».

يبدو أنه صرخ بصوت عال. ونهض وقام بفتح الباب؛ واندفعت (هرميون) إلى الداخل فورًا، واستعادت توازنها، ونظرت حولها بشك. وكان (رون) خلفها مباشرة، يبدو فاقدا لأعصابه وهو يوجه عصاه إلى أركان الحمام البارد.

سألت (هرميون) بحدة: «ماذا كنت تفعل؟».

سأل (هارى) بشجاعة خائرة: «ما الذى تعتقدين أنى كنت أفعله؟».

قال (رون): «لقد كنت تصيح بصوت عال!».

«آه نعم... يبدو أننى قد غفوت أو..».

أخذت (هرميون) نفسًا عميقًا وقالت: «أرجوك لا تهن ذكاءنا يا (هارى). نعرف أن ندبتك آلمتك فى الطابق السفلى، ووجهك شديد البياض».

جلس (هارى) على حافة حوض الاستحمام.

«حسنًا، لقد رأيت (فولدمورت) وهو يقتل امرأة، وعلى الأرجح أنه قتل كل أسرتها الآن، رغم أنه لم يكن فى حاجة إلى ذلك. لقد تكرر ما حدث مع سيدريك مرة أخرى، كل ما فعلوه أنهم كانوا *هناك* فقط..».

صاحت (هرميون) بينما تردد صدى صوتها فى الحمام: «يجب ألا تدع ذلك يحدث بعد الآن يا (هارى)! كان (دمبلدور) يريدك أن تستخدم الأوكلومينسى! ويرى بخطورة ذلك الاتصال ـ يستطيع (فولدمورت) *استخدامها* لصالحه يا (هارى)! ثم هو الشىء الجيد فى مشاهدته وهو يقتل ويعذب الناس؟ كيف يمكن أن يساعدنا ذلك؟».

قال (هارى): «لأنه يعنى أننى أعرف ما يفعله».

«إنك إذن لن *تحاول* حتى إغلاق ذلك الاتصال؟».

«لا أستطيع يا (هرميون). تعرفين أننى سيئ فى الأوكلومينسى، لم أستطع إجادتها أبدًا».

قالت بحدة: «إنك لم تحاول بجدية أبدا! أنا لا أفهم يا (هارى) ـ هل يعجبك هذا الاتصال الخاص أو العلاقة أو ـ مهما..».

تلعثمت من النظرة التى رماها بها، بينما وقف هو على الفور.

وقال بهدوء: «تعجبيننى؟ هل يمكن أن تعجبك أنت؟».

«أنا ـ لا ـ أنا آسفة (هارى). لم أقصد..».

«أنا أكرهها، وأكره حقيقة أنه يستطيع الوصول إلى داخلى وأننى أضطر إلى مشاهدته عندما يكون فى أخطر حالاته. ولكننى سأستخدمها».

«(دمبلدور)..».

«أنسى (دمبلدور). إنه خيارى أنا، ولا أحد غيرى. أريد أن أعرف لماذا يبحث عن (جريجوروفيتش)».

«من؟».

قال (هارى): «صانع عصى سحرية أجنبى. لقد صنع عصا (كرام) ويظن أم (كرام) أنه عبقرى».

قال (رون): «ولكنك قلت إن (فولدمورت) يحبس (أوليفاندور) فى مكان ما. إذا كان لديه صانع عصا بالفعل، فما حاجته إلى الآخر؟».

«ربما يتفق مع رأى (كرام) بأن (جريجوروفيتش) هو الأفضل... أو أنه يعتقد أن (جريجوروفيتش) سيتمكن من شرح ما فعلته عصاى عندما كان يطاردنى؛ لأن (أوليفاندور) لم يعرف».

ونظر (هارى) إلى المرآة المتصدعة المتربة ورأى (رون) و(هرميون) يتبادلان نظرة تشكك وراء ظهره.

قالت (هرميون): «(هارى)، إنك مازلت تتحدث عما فعلته عصاك ولكنك *أنت* من جعلته يحدث! لماذا أنت مصمم على عدم تحمل مسئولية قواك السحرية؟».

«لأننى أعرف أنه لم يكن أنا من فعلت ذلك! و(فولدمورت) أيضًا يعرف ذلك يا (هرميون)! كلانا يعرف ما حدث فعلاً!».

وأخذا يحدقان فى بعضهما البعض؛ وعرف (هارى) أن (هرميون) لم تقتنع، وأنها تعد حجة مضادة فى عقلها، ضد النظرية الخاصة بعصاه وحقيقة كونه يسمح لنفسه بالنظر داخل عقل (فولدمورت). وشعر بالارتياح عندما تدخل (رون).

وقال ناصحًا (هرميون): «اتركى الأمر، إنه خياره. وإذا كنا سنذهب إلى الوزارة غدًا، ألا تظنون أن علينا مراجعة الخطة؟».

تركت (هرميون) مناقشة الأمر على مضض، وإن كان (هارى) متأكدًا تمامًا أنها ستهاجم ثانية فى أول فرصة. وأثناء ذلك، عادوا إلى مطبخ البدرون، حيث قدم لهم (كرياتشر) اليخنة والمشهيات وفطائر العسل الأسود.

ولم يذهبوا إلى النوم حتى وقت متأخر من تلك الليلة، وبعد أن قضوا ساعات فى مراجعة خطتهم مرارًا وتكرارًا حتى أصبحوا يستطيعون ترديدها بالحرف لبعضهم البعض. وظل (هارى)، الذى أصبح الآن ينام فى غرفة (سيريوس)، مستلقيا فى السرير، بينما ضوء عصاه مثبت على صورة والده، و(سيريوس)، ولوبين، وبيتيجرو، وهو يتمتم بالخطة لنفسه لمدة عشر دقائق أخرى. ثم أطفأ عصاه، لكنه لم يكن يفكر فى وصفة التخفى، أو حلوى التقيؤ، أو الملابس الزرقاء التى يرتديها موظفو قسم الصيانة السحرية؛ ولكن بصانع العصى السحرية (جريجوروفيتش)، وإلى متى يمكنه أن يظل مختفيا إذا كان (فولدمورت) يسعى إليه بهذا التصميم.

وبدا كأن الفجر قد تبع منتصف الليل فورًا.

وكانت تحية (رون) لـ (هارى) عندما دخل الغرفة لإيقاظه: «تبدو فظيعًا».

قال (هارى) وهو يتثاءب: «ليس لفترة طويلة».

وجدا (هرميون) فى المطبخ. وبينما كان (كرياتشر) يقدم لها القهوة الساخنة والفطائر الساخنة، ظهر على وجهها التعبير الذى يبدو عليها عادة فى أثناء المراجعة قبل الامتحان.

وأومأت تحييهم بعصبية واستمرت تنظر داخل حقيبتها الصغيرة المطرزة وهى تقول بصوت منخفض: «الملابس... وصفة التخفى... عباءة الإخفاء... مفجرات خداعية... ليأخذ كلاكما زوجين منها تحسبا للظروف... حلوى التقيؤ، حلوى نزيف الأنف، الأذان القابلة للتمدد...».

وأنهوا إفطارهم بسرعة، ثم صعدوا إلى الطابق العلوى، بينما (كرياتشر) ينحنى لهم ويعدهم بأن شرائح اللحم وفطيرة الكلاوى سيكونان جاهزين عند عودتهم.

قال (رون) باعتزاز: «حفظه الله، من العجيب أننى تخيلت يوما أن أقطع رأسه وأعلقه على الحائط».

وخرجوا إلى الدرجة الملاصقة للباب الأمامى بحذر شديد: كانوا يستطيعون رؤية اثنين من آكلى الموت الذين انتفخت عيونهم وهم يراقبون المنزل عبر الميدان الذى يملؤه الضباب. انتقلت (هرميون) آنيًا مع (رون) أولا ثم عادت لـ (هارى).

بعد أن مرت فترة الظلام والاختناق المعتادة، وجد (هارى) نفسه فى حارة صغيرة، حيث سيتم تنفيذ المرحلة الأولى من خطتهم. كانت الحارة مهجورة ولا يوجد سوى عدد من الصناديق الكبيرة؛ لم يكن أول موظفى الوزارة يظهر عادة هنا قبل الساعة الثامنة.

قالت (هرميون) وهى تنظر فى ساعتها: «حسنًا إذن، يجب أن تصل إلى هنا خلال نحو خمس دقائق. وبمجرد أن أقوم بصعقها..».

قال (رون) بصرامة: «نعلم ذلك يا (هرميون)، وأظن أنه كان من المفترض أن نفتح الباب قبل وصولها إلى هنا؟».

صاحت (هرميون).

«لقد نسيت هذا تقريبًا! ارجعا إلى الخلف..».

ووجهت عصاها إلى باب الطوارئ المقفل الذى تغطيه الرسوم والكتابات بجوارها، لينفتح بصوت اصطدام عال. وكان الممر المظلم خلفه يقود إلى مسرح فارغ، كما عرفوا من رحلاتهم الاستكشافية السابقة. وسحبت (هرميون) الباب نحوها مرة أخرى، لتجعله يبدو كما لو كان مازال مغلقًا.

ثم قالت وهى تلتفت إلى الاثنين الآخرين: «والآن، نضع العباءة من جديد..».

قال (رون) منهيا الجملة: «ـ وننتظر». ثم رمى العباءة على رأس (هرميون) كأنه يرمى غطاء على قفص عصافير ونظر إلى (هارى).

وبعد دقيقة واحدة تقريبًا، سمعوا صوت فرقعة ضئيلة وظهرت ساحرة قصيرة من ساحرات الوزارة، ذات شعر رمادى هائش، على بعد قدم واحدة منهم. رمشت قليلاً بسبب السطوع المفاجئ للضوء: كانت الشمس قد خرجت لتوها من وراء سحابة، لكن الوقت لم يسمح لها بالاستمتاع بالدفء غير المتوقع، حيث أصابتها (هرميون) بتعويذة صعق صامتة فى صدرها وسقطت.

قال (رون): «أديتها بشكل رائع يا (هرميون)». وخرج من خلف صندوق بجوار باب المسرح بعد أن خلع (هارى) العباءة. وحملوا الساحرة معًا إلى الممر المظلم الذى يؤدى إلى كواليس المسرح. وشدت (هرميون) بضع شعرات من رأس الساحرة، وأضافتها إلى قارورة وصفة التخفى التى أخرجتها من حقيبتها المطرزة، بينما أخذ (رون) يفتش حقيبة يد الساحرة.

قال وهو يقرأ بطاقة صغيرة تحدد شخصية ضحيتهم كمساعدة في مكتب مكافحة الاستخدام السيئ للسحر: «اسمها (مافالدا هوبكيرك). من الأفضل أن تأخذي هذه يا (هرميون)، وها هي العملات الرمزية».

وأعطاها عددًا من العملات الذهبية الصغيرة، منقوش عليها حروف إم. أوه. أم، والتي أخذها من كيس نقود الساحرة.

شربت (هرميون) وصفة التخفي التي أصبحت في لون صفار زهرة عباد الشمس، وفي غضون ثوان، أصبحت (مافالدا هوبكيرك) الثانية، وما إن أخذت نظارة (مافالدا) ووضعتها على عينيها حتى نظر (هاري) لساعته.

«لقد تأخر الوقت، سيحضر رجل الصيانة السحرية في أي ثانية الآن».

وأسرعوا بإغلاق الباب على (مافالدا) الحقيقية؛ واختفى (هاري) و(رون) تحت العباءة بينما ظلت (هرميون) ظاهرة تنتظر. وبعد ثوان سمعوا صوت فرقعة صغيرة مرة أخرى، وظهر ساحر قصير يشبه حيوان ابن مقرض أمامهم.

«آه، مرحبًا يا مافالدا».

قالت (هرميون) بصوت مرتعش: «مرحبًا! كيف حالك اليوم؟».

أجاب الساحر القصير الذي بدا مكتئبا: «ليس جيدًا، في الواقع».

وبينما توجهت (هرميون) مع الساحر في اتجاه الطريق الرئيسي، تسلل (هاري) و(رون) وراءهم.

قالت (هرميون) بحزم: «آسفة لسماع ذلك. تفضل، تناول بعض الحلوى». كان الساحر القصير قد عرض إلى شرح مشاكله، ومن الضروري إيقافه قبل الوصول إلى الشارع.

«ماذا؟ أوه، لا، شكرًا..».

قالت (هرميون) بعدوانية وهي تهز كيس حلوى التقيؤ أمام وجهه: «أنا أصر!». ظهر بعض الفزع على الساحر ولكنه تناول واحدة.

وكان التأثير فوريًا. فما إن لمس القرص السكري لسانه، حتى بدأ الساحر القصير في التقيؤ بشدة لدرجة أنه لم يشعر عندما انتزعت (هرميون) حفنة من الشعر من أعلى رأسه.

وقالت بينما يرش الزقاق بالقيء: «يا إلهي! ربما كان من الأفضل أن تأخذ اليوم إجازة!».

غصَّ الساحر وتقيأ وحاول الاستمرار في طريقه رغم عدم قدرته على المشي مستقيمًا وهو يقول: «لا، لا! لابد ـ اليوم ـ يجب أن أذهب».

قالت (هرميون) بفزع: «ولكن ذلك سخيف! لا يمكنك الذهاب إلى العمل وأنت فى هذه الحالة - يجب أن تذهب إلى سانت مونجو، وتجعلهم يفحصونك!».

وانهار الساحر، وأصبح يزحف على يديه ورجليه محاولا الوصول إلى الشارع الرئيسى.

صاحت (هرميون): «لا يمكنك الذهاب إلى العمل وأنت فى هذه الحالة!».

وأخيرًا، بدأ يقبل بصحة كلماتها. وعاد إلى وضع الوقوف بمساعدة (هرميون) المشمئزة، ثم استدار فى مكانه واختفى بدون أن يترك وراءه شيئا سوى الحقيبة التى انتزعها (رون) من يده، وهو يمضى، وبعض قطع القىء الطائرة.

قالت (هرميون) وهى ترفع تنورتها لتتفادى برك القىء: «يع، كانت الفوضى لتكون أقل كثيرا لو قمنا بصعقه هو أيضًا».

قال (رون) وهو يخرج من تحت العباءة ممسكًا بحقيبة الساحر: «نعم، ولكنى ما زلت أعتقد أن كومة من الأجساد الفاقدة للوعى ستسترعى اهتماما أكبر بكل تأكيد. ولكنه بدا شديد الحرص على وظيفته، أليس كذلك؟ أعطنى الشعر والوصفة، إذن».

وفى غضون دقيقتين، أصبح (رون) قصيرًا وشبيهًا بابن مقرض مثل الساحر المريض، ثم ارتدى الملابس الزرقاء التى كانت مطوية داخل الحقيبة.

«من الغريب أنه لم يكن يرتدى ملابسه اليوم، خاصة مع إصراره الشديد على الذهاب إلى العمل؟ على أية حال، أنا (ريج كاتيرمول)، وفقًا للعلامة الموجودة على الظهر».

قالت (هرميون) لـ (هارى) الذى كان مازال تحت عباءة الإخفاء: «انتظر هنا الآن، وسنعود ببعض الشعر من أجلك».

واضطر (هارى) إلى الانتظار عشر دقائق، ولكن الوقت بدا أطول بكثير بالنسبة له، وهى يمشى وحده فى الزقاق المرشوش بالقىء بجوار الباب الذى يخفى (مافالدا) المصعوقة. وأخيرًا ظهر (رون) و(هرميون).

قالت (هرميون) وهى تناول (هارى) عدة شعرات سوداء: «لا نعرف من هو، ولكنه عاد للمنزل وهو يشكو من نزيف أنفى شديد! خذ، إنه شديد الطول، وستحتاج إلى ملابس أكبر..».

وأخرجت طقما من الملابس القديمة التى غسلها (كرياتشر) لهم، وانتحى (هارى) جانبًا ليأخذ الوصفة ويغير ملابسه.

وبمجرد إتمام التحول المؤلم، أصبح طوله أكثر من ستة أقدام، وعرف من العضلات الموجودة بذراعيه، أن بنيته شديدة القوة. كما أن لديه لحية. ووضع عباءة الإخفاء والنظارة داخل ملابسه الجديدة وانضم للاثنين الآخرين.

قال (رون) وهو ينظر إلى (هارى) الذى أصبح أطول منهما بكثير: «يا إلهى، هذا مخيف».

قالت (هرميون) لـ (هارى): «خذ واحدة من عملات (مافالدا)، ولنذهب، الساعة تقترب من التاسعة».

وخرجوا من الزقاق معًا. ورأوا على بعد خمسين ياردة من طول الرصيف المزدحم، سورًا مدببًا أسود يفصل بين مجموعتين من السلالم، إحداهما مكتوب عليها رجال، بينما الأخرى مكتوب عليها سيدات.

قالت (هرميون) بتوتر: «أراكم بعد لحظة». وابتعدت بخطوات مترنحة نحو السلالم الخاصة بالسيدات، بينما انضم (هارى) و(رون) إلى عدد من الرجال الذين يرتدون ملابس غريبة وينزلون متجهين إلى ما بدا مرحاضًا عامًّا عاديًّا تحت الأرض مبلطًا ببلاط أبيض وأسود.

صاح ساحر آخر يرتدى ملابس زرقاء وهو يدخل إلى مقصورة بعد أن وضع العملة الذهبية فى الشق المخصص لها: «صباح الخير يا ريج! إنهم يتعبوننا والسلام، هه؟ بإجبارنا جميعا على الذهاب إلى العمل بهذه الطريقة! من الذى يتوقعون ظهوره، (هارى بوتر)؟».

وضحك الساحر على مزحته. وضحك (رون) ضحكة قسرية خافتة.

وقال: «نعم، غباء، أليس كذلك؟».

ودخل (هارى) و(رون) إلى مقصورتين متجاورتين.

وسمع (هارى) إلى يساره ويمينه صوت تدفق مياه، وجثم إلى الأرض لينظر من خلال الفجوة أسفل المقصورة، فى الوقت المناسب لرؤية زوج من الأقدام المرتدية لأحذية عالية يتسلق إلى المرحاض المجاور له. ونظر إلى يساره ليجد (رون) يتطلع له.

ويهمس له: «علينا أن نتدفق مع الماء إلى الداخل؟».

رد (هارى) هامسا بصوت عميق: «هذا ما يبدو».

وقف كلاهما. وتسلق (هارى) المرحاض وهو يشعر بالحمق الشديد.

ولكنه عرف على الفور أنه فعل الشىء الصحيح؛ فرغم أنه كان يبدو كأنه يقف فى الماء، لكنَّ حذاءه وقدميه وملابسه ظلوا جافين تمامًا. ومد يده إلى أعلى، وسحب السلسلة، ثم فى اللحظة التالية كان قد انزلق على زلاقة، ليخرج من المدفأة إلى داخل وزارة السحر.

ونهض بشكل أخرق؛ كان لديه جسم أكبر بكثير مما اعتاد عليه. وشعر (هارى) بأن البهو الكبير معتم أكثر مما يتذكره. حيث كانت هناك نافورة ذهبية تشغل وسط البهو فى السابق وتلقى بقعًا وامضة من الضوء على الأرضية والجدران الخشبية المصقولة. أما الآن فهناك تمثال حجرى أسود ضخم يشغل وسط القاعة، يبدو مخيفًا نوعًا، وهو عبارة عن نحت كبير لساحر وساحرة يجلسون على عروش مزخرفه عالية، وينظرُون بتعال إلى موظفى الوزارة الذين ينزلقون خارجين من المدفأة أدناهم، بينما محفور بحروف بارزة بارتفاع قدم عند قاعدة التمثال الكلمات: **السحر هو القوة.**

تلقى (هارى) ضربة قوية على مؤخرة ساقيه، حيث انزلق ساحر آخر خارجًا لتوه من المدفأة وراءه.

«ابتعد عن الطريق، ألا يمكنك ذلك أيها ـ آه، آسف يا رانكورن!».

وظهر الخوف بوضوح على الساحر الأصلع الذى ابتعد على عجل. وبدا أن الرجل الذى انتحل (هارى) شخصيته، رانكورن، يثير الفزع فى من يعرفونه.

قال صوت: «بسست!». ونظر (هارى) ليجد الساحرة النحيفة والساحر القصير من قسم الصيانة السحرية يشيرون له من عند الجانب الآخر للتمثال، وأسرع (هارى) ينضم إليهم.

وهمست (هرميون) لـ (هارى): «دخلت إلى المكان بدون مشاكل، إذن؟».

قال (رون): «لا، إنه لا يزال عالقا فى المجارى».

ردت: «أوه، مضحك جدًا..».ثم قالت لـ (هارى) الذى كان يحدق فى التمثال: «إنه شىء مروع، أليس كذلك؟ هل رأيت ما يجلسون عليه؟».

ونظر (هارى) عن كثب أكثر وأدرك أن ما اعتقده عروشًا مزخرفة هو عبارة عن أكوام من البشر: مئات ومئات من أجساد الرجال والنساء والأطفال العارية المحفورة، لهم وجوه غبية قبيحة ملتوية، مضغوطون معًا ليحملوا سحرة يرتدون ملابس جميلة.

همست (هرميون): «عامة، فى مكانهم الصحيح. هيا بنا، فلنذهب».

وانضموا إلى سيل السحرة والساحرات المتجه نحو البوابات الذهبية فى نهاية القاعة، وهم ينظرون حولهم خلسة، ولكنهم لم يلمحوا أى أشارة لشكل (دولوريس أمبريدج) المميز. ومروا من البوابات إلى قاعة أصغر، طوابير تصطف أمام عشرين إطارًا ذهبيًا حيث توجد مصاعد. وكانوا بالكاد قد انضموا إلى أقرب الطوابير عندما سمعوا صوتًا يقول: «(كاتيرمول)!».

ونظروا خلفهم: والتوت معدة (هارى). كان واحدًا من آكلى الموت الذين شهدوا موت (دمبلدور) يخطو متجها إليهم. وسقط الصمت على موظفى الوزارة القريبين منهم، وخفضوا أبصارهم؛ وشعر (هارى) بالخوف المتموج خلالهم. كان وجه الرجل المتجهم، المتوحش إلى حد ما لا يتوافق مع عباءته الرائعة المطرزة بالكثير من خيوط الذهب. وصاح شخصًا من بين الحشود المنتظرة حول المصاعد متملقًا: «صباح الخير يا (ياكسلى)!». ولكن (ياكسلى) تجاهله.

«لقد طلبت شخصًا من قسم الصيانة السحرية لفحص مكتبى يا (كاتيرمول). فما زالت الأمطار تسقط داخله».

تطلَّع (رون) حوله وكأنه يأمل فى تدخل شخص ما، ولكن أحدًا لم يتكلم.

«... الأمطار تسقط فى مكتبك؟ إن ذلك ـ ذلك ليس جيدًا، أليس كذلك؟».

ضحك (رون) ضحكة عصبية. واتسعت عينا (ياكسلى).

«هل تظن أن الأمر مضحك يا (كاتيرمول)؟».

تركت ساحرتان الصف المنتظر أمام المصعد وابتعدتا بسرعة.

قال (رون): «لا، لا، بالطبع..».

«إنك بالطبع تدرك أننى فى طريقى للطابق الأسفل لاستجواب زوجتك يا (كاتيرمول)؟ فى الواقع، أنا مستغرب تمامًا أنك لست معها تمسك بيدها وهى تنتظر. هل تخليت عنها بهذه السرعة؟ ربما كان ذلك من الحكمة. ولكن تأكد من الزواج من ساحرة نقية الدم فى المرة القادمة».

أطلقت (هرميون) صرخة رعب ضعيفة، ونظر (ياكسلى) إليها. فسعلت بضعف وأبعدت نظرها.

تلعثم (رون) قائلاً: «أنا ـ أنا..».

قال (ياكسلى): «ولكن إذا كانت زوجتى متهمة بأنها ذات دم موحل ـ وإن كان لا يمكن أن تنسب مثل هذه التهمة القذرة لأى امرأة أتزوجها ـ ورئيس إدارة تنفيذ القانون السحرى يطلب منى إنهاء عمل ما، فإننى سأجعل تلك المهمة من أولوياتى يا (كاتيرمول). هل تفهم ذلك؟».

همس (رون): «نعم».

«ابدأ بها إذن يا (كاتيرمول)، وإذا لم يصبح مكتبى جافًا تمامًا فى غضون ساعة، سيصبح مركز دم زوجتك فى وضع شك أكبر مما هو عليه الآن».

وانفتحت البوابة الذهبية أمامهم. وحيا (ياكسلى) (هارى) بإيماءة وابتسامة غير سارة، كان من الواضح أنه توقع منه الإعجاب بالطريقة التى عامل بها (كاتيرمول)، وابتعد (ياكسلى) متجهًا نحو مصعد آخر. بينما دخل (هارى)، و(رون)، و(هرميون) إلى مصعدهم، ولم يتبعهم أحد: وكأن لديهم مرضًا معديًا. وأغلق الباب وبدأ المصعد فى التحرك إلى أعلى.

وسأل (رون) الاثنين الآخرين فورًا وقد بدا مصدومًا: «ماذا علىَّ أن أفعل؟ إذا لم أذهب، ستتعرض زوجتى... أقصد زوجة (كاتيرمول)..».

بدأ (هارى): «سنأتى معك، علينا أن نتضامن معًا..». ولكن (رون) هزَّ رأسه بشكل محموم، وقال:

«هذا جنون، ليس لدينا الكثير من الوقت. ابحثا أنتما عن مكتب أمبريدج، وسأذهب أنا لإصلاح مكتب (ياكسلى) ولكن كيف يمكننى وقف المطر؟».

قالت (هرميون) فورًا: «جرب *فينيت إنكانتاتم*»، يجب أن يوقف ذلك المطر لو أنه لعنة أو نحس؛ وإذا لم توقفه، فهناك إذن مشكلة فى تعويذة المناخ، والتى سيكون إصلاحها أكثر صعوبة، ويمكنك كإجراء مؤقت استخدام تعويذة *ايمبرفيوس* لحماية متعلقاته..».

قال (رون): «أعيدى ما قلته ببطء..». وأخذ يفتش جيوبه، يائسًا، بحثًا عن ريشة، ولكن المصعد توقف فى تلك اللحظة. وقال صوت أنثوى لا يعرفون مصدره: «الطابق الرابع، إدارة تنظيم ومراقبة المخلوقات السحرية، وتتضمن أقسام الوحوش والأشباح والأرواح ومكتب تراخيص الأقزام الأسطوريين والمكتب الاستشارى لشئون الآفات المنزلية». وانزلق الباب مفتوحًا من جديد، ودخل ساحران وعدة طائرات ورقية ذات لون بنفسجى شاحب، والتى أخذت ترفرف حول المصباح فى سقف المصعد.

قال رجل ذو شارب كثيف وهو يبتسم لـ (هارى): «صباح الخير يا (ألبرت)». ونظر إلى (رون) و(هرميون) بينما بدأ المصعد فى الطلوع مرة أخرى؛ كانت (هرميون) تهمس عددًا كبيرا من التعليمات إلى (رون). مال الساحر نحو (هارى)، وهو ينظر نظرة خبيثة، ويتمتم: «(ديرك كريسويل)، هه؟ من مكتب تراخيص

الأقـزام الأسـطـوريين؟ حـركـة بـارعـة يـا (ألبرت). إنـنـى واثـق مـن الحـصـول عـلـى وظيفته الآن!».

وغمز. وابتسم (هـارى) ردًا عليه، آملاً أن هذا سيكون كـافيًا. وتوقف المصعد؛ وفتح البـاب مرة أخرى.

وقـال صوت السـاحرة غير محدد المصدر: «الطابق الثـانى: إدارة تنفيذ القـانون السحرى، وتتضمن أقسام مكافحة الاستخدام السيئ للسحر، ومقر المدافعين ضد السحر الأسود، وإدارة خدمات ويزنجاموت».

ورأى (هـارى) (هرميون) وهـى تعطى دفعة صغيرة لـ (رون)، والذى أسرع خـارجًـا مـن المصـعـد، وتـبـعـه السـاحـران الآخـران، تـاركين (هـارى) و(هـرمـيـون) وحدهمـا. ومـا إن أغلق الباب الذهبى، حتى أسرعت (هرميون) تقول: «فى الواقع يا (هـارى)، أظن أننى من الأفضل أن أتبعه، لا أظن أنه يعلم ما يفعله، وإذا تم القبض عليه، فـإن الأمر بـأكمله..».

«الطـابق الأول، وزير السحر وموظفو الدعم».

وانزلق البـاب الذهبى مفتوحًا مرة أخرى وشهقت (هرميون). كـان هنـاك أربعة أشخـاص يقفون أمـامهم، اثنـان منهم مندمجـان فى المحـادثة: سـاحر طويل الشعر يرتدى عبـاءة رائعة من اللونين الأسود والذهبى، وسـاحرة قصيرة ممتلئة تشبه العلجوم(*) ترتدى قوسًا مخمليًا على شعرهـا القصير وتمسك بحـافظة أوراق على صدرهـا.

(*) العلجوم: ضفدع الطين.

١٣ لجنة تسجيل مواليد العامة

قالت (أمبريدج) وهى تنظر إلى (هرميون): «آه، (مافالدا)! أرسلك ترافرز أليس كذلك؟».

قالت (هرميون) بصوت قصير حاد: «نـ ـ نعم».

قالت (أمبريدج): «جيد، ستكونين مناسبة تمامًا». ثم وجهت حديثها إلى الساحر الذى يرتدى العباءة ذات اللونين الأسود والذهبى: «لقد حلت تلك المشكلة إذن يا سيادة الوزير، إذا قامت (مافالدا) بأعمال التسجيل، سنكون قادرين على بدء العمل فورًا». فحصت أوراقها: «يوجد عشرة أشخاص اليوم، واحدة منهم زوجة موظف بالوزارة! تؤ، تؤ... حتى هنا فى قلب الوزارة!». ودخلت إلى المصعد بجوار (هرميون)، ومعها الساحران الآخران اللذان كان يستمعان إلى محادثتها مع الوزير وقالت: «سنذهب إلى تحت مباشرة يا (مافالدا)، وستجدين كل شيء تحتاجين إليه فى قاعة المحكمة. صباح الخير يا (ألبرت)، ألست خارجًا؟».

قال (هارى) بصوت رانكورن العميق: «نعم، بالطبع».

وخطا (هارى) خارجًا من المصعد وأغلقت الإطارات الذهبية وراءه، ولمح (هارى) من فوق كتفيه وجه (هرميون) القلق وهو يبتعد عن نظره، وقد أحاط بها الساحران الطويلان من كلا الجانبين بينما يصل طوق شعر (أمبريدج) المخملى إلى مستوى كتفيها.

وسأله وزير السحر الجديد: «ما الذى أتى بك إلى هنا يا (رانكورن)؟». ورأى (هارى) بضع شعرات فضية تتخلل شعره ولحيته الأسودين الطويلين، أما جبهته البارزة الضخمة فكانت تلقى ظلالاً على عينيه الوامضتين، حتى إن (هارى) فكر أنه يشبه سرطانًا بحريًا ينظر من تحت صخرة.

«كنت أريد أن أتكلم مع» وتردد (هارى) لجزء من الثانية ثم قال: «(آرثر ويزلى)». قال أحدهم: إنه فى الطابق الأول».

قال (بيوس ثيكنس): «آه، هل تم ضبطه وهو يجرى اتصالاً مع أحد غير المرغوب فيهم؟».

قال (هارى) وقد جف حلقه: «لا، لا شىء من هذا القبيل».

قال (ثيكنس): «آه، حسنًا، إنها مسألة وقت فقط. إن خونة الدم مثله أسوأ فى رأيى من أصحاب الدم الموحل. يوم طيب يا رانكورن».

«يوم طيب أيها الوزير».

وراقب (هارى) (ثيكنس) وهو يمشى مبتعدا فى الممر المفروش بالسجاد السميك. وما إن اختفى الوزير عن نظر (هارى)، حتى أخرج عباءة الإخفاء من تحت العباءة السوداء الثقيلة التى يرتديها، ورمى بها فوق نفسه، وبدأ يمشى بطول الممر فى الاتجاه المعاكس. كان رانكورن شديد الطول حتى إن (هارى) اضطر إلى الانحناء للتأكد من أن قدميه الكبيرتين مختفيتان.

ونبض الذعر داخل معدته، وهو يمر أمام الأبواب الخشبية اللامعة الواحد بعد الآخر، ويقرأ البطاقات الصغيرة الملصقة بها والمكتوب عليها اسم صاحب المكتب ووظيفته، وشعر أن ضخامة الوزارة، وتعقيدها، ومناعتها تفرض نفسها عليه حتى بدت الخطة التى أعدها بعناية مع (رون) و(هرميون) على مدى الأسابيع الأربعة الماضية طفولية ومضحكة. لقد ركزوا جميع جهودهم على الوصول إلى الداخل دون أن ينكشف أمرهم ولم يفكروا للحظة فيما سيفعلونه لو أجبروا على الانفصال. والآن ها هى (هرميون) عالقة فى إجراءات المحكمة، والتى ستستغرق ساعات طويلة بلا شك؛ وها هو (رون) يكافح من أجل أداء سحرى، كان (هارى) متأكدًا من أنه يتجاوز قدراته، بينما قد تتوقف حرية إحدى السيدات على النتيجة، أما هو، (هارى)، فيتجول فى الطابق العلوى، وهو يعرف جيدًا أن طريدته قد نزلت منذ قليل فى المصعد.

توقف عن السير، واتكأ على أحد الجدران، وحاول أن يقرر ما سيفعله. وشعر بالصمت يضغط عليه: لم يكن هناك أى صوت كلام أو خطوات سريعة هنا، كان الممر المفروش بالسجاد البنفسجى صامتًا وكأن تعويذة *موفلياتو* قد ألقيت عليه.

وفكر (هارى): *يجب أن يكون مكتبها هنا*.

بدا من غير المرجح أن تحتفظ (أمبريدج) بمجوهراتها فى مكتبها، ولكن من جهة أخرى، فكر أنه من الحمق ألا يقوم بتفتيشه ليتأكد. وهكذا انطلق يمشى فى الممر من جديد، ولم يلتق بأحد فى طريقه سوى ساحر متجهم يقوم بإملاء تعليماته لريشة تطير فى الهواء أمامه وتقوم بتسجيل ما يمليه على رق جلدى.

وتابع (هارى) قراءة الأسماء الموجودة على الأبواب وانعطف مع الممر. وفى منتصف الممر التالى، وصل إلى مكان واسع مفتوح يجلس به نحو اثنى عشر ساحرًا وساحرة فى صفوف إلى مكاتب صغيرة لا تختلف كثيرًا عن المناضد المدرسية، وإن كانت مصقولة بشكل أكثر إتقانًا وخالية من النقوش. وتوقف (هارى) لمراقبتهم، فقد كان تأثير المشهد فاتنًا. كانوا جميعًا يلوحون بعصيهم ويديرونها بانسجام تام، بينما تطير أوراق ملونة مربعة فى كل الاتجاهات مثل طائرات ورقية وردية صغيرة. وبعد بضع ثوان، أدرك (هارى) أن هناك إيقاعًا معينًا لما يفعلونه، وأن جميع الأوراق تتشكل معًا بنفس النمط، وبعد بضع ثوان أخرى، أدرك أن ما يراقبه هو عملية صنع النشرات، وأن الأوراق المربعة هى صفحات تجمع وتطوى فى أماكنها بالسحر لتأخذ شكل كتيبات، ثم تسقط فى أكوام مرتبة بجوار كل ساحر أو ساحرة.

زحف (هارى) مقتربًا بحرص، رغم أن العاملين كانوا منهمكين جدًا فيما يفعلونه، حتى إنه شك أن يلاحظ أحدهم خطواته المكتومة على السجاد، وسحب كتيبًا كاملاً من كومة بجوار ساحرة شابة، وفحصه تحت عباءة الإخفاء. كان غلافه الوردى مكتوبًا عليه بحروف ذهبية العنوان التالى:

ذوو الدم الموحل
والمخاطر التى يشكلونها على المجتمع نقى الدم المسالم

تحت العنوان توجد صورة وردة حمراء يظهر بين بتلاتها وجه مبتسم بتكلف واستحياء، بينما تخنقه أعشاب خضراء كالحة لها أنياب. لم يكن هناك اسم مؤلف على الكتيب، ولكنه شعر بالندوب الموجودة على ظهر يده اليمنى توخزه مرة أخرى وهو يفحصه. ثم أكدت الساحرة الشابة بجواره ظنه عندما قالت وهى لا تزال تلوح وتدير عصاها: «هل ستظل الساحرة الشمطاء تستجوب ذوى الدم الموحل طوال اليوم، هل هناك أحد يعلم؟».

نظر أحد السحرة بجوارها حوله بعصبية حتى إن إحدى الصفحات انسلت ووقعت إلى الأرض وقال: «احذرى».

«ماذا، هل لديها أذن سحرية بالإضافة إلى العين، الآن؟».

وألقت الساحرة نظرة نحو الباب المصنوع من خشب الماهوجونى المواجه للمكان الممتلئ بصناع الكتيبات؛ ونظر (هارى) أيضًا، وتزايد الغضب داخله مثل

الأفعى. عندما وجد فى المكان الذى يوجد فيه عادة ثقب الباب فى أبواب العامة، عينًا كبيرة مستديرة لها حدقة زرقاء مثبتة فى الخشب؛ عينًا مألوفة بشكل صادم لأى شخص كان يعرف (ألاستر مودى).

ولجزء من الثانية، نسى (هارى) أين هو وماذا يفعل هناك، حتى إنه نسى أنه غير مرئى. وخطا مباشرة نحو الباب ليفحص العين. لم تكن تتحرك. وتحدق إلى أعلى بدون أن ترى، أما اللافتة الموجودة أسفلها فكان مكتوبًا عليها:

(دلوريس أمبريدج)
وكيل أول وزارة السحر

وتحت ذلك، توجد لوحة جديدة تلمع أكثر قليلاً، مكتوب عليها:

رئيس لجنة تسجيل مواليد العامة

نظر (هارى) مجددًا إلى صانعى النشرات الاثنى عشر وفكر أنه رغم انهماكهم فى عملهم، فإنه لا يمكنه أن يتوقع منهم ألا يلاحظوا فتح باب مكتب خالٍ أمامهم مباشرة. ولذلك سحب من جيبه الداخلى شيئًا غريبًا له قدمان تلوحان، بينما جسمه عبارة عن مصباح مطاطى يشبه البوق. وانحنى وهو تحت العباءة ووضع المفجر الخداعى على الأرض.

وابتعد المفجر على الفور سالكًا طريقه بين أقدام السحرة والساحرات أمامه. وبعد لحظات قليلة، انتظر خلالها (هارى) ويده على مقبض الباب، ارتفع صوت دوى عالٍ واندفع قدر كبير من اللهب والدخان الأسود من أحد الأركان. وصرخت الساحرة الصغيرة الموجودة فى الصف الأمامى، وطارت الصفحات الوردية فى كل مكان، عندما قفزت هى وزملاؤها، ونظروا باحثين عن مصدر الضجة. وأدار (هارى) مقبض الباب، وخطا داخلاً إلى مكتب (أمبريدج)، وأغلق الباب وراءه.

وشعر وكأن الزمن قد عاد به إلى الوراء. كانت الغرفة تشبه مكتب (أمبريدج) فى (هوجوورتس) تمامًا... المفارش والأغطية القماش وزهريات الزهور المجففة تغطى كل سطح بالغرفة، والجدران تحمل نفس الأطباق الخزفية المزخرفة والمرسوم على كلٍ منها قطة صغيرة ملونة تثب وتجرى بطريقة لطيفة لدرجة

تصيب بالغثيان. أما المكتب فمغطى بقماش مكشكش منقوش بالزهور، ووجد منظارًا مثبتًا خلف عين (ماد - آى) على الجانب الآخر من الباب، يمكن (أمبريدج) من التجسس على العاملين. ونظر (هارى) من خلاله، ورأى أنهم مازالوا جميعًا مجتمعين حول المفجر الخداعى. وأزال المنظار من الباب، تاركًا وراءه فتحة، ثم أزال مقلة العين السحرية منه، ووضعها فى جيبه. واستدار ليواجه الغرفة ثانية، ورفع عصاه وغمغم: «*أتسيو القلادة*».

لم يحدث شىء، ولكنه لم يتوقع حدوث شىء على أية حال؛ فلا شك أن (أمبريدج) تعرف كل شىء عن تعاويذ وسحر الحماية. وأسرع خلف مكتبها وبدأ فى فتح جميع الأدراجِ. وشاهد ريشات كتابة ودفاتر وأشرطة لصق سحرية؛ وقصاصات ورق مسحورة، التفت بشكل أفعوانى داخل الأدراج وكان يجب أن تضرب لتعود إلى أماكنها؛ وصندوق صغير مزخرف به أمشاط وأطواق إضافية للشعر؛ لكن لا أثر للقلادة.

كان هناك خزانة ملفات وراء المكتب. بدأ (هارى) التفتيش فيها.. كانت تشبه خزانات فيلش فى (هوجوورتس) مليئة بمجلدات، مكتوب على كل منها اسم. وعندما وصل (هارى) فى تفتيشه إلى آخر درج، وجد ما صرف تركيزه عن البحث: ملف السيد (ويزلى).

سحب (هارى) الملف، وفتحه.

(آرثر ويزلى)

حالة الدم: من ذوى الدم النقى، ولكن لديه ميل غير مقبول نحو العامة. عضو معروف فى جماعة العنقاء.

الأسرة: الزوجة (نقية الدم)، ولديه سبعة أولاد، الاثنان الصغار مازالا يدرسان فى (هوجوورتس).

ملاحظة: الابن الأصغر، حاليًّا فى البيت، مصاب بمرض خطير، وقد تأكد مفتشو الوزارة من ذلك.

الوضع الأمنى: **مراقب**. يتم رصد جميع تحركاته. هناك احتمال قوى أن يقوم غير المرغوب به رقم (1) بالاتصال به (استضافته أسرة (ويزلى) من قبل)

تمتم (هارى) بصوت خفيض بينما يعيد ملف السيد (ويزلى) ويغلق الدرج: «غير المرغوب به رقم واحد». كانت لديه فكرة عمن يكون، وما إن اعتدل واقفا ونظر حول المكتب باحثًا عن أماكن أخرى ليفتشها، حتى تأكد ظنه، حيث شاهده: ملصق عليه صورته على الحائط، ومنقوش على صدره عبارة **غير المرغوب به رقم** (1)، ورأى ورقة صغيرة وردية ملصقة إلى الصورة، يوجد فى ركنها قطة صغيرة. واقترب (هارى) ليقرأها ورأى أن (أمبريدج) قد كتبت عليها: «*سوف يعاقب*».

تأجج الغضب فى صدره أكثر، ومضى يبحث فى قيعان الزهريات وسلال الزهور المجففة، ولكنه لم يشعر بأى مفاجأة عندما لم يجد القلادة هناك. وألقى نظرة أخيرة عامة على المكتب بأكمله، وشعر بقلبه يقفز.. كان (دمبلدور) يحدق فيه من خلال مرآة صغيرة مستطيلة مسندة على خزانة الكتب بجانب المكتب.

وعبر (هارى) الغرفة بسرعة وانتزعها من مكانها، ولكنه أدرك فى اللحظة التى لمسها فيها أنها ليست مرآة على الإطلاق. كان (دمبلدور) يبتسم بحزن على الغلاف الأمامى المصقول للكتاب ومرت لحظة قبل أن يلاحظ (هارى) الكلمات الرقيقة الخضراء المكتوبة عبر قبعته: ـ *حياة وأكاذيب (ألباس دمبلدور)*، ولا الكلمات الأصغر المكتوبة عبر صدره: «*تأليف ريتا سكيتر، مؤلفة أحد أكثر الكتب مبيعا أرماندو ديبيت*: عبقرى أم معتوه؟».

فتح (هارى) الكتاب عشوائيًا ورأى صورة اثنين من المراهقين على صفحة كاملة، غارقين فى الضحك وقد وضع كل منهما ذراعه حول كتف الآخر. ورأى شعر (دمبلدور) وقد وصل إلى مرفقه، ونمت له لحية صغيرة ذكرته بلحية (كرام) التى أزعجت رون. وبدا الصبى الذى يضحك بدون صوت بجوار (دمبلدور)، سعيدًا، وذا نظرة متمردة. كان شعره الذهبى المجعد يصل إلى كتفه. وتساءل (هارى) إن كان ذلك (دوج) وهو شاب، ولكن قبل أن يتمكن من قراءة التعليق على الصورة، فتح باب المكتب.

لو لم يكن ثيكنس ينظر من فوق كتفيه وهو يدخل إلى الغرفة، لما وجد (هارى) الوقت ليشد عباءة الإخفاء عليه لتغطيه. وفكر أن ثيكنس يمكن أن يكون قد لمح حركته؛ لأنه ظل ساكنًا للحظة أو اثنتين، وهو يتأمل بفضول فى المكان الذى اختفى فيه (هارى) لتوه. ثم بدا أنه قرر أن ما رآه لم يكن سوى (دمبلدور) وهو يهرش أنفه على غلاف الكتاب، حيث كان (هارى) قد أعاده للرف على عجل، ثم اتجه (ثيكنس) أخيرًا إلى المكتب وأشار بعصاه إلى ريشة كتابة تقف

مستعدة داخل المحبرة. واندفعت الريشة وبدأت فى كتابة مذكرة إلى (أمبريدج).
وتراجع (هارى) خارجًا ببطء شديد، وهو لا يكاد يستطيع التنفس، حتى وصل إلى المكان المفتوح.

كان صانعو النشرات مازالوا مجتمعين حول بقايا المفجر الخداعى الذى مازال يصيح بصوت منخفض والدخان يخرج منه. وأسرع (هارى) عائدًا فى الممر بينما الساحرة الشابة تقول: «أراهن أنها تسللت من قسم التعاويذ التجريبية، إنهم فى غاية الإهمال، أتذكرون تلك البطة المسممة؟».

وبينما يسرع عائدًا نحو المصاعد، أخذ (هارى) يراجع الخيارات التى أمامه.

وفكر أنه من المستبعِد وجود القلادة فى الوزارة، وليس هناك أمل فى معرفة مكانها من أمبريدج عن طريق السحر وهى جالسة فى قاعة محكمة مزدحمة. إن أولويتهم الآن يجب أن تكون ترك الوزارة قبل أن يكشف أمرهم، والمحاولة ثانية فى يوم آخر. وأول شىء عليه فعله هو إيجاد (رون)، ثم يمكنهم بعدها أن يفكروا فى طريقة لإخراج (هرميون) من قاعة المحكمة.

كان المصعد خاليًا عندما وصل. قفز (هارى) داخلاً إليه وخلع عباءة الإخفاء بينما بدأ المصعد فى النزول. وعندما توقف المصعد فى الطابق الثانى، دخل إليه (رون) وثيابه تقطر ماءً، وعيناه زائغتان مما جعل (هارى) يشعر براحة كبيرة.

وتلعثم قائلاً لـ (هارى) عندما بدأ المصعد فى النزول ثانية: «صباح الخير».

«(رون)، أنا (هارى)».

«يا إلهى يا (هارى)، لقد نسيت كيف تبدو.. لماذا (هرميون) ليست معك؟».

«كان عليها أن تنزل إلى المحكمة مع أمبريدج، لم تستطع الرفض، و...».

لم يستطع (هارى) إكمال كلامه عندماِ توقف المصعد مرة أخرى؛ وفتح بابه، ودخل إليه السيد (ويزلى)، وهو يتكلم مع ساحرة عجوز ذات شعر أشقر ممشط فى تسريحة عالية تشبه تل النمل.

«... إننى أفهم ما تقولينه جيدًا يا واكاندا، ولكنى أخشى ألا أستطيع المشاركة به..».

توقف السيد (ويزلى) عن إكمال حديثه عندما لاحظ وجود (هارى). كان من الغريب أن يجد السيد (ويزلى) ينظر إليه بهذه الطريقة. وأغلق باب المصعد وتوجه الأربعة الموجودون به إلى الأسفل من جديد.

قال السيد (ويزلى) ملتفتًا إلى (رون) بعد أن سمع صوت قطرات المياه التى تتساقط من ملابسه: «أهلاً يا ريج، أليست زوجتك قادمة اليوم للاستجواب؟ آ.. ماذا حدث لك؟ لماذا ابتلت ملابسك هكذا؟»..

قال (رون): «هناك أمطار فى مكتب (ياكسلى) لم أستطع إيقافها، ولذلك أرسلونى لإحضار بيرنى - بيلسورث» كان يتكلم ونظره موجه نحو كتف السيد (ويزلى)، وشعر (هارى) أنه خائف من أن يعرفه والده، لو نظرا إلى عينى بعضهم البعض مباشرة.

قال السيد (ويزلى): «نعم هناك الكثير من المكاتب التى تمطر مؤخرًا، هل جربت تعويذة مينيو*لو*جينكس ريكانتو؟ لقد نفعت مع بليتشلى».

همس (رون): «*تعويذة قلب المناخ*؟ لا، لم أجربها. شكرًا يا أ.. أقصد شكرًا يا آرثر».

انفتحت أبواب المصعد؛ ورحلت الساحرة ذات الشعر الذى يشبه تل النمل ولحق بها (رون) مبتعدًا عن النظر. وحاول (هارى) اللحاق به، ولكنه وجد طريقه مغلقًا، عندما خطا (بيرسى ويزلى) داخلاً المصعد، وأنفه مدفون داخل بعض الأوراق التى كان يقوم بقراءتها.

ولم يدرك بيرسى أن والده معه فى المصعد، إلا بعد أن أغلقت أبواب المصعد. وعندما نظر إلى أعلى، ورأى السيد ويزلى، احمر وجهه وترك المصعد فى اللحظة التى فتح فيها أبوابه مرة أخرى. وللمرة الثانية، حاول (هارى) الخروج، ولكن هذه المرة أغلقت عليه ذراع السيد (ويزلى) الطريق.

«دقيقة واحدة يا رانكورن».

وأغلق باب المصعد، وبينما ينزل بهم طابق آخر، قال السيد (ويزلى): «لقد سمعت أنك جمعت معلومات عن (ديرك كريسويل)».

وتولد لدى (هارى) انطباع بأن غضب السيد (ويزلى) كان فى قمته بسبب مصادفته مع بيرسى. وقرر أنه من الأفضل أن يتصرف بغباء.

قال: «آسف؟».

قال السيد (ويزلى) غاضبًا: «لا تتظاهر يا رانكورن، لقد تتبعت الساحر الذى زيف شجرة العائلة الخاصة بأسرته، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «أنا.. وماذا لو أننى فعلت؟».

قال السيد (ويزلى) والمصعد مازال ينزل إلى أسفل: «إن (ديرك كريسويل) ساحر أفضل منك عشر مرات، وإذا نجا من أزكابان، يجب عليك أن تواجهه هو وزوجته وأولاده وأصدقاءه..».

قاطعه (هارى): «آرثر أنت تعرف أنك مراقب، أليس كذلك؟».

قال السيد (ويزلى) بصوت عال: «هل هذا تهديد يا رانكورن؟».

قال (هارى): «لا، إنه حقيقة، إنهم يراقبون كل حركة تقوم بها..».

فتحت أبواب المصعد ووصلوا إلى الردهة وخرج السيد (ويزلى) وهو يرمى (هارى) بنظرة غضب. ووقف (هارى) مكانه يرتجف ويتمنى لو أنه قد انتحل شخصية شخص آخر غير رانكورن... وانغلقت أبواب المصعد.

ووضع (هارى) عباءة الإخفاء عليه مرة أخرى. كان قد قرر أن يحاول إنقاذ (هرميون) وحده، بينما يتعامل (رون) مع المكتب الممطر وعندما فتح الباب، خطا خارجًا إلى الممر الحجرى الذى تضيئه المشاعل، والذى يختلف تمامًا عن الممرات المبطنة بالخشب والمفروشة بالسجاد بالأعلى. وبينما يبتعد المصعد صاعدًا ثانية، ارتعش (هارى) قليلاً، وهو ينظر نحو الباب الأسود البعيد الذى يميز مدخل إدارة كشف الأسرار.

وانطلق يمشى ليس إلى الباب الأسود ولكن إلى المدخل الذى يتذكر أنه كان إلى ناحية اليسار والذى يؤدى إلى عدد كبير من السلالم تقود إلى غرف المحاكم بالأسفل، كان يفكر فى الفرص المتاحة أمامه وهو ينزل السلالم؛ فمازال لديه اثنان من المفجرات الخداعية، ولكن ربما من الأفضل أن يقوم بدق باب المحكمة ببساطة ويدخل على أنه رانكورن ويطلب كلمة سريعة مع (مافالدا). بالطبع، لم يكن يعرف إن كان رانكورن مهمًا إلى درجة السماح له بشىء كهذا، وحتى لو نجح فى ذلك، فإن عدم عودة (هرميون) قد تتسبب فى أن يقوموا بالبحث عنهم قبل أن يتركوا الوزارة...

كان غارقًا فى التفكير، فلم يشعر بالبرودة غير الطبيعية التى كانت تزحف على جسده على الفور، كما لو أنه يمشى نازلاً إلى ضباب. وازدادت البرودة أكثر وأكثر مع كل خطوة يخطوها. وبدأ يشعر بالبرد يصل إلى حنجرته ومنها إلى رئتيه ثم شعر باليأس يتسلل إلى أعماقه ويملؤها ويتوسع بداخله...

وفكر: «*ديمنتورات*».

وعندما وصل إلى أسفل السلالم، نظر إلى يمينه ليرى مشهدًا رهيبًا. كان الممر المظلم خارج غرفة المحكمة ممتلئًا بأجسام طويلة مغطاة الرأس، وقد اختفت وجوههم تمامًا، والصوت الوحيد المتردد فى المكان هو صوت تنفسهم الهادر. بينما يجلس مولدو العامة المرعوبون، والذين حضروا للاستجواب منزوين يرتجفون فوق

مقاعد خشبية قاسية. ومعظمهم يخفى وجهه بين يديه، ربما فى محاولة غريزية لحماية أنفسهم من أفواه الديمنتورات الجشعة. كان البعض ترافقه أسرته والبعض الآخر يجلس وحيدًا، بينما تنساب الديمنتورات فى الهواء أمامهم، وشعر (هارى) بأن البرد واليأس اللذين يسودان المكان يخيمان عليه وكأنهما لعنة...

وقال لنفسه: «*قاوم*». ولكنه كان يعلم أنه لا يستطيع صنع باتروناس هنا، بدون أن يكشف نفسه فورًا. وتقدم إلى الأمام، بأكبر قدر ممكن من الهدوء، وكلما خطا خطوة إلى الأمام، شعر بالخدر وهو يتسلل إلى عقله، ولكنه أجبر نفسه على التفكير فى (هرميون) و(رون)، وحاجتهما إليه.

كان المرور بين الأجسام الطويلة السوداء مرعبًا، وتحولت الوجوه الخالية من العيون المختبئة تحت أغطية الرأس نحوه وهو يمر بهم، وعرف أنهم أحسوا به، ربما أحسوا بوجود إنسان مازال لديه بعض الأمل والتماسك...

ثم انفتح باب فجأة على يسار الممر بصوت عال وسط الصمت المتجمد الذى كان يسود المكان وانطلقت صرخات خارجة منه.

«لا، لا، أنا نصف ساحر، أقول لكم أنا نصف ساحر! والدى كان ساحرًا، لقد كان ساحرًا، راجعوا الأمر، إنه أركى ألديرتون، كان مصممًا معروفا للمكانس السحرية، تأكدوا منه، أقول لكم ارفعوا أيديكم عنى، ارفعوا أيديكم عنى...».

قالت أمبريدج بصوت لطيف، تم تكبيره بالسحر حتى بدا أكثر وضوحًا من صرخات الرجل اليائسة: «هذا هو إنذارك الأخير، لو قاومت، ستتعرض لقبلة الديمنتور».

تلاشت صرخات الرجل، ولكن نشيجه الصامت أخذ يتردد عبر الممر.

قالت أمبريدج: «خذوه بعيدًا».

ظهر اثنان من الديمنتورات عند باب المحكمة، بينما أيديهم المشوهة العطنة تمسك بذراع الساحر الذى بدا على وشك فقدان الوعى. وانسابوا به عبر الممر، بينما ابتلعه الظلام.

قالت أمبريدج: «التالى - مارى كاتيرمول».

وقفت امرأة قصيرة، وهى ترتجف من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، بينما ترتدى ملابس طويلة بسيطة، وشعرها الأسود مصفف إلى الخلف على شكل كعكة. ظهر وجهها شاحبًا تمامًا، وهى تمر بالدمنتورات، وشاهدها (هارى) ترتعد من الخوف.

وانسل غريزيًا داخلاً وراءها إلى غرفة المحكمة قبل أن يتأرجح الباب مغلقًا، بدون أى تخطيط؛ فقط لأنه كره منظرها وهى تدخل وحدها إلى الداخل.

لم تكن نفس الغرفة التى تم استجوابه بها من قبل بتهمة الاستخدام غير الصحيح للسحر. بدت هذه الغرفة أصغر، ولكن رغم علو سقفها الشديد، مثل الغرفة الأخرى، لكنها تعطى المصابين بعقدة الأماكن المغلقة الإحساس بأنهم محبوسون فى قعر بئر عميقة.

كان هناك مزيد من الديمنتورات فى الداخل يطلقون أنفاسهم المُجَمدة فى المكان! كانوا يقفون فى الأركان مثل خفر بدون وجوه، بعيدًا عن المنصة التى تجلس عليها أمبريدج بينما يجلس (ياكسلى) بجانبها و(هرميون) التى يضاهى وجهها وجه السيدة كاتيرمول فى شحوبه على الجانب الآخر. وعند أسفل المنصة، كانت هناك قطة ذات شعر طويل، فضية لامعة تقفز إلى أعلى وأسفل، إلى أعلى وأسفل، وأدرك (هارى) أنها هناك لحماية المحققين من اليأس الناشئ عن وجود الديمنتورات بالمكان والموجود ليشعر به المتهمون وليس المحققين.

قالت أمبريدج بصوتها الناعم اللطيف: «اجلسى».

وتعثرت السيدة كاتيرمول وهى متوجهة إلى المقعد الوحيد الموجود فى وسط القاعة تحت المنصة مباشرة. وبمجرد جلوسها، خرجت سلاسل من ذراعى المقعد وقيدتها فى مكانها.

وسألت أمبريدج: «هل أنتِ مارى إليزابيث كاتيرمول؟».

وأومأت السيدة كاتيرمول برأسها إيماءة مهتزة.

«هل أنتِ متزوجة من ريجينالد كاتيرمول من إدارة الصيانة السحرية بالوزارة؟».

انفجرت السيدة كاتيرمول باكية.

«لا أعرف أين هو، كان من المفترض أن يقابلنى هنا

تجاهلتها أمبريدج.

«هل أنتِ أم مايسى، وإيلى، وألفريد كاتيرمول؟».

ارتفع نشيج السيدة كاتيرمول أكثر عن ذى قبل.

«إنهم خائفون ويعتقدون أننى قد لا أعود للمنزل..».

بصق (ياكسلى) وقال: «وفرى على نفسك هذا الكلام، أطفال ذوى الدم الموحل المزعجون لا يثيرون تعاطفنا».

وغـطـى نشيـج السـيـدة كـاتيرمـول علـى صـوت خـطـوات (هـارى)، الـذى اقترب بـحـرص نـحـو الدرجات التـى تقود إلى المنصـة. ومـا إن اجتـاز المكـان الذى تحرسـه القطة البـاترونـاس حتـى شعر بتـغيير درجة الحـرارة، وأصبح المكـان دافئًـا ومريحًـا. كـان متـأكدًا أن البـاترونـاس يـخـص أمبريـدج وأنـه يتـألق بـهذه الصـورة؛ لأنـهـا كـانت سعيدة هنـا، وهـى تنفذ القوانين الملتويـة التـى ساعدت فـى كتـابتـهـا، واتـخذ طريقه إلى المنصـة وراء أمبريـدج و(يـاكسلـى) و(هـرمـيـون)، كـان قـلـقًـا مـن أن يـجـعـل (هرميون) تقفز. وفكر فى رمى تعويذة *موفلياتو* على (أمبريدج) و(ياكسلى)، ولكن الغمغمة بـالكلمة قد تسبب الفزع لـ(هرميون) أيضًا. ثم رفعت أمبريدج صوتها موجهة كلامهـا للسيدة كاتيرمول واستغل (هـارى) الفرصة.

همس فى أذن (هرميون): «أنـا وراءك».

وكمـا توقـع، قفزت (هرميون) بقوة مفزوعة حتـى إنـهـا كـادت تقلب زجاجة الحبر التـى من المفترض أنها تستخدمها فى تسجيل المقابلة. ولكن تركيز أمبريدج و(يـاكسلى) كـان مع السيدة كـاتيرمول، فلم يلاحظا مـا حدث.

قـالت أمبريـدج: «هـنـاك عصـا أخذت منك عند وصولك إلى الوزارة اليوم، طولها ثمـانٍ وثلاثة أربـاع بوصة، من خشب نبـات الكريز وقلبهـا هو شعرة من الحصـان أحـادى القرن، هل تعرفين هذا الوصف؟».

وأومـأت السيدة كـاتيرمول، وهـى تمسح عينيها فى أكمـامهـا.

«هل يمكنك أن تخبرينـا إذا سمحت من أى سـاحر أو سـاحرة أخذتِ هذه العصـا؟».

نشجت السيدة كـاتيرمول قـائلة: «أخذتـهـا؟ أنـا لم آخذهـا من أحد، ولكنـى اشتريتهـا عندمـا كنت فى الحـادية عشرة من عمرى. لقد ـ لقد *اختـارتنـى*».

وازداد بكـاؤهـا أكثر عن ذى قبل.

ضحكت أمبريدج ضحكة رقيقة، جعلت (هـارى) يرغب فـى مهـاجمتهـا. ومـالت إلى الأمـام فوق الحـاجز، لتنظر إلى ضحيتهـا عن قرب أكثر، وتـأرجح شىء ذهبى من رقبتهـا إلى الأمـام، وأصبح معلقًـا فـى الفراغ: القلادة.

رأتهـا (هرميون)، وأطلقت صوتًـا حـادًا صغيرًا، ولكن أمبريدج و(يـاكسلى) لم يسمعـا أى شىء، بسبب تركيزهم علـى فريستهمـا.

قـالت أمبريدج: «لا، لا أعتقد ذلك يـا سيدة كـاتيرمول. إن العصى السحرية تختـار السحرة والسـاحرات فقط. وأنتِ لست سـاحرة. لدىَّ إجابـاتك علـى قـائمة الأسئلة التـى أرسلنـاهـا إليك هنـا. أعطنى إيـاهـا يـا (مـافـالدا)».

ومدت أمبريدج يدها الصغيرة؛ كانت تبدو شبيهة بالضفدع لدرجة أن (هارى) كان مندهشا ألا يرى غشاء بين أصابعها القصيرة الغليظة. وارتجفت يدا (هرميون) من الصدمة وأخذت تبحث فى مجموعة الملفات الموضوعة على كرسى بجوارها، وأخيرًا سحبت مجموعة من المستندات التى تحمل اسم السيدة كاتيرمول.

ثم قالت وهى تشير إلى القلادة اللامعة الموجودة بين طيات الكشكشة فى بلوزة أمبريدج: «إن ذلك.. ذلك جميل يا دولوريس».

قالت أمبريدج: «ماذا؟ آه نعم.. إرث عائلى قديم». ثم ربتت على القلادة الموجودة على صدرها الكبير: «إن حرف السين، قادم من سيلوين... إننى قريبة لسيلوين... حقًا... إن معظم العائلات نقية الدم لها قرابات مع عائلتى».

ثم أكملت بصوت عال وهى تنظر إلى قائمة الأسئلة الخاصة بالسيدة كاتيرمول: «للأسف لا يمكن قول نفس الشىء فيما يخصك. مهنة والدك؛ بائع خضراوات».

ضحك (ياكسلى) مستهزئًا. وفى الأسفل، كانت القطة الفضية ذات الشعر الكثيف مازالت تتحرك إلى أسفل وأعلى، بينما مازالت الديمنتورات منتظرة فى الأركان.

كانت كذبة (أمبريدج) هى التى تسببت فى اندفاع الدماء إلى عقل (هارى) وغطت على إحساسه بالحذر؛ فهى تستخدم القلادة التى أخذتها كرشوة من أحد المجرمين كدعم لأوراق اعتمادها هى شخصيًا كنقية الدم. ورفع عصاه بدون حتى أن يهتم بإبقائها مخفية تحت عباءة الإخفاء وقال: «*ستوبيفاى!*».

واندفع شعاع الضوء، ووقعت (أمبريدج) واصطدم جبينها بحافة السور وانزلقت أوراق السيدة (كاتيرمول) من يدها إلى الأرضية، واختفت القطة الفضية بالأسفل. وضربهم الهواء الثلجى مثل الريح؛ ونظر (ياكسلى) حوله مرتبكًا باحثًا عن مصدر المتاعب، ورأى يد (هارى) التى ليس لها جسد وهى تشير بالعصا إليه، وحاول سحب عصاه، ولكنه كان متأخرًا.

«*ستوبيفاى!*»..

وانزلق (ياكسلى) إلى الأرض وتمدد ملتفًا حول نفسه على الأرضية.

«(هارى)!».

«لو اعتقدت يا (هرميون)، أننى سوف أجلس هنا وأتركها تتظاهر..».

«(هارى)، السيدة (كاتيرمول)!»..

والتفت (هارى) حوله وهو يرفع عباءة الإخفاء عن نفسه، كانت الديمنتورات قد بدأت فى الحركة من الأركان متجهين نحو السيدة المقيدة بالسلاسل إلى كرسيها؛ ولم يعرف هل حدث ذلك بسبب اختفاء الباترونـاس أم لإحساسها بأن سادتها ليسوا المتحكمين، ولكنهم بدوا خارجين عن السيطرة. وصرخت السيدة كاتيرمول صرخة خوف فظيعة عندما أمسكت اليد المقرحة بذقنها ودفعت وجهها إلى الخلف.

«*إكسبيكتو باترونوم!*»..

واندفع الأيل الخفى من طرف عصا (هارى) وقفز فى اتجاه الديمنتورات التى تراجعت إلى الوراء واختفت فى الظلال المظلمة مرة أخرى. كان ضوء الأيل أكثر قوة وأكثر دفئًا من الحُماية التى كانت توفرها القطة، حتى أنه ملأ الحجرة كلها وهو يجرى مرة بعد مرة حول الغرفة.

وقال (هارى) لـ (هرميون): «أحضرى الهوركروكس».

وجرى نازلاً درجات السلم، وهو يعيد عباءة الإخفاء إلى جرابه، ووصل إلى السيدة كاتيرمول التى همست وهى تنظر إلى وجهه: «أنت؟ ولكن.. ولكن ريج قال إنك أنت من قدم اسمى للاستجواب!».

قال (هارى) وهو يسحب السلاسل التى تقيد ذراعيها: «هل فعلت؟ حسنًا، لقد غيرت رأيى. ديفيندو*!*». ولكن شيئًا لم يحدث فقال: «(هرميون)، كيف أتخلص من هذه السلاسل؟»..

«انتظر، إننى أجرب شيئًا هنا..».

«(هرميون)، إننا محاطون بالدمينتورات!».

«أعرف ذلك يا (هارى)، ولكنها إذا استيقظت ولم تجد القلادة.. أحتاج لعمل نسخة منها... جيمينيو*!* هاهى... إن هذا جدير بأن يخدعها...».

وأتت (هرميون) تجرى إلى أسفل.

«دعينا نرى... *ريلاشيو!*».

وصلصلت السلاسل منسحبة إلى داخل ذراعى المقعد وبدت السيدة كاتيرمول خائفة مثلما كانت من قبل.

وهمست: «أنا لا أفهم».

قال (هارى) وهو يشدها لكى تقف: «سوف ترحلين من هنا معنا، اذهبى إلى بيتك أمسكى بأولادك واخرجى، اخرجى من البلاد إذا اضطررت إلى ذلك، تنكرى واهربى، لقد رأيت كيف هو الأمر، لن تحصلى على محاكمة عادلة هنا».

قالت (هرميون): «هاري كيف سنخرج من هنا وكل هؤلاء الديمنتورات بالخارج؟».

قال (هاري): «الباتروناسات، نحتاج إلى حشد كل ما نستطيعه منهم، اصنعي الباتروناس الخاص بك يا (هرميون)». وأشار إلى الأيل الذى كان مازال يلمع بشدة، فتباطأ وبدأ يمشى فى اتجاه الباب.

قالت (هرميون): «*أكسبيكـ أكسبيكتو باترونوم*». ولكن لم يحدث شيء.

وأخبر (هارى) السيدة كاتيرمول التى لم تكن تدرى ما يحدث حولها: «إنها التعويذة الوحيدة التى لديها مشكلة بها، القليل من سوء الحظ... هيا يا (هرميون)...».

«*أكسبيكتو باترونوم!*».

واندفع ثعلب ماء(*) فضى من طرف عصا (هرميون) وطار برشاقة فى الهواء لينضم إلى الأيل.

وقال (هارى): «هيا»، وقاد (هرميون) والسيدة كاتيرمول إلى الباب.

وعندما انسل الباتروناس خارجًا من غرفة المحكمة، سمعوا صرخات الصدمة من الناس المنتظرين بالخارج. ونظر (هارى) حوله، ورأى الديمنتورات تتراجع على جانبيهم ويختفون فى الظلام، أمام المخلوقات الفضية.

وأخبر (هارى) مواليد العامة المنتظرين الذين أذهلهم ضوء الباتروناس: «لقد اتخذ قرار بأن تعودوا إلى منازلكم وتختفوا مع أسركم، اذهبوا إلى خارج البلاد إذا استطعتم. المهم أن تبتعدوا عن الوزارة. هذا هو الموقف الـ... الرسمى الجديد. والآن، إذا اتبعتم الباتروناس، سيكون بإمكانكم مغادرة البهو».

ونجحوا فى صعود السلالم الصخرية بدون أن يعترضهم أحد، ولكن ما إن وصلوا إلى المصاعد، حتى بدأ (هارى) فى الشك والقلق؛ إذ ظهروا فى الردهة مع أيل فضى وكلب بحر يطير بجواره، وأكثر من عشرين شخص، نصفهم متهم بأنه من مواليد العامة، فإنهم سيجذبون الانتباه بكل تأكيد. وما إن وصل إلى هذه النتيجة المحبطة، حتى وقف المصعد أمامهم.

وصاحت السيدة كاتيرمول: «ريج!». ورمت بنفسها بين ذراعى (رون) وقالت: «لقد أخرجنى رانكورن بعد أن هاجم أمبريدج و(ياكسلى) وأخبرنا جميعًا بأن

(*) ثعلب الماء أو القضاعة حيوان مائى فراؤه ناعم وسميك، يتغذى على السمك من عائلة ابن عرس ويعيش فى أماكن كثيرة فى العالم.

نترك البلاد ونهرب. أعتقد أنه من الأفضل أن نفعل ذلك يا ريج. أنا فعلا أعتقد ذلك. لنسرع إلى المنزل ونحضر الأولاد ـ لماذا أنت مبتل هكذا؟».

قال (رون) وهو يحرر نفسه منها: «الماء. (هارى)، إنهم يعرفون أن هناك دخلاء بالوزارة، شيئًا له علاقة بوجود ثقب فى باب مكتب أمبريدج. أعتقد أن أمامنا خمس دقائق إذا...».

اختفى باتروناس (هرميون) بصوت فرقعة مكتومة، بينما التفتت هى إلى (هارى) بوجه مرعوب.

«(هارى)، لو حوصرنا هنا..!».

قال (هارى): «لن يحدث هذا لو تحركنا بسرعة». ونظر إلى المجموعة الصامتة وراءه، والتى كانت تتطلع إليه جميعًا.

وقال: «من منكم معه عصا؟».

رفع نصفهم يده.

«جيد، كل من ليس معه عصا يحتاج إلى البقاء مع شخص ما معه عصا. يجب أن نسرع ـ قبل أن يوقفونا. هيا».

واستطاعوا حشر أنفسهم داخل مصعدين. ووقف باتروناس (هارى) يحرسهم أمام الإطارات الذهبية وهى تنغلق ويبدأ المصعدان فى الطلوع.

وقال صوت الساحرة البارد: «الطابق الثامن، الردهة».

وعرف (هارى) على الفور أنهم يواجهون مشكلة. كانت الردهة مليئة بأشخاص ينتقلون من مدفأة إلى أخرى ويغلقونها.

صاح (هارى): «**توقف**!». وتردد صوت رانكورن القوى فى أنحاء الردهة؛ حتى إن الساحر الذى يغلق المدافئ تجمد فى مكانه. وهمس (هارى) لمجموعة مواليد العامة المرعوبين الذين تحركوا إلى الأمام فى حشد واحد يرعاه (رون) و(هرميون).

قال نفس الساحر الأصلع الذى تبع (هارى) إلى خارج المدفأة فى وقت مبكر وهو يبدو مترددًا: «ما الأمر (ألبرت)؟».

قال (هارى) بكل السلطة التى يستطيع إضافتها إلى صوته: «يجب أن ترحل هذه المجموعة من الوزارة قبل أن تغلق المخارج».

نظرت مجموعة السحرة الموجودة أمامه إلى بعضها البعض.

« لقد قيل لنا أن نغلق جميع المداخل ولا نسمح لأحد...».

صاح (هارى): «*هل تعارضنى*؟ هل تريدنى أن أقوم بفحص شجرة عائلتك كما فعلت مع ديريك كريسويل؟»..

شهق الساحر الأصلع وتراجع مبتعدًا: «آسف لم أقصد أى شىء يا (ألبرت)، ولكن اعتقدت... اعتقدت أنهم هنا للاستجواب و..»..

قال (هارى): «إن دماءهم نقية». وتردد صوته العميق بصورة مؤثرة فى أرجاء الردهة: «بل إننى أجرؤ أن أقول إنه أنقى من دماء الكثير منكم».وصاح فى مولودى العامة: «هيا اذهبوا». وتقدموا إلى الأمام إلى المدافئ وبدءوا فى الاختفاء اثنان.. اثنان. وتراجع سحرة الوزارة وقد بدا على بعضهم الارتباك، بينما الباقى خائف وممتعض. ثم...

«مارى!».

نظرت السيدة كاتيرمول من فوق كتفها لترى ريج كاتيرمول الحقيقى، وقد شفى من القىء وإن بدا شاحبا وخائر القوى، يخرج من أحد المصاعد جريًا.

«ر - ريج؟».

ونظرت من زوجها إلى (رون) الذى لعن بصوت عال.

وفغر الساحر الأصلع فاه وأخذت رأسه تلتفت من ريج كاتيرمول إلى الآخر.

«هيه... ماذا يحدث؟ ما هذا؟ ».

«أغلق المخرج. **أغلقه**!».

واندفع (ياكسلى) خارجًا من المصعد الآخر وأخذ يجرى نحو المجموعة الواقفة بجوار المدفأة التى اختفى من خلالها كل مواليد العامة ماعدا السيدة كاتيرمول.

وما إن رفع الساحر الأصلع عصاه، حتى رفع (هارى) قبضة عملاقة ولكمه بها، فطار الرجل فى الهواء.

صاح (هارى): «لقد كان يساعد مواليد العامة فى الهرب يا (ياكسلى)!».

وبدأ زملاء الساحر الأصلع فى الكلام بصوت عال، واستغل (رون) الفرصة وجذب السيدة كاتيرمول واختفى فى المدفأة التى مازالت مفتوحة. ونظر (هارى) مرتبكًا من (ياكسلى) إلى مجموعة السحرة، بينما صرخ ريج كاتيرمول الحقيقى: «زوجتى! من هذا الذى مع زوجتى؟ ماذا يجرى؟».

ورأى (هارى) رأس (ياكسلى) تلتفت وعرف من وجهه أنه بدأ يدرك الحقيقة.

صاح (هارى) فى (هرميون): «هيا!». وأمسك بيدها وقفزا إلى المدفأة معًا، بينما اندفعت لعنة (ياكسلى) فوق رأس (هارى) ودارا لثوان قليلة قبل أن يندفعا

خارجين من التواليت إلى الكابينة. وفتح (هارى) الباب بقوة؛ ليجد (رون) واقفًا بجوار الأحواض وهو يتصارع مع السيدة كاتيرمول.

« إننى لا أفهم يا ريج...».

« اتركينى، إننى لست زوجك، يجب أن تذهبى إلى البيت!».

وسمعوا صوت ضجة داخل الكابينة خلفهم، ونظر (هارى) حوله وظهر (ياكسلى).

صاح (هارى): «لنذهب!». وأمسك (هرميون) من يدها و (رون) من ذراعه ودار فى المكان.

وأحاط بهم الظلام والإحساس بالضغط، ولكنه شعر بأن هناك شيئًا خطأ... كانت يد (هرميون) تنزلق من قبضته...

وتساءل إن كان سيختنق، وشعر بأنه لا يستطيع التنفس أو الرؤية، والشىء الوحيد الصلب الذى يشعر به فى هذا العالم، ذراع (رون) وأصابع (هرميون) التى تنزلق ببطء من يده...

ثم رأى باب المنزل رقم 12 فى شارع جريمولد ودقاقة الباب التى على شكل ثعبان، ولكن قبل أن يستطيع أخذ نفسه، سمع صوت صرخة ورأى دفقة من الضوء البنفسجى؛ وأصبحت يد (هرميون) فوق يده بدلاً من داخلها ثم غرق كل شىء فى الظلام مرة أخرى.

١٤ اللـــص

فتح (هارى) عينيه اللتين بهرهما اللونان الذهبى والأخضر؛ لم تكن لديه فكرة عما حدث، كل ما يعرفه أنه كان متمددًا على ما بدا مثل أعشاب وأغصان، يكافح من أجل أخذ نفس إلى داخل رئتيه التى شعر أنهما قد خلتا تمامًا من الهواء، ورمش مدركا أن ما بهَر بصره هو وهج ضوء الشمس الذى يصل إليه من خلال ظلٍّ من أوراق الشجر فوقه. ثم خبط شىء بجوار وجهه. ودفع نفسه على يديه وركبتيه، مستعدًّا لمواجهة مخلوق صغير شرس، ولكنه وجد أن هذا الشىء كان قدم (رون).. نظر حوله، ورأى أنهما كانا ممددين مع (هرميون) على أرضية إحدى الغابات، ويبدو أنهم وحدهم.

وكان أول خاطر جاء إلى ذهن (هارى) هو الغابة المحرمة، وفكر للحظة فى التسلل عبر الأشجار إلى كوخ هاجريد، رغم أنه يعرف حمق وخطورة ظهورهم فى أرض (هوجوورتس)، ولكنه بعد لحظات قليلة، تأوه خلالها (رون) بصوت منخفض و زحف (هارى) نحوه، أدرك أن هذه ليست الغابة المحرمة: كانت الأشجار أصغر سنا، والمسافات بينها أكثر تباعدًا والأرضية أنظف.

والتقى (هرميون) وهى على يديها وركبتيها عند رأس رون. وما إن سقطت عيناه على (رون)، حتى تبخرت كل الاهتمامات الأخرى من عقله، كانت الدماء تغطى الجزء الأيسر من وجه (رون) بالكامل، وبدا وجهه رماديا مقارنة بالأرض التى تغطيها أوراق الشجر. كان تأثير وصفة التخفى فى طريقه إلى الزوال الآن: وبدا (رون) فى المنتصف بين شكل كاتيرمول ومظهره هو، وشعره يزداد احمرارًا مع مرور الوقت، بينما وجهه ينضب من اللون القليل الذى كان به.

«ماذا حدث له؟».

قالت (هرميون): «تفكك أوصال». كانت أصابعها مشغولة بالفعل بكم (رون)، حيث كان الدم أكثر بللاً وسوادًا.

وراقبها (هارى) مرعوبا، وهى تمزق كم قميص (رون) لتفتحه. كان دائمًا يفكر بتفكك الأوصال فى أثناء الانتقال الآنى على أنه شىء هزلى، ولكن ذلك... التوت

أحشاؤه على نحو كريه، عندما كشفت (هرميون) عن الجزء العلوى من ذراع (رون)، كانت هناك شريحة كبيرة من اللحم مفقودة، وكأنها أزيلت تمامًا باستخدام سكين.

«(هارى)، بسرعة، هناك زجاجة صغيرة فى حقيبتى، مكتوب عليها روح ديتانى..».

«فى الحقيبة ـ هه..».

أسرع (هارى) إلى المكان الذى حطت فيه (هرميون)، وامسك حقيبتها الصغيرة المطرزة، ودس يده داخلها. وبدأت الأشياء الواحد بعد الآخر، تقدم نفسها ليده: وشعر بالدعامات الجلدية للكتب والكنزات الصوفية وكعوب الأحذية ـ

قالت (هرميون): «*بسرعة!*».

أمسك (هارى) بعصاه من الأرض، وأشار بها إلى الأعماق السحرية للحقيبة.

وقال: «*أكسيو ديتانى!*».

طارت زجاجة صغيرة بنية خارجة من الحقيبة؛ وأمسك بها وأسرع عائدا إلى (هرميون) و(رون) الذى كانت عيناه نصف مغلقتين الآن، ولا يرى من بين جفنيه سوى مقلة العين البيضاء.

قالت (هرميون): «لقد أغمى عليه، أزل سدادتها يا (هارى) يدى ترتجف». بدت شاحبة نوعًا ما؛ وإن لم تعد تبدو مثل (مافالدا)، لكن شعرها كان لا يزال رماديا فى بعض الأماكن.

وأزال (هارى) سدادة الزجاجة الصغيرة، وأخذتها (هرميون) وسكبت ثلاث قطرات من الوصفة على الجرح النازف وتصاعد دخان أخضر من الجرح، وعندما اختفى، رأى (هارى) أن النزيف قد توقف. وبدا الجرح الآن وكأن عمره عدة أيام؛ وغطى الجلد ما كان منذ قليل لحمًا عاريًا.

قال (هارى): رائع.

قالت (هرميون) بتوتر: «إن ذلك كل ما أشعر أن بإمكانى عمله بأمان. هناك تعاويذ من شأنها شفاؤه على الفور، ولكنى لا أجرؤ على المحاولة، خوفا من أن أؤديها بطريقة خطأ، وأتسبب فى المزيد من الأضرار.. لقد فقد الكثير من الدماء بالفعل..».

قال (هارى): «كيف أصيب؟ أعنى»، وهز رأسه فى محاولة لتصفية ذهنه، لفهم ما حدث لتوه وقال: «لماذا نحن هنا؟ ظننت أننا عائدون إلى منزل شارع جريمولد؟».

أخذت (هرميون) نفسًا عميقًا. وقالت وهى تكاد تبكى.

«(هارى)، لا أعتقد أننا سنكون قادرين على العودة إلى هناك».

«ماذا تـ؟».

«عندما قمنا بالانتقال آنيًا، أمسك (ياكسلى) بى ولم أستطع التخلص منه، كان قويًا جدًا، وظل ممسكا بى حتى وصلنا إلى منزل شارع جريمولد، وعندها، أعتقد أنه شاهد الباب، وعرف أنه وجهتنا، ولذلك ضعفت قبضته على ذراعى وتمكنت من التخلص منه وجئت بكم إلى هنا!».

«ولكن، أين هو إذن؟ انتظرى... إنك لا تعنين أنه فى منزل شارع جريمولد؟ إنه لا يستطيع الدخول إليه؟».

وأومأت برأسها، بينما لمعت عيناها بدموع لم تسقط.

«(هارى)، أعتقد أنه يستطيع. لقد ـ لقد جعلته يتركنى بلعنة صارفة، ولكننى كنت قد أخذته إلى داخل تعويذة الحفاظ على السرية بالفعل. منذ موت (دمبلدور)، أصبحنا جميعا حافظين للسر، ويبدو أننى بذلك قد أعطيته السر؟».

لم يكن هناك مجال لأى ادعاء؛ عرف (هارى) أنها على حق. إنها أزمة خطيرة. إذن كان (ياكسلى) يستطيع الدخول إلى المنزل، وهم لا يستطيعون العودة إليه. من الممكن أن يكون الآن قد أحضر آكلو الموت آخرين إلى داخل المنزل بالانتقال الآنى.. ورغم كآبة المنزل والحزن المحيط به، فإنه كان ملاذهم الأمين؛ بل إنه الآن أصبح بيتا لهم نوعًا ما، بعد أن تغير (كرياتشر) ليصبح أكثر سعادة وودًا. وشعر (هارى) بوخزة أسف لا علاقة لها بالطعام، عندما تصور قزم المنزل وهو يشغل نفسه بطبخ اللحم وفطيرة الكلاوى التى لن يستطيع (هارى)، ورون و(هرميون) أكله.

«هارى أنا آسفة، أنا آسفة فعلا!».

«لا تكونى حمقاء، لم يكن ذلك خطأك! ولو كان خطأ أحد، فهو أنا..».

وضع (هارى) يده فى جيبه وسحب منه عين (ماد ـ آى)، وتراجعت (هرميون) مرعوبة.

«لقد علقتها (أمبريدج) على باب مكتبها، للتجسس على الناس. لم أستطع تركها هناك... وذلك ما جعلهم يعرفون بوجود دخلاء».

وقبل أن تتمكن (هرميون) من الرد عليه، تأوه (رون) وفتح عينيه. كان مازال رماديا وقد تألق العرق على وجهه.

همست (هرميون): «كيف تشعر الآن؟».

قال (رون): «سىء». وجفل عندما شعر بإصابة ذراعه وقال: «أين نحن؟».

قالت (هرميون): «فى الغابات التى يقام بها كأس العالم للكويدتش. لقد أردت مكانًا مغلقًا، وسريًا، وكان هذا..».

وأكمل (هارى) كلامها: «ـ أول مكان فكرت به». نظر حوله إلى الأرض الفضاء التى تبدو مهجورة تمامًا. ولم يستطع منع نفسه من تذكر ما حدث فى آخر مرة انتقلوا فيها آنيًا إلى أول مكان خطر ببال (هرميون)؛ وكيف عثر عليهم آكلو الموت فى غضون دقائق. هل كان ذلك ليجيليمينسى؟ هل عرف (فولدمورت) أو أنصاره المكان الذى أخذتهم إليه (هرميون) الآن؟

سأل (رون) (هارى): «هل تظن أننا ينبغى أن نتحرك؟». وعرف (هارى) من نظرة (رون) أنه كان يفكر فى نفس ما يفكر فيه.

«لا أعرف».

كان (رون) لا يزال شاحبا وغارقا فى العرق.. لم يقم بأى محاولة للجلوس وبدا كما لو كان أضعف من أن يفعل ذلك. كان احتمال نقله مثبطا للعزيمة.

قال (هارى): «دعنا نبقى هنا الآن».

وقفزت (هرميون) واقفة على قدميها وقد بدا عليها الارتياح.

سألها (رون): «إلى أين أنت ذاهبة؟».

أجابته وهى ترفع عصاها: «إذا كنا سنبقى هنا، فينبغى لنا أن نضع بعض الحماية السحرية حول المكان». وبدأت تسير فى دوائر واسعة حول (هارى) و(رون)، وهى تغمغم بالتعاويذ. ورأى (هارى) الاضطرابات البسيطة التى حدثت فى الجو المحيط بهم: وكأن (هرميون) قد ألقت ضبابًا حارًا حولهم.

«*سالفيو هيكسيا*... *بروتيجو توتالوم*... *ريبيللو موجليتوم*... *موفلياتو*... يمكنك أن تخرج الخيمة يا (هارى)..».

«الخيمة؟».

«فى الحقيبة!».

قال (هارى): «فى الـ... بالطبع».

لم يحاول تلمس داخلها هذه المرة، وإنما استخدم تعويذة استدعاء أخرى. ظهرت الخيمه متكتلة القماش، والحبال، والأعمدة. وعرفها (هارى) جزئيا بسبب رائحة القطط التى تفوح منها، مثل الخيمة التى ناموا فيها ليلة مباراة كأس العالم للكويدتش.

سألها وقد بدأ فى فك أوتاد الخيمة: «كنت أظن أنها تخص ذلك الرجل المدعو بيركنز من الوزارة؟».

قالت (هرميون): «يبدو أنه لم يكن يريدها، بسبب القطان[*] الذى يعانيه، وقال والد (رون) «إننا نستطيع استعارتها». كانت (هرميون) تتكلم وهى تؤدى بعصاها أشكالاً معقدة من ثمانى حركات. وقالت وهى تشير بعصاها إلى الخيمة: «*إيركتو!*». والتى ارتفعت فى الهواء بحركة متناغمة ثم استقرت وقد تم نصبها بالكامل على الأرض أمام (هارى) الذى طار من بين يديه المجفلة أحد أوتاد الخيمة وهبط بصوت هبدة أخير فى نهاية الحبل المثبت للخيمة.

وأنهت (هرميون) ما تفعله بتلويحة نحو السماء قائلة: «*ليف إينيميكم*. هذا كل ما أستطيع القيام به. على كل حال، يجب أن نعلم أنهم قادمون، لا أستطيع التأكيد بأن هذا سيمنع فولـ..».

قاطعها (رون) بصوت جاف: «لا تقولى الاسم!».

نظر (هارى) و(هرميون) إلى بعضهما البعض.

قال (رون): «أنا آسف». وتأوه قليلاً وهو يرفع رأسه لينظر إليهم وأضاف: «ولكنى أشعر كأنه ـ كأنه لعنة أو شىء من هذا القبيل. ألا يمكن أن ندعوه (أنت ـ تعرف ـ من).. أرجوكم؟».

بدأ (هارى): «قال (دمبلدور) أن الخوف من الاسم..».

رد (رون) بامتعاض: «فى حالة أنك لم تلاحظ يا صديقى، فإن دعوة (أنت ـ تعرف ـ من) باسمه لم تفد (دمبلدور) كثيرًا فى النهاية. فقط ـ فقط أظهروا لأنت ـ تعرف ـ من بعض الاحترام، إذا سمحتم».

كرر (هارى): «*احترام*؟». ولكن (هرميون) رمته بنظرة تحذير؛ يبدو أنه يجب ألا يتجادل مع (رون)، بينما هو فى هذه الحالة من الضعف.

وحمل (هارى) و(هرميون) (رون) نصف محمول ونصف مجرور عبر مدخل الخيمة. كان داخل الخيمة كما يتذكره (هارى) تمامًا؛ شقة صغيرة كاملة مع حمام ومطبخ صغير. ودفع (هارى) جانبا كرسيًا قديمًا بذراعين وأنزل (رون) برفق على المضجع السفلى من سرير بدورين. وبدا أن تلك الرحلة على قصرها قد

(*) القطان: ألم أسفل الظهر (لمباجو).

جعلت (رون) أكثر شحوبًا مما كان، وعندما وضعوه أخيرًا فوق المرتبة، أغلق عينيه مرة أخرى وتوقف عن الحديث لبعض الوقت.

قالت (هرميون) وهى تنهج: «سوف أجهز بعض الشاى». وجذبت من أعماق حقيبتها الغلاية وبعض الأقداح واتجهت إلى المطبخ.

وجد (هارى) أنه بحاجة إلى المشروب الساخن، كحاجته إلى الشراب النارى ليلة موت (ماد ـ آى)؛ وشعر كأنه يمسح بعض الخوف الذى يتحرك فى صدره. وبعد دقيقة أو اثنتين، كسر (رون) الصمت.

«ماذا تظن حدث لعائلة كاتيرمول؟».

قالت (هرميون) وهى تمسك قدحها الساخن وكأنها تلتمس منه الراحة: «مع قليل من الحظ، سيكونون قد هربوا. لو أن السيد كاتيرمول لديه بعض الذكاء، سيقوم بأخذ السيدة كاتيرمول معه بالانتقال الآنى وسيكونون قد هربوا من البلاد الآن مع أطفالهم. هذا ما طلب منها (هارى) أن تفعله».

قال (رون) وهو يعود ليرتاح على وسادته: يبدو أن الشاى قد أفاده؛ فقد عاد بعض اللون إلى وجهه. «يا إلهى، أرجو أن يكونوا قد هربوا، ولكنى لم أشعر أن ريج كاتيرمول ذكىٌّ أو سريع الاستجابة من الطريقة التى كان يوجه بها الجميع الكلام إلىَّ، يا إلهى، أرجو أن يكونوا قد نجحوا... لو انتهى بهم الأمر فى أزكابان بسببنا...».

نظر (هارى) إلى (هرميون) ومات السؤال الذى على لسانه ـ أراد أن يسألها إن كانت السيدة كاتيرمول تستطيع الانتقال آنيًا مع زوجها بدون أن يكون معها عصا. ورأى (هرميون) وهى تراقب قلق (رون) على مصير آل كاتيرمول، وعلى وجهها تعبير من الحنو والرقة، جعل (هارى) يشعر تقريبًا وكأنه فاجأها وهى تقبله.

وسألها (هارى)، جزئيا ليذكرها بوجوده هناك: «إذن، هل حصلت عليها؟».

قالت وقد جفلت قليلاً: «حصلت ـ حصلت على ماذا؟».

«ما الشىء الذى فعلنا كل ذلك من أجله؟ القلادة! أين القلادة؟».

صاح (رون) وهو يرفع نفسه قليلاً من فوق الوسادة: «*حصلتم عليها*؟ ولم يقل لى أحد شيئا! يا إلهى، كان يجب أن تعرفونى ذلك!».

قالت (هرميون): «حسنًا، لقد كنا نحاول الهروب وإنقاذ أنفسنا من آكلى الموت، أليس كذلك؟ ها هى».

وسحبت القلادة من جيب ملابسها وسلمتها إلى رون.

كانت القلادة بحجم بيضة دجاجة تقريبًا.. مرسوم عليها حرف «سين» بطريقة فنية زخرفية ومرصع بالكثير من الفصوص الصغيرة الخضراء، والتى تومض بخفوت فى الضوء المشتت الذى يأتى من خلال سقف قماش الخيمة.

سأل (رون) فى أمل: «ليس هناك أى فرصة أن يكون أحدهم قد دمرها منذ أخذها (كرياتشر)؟ أعنى: هل نحن على يقين أنه ما زال هوركروكس؟».

قالت (هرميون) وهى تستعيدها منه وتنظر إليها عن كثب: «أعتقد ذلك، كان يظهر عليها بعض الضرر، إذا ما تم تدميرها بطريق سحرية».

وأعطتها لـ(هارى)، الذى قلبها بين أصابعه. كانت تبدو كاملة، ولا يوجد خدش بها، وتذكر رفات المفكرة الممزق، وكيف كسر فص الخاتم الهوركروكس عندما دمره (دمبلدور).

قال (هارى): «أظن أن (كرياتشر) على حق، يجب أن نجد طريقة لفتح هذا الشىء قبل أن نتمكن من تدميره».

وبينما يتحدث، أدرك فجأة حقيقة ما يحمله، وما يعيش خلف الأبواب الصغيرة الذهبية. وشعر فجأة برغبة قوية فى رميها بعيدا عنه، رغم كل الجهود التى بذلوها للوصول إليها. وتمالك نفسه مرة أخرى، وحاول فتح القلادة باستخدام أصابعه، ثم جرب استخدام التعويذة التى فتحت بها (هرميون) باب غرفة نوم ريجولوس. ولكن شيئا لم ينجح، وناول القلادة إلى (رون) و(هرميون) وحاول كل منهما ما بوسعه، ولكنهما لم يحققا نجاحًا يذكر.

سأل (رون) بصوت خافت وهو يضغط عليها فى قبضة يده: «هل يمكنك أن تشعر بها مع ذلك؟».

«ما الذى تعنيه؟».

أعاد (رون) الهوركروكس إلى (هارى)، وبعد لحظة أو اثنتين، عرف (هارى) ما يعنيه رون. هل كان ما يشعر به هو دمه وهو ينبض خلال عروقه، أم أن هناك شيئا ينبض داخل القلادة، مثل قلب صغير معدنى؟

سألت (هرميون): «ماذا سنفعل بها؟».

أجابها (هارى): «نبقيها آمنة حتى نعرف كيف ندمرها». ورغم عدم رغبته فى ذلك، علق السلسلة حول عنقه، وأخفى القلادة بعيدًا عن الأنظار تحت ملابسه، حيث شعر بها على صدره بجوار الجراب الذى أعطاه له (هاجريد).

وقال لـ (هرميون) وهو يقف ويتمطى: «أعتقد أننا يجب أن نتبادل مراقبة المكان خارج الخيمة، وسنحتاج للتفكير فى كيفية إحضار بعض الأطعمة». ثم

أضاف بحدة عندما حاول (رون) الجلوس وتحول لونه إلى لون أخضر عجيب: «أما أنت، فابق مكانك».

ووضعوا جهاز الإنذار السحرى، والذى أعطته (هرميون) لـ (هارى) فى عيد ميلاده، بعناية على طاولة فى الخيمة، وأمضى (هارى) و(هرميون) بقية اليوم يتقسمان المراقبة، لكن الجهاز بقى صامتا بدون أن يتحرك طوال اليوم. وظل المكان حولهم مهجورًا. ولم يظهر أحد فى الغابة باستثناء بعض الطيور والسناجب. سواء كان ذلك بسبب تعاويذ الحماية وسحر إبعاد العامة الذى وضعتها (هرميون) حول المكان، أو لأن الناس نادرا ما تمر بهذا الطريق بوجه عام. ولم يجلب المساء معه أى تغيير؛ أشعل (هارى) عصاه وهو يتبادل الأماكن مع (هرميون) فى الساعة العاشرة، ونظر إلى المكان المهجور من حوله، ولاحظ الخفافيش التى ترفرف عالية فوقه عبر الرقعة الوحيدة من السماء المليئة بالنجوم المرئية من خلال تعويذة الحماية.

وشعر بالجوع الآن، وببعض الدوار. لم تقم (هرميون) بوضع أى طعام فى حقيبتها السحرية، حيث افترضت أنهم عائدون إلى منزل شارع جريمولد فى تلك الليلة، وهكذا لم يأكلوا شيئا سوى بعض عيش الغراب البرى الذى جمعته (هرميون) من تحت أقرب شجرة وسلقته فى غلاية ماء، وبعد بضع لقيمات منه، أبعد (رون) نصيبه من الطعام، وقد بدا عليه الشعور بالغثيان؛ أما (هارى)، فقد ثابر على أكلها، حتى لا يؤذى مشاعر (هرميون).

وكسر الصمت المحيط بالمكان صوت خشخشة غريب وكأنه صوت تكسير أغصان وفكر (هارى) أنه أقرب إلى الأصوات التى تصدر من الحيوانات وليس من البشر، ولكنه احتفظ بعصاه فى يده، على أهبة الاستعداد كان يشعر بعدم الراحة داخله بالفعل بسبب الفطر المطاطى الذى تناولوه، بالإضافة إلى شعوره بالقلق.

كان يعتقد أنه سيشعر بالابتهاج إذا تمكنوا من سرقة الهوركروكس، ولكن بطريقة ما لم يسعده ذلك؛ كل ما شعر به وهو جالس يحدق فى الظلام، الذى لا تضىء عصاه سوى جزء صغير جدًا منه، هو القلق مما سيحدث بعد ذلك. وبدا كما لو كان يندفع نحو هذه النقطة منذ أسابيع، أو شهور، أو ربما سنوات، وعندما وصل إليها، توقف فجأة ولم يعد أمامه ما يفعله بعد ذلك.

كانت هناك هوركروكسات أخرى فى مكان ما، ولكنه لا يملك أدنى فكرة أين يمكن أن تكون. ولا يعرف حتى ما يكونون كلهم. وفى الوقت نفسه، مازال حائرًا ولا يعرف كيفية تدمير الهوركروكس الوحيدة التى عثرو عليها، والتى ترقد حاليا

على جلد صدره العارى. من المثير للفضول أنها لم تتأثر بحرارة جسمه، وظلت شديدة البرودة بجوار جلده وكأنها قد خرجت للتو من ماء متجمد. ومن وقت لآخر، كان (هارى) يشعر أو ربما يتخيل أنه يستطيع الشعور بنبضات القلب الضعيفة وهى تنبض بشكل غير منتظم بجوار قلبه.

شعر بالخدر يسرى فى بدنه عندما تذكر النبوءة المشئومة وهو جالس هناك فى الظلام. حاول مقاومة الذكرى، ودفعها بعيدًا عنه، ولكنها جاءت إليه بلا هوادة. *لا يمكن لأحدهما أن يعيش بينما ينجو الآخر*. وفكر أن (رون) و(هرميون)، اللذين كانا يتحدثان بهدوء وراءه فى الخيمة، يمكن أن يتخليا عن الأمر إذا أرادوا، بينما لا يستطيع هو ذلك. وخطر لـ(هارى) وهو يجلس هناك يحاول السيطرة على خوفه وتعبه أن الهوركروكس على صدره يتكتك معلنا عن الوقت الذى بقى له... وقال لنفسه، فكرة غبية، *لا تفكر بهذه الطريقة*...

وشعر أن ندبته قد بدأت توخزه من جديد، وخشى أن يكون هو السبب بتفكيره فى تلك الأمور، وحاول أن يوجه أفكاره إلى ناحية أخرى. وفكر (كرياتشر) المسكين الذى كان يتوقع عودتهم إلى المنزل واستقبل (ياكسلى) بدلاً منهم. فهل سيلتزم القزم الصمت أم سيخبر آكل الموت كل شىء يعرفه؟ أراد (هارى) أن يصدق أن مشاعر (كرياتشر) قد تغيرت تجاهه خلال الشهر الماضى وسيكون وفيا له الآن، ولكن من يعلم ماذا سيحدث؟ ماذا لو أن آكلى الموت عذبوا القزم؟ وتراءت لـ(هارى) صور فظيعة حاول دفعها بعيدًا أيضًا، فلم يكن فى يده ما يمكن أن يفعله لـ(كرياتشر): كان هو و(هرميون) قد قررا بالفعل عدم محاولة استدعائه؛ ماذا لو أتى أحد من الوزارة معه أيضًا؟ لا يمكنهم الاعتماد على أن الانتقال الآنى لأقزام المنازل خال من نفس العيب الذى جاء بياكسلى إلى منزل شارع جريمولدوهو ممسك بكم (هرميون).

ازداد الألم فى ندبة (هارى) الآن. وفكر أن هناك الكثير من الأشياء لا يعرفونها: كان (لوبين) محقًا عندما تكلم عن السحر الذى لم يصادفوه أو يتخيلوه. لماذا لم يشرح له (دمبلدور) أكثر؟ هل أعتقد أنه سيكون هناك وقت؛ أنه سيعيش لسنوات قادمة، وربما لقرون، مثل صديقه (نيكولاس فلامل)؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد كان مخطئًا... لقد اعتنى (سناب) بذلك... (سناب)، الحية النائمة، الذى ضرب ضربته فى أعلى البرج...

وسقط (دمبلدور)... سقط...

«*أعطها لى يا (جريجوروفيتش)*».

كان صوت (هارى) عاليا، وواضحا، وباردا، بينما عصاه مرفوعة أمامه وقد أمسكت بها يد بيضاء ذات أصابع طويلة. أما الرجل الذى تشير إليه العصا، فكان معلقا من قدميه فى وسط الهواء.. ولم يكن هناك أى حبال تمسك به؛ لكنه كان يتأرجح، كما لو أن قيودًا خفية مخيفة تمسك به، وقد التفت يداه حوله، وبدا وجهه المرعوب الذى فى مستوى وجه (هارى)، محمرا بسبب اندفاع الدم إلى رأسه. أما شعره فكان كثيفا شديد البياض، وله لحية كثيفة تشبه لحية سانتا كلوز.

«إنها ليست عندى، لم تعد لدى! سرقت منى منذ عدة سنوات!».

«لا تكذب على لورد (فولدمورت) يا (جريجوروفيتش). فهو يعرف... دائمًا يعرف».

واتسع بؤبؤا عينى الرجل المعلق، الممتلئتان بالخوف، وبدا كأنهما تنتفخان أكثر وأكثر، حتى ابتلع سوادهم كيان (هارى) بالكامل ـ

ووجد (هارى) نفسه يسرع فى ممر مظلم خلف (جريجوروفيتش) الذى كان يرفع المصباح عاليا؛ واندفع داخلا إلى الغرفة الموجودة فى نهاية الممر وأضاء مصباحه ما بدا مثل ورشة؛ ورأى نشارة خشب وشيئًا يلمع كالذهب فى بقعة الضوء المتأرجحة، سقط الضوء على حافة النافذة ليكشف عن شاب صغير له شعر ذهبى يجلس على الحافة مثل طائر ضخم. وخلال جزء الثانية التى سقط فيها ضوء المصباح على وجهه، رأى (هارى) المرح مرتسما على وجه الشاب الوسيم، ثم أطلق الدخيل تعويذة صعق من عصاه وقفز برشاقة إلى الوراء وخرج من الشباك وهو يضحك.

وشعر (هارى) أنه يرجع بسرعة خارجا من بؤبؤى العين الواسعين اللذين يشبهان الأنفاق، ليرى وجه (جريجوروفيتش) المنكمش من الرعب.

قال الصوت العالى البارد: «*من كان اللص، يا (جريجوروفيتش)*؟».

« ***لا أعرف، لم أعرف أبدًا، شاب ـ لا ـ أرجوك ـ أرجوك!*** ».

واستمرت الصرخة، ثم اندفعت دفقة من الضوء الأخضر ـ

«*هارى!*».

وفتح عينيه وهو ينهج وجبينه يخفق، لقد أغمى عليه بجوار جانب الخيمة؛ وانزلق إلى أسفل على قماشها حتى تمدد على الأرض. ونظر إلى أعلى نحو (هرميون) التى أخفى شعرها الكثيف البقعة الصغيرة من السماء التى ترى من بين الأغصان العالية فوقهم.

قال وهو يقف بسرعة ويحاول الرد على تحديق (هرميون) بنظرة براءة: «كنت أحلم، يبدو أننى غفوت، آسف».

: «أعرف أنها كانت ندبتك! يمكننى أن أعرف من النظرة على وجهك! لقد كنت تنظر إلى عقل فولـ..».

وجاء صوت (رون) الغاضب من أعماق الخيمة: «لا تقولى اسمه!».

أجابته (هرميون): «حسنًا، عقل *أنت - تعرف - من، إذن!*».

قال (هارى): «لم أقصد أن يحدث هذا، لقد كان حلما! هل تستطيعين السيطرة على ما تحلمين به يا (هرميون)؟»..

«لو أنك فقط تعلمت كيف تطبق الأكلومينسى..».

ولكن (هارى) لم يكن مهتما بما يقال له، كان يريد مناقشة ما رآه لتوه.

«لقد وجد (جريجوروفيتش) يا (هرميون) وأظن أنه قتله، ولكن قبل أن يقتله قرأ ما فى عقله ورأيت..».

قالت (هرميون) ببرود: «أظن أنه من الأفضل أن آخذ نوبة المراقبة بدلاً منك إذا كنت تعبا لدرجة أن تسقط نائمًا».

«يمكننى أن أنهى المراقبة!».

«لا من الواضح أنك مرهق، اذهب لترتاح».

وفتحت له مدخل الخيمة وقد ظهر عليها التصميم والعند، وانحنى (هارى) داخلا إلى الخيمة وهو غاضب ولكنه لم يرغب فى الشجار.

كان وجه (رون) الذى مازال شاحبا بارزا من السرير السفلى وتسلق (هارى) إلى السرير الذى يعلوه، واستلقى ونظر إلى أعلى نحو سقف القماش المظلم. وبعد بضع لحظات، تكلم (رون) بصوت خفيض حتى لا تسمعه (هرميون) التى تقف فى خارج الخيمة.

«ما الذى يفعله (أنت - تعرف - من)؟»..

ضيق (هارى) عينيه ليحاول تذكر كل التفاصيل ثم همس فى الظلام: «لقد وجد (جريجوروفيتش) وربطه وكان يعذبه».

« كيف يفترض بجريجوروفيتش أن يقوم بصنع عصا له وهو مقيد؟».

« لا أعرف... إن الأمر غريب، أليس كذلك؟»..

أغلق (هارى) عينيه وأخذ يفكر فى كل ما رآه وسمعه. وكلما استعاد ذكريات أكثر، بدا الأمر أقل منطقية... لم يقل (فولدمورت) شيئا عن عصا (هارى) أو عن

التوءمة بين عصاه وعصا (هارى)، أو يجعل (جريجوروفيتش) يقوم بصنع عصا جديدة أكثر قوة لتهزم عصى (هارى)...

قال (هارى) وعيناه مازالتا مغلقتين بشدة: «لقد أراد شيئا من (جريجوروفيتش) وطلب منه أن يقوم بتسليمه ولكن (جريجوروفيتش) قال إنه سرق منه... ثم... ثم..»..

وتذكر كيف شعر بأنه يندفع داخلا وهو متوحد مع (فولدمورت) إلى عينى (جريجوروفيتش) حتى وصل إلى ذكرياته...

« لقد قرأ عقل (جريجوروفيتش)، ورأيت شابًا صغيرًا يجلس على حافة النافذة ولكن الشاب رمى لعنة فى اتجاه (جريجوروفيتش) وقفز بعيدا عن نظره. لقد سرقها، سرق الشيء الذى يريده (أنت ـ تعرف ـ من). وأنا... أنا أعتقد أننى رأيته فى مكان ما..».

وتمنى (هارى) لو يستطيع النظر إلى لوحة الفتى الضاحك مرة أخرى. لقد حدثت السرقة منذ سنوات بعيدة، كما يقول (جريجوروفيتش). لماذا إذن بدا وجه اللص الصغير مألوفا له؟

وكانت الأصوات القادمة من الغابة المحيطة بهما لا تصل إلى داخل الخيمة؛ فلم يكن (هارى) يسمع سوى صوت تنفس (رون) وبعد فترة، قال (رون): «ألم تستطع رؤية ما يحمله اللص؟ ».

«لا... لابد أنه شيء صغير».

«(هارى)».

وارتفع صوت صرير خشب السرير أسفله، عندما عدل (رون) وضعه فيه.

«(هارى)، هل تظن أن (أنت ـ تعرف ـ من) يبحث عن شيء آخر يريد تحويله إلى هوركروكس؟»..

قال (هارى) ببطء: «لا أعرف. ربما. ولكن أظن أن صنع واحد آخر يمكن أن يكون خطرا عليه؟ ألم تقل (هرميون) أنه قد وصل بروحه إلى الحد الأقصى فعلاً؟».

«نعم، ولكنه ربما لا يعرف ذلك».

قال (هارى): «نعم... ربما»..

كان متأكدا قبل الآن من أن (فولدمورت) يبحث عن طريقة يتغلب بها على مشكلة العصا التوءم... متأكدًا أن (فولدمورت) يبحث عن حل عند صانع العصى العجوز... ومع ذلك قتله، ومن الواضح أنه لم يسأله سؤالاً واحدًا عن العصا.

ترى.. ما الشيء الذى يبحث عنه (فولدمورت)؟ وما الذى يجعله يرحل بعيدا باحثا عن هذا الشيء الذى امتلكه (جريجوروفيتش) يوما، والذى سرقه منه اللص المجهول فى الوقت الذى أصبحت فيه وزارة السحر والعالم السحرى كله عند قدميه؟ هل كان بعيدًا، مصمم على السعى وراء شيء كان (جريجوروفيتش) يمتلكه والذى سُرق من قِبل لص مجهول.

كان لايزال بإمكان (هارى) أن يرى وجه الشاب ذا الشعر الذهبى. لقد بدا مرحًا ومتهورًا. ذكرته تصرفاته بأسلوب فريد وجورج عندما يتباهيان بخدعهم. لقد طار من على حافة النافذة مثل الطائر، وقد رآه (هارى) من قبل ولكنه لا يذكر أين...

والآن.. بعد أن مات (جريجوروفيتش)، أصبح الآن اللص ذو الوجه المرح فى خطر، وأخذ (هارى) يفكر فى أمره، بعد أن ارتفع غطيط (رون) من السرير السفلى وبينما بدأ هو يستسلم ببطء للنوم مرة أخرى.

١٥ انتقـام الجـن

فى صباح اليوم التالى غادر (هارى) الخيمة مبكرًا، قبل أن يصحو الاثنان الآخران، وذهب للبحث فى الغابة حولهم عن أقدم شجرة يمكن أن يجدها وأكثرها التواء ومرونة. ودفن عين ماد ـ أى فى ظلها ورسم صليبًا صغيرًا بعصاه على لحاء الشجرة ليميز المكان بعلامة. ورغم بساطة ما فعله، فإن (هارى) شعر أن ماد ـ أى كان يفضل هذا على أن يتم تثبيتها على باب دولوريس أمبريدج. ثم عاد إلى الخيمة وانتظر أن يصحو الآخران ويناقشا معه ما سيفعلونه بعد ذلك.

وفكر (هارى) و(هرميون) أنه من الأفضل عدم البقاء فى مكان واحد لفترة طويلة ووافقهما (رون)، وإن اشترط أن يكون المكان التالى الذى يذهبون إليه قريبًا من مكان يستطيعون شراء ساندويتشات اللحم البارد منه. وهكذا أزالت (هرميون) التعاويذ التى وضعتها حول المكان، بينما محا (هارى) و (رون) كل العلامات والدلائل الموجودة على الأرض التى توحى بأنهم قاموا بالتخييم هنا. ثم انتقلوا آنيًّا إلى سوق مدينة صغيرة.

وما إن أقاموا الخيمة فى ستر ظلال مجموعة من الأشجار وأحاطوها بمجموعة من التعاويذ الدفاعية الجديدة، حتى خرج (هارى) تحت عباءة الإخفاء ليجد لهم طعاما. لكن الأمور لم تجر كما خُطط لها؛ لأنه ما إن دخل المدينة حتى وجد نفسه يتجمد فى مكانه بعد اجتاحت المكان برودة غير طبيعية وضباب كثيف وإظلام مفاجئ فى السماء.

قال (رون) معترضًا: «ولكنك تستطيع صنع باتروناس رائع!»، عندما رجع (هارى) إليهم خالى الوفاض، وهو ينهج ويقول كلمة واحدة: «ديمنتورات».

قال وهو ينهج ويمسك بجنبه الذى يؤلمه: «لم أستطع... أن أصنع... واحد... لم يخرج...».

جعل تعبير التجهم والإحباط الذى غطى وجوههم (هارى) يشعر بالخجل. لقد مر بتجربة كالكابوس، عندما رأى الديمنتورات وهى تنزلق خارجة من الضباب من بعد وأدرك بينما البرد المتجمد يدخل إلى رئتيه والصرخات البعيدة تملأ

أذنيه، أنه لن يستطيع حماية نفسه واضطر (هارى) إلى استخدم كل ما يمتلك من إرادة لاقتلاع نفسه من ذلك المكان والجرى، تاركا الديمنتورات التى لا عيون لها تنزلق بين العامة الذين قد لا يكونوا قادرين على رؤيتها ولكنهم بالتأكيد يشعرون باليأس الذى تلقيه الديمنتورات فى كل مكان تذهب إليه.

«إذن، مازال لا يوجد لدينا طعام».

نهرته (هرميون): «اسكت يا (رون)، (هارى)، ما لذى حدث؟ ماذا تظن أنه منعك من عمل باتروناس؟ لقد استطعت عملها بشكل ممتاز أمس!».

«لا أعرف».

وجلس منخفضا فى أحد كراسى بيركنز ذات الذراعين القديمتين وهو يشعر بالإهانة فى هذه اللحظة. كان خائفًا من شىء قد تغير فى داخله. لقد بدا الأمس بعيدا جدا؛ فهو اليوم يشعر كأنه قد عاد إلى عمر الثالثة عشرة ثانية، وتذكر الانهيار الذى أصابه وحده فى قطار (هوجوورتس) السريع.

ركل (رون) رجل كرسى.

وقال لـ (هرميون): «ماذا؟ إننى أتضور من الجوع! كل ما أكلته منذ نزفت وكنت فى منتصف الطريق إلى الموت هو بعض عيش الغراب!».

قال (هارى) صائحًا: «اذهب إذن وافتح طريقًا لك بين الديمنتورات».

« كنت سأفعل، ولكن ذراعى مجروح، إذا لم تلاحظ ذلك!».

«هذا ملائم تمامًا».

«ما الذى يفترض أن ـ؟».

صاحت (هرميون) وهى تضرب جبينها بيدها: «بالطبع!». وحدق فيها الاثنان فى صمت وأضافت متململة: «(هارى)، أعطنى القلادة! هيا». وعندما لم يتحرك مدت يدها إليه وقالت: «الهوركروكس يا (هارى)، إنك ما زلت ترتديه!».

ومدت يدها لـ (هارى) ورفع (هارى) السلسلة الذهبية من حول عنقه. وفى اللحظة التى افترقت عن جلد (هارى)، شعر بالحرية وأنه خفيف بشكل غريب. لم يكن قد أدرك أنه غارق فى العرق وأن هناك حملاً ثقيلاً يضغط على معدته حتى انزاحت عنه تلك المشاعر.

سألته (هرميون): «تشعر بتحسن».

«نعم، أحسن بكثير!».

قالت (هرميون) وهى تجلس القرفصاء أمامه وتستخدم اللهجة اللطيفة التى تستخدمها عند زيارة المرضى عادة: «(هارى)، هل تعتقد أن ما بداخل القلادة قد تملكك؟».

قال (هارى) بلهجة دفاعية: «ماذا؟ لا، إننى أتذكر كل شىء فعلته وأنا أرتديها. لم أكن لأعرف ما فعلته لو أنها تملكتنى، أليس كذلك؟ لقد أخبرتنى جينى أنه كانت هناك أوقات لم يكن بإمكانها تذكر أى شىء».

قالت (هرميون) وهى تنظر إلى القلادة الثقيلة: «إمم، حسنًا، ربما من الأفضل ألا ترتديها. نستطيع أن نحتفظ بها داخل الخيمة».

قال (هارى) بحسم: «لن نترك الهوركروكس ملقى فى أى مكان. ماذا لو فقدناه، أو سرقه أحد..».

قالت وهى تضع القلادة حول رقبتها هى وتخفيها بعيدا عن العيون داخل ملابسها: «آه، حسنًا، حسنًا، ولكننا سنلبسها بالدور، بحيث لا يحتفظ بها أحدنا لمدة طويلة».

قال (رون) بانفعال: «رائع، والآن بعد أن وصلنا إلى قرار بخصوص هذا الأمر، هل يمكننا لو سمحتم الحصول على بعض الطعام؟».

قالت (هرميون) وهى تلقى نظرة إلى (هارى): «حسنًا، ولكننا سنذهب إلى مكان آخر لنجده. ليس من المنطق أن نظل فى هذا المكان ونحن نعرف أن الديمنتورات تحوم حول المكان».

وفى النهاية استقروا هذه الليلة فى حقل معزول يخص مزرعة مهجورة، واستطاعوا أن يحصلوا منه على البيض والخبز.

سألت (هرميون) بصوت قلق وهم يأكلون البيض المقلى مع التوست: «إنها ليست سرقة، أليس كذلك؟ ليس إذا تركت بعض المال فى عشة الدجاج».

قال (رون) وهو يدير عينيه وخداه منتفخان: «إنك دائمًا تقلقين أكثر من اللازم هونى عليك».

وأصبح من السهل عليهم أن يسترخوا بعد أن شبعوا؛ حتى إنهم نسوا جدالهم حول الديمنتورات وهم يتسامرون تلك الليلة وشعر (هارى) بارتفاع فى معنوياته وتفاءل، وأخذ أول وردية فى المراقبة.

كانت هذه أول مرة يجربون فيها حقيقة أن المعدة الممتلئة تعنى روحًا معنوية أفضل؛ بينما الخالية تؤدى إلى التخاصم والاكتئاب وكان (هارى) أقلهم تفاجئا

بهذه الحقيقة، لأنه عانى فترات تجويع كثيرة فى منزل (آل درسلى). وتحملت (هرميون) الوضع بقدر كبير من التعقل فى الليالى التى لم يجدوا فيها شيئا ليأكلوه سوى التوت البرى والبسكويت القديم وإن أصبح مزاجها أكثر تقلبا قليلاً عن المعتاد وصمتها أكثر قسوة، أما (رون) الذى كان معتادًا على أكل ثلاث وجبات لذيذة كل يوم سواء بفضل والدته أو أقزام المنازل فى (هوجوورتس)، فقد جعله الجوع نزقًا ومتهورًا. وفى كل مرة، يتصادف فيها قلة الطعام مع دور (رون) فى ارتداء الهوركروكس، يصبح كريها بشكل واضح.

كان سؤاله الدائم: «إلى أين بعد ذلك؟». ولم يكن يطرح أى أفكار، ولكنه دائمًا يتوقع أن يخرج (هارى) و(هرميون) بخطط، بينما يجلس هو ويطيل التفكير فى قلة إمداداتهم من الطعام. وهكذا، قضى (هارى) و(هرميون) ساعات طويلة غير مجدية وهم يحاولون تقرير أين يمكن أن يجدوا الهوركروكسات الأخرى وكيف يدمرون الهوركروكس الوحيد الذى حصلوا عليه، وأصبحت مناقشاتهم مكررة بشكل متزايد، بسبب انعدام المعلومات الجديدة.

كان (دمبلدور) قد أخبر (هارى) أنه يعتقد أن (فولدمورت) قد أخفى الهوركروكسات فى أماكن مهمة بالنسبة له؛ لذلك فقد ظلوا يراجعون هذه الأماكن التى يعرفون أن (فولدمورت) قد عاش فيها أو زارها بلا انقطاع، وكأنها ورد متكرر: ملجأ الأيتام الذى ولد وتربى فيه، (هوجوورتس) حيث تلقى تعليمه، ومحل (بورجين وبوركيس) الذى عمل به بعد أن ترك المدرسة ثم ألبانيا، حيث قضى سنوات النفى. شكلت كل هذه الأماكن الأساس فى تخميناتهم.

قال (رون) ساخرًا: «نعم، لنذهب إلى ألبانيا، لن يأخذ تفتيش الدولة بأكملها أكثر من يوم واحد».

قالت (هرميون): «لا أظن أننا سنجد شيئًا هناك. لقد صنع خمسة هوركروكسات بالفعل قبل أن ينفى، وكان (دمبلدور) متأكدًا أن الحية هى السادسة. ونحن نعرف أن الحية ليست فى ألبانيا. إنها فى العادة مع فولد...».

«*ألم أطلب منك إنها تكفى عن قول ذلك؟*»..

«حسنًا، الحية فى العادة مع (أنت ـ تعرف ـ من).. هكذا!».

«ليس بالضبط».

قال (هارى): «لا أظن أنه يمكن أن يخفى أى شىء فى محل (بورجين وبوركيس). إنهم خبراء فى السحر الأسود، وقد يعرفان الهوركروكس على

الفور». كان قد قال هذا الرأى من قبل ولكنه كرره هذه المرة ليقطع الصمت الفظيع الذى ساد المكان.

وتثاءب (رون) متعمدا، وأخمد (هارى) رغبة قوية فى أن يرميه بشىء، وقال: «مازلت أظن أنه من الممكن أن يكون قد أخفى شيئا فى (هوجوورتس)».

تنهدت (هرميون).

« كان (دمبلدور) سيجده يا (هارى)».

وكرر (هارى) نفس الجدال الذى ظل يستخدمه فى الدفاع عن نظريته.

«قال (دمبلدور) أمامى أنه لم يفترض أبدًا أنه يعرف كل أسرار (هوجوورتس). أنا أقول لكم، لو كان هناك مكان مهما لفولـ..».

«هيه!».

صاح (هارى) وقد بدأ يفقد أعصابه: «(أنت ـ تعرف ـ من)، لو كان هناك مكان مهم فعلاً له، فهو (هوجوورتس) إذن!».

قال (رون) متهكمًا: «آه، غير معقول. مدرسته؟».

«نعم، مدرسته! أول بيت حقيقى له، المكان الذى يعنى أنه مميز، لقد كانت أهم شىء بالنسبة له، وحتى بعد أن تركها..».

وقال (رون) متسائلاً: «إننا نتكلم عن (أنت ـ تعرف ـ من) وليس عنك، أليس كذلك؟». كان (رون) يسحب سلسلة الهوركروكس حول عنقه؛ وشعر (هارى) برغبة فى أن يمسكها ويخنقه بها.

قالت (هرميون): «لقد أخبرتنا أن (أنت ـ تعرف ـ من) طلب من (دمبلدور) أن يعطيه وظيفة بعد أن ترك المدرسة».

قال (هارى): «هذا صحيح».

«وظن (دمبلدور) أنه أراد العودة من أجل محاولة البحث عن شىء، ربما شىء آخر يخص أحد مؤسسى المدرسة، ليحوله إلى هوركروكس آخر؟».

قال (هارى): «نعم».

قالت (هرميون): «ولكنه لم يحصل على الوظيفة، أليس كذلك؟ ولم يجد الفرصة أبدًا فى إيجاد شىء آخر يخص أحد المؤسسين وإخفائه داخل المدرسة!».

قال (هارى) مهزوما: «حسنًا، إذن، فلننس (هوجوورتس)».

لم تكن لديهم أى خيوط أخرى ليتبعوها، وهكذا سافروا إلى لندن وهم مختفين تحت عباءة الإخفاء. وأخذوا يبحثون عن الملجأ الذى نشأ فيه (فولدمورت)

وتسللت (هرميون) إلى داخل المكتبة واكتشفت من سجلاتهم أن المكان قد هدم منذ سنوات عديدة. ورأوا الموقع ووجدوه مبنى شديد الارتفاع عبارة عن مجمع تجارى توجد به مكاتب للكثير من الشركات.

واقترحت (هرميون) بنصف اقتناع: «يمكن أن نحاول الحفر فى الأساسات؟».

قال (هارى): «لم يكن ليخبئ هوركروكس هنا». كان يدرك ذلك طوال الوقت... إن ذلك الملجأ هو المكان الذى أراد (فولدمورت) الهروب منه؛ ولن يقوم بإخفاء جزء من روحه فيه أبدًا. لقد أراه (دمبلدور) كيف يبحث (فولدمورت) عن التوقير والغموض فى الأماكن التى يخفى فيها الهوركروكسات. وهذا الركن التافه المعزول من لندن أبعد ما يمكن تخيله عن (هوجوورتس) أو الوزارة أو مبنى جرينجوتس، بنك السحرة، بألوانه الذهبية وأرضيته الرخامية.

حتى دون أن يكون لديهم أى أفكار جديدة إلا أنهم استمروا يتنقلون فى أنحاء البلاد ويقيمون خيمتهم فى مكان مختلف كل ليلة من أجل تأمين أنفسهم. وفى كل صباح، كانوا يتأكدون من إزالة أى آثار تدل على وجودهم، ثم يرحلون للبحث عن مكان آخر منعزل ومعزول. وأخذوا ينتقلون آنيًا إلى غابات أخرى وكهوف مظلمة ومستنقعات بنفسجية وجبال تغطيها الشجيرات الشائكة وفى أحد المرات أووا إلى ستر غار صغير كثير الحصى. وكانوا يتبادلون الهوركروكس فيما بينهم كل اثنتى عشرة ساعة تقريبًا وكأنهم يلعبون لعبة بطيئة لا تنتهى، تشبه لعبة الكراسى الموسيقية، ولكنهم كانوا يتضايقون عندما تتوقف الموسيقى؛ لأن الجائزة كانت اثنتا عشرة ساعة من الخوف المتزايد والقلق.

وظلت ندبة (هارى) توخزه ولاحظ أن الألم يتزايد عندما يرتدى الهوركروكس. وكان، أحيانًا، لا يستطيع منع نفسه من إبداء رد فعل للألم الذى يشعر به.

وفى كل مرة، يسأله (رون) عندما يلاحظ إجفاله: «ماذا؟ ما الذى رأيته؟».

ويغمغم (هارى) بنفس الرد: «وجه، نفس الوجه، وجه اللص الذى سرق من (جريجوروفيتش)».

ثم يراقب (رون) وهو يبعد وجهه بدون أن يبذل أى جهد لإخفاء خيبة أمله. وكان (هارى) يعلم أن (رون) يأمل فى سماع أخبار عن عائلته أو باقى أعضاء جماعة العنقاء، ولكنه هو، (هارى)، ليس هوائى تليفزيون، على كل حال، إنه لا يستطيع رؤية أى شىء سوى ما يفكر به (فولدمورت) فى ذلك الوقت، وليس بإمكانه التقاط ما يريد أن يراه. ومن الواضح أن (فولدمورت) لم يكن ينقطع عن

التفكير فى ذلك الشاب المجهول ذى الوجه المرح، ومن المؤكد بالنسبة لـ(هارى) أن (فولدمورت) لا يعرف اسمه أو مكانه مثله. وظلت ندبة (هارى) تؤلمه باستمرار فى كل مرة يرى الولد الأشقر المرح فى ذاكرته. وتعلم كبت أى إشارة للألم أو عدم الراحة، خاصة أن الآخرين أظهرا التململ فى كل مرة يذكر فيها اللص. ولم يستطع أن يلقى عليهم اللوم كاملا، بينما هم يستقتلون فى إيجاد خيط يوصلهم للهوركروكسات.

ومرت الأيام وأصبحت أسابيع، وأصبح (هارى) يشك أن (رون) و(هرميون) يتكلمان عنه عندما لا يكون معهما، فقد لاحظ توقفهما عن الكلام عدة مرات، فور دخوله إلى الخيمة، وشاهدهما بالصدفة وقد ابتعدا قليلاً عن مكانه ووضعا رأسيهما معًا وأخذا يتكلمان بسرعة، وفى المرتين، صمتا عندما أدركا أنه يقترب منهما وأسرعا يتظاهران بأنهما يجمعان الخشب أو يجلبان المياه.

ولم يسع (هارى) إلا أن يتساءل إن كانا قد وافقا على القدوم معه إلى تلك الرحلة التى أصبحت تدور الآن بلا هدف؛ لأنهما ظنا أن لديه خطة سرية، سيعرفانها فيما بعد. ولم يكن (رون) يبذل أى مجهود فى إخفاء مزاجه السيئ، وبدأ (هارى) يقلق من أن (هرميون) أيضًا محبطة بسبب قيادته السيئة لتلك الرحلة. وحاول التركيز بكل ما يستطيع من قوة على التفكير فى أماكن أخرى محتملة للهوركروكسات، ولكن المكان الوحيد الذى ظل (هارى) يخطر بباله، هو (هوجوورتس)، وبما أن زميليه لم يظنا أن ذلك محتمل، فقد توقف عن اقتراح هذا المكان.

وبدأ فصل الخريف فى الريف وهم يتنقلون بين أنحائه المختلفة. وأصبحوا يقيمون الخيمة الآن وسط الأوراق الساقطة. وانضم الضباب الطبيعى إلى الضباب الذى تسببه الديمنتورات؛ وزادت الرياح والأمطار من مشاكلهم. ولم تستطع المهارة التى اكتسبتها (هرميون) فى تحديد أنواع الفطر القابلة للأكل أن تعوض عزلتهم المستمرة، وعدم اختلاطهم بأشخاص آخرين، أو جهلهم التام بكل ما يحدث فى الحرب ضد (فولدمورت).

قال (رون) فى إحدى الليالى وهم جالسون فى الخيمة التى نصبوها على ضفة نهر فى ويلز: «والدتى تستطيع أن تصنع طعامًا جيدًا من العدم».

وأخذ (رون) يشتكى متضايقا من قطعة السمك المحترقة الموجودة بطبقه. ونظر (هارى) تلقائيا نحو رقبة (رون) ورأى كما توقع السلسلة الذهبية المعلق بها الهوركروكس تلمع هناك، واستطاع بصعوبة أن يقاوم رغبة اجتاحته فى

أن يسب (رون)، والذى يعرف أن موقفه سيتغير قليلاً عندما يحين الوقت؛ لأن يخلع القلادة.

قالت (هرميون): «لا تستطيع والدتك أن تصنع طعاما من العدم. لا أحد يستطيع ذلك. الطعام هو أول الاستثناءات الرئيسية الخمسة لقانون جامب للتحويل الجوهرى..».

قال (رون) وهو يخرج عظام سمكة من بين أسنانه: «آه، هل يمكن أن تتكلمى بلغة نفهمها، إذا سمحت؟».

«من المستحيل صنع طعام جيد من لا شىء، يمكنك أن تستدعيه لو كنت تعرف مكانه، يمكنك تحويله، ويمكنك أن تزيد من كميته لو أن لديك البعض منه..».

قال (رون): «ـ حسنًا، لا تتعبى نفسك بزيادة هذا الطعام، فهو مقزز».

«لقد صاد (هارى) السمكة وبذلت أنا ما بوسعى لطبخها! لقد لاحظت أننى دائمًا من يترك لى أمر البحث عن الطعام؛ لأننى *فتاة*، على ما أعتقد!».

رد عليها (رون): «لا، لأنه من المفروض أنك أفضلنا فى السحر!».

قفزت (هرميون) واقفة وانزلق فتات الطعام من طبقها إلى الأرضية.

وقالت: «لِمَ لا تقوم بالطبخ غدا يا (رون)؟ يمكنك أن تجد المكونات وتحاول أن تسحرها إلى شىء يستحق الأكل وسأجلس أنا هنا متجهمة منتحبة و يمكنك أن ترى كيف..».

قال (هارى) وهو يقفز على قدميه ويمد يده ليوقف كليهما: «اسكتا *الآن*!».

ظهرت الثورة على (هرميون).

« كيف يمكنك أن تأخذ صفه، إنه لا يقوم بالطبخ أبدًا..».

: «اسكتى يا (هرميون) إننى أسمع شخصا ما!».

كان يحاول الاستماع ويداه مازالتا مرفوعتين، لتحذرهم ألا يتكلما. ثم سمعوا أصواتا مرة أخرى تعلو على صوت تدفق المياه واندفاعها فى النهر. ونظر حوله إلى جهاز الإنذار السحرى، لم يكن يتحرك.

وهمس إلى (هرميون): «هل قمت بوضع تعويذة *موفلياتو* علينا؟».

همست (هرميون) لتجيبه: «لقد فعلت كل شىء، *موفلياتو*، تعويذة إبعاد العامة، وتعويذة الإيهام، كلها. لن يكونوا قادرين على سماعنا أو رؤيتنا، مهما كانوا».

وأخبرتهم أصوات جرجرة الأقدام وحركتها على الأرض بالإضافة إلى أصوات زحزحة الحجارة وتكسر الأغصان بأن هناك العديد من الناس ينزلون المنحدر

المائل المغطى بأغصان الأشجار نحو ضفة النهر الضيقة حيث قاموا بنصب الخيمة. وسحبوا عصيهم وانتظروا. ينبغى أن تكون التعاويذ التى وضعوها حولهم كافية، خاصة أن المكان شديد الظلام، مما يساعد على سترهم عن ملاحظة العامة والسحرة والساحرات الطبيعيين. لو أن هؤلاء آكلو موت، ربما سيتم اختبار دفاعاتهم أمام السحر الأسود للمرة الأولى. أصبحت الأصوات مسموعة أكثر وإن ظلت غير مفهومة. وعندما وصلت مجموعة الرجال إلى ضفة النهر، قدر (هارى) أنهم يبعدون عنهم بأقل من عشرين قدما، لكن صوت تدفق النهر جعل من المستحيل التحديد بدقة. وأمسكت (هرميون) حقيبتها المطرزة وبدأت تفتش داخلها؛ وبعد لحظة سحبت منها ثلاث آذان قابلة للمد ورمت واحدة لـ (هارى) وأخرى لـ (رون)، الذين أسرعوا بوضع طرف الحبل الذى فى لوْن الجلد فى آذانهم وإخراج الطرف الآخر من مدخل الخيمة.

وبعد ثوان سمع (هارى) صوت رجل منهك.

«يجب أن يكون بعض السلمون هنا، أم تظن أن موسمها لم يأت بعد؟»..

«أتسيوسلمون!».

وسمعوا صوت طرطشة مياه واضحًا، ثم أصوات لطم السمك بالجلد. وصاح أحدهم مستحسنا. وأدخل (هارى) الأذن القابلة للمد أكثر داخل أذنه واستطاع أن يسمع أصواتا أكثر، علت على صوت دمدمة النهر، ولكنهم لم يكونوا يتكلمون الإنجليزية أو أى لغة إنسانية سمعها من قبل. كانت لغتهم خشنة، سيئة الإيقاع، وكأنها وصلة من الحشرجة الحلقية، وبدا أن هناك اثنين يتكلمان، أحدهما صوته أبطأ وأخفض من الآخر.

واشتعلت نار فى الجانب الآخر من الخيمة؛ ومرت خيالات بين الخيمة والنار. ووصلت رائحة شى السمك اللذيذة إليهم لتعذبهم. ثم سمعوا صوت أشواك وسكاكين على الأطباق وتكلم الرجل الأول مرة أخرى.

: «خذ يا جريفوك وأنت (جورنوك)».

همست (هرميون) لـ (هارى): «*أقزام أسطوريون*». وأومأ هو برأسه.

رد القزمان الأسطوريان معًا: «شكرا ».

وسأل صوت آخر لطيف وعذب: «إذن، منذ متى وثلاثتكم هاربون؟».

وشعر (هارى) أن صوت الرجل مألوف بشكل غامض، وتصور رجلاً ذا وجه مستدير مرح.

قال الرجل المتعب: «ستة أسابيع... سبعة... لقد نسيت، التقيت جريفوك فى أول يومين، ثم التحق بنا (جورنوك) بعدها بقليل. من اللطيف أن يكون معك صحبة».

ومرت فترة صمت، بينما السكاكين تحتك بالأطباق المعدنية والأقداح ترفع ثم تعاد إلى مكانها على الأرض ثم استمر الرجل: «ما الذى جعلك ترحل يا (تيد)؟».

رد صاحب الصوت العذب (تيد): «عرفت أنهم قادمون من أجلى. وعرف (هارى) فجأة من هو؛ إنه والد (تونكس). وأضاف (تيد تونكس): «سمعت أن آكلى الموت فى المنطقة الأسبوع الماضى، وقررت أن أهرب بحياتى، كنت قد رفضت أن أسجل نفسى من مواليد العامة فى الأساس، فهمت، ولذلك عرفت أنها مسألة وقت، وأننى سوف أضطر للرحيل فى النهاية. لا توجد مشكلة بالنسبة لزوجتى، فهى ذات دم نقى ثم قابلت (دين) هنا منذ بضعة أيام يا بنى».

قال صوت آخر: «نعم». وحدق (هارى) و(رون) و(هرميون) فى بعضهم البعض، فى صمت وترقب، فقد تعرفوا صوت (دين توماس)، زميلهم فى (جريفندور).

سأل الرجل الأول: «هل أنت من مواليد العامة؟».

قال (تيد): «لست متأكدا، ترك أبى أمى وأنا صغير، ولكن ليس لدى دليل على أنه كان ساحرًا».

مرت فترة صمت، لم يقطعها سوى صوت المضغ؛ ثم تكلم (تيد) مرة أخرى.

«يجب أن أقول إنى دهشت بأننى صادفتك، سعيدًا ولكنى مندهش، كنت قد سمعت بأنه تم القبض عليك».

قال (ديرك): «لقد قبض على فعلا وكنت فى منتصف الطريق إلى أزكابان عندما استطعت الهرب، وقمت بصعق داوليش وسرقت مكنسته. كان ذلك أسهل مما توقعت؛ لا أظن أنه فى حالة طيبة فى هذه اللحظة، ربما أصيب سابقا بتعويذة خلط، ولو كان ذلك صحيحا، فإننى أود أن أصافح الساحرة أو الساحر الذى قام بذلك؛ لأنه يمكن أن يكون قد أنقذ حياتى».

ومرت فترة صمت أخرى، طقطقت فيها النيران وسمعوا صوت تدفق النهر.

ثم قال (تيد): «ولكن ما الذى حدث؟ أنا، أ، لقد كان لدى انطباع بأن الأقزام الأسطوريين فى صف (أنت ـ تعرف ـ من)؟».

قال صاحب الصوت الأعلى من بين الأقزام الأسطوريين: «لقد وصلك انطباع خاطئ، إننا لا نأخذ جانب أحد، إنها حرب خاصة بالسحرة ».

« ولماذا تختبئ إذن؟».

قال القزم الأسطورى صاحب الصوت الأعمق: «لقد رأيت أن ذلك أكثر حكمة، فبعد أن رفضت طلبا اعتبرته وقاحة، أدركت أن أمنى الشخصى معرض للخطر».

سأله (تيد): «ما الذى طلبوا منك أن تفعله؟».

رد القزم بصوت أكثر خشونة وأقل إنسانية: «مهام لا تليق بكرامة جنسى إننى لست قزم منزل».

«وماذا عنك يا جريفوك؟».

قال القزم الأسطورى ذو الصوت الأعلى: «أسباب مشابهة، لم يعد جرينجوتس تحت إدارة بنى جنسى فقط، وأنا لا أعترف بأى سيد من السحرة».

وأضاف شيئًا بلغة الأقزام الأسطوريين بصوت منخفض وضحك (جورنوك).

سأل (دين): «لماذا تضحكان؟».

أجاب (ديرك): «لقد قال أن هناك أشياء لا يعترف بها السحرة أيضًا».

مرت فترة صمت قصيرة.

ثم قال (دين): «لم أفهم ما تقصدونه».

قال (جريفوك): «كان لى انتقام صغير قبل أن أغادر».

قال (تيد) بسرعة: «حسنًا يا رجل أو أيها القزم، ماذا فعلت، هل نجحت فى حبس أحد آكلى الموت فى إحدى الخزائن القديمة ذات الحماية الأمنية المشددة؟».

رد (جريفوك): «لو فعلت ذلك، فلن يساعده السيف على الخروج». وضحك (جورنوك) مرة أخرى، وحتى (ديرك) ألقى ضحكة خافتة جافة.

قال (تيد): «هناك شىء ما زلت لا أفهمه أنا و(دين)».

قال (جريفوك): «وكذلك (سيفيروس سناب)، رغم أنه لا يعرف ذلك».، وضحك القزمان الأسطوريان بخبث.

وفى داخل الخيمة، تسارع تنفس (هارى) من الإثارة: وأخذ هو و(هرميون) يحدقان فى بعضيهما، وهما يركزان كل حواسهم على الإصغاء.

سأل (ديرك): «ألم تسمع عن ذلك يا (تيد)؟ عن هؤلاء الأطفال الذين حاولوا سرقة سيف (جريفندور) من مكتب (سناب) فى (هوجوورتس)؟».

وشعر (هارى) فجأة وكأن تيارًا كهربائيًا يسرى فى جسمه الذى تجمد فى مكانه.

قال (تيد): «لم أسمع شيئًا. هل نشر شىء فى المتنبئ عن الأمر؟».

قال (ديرك): «لا أظن، لقد أخبرنى (جريفوك) هنا، لقد سمع عن الأمر من (بيل ويزلى) الذى يعمل فى البنك.. شقيقته الصغرى واحدة من الأولاد الذين حاولوا سرقة السيف».

نظر (هارى) نحو (رون) و(هرميون)، كان كلاهما قابضًا على الآذان القابلة للمد كما لو أنها تمنحهم الحياة.

«لقد دخلت مع اثنين من أصدقائها إلى مكتب (سناب) وحطموا الصندوق الزجاجى الذى يحفظ به السيف. وقبض عليهم (سناب) وهم يحاولون تهريب السيف من السلم الحلزونى».

قال (تيد): «آه، بارك الله فيهم. ولكن ما الذى فكروا به؟ إنهم قادرون على استخدام السيف ضد (أنت ـ تعرف ـ من)؟ أو على سناب نفسه؟».

قال (ديرك): «حسنًا، مهما كان ما فكروا به، فإنهم لن يستطيعوا القيام به، فقد قرر (سناب) أن السيف ليس آمنا فى مكانه فى (هوجوورتس)، وبعدها ببضعة أيام، بعد أن حصل عليٍ موافقة (أنت ـ تعرف ـ من)، على ما أعتقد، أرسل السيف إلى لندن ليتم حفظه فى جرينجوتس».

وبدأ القزمان الأسطوريان يضحكان مرة أخرى.

قال (تيد): «مازلت لا أفهم ما المضحك فى الأمر».

قال جريفوك: «إنه مزيف».

«سيف (جريفندور)!».

«أوه نعم. إنه نسخة ـ نسخة ممتازة صحيح ـ ولكن من صنع السحرة، بينما السيف الأصلى صنعه الأقزام الأسطوريون منذ قرون ويمتلك صفات لا يملكها إلا الدروع التى يصنعها الأقزام الأسطوريون. إن سيف (جريفندور) الحقيقى يمكن أن يكون فى أى مكان، ولكنه ليس فى خزانة فى بنك جرينجوتس».

قال (تيد): «فهمت، وبالطبع لم تهتم بإخبار آكلى الموت بذلك».

قال جريفوك بعجرفة: «لم أجد سببا لكى أضايقهم بالمعلومة». وانضم (تيد) ودين لجورنوك و(ديرك) فى الضحك.

وفى داخل الخيمة، أغلق (هارى) عينيه، وتمنى أن يطرح أحد السؤال الذى يريد أن يعرف إجابته، وبعد دقيقة مرت كعشر دقائق، سأله (تيد)؛ وتذكر (هارى) مصدوما أنه أيضًا صديق سابق لجينى.

«ماذا حدث لجينى والآخرين؟ هؤلاء الذين حاولوا سرقته؟».

قال جريفوك بلا مبالاة: «أوه، لقد عوقبوا، وبقسوة».

سأل (تيد): «هل هم بخير؟ أعنى، أن آل (ويزلى) لا يتحملون إصابات أخرى بين أولادهم، أليس كذلك؟».

قال جريفوك: «إنهم لا يعانون إصابات خطيرة، بقدر ما أعلم».

قال (تيد): «من حسن حظهم، بعد كل ما فعله سناب من قبل. افترض أننا يجب أن نكون سعداء بأنهم مازالوا على قيد الحياة».

سأل (ديرك): «إنك تصدق القصة إذن، يا (تيد)؟ تصدق أن (سناب) قتل (دمبلدور)؟».

قال (تيد): «بالطبع أصدق. لا يمكنكم أن تجلسوا هناك وتقولوا لى أنكم تعتقدون أن لـ(بوتر) أى صلة بهذا الأمر؟».

تمتم (ديرك): «من الصعب معرفة ما يجب أن نصدقه أو لا نصدقه هذه الأيام».

قال (تيد): «أعرف (هارى بوتر)، وأظن أنه الشيء الحقيقى ـ المختار، أو مهما كان ما تسمونه به».

قال (ديرك): «نعم، هناك الكثيرون يودون التصديق بأنه كذلك يا بنى. وأنا من بينهم. ولكن أين هو؟ هرب بحياته كما يبدو. كنت أعتقد أنه لو كان يعلم أى شيء لا نعرفه أو لديه أى شيء خاص يحدث بالنسبة له، لكان فى الخارج الآن يقاتل ويحشد المقاومة، بدلاً من الاختباء. أتعرفون أن *المتنبئ اليومى* قد نشرت قضية جيدة ضده..».

صاح (تيد): «*المتنبئ*؟ إنك تستحق أن يكذب عليك إذا كنت لا تزال تقرأ هذا القمامة يا (ديرك). إذا أردت الحقائق جرب الموارب».

وكان هناك انفجار مفاجئ من الاختناق والتقيؤ، بالإضافة إلى قدر كبير من الخبط: وبدا من الصوت أن (ديرك) ابتلع شوكة سمكة. وأخيرا قال: «*المراوغ*؟ جريدة زينو لوفجود المجنونة؟».

قال (تيد): «إنها ليست مجنونة هذه الأيام. يجب أن تلقى عليها نظرة، أن زينو يقوم بطباعة كل الأخبار التى تتجاهلها *المتنبئ اليومى*، لا يوجد أى ذكر للسنوركاك مجعد القرن فى عددها الأخير. لا أدرى إلى متى سيدعونه يفعل ذلك، ولكن زينو يقول فى الصفحة الأولى من كل عدد إن أى ساحر ضد (أنت ـ تعرف ـ من)، يجب أن يجعل لمساعدة (هارى بوتر) الأولوية الأولى فى حياته».

قال (ديرك): «من الصعب مساعدة الصبى الذى اختفى من على وجه الأرض».

قال (تيد): «اسمع، إن عدم إمساكهم به حتى الآن يعد إنجازا كبيرا. كم أود لو بإمكانى أخذ بعض النصائح منه؛ إن ما نحاول القيام به هو البقاء أحرارًا، أليس كذلك؟».

قال (ديرك) بقوة: «نعم، حسنًا، إن لك حقًا فيما تقوله، إن الوزارة بجميع مخبريها يبحثون عنه، من الغريب أنهم لم يستطيعوا القبض عليه حتى الآن. ولكن يمكن أن يكونوا قد قبضوا عليه وقتلوه بدون أن ينشر الخبر فى الصحف؟».

غمغم (تيد): «آه، لا تقل ذلك يا (ديرك)».

ومرت فترة صمت طويلة لم يسمع فيها غير صوت الشوك والسكاكين. وعندما تكلموا مرة أخرى، ناقشوا ما إذا كان يجب أن يناموا على ضفة النهر أو يتراجعوا إلى الوراء نحو المنحدر الذى تغطيه الأشجار. وأخيرا قرروا بأن الأشجار ستعطيهم تغطية أفضل، وأطفئوا النيران، ثم تسلقوا صاعدين المنحدر، وتلاشت أصواتهم مبتعدة.

لف (هارى) ورون و(هرميون) الآذان القابلة للمد. كان (هارى) قد أجبر نفسه على التزام الصمت بصعوبة طوال المدة التى ظلوا ينصتون فيها، أما الآن فقد وجد نفسه غير قادر على أن يقول أى شيء سوى: «جينى ـ السيف..».

قالت (هرميون): «أعلم!».

واندفعت نحو حقيبتها الصغيرة المطرزة، ووضعت ذراعها اليمنى إلى الإبط داخلها هذه المرة.

وقالت من بين أسنانها المصرورة: «ها... هى..». وسحبت شيئًا، من الواضح أنها أخرجته من أعماق الحقيبة. وببطء، ظهرت حافة إطار الصورة المزخرف إلى حيز البصر. وأسرع (هارى) يساعدها. وعندما أخرجوا صورة فينياس نيجيلوس الفارغة من حقيبة (هرميون) التى وجهت عصاها نحوها، كانت مستعدة لرمى تعويذة فى أى لحظة.

وقالت (هرميون) وهى تنهج وهم يضعون اللوحة على جانب الخيمة: «إذا كان شخص ما قد بدل السيف الحقيقى بآخر مزيف وهو فى مكتب (دمبلدور). فإن فينياس نيجيلوس قد رأى ذلك وهو يحدث، فهو معلق بجوار صندوق السيف الزجاجى!».

قال (هارى): «إلا إذا كان نائمًا». لكنه كتم أنفاسه، بينما جثت (هرميون) على ركبتيها أمام اللوحة الفارغة، وعصاها موجهة إلى مركزها، وتنحنحت ثم قالت: «أى.. (فينياس)؟ (فينياس نيجيلوس)؟».

لم يحدث شيء.

قالت (هرميون) مرة أخرى: «(فينياس نيجيلوس)؟ الأستاذ (بلاك)؟ لو سمحت، هل يمكننا أن نتحدث إليك؟ أرجوك؟».

قال صوت بارد ساخر: «القليل من التهذيب دائمًا يساعد». وظهر فينياس نيجيلوس فى لوحته وصاحت (هرميون) على الفور: «*أوبسكورو!*».

وظهرت غمامة سوداء فوق عينى فينياس نيجيلوس الذكية، مما جعله يهتز داخل إطار اللوحة ويصرخ من الألم.

«مـاذا ـ كيف تجرؤ ـ ما لكم؟».

قالت (هرميون): «أنا آسفة جدًا يا أستاذ بلاك. ولكنه احتياط ضرورى!».

«أزيلى هذه الإضافة الفظيعة فورًا! أقول لكِ أزيليه! إنك تخربين عملاً فنيًا عظيمًا! أين أنا؟ ماذا يجرى؟».

قال (هارى): «لا تشغل بالك بمكاننا». وتجمد فينياس نيجيلوس وتخلى عن محاولاته لتقشر الغمامة المرسومة على عينيه.

«هل من الممكن أن يكون ذلك صوت السيد بوتر المراوغ؟».

قال (هارى): «ربما». حتى يبقى على اهتمام فينياس نيجيلوس، وأضاف: «لدينا سؤالان نطلب إجابة عنهما ـ عن سيف (جريفندور)».

قال فينياس نيجيلوس وهو يحول رأسه من هنا إلى هناك محاولا أن يرى (هارى): «آه، نعم. لقد تصرفت تلك الفتاة السخيفة برعونة هناك..».

قال (رون) بخشونة: «لا تتكلم عن أختى». ورفع فينياس نيجيلوس حاجبيه بغطرسة.

وسأل وهو يحول رأسه من جانب إلى جانب: «من هنا أيضًا؟ إن طريقة كلامكم لا تعجبنى! لقد كانت الفتاة وأصدقاؤها متهورين بشدة. لقد وصل بهم الأمر لمحاولة سرقة ناظر المدرسة!».

قال (هارى): «لم يكونوا يسرقون. فالسيف ليس ملك سناب».

قال فينياس نيجيلوس: «إنه ينتمى إلى مدرسة الأستاذ سناب. ما الذى دعا تلك الفتاة (ويزلى) لتفعل شيئا كهذا بالضبط؟ إنها تستحق العقاب الذى وقع عليها، هى وذلك المعتوه لونجبوتم وغريبة الأطوار لوفجود!».

قالت (هرميون): «نيفيل ليس معتوها ولونا ليست غريبة الأطوار!».

قال فينياس نيجيلوس وهو يصارع الغمامة مرة أخرى: «أين أنا؟ أين أتيتم بى؟ لماذا قمتم برفع لوحتى من منزل أجدادى؟».

قال (هارى) بإلحاح: «لا تهتم بذلك! كيف عاقب سناب جينى ونيفيل ولونا؟».

«لقد أرسلهم *الأستاذ* سناب إلى الغابة المحرمة، ليقوموا ببعض الأعمال لذلك الأحمق، هاجريد».

قالت (هرميون) بصوت أجش: «إن هاجريد ليس أحمق!».

قال (هارى): «ربما ظن سناب أن هذا عقاب، ولكن جينى ونيفيل ولونا فى الأغلب ضحكوا مع هاجريد من هذا الأمر. الغابة المحرمة... لقد واجهوا أشياء كثيرة أسوأ بكثير من الغابة المحرمة!».

شعر بالارتياح؛ لقد خطرت على باله أشياء مرعبة، تعويذة التعذيب على أقل تقدير.

«ما نريد أن نعرفه يا أستاذ بلاك، هو ما إذا كان أى شخص آخر قد أخرج السيف من مكانه أبدًا؟ ربما أخذ بعيدا للتنظيف أو كشىء من هذا القبيل!».

توقف فينياس نيجيلوس مرة أخرى عن محاولاته لتحرير عينيه وضحك ساخرًا.

وقال: «أبناء العامة. إن الدروع التى يصنعها الأقزام الأسطوريون لا تحتاج إلى التنظيف، أيتها الفتاة الساذجة. إن فضة الأقزام الأسطوريين تصد التراب العادى، ولا تتشرب إلا بالشىء الذى يقويها».

قال (هارى): «لا تدعو (هرميون) بالساذجة».

قال فينياس نيجيلوس: «لقد مللت هذا التناقض. ربما حان الوقت لعودتى إلى مكتب الناظر؟».

وبدأ يتلمس طريقه إلى جانب الإطار وهو لا يزال معصوب العينين، محاولا أن يجد له مخرجا من اللوحة ليعود إلى لوحته الأخرى فى (هوجوورتس). وهبط على (هارى) إلهام مفاجئ.

وقال: «(دمبلدور)! ألا تستطيع أن تأتى إلينا بدمبلدور؟».

قال فينياس نيجيلوس: «أستميحك عذرا؟».

«لوحة الأستاذ (دمبلدور) ـ ألا تستطيع إحضاره معك إلى هنا، إلى داخل لوحتك؟».

حول فينياس نيجيلوس وجهه فى اتجاه صوت (هارى).

«من الواضح أنه ليس أبناء العامة هم وحدهم الجهلة يا بوتر. إن صور (هوجوورتس) تستطيع التنقل ما بين بعضها البعض، ولكنها لا تستطيع السفر إلى خارج القلعة إلا لزيارة لوحة أخرى لأشخاصهم فى مكان آخر. إن (دمبلدور) لا يمكنه القدوم معى إلى هنا، وبعد المعاملة السيئة التى تلقيتها منكم، أستطيع أن أؤكد لكم أننى لن أعود لزيارتكم مرة أخرى!».

وأخذ (هارى) يراقب فينياس وهو يضاعف محاولاته لمغادرة الإطار وهو يشعر ببعض الإحباط.

قالت (هرميون): «أستاذ بلاك، رجاء: هل يمكنك أن تخبرنا متى كانت آخر مرة أخذ فيها السيف من صندوقه؟ أقصد قبل أن تأخذه؟».

نخر فينياس من قد ضاق ذرعا.

«أعتقد أن آخر مرة رأيت فيها سيف (جريفندور) يغادر صندوقه عندما استخدمه الأستاذ (دمبلدور) فى كسر خاتم وفتحه».

تحولت (هرميون) لتنظر إلى (هـارى). لم يتجرأ أى منهم على قول أى شىء أمام فينياس نيجيلوس الذى نجح أخيرا فى الوصول إلى المخرج.

وقال بلهجة لاذعة قليلاً: «حسنًا، ليلة طيبة لكم». وبدأ فى الخروج بعيدا عن نظرهم من جديد. وكان قد اختفى ولم يبق إلا حافة قبعته ظاهرا، عندما صاح (هـارى) فجأة.

«انتظر! هل أخبرت سناب بما رأيته؟».

وعاد (فينياس نيجيليوس)بوجهه المعصوب العينين إلى الصورة.

«إن الأستاذ (سناب) لديه أشياء أهم تشغله أكثر من غرائب (ألباس دمبلدور) العديدة. وداعًا يا (بوتر)!».

واختفى بعد ذلك تمامًا، ولم يترك وراءه شيئًا سوى الخلفية المظلمة.

صاحت (هرميون): «هـارى!».

صرخ (هـارى): «أعلم!». ولكم الهواء فى محاولة لاحتواء مشاعره؛ لقد كان ذلك أكثر مما تجرأ على أن يحلم به. وأخذ يمشى جيئة وذهابا فى الخيمة، وهو يشعر أنه يستطيع الجرى لمسافة ميل؛ إنه حتى لم يعد يشعر بالجوع. وأعادت (هرميون) لوحة فينياس نيجيلوس إلى حقيبتها المطرزة؛ وأغلقت مشبكها ورمت الحقيبة جانبا ورفعت وجها ساطعا إلى (هـارى).

«هذا السيف يستطيع تدمير الهوركروكس! إن الشفرات التى يصنعها الأقزام الأسطوريون لا تتشرب إلا بما يقويها ـ يا (هـارى)، إن هذا السيف مشرب بسم الباسيليك!».

«ولم يعطه (دمبلدور) لى؛ لأنه كان مازال فى حاجة إليه، أراد استخدامه على القلادة..».

«..ومن المؤكد أنه أدرك أنهم لن يعطوه لك لو تركه لك فى وصيته..».

«..ولذلك صنع نسخة منه..».

«..ووضع السيف المزيف فى الصندوق الزجاجى..».

«..ووضع الحقيقى... أين؟».

وحدقا فى بعضهما البعض؛ وشعر (هـارى) أن الجواب معلق فوقهم فى الهواء بدون أن يروه ولكنه قريب دون أن يدركوه. لماذا لم يخبره (دمبلدور)؟ أم أنه أخبر (هـارى) بالفعل، ولكن (هـارى) لم يدرك ذلك فى وقته؟».

همست (هرميون): «فكر! فكر! أين يمكن أن يكون تركه؟».

قال (هارى) وقد استأنف المشى: «ليس فى (هوجوورتس)».
اقترحت (هرميون): «فى مكان ما فى (هوجسميد)؟».
قال (هارى): «فى الكوخ الصارخ؟ لا أحد يدخل هناك على الإطلاق».
«ولكن سناب يعرف كيف يدخله، ألن يكون ذلك مخاطرة؟».
وذكرها (هارى): «لقد كان (دمبلدور) يثق بسناب».
قالت (هرميون): «ليس بما يكفى لأن يقول له إنه بدل السيفين».
قال (هارى): «نعم، أنت على حق!». وشعر بتفاؤل أكثر من فكرة أن (دمبلدور) كانت لديه بعض التحفظات على استحقاق سناب للثقة، مهما صغرت، وقال: «وهكذا، هل من الممكن أن يكون أخفى السيف فى مكان بعيد عن (هوجسميد) إذن؟ ماذا تظن يا (رون)؟ (رون)؟».
ونظر (هارى) حوله، وخطر له للحظة، أن (رون) غادر الخيمة، ثم أدرك أنه كان مستلقيا على السرير الأسفل وهو يبدو مصدوما.
قال: «آه، لقد تذكرتمونى أخيرا؟».
«ماذا؟».
نخر (رون) وهو يحدق فى الجانب السفلى من السرير العلوى.
«استمرا أنتما الاثنان. لا تدعانى أفسد متعتكما».
نظر (هارى) حائرا إلى (هرميون) يطلب المساعدة، لكنها هزت رأسها، كانت على ما يبدو لا تفهم الأمر مثله.
سأله (هارى): «ما المشكلة؟».
قال (رون) وهو ما يزال يرفض النظر إلى (هارى): «المشكلة؟ لا توجد أى مشكلة، ليس بالنسبة لكم، على أى حال».
وسمعوا نقرًا على قماش الخيمة فوق رءوسهم. لقد بدأت السماء تمطر.
قال (هارى): «حسنًا، من الواضح أن لديك أنت مشكلة، هلا أفصحت عنها إذا سمحت؟».
نقل (رون) سيقانه الطويلة خارج السرير وجلس. وبدا خبيثًا على عكس طبيعته.
«حسنًا، سوف أقول لك. لا تتوقع منى القفز فرحًا داخل الخيمه لأن هناك شيئًا آخر ملعونًا علينا العثور عليه. أضف ذلك إلى قائمة الأشياء التى لا تعرفها».
كرر (هارى): «لا أعرفها؟ لا أعرفها؟».

واشتد سقوط المطر أكثر؛ وسمعوا صوت قطراته وهى تسقط على ورق الشجر المنثور على ضفة النهر من حولهم، ثم ينجرف إلى النهر المتدفق فى الظلام مغرقًا معه ابتهاج هارى؛ لقد قال (رون) ما كان يخشى ويشتبه من أنه يفكر فيه بالضبط.

قال (رون): «ليس لأنى لا أقضى أفضل وقت فى حياتى هنا، ولكن بعد أن جرحت ذراعى ولم نعد نجد ما نأكله وتجمد ظهرى من البرد كل ليلة، وبعد أسابيع التنقل الطويلة، كنت آمل فقط أن نكون قد حققنا أى تقدم».

قالت (هرميون): «رون». ولكن بصوت هادئ منخفض، يمكن لـ (رون) أن يدعى أنه لم يسمعه بسبب صوت المطر المدوى الذى كان يضرب على الخيمة.

قال (هارى): «كنت أعتقد أنك تعرف ما تطوعت للقيام به».

«نعم، لقد اعتقدت ذلك أنا أيضًا».

سأله (هارى) غاضبا: «ما الجزء الذى لا يرقى لتوقعاتك، إذن؟ هل كنت تتوقع أن نقيم فى فنادق الخمس نجوم؟ ونجد هوركروكس كل يوم؟ هل اعتقدت أنك ستعود لأمك بحلول عيد الميلاد؟».

صاح (رون) وهو يقف: «كنا نظن أنك تعرف ما تفعل! اعتقدنا أن (دمبلدور) قد قال لك ماذا تفعل، اعتقدنا أن لديك خطة حقيقية!». وشعر (هارى) بأن كلماته تطعنه كالخناجر.

قالت (هرميون): «رون!». كان صوتها هذه المرة مسموعًا بوضوح أعلى صوت المطر الذى يدوى على سقف الخيمة، ولكنه تجاهلها مرة أخرى.

قال (هارى) بصوت هادئ تمامًا حتى وإن شعر بأنه أجوف، وغير مناسب: «حسنًا، آسف لأنى خيبت أملك، لقد كنت واضحًا معكم منذ البداية، وأخبرتكم بكل ما أخبرنى به (دمبلدور). وإذا كنت لم تلاحظ، فقد وجدنا أحد الهوركروكسات..».

«نعم، ونحن لا نستطيع التخلص منه، بقدر ما نحن غير قادرين على إيجاد بقيتهم. ولم نقترب حتى من ذلك!».

قالت (هرميون) بصوت أكثر ارتفاعًا عن صوتها المعتاد: «اخلع هذه القلادة يا رون. أرجوك اخلعها. لم يكن ليصدر هذا الكلام منك، لو لم تكن ترتديها طوال اليوم».

قال (هارى) الذى لم يرد سماع أى ذرائع لـ (رون): «كان سيقوله، أتعتقدان أننى لم ألحظ أنكما تهمسان وراء ظهرى؟ أتعتقدان أننى لم أحدس أنكما كنتما تفكران فى هذه الأشياء؟».

«(هارى)، إننا لم نكن..».

صاح فيها (رون): «لا تكذبى! لقد قلتِ ذلك أيضًا، قلت إنك تشعرين بخيبة الأمل، وإنك كنت تظنين أن لديه خيوطًا أكثر نستطيع..».

بكت قائلة: «لم أقل ذلك بهذه الطريقة ـ لم أقله!».

كان المطر يقصف الخيمة، والدموع تنهمر على وجه (هرميون)، وتلاشى حماس الدقائق الماضية وكأنه لم يكن، مثل ألعاب نارية قصيرة الأجل، اشتعلت وماتت لتترك وراءها كل شيء مظلمًا ورطبًا وباردًا. لم يكونوا يعرفون المكان المخبأ فيه سيف (جريفندور) وهم ليسوا أكثر من ثلاثة مراهقين فى خيمة. الإنجاز الوحيد الذى حققوه، وهو أنهم لم يلقوا حتفهم حتى الآن.

سأل (هارى) (رون): «لماذا لا تزال هنا إذن؟».

قال (رون): «لا أعرف».

قال (هارى): «عد إلى بيتك».

صاح (رون): «نعم، ربما سأفعل ذلك!». ثم أخذ عدة خطوات نحو (هارى) الذى لم يرجع إلى الوراء وقال: «ألم تسمع ما قالوه عن شقيقتى؟ ولكنك لا تهتم، إنها فقط الغابة المحرمة، أليس كذلك يا سيد (هارى بوتر) الذى لا يهمه ما يحصل لها هناك ـ حسنًا، أنا أهتم، هناك عناكب عملاقة والكثير من الأشياء المجنونة..».

«كنت أقول فقط ـ إنها مع الآخرين، وإنهم جميعا مع هاجريد».

«نعم، فهمت، إنك لا تهتم! وماذا عن بقية عائلتى، ألم تسمعوا ما قالوه: إن آل (ويزلى) لا تتحمل إصابات أخرى بين أولادها».

«نعم، أنا..».

«ولِم يخطر ببالكم ما الذى يعنيه ذلك مع هذا؟».

قالت (هرميون) وهى تدفع نفسها بينهما: «رون! لا أعتقد أن ذلك يعنى حدوث أى شيء جديد، أى شيء لا نعرفه؛ فكر يا (رون)، أن وجه بيل ممتلئ بالندوب فعلا، ولابد أن الكثير من الناس قد رأوا أن جورج قد فقد أذنه الآن، ومن المفترض أنك على فراش الموت. أنا على يقين من أن هذا كل ما قصده..».

«أوه، أنت متأكدة، أليس كذلك؟ حسنًا إذن، يجب ألا أزعج نفسى بخصوصهم. مادام الأمر على ما يرام بالنسبة لكما أنتما الاثنان، ومادام والداكما فى أمان بعيدًا عن..».

صاح (هارى): «لقد مات والداى!».

صاح (رون): «ويمكن أن يكون والداى ذاهبين إلى نفس الطريق!».

هدر (هارى): «اذهب إذن! عد إليهم، وتظاهر أنك شفيت من مرضك وسوف تكون أمك قادرة على إطعامك و..».

قام (رون) بحركة مفاجئة واستجاب (هارى)، ولكن قبل أن يتمكن أى منهم من إخراج عصاه من جيبه، رفعت (هرميون) عصاها.

وصاحت: «*بروتيجو!*». وظهر درع خفى بينهم، هى و (هارى) فى جهة ورون فى الجهة الأخرى؛ واضطروا جميعًا إلى التراجع إلى الوراء بضع خطوات من قوة التعويذة، وحدق (هارى) و(رون) ببعضهما البعض من خلال الحاجز الشفاف كما لو أنهم يشاهدان بعضهما بوضوح لأول مرة. وشعر (هارى) بالكراهية تجاه (رون) وأن شيئًا ما قد انكسر بينهما.

قال (هارى): «اترك الهوركروكس».

أخرج (رون) السلسلة من فوق رأسه وألقى القلادة على مقعد قريب ثم التفت إلى (هرميون).

«ماذا ستفعلين؟».

«ماذا تعنى؟».

«هل ستبقين، أم ماذا؟».

نظرت إليه متألمة وقالت: «أنا... نعم ـ نعم، سأبقى يا (رون)، لقد قلنا إننا سنذهب مع (هارى)، قلنا إننا سنساعد ـ؟».

«فهمت. لقد اخترتِهِ».

«(رون)، لا ـ أرجوك ـ عد، عد!».

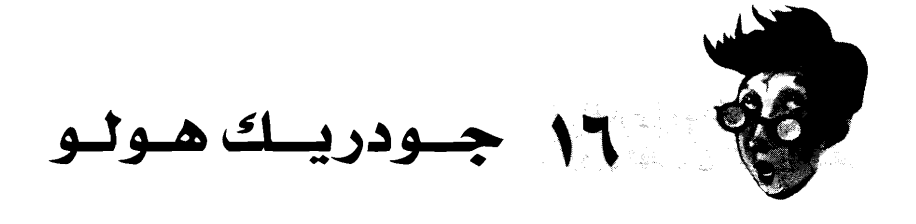
وعرقلتها تعويذة الدرع الخاصة بها؛ وبحلول الوقت الذى أزالتها فيه، كان قد خرج مندفعًا إلى الظلام بالخارج. ووقف (هارى) صامتًا بلا حراك، يستمع إليها وهى تنشج وتنادى اسم (رون) بين الأشجار.

وعادت بعد بضع دقائق وقد التصق شعرها بوجهها.

«لقد ذ ـ ذ ـ ذهب! انتقل آنيًا!».

وألقت بنفسها فى مقعد، وانكمشت على نفسها، وبدأت تبكى.

شعر (هارى) بالذهول. وانحنى، وحمل الهوركروكس ووضعه حول عنقه. وجر بطانيات من سرير (رون) وألقى بهم على (هرميون)، ثم تسلق صاعدًا إلى سريره وأخذ يحدق فى سقف الخيمة القماش المظلم ويستمع إلى قصف المطر.



١٦ جـودريـك هـولـو

عندما استيقظ (هارى) فى اليوم التالى، قضى عدة ثوان قبل أن يتذكر ما حدث. ثم تمنى مثل الأطفال أن ما حدث كان حلمًا، وأن (رون) لا يزال هناك ولم يغادر أبدًا. ولكنه ما إن قام بتحويل رأسه على الوسادة، حتى أمكنه أن يرى سرير (رون) الخالى. وبدا فى نظره من الوجهة التى نظر بها إليه مثل جثة. وقفز (هارى) نازلاً من فوق سريره، متجنبًا النظر إلى سرير رون. لم تقل له (هرميون) التى كانت بالفعل مشغولة فى المطبخ، صباح الخير، وحولت وجهها بعيدًا بسرعة عندما اقترب منها.

وقال (هارى) فى نفسه: *لقد رحل*. لقد رحل فعلاً. وظل يكررها فى فكره وهو يغتسل ويرتدى ثيابه وكأن التكرار سوف يخفف من صدمته. *لقد رحل ولن يعود*. وعرف (هارى) أن هذه هى الحقيقة؛ لأن تعاويذ الحماية التى يضعونها حولهم تعنى أنه سيكون من المستحيل أن يجدهم (رون) مرة أخرى بعد إخلاء هذا المكان.

أكلا هو و(هرميون) الإفطار فى صمت. ولاحظ (هارى) عينيها المنتفختين والمحمرتين؛ بدت وكأنها لم تذق النوم. وجمعوا أشياءهم، وتلكأت (هرميون). كان (هارى) يعرف لماذا أرادت تضييع وقتهم على ضفة النهر؛ فقد شاهدها عدة مرات ترفع وجهها بتوقع، وكان متأكدًا من أنها تخدع نفسها بالاعتقاد بأنها سمعت خطوات خلال الأمطار الغزيرة، ولكن لم يظهر أى شخص أحمر الشعر بين الأشجار. وفى كل مرة، يفعل (هارى) مثلها، وينظر حوله (لأنه لم يستطع أن يمنع نفسه من القليل من الأمل أيضًا) ولم يكن يرى سوى الغابة التى اجتاحتها الأمطار، وتفجر داخله بعض الغضب. كان يمكنه سماع (رون) وهو يقول: «*كنا نظن أنك تعرف ما تفعله!*». واستأنف حزم الأمتعة وهو يشعر بعقدة مؤلمة داخل معدته.

أخذ النهر العكر بجوارهم يرتفع بسرعة وبدا أن الماء سيفيض قريبًا على ضفتيه. تأخروا ما يقرب من الساعة عن الموعد الذى يغادرون فيه عادة مخيمهم. وأخيرًا، بعد أن أتمت حزم متاعهم داخل حقيبتها المطرزة ثلاث مرات، بدت (هرميون) عاجزة عن إيجاد أسباب أخرى لتأخير رحيلهم: وأمسكت بيد

(هارى) وانتقلوا آنيًا، ليعاودوا الظهور فى منطقة تلال تغطيها نباتات الخلنج وتجتاحها رياح قوية.

وفى اللحظة التى وصلوا فيها، تركت (هرميون) يد (هارى) ومشت بعيدًا عنه، وجلست على صخرة كبيرة، ووجهها على ركبتيها، وهى تهتز من البكاء. وأخذ يراقبها وهو يعرف أنه يجب أن يذهب ليواسيها، ولكن شيئًا ما جعله يقف مكانه بلا حراك. شعر بالبرد والضيق يجتاح كل شىء داخله: وتذكر تعبير الازدراء الذى ارتسم على وجه (رون) مرة أخرى. ومشى (هارى) خلال نباتات الخلنج، فى دائرة واسعة مركزها (هرميون) المضطربة بشدة وأخذ يؤدى التعاويذ التى كانت تؤديها عادة لضمان حمايتهم.

ولم يناقشا موضوع (رون) فى الأيام التى تلت ذلك اليوم. كان (هارى) مصممًا على عدم ذكر اسمه مرة أخرى، وبدا أن (هرميون) تعرف أنه لا فائدة من ذكر هذه المسألة، وإن كان أحيانًا يسمعها فى الليل وهى تبكى عندما تظن أنه نائم. وفى هذه الأثناء، أخرج (هارى) خارطة المارودر وبدأ يفحصها فى ضوء المصباح، منتظرا اللحظة التى تظهر فيها النقطة المكتوب عليها اسم (رون) فى أروقه (هوجوورتس)، لتثبت أنه قد عاد إلى القلعة المريحة، محتميًا بمركزه كأحد ذوى الدم النقى. لكن (رون) لم يظهر على الخارطة، وبعد حين وجد (هارى) نفسه يخرجها لمجرد التحديق فى اسم جينى فى عنبر نوم الفتيات، متسائلا عما إذا كانت التركيز الشديد الذى يتأملها به قد يصلها وهى نائمة بطريقة ما لتعرف أنه يفكر بها، ومتمنيًا أن تكون بخير.

بالنهار كرسا نفسيهما لمحاولة تحديد المواقع المحتملة لسيف (جريفندور)، ولكن كلما تحدثوا أكثر عن الأماكن التى يمكن أن يكون (دمبلدور) خبأه فيها، زادوا يأسًا وشعروا بمدى بُعد ما يبحثون عنه. وأجهد (هارى) فكره ليحاول تذكر كل ما قاله له (دمبلدور)، ولكنه لم يتذكر أبدًا ذكره لمكان يمكن أن يخفى فيه شيئًا. ومرت به لحظات، لم يعرف إن كان غضبه من (رون) أكثر أم غضبه من (دمبلدور). *كنا نظن أنك تعرف ما تفعل! اعتقدنا أن (دمبلدور) قد قال لك ماذا تفعل... كنا نظن أن لديك خطة حقيقية!*

لم يستطع أن يخفى ذلك عن نفسه: كان (رون) محقًا. لم يترك له (دمبلدور) شيئًا تقريبًا. لقد وجدوا هوركروكس واحدًا، وليس لديهم أى وسائل لتدميره: كما ليس لديهم وسيلة للوصول لباقى الهوركروكسات. وشعر باليأس يهدد بأن يغمره.

وشعر بالصدمة عندما فكر فى جرأته فى القبول بعرض أصدقائه بمرافقته فى هذه الرحلة التى بلا هدف ولا جدوى. لم يكن يعرف شيئًا وليست لديه أية أفكار، وكان ينتظر متألمًا، أبدًا (هرميون)، لأية إشارات تدل على أنها على وشك أن تقول له أنها اكتفت من كل ذلك، وسترحل.

كانا يقضيان الكثير من الأمسيات وهما صامتان تقريبًا. واعتادت (هرميون) أن تخرج صورة فينياس نيجيلوس وتضعها على كرسى، وكأنها ستشغل جزءًا من الفراغ الذى تركه رحيل رون. ورغم زعمه السابق بأنه لن يقوم بزيارتهما مرة أخرى، لم يبد فينياس نيجيلوس قادرًا على مقاومة فرصة معرفة المزيد عما ينويه (هارى) وظل يظهر في صورته معصوب العينين كل بضعة أيام. وكان (هارى) يسعد برؤيته، على أنه نوع من الصحبة، حتى وإن كانت من النوع الكاذب السخيف لم يستمتعا بأية أخبار مما يحدث فى (هوجوورتس)، وإن لم يكن (فينياس نيجيلوس) مخبرًا مثاليًا؛ لأنه يبجل سناب، كأول ناظر للمدرسة من (سليذرين) منذ كان يتولى هو نفسه إدارتها، وبالتالى، عليهم أن يحرصوا على عدم انتقاده أو طرح أى أسئلة وقحة حول سناب و إلا غادر فينياس نيجيلوس لوحته على الفور.

لكنه، لم يستطع منع نفسه من ذكر بعض الأخبار لهم دون قصد. ويبدا أن سناب يواجه قدرًا من التمرد شبه الدائم من مجموعة من الطلاب. فقد منعت جينى من الذهاب إلى (هوجسميد). وأعاد سناب فرض مرسوم (أمبريدج) القديم الذى يحظر تجمع ثلاثة أو أكثر من الطلبة أو أى تجمع غير رسمى للطلاب.

ومن كل هذه الأشياء، استنتج (هارى) أن جينى، وربما (نيفيل) و(لونا) معها، يبذلون قصارى جهدهم لمواصلة جيش (دمبلدور). وقد جعلت هذه الأخبار (هارى) يرغب بشدة فى رؤية جينى: حتى أصبح شعوره ذلك مثل ألم مزمن فى المعدة؛ بل جعلته يفكر فى (رون) مرة أخرى، وفى (دمبلدور) وفى (هوجوورتس) نفسها، والتى يفتقدها بقدر افتقاده لصديقته السابقة. فى الواقع كلما تحدث فينياس نيجيلوس عن قيام سناب بتشديد إجراءات القمع ضد الطلاب، تمر به لحظات من الجنون يتصور فيها عودته إلى المدرسة للانضمام إلى الحملة الموجهة إلى زعزعة استقرار نظام سناب: وبدت فكرة أن يأكل جيدًا ويجد سريرًا ناعمًا ينام عليه، بينما هناك أشخاص آخرون فى موقع المسئولية، أفضل شىء يطمح إليه فى العالم فى هذه اللحظة. ثم تذكر أنه غير المرغوب فيه رقم واحد، وأن هناك عشرة آلاف جاليون مرصودة لمن يقبض عليه، وأن الدخول إلى

(هوجوورتس) فى هذه الأيام، فى نفس خطورة الدخول إلى وزارة السحر. وقد أكد فينياس نيجيلوس هذه الحقيقة سهوًا، فى كل مرة كان يبدأ فيها بالسؤال عن مكان وجود (هارى) و(هرميون). وكانت (هرميون) تدخله داخل حقيبتها المطرزة فى كل مرة يفعل ذلك، بينما يرفض فينياس نيجيلوس الظهور فى لوحته لعدة أيام بعد هذا الوداع الخالى من الرسميات.

وازدادت برودة الطقس أكثر وأكثر. ولم يجرءا على البقاء فى منطقة واحدة لوقت طويل، ولذلك بدلاًمن البقاء فى جنوب إنكلترا، حيث أصبحت الأرض التى يغطيها الصقيع هى أسوأ همومهما، استمرا فى التنقل فى أنحاء البلاد، وخيما مرة فى منطقة جبلية،أغرق مطرها الثلجى الخيمة؛ ومرة فى مستنقع واسع، ملأت مياهه الباردة الخيمة؛ وأخرى فى جزيرة صغيرة فى منتصف بحيرة أسكتلندية، دفنت خيمتهما فى ثلوجها أثناء الليل.

وبدأا يلاحظان أشجار عيد الميلاد تتلألأ من عدة نوافذ لغرف جلوس قبل وصولهم بليلة عندما اقترح فيها (هارى)، مرة أخرى، ما بدا وكأنه الطريق الوحيد الموجود أمامهما ولم يقوما باستكشافه. كانا قد انتهيا من أكل وجبة طعام جيدة على غير المعتاد: حيث دخلت (هرميون) إلى سوبر ماركت تحت عباءة الإخفاء (وأسقطت المال داخل صندوق نقود مفتوح وهى خارجة)، وفكر (هارى) أنها قد تكون قابلة للإقناع أكثر من المعتاد بعد أن ملأت معدتها بالمكرونة الإسباجتى والكمثرى المعلبة. كما كان لديه بعد النظر ليقترح أخذ بضع ساعات راحة من ارتداء الهوركروكس، الذى قاموا بتعليقه فوق نهاية السرير بجواره.

«(هرميون)؟».

«نعم؟». كانت جالسة على أحد المقاعد المرتخية ذات الذراعين، تقرأ كتاب *حكايات بيدلى الشاعر*. لم يستطع تصور كم من الوقت الذى استغرقته فى قراءة الكتاب، الذى لم يكن، على كل حال، كبيرًا جدًّا، ولكن من الواضح أنها ما زالت تفك شيئًا؛ لأن كتاب *أبجدية سبيلمان* كان مفتوحا فوق ذراع المقعد.

تنحنح (هارى) وشعر بالضبط كما كان يشعر فى مناسبة مماثلة، قبل عدة سنوات، عندما طلب من الأستاذة ماكجونجال إن كان بإمكانه الذهاب إلى (هوجسميد)، بالرغم من حقيقة أنه لم يقنع (آل درسلى) بالتوقيع على الإذن الكتابى.

«(هرميون)، لقد كنت أفكر، و...».

«(هارى)، هل يمكنك مساعدتى فى شىء؟».
من الواضح أنها لم تكن تستمع إليه. ومالت إلى الأمام ورفعت كتاب *حكايات بيدلى الشاعر*.
وقالت: «انظر إلى هذا الرمز». وأشارت إلى قمة الصفحة. فوق ما افترض (هارى) أنه عنوان القصة (بما أنه لا يستطيع قراءة الطلاسم، فإنه لا يمكن أن يتأكد)، كانت هناك صورة لما بدا مثل عين مثلثة، يقطع بؤبؤها خطًا رأسيًا.
«أنا لم أدرس الطلاسم القديمة يومًا يا (هرميون)».
«أعرف هذا؛ ولكنها ليست طلاسم وليست موجودة فى الأبجدية أيضًا. لقد ظننت أنها صورة عين، ولكنى لا أعتقد أنها فعلاً كذلك! انظر، لقد رسمها أحدهم هنا، وليست فى الحقيقة جزءًا من هذا الكتاب. فكر، هل حدث أن رأيت ذلك الرمز من قبل؟».
قال (هارى): «لا... لا، انتظرى لحظة». ودقق (هارى) النظر وقال: «أليس هذا هو نفس الرمز الذى كان يرتديه والد لونا حول عنقه؟».
«حسنًا، هذا ما فكرت فيه أيضًا!».
«إذن فهو رمز جريندلوالد».
حدقت فيه وقد فغرت فاها.
«*ماذا؟*».
«لقد أخبرنى (كرام)...».
وسرد لها القصة التى أخبره بها (فيكتور كرام) فى حفل الزفاف. بينما تنظر إليه فى دهشة.
« رمز جريندلوالد؟».
وأخذت تنقل نظرها ما بين (هارى) والرمز العجيب. وقالت: «لم أسمع من قبل أن (جريندلوالد) له رمز. لا توجد له أى إشارة على الإطلاق فى أى شىء قرأته».
«حسنًا، كما قلت، قال (كرام) إنه كان محفورًا على جدار فى مدرسة دورمسترانج وأن (جريندلوالد) هو من وضعه هناك».
واسترخت عابسة داخل مقعدها القديم مرة أخرى.
«هذا غريب جدًا. إنه رمز للسحر الأسود، ماذا يفعل فى كتاب لقصص الأطفال؟».
قال (هارى): «نعم، هذا غريب. والأغرب ألا يتعرف عليه سكريمجور. لقد كان وزيرًا ويتعين عليه أن يكون خبيرًا فى الأشياء التى لها علاقة بالسحر الأسود».

«أعرف... ربما كان رآها واعتقد أنها عين، مثلما فعلت. توجد فوق جميع القصص الأخرى صور صغيرة فوق العناوين».

لم تتكلم مرة أخرى واستمرت تحدق فى الرمز العجيب، وحاول (هارى) مرة أخرى.

«(هرميون)؟».

«هم؟».

«لقد كنت أفكر. أريد أن أذهب إلى جودريك هولو».

ورفعت بصرها إليه، ولكن عينيها كانت غير مركزة (زائغة)، وفكر أنها ما زالت تفكر بالعلامة الغامضة الموجودة بالكتاب.

قالت: «نعم، نعم، لقد فكرت فى هذا أيضًا. وأظن أننا يجب أن نذهب».

سألها: «هل سمعت ما قلته فعلاً؟».

«بالطبع سمعت. أنت تريد الذهاب إلى جودريك هولو. وأنا أوافق. أعتقد أننا ينبغى أن نفعل ذلك. أعنى أننى لا أستطيع التفكير فى أى مكان آخر يمكن أن يكون فيه أيضًا. سيكون ذلك على جانب كبير من الخطورة، ولكنى كلما فكرت بالأمر أكثر، ازددت اقتناعًا أنه هناك».

سأل (هارى): «ـ ماذا هناك؟».

وعند ذلك، بدت فى حيرة من أمرها مثله.

«حسنًا، السيف يا هارى! يجب أن يكون (دمبلدور) قد توقع رغبتك فى العودة إلى هناك، وما أقصده هو أن جودريك هولو هو مسقط رأس جودريك (جريفندور)..».

«حقا؟ جاء (جريفندور) من جودريك هولو؟».

«هل فتحت كتاب *تاريخ السحر* ولو مرة يا (هارى)؟».

وقال مبتسمًا لأول مرة منذ شهور حتى إنه شعر بتيبُّس غريب فى عضلات وجهه: «ربما قمت بفتحه مرة، أتعرفين، عندما اشتريته... فقط هذه المرة..».

قالت (هرميون): «حسنًا، كما أن القرية سميت على اسمه. كنت أظن أنك أدركت العلاقة». وبدت وكأنها قد عادت إلى طبيعتها أكثر بكثير مما بدت مؤخرًا؛ وأصبح (هارى) نصف متوقع أن تعلن أنها ذاهبة إلى المكتبة وأضافت: «هناك القليل عن القرية فى كتاب *تاريخ السحر*، انتظر..».

وفتحت حقيبتها المطرزة وفتشت فيها لبعض الوقت، وأخيرًا أخرجت نسخة من كتاب مدرسي قديم، *تاريخ السحر* تأليف (باثيلدا باجشوت) وأخذت تقلب الصفحات حتى وجدت الصفحة التي تريدها.

«*بمجرد التوقيع على القانون الدولي للسرية في 1689 اختبأ السحرة نهائيًا وكان من الطبيعي، ربما، أن يقوموا بتشكيل مجتمعات صغيرة خاصة بهم داخل المجتمع. واجتذبت العديد من القرى الصغيرة العديد من الأسر السحرية، والذين اجتمعوا معًا لتبادل الدعم والحماية. ومن القرى التي أصبحت مقار معروفة للعديد من أسر السحرة، قرية تينورث في كورنوال، وقرية فلاجلي العليا في يوركشير، وقرية أوتري سانت كاتشبول على الساحل الجنوبي لإنكلترا. وعاشت هذه الأسر جنبًا إلى جنب مع العامة المتسامحين الذين يتم مسح ذاكرتهم أحيانًا. وربما أكثر هذه الأماكن نصف السحرية في المسكن شهرة هي جودريك هولو، وهي القرية الموجودة في غرب البلاد التي ولد فيها الساحر العظيم (جودريك جريفندور)، والتي صنع فيها بومان رايت، الحداد السحري، أول سنيتش ذهبي. والمقبرة هناك مليئة بأسماء من الأسر السحرية القديمة، وهذا يفسر، بلاشك، قصص الأشباح والأرواح التي لازمت الكنيسة الصغيرة لعدة قرون*».

أغلقت (هرميون) الكتاب وقالت: «لا يوجد ذكر لك ولوالديك؛ لأن الأستاذة (باجشوت) لا تغطي أي شيء يتجاوز نهاية القرن التاسع عشر. ألا ترى؟ جودريك هولو، (جودريك جريفندور)، (سيف جريفندور)؛ ألا تعتقد أن (دمبلدور) قد توقع منك أن تدرك الصلة بينهم؟».

«آه، نعم..».

لم يرد (هاري) الاعتراف بأنه لم يفكر في السيف بالمرة، عندما اقترح الذهاب إلى جودريك هولو. بالنسبة إليه، أغراه زيارة القرية ووجود قبري والديه بها، والبيت الذي نجا فيه من الموت، وفي شخص (باثيلدا باجشوت).

وسألها في النهاية: «هل تذكرين ما قالته (موريل)؟».

«من؟».

تردد قليلاً؛ لأنه لم يشأ أن يذكر اسم (رون) وقال: «عمة جيني الكبرى. في حفل الزفاف. تلك التي قالت إن لك كاحلين نحيلين».

قالت (هرميون): «آه».

ومرت لحظة حرجة، وعرف (هاري) أنها استشعرت اسم (رون) في تردده. فأسرع يقول: «قالت إن (باثيلدا باجشوت) ما زالت تعيش في جودريك هولو».

غمغمت (هرميون): «(باثيلدا باجشوت)»، ومرت بإصبعها السبابة على اسم (باثيلدا) المنقوش على الغلاف الأمامى لكتاب *تاريخ السحر*. وأضافت: «حسنًا، افترض..».

وشهقت بصوت عال حتى أن معدة (هارى) انقلبت، وسحب عصاه ووجهها نحو مدخل الخيمة وهو شبه متوقع أن يرى يدًا تحاول فتحه بالقوة، ولكنه لم يجد شيئًا هناك.

وقال وهو شبه غاضب وشبه مرتاح: «ماذا؟ لماذا فعلت ذلك؟ لقد اعتقدت أنك رأيتِ أحد آكلى الموت يحاول دخول الخيمة، على الأقل..».

«(هارى)، *ماذا لو أن السيف لدى (باثيلدا)*؟ ماذا لو أن (دمبلدور) ائتمنها عليه؟».

فكر (هارى) فى هذا الاحتمال. إن (باثيلدا) ستكون امرأة عجوزًا إلى حد كبير الآن، ووفقًا لموريل، قد أصبحت «مخرفة». هل من المحتمل أن يكون (دمبلدور) قد خبأ سيف (جريفندور) معها؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد شعر (هارى) أن (دمبلدور) قد ترك الكثير للمصادفة: فهو لم يكشف لـ (هارى) أبدًا أنه بدل بالسيف آخر مزيفًا، كما أنه لم يذكر أبدًا صداقته مع (باثيلدا). ولكن الوقت لم يكن مناسبًا للتشكيك فى نظرية (هرميون)، ليس عندما تكون مستعدة بشكل مفاجئ لمشاركة (هارى) فى أعز أمنية لديه.

«نعم، يمكن أن يكون قد فعل! إذن، هل نحن ذاهبان إلى جودريك هولو؟».

وجلست معتدلة وقالت: «نعم، ولكن يجب أن نفكر فى الأمر بعناية يا (هارى)». وعرف (هارى) أن احتمال وجود خطة ثانية قد رفع معنوياتها مثلما فعل معه وأضافت: «بداية، يجب أن نتدرب على الانتقال آنيًا معًا تحت عباءة التخفى، وربما تكون تعاويذ الإيهام مناسبة أيضًا، إلا إذا كنت تعتقد أننا يجب أن نستخدم وصفة التخفى؟ فى هذه الحال سنحتاج إلى جمع الشعر من شخص ما. أعتقد أننا من الأفضل أن نقوم بذلك يا (هارى)، كلما زاد تنكرنا، كان ذلك أفضل..».

وتركها (هارى) تتكلم، وأخذ يومئ موافقًا كلما توقفت عن الكلام، ولكن عقله ذهب بعيدًا عن المحادثة. لأول مرة - منذ اكتشف أن السيف الموجود فى جرينجوتس مزيف - يشعر بالحماس.

أخذ يفكر أنه على وشك العودة إلى دياره، وعلى وشك العودة إلى المكان الذى عاشت فيه عائلته. لولا (فولدمورت)، لكان من الممكن أن يكون جودريك هولو هو

المكان الذى نشأ فيه، والذى يعود إليه كل إجازة مدرسية. كان من الممكن أن يدعو أصدقاءه إلى منزله... وأن يكون له إخوة وأخوات... وأن تكون والدته هى التى صنعت له كعكة عيد ميلادهالسابع عشر. لم تبد له الحياة التى فقدها حقيقية أبدًا لهذه الدرجة مثل هذه اللحظة، عندما علم أنه على وشك رؤية المكان الذى أُخِذَ منه فيها. وبعد أن ذهبت (هرميون) إلى السرير فى تلك الليلة، أخرج (هارى) حقيبة الكتف الخاصة به من حقيبتها المطرزة، وأخرج من داخلها ألبوم الصور الذى أعطاه له هاجريد منذ زمن طويل. وللمرة الأولى منذ أشهر، أخذ ينظر إلى صور والديه القديمة، وهما يبتسمان ويلوحان له من داخل الصور، التى كانت كل ما بقى منهما لديه الآن.

ودَّ (هارى) لو أنه يستطيع التوجه إلى جودريك هولو فى اليوم التالى، لولا أن (هرميون) فكرت بشكل آخر. كانت مقتنعة بأن (فولدمورت) سيتوقع عودة (هارى) إلى المكان الذى شهد وفاة والديه، لذلك صممت على عدم رحيلهم إلى هناك قبل أن يتأكدوا من حصولهم على أفضل تنكر ممكن. ومر أسبوع كامل، حصلا فيه خلسة على شعرات من بعض العامة الأبرياء الذين يتسوقون من أجل عيد الميلاد، وأتقنا فيه الانتقال آنيًّا معًا تحت عباءة الإخفاء، قبل أن توافق (هرميون) أخيرا على القيام بالرحلة.

واتفقا على الانتقال آنيًّا إلى القرية تحت جنح الظلام، وفى وقت متأخر من بعد الظهر، ابتلعا وصفة التخفى أخيرًا. وتحول (هارى) إلى رجل عامى أصلع فى منتصف العمر وأصبحت (هرميون) زوجته القصيرة التى لها وجه يشبه الفأرة ووضعت (هرميون) حقيبتها الصغيرة المطرزة التى تحتوى على جميع ممتلكاتهما (ماعدا الهوركروكس، الذى ارتداه (هارى) حول عنقه) داخل جيب معطفها الداخلى. ووضع (هارى) عباءة الإخفاء عليهما، ثم دخلا إلى الظلمة الخانقة مرة أخرى.

وفتح (هارى) عينيه، وهو يشعر أن قلبه يدق فى حنجرته. كانا يقفان يدًا فى يد فى ممر مغطى بالثلج تحت سماء زرقاء مظلمة، تلمع فيها أول نجوم المساء بضعف.. بينما تراصت الأكواخ على جانبى الطريق الضيق، وقد تلألأت زينة عيد الميلاد فى نوافذها. وعلى بعد قليل فى الطريق أمامهما، دل التوهج الذهبى لمصابيح الشارع على مركز القرية.

همست (هرميون) تحت العباءة: «كل هذا الثلج! لماذا لم نفكر في الثلج؟ بعد كل الاحتياطيات التي قمنا بها، ستترك أقدامنا آثارًا فوق الثلج! يجب أن نتخلص منها - كن أنت في المقدمة، سأقوم أنا بهذا..».

لم يرد (هاري) الدخول إلى القرية مثل الحصان في التمثيليات الهزلية الصامتة، حتى يبقيا أنفسهما مخفيين بينما يغطيان على آثارهما بالسحر.

قال (هاري): «لنخلع العباءة». وعندما ظهر عليها الخوف، أضاف: «أوه، هيا، نحن لا نبدو كأنفسنا ولا يوجد أحد حولنا».

ووضع العباءة في جيب سترته، وتابعا طريقهما إلى الأمام دون عوائق، ولسع الهواء البارد وجهيهما، وهما يمران بالمزيد من الأكواخ. من الممكن أن يكون أي واحد منهما هو الكوخ الذي عاش فيه (جيمس) و(ليلي) أو تعيش فيه (باثيلدا) الآن. وتأمل (هاري) الأبواب الأمامية للأكواخ، وسقوفها المثقلة بالثلوج، وسقائفها الأمامية، متسائلاً إن كان يمكنه تذكر أي منها، وإن عرف في أعماقه استحالة ذلك؛ لأن عمره لم يكن يزيد إلا قليلاً عن السنة عندما ترك هذا المكان إلى الأبد. لم يكن متأكدًا حتى من أنه سيكون قادرًا على رؤية المنزل على الإطلاق؛ فهو لا يعرف ما يحدث عندما يموت الخاضعون لتعويذة عدم كشف السر. ثم انعطف الممر الذي يمشيان فيه إلى اليسار وظهر ميدان صغير أمامهما.

كان محاطًا في جميع أنحائه بحبال من المصابيح الملونة، وهناك ما بدا مثل نصب تذكاري حربي في وسطه، تحجبه جزئيًا شجرة عيد الميلاد تجتاحها الرياح. ورأوا العديد من المحال، ومكتب بريد، ومقهى، وكنيسة صغيرة، يتلألأ زجاج نوافذها عبر الميدان مثل الجواهر.

بدا الثلج مكبوسًا هنا: بعد أن داس الناس عليه طوال اليوم، أصبح صلبًا وزلقًا. بينما يمر القرويون أمامهما، وتنعكس أضواء لمبات الشارع الخفيفة على أجسادهما. وسمعا ضحكات وموسيقى البوب عندما فتح باب المقهى وأغلق؛ ثم سمعا ترانيم تبدأ من داخل الكنيسة الصغيرة.

قالت (هرميون): «(هاري)، أعتقد أنها ليلة عيد الميلاد!».

«حقًا؟».

وفكر بأنه قد فقد مسار التاريخ؛ فهم لم يروا أي صحيفة منذ أسابيع.

قالت (هرميون)، وعيناها على الكنيسة: «أنا متأكدة من ذلك. سيكونان هنا... أليس كذلك؟ والدك ووالدتك؟ أستطيع أن أرى المقبرة وراءهما».

وشعر (هارى) بهزة فى مشاعره تتعدى الإثارة، أشبه بالخوف. والآن بعد أن أصبح قريبًا، أخذ يتساءل عما إذا كان فعلاً يريد أن يرى المكان. ربما استشفت (هرميون) ما يشعر به؛ لأنها أمسكت بيده وأخذت القيادة لأول مرة، وسحبته معها إلى الأمام. وفى منتصف الطريق عبر الميدان، توقفت فجأة.

«(هارى)، انظر!».

كانت تشير إلى النصب التذكارى الذى تحول وهما يمران بجواره. وظهر بدلاً من المسلة التى تغطيها الأسماء، تمثال لثلاثة أشخاص: رجل مشوش الشعر يرتدى نظارة، وامرأة ذات شعر طويل ووجه جميل طيب، ومولود صبى يجلس بين ذراعى والدته. وقد بدا الثلج الذى يغطى رءوسهم، مثل قبعات بيضاء منفوشة.

واقترب (هارى) أكثر، وأخذ يحدق فى وجهى والديه. لم يتصور أن يكون هناك تمثال... وبدا غريبًا أن يرى نفسه ممثلاً على الحجر، طفلاً سعيدًا دون ندبة فوق جبهته...

وعندما انتهى من تأمل التمثال، قال (هارى): «هيا»، وتحولا مرة أخرى باتجاه الكنيسة. وبينما يعبران الطريق، نظر من فوق كتفه؛ ليجد التمثال قد تحول إلى النصب التذكارى مرة أخرى.

وارتفع صوت الغناء وهما يقتربان من الكنيسة. وشعر (هارى) بتقلص فى حنجرته، فقد أعادته التراتيل بشدة إلى ذكرياته فى (هوجوورتس)، وتذكر بيف وهو يكرر نسخًا وقحة من أغانى عيد الميلاد من داخل البدل الحديدية، وشجرات عيد الميلاد الاثنتى عشرة التى تزين البهو العظيم، و(دمبلدور) وهو يرتدى غطاء شعر فاز به، من أكياس الهدايا المتفجرة، (رون) وهو يرتدى كنزة مشغولة باليد...

كانت هناك بوابة على مدخل المقبرة، دفعتها (هرميون) بأكبر قدر ممكن من الهدوء ومرت داخلة منها. وبدا الثلج على جانبى الطريق الزلق المؤدى إلى أبواب الكنيسة عميق ولم يمس. ودخلا إلى الثلج تاركين وراءهما آثارًا عميقة خلفهما وهما يسيران حول المبنى، تحت ظلال النوافذ المتلألئة.

ورأوا خلف الكنيسة، صفوفًا من الشواهد التى يغطيها الثلج تبرز أمام غطاء من اللون الأزرق الشاحب المخطط بألوان مبهرة، أحمر، وذهبى، وأخضر، كلما وصلت الانعكاسات القادمة من النوافذ الملونة للكنيسة إلى الثلوج. وأبقى (هارى) يده مغلقة بإحكام على العصا فى جيب سترته، وتحرك نحو أقرب قبر.

«انظرى إلى هذا، إن اسمه أبوت، هل يمكن أن يكون قريبًا من بعيد لهانا!».
توسلت له (هرميون): «أبق صوتك منخفضًا».
ثم مشيا أكثر وأكثر إلى داخل المقابر، تاركين خلفهما حفرًا مظلمة على الثلج، وأخذا ينحنيان لقراءة العبارات المكتوبة فوق شواهد القبور القديمة، وبين الحين والآخر، يحدقون فى الظلام المحيط بهما ليتأكدا من عدم وجود أحد حولهما.
«(هارى)، هنا!».
كانت (هرميون) على بعد صفين من الشواهد؛ ومشى عائدًا إليها، بينما قلبه يدوى داخل صدره.
«هل هى ـ؟».
«لا، ولكن انظر!».
وأشارت إلى الحجر المظلم. وانحنى (هارى) إلى أسفل، ورأى على الشاهد الجرانيتى المتجمد الكلمات: *(كيندرا دمبلدور)*، وعلى مسافة قصيرة تحت تواريخ الميلاد والوفاة: حيث ابنتها (أريانا). وكان هناك الاقتباس:

حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضًا.

يبدو أن هناك بعض الحقائق فيما قالته (ريتا سكيتر)، و(موربيل). لقد عاش (آل دمبلدور)، ومات بعض أفرادهم هنا حقًا.
رؤية القبر كانت أسوأ من السماع عنه. لم يستطع (هارى) إلا أن يفكر أنه و(دمبلدور)، لهما جذور عميقة فى هذه المقابر، وأن (دمبلدور) كان يجب أن يخبره بذلك، ولكنه لم يفكر قط فى مشاركته فى هذه العلاقة. كان من الممكن أن يزورا المكان معا؛ وللحظة تصور (هارى) المجىء إلى هنا مع (دمبلدور)، والعلاقة التى يعنيها ذلك، ومدى أهمية ذلك بالنسبة له. ولكن يبدو أن (دمبلدور)، لم يجد أهمية فى كون قبور أسرهم موجودة جنبا إلى جنب فى نفس المقابر، ربما وجد تلك المصادفة غير ذات صلة بالمهمة التى أراد من (هارى) القيام بها.
كانت (هرميون) تنظر إلى (هارى)، وشعر هو بالسعادة بأن وجهه مخبأ فى الظل. وقرأ العبارة الموجودة على شاهد القبر مرة أخرى. «*حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضًا*». لم يفهم ما تعنيه هذه الكلمات. من المؤكد أن (دمبلدور) هو من اختارها، فهو أكبر عضو فى الأسرة بعد وفاة والدته.

بدأت (هرميون): «هل أنت متأكد من أنه لم يذكر ـ؟».

قال (هارى) باقتضاب: «لا، هيا نستمر فى بحثنا». ثم استدار مبتعدًا، وهو يتمنى لو أنه لم ير الشاهد؛ لم يشأ أن تتلطخ مشاعر الروعة المتحمسة التى يشعر بها بالاستياء.

صاحت (هرميون) مرة أخرى بعد لحظات قليلة: «هنا! أوه لا، آسفة! اعتقدت أنه مكتوب عليه بوتر».

كانت تمسح على شاهد قبر مكسور قديم، وهى تحدق فى أسفل، بينما يغطى وجهها بعض العبوس.

«(هارى)، عد هنا للحظة».

لم يشأ أن يحيد عن طريقه مرة ثانية، وعاد إليها على مضض خلال الثلوج .

«ماذا؟».

«انظر إلى هذا!».

كان الشاهد شديد القدم، حتى إن (هارى) لم يستطع قراءة الاسم المكتوب عليه. وأشارت (هرميون) إلى رمز موجود أسفله وقالت:

«(هارى)، هذه هى العلامة الموجودة فى الكتاب!».

ونظر إلى المكان الذى حددته: كان الحجر باليًا جدًا حتى أصبح من الصعب قراءة المحفور عليه، وإن رأى فعلاً ما بدا مثل علامة مثلثة تحت الاسم غير المقروء.

«نعم... يمكن أن تكون..».

أضاءت (هرميون) عصاها له، وقربتها من الاسم على شاهد القبر.

وحاولت قراءته: «إيجـ ـ إيجنوتسى، أعتقد..».

قال (هارى) بصوت به حدة طفيفة: «سأواصل البحث عن والدى». وابتعد مرة أخرى، تاركًا إياها راكعة بجوار شاهد القبر القديم.

وبين الحين والآخر، كان يعرف لقبًا مثل أبوت، التقى به فى (هوجوورتس). ووجد أحيانًا عدة أجيال من نفس الأسرة السحرية ممثلة فى المقبرة: وكان (هارى) يعرف من التواريخ على الشواهد ما إذا كان الاسم قد انتهى، أو أن أعضاءه الحاليين قد تركوا جودريك هولو. وأخذ ينتقل من شاهد قبر إلى آخر، وكلما وصل شاهد قبر جديد، شعر بشىء من التوجس والترقب داخله.

وفجأة، بدا الظلام والصمت أكثر عمقًا. وتطلع (هارى) حوله فى قلق، وهو يفكر فى الديمنتورات، ثم أدرك أن التراتيل انتهت، وبدأت أحاديث رواد الكنيسة

تتلاشى وهم يتقدمون فى طريق عودتهم إلى الميدان. وأطفأ شخص ما داخل الكنيسة الأضواء.

ثم أتى صوت (هرميون) من وسط الظلمة للمرة الثالثة، حادًا وواضحًا، من على بعد بضع ياردات.

«(هارى)، إنهم هنا..».

وعرف من نبرة صوتها أنه قبر أمه وأبيه هذه المرة: وتحرك نحوها وهو يشعر بأن شيئًا ثقيلاً يضغط على صدره؛ نفس الإحساس الذى انتابه بعد موت (دمبلدور)، حزن شديد الثقل يضغط على قلبه ورئتيه.

كان شاهد القبر على بعد صفين وراء كيندرا وأريانا، مصنوعًا من الرخام الأبيض تمامًا مثل قبر (دمبلدور)، مما يسر قراءة المحفور عليه؛ لأنه يلمع فى الظلام. ولم يحتج (هارى) إلى الركوع أو حتى الاقتراب كثيرًا لقراءة الكلمات المحفورة عليه.

(جيمس) بوتر، ولد فى 27 مارس 1960، وتوفى فى 31 أكتوبر1981
(ليلى بوتر)، ولدت فى 30 يناير1960، وتوفيت فى 31 أكتوبر 1981

آخر عدو سيتم تدميره هو الموت

قرأ (هارى) الكلمات ببطء، كما لو أن لديه فرصة واحدة لفهم معناها، وقرأ آخرهابصوت عال.

«*آخر عدو سيتم تدميره هو الموت..*». وخطر له خاطر فظيع، وقال وقد أصابه الذعر نوعًا: «أليست تلك فكرة آكلى الموت؟ ما سبب وجودها هنا؟».

قالت (هرميون) بصوت رقيق: «لا يعنى هذا هزيمة الموت بالطريقة التى يقصدها آكلو الموت يا (هارى). إنها تعنى... أتعرف... الحياة ما وراء الموت. الحياة بعد الموت».

ولكن (هارى) فكر أنهما ليسا حيين. لقد ذهبوا. إن تلك الكلمات الجوفاء لا يمكن أن تخفى حقيقة أن بقايا والديه تكمن تحت الثلوج والحجارة، بلا مبالاة، أو معرفة. وسالت الدموع من عينيه قبل أن يتمكن من وقفها، ساخنة تغلى، ولكنها تجمدت فورًا على وجهه، وما جدوى مسحها أو التظاهر بها؟ ترك الدموع

تتدفق على وجهه، بينما شفتاه مضمومتان معًا بشدة ونظر إلى أسفل نحو الثلوج السميكة التى تخفى عن عينيه المكان الذى يرقد فيه (ليلى) و(جيمس)، اللذان قد أصبحا الآن عظامًا، بالتأكيد، أو ترابًا، ولا يعرفان أو يهتمان بأن ابنهما الحى واقف قريبًا منهما، بينما قلبه لا يزال يدق، حيًّا بسبب تضحيتهما، ويكاد يتمنى، فى هذه اللحظة، لو أنه ينام تحت الثلج معهما.

أخذت (هرميون) يده مرة أخرى وضغطت عليها، لم يستطع النظر إليها، ولكنه ضغط على يدها أيضًا، وأخذ نفسًا عميقًا من هواء الليل محاولاً استعادة ثباته وسيطرته على نفسه. وفكر بأنه كان يجب أن يحضر شيئًا ليعطيه لهما، لماذا لم يفكر بذلك؟ خاصة أن كل النباتات الموجودة بالمقابر حوله كانت متجمدة وبلا أوراق. ولكن (هرميون) رفعت عصاها وحركتها على شكل دائرة فى الهواء، وظهر إكليل من ورد عيد الميلاد اليانعة أمامهما. والتقطه (هارى) ووضعه على قبر والديه.

وما إن اعتدل واقفًا، حتى أراد مغادرة المكان: لم يستطع تحمل الوقوف فى هذا المكان أكثر من ذلك. ووضع ذراعه حول كتف (هرميون)، ووضعت هى ذراعيها حول خصره، واستدارا وسارا فى صمت مبتعدين فوق الثلج، مارين بوالدة (دمبلدور) وأخته، ثم بالكنيسة المظلمة وخرجوا من البوابة.



١٧ ســـر (باشــيلـــدا)

«(هـارى)، توقف».

«ما الأمر؟».

كانا قد وصلا إلى قبر أبوت المجهول.

«هناك شخص ما هناك. شخص ما يراقبنا. أستطيع الشعور بذلك. هناك بين الشجيرات».

ووقفا بلا حراك، ممسكين ببعضهما البعض، وهما يحدقان فى الظلام الكثيف الذى يحيط بحدود المقابر. ولم يستطع (هـارى) رؤية شىء.

«هل أنت متأكدة؟».

«رأيت شيئًا يتحرك. أقسم أننى رأيته..».

تركته لتحرر ذراعها التى تمسك به العصا.

قال (هـارى): «إننا نبدو مثل العامة».

«عامة قاموا لتوهم بوضع الزهور على قبر والديك يا (هـارى)؟ أنا متأكدة من وجود شخص ما هناك!».

فكر (هـارى) فى كتاب *تاريخ السحر*؛ من المفترض أن تلك المقابر مسكونة؛ ماذا لو-؟ ثم سمع حفيفًا ورأى دوامة صغيرة من الثلج فى الشجيرات التى أشارت إليها (هرميون). الأشباح لا يحركون الثلوج.

قال (هـارى) بعد ثانية أو اثنتين: «إنها قطة، أو طائر. لو كان ذلك آكل موت؟ لكنا موتى الآن. ولكن دعينا نخرج من هنا، ويمكننا بعد ذلك أن نضع العباءة».

أخذوا ينظرون خلفهم مرارًا، وهم يتقدمون خارجين من المقابر. ولم يكن (هـارى) متفائلاً كما تظاهر ليطمئن (هرميون)، وسعد بالوصول إلى البوابة ثم إلى الرصيف الزلق. ووضعوا عباءة الإخفاء على أنفسهم ثانية. ورأوا الحانة وقد أصبحت أكثر امتلاء بالناس من ذى قبل. وسمعوا أصواتًا كثيرة داخلها الآن تردد التراتيل التى سمعوها فى الكنيسة. وللحظة، فكر (هـارى) مقترحًا دخولها للراحة، ولكن قبل أن يتمكن من قول أى شىء، غمغمت (هرميون): «هيا، لنذهب من هذا

الطريق». وسحبته إلى الشارع المظلم المؤدى إلى خارج القرية فى الاتجاه المعاكس للجهة التى دخلوا منها. ورأى (هارى) النقطة التى تنتهى عندها الأكواخ ويتحول فيها الممر إلى خلاء مفتوح مرة أخرى. ومشوا بأسرع ما يستطيعون ومروا بالمزيد من النوافذ المتألقة بمختلف الأضواء الملونة، وشاهدوا ظلال أشجار عيد الميلاد من خلف الستائر.

سألت (هرميون) التى كانت ترتجف قليلاً ومستمرة فى النظر من فوق كتفها: «كيف سنجد منزل (باثيلدا)؟ (هارى): ما رأيك؟».

وجرت ذراعه، ولكن (هارى) لم يلتفت. وأخذ يتطلع نحو الكتلة المظلمة التى تقف فى نهاية هذا الصف من المنازل. وفى اللحظة التالية، بدأ يسرع ساحبًا (هرميون) معه، حتى إنها انزلقت قليلاً على الثلج.

«هارى..».

«انظرى... انظرى إليه يا (هرميون)..».

«أنا لا... أوه!».

كان يستطيع رؤيته؛ يبدو أن تعويذة حفظ السرية ماتت مع (جيمس) و(ليلى). ورأى النباتات قد نمت خلال الستة عشر عامًا الماضية منذ أخذ هاجريد (هارى) من بين الأنقاض المبعثرة بين الأعشاب التى أصبحت تصل إلى الخصر. ووجد أن معظم أجزاء الكوخ لا تزال قائمة، رغم تغطيتها بالكامل بنبات اللبلاب الأسود والثلج، ولكن الجانب الأيمن من الطابق العلوى بدا كأنه قد تعرض للتفجير؛ وعرف (هارى) أن ذلك هو المكان الذى انعكست فيه اللعنة. ووقف مع (هرميون) عند البوابة، يحدقان فى الحطام الذى كان يومًا كوخًا مثل المنازل التى تحيط به.

همست (هرميون): «أنى لأعجب لماذا لم يقم أحد بإعادة بنائه؟».

أجاب (هارى): «ربما لا يمكن إعادة بنائه؟ ربما يكون مثل الإصابات التى يحدثها السحر الأسود حيث لا يمكنك إصلاح الأضرار؟».

ومد يده من تحت العباءة وأمسك البوابة التى يغطيها الصدأ والثلج، لم يكن يريد فتحها، ولكنه رغب فى لمس جزء من المنزل.

«إنك لن تدخل؟ يبدو غير مأمون، من الممكن ـ أوه، انظر يا هارى!».

يبدو أن لمسته للبوابة قد فعلت ذلك. ظهرت علامة ارتفعت من الأرض أمامهما، من بين الأعشاب والنباتات المتشابكة، مثل زهرة غريبة، سريعة النمو، وظهرت عبارات مكتوبة بحروف ذهبية فوق الخشب تقول:

فى هذا المكان، فى ليلة 31 أكتوبر من عام 1981،
مات (جيمس) و(ليلى بوتر).
وبقى ابنهما (هارى) الساحر الوحيد،
الذى نجا من تعويذة القتل.
وقد ترك هذا البيت الخفى عن العامة
فى حالته الخربة كنصب تذكارى لعائلة بوتر
وكتذكير بالعنف الذى مزق أسرتهم.

ورأوا حول هذه الكلمات المكتوبة بخط جميل منتظم، كتابات أخرى أضافها سحرة وساحرات آخرون جاءوا لرؤية المكان الذى نجا فيه الصبى الذى بقى حيًا. بعضهم وقع اسمه بالحبر الثابت أو حفر الأحرف الأولى من اسمه على الخشب فقط، وآخرون تركوا رسائل، تلمع ببهاء فوق اليافطة السحرية الموجودة منذ ستة عشر عامًا، وكلها تقول أمورًا مماثلة.

«حظ سعيد لك يا (هارى)، أينما كنت». «إذا قرأت هذا يا (هارى)، اعرف أننا جميعًا خلفك!». «عاش (هارى بوتر)».

قالت (هرميون) ساخطة: «كان يجب ألا يكتبوا على اللافتة!».

لكن (هارى) ابتسم لها.

«إنها رائعة. أنا سعيد أنهم فعلوا، أنا...».

وتوقف عن إكمال كلامه. وشاهدا شخصًا يتحرك بصعوبة عبر الممر فى ضوء الأنوار الساطعة القادمة من الميدان البعيد، قادمًا فى اتجاههم. وظن (هارى)، وإن كان من الصعب الحكم على البعد، أنها امرأة. بدت تسير ببطء شديد، ربما خوفًا من الانزلاق على الأرض المتجمدة. وظهر من انحنائها، وبدانتها، وطريقة مشيها أنها عجوز طاعنة فى السن. ووقفا يراقبانها فى صمت وهى تقترب منهما. وانتظر (هارى) أن يراها تدخل إلى أى من الأكواخ التى تمر بها، ولكنه عرف بالغريزة أنها لن تفعل. وأخيرًا، توقفت على بضع ياردات منهم، ووقفت هناك فى منتصف الطريق المتجمد، تواجههم.

لم يكن فى حاجة إلى قرصة (هرميون) على ذراعه. من الواضح أنه ليست هناك فرصة أن تكون هذه امرأة من العامة؛ كانت تحدق فى أحد المنازل التى من

المفترض ألا يكون مخفيًا تمامًا عنها لو لم تكن ساحرة. وحتى مع الافتراض أنها ساحرة، فمن الغريب أن تخرج فى هذه الليلة الباردة، لتنظر إلى حطام منزل قديم فقط. كما أنه لم يكن من الممكن أن تراه هو و(هرميون) طبقًا لجميع القواعد السحرية العادية. ومع ذلك، شعر (هارى) بشعور غريب أنها تعرف بوجودهم، بل وتعرف من هم. وما إن توصل إلى هذا الاستنتاج المقلق، حتى رفعت يدًا ترتدى قفازا وأشارت إليهما.

واقتربت منه (هرميون) تحت العباءة، وذراعها بجوار ذراعه.

«كيف تعرف؟».

هز رأسه. وأشارت لهم المرأة مرة أخرى بقوة أكبر. وخطر لـ (هارى) الكثير من الأسباب التى تدعوه لعدم الانصياع، وتزايدت شكوكه حول هويتها فى كل لحظة تمر وهم واقفون فى مواجهة بعضهما البعض فى الشارع المقفر.

هل من الممكن أنها كانت تنتظرهما طوال الأشهر الطويلة الماضية؟ أن يكون (دمبلدور) قد طلب منها انتظارهما، وأن (هارى) سيأتى فى النهاية؟ أليس من المحتمل أن تكون هى التى كانت تتحرك فى الخفاء فى المقابر وتبعتهما إلى هذا المكان؟ وحتى قدرتها على الإحساس بهما ذكرته ببعض قدرات (دمبلدور) التى لم يرها من قبل من أحد غيره.

وأخيرًا تكلم (هارى)، مما جعل (هرميون) تشهق وتقفز.

«هل أنت (باثيلدا)؟».

أومأت المرأة المندثرة وأشارت لهما مرة أخرى.

نظر (هارى) و(هرميون) إلى بعضهما البعض تحت العباءة. ورفع (هارى) حاجبيه؛ بينما أومأت (هرميون) بعصبية.

ومشيا فى اتجاه المرأة التى استدارت على الفور، عائدة إلى نفس الطريق الذى أتوا منه. قادتهم وبعدة منازل، حتى وصلت إلى بوابة. وتبعاها إلى الممر الأمامى خلال حديقة يكاد طول أعشابها يصل إلى طول أعشاب الحديقة التى تركوها وراءهما تَوًّا. تحسست الباب الأمامى للحظة تبحث عن المفتاح، ثم فتحته وتراجعت لتسمح لهم بالمرور.

كانت رائحتها سيئة، أو ربما كان ذلك منزلها؛ جعد (هارى) أنفه وهما يمران بجوارها، وسحب العباءة من فوقهما. والآن بعد أن أصبح إلى جوارها، أدرك كم هى قصيرة؛ وقد انحنى ظهرها مع تقدم العمر، حيث وصلت بالكاد إلى مستوى

صدره. وأغلقت الباب وراءهما، وبدت مفاصلها زرقاء أمام الطلاء المقشر، ثم استدارات ونظرت إلى وجه (هارى). كانت عيناها غائمتين بسبب إعتام العدسة وغارقتين فى طيات شفافة من الجلد، ووجهها منقط بالعروق التالفة والبقع الحمراء. وتساءل عما إذا كان يمكنها رؤيته على الإطلاق؛ وحتى لو تمكنت من ذلك، فلن ترى سوى العامى الأصلع الذى سرق هويته.

واستنشقوا رائحة الشيخوخة، والغبار، والملابس التى لم تغسل الطعام الذى تعفن، بينما رفعت عن شعرها شالاً أسود أكلته العثة، وكشفت عن رأس صغيرة يغطيها شعر أبيض قليل، يظهر بوضوح فروة الرأس تحته.

كرر (هارى): «(باثيلدا)؟».

أومأت مرة أخرى، وتنبه (هارى) إلى القلادة الملتصقة بجلد صدره؛ لقد استيقظ الشىء داخلها الذى كان أحيانًا يدق أو يضرب؛ وشعر بالنبض من خلال الذهب البارد. هل تعلم، هل شعرت بأن الشىء الذى سيدمرها كان قريبًا؟

مرت (باثيلدا) بجوارهم، ودفعت (هرميون) جانبًا كما لو لم ترها، واختفت فى ما بدا أنه غرفة الجلوس.

تنفست (هرميون) وقالت: «(هارى)، لست متأكدة من ذلك»،

قال (هارى): «انظرى إلى حجمها، أعتقد أننا يمكننا التغلب عليها إذا اضطررنا إلى ذلك. اسمعى، كان يجب أن أقول لك، أننى كنت أعرف أنها ليست واعية تمامًا. لقد قالت موريل عنها أنها مخرفة».

دعتهم (باثيلدا) من الغرفة المجاورة: «تعال!».

قفزت (هرميون) وأمسكت بذراع (هارى).

طمأنها (هارى): «إن الأمر على ما يرام»، وقام وسار إلى غرفة الجلوس.

كانت (باثيلدا) تتحرك حول المكان، وتضىء الشموع، ولكن المكان ظل مع ذلك شديد الظلام، ناهيك عن شدة قذارته. والتراب الكثيف تحت أقدامهم، والتقط أنف (هارى) رائحة متعفنة، شيئًا سيئًا، مثل لحوم متعفنة. وتساءل، متى كانت آخر مرة دخل فيها أى شخص إلى منزل (باثيلدا) ليتحقق من كيفية حياتها. يبدو أنها نسيت أنها تستطيع أداء السحر أيضًا؛ لأنها أضاءت الشموع بشكل أخرق بيدها، وكان رباط طرف كمها فى خطر دائم أن تعلق به النار.

عرض عليها (هارى): «اسمحى لى أن أفعل ذلك»، وأخذ أعواد الثقاب منها بينما وقفت تراقبه وهو ينهى إضاءة الشموع التى تقف على صحون حول

الغرفة فوق أكوام من الكتب والمناضد الجانبية المزدحمة بكئوس مكسورة ومتعفنة.

وآخر سطح شاهده (هارى)، عليه شمعة، كانت هناك مجموعة من الأدراج، تقف عليها مجموعة كبيرة من الصور. وعندما اشتعلت الشعلة، وتموج انعكاس ضوئها على الزجاج المترب والفضة، ورأى بعض الحركات الصغيرة داخل الصور، وبينما تبحث (باثيلدا) عن بعض الخشب للمدفأة، تمتم «تيرجيو».: اختفى الغبار من فوق الصور، ورأى على الفور، أن نصف دستة من الصور على الأقل كانت مفقودة من أكبر الإطارات وأكثرها زخرفة. وتساءل عما إذا كانت (باثيلدا) أو أى شخص آخر قد انتزعها منها. ثم لفتت نظره صورة بالقرب من مؤخرة المجموعة، ورفعها لينظر إليها.

كانت صورة اللص المرح ذهبى الشعر، الشاب الذى كان على حافة نافذة (جريجوروفيتش)، يبتسم بتكاسل إلى (هارى) من داخل الإطار الفضى. وتذكر (هارى) فورًا أين رأى الشاب من قبل؛ فى كتاب *(حياة ألباس دمبلدور وأكاذيبه)*، ذراعًا فى ذراع مع (دمبلدور) المراهق، وفكر بأن هذا هو المكان الذى توجد فيه جميع الصور المفقودة: فى كتاب ريتر.

قال (هارى) وصوته يهتز قليلاً: «سيدة ـ آنسة ـ باجشوت؟ من هذا؟».

كانت (باثيلدا) تقف فى منتصف الغرفة تراقب (هرميون) وهى تشعل لها ضوء المدفأة.

كرر (هارى): «آنسة باجشوت؟». وتقدم نحوها والصورة فى يديه، بينما اشتعلت النيران فى المدفأة. ونظرت (باثيلدا) نحو الصوت، وتسارع نبض الهوركروكس على صدره.

سأل (هارى) وهو يدفع الصورة إلى الأمام: «من هذا الشخص؟».

نظرت إليها برزانة ثم رفعت نظرها إلى (هارى).

ثم كرر (هارى) سؤاله بصوت أبطأ وأقوى من المعتاد: «هل تعرفين من هذا؟ هذا الرجل؟ هل تعرفينه؟ ما اسمه؟».

نظرت إليه (باثيلدا) بغموض. وشعر (هارى) بإحباط فظيع. كيف استطاعت ريتا سكيتر الوصول إلى ذكريات (باثيلدا)؟

ردد بصوت عال: «من هذا الرجل؟».

سألت (هرميون): «(هارى)، ما الذى تفعله؟».

قال (هارى): «هذه الصورة يا (هرميون)، إنه اللص، اللص الذى سرق من (جريجوروفيتش)! أرجوك!». ووجه كلامه إلى (باثيلدا): «من هذا الرجل؟».

ولكنها حدقت فيه فقط.

سألت (هرميون) بصوت عال: «لماذا طلبت منا أن نأتى معك، يا سيدة ـ آنسة ـ باجشوت؟ هل هناك شىء تريدين قوله لنا؟».

لم يبد عليها أنها سمعت (هرميون)، وتحركت (باثيلدا) بضع خطوات نحو (هارى). وأشارت برأسها ثم نظرت إلى الوراء نحو الصالة.

سألها (هارى): «هل تريديننا أن نرحل؟».

كررت الإشارة برأسها، ثم أشارت إلى (هارى) أولا، ثم إلى نفسها، ثم إلى السقف.

«آه، حسنًا... (هرميون)، أعتقد أنها تريد منى أن أذهب معها إلى الطابق العلوى».

قالت (هرميون): «حسنًا، هيا نذهب».

ولكن عندما تحركت (هرميون)، هزت (باثيلدا) رأسها بقوة مدهشة، ثم أشارت مرة أخرى إلى (هارى)، ثم إلى نفسها.

«إنها تريد منى أن أذهب معها وحدى».

سألت (هرميون): «لماذا؟». ورن صوتها حادًا وواضحًا فى الغرفة المضاءة بالشموع، وهزت السيدة العجوز رأسها قليلاً بسبب الضوضاء العالية.

«ربما طلب منها (دمبلدور) أن تعطى السيف لى وحدى؟».

«هل تعتقد (حقًا) أنها تعرف من أنت؟».

قال (هارى) وهو ينظر إلى العيون البيضاء المركزة على عينيه: «نعم، أعتقد أنها تعرفنى».

«حسنًا، حسنًا إذن، ولكن بسرعة يا (هارى)».

قال (هارى) لباثيلدا: «تقدمينى».

بدا أنها فهمت ما قاله؛ لأنها حركت قدميها واتجهت نحو الباب. ونظر (هارى) إلى الوراء نحو (هرميون) بابتسامة مطمئنة، لكنه لم يكن متأكدًا من أنها رأته؛ حيث وقفت وسط خضم القذارة المضاءة بالشموع، وهى تنظر نحو خزانة الكتب. وبينما ينسحب (هارى) من الغرفة، وضع صورة اللص المجهول ذات الإطار الفضى داخل جيب سترته دون أن تراه (هرميون) أو (باثيلدا).

كان درج السلم ضيقًا ومنحدرًا؛ حتى إن (هارى) كاد يضع يديه على ظهر (باثيلدا) السمين ليضمن أنها لن تتعثر وتسقط فوقه، وهو ما بدا ممكن الحدوث إلى حد كبير. وتسلقت ببطء، بينما صدرها يعلو ويهبط، حتى وصلت إلى الطابق الأعلى، وتحولت فورًا إلى اليمين، وقادته إلى غرفة نوم منخفضة السقف.

كانت سوداء قاتمة وتفوح منها رائحة فظيعة: ولمح (هارى) مبولة بارزة من تحت السرير قبل أن تغلق (باثيلدا) الباب ويبتلع الظلام كل شىء.

قال (هارى): «*لوموس*» واشتعل طرف عصاه ووجد (باثيلدا) قد اقتربت منه فى تلك الثوانى القليلة من الظلام، لم يسمعها وهى تقترب.

قالت هامسة: «أنت بوتر؟».

«نعم، أنا».

وأومأت ببطء ووقار. وشعر (هارى) بتزايد نبض الهوركروكس حتى أصبح أسرع من دقات قلبه وشعر بهياج غريب غير سار.

سألها (هارى): «هل لديك أى شىء لى؟». ولكنها بدت مشتتة بطرف العصا المضىء.

كرر: «هل لديك أى شىء من أجلى؟».

ثم أغلقت عينيها وحدثت عدة أمور دفعة واحدة: شعر (هارى) بألم شديد فى ندبته؛ وأخذ الهوركروكس ينتفض حتى إن مقدمة سترته تحركت فعلاً؛ واختفت الغرفة ذات الرائحة الفظيعة للحظة. شعر خلالها بفرح شديد وتكلم بصوت عال بارد: *أمسكى به!*

ترنح (هارى) فى مكانه، وشعر بالغرفة المظلمة ذات الرائحة النتنة تغلق حوله مرة أخرى؛ لم يعرف ماذا حدث لتوه.

وسأل للمرة الثالثة بصوت أعلى بكثير: «هل لديك أى شىء لى؟».

همست وهى تشير نحو ركن الغرفة: «هناك». ورفع (هارى) عصاه ورأى حدود طاولة زينة(*) موجودة تحت النافذة التى تغطيها الستائر.

ولم تقده هذه المرة إليها. ومر (هارى) بينها وبين السرير، وهو رافع عصاه. لم يشأ أن يبعد نظره عنها.

وسألها وهو يقترب من طاولة الزينة التى كان يغطيها ما بدا مثل غسيل قذر: «ما هو؟».

(*) طاولة الزينة: هى ما نسميه هنا: التسريحة، هى قطعة من أثاث غرفة النوم.

قالت مشيرة إلى الكتلة غير منتظمة الشكل: «هناك».

وفى اللحظة التى أبعد فيها نظره عنها، وعيناه تبحثان عن مقبض السيف الياقوتى داخل الكتلة، تحركت بغرابة؛ ورأى ما حدث من ركن عينيه؛ وجعله الذعر يلتفت بسرعة، بينما شل الهلع حركته وهو يرى الجسد ينهار وتخرج الحية العظيمة من المكان الذى كان يحمل عنقها.

وبينما يرفع عصاه، ضربته الحية، وجعلت قوة العضة، على مقدمة ذراعه، العصا تطير من يده نحو السقف؛ ودار ضوءها على نحو مربك حول الغرفة، ثم انطفأت؛ ثم جعلته ضربة قوية من ذيل الحية يفقد توازنه ويسقط إلى الوراء على طاولة الزينة، فوق تل الملابس القذرة..

وتدحرج مبتعدًا، مُتفاديًا ضربة من ذيل الحية، وقعت على الطاولة فى نفس المكان الذى كان فيه منذ لحظة. وسقطت شظايا الزجاج فوقه وهى تقع إلى الأرض. وسمع (هرميون) تناديه من تحت: «(هارى)؟».

لم يجد فى رئتيه ما يكفى من النفس حتى يرد عليها، ثم أوقعته كتلة ناعمة ثقيلة إلى الأرض وشعر بها تنزلق فوقه، قوية ومليئة بالعضلات..

وشهق وهو مثبت فى الأرض: «لا!».

همس صوت: «*نعم، نعم... أمسكت بك... أمسكت بك..*».

«*أكسيو... أكسيو العصا..*».

ولكن شيئًا لم يحدث، وحاول أن يدفع الحية عنه بيديه ولكنه لف نفسه حول جذعها، مانعًا إياها من التنفس وضاغطًا الهوركروكس على صدرها، والذى شعر به كدائرة من الثلج تخفق بالحياة على بعد بوصات من قلبها المحموم، بينما اجتاح فيضان من الضوء الأبيض البارد عقله، طامسًا كل الأفكار منه، وشعر بأنفاسه تختنق وسمع صوت خطوات بعيدة، و اختفى كل شيء...

كان هناك قلب معدنى يخفق خارج صدره، وشعر بنفسه يطير، يطير وقد ملأه الشعور بالانتصار، بدون مكنسة أو ثيسترال.

واستيقظ فجأة وسط الظلام بغيض الرائحة؛ لقد حرره ناجينى. وقف بصعوبة ورآه أمامه تحت الأضواء أمام الغرفة، وهاجمت الحية وتجنبتها (هرميون) وهى تصرخ وأصابت اللعنة التى أطلقتها النافذة ذات الستائر التى تحطمت، ودخل الهواء المتجمد إلى الغرفة، وانحنى (هارى) متفاديًا رشة أخرى من الزجاج المكسور وانزلقت قدمه على شيء يشبه القلم الرصاص ـ عصاه ـ

وانحنى وأمسك بها، لكن الغرفة كانت الآن مليئة بالحية التى ضربت بذيلها: ولم ير (هرميون) أمامه، وللحظة، فكر (هارى) بالأسوأ، ولكنه سمع عندها دوى صوت عال ورأى وميضًا من الضوء الأحمر، وطارت الحية فى الهواء، صافعة وجه (هارى) بقوة وارتفعت لفات جسمها لفة بعد لفة إلى السقف. ورفع (هارى) عصاه، ولكنه ما إن فعل ذلك، حتى شعر بألم شديد فى ندبته، أكثر قوة مما شعر به خلال سنوات.

«إنها قادمة! يا *(هرميون)*، إنها قادمة!».

وبينما يصيح، سقطت الحية وهى تهسهس بعنف. وسادت المكان فوضى عارمة؛ لقد حطم الرفوف المثبتة على الحوائط، وتطايرت شظايا الخزف الصينى فى كل مكان. وقفز (هارى) فوق السرير وأمسك بالكتلة المظلمة التى عرف أنها (هرميون)..

وصرخت من الألم وهو يسحبها عائدًا عبر السرير: وقفت الحية من جديد، ولكن (هارى) عرف أن الأسوأ منها قادم، وربما كان بالفعل عند البوابة، وشعر بأن رأسه على وشك الانقسام من شدة الألم فى الندبة..

وتراجعت الحية عندما قفز (هارى) مستعدًا للهرب وهو يجر (هرميون) معه؛ وبينما يهاجم، صاحت (هرميون): «*كونفرينجو!*». وطارت التعويذة حول الغرفة لتفجر مرآة الدولاب وترتد نحوهم، ثم تنعكس من الأرض إلى السقف؛ وشعر (هارى) بحرارتها تحرق ظهر يده. وجرح الزجاج خده وهو يسحب (هرميون) معه، ويقفز من السرير إلى طاولة الزينة المكسورة ثم يقفز من خلال النافذة المكسورة إلى العدم، ودوى صوت صراخها خلال الليل، وهما يدوران فى وسط الهواء...

ثم انفجرت ندبته مفتوحة وأصبح هو (فولدمورت) وهو يجرى عبر غرفة النوم الآسنة، وتمسك يده الطويلة البيضاء حافة النافذة بينما يلمح الرجل الأصلع والمرأة القصيرة وهما يدوران وسط الهواء ويتلاشيان، وصرخ من الغضب، واختلطت صرخته مع صرخة الفتاة التى كانت مازالت تتردد عبر الحدائق المظلمة وتعلو على صوت رنين أجراس الكنائس فى يوم عيد الميلاد...

وأصبحت صرخته صرخة (هارى)، وألمه ألم (هارى)... كان يمكن أن يحدث هنا، فى نفس المكان الذى حدث فيه من قبل... هنا، على مرأى من هذا البيت الذى اقترب فيه جدًا من معرفة ما الموت... الموت... ذلك الألم الفظيع... وكأنه نزع من جسده... ولكن إذا كان بلا جسد، لماذا تؤلمه رأسه بهذه الشدة؛ إذا كان ميتا، كيف يشعر بهذا الألم الذى لا يطاق، ألا يتوقف الألم مع الموت، ألا ينتهى...

كانت ليلة شديدة بالرياح وغزيرة الأمطار، وهناك طفلان يرتديان زيًا يشبه القرع يعبران الميدان، بينما تغطى نوافذ المتاجر عناكب ورقية، كل تلك الزخارف الرخيصة التى يقوم بها العامة فى عالم لا يؤمنون بوجوده... كان ينزلق وهو يشعر بنفس المشاعر، الغاية الهدف، القوة، الحق، والتى دائمًا ما يشعر بها فى مثل هذه المناسبات... ليس الغضب... إنه من أجل النفوس الضعيفة وليس له... ولكن الفوز، نعم... لقد كان فى انتظار هذا، ويأمل فيه...

«ملابس جميلة، يا سيد!».

ورأى ابتسامة الصبى تتلاشى، عندما اقترب بما يكفى ليرى ما تحت غطاء العباءة، ورأى سحابةِ الخوف تغطى الوجه الملون: ثم استدار الطفل وولى هاربًا... وضغط بأصابعه على عصاه تحت الرداء... حركة بسيطة واحدة منها ولن يصل الطفل إلى والدته أبدًا... ولكنها غير ضرورية، غير ضرورية على الإطلاق...

ودخل إلى شارع جديد أكثر ظلمة، ورأى المكان الذى يقصده علىمرمى البصر أخيرًا، لقد انكسرت تعويذة السرية، رغم أنهما لا يعرفان ذلك حتى الآن... وتحرك بهدوء وبصوت أقل من الذى يصدر من أوراق الشجر الساقطة التى تنزلق على طول الرصيف ودخل فى ظلال الشجيرات المظلمة ونظر إليه...

لم يسدلوا الستائر؛ وشاهدهم بوضوح تام داخل غرفة جلوسهم الصغيرة، ورأى الرجل ذو الشعر الأسود مرتديًا نظارته وهو يخرج دفقات من الدخان الملون من طرف عصاه من أجل إسعاد الطفل الصغير ذى الشعر الأسود الذى يرتدى بيجاما زرقاء، بينما يضحك الطفل ويحاول اللحاق بالدخان، والإمساك به داخل قبضته الصغيرة...

فتح باب ودخلت الأم، وقالت كلمات لم يسمعها، وشعرها الطويل الأحمر يغطى وجهها. ورفع الأب الابن أعطاه للأم. ورمى عصاه على الأريكة وتمطى، وتثاءب...

صرت البوابة قليلاً وهو يدفعها، ولكن (جيمس) بوتر لم يسمعها. وأخرجت يده البيضاء العصا من تحت عباءته، وأشار بها إلى الباب الذى انفتح بعنف.

خطا عبر عتبة الباب، وجاء (جيمس) ركضًا إلى الصالة. كان الأمر سهلاً، سهلاً جدًا، إنه حتى لم يلتقط عصاه...

«(ليلى)، خذى (هارى) واهربى! إنه هو! اهربى! سوف أوقفه..!».

أوقفه، بدون عصا فى يده!... وضحك قبل أن يرمى عليه اللعنة...

«أفادا كيدافرا!».

وملأ الضوء الأخضر مدخل البيت المكتظ، فكشف عربة الأطفال التى بجوار الجدار، وجعل الدرابزين يتوهج مثل القضبان المضيئة، وسقط (جيمس بوتر) مثل الدمية التى انقطعت الخيوط التى تحركها...

سمعها وهى تصرخ فى الطابق العلوى، محاصرة، وفكر بأنها إذا أبدت تعقلاً، فلن يكون لديها ما تخشاه... وصعد الدرج، وهو يستمع ببعض التسلية لمحاولاتها لعمل متراس وراء الباب... لم تكن معها عصاها أيضًا... كم هما غبيان، وسليما النية، يعتقدان أن سلامتهما فى أيدى أصدقائهما، وأنهما يستطيعان التخلى عن أسلحتهما ولو للحظات...

دفع الباب بقوة وفتحه، وأزاح الكراسى والصناديق التى كومتها وراءه على عجل، بتلويحة واحدة كسول من عصاه... ورآها واقفة هناك، والطفل بين ذراعيها. وعندما رأته، ألقت ابنها فى سرير أطفال خلفها وفردت ذراعيها، وكأن هذا من شأنه أن يفلح، وكأنها بإبعاده عن الرؤية، تأمل فى اختيارها بدلاً منه...

«ليس (هارى)، ليس (هارى)، أرجوك ليس (هارى)!».

«ابتعدى أيتها الفتاة السخيفة... ابتعدى الآن..».

«ليس (هارى)، أرجوك لا، اقتلنى بدلاً منه..».

«هذا هو الإنذار الأخير..».

«ليس هارى! أرجوك... الرحمة... الرحمة... ليس هارى! ليس هارى! أرجوك.. سأفعل أى شىء..».

«ابتعدى.. ابتعدى يا فتاة..».

كان يمكنه إرغامها على الابتعاد عن السرير، ولكن بدا له من الحكمة أن يقتلهم جميعًا...

وومض الضوء الأخضر فى أنحاء الغرفة وسقطت مثل زوجها. لم يبك الطفل طوال هذا الوقت. ووقف ممسكًا بقضبان سريره، ورفع وجهه نحو الدخيل بفضول فرح، ربما يعتقد أن والده هو المختفى أسفل العباءة، وهو يصنع المزيد من الأضواء الجميلة، وأن والدته ستقوم حالاً ضاحكة..

ووجه عصاه بعناية فائقة إلى وجه الصبى؛ أراد أن يرى ذلك يحدث، تدمير هذا الخطر الذى لا يمكن تفسيره. وبدأ الطفل فى البكاء، بعد أن عرف أنه ليس (جيمس). ولم يعجبه بكاؤه، لم يكن قادرًا قط على تحمل بكاء الصغار فى دار الأيتام الذى نشأ به..

«أفادا كيدافرا!».

وعندها انكسر. أصبح لا شيء، لا شيء سوى الألم والرعب، يجب ان يخفى نفسه، ولكن ليس هنا فى أنقاض هذا المنزل المدمر، حيث يصرخ الطفل المحاصر داخل سريره، ولكن بعيدًا... بعيدًا جدًا...

أخذ يئن: «لا».

خشخشت الحية على الأرضية القذرة المليئة بالأشياء المبعثرة، وكانت قد قتلت الصبى، ولكنه هو الصبى...

«لا..».

والآن يقف عند النافذة المكسورة فى منزل (باثيلدا)، غارقًا فى ذكريات أفدح خسارة لحقت به فى حياته، بينما ينزلق الثعبان الضخم، عند قدميه، فوق شظايا الزجاج والصينى... ونظر إلى أسفل وشاهد شيئًا، شيئًا لا يصدق!

«لا..».

«(هارى)، إن الأمر بخير، أنت بخير!».

وانحنى إلى أسفل والتقط الصورة. إنه هو، اللص المجهول، اللص الذى يبحث عنه...

«لا... لقد أسقطته... لقد أسقطته..».

«(هارى)، إن الأمر بخير، استيقظ، استيقظ!».

إنه (هارى)... (هارى)، وليس (فولدمورت)... والشىء الذى يخشخش لم يكن الحية...

فتح عينيه.

همست (هرميون): «(هارى). هل تشعر أنك.. أنك بخير؟».

كذب قائلاً: «نعم».

كان فى الخيمة، راقدًا على أحد الأسرة السفلية ومغطى بكومة من البطاطين. وأدرك أن الوقت فجر تقريبًا من السكون السائد والضوء الخافت البارد الذى يراه من وراء السقف القماش. كان غارقًا فى العرق؛ يمكنه أن يشعر به على الملاءات والبطاطين حوله.

«هربنا».

ردت (هرميون): «نعم، اضطررت إلى استخدام تعويذة تحليق حتى أنقلك إلى سريرك. لم أستطع رفعك. كنت... حسنًا، إنك لم تكن..».

رأى ظلالاً بنفسجية أسفل عينيها البنيتين ولاحظ إسفنجة صغيرة فى يدها وعرف أنها كانت تمسح بها وجهه.

وأكملت قائلة: «لقد كنت مريضًا، مريضًا جدًا».

«منذ متى رحلنا؟».

«منذ ساعات. فى الصباح تقريبًا».

«وماذا حدث لى... هل فقدت الوعى؟».

قالت (هرميون) بعدم راحة: «ليس بالضبط»، وأضافت بلهجة جعلت (هارى) يشعر بعدم الارتياح: «كنت تصيح وتئن و..». ما الذى فعله؟ صرخ باللعنات مثل (فولدمورت)، أم بكى مثل الطفل داخل السرير؟

قالت (هرميون): «لم أستطع إخراج الهوركروكس من عنقك». وعرف أنها تريد تغيير الموضوع. وأضافت: «كان ملتصقًا، ملتصقًا بصدرك. لقد ترك علامة؛ آسفة، لقد اضطررت إلى استخدام تعويذة قطع لتحريره من صدرك. لقد عضتك الحية أيضًا، لكننى قمت بتنظيف الجرح ووضع بعض نبات الديتانى عليه..».

وخلع القميص المبلل بالعرق الذى يرتديه ونظر إلى أسفل. ورأى علامة بيضاوية قرمزية فوق قلبه حيث أحرقته القلادة. ورأى أيضًا علامة ثقوب نصف ملتئمة على ساعده.

« أين وضعتِ الهوركروكس؟».

«فى حقيبتى. أظن أننا يجب ألا نرتديه لبعض الوقت».

وعاد يستلقى فوق وسائده ونظر إلى وجهها الرمادى المتألم.

وقال: «لم يكن علينا أن نذهب إلى جودريك هولو. إنه خطأى. كل ما حدث خطأى يا (هرميون). وأنا آسف».

«إنه ليس خطأك. لقد أردت الذهاب أيضًا؛ لقد اعتقدت (حقًا) أن (دمبلدور) قد ترك لك السيف هناك».

«نعم، حسنًا... لقد كنا على خطأ، أليس كذلك؟».

«ماذا حدث يا (هارى)؟ ماذا حدث عندما أخذتك إلى الطابق العلوى؟ هل كان الثعبان مختبئًا فى مكان ما؟ هل خرج وقتلها، ثم هاجمك؟».

قال: «لا، لقد كانت هى الحية... أو الحية هى... طوال الوقت».

«مـ .. ماذا؟».

أغلق عينيه. وشعر بأن رائحة منزل (باثيلدا) مازالت تفوح منه؛ مما جعل كل ما حدث حيًّا بشكل فظيع فى ذاكرته.

«من الواضح أن (باثيلدا) ماتت منذ فترة. كانت الحية داخلها... ووضعتها أنت ـ تعرف.. من فى جودريك هولو فى انتظارى. لقد كنت على حق. لقد عرف أننى سأعود إلى هناك».

«كانت الحية *داخلها*!».

فتح عينيه مرة أخرى. ورأى (هرميون) تبدو مشمئزة، متقززة.

وقال (هارى): «لقد قال (لوبين) أننا سنقابل سحرًا لم يخطر ببالنا أبدًا. لم ترد التحدث أمامك؛ لأنها تستخدم لغة الحيات، لم أدرك ذلك، ولكنى طبعًا استطعت فهمها. وعندما أصبحنا فى الغرفة، أرسلت الحية رسالة إلى (أنت ـ تعرف ـ من)، وسمعت ذلك يحدث داخل رأسى، وشعرت بحماسه، وقال له أن يبقينى هناك... ثم..».

وتذكر خروج الحية من عنق (باثيلدا): وفكر أن (هرميون) لا تريد إلى معرفة التفاصيل.

«... لقد تحولت، تحولت إلى الحية، وهاجمتنى».

ونظر إلى علامات العضة على ساعده.

«لم يكن من المفترض أن تقتلنى، ولكن أن تبقينى هناك فقط حتى يحضر (أنت ـ تعرف ـ من)».

لو أنه نجح فى قتل الحية، لكان الأمر يستحق ما تعرضوا له، كله... وشعر بألم فى القلب، واعتدل جالسًا، مزيحًا عن نفسه الأغطية.

«لا يا (هارى)، أنا متأكدة من أنك مازلت بحاجة إلى الراحة!».

«أنت من تحتاجين إلى النوم. لا أقصد شيئًا، ولكنك تبدين فى حالة فظيعة. إننى بخير. سأقوم بالحراسة لبعض الوقت. أين عصاى؟».

ظلت تنظر إليه بدون أن تجيبه.

«أين عصاى يا (هرميون)؟».

ورآها تعض على شفتيها، بينما عيناها تسبحان فى الدموع.

«(هارى)..».

«أين عصاى؟».

وبحثت بجوار السرير ثم رفعتها إليه.

ورأى العصا المصنوعة من خشب شجرة عيد الميلاد وريشة العنقاء وقد انقسمت تقريبًا إلى قطعتين. ولولا وجود إحدى فتل ريش العنقاء الهشة تربطهما معًا، لكان الخشب قد انفصل تمامًا. وأخذها (هارى) فى يديه وكأنه شىء حى يعانى إصابة فظيعة، لم يستطع التفكير بطريقة سليمة وطمس الذعر والخوف على عقله. ثم رفع العصا إلى (هرميون).

«أصلحيها. أرجوكِ».

«(هارى)، لا أعتقد أنها عندما تكسر بهذه..».

«رجاء يا (هرميون)، جربى!».

«ريـ .. ريبارو».

والتصق الجزء المتدلىّ من العصا بمكانه ثانية. ورفع (هارى) العصا.

«*لوموس!*».

اشتعلت العصا بضعف، ثم انطفأت. وأشار (هارى) إلى (هرميون).

وقال: «*إكسبيليارموس!*».

اهتزت عصا (هرميون) هزة صغيرة، ولكن لم تترك يدها. ويبدو أن تلك المحاولة الضعيفة لأداء السحر كانت أكثر مما تتحمل عصا (هارى) التى انقسمت إلى قطعتين من جديد. وحدق فيها بذهول، وبدا غير قادر على استيعاب ما يراه... العصا التى نجت من الكثير...

همست (هرميون) بصوت شديد الانخفاض حتى إنه بالكاد سمعها: «أنا آسفة جدًّا جدًّا يا (هارى)، أعتقد أننى السبب. ونحن راحلان، كانت الحية قادمة نحونا، ولذلك ألقيت تعويذة نسف، وارتدت فى كل مكان، ويبدو أنها.. أنها ضربت..».

قال (هارى) بصوت آلى: «كان ذلك حادثًا. سنجد طريقة ما لإصلاحها».

قالت (هرميون) وقد سقطت دموعها: «(هارى)، لا أظن أننا سنكون قادرين على فعل ذلك. أتذكر... أتذكر (رون)؟ عندما حطم عصاه عند سقوط السيارة؟ لم تعد كما كانت مرة أخرى أبدًا، واضطر إلى الحصول على واحدة جديدة».

وفكر (هارى) كيف يفترض أن يجد لنفسه عصًا جديدة بعد أن قام (فولدمورت) باختطاف (أوليفاندر) وحجزه لديه؛ وبعد قتله لـ (جريجوروفيتش).

قال: «حسنًا، حسنًا، سأستعير عصاك الآن، إذن، بينما أقوم بالمراقبة».

وسلمت (هرميون) عصاها إليه ووجهها غارق فى الدموع وتركها جالسة بجوار سريره، وكل ما يرغب فيه هو الابتعاد عنها.



١٨ حياة (دمبلدور) وأكاذيبه

طلعت الشمس، وامتدت السماء صافية شاسعة فوقه، غير عابئة به ولا بمعاناته. جلس (هارى) عند مدخل الخيمة وأخذ نفسًا عميقًا من الهواء النقى. ورغم أن البقاء حيًا لمشاهدة الشمس وهى تشرق فوق تل ثلجى متألق، يجب أن يكون أعظم كنز على وجه الأرض، فإنه لم يستطع تقديره. كانت حواسه كلها متجمدة بسبب كارثة فقدان عصاه. وأطل متفحصًا الوادى المغطى بالثلج، وسمع أجراس كنيسة بعيدة تدق خلال الصمت المتألق الذى يحيط به.

كان يضغط بأصابعه على ذراعيه، دون أن يدرى، وكأنه يحاول مقاومه ألم عضوى. لقد سال دمه مرات أكثر مما يمكنه حصرها؛ بل إنه فقد جميع عظام ذراعه اليمنى فى إحدى المرات؛ وأصيب فى هذه الرحلة بندوب على صدره وساعده لتضاف إلى تلك الموجودة على جبهته ويده، ولكنه، حتى هذه اللحظة، لم يشعر قط أنه شديد الضعف وأعزل، وكأنه قد جرد من أفضل جزء فى قوته السحرية. إنه يعلم بالضبط ما ستقوله (هرميون)، لو أنه أظهر أيًا من ذلك: العصا جيدة بقدر براعة الساحر فقط. ولكنها مخطئة، وقضيته مختلفة. فهى لم تشعر قط بالعصا وهى تدور مثل إبرة البوصلة وتطلق نيرانًا ذهبية نحو عدوه. لقد فقد الحماية التى وفرها له القلبان التوأمان للعصى، والآن فقط بعد أن انتهت، أدرك كم كان يعول عليها.

وأخرج قطعتى العصا المكسورة من جيبه، ودون النظر إليها، وضعها داخل جراب (هاجريد) الذى يرتديه حول عنقه. كان الجراب ممتلئًا الآن إلى آخره بأشياء مكسورة وبلا فائدة. ودفعت يد (هارى) السنيتش القديم جانبًا، وللحظة، اضطر إلى محاربة إغراء إخراجه ورميه بعيدًا. وفكر بأنه مستغلق، وغير مفيد، ولا طائل منه، مثل كل شىء آخر تركه (دمبلدور) وراءه...

وثار غضبه ضد (دمبلدور) مثل الحمم البركانية، محرقًا كل شىء داخله، ومزيلاً كل شعور آخر. إن اليأس المطلق هو الذى دفعهم إلى إقناع أنفسهم بالاعتقاد أن جودريك هولو تحمل لهم إجابات، وأقنعوا أنفسهم أنهم من المفترض

أن يعودوا إلى هناك، وأن ذلك جزء من مسار سرى ما وضعه لهم دمبلدور: ولكن لم يكن هناك خريطة أو خطة. لقد تركهم (دمبلدور) يتخبطون فى الظلام، ويصارعون أهوالاً مجهولة لم يحلموا بها أو يتصورها أحد من قبل، وحدهم ودون مساعدة؛ لا شيء واضح أو مفهوم، ليس لديهم سيف، والآن لم يعد لدى (هارى) عصا. كما أنه أسقط صورة اللص، وصار سهلا على فولدمورت الآن أن يعرف من هو... وأصبحت لديه كل المعلومات الآن...

«(هارى)؟».

بدت (هرميون) وكأنها خائفة من أن يستخدم عصاها فى إلقاء لعنة عليها. كان وجهها شاحبًا من كثرة البكاء، وجلست بجواره، بينما كوبا الشاى اللذان تحملهما يرتجفان فى يديها وشيء ضخم تحت إبطها.

قال وهو يأخذ أحد الأكواب: «شكرًا».

«هل تمانع لو تحدثت إليك؟».

قال لها: «لا»؛ لأنه لم يرد إيذاء مشاعرها.

«(هارى)، إنك تريد أن تعرف من هذا الرجل فى الصورة. حسنًا... لقد حصلت على الكتاب».

ووضعت على حجره باستحياء، نسخة من كتاب «*حياة دمبلدور وأكاذيبه*».

«أين.. كيف..؟».

«كان فى غرفة الجلوس، فى منزل (باثيلدا)، موضع هناك... بينما هذه المذكرة ملصقة به من أعلى».

وقرأت (هرميون) بضعة سطور من كتابة ذات لون أخضر حمض بصوت عال.

«*عزيزتى باتى، شكرًا لمساعدتكم. إليك نسخة من الكتاب، أرجو أن يعجبك. لقد قلت كل المكتوب به، حتى وإن كنت لا تذكرين ذلك. ريتا*». أعتقد أنه وصل عندما كانت (باثيلدا) الحقيقية مازالت حية، ولكن ربما لم تكن فى حالة تسمح لها بقراءته».

«لا، ربما لم تكن».

نظر (هارى) نحو وجه (دمبلدور) الموجود على الكتاب وشعر بسرور عارم: الآن سيعرف كل الأشياء التى لم يعتقد (دمبلدور) أنها تستحق أن يقولها، سواء أراد (دمبلدور) أم لم يرد.

قالت (هرميون): «هل مازلت غاضبًا منى؟». ونظر إليها ليرى الدموع تتسرب من عينيها مرة أخرى، لابد أن غضبه قد ظهر على وجهه.

قال بهدوء: «لا، لا يا (هرميون)، أعرف أنه كان حادثًا، بينما تحاولين إخراجنا من هناك على قيد الحياة، وقد قمتِ بذلك بشكل رائع. كنت قد أصبحت ميتًا الآن لو لم تكونى هناك لمساعدتى».

وحاول الرد على ابتسامتها المصحوبة بالدموع أو ابتسامتها الدامعة، ثم حول انتباهه إلى الكتاب. وبدا من الواضح أنه لم يفتح من قبل. ومر خلال الصفحات بسرعة باحثًا عن صور. وصل إلى الصورة التى يبحث عنها تقريبًا على الفور، ورأى (دمبلدور) الشاب ومرافقه الوسيم، وهما يضحكان على نكتة قديمة نسيت منذ زمن بعيد. ونظر (هارى) نحو التعليق الموجود على الصورة.

(ألباس دمبلدور)، بعد وقت قصير من وفاة والدته، مع صديقة (جيليرت جريندلوالد).

فغر (هارى) فاه بسبب الكلمة الأخيرة لعدة لحظات طويلة. (جريندلوالد). صديقة (جريندلوالد). ونظر نحو (هرميون) التى كانت مازالت تتأمل الاسم كما لو أنها لا تستطيع تصديق عينيها. ثم رفعت رأسها نحو (هارى) ببطء.

«(جريندلوالد)!».

وتجاهل (هارى) ما تبقى من الصور وبدأ بتفتيش الصفحات حولها باحثًا عمًّا كتب عن هذا الاسم المدمر. وسرعان ما توصل إليه وبدأ يقرأ بشوق، ولكنه لم يفهم شيئًا: كان من الضرورى أن يعود أكثر إلى الوراء ليستطيع فهم المعنى كاملاً، ووجد نفسه فى نهاية المطاف عند بداية فصل عنوانه «الصالح العام». وبدأ هو و(هرميون) قراءته معًا:

كان عمر (دمبلدور) يقترب من العام الثامن عشر، عندما غادر (هوجوورتس) بعد أن حقق أمجادًا عظيمة، فقد كان رئيس الطلاب، ورائد الفصل، والفائز بجائزة بارنابوس فينكلى لأسلوبه الاستثنائى فى أداء التعاويذ.. والممثل البريطانى الرسمى للشباب إلى مجلس الويزنجاموت، والحائز على الميدالية الذهبية للمساهمة التى فتحت آفاقًا جديدة فى المؤتمر الكيميائى الدولى فى القاهرة. وكان (دمبلدور) ينوى بعدها القيام بجولة كبرى مع (إلفياس دوجبريث دوج)، ذى الذكاء المحدود - ولكنه الصديق الصدوق الذى تعرف عليه فى المدرسة.

كان الشابان يقيمان فى المرجل الراشح فى لندن، ويستعدان للسفر إلى اليونان صباح اليوم التالى، عندما وصلت بومة تحمل خبر وفاة والدة

دمبلدور. وقد أعطى (دوجبريث دوج)، الذى رفض إجراء مقابلة من أجل هذا الكتاب، للجمهور نسخته العاطفية لما حدث بعد ذلك. ومثل وفاة كيندرا كضربة مفجعة، وقرار (دمبلدور) بالتخلى عن السفر كتضحية نبيلة بالنفس.

من المؤكد أن (دمبلدور) قد عاد فورًا إلى جودريك هولو، من أجل رعاية شقيقه الأصغر وشقيقته كما هو مفترض. ولكن ما مقدار الرعاية التى أعطاها إياهم فعلا؟

يقول إنيد سميك الذى كانت أسرته تعيش على مشارف جودريك هولو فى ذلك الوقت: «كان يتصرف تصرفات غير طبيعية، لقد أصبح (أبيرفورث) خارجًا عن السيطرة تمامًا وبالطبع شعر الجميع بالأسف له بعد وفاة أمه وأبيه، ولولا أنه ظل يملأ رأسى بكلام كروث الماعز، لكنت شعرت بالآسف نحوه أيضًا. لا أعتقد أن (ألباس) كان قلقًا عليه، فأنا لم أرهم معًا قط، على أى حال».

ما الذى كان يفعله (ألباس) إذن، إن لم يكن يواسى أخاه الأصغر الجامح؟ الجواب، كما يبدو، هو ضمان استمرار حبس أخته. فرغم أن سجانتها الأولى قد ماتت، فلم يحدث تغيير فى حالة أرينا (دمبلدور) المثيرة للشفقة. فقد ظل وجودها غير معروف سوى لعدد قليل من الغرباء الذين صدقوا مثل (دوجبريث دوج)، قصة «اعتلال صحتها».

وكانت (باثيلدا باجشوت)، المؤرخة السحرية الشهيرة التى تعيش فى جودريك هولو منذ سنوات عديدة، صديقة مريحة أخرى من أصدقاء الأسرة. كانت كيندرا، بالطبع، قد رفضت (باثيلدا) عندما حاولت فى البداية الترحيب بالأسرة إلى القرية. لكن الكاتبة أرسلت بومة إلى (ألباس) فى (هوجوورتس) بعد ذلك بعدة سنوات، تعبر فيها عن إعجابها ببحثه عن التحول بين الأجناس المختلفة فى التحويل اليوم. وأدت تلك المبادرة الأولى منها إلى التعارف بينها وبين أسرة (دمبلدور) بأكملها. وعندما توفيت كيندرا، كانت (باثيلدا) هى الشخص الوحيد فى جودريك هولو التى تتحدث مع أم (دمبلدور).

وللأسف، فإن الذكاء المتوهج الذى أظهرته (باثيلدا) فى بداية حياتها، كان قد خفت الآن. كما يقول أيفور ديلونسبى: «النار مشتعلة ولكن المرجل فارغة». أو كوصف إنيد سميك: «كانت شديدة الولع بهم كولع السنجاب بالبندق». ومع ذلك، استخدمت معها مجموعة من التقنيات الصحفية

المجربة التى مكنتنى من استخلاص المعلومات من الحقائق الثابتة وتجميع جميع خيوط القصة المخزية معا.

وترجع (باثيلدا) موت (كيندرا) المبكر إلى تعويذة عكسية كبقية المجتمع السحرى، وهى قصة كررها (ألباس) و(أبيرفورث) فى السنوات اللاحقة لموتها. كما أن (باثيلدا) تكرر كما الببغاوات عبارات الأسرة المحفوظة بخصوص (أريانا)، وتدعوها بـ «الضعيفة» و«معتلة الصحة». لكنَّ هناك موضوعًا واحدًا، يستحق كل الجهد الذى بذلته مع (باثيلدا) لاستخراج كل المعلومات منها؛ لأنها، وحدها، التى تعرف القصة الكاملة لأحد أهم الأسرار فى حياة (ألباس دمبلدور) والتى بقيت فى طى الكتمان حتى تم كشفها للمرة الأولى مما يشكك فى كل ما كان معجبًى (دمبلدور) يعتقدون فيه: كرهه المفترض لفنون الظلام، ومعارضته لاضطهاد العامة، وحتى إخلاصه لأسرته.

ففى نفس الصيف الذى عاد فيه (دمبلدور) إلى منزله فى جودريك هولو، بعد أن أصبح يتيمًا وربًا لأسرته، وافقت (باثيلدا باجشوت) على استقبال ابن أختها الكبير فى منزلها (جريندلوالد).

ويعتبر اسم (جريندلوالد) من الأسماء الشهيرة فى قائمة أخطر سحرة الظلام فى التاريخ السحرى، والحقيقة أنه كان على رأس القائمة حتى أتى أنت-تعرف-من بعده بجيل كامل وسرق منه تاجه. لكن عدم امتداد حملة (جريندلوالد) الإرهابية إلى بريطانيا أبدا، جعل تفاصيل صعوده إلى السلطة غير معروفة على نطاق واسع هنا.

تلقى (جريندلوالد) تعليمه فى دورمسترانج، وهى مدرسة اشتهرت حتى فى ذلك الحين بالتسامح مع فنون الظلام للأسف. وقد ظهر نبوغ (جيليرت جريندلوالد) بشكل مبكر تمامًا مثل (دمبلدور) ولكنه كرس نفسه لمساع أخرى بدلا من توجيه قدراته نحو نيل الجوائز والمكافآت، وفى سن السادسة عشرة، لم تستطع حتى مدرسة مثل دورمسترانج ان تغض الطرف عن التجارب الملتوية التى يقوم بها (جيليرت جريندلوالد)، وتم طرده منها.

ومن المعروف، أن خطوة (جريندلوالد) التالية كانت السفر إلى خارج البلاد لعدة أشهر. ولكن الآن اتضح أن (جريندلوالد) اختار زيارة خالته الكبرى فى جودريك هولو، وفى أثناء أقامته هناك، ورغم الصدمة الشديدة التى حدثت للكثيرين عند سماعها، إنه لم يكوِّن صداقة وثيقة إلا مع (إلباس دمبلدور).

وتقول (باثيلدا): «لقد بدا لى صبيًا لطيفًا، رغم ما أصبحه لاحقًا. ومن الطبيعى أن أعرفه على (ألباس) المسكين الذى كان يفتقد صحبة شبان من سنه. ونشأت صداقة بين الولدين على الفور».

ومن المؤكد أن ذلك ما حدث. فقد أرتنى (باثيلدا) رسالة تحتفظ بها، أرسلها (ألباس دمبلدور) إلى (جيليرت جريندلوالد) فى وسكون الليل.

«نعم، حتى بعد أن قضى هذان الفتيان العبقريان طوال اليوم فى المناقشة الحامية، مثل المرجل على النار... كنت أحيانًا أسمع بومه تدق على نافذة غرفة نوم جيليرت، وتوصل له رسالة من (ألباس)! لقد خطرت له فكرة، ويريد أن يخبر بها جيليرت على الفور!».

ويالغرابة تلك الأفكار. وما ستسببه من صدمة عميقة لمعجبى (ألباس دمبلدور) عندما يسمعون أفكار بطلهم ذى السبعة عشر عامًا! والتى أرسلها إلى صديقه المقرب الجديد. (يمكن الإطلاع على نسخة من الرسالة الأصلية فى صفحة 463).

جيليرت..

فكرتك عن أن حكم السحرة يمكن أن يكون فى صالح العامة هى فى اعتقادى النقطة الحاسمة. وأوافقك، بأننا منحنا سلطة، وأوافقك أيضًا بأن تلك السلطة تعطينا الحق فى الحكم، ولكنها تعطينا أيضًا مسئوليات أكثر نحو المحكومين. يجب أن نشدد على هذه النقطة، وستكون حجر الأساس الذى نبنى عليه. وعندما نواجه معارضة، وهذاشىء أكيد، يجب أن يكون هذا هو الأساس الذى سندافع به عن فكرتنا. فنحن سنستولى على السلطة من أجل الصالح العام. ونستنتج من ذلك، أننا عندما نقابل أية مقاومة، يجب ألا نستخدم من القوة إلا ما هو ضرورى فقط وليس أكثر. (كان هذا خطأك فى دورمسترانج! ولكننى لا أشتكى؛ لأنك لو لم تطرد، ما كنا قد التقينا).

ألباس

ورغم أن تلك الرسالة ستهدش ستروع معجبى (دمبلدور) الكثيرين لكنها تمثل دليلاً، على أنه حلم فى يوم من الأيام بالإطاحة بقانون الحفاظ على السرية وإقامة نظام يحكم فيه السحرة العامة. يا لها من ضربة لأولئك

الذين صوروا (دمبلدور) دائمًا على أنه أعظم الأبطال المدافعين عن مواليد العامة! كم تبدو الخطب التى تدعو إلى تعزيز حقوق العامة جوفاء فى ضوء هذه الأدلة الجديدة الدامغة! كم يبدو (ألباس دمبلدور) حقيرًا عندما ينشغل بالتآمر على الوصول للسلطة، فى الوقت الذى ينبغى فيه أن يكون حزينًا على وفاة والدته ومشغولاً برعاية شقيقته!

ولا شك أن المصممين على إبقاء (دمبلدور) فى مقامه العالى المتداعى سيقولون بأنه لم يضع خططه موضع التنفيذ، على كل حال، وإنه بكل تأكيد قد غير رأيه، وعاد إلى تعقله. ولكن الحقيقة تبدو مروعة تمامًا.

بعد شهرين من هذه الصداقة العظيمة الجديدة، افترق (دمبلدور) و(جريندلوالد)، ولم يروا بعضهما البعض مرة أخرى حتى اجتمعوا للمبارزة الأسطورية (للمزيد انظر الفصل 22). ما سبب هذا الفراق المفاجئ؟ هل عاد (دمبلدور) إلى رشده؟ هل قال لـ(جريندلوالد) أنه لا يريد المشاركة فى خططه بعد الآن؟ للأسف، لا.

تقول (باثيلدا): «موت (أريانا) المسكينة هو السبب فى ذلك، كما أعتقد. أصابتنا صدمة فظيعة. وكان جيليرت فى منزل (دمبلدور) عند وقوعها، وعاد إلى منزلى وهو متوتر، وأخبرنى أنه يريد العودة إلى منزله فى اليوم التالى. بدا متألمًا بشدة، فرتبت له أداة انتقال وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى رأيته فيها».

«وبدا (ألباس) متضايقًا بسبب وفاة (أريانا). كان الأمر رهيبًا لهذين الأخوين، بعد أن خسرا الجميع باستثناء بعضهما. فلا عجب أن تتلف أعصابهما. ألقى (أبيرفورث) اللوم على (ألباس)، كما يحدث عادة من الناس الذين يمرون بمثل هذه الظروف المروعة. ولكن (أبيرفورث) أبدى دائمًا القليل من الجنون، ولد مسكين. ومع ذلك، كسره لأنف (ألباس) فى الجنازة لم يكن من حسن الأدب. كان ذلك سيدمر كيندرا أن ترى أبناءها يتقاتلان هكذا، أمام جسد ابنتها. ومن المؤسف أن جيليرت لم يمكنه البقاء لحضور الجنازة... ليواسى (ألباس) فى محنته على الأقل..».

وتثير تلك المشاجرة الفظيعة التى حدثت بجوار النعش ولم يعرف بها سوى القلة من الناس التى حضرت جنازة (أريانا) دمبلدور،العديد من التساؤلات. لماذا بالضبط يلوم (أبيرفورث) (ألباس دمبلدور) لموت أخته؟ هل السبب هو ما تقوله «باتى»، مجرد تدفق لمشاعر الحزن الشديد؟ أم أن

هنـاك سببًـا ملـموسًـا أكثر لهذا الغضب؟ (جريندلوالد) الذى طرد من دورمسترانج بسبب مهاجمته لزميل له بالمدرسة حتى كاد يموت، فر من البلاد بعد ساعات من وفاة الفتاة، و(ألباس) (من الخجل أو الخوف؟) لم يره مرة أخرى، حتى اضطره إلى ذلك مناشدات العالم السحرى.

لم يشر (دمبلدور) أو (جريندلوالد) إلى تلك الصداقة القصيرة التى جمعتهما فى فترة الصبا أبدًا، فى حياتهما اللاحقة. ولكن مما لا شك فيه أن (دمبلدور) قد أجل هجومه على (جيليرت جريندلوالد)، لنحو خمس سنوات كاملة مليئة بالاضطراب، وحالات الوفاة، والاختفاء. فهل كان باقيًا على محبته للرجل أم أن الخوف من التعرض لصديقه القديم هو الذى جعل (دمبلدور) يتردد كل هذه المدة؟ هل كان الكره هو الذى دفع (دمبلدور) فى النهاية إلى الترتيب إلى القبض على الرجل الذى كان يومًا سعيدًا بلقائه؟

وكيف ماتت (أريانا) الغامضة؟ هل كانت ضحية غير مقصودة لبعض الطقوس المظلمة؟ هل فعلت بشىء ما كان يجب أن نفعله، بينما يتدرب الشابان على محاولتهما للوصول إلى المجد والسيطرة؟ هل من الممكن أن تكون (أريانا دمبلدور) هى أول شخص يموت من أجل «الصالح العام؟».

انتهى الفصل هنا ونظر (هارى) إلى أعلى. كانت (هرميون) قد وصلت إلى أسفل الصفحة قبله. وسحبت الكتاب من يدى (هارى)، وقد بدا عليها الانزعاج من التعبير الذى ظهر على وجهه وأغلقته بدون النظر إليه، كما لو أنها تخفى شيئًا خارجًا عن اللياقة.

«(هارى)..».

لكنه هز رأسه. وشعر بأن بعض اليقين الداخلى قد تحطم داخل نفسه؛ بالضبط كما شعر عندما رحل (رون). لقد وثق بدمبلدور وأعتقد أنه تجسيد للخير والحكمة. أصبح كل ذلك رمادًا الآن: ما الذى يمكن أن يخسره أكثر من ذلك؟ (رون)، ودمبلدور، وعصا العنقاء...

قالت (هرميون) وكأنها سمعت ما يفكر به: «(هارى)، استمع لى. إنه ـ إنه ليس جديرًا بالقراءة..».

« ـ نعم، يمكنك قول ذلك..».

« ـ ولكن لا تنس يا (هارى)، هذه هى كتابة (ريتا سكيتر)».

«هل قرأت تلك الرسالة إلى (جريندلوالد)؟».

قالت مترددة وقد ظهر عليها الضيق: «نعم، فعلت». وأخذت تهز كوب الشاى فى يديها الباردتين وأضافت: «أعتقد أن هذا هو أسوأ ما فى الأمر. أعرف أن (باثيلدا) اعتقدت أن ذلك مجرد كلام، ولكن من أجل الصالح العام أصبح شعار (جريندلوالد)، ومبرره لكل الفظائع التى ارتكبها فيما بعد. و... ومن ذلك... يظهر أن (دمبلدور) هو الذى أعطاه الفكرة. بل إنهم يقولون أن 'من أجل الصالح العام' كان محفورًا على مدخل نورمينجارد».

«ما نورمينجارد؟».

«السجن الذى بناه (جريندلوالد) ليحبس فيه معارضيه. وقد انتهى به الأمر أن دخله هو نفسه، عندما قبض عليه (دمبلدور). على أية حال، إنها فكرة فظيعة أن تكون أفكار (دمبلدور) قد ساعدت (جريندلوالد) فى الوصول إلى السلطة. ولكن ومن ناحية أخرى، حتى ريتا لا يمكنها الادعاء بأن معرفتهما لم تزد عن بضعة أشهر فى أحد فصول الصيف، عندما كانا صغيرين فى السن، و...».

قال (هارى): «عرفت أنك ستقولين هذا». ولم يشأ السماح لغضبه بأن يصب عليها، ولكنه وجد صعوبة فى إبقاء صوته ثابتًا. وأكمل: «عرفت أنك ستقولين «لقد كانا صغيرين». لقد كانا فى نفس السن التى نحن فيها الآن. وها نحن، نخاطر بحياتنا من أجل محاربة فنون الظلام، بينما كان هو يتآمر مع صديقه المقرب الجديد للوصول إلى السلطة وبسط السلطة على العامة».

وشعر بأنه غير قادر على ضبط أعصابه أكثر من ذلك: فوقف وأخذ يمشى حول المكان محاولاً تهدئة نفسه.

قالت (هرميون): «أنا لا أحاول الدفاع عما كتبه (دمبلدور). كل ذلك الهراء عن «الحق فى الحكم»، هو نفسه «السحر هو القوة». لكن يا (هارى)، كانت والدته قد توفيت للتو، وكان ماكثًا وحده فى المنزل..».

«وحده؟ لم يكن وحده! كان معه أخوه وأخته، شقيقته السكويب التى واصل حبسها..».

قالت (هرميون) وهى تقف أيضًا: «لا أصدق هذا، مهما كانت مشكلة تلك الفتاة، فلا أعتقد أنها كانت سكويب. (دمبلدور) الذى نعرفه لم يكن ليسمح أبدًا..».

صرخ (هارى): «إن (دمبلدور) الذى اعتقدنا أننا نعرفه لم يكن يريد التغلب على العامة بالقوة!». وتردد صوته عبر قمة التل الخالية، وطارت مجموعة من الغربان فى الهواء، وأخذت تنعق وتدور فى السماء اللؤلؤية.

«لقد تغير يا (هارى)، تغير! إن الأمر بهذه البساطة! ربما أعتقد بهذه الأشياء وهو فى السابعة عشرة، ولكنه كرس كل حياته بعد ذلك لمحاربة فنون الظلام! إن (دمبلدور) هو الذى أوقف (جريندلوالد)، وهو الذى كان دائمًا يصوت لحماية العامة وحقوق مواليد العامة، وهو الذى حارب، (أنت ـ تعرف ـ من) منذ البداية، ومات وهو يحاول القضاء عليه!».

وبدا وجه (ألباس دمبلدور) مبتسما بكآبة شديدة لكليهما فوق كتاب ريتا الموضوع على الأرض بينهما.

«أنا آسفة يا (هارى)، ولكنى أعتقد أن السبب الحقيقى لغضبك هو أن (دمبلدور) لم يقل لك أيًا من هذا أبدًا عن نفسه».

قال (هارى): «ربما أنا كذلك!».وفرد ذراعيه فوق رأسه، وهو لا يكاد يعرف ما إذا كان يحاول السيطرة على غضبه أو يحمى نفسه من ثقل خيبة أمله وقال: «انظرى إلى ما طلبه منى يا (هرميون)! خاطر بحياتك يا (هارى)! مرة بعد مرة! ولا تتوقع منى أن أشرح كل شىء، فقط ثق بى ثقة عمياء، ثق أننى أعرف ما أفعله، ثق بى حتى وإن كنت لا أثق بك! لم يقل لى الحقيقة كاملة أبدًا! أبدًا!».

وتكسر صوته من الاضطراب، ووقفا ينظران إلى بعضهما البعض وسط البياض والفراغ الذى يحيط بهما. وشعر (هارى) بأنهما شىء تافه مثل الحشرات تحت السماء الواسعة.

همست (هرميون): «لقد أحبك. أعرف أنه أحبك».

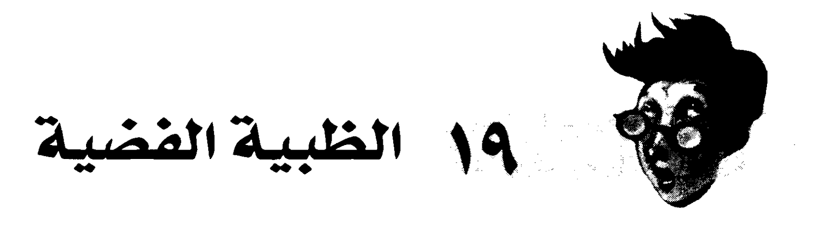
وأنزل (هارى) ذراعيه.

«لا أعرف من كان يحب، يا (هرميون)، ولكنه لم يكن أنا أبدًا. إن تلك الفوضى التى تركنى فيها ليست حبًا بالتأكيد، لقد شارك (جيليرت جريندلوالد) وتبادل معه وجهات النظر أكثر مما تشارك به معى أبدًا».

التقط (هارى) عصا (هرميون) من حيث أوقعها وسط الثلج وتراجع جالسًا فى مدخل الخيمة.

وقال: «شكرًا على الشاى. سأنهى المراقبة. عودى إلى الدفء بالداخل».

ترددت قليلاً، ولكنها عرفت أن الأمر نهائى. والتقطت الكتاب ثم مرت به عائدة إلى داخل الخيمة، ولكنها وهى تفعل ذلك، مسحت على قمة رأسه بيدها بخفة. وأغلق عينيه عندما لمسته، وكره نفسه لتمنيه أن يكون ما قالته صحيحًا: أن (دمبلدور) اهتم به حقًا.



١٩ الظبية الفضية

كان الثلج يتساقط، فى الوقت الذى تولت فيه (هرميون) المراقبة عند منتصف الليل. وحلم (هارى) أحلامًا مضطربة ومشوشة؛ يظهر ناجينى ويختفى فيها، مرة من خلال خاتم ضخم مكسور، ثم من خلال باقة ورد عيد الميلاد. وصحا (هارى) عدة مرات مفزوعًا، وهوُ مقتنع أن أحدًا ينادى باسمه على البعد، ومتخيلاً أن الريح التى تدور حول الخيمة هى خطوات أقدام أو أصوات.

وأخيرًا، خرج إلى الظلمة وانضم إلى (هرميون) التى كانت تجلس فى مدخل الخيمة وهى تقرأ كتاب *تاريخ السحر* على ضوء عصاها. كان الثلج لايزال يسقط بغزارة وقبلت بارتياح اقتراحه بأن يحزما أشياءهما ويرحلا مبكرًا.

وافقته قائلة وهى ترتعش وتسوى السترة التى ترتديها فوق بيجامتها: «سنذهب إلى مكان أكثر سترًا. لقد ظللت أتخيل سماع أشخاص يتحركون فى الخارج، بل إننى ظننت أننى رأيت شخصًا ما مرة أو مرتين».

لم يرد (هارى) للحظة، لبس فيها سترة ونظر إلى جهاز الإنذار السحرى الصامت والساكن فوق المائدة.

قالت (هرميون) وهى تبدو متوترة: «أنا متأكدة أننى تخيلت ذلك. إن نزول الثلج فى الظلام يخدع العينين... ولكن ربما كان من الأفضل أن ننتقل آنيًا تحت عباءة الإخفاء، تحسبًا للأمر؟».

وبعد نصف ساعة، أنهوا حزم الخيمة ولبس (هارى) الهوركروكس وأمسكت (هرميون) بحقيبتها وانتقلوا آنيًا وأحاط بهم الضيق المعتاد، وتركت قدما (هارى) الأرض الثلجية لتسقط بقوة فوق ما بدا مثل أرض متجمدة تغطيها أوراق شجر.

وسأل وهو ينظر حوله إلى كتلة الأشجار الجديدة حولهما: «أين نحن؟»، بينما فتحت (هرميون) حقيبتها المطرزة وأخرجت أعمدة الخيمة منها.

قالت: «غابة دين، لقد أتيت للتخييم هنا مرة مع أبى وأمى».

وكان الثلج قابعًا هنا أيضًا فوق قمم الأشجار والجو حولهما شديد البرودة. ولكنهما كانا على الأقل محميين من الرياح. وأمضيا معظم اليوم داخل الخيمة، متجمعين طلبًا للدفء حول النيران الزرقاء المتألقة التى تبرع (هرميون) فى صنعها والتى يمكن جمعها وحملها داخل برطمان. وشعر (هارى) أنه يسترد قوته بعد أن مر بفترة مرض قصيرة ولكنه شديد وهو شعور أكده قلق (هرميون) الشديد عليه. وفى تلك الظهيرة تساقطت عليهم رقائق جديدة من الثلج، حتى إن غبار الثلج المسحوق دخل إلى مكانهم المحمى الجديد.

وبعد ليلتين من النوم القليل، أصبحت حواس (هارى) أكثر تنبهًا من المعتاد. لقد هربوا من جودريك هولو بشق الأنفس حتى بدا فولدمورت بشكل ما أكثر قربًا وتهديدًا عما كان من قبل. وعندما اقترب المساء مرة أخرى، رفض (هارى) عرض (هرميون) لكى تقوم بالمراقبة وطلب منها أن تذهب لتنام.

وأخذ (هارى) وسادة قديمة ووضعها فى مدخل الخيمة وجلس عليها وهو يرتدى كل السترات التى يملكها، ولكنه كان لايزال يشعر بالارتعاش. وزادت الظلمة مع مرور الساعات حتى أصبحت شديدة الكثافة. وكان فى سبيله إلى استخراج خارطة المارودر، لمراقبة نقطة جينى لبعض الوقت، عندما تذكر أنهم الآن فى إجازة عيد الميلاد وأنها عادت إلى الجحر.

وبدت كل حركة صغيرة مكبرة وسط اتساع الغابة التى فكر (هارى) أنها لابد أن تكون مليئة بالمخلوقات الحية، ولكنه تمنى لو تبقى ساكنة وصامتة حتى يستطيع أن يفرق بين انطلاقتها المفاجئة وتجولها بحثًا عن الفرائس وبين الضجة التى قد تدل على تحركات أخرى منذرة بالخطر. وتذكر صوت العباءة التى تهسهس فوق الأوراق الميتة منذ سنوات عديدة، وفكر فجأة بأنه سمعه مرة أخرى قبل أن يهز رأسه ليفيق عقله، لقد نجحت تعاويذ الحماية لأسابيع، لماذا تنكسر الآن؟ ولكنه لم يستطع أن يطرد إحساسه بوجود شىء مختلف هذه الليلة.

ورفع رأسه أكثر من مرة قلقًا، وعنقه يؤلمه؛ لأنه سقط نائمًا، وهو يستند على جانب الخيمة ووصل الظلام إلى كثافة شديدة، حتى إنه شعر بأنه يمكن أن يكون محبوسًا داخل فجوة بين الظهور والاختفاء وهو ينتقل آنيًا. ورفع يده أمامه ليرى إن كان سيستطيع رؤية أصابعه وعندها حدث شىء غريب.

ظهر ضوء فضى لامع أمامه، يمشى بين الأشجار، ومهما كان مصدره، كان يتحرك بدون صوت. وبدا الضوء كأنه يتجه نحوه.

وقفز على قدميه، وصوته متجمد فى حلقه ورفع عصا (هرميون). وضيق عينيه عندما أصبح الضوء باهرًا، وأصبحت الأشجار أمامه خيالات مرتسمة ولا يزال الشىء يقترب أكثر...

ثم خرج مصدر الضوء من وراء شجرة بلوط. كانت ظبية ذات لون أبيض فضى، تصدر ضوءًا باهرًا كضوء القمر، وتتخذ طريقها على الأرض، صامتة وبدون أن تترك آثار حوافر فى الثلج وتحركت نحوه ورأسها الجميل ذو العينين ذواتى الرموش الطويلة مرفوع إلى أعلى.

وحدق (هارى) فى المخلوق متعجبًا، ليس من غرابتها، ولكن من ألفتها غير المفهومة، وشعر بأنه كان منتظرًا قدومها ولكنه نسى ذلك حتى هذه اللحظة، وكأنهما قد رتبا معًا لِهذا اللقاء. وتلاشت رغبته فى أن يصيح ليدعو (هرميون) التى كانت قوية منذ لحظة. وعرف أنه سيجازف بحياته من أجلها، وأنها أتت من أجله ومن أجله وحده.

وأخذا يحدقان فى بعضهم البعض لعدة لحظات ثم حولت وجهها ومشت مبتعدة.

قال وقد تكسر صوته من قلة الاستخدام: «لا، ارجعى!».

واستمرت تمشى مبتعدة بين الأشجار وسرعان ما اختفى بريقها وسط جذوعها السوداء الكثيفة. ومرت لحظة تردد وقف فيها مرتجفًا. وهمس له الحذر: إن ذلك يمكن أن يكون خدعة أو فخًا. ولكن غريزته أنبأته بأن ذلك ليس سحرًا أسود، وانطلق يتبعها.

وتكسر الثلج تحت أقدامه ولكن الظبية لم تحدث أى ضجة ومرت خلال الأشجار؛ لأنها لم تكن سوى ضوء. وقادته إلى داخل الغابة أكثر وأكثر ومشى (هارى) بسرعة، وهو متأكد أنها عندما تتوقف ستسمح له بالاقتراب منها. وعندها ستتكلم، وسيخبره صوتها بما يحتاج إلى معرفته.

وأخيرًا، توقفت وحولت رأسها الجميل نحوه مرة أخرى، وحاول أن يتكلم والسؤال يحرق داخله، ولكن ما إن فتح شفتيه ليقوله حتى اختفت، ورغم أن الظلمة ابتلعتها بالكامل، فإن صورتها اللامعة ظلت مطبوعة على الشبكية داخل عينيه، معتمة رؤيته التى أضاءت بعد أن خفض جفنيه، مما أفقده الإحساس بالاتجاهات، ثم أتى الخوف الآن؛ فقد كان وجودها يعنى الأمان.

وهمس: «*لوموس!*». واشتعل طرف العصا.

وشعر أن صورة الظبية تمحى مع كل رفة من جفونه بينما هو واقف هناك يستمع إلى أصوات الغابة وإلى صوت تكسر فروع وخطوات فوق الثلج تأتى من بعيد. هل سيتم مهاجمته؟ هل قادته إلى فخ؟ هل كان يتخيل شخصًا ما واقفًا فيما وراء ضوء العصا يراقبه؟ رفع العصا إلى أعلى. لم يجر أحد فى اتجاهه ولم ير دفقة من الضوء الأخضر تندفع من وراء شجرة، لماذا إذن قادته إلى هذه البقعة؟ ولمع شيء فى ضوء العصا وأسرع (هارى) نحوه ولكن كل ما رآه هو بركة متجمدة ولمع سطحها الأسود المتكسر، عندما رفع عصاه إلى أعلى أكثر ليفحصها.

وتحرك إلى الأمام بحذر إلى حد ما ونظر إلى أسفل وعكس الثلج خياله غير المنتظم، على ضوء العصا، ولكنه رأى أسفل سطحها المخربش الرمادى شيئًا آخر يلمع... صليبًا فضيًّا كبيرًا...

وشعر بقلبه يقفز إلى فمه، وسقط على ركبتيه عند حافة البركة ووجه العصا لتغرق قاع البركة بأكبر قدر ممكن من الضوء. ورأى ومضة من اللون الأحمر... كان ذلك سيف جريفندور بمقبضه الياقوتى المتلألئ... كان سيف جريفندور موجودًا فى قاع بركة غابة.

وحدق فيه وهو بالكاد يستطيع التقاط أنفاسه. كيف يمكن ذلك؟ كيف حدث وأصبح السيف راقدًا فى قاع بركة متجمدة، قريبة من المكان الذى خيموا فيه؟ هل جذب سحر ما غير معروف (هرميون) إلى هذا المكان؟ أم أن الظبية، والتى فكر بأنها باترونا س، نوع من الحارس للبركة؟ أم أن السيف وضع فى البركة بعد أن وصلوا، وبالأخص لأنهم هنا؟ وفى كل الحالات، أين الشخص الذى أراد إيصاله لـ (هارى)؟ ومرة أخرى وجه عصاه إلى الأشجار والشجيرات التى تحيط به، باحثًا عن أى شخص. ولكنه لم يجد أحدًا هناك. ومع كل ذلك ارتفع الخوف داخله ليوازى سروره وأعاد اهتمامه إلى السيف الملقى فى قاع البركة المتجمدة.

وأشار بالعصا إلى الشكل الفضى وغمغم: «*أكسيو السيف!*».

ولكنه لم يتحرك ولم يكن يتوقع منه أن يفعل. لو كان الأمر بهذه السهولة، لكان السيف وضع على الأرض من أجله ليلتقطه. وليس فى عمق البركة المتجمدة. وأخذ يدور حول دائرة الثلج وهو يفكر بقوة فى المرة الأخيرة التى سلم فيها السيف نفسه له. لقد كان فى خطر شديد وقتها وطلب المساعدة والنجدة.

وغمغم: «النجدة». ولكن السيف بقى فى قاع البركة بلا حراك، غير مبال.

ما الذى قاله (دمبلدور)؟ سأل (هارى) نفسه (وبدأ يمشى مجددًا)، فى المرة الأخيرة التى استعاد فيها السيف، *لا يستطيع إخراج هذا السيف من القبعة سوى* جريفندور حقيقى، وما الصفات التى يعرف بها جريفندور؟ وأجاب صوت هامس فى رأس (هارى) *السؤال:الفروسية والبطولة والقلب الجرىء مجتمعة...*

توقف (هارى) عن المشى وأطلق تنهيدة طويلة، وتطاير بخار تنفسه بسرعة فى الهواء المتجمد. عرف ما عليه أن يفعل، ولو كان صادقًا مع نفسه، لعرف أنه قد يضطر لذلك منذ اللحظة التى لمح فيها السيف من خلال الثلج. وألقى نظرة حوله إلى الأشجار المحيطة به مرة أخرى، ولكنه كان مقتنعًا الآن أن لا أحد سيهاجمه، لقد حانت لهم الفرصة عندما مشى وحده بين أشجار الغابة وكانت لديهم الكثير من الفرص، وهو يفحص البركة والسبب الوحيد للتأجيل حتى هذه النقطة هو أن يكون الهدف غير مطلوب بالمرة.

وبأصابع ترتعش، بدأ (هارى) يخلع ملابسه الكثيرة. هل لهذا الأمر علاقة بالبطولة؟ أخذ يفكر متحسرًا، إنه متأكد تمامًا من أنه لن يدعو (هرميون) لتفعل ذلك بدلاً منه، إلا إذا كان هذا يعد بطولة.

ونعقت بومة فى مكان ما بعد أن خلع ملابسه كلها، وفكر بألم فى هدويج. وأخذ يرتعش، بينما أسنانه تصطك بشكل فظيع، وأكمل خلع ملابسه، حتى وقف هناك مرتديًا ملابسه الداخلية وبدون حذاء فى الثلج. ووضع الجراب الذى يحمل العصا وخطاب والدته وقطعة المرآة الخاصة بسيريوس والسنيتش القديم فوق ملابسه، ثم أشار بعصا (هرميون) نحو الثلج وقال:

«*ديفيندو!*».

وتكسر الثلج بصوت يشبه انطلاق رصاصة وسط السكون: وانكسر سطح البركة وتحركت كتل الثلج السوداء فوق المياه المضطربة وفكر (هارى) أنها ليست عميقة ولكن لاستعادة السيف سيضطر إلى الغوص داخلها تمامًا.

وفكر بأن التفكير فى المهمة التى أمامه لن يجعلها أسهل أو يجعل الماء أدفأ وخطا نحو حافة البركة ووضع عصا (هرميون) على الأرض وهى لا تزال مشتعلة، ثم حاول ألا يتخيل كم البرودة التى سيتعرض لها وكيف سيرتعش بعنف، ثم قفز.

وصرخ كل جزء فى جسمه معترضًا. حتى الهواء الذى فى رئتيه تجمد عندما غاص إلى كتفيه فى الماء المتجمد. وبالكاد كان يستطيع التنفس؛ وأخذ يرتعش

بقوة حتى إن الماء طرطش إلى حافة البركة، وأخذ يتحسس القاع بأطراف أصابع قدميه المتخدرة باحثًا عن النصل. كان يريد أن يغطس مرة واحدة فقط.

وأجل لحظة الغطس الكامل ثانية بعد أخرى وهو يشهق ويرتجف، حتى أخبر نفسه أنه يجب أن يفعل ذلك وجمع كل شجاعته وغاص.

كان البرد مؤلمًا، وهاجمه مثل النار. وشعر بأن عقله نفسه قد تجمد ودفع نفسه خلال الماء الأسود إلى القاع، وعندما وصل إليه مد يده نحو السيف وقبض بأصابعه على مقبضه وسحبه إلى أعلى.

ثم قبض شيء ما بقوة على عنقه واعتقد بأنه أعشاب الماء، رغم أنه لم يشعر بأى منها وهو يغوص، ورفع يده الخالية ليحرر نفسه. لم يكن ذلك عشبًا، كانت سلسلة الهوركروكس قد ضاقت حول عنقه وتحاول ببطء خنقه.

وضرب (هارى) قدميه بقوة محاولاً إعادة نفسه إلى السطح، ولكنه دفع نفسه نحو الجزء الصخرى من البركة. وحاول فك السلسلة وهو يتخبط ويختنق، بينما أصابعه المتجمدة لا تستطيع فكها، والآن أحسَّ بالقليل من الضوء يقفز داخل رأسه.

وشعر أنه على وشك الغرق، ولم يبق شيء، لا شيء يمكنه فعله والأذرع التى أمسكت بصدره كانت بالتأكيد أذرع الموت...

وبينما يغص ويسعل ويشعر ببرد لم يشعر به قطُّ فى حياته وجد نفسه مواجهًا الثلج بوجهه، ورأى شخصًا آخر بالقرب منه، ينهج ويسعل. لقد أتت (هرميون) لنجدته مرة أخرى كما أتت عندما هاجمته الحية... ولكنه لم يبد مثلها، ليس بصوت السعال العميق الذى يسمعه، لو لم يحكم بالوزن وصوت الخطوات...

لم يجد (هارى) القوة ليرفع رأسه ويرى هوية منقذه، وكل ما استطاع فعله هو رفع يد مرتجفة نحو عنقه وتحسس المكان الذى جرحته فيه القلادة. لم تكن موجودة: لقد خلصه أحد منها. ثم تكلم صوت وهو يلهث من فوق رأسه.

«هل أنت مجنون؟».

وأعطت صدمة سماع هذا الصوت القوة لـ (هارى) لأن يقوم وهو يرتعش بقوة، وأخذ يترنح واقفًا على قدميه. كان (رون) يقف أمامه، لابسًا ملابسه بالكامل ولكنه مبلل إلى الجلد، وشعره ملتصق بوجهه، بينما سيف جريفندور فى إحدى يديه الهوركروكس متدليًا من سلسلته المكسورة فى اليد الأخرى.

لهث (رون) وهو يحمل الهوركروكس إلى أعلى وقد أخذ يتأرجح إلى الأمام والخلف فى سلسلته وكأنه يستخدم فى التنويم المغناطيسى وقال: «بحق الجحيم، لماذا لم تخلع هذا الشيء قبل أن تغوص؟».

لم يستطع (هارى) الإجابة. وفكر بأن مفاجأة الظبية الفضية لا شيء مقارنة بظهور (رون) مرة أخرى، لم يكن يصدق ما يراه. وأمسك بكومة الملابس التى لاتزال راقدة على حافة الماء، وهو يرتجف وبدأ يلبسها. وبينما يلبس بلوفر بعد الآخر من فوق رأسه أخذ (هارى) يحدق فى (رون)، وهو نصف متوقع أن يتلاشى فى كل مرة يختفى فيها عن نظره حتى اقتنع أخيرًا أنه لابد أن يكون حقيقة: لقد غاص فى البركة وأنقذ حياة (هارى).

وأخيرًا قال (هارى) وأسنانه تصطك: «لقد كنت ـ أنت؟» كان صوته أضعف من المعتاد بسبب اقترابه من الاختناق حتى الموت.

«أنت الذى أرسلت تلك الظبية؟».

«ماذا؟ بالطبع لا! لقد فكرت أنك الذى صنعتها!».

«الباتروناس الخاص بى وعل».

«آه نعم، لقد ظننت أنه يبدو مختلفًا، ليس له قرون».

وأعاد (هارى) وضع جراب (هاجريد) حول عنقه ولبس البلوفر الأخير، وتوقف ليأخذ عصا (هرميون) وواجه (رون) مرة أخرى.

«كيف وصلت إلى هنا؟».

من الواضح أن (رون) أمل أن يتم تأجيل إثارة هذه النقطة أو ألاً تثار أبدًا.

«حسنًا، لقد ـ أتعرف ـ لقد عدت. إذن..» ثم تنحنح وأضاف: «إذا كنت لاتزال تريدنى».

ومرت لحظة صمت، ارتفع فيها رحيل (رون) مثل الحائط بينهم. ولكنه هنا الآن. عاد وأنقذ حياة (هارى) لتوه.

ونظر (رون) إلى يديه. وبدا وقد فوجئ للحظة من رؤية الأشياء التى يحملها.

ثم قال وهو يرفع السيف ليراه (هارى): «آه، لقد أخرجته، هذا هو ما دفعك للقفز داخل البركة، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «نعم، ولكنى لا أفهم. كيف وصلت إلى هنا؟ كيف وجدتنا؟».

قال (رون): «قصة طويلة، لقد كنت أبحث عنكم منذ ساعات، إنها غابة كبيرة وكنت قد فكرت فى الارتكان تحت شجرة والانتظار حتى الصباح، عندما رأيت غزالاً قادمًا، وكنت أنت تتبعه».

«إنك لم تر شيئًا آخر».
قال (رون): «لا، لم..».
ولكنه تردد ونظر نحو شجرتين مزروعتين بالقرب من بعضهما على بعد ياردات قليلة منهم.
«لقد ظننت أننى رأيت شيئًا يتحرك هناك، ولكنى كنت أجرى نحو البركة فى ذلك الوقت؛ لأنك غصت فيها ولم تعد للسطح، لذلك لم أكن لأذهب إلى... هيه!».
أسرع (هارى) نحو المكان الذى حدده (رون)، شجرتى البلوط اللتين نمتا معًا؛ وكانت هناك فتحة لا تتعدى بضع بوصات بين جذعيهما فى مستوى العينين، وهو مكان مثالى للمراقبة. كانت الأرض حول الجذور خالية من الثلج ولم يستطع (هارى) رؤية أى أثر لآثار أقدام، ومشى عائدًا إلى المكان الذى يقف فيه (رون) منتظرًا، وهو لايزال يحمل السيف الهوركروكس.
وسأل (رون): «هل رأيت شيئًا هناك؟».
قال (هارى): «لا».
«كيف وصل السيف إلى هذه البركة؟».
«إن الشخص الذى أرسل الباتروناس هو الذى وضعه هناك».
ونظر كلاهما إلى السيف الفضى المزخرف، الذى يلمع مقبضه الياقوتى فى ضوء عصا (هرميون).
وسأل (رون): «هل تظن أن هذا هو السيف الحقيقى؟».
قال (هارى): «هناك طريقة وحيدة لاكتشاف ذلك».
كان الهوركروكس لايزال يتأرجح من يد (رون) والقلادة تختلج قليلاً. وعرف (هارى) أن الشىء داخلها قد اهتاج مرة أخرى، وشعر بوجود السيف وحاول قتل (هارى) حتى لا يحصل عليه. لم يكن الوقت مناسبًا للمناقشات الطويلة، لقد حانت لحظة تحطيم القلادة إلى الأبد. ونظر (هارى) حوله وهو يحمل عصا (هرميون) عاليًا، ورأى المكان المناسب حجرًا مسطحًا فى ظل شجرة جميز.
وقال وهو يقود الطريق ويمسح الثلج عن سطح الصخرة: «تعال هنا». ثم مد يده من أجل الهوركروكس، وعندما عرض عليه (رون) السيف هز (هارى) رأسه وقال:
«لا، عليك أنت أن تفعل ذلك».
قال (رون) وهو يبدو مصدومًا: «أنا؟ لماذا؟».
«لأنك أخرجت السيف من البركة. أعتقد أنه لابد أن تكون أنت».

لم يكن ذلك طيبة أو كرمًا من (هارى). كان يعرف أنه ينبغى أن يكون (رون) هو الشخص الذى يستخدم السيف، بنفس الطريقة التى عرف بها أن الظبية شىء حميد غير خطير. لقد استفاد أخيرًا من شىء علمه إياه (دمبلدور) عن أنواع معينة من السحر وعن القوة غير المحسوبة لبعض التصرفات.

قال (هارى): «سوف أفتحه وأنت تطعنه على الفور. اتفقنا؟ لأن الشىء الموجود بداخلها مهما كان سيحاول المقاومة. لقد حاول جزء ريدلالموجود داخل المفكرة أن يقتلنى».

سأل (رون) وقد ظهر عليه الرعب: «ولكن كيف ستقوم بفتحها؟».

قال (هارى): «سأطلب منها أن تفتح باستخدام لغة الحيَّات» لقد ورد الجواب على شفتيه بسرعة لدرجة أنه فكر أنه كان يعرف هذا دائمًا عميقًا فى داخله. وربما احتاج إلى لقائه القريب مع ناجينى ليجعله يدرك ذلك. ونظر إلى حرف «إس» المرسوم بطريقة تجعله يشبه الحيَّة والمزين بأحجار خضراء لامعة: وكان من السهل تخيله حية صغيرة ملتفةً حول نفسه تحت الصخرة الباردة.

قال (رون): «لا!، لا، لا تفتحه! أنا جاد!».

سأل (هارى): «لماذا؟ لنتخلص من الشىء الملعون، لقد مرت شهور...».

«لا أستطيع يا (هارى)، أنا جاد ـ افعله أنت...».

«ولكن لماذا؟».

قال (رون) وهو يتراجع مبتعدًا عن القلادة الموجودة فوق الصخرة: «لأن هذا الشىء ضار بالنسبة لى! لا أستطيع تحمله! أنا لا أتحجج يا (هارى)، من أجل ما فعلته، ولكنه يؤثر علىَّ أسوأ مما يؤثر عليك أنت و(هرميون)، لقد جعلنى أفكر فى أشياء، أشياء كنت أفكر فيها على أية حال، ولكنه جعلنى أشعر بكل شىء أسوأ. لا أستطيع توضيح ذلك، ولكنى عندما كنت أخلعه، كان عقلى يعود سليمًا مرة أخرى، ثم أعود لارتداء هذا الشىء الفظيع مرة أخرى ـ لا أستطيع فعل ذلك يا (هارى)!».

وتراجع مبتعدا أكثر والسيف يجرجر بجانبه، بينما يهز رأسه.

قال (هارى): «يمكنك فعل ذلك. يمكنك ذلك! لقد حصلت على السيف لتوك. وأنا أعرف أنه من المفترض أن يكون أنت الذى يستخدمه. أرجوك، تخلص منه فقط يا (رون)».

وبدا أن سماع اسمه قد عمل كمنبه له. فقد ابتلع (رون) ريقه، ثم تحرك نحو الحجر وهو لايزال يتنفس بصعوبة من خلال أنفه الطويل.

وقال: «أخبرنى متى».

قال (هارى): «عند العدة الثالثة». وعاد للنظر نحو القلادة وهو يضيق عينيه ويركز على حرف «إس» ويتخيل الثعبان، بينما يجلجل بداخل القلادة مثل صرصار كبير محبوس. كان من السهل الشعور نحوه بالشفقة، لولا أن الجرح حول رقبة (هارى) ما زال يؤلمه بشدة.

: «واحد... اثنين... ثلاثة... *افتح*».

وجاءت الكلمة الأخيرة مثل هسيس ودمدمة وانفتحت الأبواب الذهبية للقلادة على مصراعيها بصوت نقرة صغيرة.

ورأوا وراء الشبابيك الزجاجية عينين سوداوين جميلتين مثل عينى (توم ريدل) قبل أن تتحولا إلى اللون الأحمر ويصبح بؤبؤهما مثل الفتحات.

قال (هارى) وهو يمسك القلادة ليثبتها فوق الصخرة: «اطعنها».

ورفع (رون) السيف فى يده وهو لايزال يرتجف ونصله موجه نحو العينين اللتين تدوران باهتياج، وثبت (هارى) القلادة بشدة مهيئًا نفسه، وهو يتخيل الدماء، تسيل من النوافذ الخالية.

ثم هسهس صوت خارج من الهوركروكس.

«*لقد رأيت قلبك، وهو ملك لى*».

قال (هارى) بحدة: «لا تستمع إليها! اطعنها!».

«*لقد رأيت أحلامك يا رونالد ويزلى، رأيت مخاوفك، كل ما تتمناه ممكن، ولكن كل ما تخافه ممكن أيضًا ...*».

صاح (هارى): «اطعن!». وتردد صوته بين الأشجار المحيطة بالمكان، وارتعش نصل السيف وحدق (رون) فى أسفل نحو عينى ريدل.

«*إنك أقل واحد تحبه أمك التى كانت تشتاق إلى ابنة عندما أنجبتك ... وأقل واحد تحبه الآن الفتاة التى فضلت صديقك... دائمًا أفضل ثانٍ، ستعيش إلى الأبد فى الظل...*».

صرخ (هارى): «(رون)، اطعنها الآن!». كان يشعر بالقلادة ترتجف فى قبضته وخاف مما سيأتى بعد ذلك، ورفع (رون) السيف أكثر، وعندما فعل ذلك، لمعت عينا ريدل باللون القرمزى.

وخرج من نافذتى القلادة، من العينين فقاعتان قبيحتان، رأس (هارى) و(هرميون) وهما مشوهان بشكل غريب.

وصرخ (رون) من الصدمة وتراجع مبتعدًا، بينما خرجت الأشكال من القلادة، أولاً الصدر، ثم الوسط، ثم الأقدام، حتى وقفا بجوار بعضهما فوق القلادة مثل شجرتين تنبتان من جذر واحد. وأخذا يتمايلان فوق (رون) و(هارى) الحقيقى الذى ترك القلادة بعد أن لسعت أصابعه فجأة بشدة.

وصاح: «رون!». ولكن (هارى) الذى خرج من قلادة ريدل كان يتكلم الآن بصوت فولدمورت ورأى (رون) يحدق فى وجهه وكأنه منوم مغناطيسيًا.

«*لماذا عدت؟ لقد كنا أفضل بدونك، وأكثر سعادة بدونك، سعداء بسبب غيابك... وكنا نضحك من غبائك، وجبنك ووقاحتك...*».

وردت (هرميون) التى خرجت من قلادة ريدل: «وقاحة!». كانت أكثر جمالاً وفظاعة من (هرميون) الحقيقية وأخذت تتمايل وهى تضحك أمام (رون) الذى بدا مرعوبًا ولكن مسمرًا فى مكانه بينما السيف معلق بلا هدف بجواره. وأضافت: «*من الذى يستطيع النظر إليك، من سينظر إليك أبدًا، بجوار (هارى بوتر)؟ ما الذى فعلته فى حياتك مقارنة بالمختار؟ من أنت مقارنة بالولد الذى نجا؟*».

صاح (هارى): «رون اطعنها، **اطعنها**!». ولكن (رون) لم يتحرك، وقد انعكس لـ(هارى) و(هرميون) ريدل فى عينيه المفتوحتين على اتساعهما بينما شعورهما تدور مثل ألسنة اللهب وأعينهما تلمع باللون الأحمر، وارتفعت أصواتهما وكأنهما يغنيان أغنية ثنائية شريرة.

قال (هارى) الذى صنعه ريدل ساخرًا: «والدتك اعترفت أنها تفضلنى كابن بدلاً منك، وستكون سعيدة لو تم التبديل...».

قالت (هرميون) عن صنع ريدل مستهزئة: «*من لا يفضله هو؟ أى امرأة تريدك؟ أنت لا شىء.. لا شىء*». وتمددت مثل الأفعى ولفت نفسها حول (هارى) ريدل واحتضنته والتقت شفاههما.

وعلى الأرض أمامهما، امتلأ وجه (رون) بالألم: ورفع سيفه إلى أعلى وذراعاه تهتزان.

صاح (هارى): «افعلها يا رون».

نظر (رون) نحوه وظن (هارى) أنه رأى أثرًا للون الأحمر فى عينيه.

«(رون)..؟».

ولمع السيف، وأغمده، وقفز (هارى) مبتعدًا عن طريقه، وسمع صوت صلصلة المعدن وصرخة طويلة ممتدة. ودار (هارى) حول المكان منزلقًا فوق الثلج والعصا على استعداد لأن يدافع عن نفسه، ولكن لم يكن هناك شيء ليحاربه.

لقد اختفت النسختان الرهيبتان منه هو و(هرميون). كان هناك (رون) فقط، يقف هناك ممسكًا بالسيف متراخيًا فى يده، وهو ينظر إلى البقايا المحطمة من القلادة الموجودة فوق الصخرة المسطحة.

وعاد (هارى) إليه ببطء، وهو لا يعرف ماذا يقول أو يفعل. كان (رون) يتنفس بثقل وعيناه لم تعودا حمراوين على الإطلاق بل عادتا إلى لونهما الأزرق الطبيعى وإن كانتا مبتلتين.

وانحنى (هارى) متظاهرًا بأنه لم يره، والتقط الهوركروكس المكسور. كان (رون) قد طعن الزجاج فى كلتا النافذتين، واختفت عينا ريدل بينما الحرير المصبوغ الذى يبطن القلادة لايزال يدخن قليلاً. لقد اختفى الشيء الذى كان يعيش فى الهوركروكس؛ وتعذيب (رون) هو آخر أفعاله.

صلصل السيف بعد أن أسقطه (رون). الذى سقط على ركبتيه ورأسه بين ذراعيه وكان يهتز وتبيَّنَ (هارى) أن سبب ذلك لم يكن البرد.

وضع (هارى) القلادة المكسورة داخل جيبه، وركع بجوار (رون) ووضع يده بحذر فوق كتفيه، واعتبرها إشارة طيبة عندما لم يبعدها (رون).

وقال بصوت هامس وهو شاكر؛ لأن وجه (رون) كان مختفيًا بين يديه: «بعد رحيلك، أخذت تبكى لمدة أسبوع أو ربما أكثر، ولكنها أخفت بكاءها عنى، ومرت ليال طويلة، لم نكن حتى يحادث فيها بعضنا بعضًا، بعد أن رحلت..».

لم يستطع إكمال كلامه، وأدرك الآن بعد أن عاد (رون) كم كلفهم غيابه.

وأكمل: «إنها مثل أختى. أحبها مثل أختى وأظن أن لديها نفس الشعور نحوى. لقد كان الأمر كذلك دائمًا. اعتقدت أنك تعرف ذلك».

لم يجب (رون)، ولكن أبعد وجهه عن (هارى) ومسح أنفه فى كمه بصوت عال. ووقف (هارى) على قدميه مرة أخرى ومشى نحو المكان الذى ترقد فيه حقيبة (رون) الضخمة على بعد ياردات منهم، حيث تركها (رون)، عندما جرى نحو البركة لإنقاذ (هارى) من الغرق وقد احمرت عيناه وإن بدا متماسكًا.

وقال بصوت ثقيل: «أنا آسف، أنا آسف لرحيلى. أعرف أننى كنت..».

ونظر حوله فى الظلام وكأنه يتمنى أن تأتى كلمة سيئة بما يكفى وتنقض عليه وتطالب به.

قال (هارى): «لقد عوضت عن ذلك نوعًا ما الليلة بعد أن قمت بإحضار السيف والقضاء على الهوركروكس وإنقاذ حياتى».

وغمغم (رون): «إن ذلك يظهرنى بشكل أفضل كثيرًا مما كنت».

قال (هارى): «إن تلك الأشياء تبدو دائمًا أفضل كثيرًا مما كانت عليه فى الحقيقة. لقد كنت أحاول أن أقول لك ذلك طيلة سنوات مضت».

وفى نفس اللحظة تقدم الاثنان إلى الأمام وتعانقا وأمسك (هارى) بظهر سترة (رون) التى لاتزال غارقة فى البلل.

قال (هارى) بعد أن افترقا: «والآن كل ما علينا أن نفعله هو أن نجد الخيمة مرة أخرى».

ولكن الأمر لم يكن صعبًا. فرغم أن المشى وسط الغابة المظلمة مع الظبية بدا طويل الأمد، فإن رحلة العودة ورون بجواره بدت أسهل كثيرًا بشكل مفاجئ. لم يكن (هارى) يستطيع الانتظار حتى يوقظ (هرميون) ودخل الخيمة وهو يهتز من الإثارة، بينما تأخر (رون) قليلاً وراءه.

كان المكان دافئًا على نحوٍ جميل بعد البركة المتجمدة فى الغابة، وكان الضوء الوحيد هو النيران الزرقاء التى لاتزال مشتعلة داخل وعاء على الأرض. كانت (هرميون) مستغرقة فى النوم وهى ملتفة حول نفسها تحت البطاطين، ولم تتحرك، حتى كرر (هارى) اسمها عدة مرات.

«*(هرميون)!*».

حدقت فيه، ثم جلست بسرعة ودفعت شعرها بعيدًا عن وجهها.

«ماذا حدث يا (هارى)؟ هل أنت بخير؟».

«أنا بخير، كل شيء جيد، بل أكثر من جيد، ممتاز، هناك شخص هنا».

«ما الذى تعنيه؟ من..».

ورأت (رون) الذى كان يقف هناك ممسكًا بالسيف، بينما ملابسه تقطر على السجادة البالية وتراجع (هارى) نحو ركن مظلم، ووضع حقيبة الكتف الخاصة برون وحاول أن يختفى بجوار القماش.

انزلقت (هرميون) من سريرها ومشت مثل النائمة نحو (رون)، وعيناها على وجهه الشاحب. ووقفت أمامه تمامًا وشفتاها منفرجتان قليلاً وعيناها مفتوحتان على اتساعهما. وابتسم (رون) ابتسامة ضعيفة مليئة بالأمل ورفع ذراعيه.

وألقت (هرميون) بنفسها نحوه، وأخذت تلكم كل جزء تستطيع الوصول إليه.

«أى ـ آه ـ اتركينى! ما الذى ـ؟ (هرميون) ـ آى!».

«إنك ـ أحمق ـ تمامًا ـ يا رونالد ـ ويزلى!».

كانت كل كلمة تقولها تنتهى بضربة يتلقاها (رون) الذى تراجع مبتعدًا وهو يحمى رأسه بينما تتقدم (هرميون) نحوه.

«أتزحف ـ عائدًا ـ إلى هنا ـ بعد أسابيع ـ وأسابيع ـ *آه، أين عصاى؟*».

وبدت على وشك انتزاعها بالقوة من يد (هارى) الذى تصرف غريزيًّا.

«*بروتيجو!*».

وظهر الحاجز الخفى بينها وبين (رون)، ودفعتها قوته إلى الخلف فوقعت إلى الأرض وقفزت واقفة مرة أخرى تبصق الشعر من فمها.

قال (هارى): «(هرميون)! اهدئى..».

وصرخت: «لن أهدأ!». لم يرها وهى فاقدة السيطرة على أعصابها لهذه الدرجة من قبل. بدت وكأنها قد جنت تمامًا.

«أعد إلى عصاى! *أعدها إلى!*».

«(هرميون)، من فضلك..».

صاحت: «لا تُملِ على ما أفعله يا (هارى بوتر)! لا تجرؤ على ذلك! أعدها إلى الآن! وأنت!.

كانت تشير إلى (رون) فى اتهام مريع، وكأنها تلعنه. ولم يستطع (هارى) لوم (رون) على تراجعه عدة خطوات.

«لقد أسرعت أجرى خلفك! وناديتك! توسلت إليك أن تعود!».

قال (رون): «أعرف يا (هرميون)، أنا آسف، أنا فعلاً..».

«آه، أنت آسف إذن!».

ضحكت ضحكة عالية، ونظر (رون) إلى (هارى) يطلب المساعدة ولكن (هارى) تجهم فقط مبديًا عدم قدرته على المساعدة.

«لقد عدت بعد أسابيع ـ *أسابيع* ـ وتظن أن كل شىء سيكون على ما يرام لو أنك فقط قلت *آسف*؟».

وصاح (رون): «حسنًا، ما الذى يمكننى قوله غير ذلك؟». وسر (هارى) لكون (رون) بدأ يجابهها.

صاحت (هرميون) بسخرية فظيعة: «آه، لا أعرف! شغل عقلك يا (رون)، لن يستغرق هذا منك سوى ثانيتين فقط..».

وقاطعها (هارى) الذى اعتقد أن تلك ضربة تحت الحزام: «(هرميون)، لقد أنقذ..».

صرخت: «لا يهمنى! لا يهمنى ما فعله! لقد تركنا أسابيع وأسابيع، من الممكن أن نكون متنا بدون..».

صاح (رون) ليعلو صوته فوق صوتها للمرة الأولى: «كنت أعرف أنكما لم تموتا!».

واقترب منها على قدر ما يستطيع مع وجود تعويذة الدرع بينهما وأضاف: «إن أخبار (هارى) تملأ *المتنبئ اليومى*، والراديو، وهم يبحثون عنه فى كل مكان، وكل هذه الإشاعات والقصص المجنونة، كنت أعرف أنكم لو متم لسمعت بذلك على الفور، أنتم لا تعرفون كيف كان الأمر..».

« كيف كان الأمر بالنسبة *لك*؟».

كان صوتها حادًا جدًا، لدرجة أن الخفافيش كان يمكنها سماعها فقط من قريب ولكنها كانت قد وصلت إلى مستوى من السخط جعلها غير قادرة على الكلام فاستغل (رون) الفرصة:

«لقد كنت أريد العودة بعد دقيقة واحدة من انتقالى آنيًا، ولكنى التقيت بعصابة من الخطافين يا (هرميون)، ولم أستطع الذهاب إلى أى مكان!».

سأل (هارى): «ماذا؟ عصابة من؟». بينما ألقت (هرميون) نفسها فى كرسى وقد عقدت ذراعيها وساقيها بشدة حتى بدا كما لو أنها لن تفكر فى فكها قبل مرور عدة سنوات.

قال (رون): «الخطافون، إنهم فى كل مكان، عصابات تحاول كسب الذهب عن طريق القبض على مواليد ـ العامة وخائنى الدم. وهناك مكافأة من الوزارة عن كل واحد يتم القبض عليه. وقد كنت وحدى وبدا كما لو كنت فى سن المدرسة، وقد شعروا بالإثارة، وظنوا أننى أحد مواليد العامة المتخفين. وكان لزامًا أن أتكلم بسرعة لأجد لنفسى مخرجًا قبل أن يسحبونى إلى الوزارة».

«ما الذى قلته لهم؟».

«أخبرتهم أنى ستان سونبايك، أول اسم فكرت فيه».

«وصدقوا هذا؟».

«لم يكونوا شديدى الذكاء، وكان أحدهم نصف غول بكل تأكيد، وقد دلت رائحته عليه».

ونظر (رون) نحو (هرميون) وهو يأمل أن تلين قليلاً من هذه المزحة الصغيرة، ولكن تعبيرها ظل متحجراً وظلت يداها وقدماها معقودة.

«على أية حال، لقد اختلفوا حول ما إذا كنت (ستان) أم لا، وكان الأمر مثيرًا للشفقة قليلاً، ولكنهم كانوا خمسة وأنا واحد وقد أخذوا عصاى. ثم دخل اثنان منهم فى قتال وبينما الآخران لاهيان، استطعت ضرب الشخص الذى يمسكنى فى بطنه وأخذت عصاه وجردت الشخص الذى يمسك عصاى منها وانتقلت آنيًا. ولم أقم بذلك بصورة جيدة، وقمت بتفكيك أوصال نفسى مجددًا..» ورفع (رون) يده اليمنى ليريهم ظفرين مفقودين فى أصابعه، ورفعت (هرميون) حاجبيها ببرود. وأضاف: «.. وعدت على بعد أميال من المكان الذى كنت فيه وعندما وصلت أخيرًا إلى ضفة النهر التى كنا عندها... كنتم قد رحلتم».

قالت (هرميون) بصوتها المتعالى الذى تلجأ إليه عندما تريد جرح أحد: «يا إلهى! يا لها من قصة محزنة، لابد أنك كنت مرعوبًا.. وفى هذه الأثناء، ذهبنا نحن إلى جودريك هولو ودعنى أفكر قليلاً، ماذا حدث هناك يا (هارى)؟ آه، نعم، ظهرت حية، (أنت ـ تعرف ـ من)، وكادت تقتلنا كلينا، ثم حضر (أنت ـ تعرف ـ من) بنفسه وهربنا قبل وصوله بحوالى ثانية».

قال (رون) وقد فغر فاه وهو ينقل بصره بين (هارى) و(هرميون): «ماذا؟». ولكن (هرميون) تجاهلته.

«تخيل فقد ظُفْرَين يا (هارى)! إن ذلك يضع معاناتنا فى نصابها الصحيح، أليس كذلك؟».

قال (هارى) بهدوء: «(هرميون)، لقد أنقذ (رون) حياتى».

بدت وكأنها لم تسمعه.

وقالت وهى تركز عينيها على بقعة تعلو رأس (رون) بحوالى قدم: «هناك شىء واحد أريد أن أعرفه، وهو كيف وجدتنا بالضبط الليلة؟ إن هذا مهم. فما إن نعرف ذلك، سيكون بإمكاننا أن نتأكد أنه لا يزورنا أحد آخر لا نريد رؤيته».

وحدق (رون) فيها، ثم سحب شيئًا صغيرًا فضيًا من داخل سرواله الجينز: «هذه».

وكان عليها أن تنظر إلى (رون) لترى ماذا يريها.

وسألته بدهشة أنستها أن تبدو باردة وغاضبة: «ساحب الضوء؟».

قال (رون): «إنه لا يطفئ الأضواء ويعيدها فقط. لا أعرف كيف يعمل أو لماذا حدث ذلك وقتها وليس فى أى وقت آخر، لأنى كنت أريد العودة منذ اللحظة التى رحلت فيها. ولكننى كنت أستمع إلى الراديو، مبكرًا جدًّا فى اليوم التالى لعيد الميلاد وسمعت... سمعتك».

كان ينظر إلى (هرميون).

سألت (هرميون) مشككة: «سمعتنى فى الراديو؟».

رفع (رون) ساحب الضوء مرة أخرى وقال: «لا، لقد سمعته قادمًا من جيبى.. لقد خرج صوتك منه.».

سألت (هرميون) وصوتها يوحى بالشك والفضول: «ما الذى قلته بالضبط؟».

«اسمى، (رون)، وقلتِ شيئًا... عن عصا...».

وتحول لون (هرميون) إلى القرمزى وتذكر هارى؛ لقد كانت المرة الأولى التى يلفظ فيها أى منهم اسم (رون) بصوت عال منذ يوم رحيله؛ وقد ذكرته (هرميون) عندما كانت تتكلم عن إصلاح عصا (هارى).

وأكمل (رون) وهو ينظر إلى ساحب الضوء: «وهكذا أخرجته، ولم يبد مختلفًا أو أى شيء! ولكننى كنت متأكدًا من أننى سمعتك، فنقرت عليه، وذهب الضوء من الغرفة، ولكن ضوءًا آخر ظهر خارج النافذة مباشرة».

ورفع (رون) يده الخالية وأشار لها أمامه وعيناه مركزتان فوق شيء لا يستطيع (هارى) أو (هرميون) رؤيته.

«كانت كرة من الضوء تنبض نوعًا ما، ولونها ضارب إلى الزرقة، مثل الضوء الذى تراه حول أداة الانتقال، أتعرفون؟».

رد (هارى) و(هرميون) تلقائيًّا معًا: «نعم».

قال (رون): «عرفت أنها فرصتى، فسحبت أشيائى وحزمتها داخل حقيبة الكتف هذه وخرجت إلى الحديقة».

«كانت كرة الضوء طائرة هناك فى انتظارى، وعندما خرجت تحركت إلى الأمام قليلاً وتبعتها حتى وصلنا وراء الحظيرة، ثم... حسنًا، لقد انتقلت إلى داخلى».

قال (هارى): «ماذا؟» كان واثقًا من أنه لم يسمعه جيدًا.

قال (رون) وهو يشرح الحركة بإصبعه السبابة الخالى: «طارت نحوى نوعًا ودخلت مباشرة إلى صدرى، ومرت خلالى مباشرة وأصبحت أشعر بها هنا». ولمس نقطة قريبة من قلبه وأكمل قائلاً: «كنت أستطيع الشعور بها. كانت ساخنة.

وما إن أصبحت داخلى، حتى عرفت ما على أن أفعله، عرفت أنها ستأخذنى إلى المكان الذى أحتاج إلى الذهاب إليه. فقمت بالانتقال آنيًا ووجدت نفسى فى مكان بجوار تل، كان الثلج فى كل مكان...».

قال (هارى): «كنا هناك، قضينا ليلتين، وفى الليلة الثانية، ظللت أعتقد أن بإمكانى سماع شخص يتحرك حولنا فى الظلام وهو ينادى!».

قال (رون): «نعم، حسنًا، لقد كان ذلك أنا، إن تعاويذكم الدفاعية تعمل على أية حال لأننى لم أستطع رؤيتكم أو سماعكم، رغم أنى كنت متأكدًا أنكم فى مكان قريب، لذلك فى النهاية دخلت كيس النوم الخاص بى وانتظرت أن يظهر أحدكم. وفكرت أنكم ستضطرون لإظهار أنفسكم عندما تقومون بحزم الخيمة».

قالت (هرميون): «لا، فى الواقع أننا انتقلنا آنيًا تحت عباءة الإخفاء كاحتياط إضافى ورحلنا مبكرًا؛ إذ سمعنا، كما قال (هارى) أحدًا يتجول حولنا».

قال (رون): «حسنًا، لقد بقيت على هذه التل طوال اليوم، وظللت آمل أن تظهروا. ولكن عندما بدأ الظلام يهبط، عرفت أننى قد فقدتكم، ولهذا نقرت على ساحب الضوء مرة أخرى، وخرج الضوء الأزرق ودخل إلى داخلى وانتقلت آنيًا ووصلت إلى هنا، فى هذه الغابات. ولم أستطع رؤيتكم أيضًا، ولم يكن أمامى سوى أن أتمنى أن يظهر أحد منكم فى النهاية ـ وقد فعل (هارى). حسنًا، لقد رأيت الظبية أولاً، بالطبع».

قالت (هرميون) بحدة: «رأيت ماذا؟».

وشرحا لها ما حدث، وعندما اتضحت قصة الظبية الفضية والسيف الذى وجداه فى البركة. عبست (هرميون) وأخذت تنقل عينيها من أحدهما للآخر وهى تركز بقوة حتى نسيت عقد أطرافها معًا.

قالت: «ولكن لابد أن هذا كان باتروناس! ألم تر من الذى صنعه؟ ألم تر أى شخص؟ وقادتك إلى السيف! لا أستطيع تصديق هذا! ثم ماذا حدث بعد ذلك؟».

وشرح (رون) كيف رأى (هارى) وهو يقفز فى البركة وانتظر منه أن يعود إلى السطح؛ حتى أدرك أن هناك مايسوء وغاص لينقذ (هارى)، ثم عاد من أجل السيف ووصل إلى فتح القلادة، ثم تردد وقاطعه (هارى).

«وطعنها (رون) بالسيف».

وهمست: «و... وذهبت؟ بهذه البساطة؟».

وقال (هارى) وهو ينظر نصف نظرة إلى (رون): «حسنًا، لقد ـ صرخت. خذى»..

ورمى بالقلادة إلى حجرها؛ ورفعتها بحذر وأخذت تفحص النوافذ المطعونة.

وقرر (هارى) أنه أخيرًا يستطيع إزالة تعويذة الحاجز بحركة من عصا (هرميون) ثم تحول إلى (رون).

«هل قلت أنك هربت من الخطافين ومعك عصا إضافية؟».

قال (رون) وهو يراقب (هرميون) تفحص القلادة: «ماذا؟ أوه ـ آه، طبعًا».

وفتح جيب حقيبته وأخرج منه عصا سوداء قصيرة وقال: «ها هى. لقد فكرت أنه من الأفضل دائمًا أن يكون لديك شىء تلجأ إليه فى الطوارئ».

قال (هارى) وهو يمد يده إليه: «إنك على حق. لقد كسرت عصاى».

قال (رون): «إنك تمزح؟». ولكن (هرميون) وقفت فى هذه اللحظة على قدميها وبدت منذرة بالشر مرة أخرى.

وضعت (هرميون) الهوركروكس فى حقيبتها المطرزة وصعدت عائدة إلى سريرها واستقرت فيه بدون أن تقول كلمة أخرى.

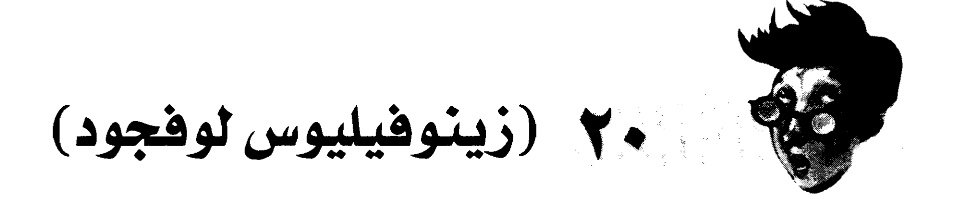
وأعطى (رون) (هارى) العصا الجديدة.

وغمغم (هارى): «إن هذا هو أفضل مما تمنيته على ما أعتقد».

قال (رون): «نعم، لا يمكن أن يكون أسوأ، أتذكر تلك الطيور التى جعلتها تهاجمنى؟».

وجاء صوت (هرميون) المكتوم من تحت البطاطين: «إننى لم أسقط الأمر بعد».

ولكن (هارى) رأى (رون) يبتسم ابتسامة خفيفة وهو يسحب بيجامته الأرجوانية من داخل حقيبته.



٢٠ (زينوفيليوس لوفجود)

لم يتوقع (هارى) أن يخف غضب (هرميون) خلال الليل، ولذلك لم يكن يعجب عندما وجدها لاتزال تتخاطب بنظرات الاستخفاف والصمت اللائم فى صباح اليوم التالى. ورد (رون) بالحفاظ على السلوك غير الطبيعى الكئيب فى حضورها بوصفها علامة على استُمرار شعوره بالندم. وعندما يجتمع ثلاثتهم معًا، كان (هارى) يشعر أنهالشخص الوحيد الذى لا يندب فى جنازة لا يحضرها سوى عدد قليل من الناس. لكن (رون) يصبح مرحًا خَلَوًا من الشعور بالذنب خلال تلك اللحظات القليلة التى يقضيها مع (هارى) وحدهما، (وهما يجمعان المياه أو يبحثان تحت الأشجار عن الفطر).

وظل يقول: «شخص ما ساعدنا، شخص ما أرسل تلك الظبية، شخص ما فى صفنا، لقد قضينا على أحد الهوركروكسات يا صديقى!».

وبدءوا فى مناقشة المواقع المحتملة للهوركروكسات الأخرى، بعد أن عزز تدمير القلادة حماسهم. ورغم أنهم ناقشوا هذه القضية كثيرًا من قبل. شعر (هارى) بالتفاؤل والثقة بأن مزيدًا من الإنجازات سوف يتبع الأولى. ولم يؤثر عبوس (هرميون) على روحه المعنوية المرتفعة؛ فقد جعله التحسن المفاجئ لحظهم وظهور الظبية الغامضة واستعادة سيف جريفندور، وقبل كل شىء عودة (رون)، سعيدًا جدًّا، حتى أصبح من الصعب عليه للغاية الحفاظ على وجهه مشدودًا بلا ابتسام.

وفى وقت متأخر من بعد الظهر، هرب هو و(رون) من حضرة (هرميون) النكدة مرة أخرى، تحت ادعاء البحث فى الشجيرات المجردة من الأوراق عن ثمر عليق غير موجود، وواصلا التبادل المستمر للأخبار. ونجح (هارى) أخيرًا فى قص الحكاية الكاملة لرحلاته المختلفة هو و(هرميون)، وصولاً إلى القصة الكاملة لما حدث فى جودريك هولو؛ وبدأ (رون) الآن يحكى لـ (هارى) كل ما اكتشفه عن العالم السحرى الأوسع خلال الأسابيع التى قضاها بعيدًا عنهما.

وسأل (رون) (هارى) بعد أن شرح له المحاولات الكثيرة اليائسة التى قام بها مواليد العامة للتهرب من الوزارة: «... وكيف اكتشفتم حكاية التحريم؟».

«ماذا؟».

«أنت و(هرميون) توقفتما عن قول اسم (أنت ـ تعرف ـ من)!».

قال (هارى): «أوه، نعم، حسنًا، إنها مجرد عادة سيئة. ولكنى لا أجد أى مشكلة أبدًا فى دعوته فـ..».

صاح (رون): «لا!». مما جعل (هارى) يقفز فى الشجيرات و(هرميون) التى كان أنفها مدفوسًا فى كتاب عند مدخل الخيمة، تنظر نحوهما عابسة. قال (رون)، وهو يساعد (هارى) للخروج من العليق: «آسف، ولكن الاسم أصبح عليه لعنة يا (هارى)، هذه هى الطريقة التى يتتبعون بها الناس! إن استخدام اسمه يكسر تعاويذ الحماية، ويحدث نوعًا من الاضطراب السحرى ـ إنها الطريقة التى وجدونا بها فى شارع توتنهام كورت!».

«لأننا استخدمنا *اسمه*؟».

«بالضبط! ولهم الحق فى ذلك، فهذا معقول جدًا. لم يتجرأ على استخدم هذا الاسم أبدًا سوى الأشخاص الجادين فى الوقوف له، مثل (دمبلدور). والآن وضعوا تحريمًا فوق الاسم، أى شخص ينطقه يمكن تتبعه؛ طريقة سريعة وسهلة للوصول لأعضاء الجماعة! لقد كادوا يقبضون على كنجسلى».

«أنت تمزح؟».

«نعم، مجموعة من آكلى الموت ضيقوا الخناق عليه، كما يقول بيل، ولكنه حاربهم وانتصر عليهم. وهو هارب مثلنا الآن». وحكَّ (رون) ذقنه مفكرًا بعد أن أنهى كلامه ثم أضاف: «هل تظن أن كنجسلى هو من أرسل الظبية؟».

«إن الباتروناس الخاص به فهد، لقد رأيناه فى حفل الزفاف. أتتذكر؟».

«آه.. صحيح...».

وتقدما أكثر بطول الشجيرات، مبتعدين عن الخيمة و(هرميون).

«(هارى)... هل تظن أنه يمكن أن يكون دمبلدور؟».

«دمبلدور ماذا؟».

بدا (رون) محرجًا قليلاً، ولكنه قال فى صوت منخفض: «(دمبلدور)... الظبية؟ أقصد،» كان (رون) يراقب (هارى) من زاوية عينيه، وأضاف: «إنه آخر شخص كان معه السيف الحقيقى، أليس كذلك؟».

لم يضحك (هارى) من (رون)؛ لأنه يفهم جيدًا الرغبة الكامنة وراء هذه المسألة. إن فكرة أن (دمبلدور) استطاع العودة إليهم، وأنه يحرسهم، فكرة مطمئنة بشكل يفوق الوصف. ولكنه هز رأسه.

وقال: «مات (دمبلدور). لقد رأيت ذلك يحدث، ورأيت جثته. إنه بالتأكيد مات. والمهم أن الباترونا س الخاص به عنقاء وليس ظبية».

قال (رون): «ومع ذلك يمكن أن تتغير الباترونا س. ألم يتغير باترونا س تونكس؟».

«نعم، ولكن إذا كان (دمبلدور) حيًّا، فلماذا لا يظهر نفسه؟ لماذا لم يسلمنا السيف ببساطة؟».

قال (رون): «لا أعرف، ربما لنفس السبب الذى جعله لا يعطيه إياك وهو على قيد الحياة؟ والذى جعله يترك لك سنيتش قديمًا ويترك لـ (هرميون) كتاب قصص أطفال؟».

سأل (هارى): «ما هو؟». واستدار ينظر إلى وجه (رون) وهو يائس من أجل إجابة.

قال (رون): «لا أعرف، لقد كنت أظن أحيانًا، عندما يصيبنى الجنون قليلاً، بأنه يتلاعب بنا... أو أراد فقط جعل الأمر أكثر صعوبة، لكننى لا أعتقد ذلك، ليس بعد الآن. لقد كان يعرف ما يفعله عندما قدم لى ساحب الضوء. لقد ـ حسنًا،» تحولت أذنا (رون) إلى اللون الأحمر القانى وأخذ يحدق فى كتلة العشب عند قدميه التى ينخسها بإصبعه وقال: «لابد أنه عرف أننى سأرحل وأترككم».

صحح له (هارى): «لا، لابد أنه عرف أنك ستريد دائمًا العودة إلينا».

بدا (رون) ممتنًّا، ولكنه لا يزال غير مرتاح. قال (هارى)، جزئيًّا لتغيير الموضوع: «بمناسبة الحديث عن دمبلدور، هل سمعت ما كتبته (سكيتر) عنه؟».

قال (رون) على الفور: «آه، نعم، إن الناس يتحدثون عنه كثيرًا. بالطبع، لو أن الأمور مختلفة، لكان خبر صداقة (دمبلدور) مع (جريندلوالد) خبرًا كبيرًا، أما الآن فهو مجرد شيء يضحك عليه الناس الذين لا يحبون دمبلدور، ونوع من الصفعة فى وجه كل من فكر أن هذا الرجل عظيم جدًّا. ولكنى لست متأكدًا من مشكلة حقيقية فى الأمر، لقد كان صغيرًا فى السن جدًّا عندما كانوا..».

قال (هارى): «فى نفس عمرنا الآن». تمامًا كما رد على (هرميون)، ومنع شيء فى وجهه (رون) من الاستمرار فى متابعة هذا الموضوع.

رأى (هارى) عنكبوتًا ضخمًا جالسًا وسط شبكة خيوط متجمدة فى العليق. ووجه عصاه نحوه. تلك العصا التى أعطاها له (رون) فى الليلة السابقة، والتى فحصتها (هرميون)، وقررت أنها مصنوعة من خشب شجر البرقوق الأسود.

«*إنجورجيو*».

ارتعش العنكبوت قليلاً، وقفز قفزة صغيرة فى الشبكة. وحاول (هارى) مرة أخرى. وفى هذه المرة، نما العنكبوت أكبر قليلاً.

قال (رون) بحدة: «أوقف هذا، أنا آسف لأنى قلت إن (دمبلدور) كان صغيرًا، جيد؟».

كان (هارى) قد نسِى كراهية (رون) للعناكب.

«آسف ـ ريديسيو».

لم يتقلص العنكبوت. ونظر (هارى) نحو العصا المصنوعة من خشب البرقوق الأسود. كل التعاويذ الصغيرة التى قام بها حتى الآن فى ذلك اليوم بدت أقل قوة من تلك التى كان يؤديها بعصاه المصنوعة من العنقاء. وشعر بأن العصا الجديدة غريبة عنه جدًا، وكأن يد شخص آخر خيطت فى نهاية ذراعه.

واقتربت (هرميون) منهم بهدوء من الخلف، ووقفت تراقب بقلق (هارى) وهو يحاول تكبير العنكبوت وتصغيره وقالت: «إنك تحتاج إلى التدريب فقط. إنها مسألة ثقة يا هارى».

كان فقط يريد أن يعرف لماذا تريد أن تكون العصا جيدة؛ إنها مازالت تشعر بالذنب؛ لأنها تسببت فى كسر العصا. ولم ينطق بالرد السريع الذى قفز إلى شفتيه بأنها يمكن أن تأخذ عصا البرقوق الأسود، ما دامت ترى أنه ليس هناك فرق، ويأخذ هو عصاها. ولكن بسبب حرصه على أن يعودوا جميعًا أصدقاء من جديد، وافقها؛ ولكن عندما ابتسم (رون) لـ (هرميون) ابتسامة تجريبية، عادت إلى مدخل الخيمة واختفت مجدداً وراء كتابها.

وعاد ثلاثتهم إلى الخيمة عندما خيم الظلام، وأخذ (هارى) أول نوبة حراسة. وجلس فى مدخل الخيمة وحاول جعل عصا البرقوق الأسود ترفع بعض الأحجار الصغيرة عند قدميه؛ ولكن سحره بدا لا يزال أخرق وأقل قوة مما كان عليه من قبل. كانت (هرميون) راقدة فى سريرها تقرأ، فى حين أن (رون)، بعد العديد من النظرات العصبية نحوها، أخرج مذياعًا خشبيًا صغيرًا من حقيبته وبدأ ضبطه.

وقال لـ (هارى) بصوت منخفض: «هناك برنامج واحد يقول الأنباء كما هى فعلاً. أما الباقون جميعًا ففى جانب (أنت ـ تعرف ـ من) ويتبعون خط الوزارة، ولكن هذا البرنامج مختلف... انتظروا حتى تسمعوه، إنه رائع. ولكنهم لا يستطيعون إذاعته كل ليلة، فهم يغيرون الموقع الذى يذيعون منه دائمًا حتى يتفادوا أى حملات مداهمة، كما أنك تحتاج إلى كلمة سر لضبط محطته... المشكلة هى أننى فقدت آخر واحدة..».

نقر بعصاه بخفة على قمة الراديو وهو يتمتم بكلمات عشوائية بصوت منخفض. وأخذ ينظر نحو (هرميون) نظرات خفية كثيرة، خوفًا من انفجار غضبها، ولكنها لم تلقِ إليه بالاً وكأنه ليس هناك. وظل (رون) لمدة عشر دقائق ينقر ويتمتم، و(هرميون) تقلب صفحات كتابها، بينما (هارى) مستمر فى التدريب على استخدام العصا.

وأخيرًا نزلت (هرميون) من سريرها وتوقف (رون) عن النقر بعصاه فورًا.

وقال لـ (هرميون) بعصبية: «لو أن ذلك يزعجك، يمكننى أن أتوقف!».

لم تهتم (هرميون) بالرد عليه واقتربت من (هارى).

قالت: «إننا بحاجة إلى الكلام».

نظر إلى الكتاب الذى لا تزال تمسكه فى يدها. كان كتاب حياة وأكاذيب (ألباس دمبلدور) وأكاذيبه.

قال بقلق: «ماذا؟». وخطر بباله أن هناك فصلاً عنه فى الكتاب؛ لم يكن متأكدًا أنه يستطيع سماع نسخة ريتا عن علاقته مع (دمبلدور)، لكن جواب (هرميون) كان غير متوقع تمامًا.

«أريد أن اذهب لمقابلة (زينوفيليوس لوفجود)».

وحدق فيها.

«عفوًا؟».

«(زينوفيليوس لوفجود) والد (لونا). أريد الذهاب والتحدث إليه!».

«إيه ـ لماذا؟».

أخذت نفسًا عميقًا، وكأنها تشجع نفسها، وقالت «إنه الرمز، الرمز الموجود فى كتاب حكايات *(بيدلى) الشاعر*. انظر إلى هذا!».

ووضعت كتاب حياة وأكاذيب (ألباس دمبلدور) وأكاذيبه أمام عينى (هارى) غير الراغبتين، وشاهد صورة من الرسالة الأصلية التى كتبها (دمبلدور) إلى

(جريندلوالد) وتعرف على خط يد (دمبلدور) الرفيع المائل. وكره رؤية الدليل الدامغ على أن (دمبلدور) قد كتب هذه الكلمات فعلاً، وأنها ليست من اختراع ريتار.

قالت (هرميون): «التوقيع يا (هارى)، انظر إلى التوقيع!».

وأطاعها، ومرت لحظة، لم يكن لديه فكرة عما تتكلم عنه ولكن عندما نظر من قرب أكثر بمساعدة عصاه الموقدة، رأى أن (دمبلدور) قد بدل أول حرف من اسمه بنسخة مصغرة من نفس الرمز المثلث المرسوم فى كتاب حكايات *(بيدلى) الشاعر*.

سأل (رون): «آ ـ ما الذى ـ؟». ولكن (هرميون) رمته بنظرة وتحولت عائدة إلى (هارى).

قالت: «إنها مستمرةٍ فى الظهور، أعرف أن (فيكتور) قال إنها رمز (جريندلوالد) ولكنها كانت على القبر القديم فى جودريك هولو، والتواريخ الموجودة على الشاهد أقدم بكثير من ظهور (جريندلوالد)! والآن هذه! حسنًا، لا يمكننا سؤال (دمبلدور) أو (جريندلوالد) عن معناها ـ ولا أعرف حتى إن كان (جريندلوالد) مازال حيًا ـ ولكن يمكننا سؤال السيد (لوفجود). لقد كان يلبس الرمز فى حفل الزفاف. أنا متأكدة أن هذا مهم يا (هارى)!».

لم يجبها (هارى) على الفور. ونظر إلى وجهها المتلهف بشدة ثم إلى الظلمة المحيطة بهم فى الخارج، وهو يفكر. وبعد فترة صمت طويلة، قال: «(هرميون)، لسنا فى حاجة إلى جودريك هولو أخرى. لقد أقنعنا أنفسنا بالذهاب إلى هناك و..».

«ولكنه يواصل الظهور يا (هارى)! لقد ترك لى (دمبلدور) كتاب حكايات *(بيدلى) الشاعر*، كيف تعرف أننا لسنا من المفترض أن نعرف عن هذا الرمز؟».

شعر (هارى) ببعض الغيظ فقال: «ها نحن ندور فى تلكِ الدائرة المفرغة مرة أخرى؟ ونحاول إقناع أنفسنا بأن (دمبلدور) ترك لنا رموزًا سرية ودلائل..».

قال (رون) مقحمًا نفسه فى المناقشة: «لقد اتضح أن ساحب الضوء مفيد جدًا. أعتقد أن (هرميون) على حق، أعتقد أننا ينبغى أن نذهب لرؤية (لوفجود)».

رماه (هارى) بنظرة ضيق، وكان متأكدًا أن دعم (رون) لـ (هرميون) لا علاقة له برغبته فى معرفة معنى الرمز المثلث.

أضاف (رون): «لن يكون ذلك مثل جودريك هولو لأن (لوفجود) فى صفك يا (هارى). *والمراوغ* تدافع عنك طوال الوقت، وتظل تقول للجميع إن عليهم مساعدتك!».

قالت (هرميون) بصراحة: «أنا متأكدة من أن هذا مهم!».

«ولكن ألا تعتقدين، لو أن الأمر فعلا كذلك، لكان (دمبلدور) أخبرنى عنها قبل أن يموت؟».

قالت (هرميون) بلهجة من يبحث عن قشة ليتمسك بها: «ربما... ربما يكون شيء تحتاج إلى أن تبحث عنه بنفسك».

قال (رون) متملقًا: «صحيح، هذا معقول».

صاحت فيه: «لا، ليس معقولاً، ولكنى ما زلت أعتقد أننا ينبغى أن نتكلم مع السيد (لوفجود). أليس غريبًا أن يربط هذا الرمز (دمبلدور) و(جريندلوالد) وجودريك هولو يا (هارى)؟ أنا متأكدة أننا ينبغى أن نعرف ما تعنيه!».

قال (رون): «أعتقد أننا يجب أن نقترع. هؤلاء الذين يوافقون على الذهاب لرؤية (لوفجود)..».

ورفع يده قبل (هرميون) التى ارتعشت شفتاها فى شك وهى ترفع يدها.

قال (رون) وهو يربت على ظهر (هارى): «فاز الاقتراع بأغلبية الأصوات، آسف يا هارى».

قال (هارى) وهو شبه مستمتع وشبه مغتاظ: «جيد، بشرط أننا عندما ننتهى من لقاء (لوفجود)، نبدأ فى محاولة البحث عن المزيد من الهوركروكسات. على أية حال؟ هل يعرف أيكما أين تعيش (آل لوفجود)؟».

قال (رون): «إنهم ليسوا بعيدين عن بيتى، لا أعرف أين بالضبط، ولكن أمى وأبى دائمًا يشيران نحو التلال فى كل مرة يذكرونهم، لن يكون من الصعب الوصول إليهم».

وعندما عادت (هرميون) إلى سريرها، خفض (هارى) صوته.

«لقد وافقتَ فقط لكى تسترضيها».

قال (رون) بمرح: «كل شيء مباح فى الحب والحرب. وهذا به قليل من هذا وذاك، تفاءل إنها إجازة عيد الميلاد، وستكون (لونا) فى البيت!».

وشاهدوا مشهدًا رائعًا لقرية «أوترى سانت كاتشبولى» من التل الذى انتقلوا آنيًا إليه فى اليوم التالى. وبدت القرية من النقطة المرتفعة التى ينظرون منها إليها، مجموعة من المنازل اللعبة وسط أشعة الشمس المائلة الممتدة إلى الأرض من بين السحاب. ووقفوا لدقيقة ينظرون نحو الجحر، وأيديهم تظلل على أعينهم،

ولكن كل ما رأوه كان سياج الشجيرات والأشجار العالية التى توفر الحماية للمنزل الصغير الملتوى من عيون العامة.

قال (رون): «من الغريب أن نكون قريبين لهذه الدرجة ولم نذهب للزيارة».

قالت (هرميون) ببرود: «حسنًا، وكأنك لم ترهم منذ وقت قريب. ألم تكن هنا فى عيد الميلاد؟».

قال (رون) بضحكة إنكارية: «لم أكن فى الجحر! هل تعتقدون أننى كنت سأعود إليهم هناك وأقول لهم جميعًا إننى تخليت عنكم؟ صحيح، سيتفهم فريد وجورج الأمر بشكل عظيم. وجينى ستتقبل الأمر بشكل رائع.

سألت (هرميون) متفاجئة: «ولكن أين كنت إذن؟».

«فى منزل (بيل) و(فلور) الجديد. كوخ الأصداف. إن (بيل) يعاملنى بطريقة جيدة دائمًا. لم يكن سعيدًا بالطبع عندما سمع ما فعلت، ولكنه لم يلمنى كثيرًا. لقد عرف أننى آسف فعلاً. ولم يعرف أحد من باقى الأسرة أننى هناك. وأخبر (بيل) أمى أنه و(فلور) لن يعودا إلى المنزل فى عيد الميلاد؛ لأنهما يريدان قضاءه وحدهما. فهذه أول إجازة يقضونها معًا بعد زواجهما كما تعرفان. ولا أظن أن (فلور) اعترضت، أنتما تعرفان كم تكره سيليستينا واربيكِ».

وأعطى (رون) ظهره للجحر.

وقال وهو يقود الطريق إلى قمة التل: «لنجرب المكان هنا».

ومشوا لعدة ساعات و(هارى) مختفين تحت عباءة الإخفاء كتعليمات (هرميون). وبدت مجموعة التلال المنخفضة غير مسكونة، ما عدا كوخًا صغيرًا واحدًا بدا مهجورًا.

نظرت (هرميون) من خلال الشباك إلى مطبخ صغير مرتب، ورأت على رف الشباك نبات إبرة الراعى وقالت: «هل تظن أنه يخصهم، قد يكونون رحلوا بعيدًا خلال إجازة عيد الميلاد؟». زمجر (رون)!

«اسمعا، لدى إحساس، بأنك ستكون قادرًا على معرفة من يعيش فى المكان، لو نظرت خلال نافذة (لوفجود). لنجرب مجموعة التلال القادمة».

ولذلك انتقلوا آنيًا لعدة أميال فى اتجاه الشمال.

وصاح (رون) والريح تتلاعب بشعرهم وملابسهم: «آه» وأشار (رون) إلى أعلى فى اتجاه قمة التل الذى ظهروا عنده ورأوا أكثر المنازل غرابة يرتفع رأسيًا نحو

السماء، عبارة عن أسطوانة سوداء كبيرة، بينما يظهر قمر طيفى معلقًا وراءه فى السماء فى وقت الظهيرة. وأضاف: «يجب أن يكون هذا هو منزل (لونا)، مَن غيرها يمكن أن يعيش فى مكان كهذا؟ إنه يبدو مثل رخ كبير!».

قالت (هرميون) وهى تنظر عابسة نحو البرج: «إنه لا يبدو كطائر»..

قال (رون): «إننى أتكلم عن رخ الشطرنج. طابية بالنسبة لك».

كانت ساقا (رون) هما الأطول ووصل إلى قمة التل أولاً. وعندما لحق به (هارى) و(هرميون) وهما يلهثان ويمسكان بجنبيهما، وجدوه يبتسم بتفاخر.

قال (رون): «إنه منزلهم، انظرا!».

ورأوا ثلاث لافتات مكتوبة وملونة بخط اليد مثبتة على البوابة المهدمة. تقول أولها: «*رئيس تحرير المراوغ. (زينوفيليوس لوفجود)*». والثانية: «*التقط نبات الدبق الخاص بك*» والثالثة: «*ابتعد عن البرقوق السيار*».

وأصدرت البوابة صريرًا عندما فتحوها. كان الممر المتعرج الذى يقود إلى الباب الأمامى محاطًا بمجموعة من النباتات الغريبة ومن بينها مجموعات شجيرات مغطاة بفاكهة برتقالية، تشبه الفجل ترتديها (لونا) أحيانًا كقرط فى أذنيها. اعتقد (هارى) أنها تعرفت على السنارجالوف الذى أعطى إشارة بتجنب المكان. ورأوا شجرتى تفاح تتمايلان مع الرياح ورغم خلوهما من الأوراق، فهما ما زالتا مثقلتين بفواكه حمراء فى حجم التوت، بينما تتوجهما طبقة كثيفة من نبات الدبق وقد وقفتا على الباب الأمامى مثل الحراس. من فوق أحد الأغصان ونظرت إليهم بومة صغيرة ذات رأس مفلطحة تشبه رأس الصقر.

قالت (هرميون): «من الأفضل أن تخلع عباءة الإخفاء يا (هارى)، إن السيد (لوفجود) يريد مساعدتك أنت وليس نحن».

وفعل (هارى) كما اقترحت وسلمها العباءة لتضعها فى حقيبتها المطرزة، ثم دقت ثلاث مرات على الباب الثقيل الأسود المزين بمسامير حديدية ويحمل مطرقة باب على شكل طائر عقاب.

ومرت عشر ثوان بالكاد، ثم فتح الباب وظهر فى فتحته (زينوفيليوس لوفجود) وهو حافى القدمين ومرتديًا ما يبدو مثل قميص نوم مبقع، بينما شعره الأبيض الطويل الذى يشبه غزل البنات قذر وغير ممشط. وفكروا بأن (زينوفيليوس) بدا أكثر أناقة بكثير فى حفل زفاف فلور.

وصاح بصوت حاد عالى النبرة: «ماذا؟ ما الأمر؟ من أنتم؟ ماذا تريدون؟».

ونظر أولاً إلى (هرميون) ثم إلى (رون) ثم أخيرًا إلى (هارى)، وما إن رآه حتى فغر فاه إلى آخره.

قال (هارى) وهو يمد يده: «أهلاً سيد (لوفجود)، إننى (هارى)، (هارى بوتر)».

لم يأخذ (زينوفيليوس) يد (هارى)، رغم أن عينيه انزلقتا على الندبة فوق جبين (هارى).

سأل (هارى): «هل نستطيع الدخول؟ هناك شيء ما، نريد أن نسألك عنه».

همس (زينوفيليوس): «لست... متأكدًا أن هذا صواب» ازدرد لعابه ونظر نظرة سريعة حول الحديقة، وأضاف: «إنها صدمة... أنا... أخشى أننى.. لا أعتقد أننى يجب أن أفعل ذلك ـ».

قال (هارى) وقد خاب أمله قليلاً بسبب الاستقبال غير المرحب: «لن نأخذ الكثير من وقتك».

« أنا ـ آه، حسنا إذن ادخلوا بسرعة. بسرعة*!*».

كانوا بالكاد قد اجتازوا عتبة الباب، عندما صفق (زينوفيليوس) الباب وراءهم. كانوا واقفين فى أغرب مطبخ شاهده (هارى) فى حياته. كانت الغرفة دائرية تمامًا وكأنهم داخل خضاضة عملاقة. كان كل شيء مقوسًا لتناسب الحوائط: الموقد، الحوض والخزانة، وجميعها منقوش بالزهور والحشرات والطيور بألوان مشرقة جميلة. واعتقد (هارى) أنه تعرف على أسلوب (لونا)، كان التأثير فى هذا المكان مرحبًا إلى حد ما.

ورأوا فى وسط المكان، سلالم دائرية مصنوعة من الحديد المشغول، تقود إلى الطوابق الأعلى وسمعوا صوت طرقعة وفرقعة يأتى من فوق رءوسهم وتساءل (هارى) ما الذى تفعله (لونا).

قال (زينوفيليوس) وهو مازال يبدو متضايقًا بشدة: «من الأفضل أن تصعدوا إلى أعلى» وقاد الطريق.

وبدت الغرفة الموجودة فى الطابق العلوى خليطًا من غرفة معيشة وورشة، وكانت أكثر فوضى من المطبخ رغم أنها أصغر بكثير ومستديرة تمامًا وبدت تشبه غرفة الطلب فى المناسبة التى لا يمكن أن ينساها، عندما حولت نفسها إلى متاهة ضخمة مزدحمة بالأشياء التى تم إخفاؤها بها منذ قرون. كانت هناك أكوام فوق أكوام من الكتب والأوراق فوق كل سطح فى الغرفة ورأوا

تماثيل صغيرة لمخلوقات لم يتعرفها (هارى)، معلقة من السقف وكلها لها أجنحة مرفرفة أو فكوك تطقطق.

لم تكن (لونا) هنا ووجدوا أن الشىء الذى يصنع الضجة عبارة عن ماكينة خشبية مغطاة بأسنان تروس وعجلات تدور بطريقة سحرية وبدت مزيجًا غريبًا للطاولة التى يعمل عليها النجار أو الحداد بالإضافة إلى مجموعة من الأدراج القديمة ولكن بعد لحظة، استنتج (هارى) أنها آلة طباعة قديمة، عندما وجدها تلفظ من داخلها الموارب.

قال (زينوفيليوس): «اسمحوا لى» وخطا إلى الماكينة وأمسك بمفرش مائدة حائل اللون من تحت كمية هائلة من الكتب والأوراق، والتى وقعت جميعًا إلى الأرضية وألقاه فوق الماكينة، بطريقة ما كتم صوت الفرقعة والدق. ثم استدار مواجهًا (هارى).

«ما الذى أتى بك إلى هنا؟».

وقبل أن يرد (هارى)، أطلقت (هرميون) صرخة صدمة صغيرة.

«ما هذا يا سيد (لوفجود)؟».

كانت تشير إلى قرن رمادى مستدير ضخم، لا يشبه قرن الحصان أحادى القرن، معلق فوق الحائط وبارزا منه لعدة أقدام داخل الحجرة.

قال (زينوفيليوس): «إنه قرن سنوركاك مجعد القرن».

قالت (هرميون): «لا، ليس كذلك!».

غمغم (هارى) محرجًا: «(هرميون)، إن الوقت غير..».

«ولكنه يا (هارى)، قرن إيرومبيت! وهى مادة ممنوعة من التداول من الدرجة الثانية. ووجوده داخل منزل فى منتهى الخطورة».

سأل (رون) وهو يبتعد عنه بأسرع ما يستطيع وسط الغرفة المكدسة: «وكيف تعرفين أنه قرن إيرومبيت؟».

: «هناك وصف له فى كتاب *الوحوش الغريبة وأين تجدها!* يجب أن تتخلص منه فورًا يا سيد (لوفجود)، ألا تعرف أنه يمكن أن ينفجر من أقل من لمسة؟».

قال (زينوفيليوس) بصوت واضح وعلى وجهه نظرة عنيدة: «إن حيوان سنوركاك مجعد القرن حيوان خجول ومخلوق شديد السحرية، وقرنه..».

«لقد تعرفت العلامات الموجودة حول قاعدته يا سيد (لوفجود)؛ إنه قرن إيرومبيت؛ وهو شديد الخطورة ـ أنا لا أعرف من أين حصلت عليه..».

قال (زينوفيليوس) بغطرسة: «لقد اشتريتها من أسبوعين، من ساحر شاب مرح عرف باهتمامى بحيوان السنوركاك النادر الوجود. إنها مفاجأة عيد الميلاد من أجل (لونا). والآن» واستدار مواجهًا (هارى) وأضاف: «ما الذى أتى بك إلى هنا بالضبط يا سيد (بوتر)؟».

قال (هارى) قبل أن تبدأ (هرميون) مجددًا: «نحتاج إلى مساعدتك».

قال (زينوفيليوس): «آه، مساعدة، أممم» وتحركت عينه السليمة إلى ندبة (هارى) مرة أخرى. وبدا مرعوبًا ومبهورًا معًا. وأضاف: «نعم. المشكلة هى... أن مساعدة (هارى بوتر)... خطرة إلى حد كبير...».

قال (رون): «ألست أنت الشخص الذى يقول للجميع إن واجبهم الأساسى هو مساعدة (هارى)؟ فى مُجلتك؟».

ونظر (زينوفيليوس) وراءه نحو ماكينة الطباعة التى مازالت تخبط وتفرقع تحت المفرش.

«آ ـ نعم، لقد عبرت عن هذا الرأى. ولكن...».

قال (رون): «هذا شىء للجميع ليفعلوه ولكنه لا ينطبق عليك شخصيًا؟».

لم يجبه (زينوفيليوس) وظل يبتلع ريقه وعيناه تنتقل بين ثلاثتهم. وشعر (هارى) أنه يعانى صراعًا داخليًا مؤلمًا.

سألته (هرميون): «أين (لونا)؟ لنرى ما رأيها؟».

ابتلع (زينوفيليوس) ريقه وبدا كأنه يحاول استجماع شتات نفسه. وأخيرًا قال بصوت مهتز يصعب سماعه بسبب صوت ماكينة الطباعة: «إن (لونا) فى الأسفل عند جدول الماء تصطاد بليمبى المياه العذبة... ستكون سعيدة برؤيتكم. سأذهب لأدعوها، ثم بعدها، نعم، بكل تأكيد. سأحاول مساعدتكم».

واختفى نازلاً السلالم الحلزونية وسمعوا الباب الأمامى يفتح ويغلق ونظروا إلى بعضهم البعض.

قال (رون): «إنه عجوز جبان. إن (لونا) أشجع منه عشر مرات».

قال (هارى): «ربما يكون قلقًا مما سيحدث لهم لو عرف آكلو الموت أننى كنت هنا».

قالت (هرميون): «حسنًا، إننى أتفق مع (رون)، إنه منافق عجوز فظيع، يقول للجميع أن يساعدوك ويحاول التهرب من ذلك هو نفسه. بحق السماء، ابتعد عن هذا القرن».

وذهب (هارى) إلى النافذة الموجودة فى الجانب البعيد من الغرفة. وشاهد الجدول، مثل خيط رفيع متألقًا راقدًا بعيدًا عنهم عند قاعدة التل وفكر أنهم على ارتفاع كبير؛ ورفرف طائر عابر بجوار النافذة عندما حدق فى اتجاه الجحر، المختفى الآن وراء خط آخر من التلال. وفكر أن جينى هناك فى مكان ما. وفكر بأنهما أكثر قربًا لبعضهما اليوم، بعد أن أبعدتهما الأماكن كثيرًا منذ حفل زفاف (بيل) و(فلور) ولكنها ليست لديها أى فكرة أنه ينظر نحوها الآن، ويفكر بها. وافترض أن ذلك يجب أن يسعده، فكل من يتصل به يصبح فى خطر وقد أثبت موقف (زينوفيليوس) ذلك.

وتحول مبتعدًا عن النافذة ووقع نظره على شىء عجيب آخر، يقف فوق اللوح الجانبى المستدير، عبارة عن تمثال حجرى لساحرة جميلة ولكنها تبدو عابسة، ترتدى غطاء رأس شديد الغرابة. كان مكونًا من شيئين يشبهان سماعة الحاكى، ذهبيًا مقوسًا من الجانبين، وهناك جناحان أزرقان يلمعان مثبتان فى الشريط الجلدى الذى يغطى قمة رأسها، بينما أحد ثمار الفجل البرتقالية مثبتة فى شريط آخر ملفوف حول جبينها.

قال (هارى): «انظروا إلى هذا».

قال (رون): «يالغرابته!، من الغريب أنه لم يَرْتَدِهِ فى حفل الزفاف».

وسمعوا الباب الأمامى يغلق وبعد دقيقة صعد (زينوفيليوس) إلى أعلى السلم الحلزونى عائدًا إلى داخل الغرفة، وهو يرتدى فى قدميه الآن حذاءً عالى الرقبة ويحمل صينية عليها أكواب شاى غير منسقة، إبريق شاى يخرج منه البخار.

قال وهو يعطى الصينية إلى (هرميون) وينضم إلى (هارى) بجوار التمثال: «آه، لقد رأيتم ابتكارى المفضل. تم تصميمه ليناسب رأس الجميلة روويندا رافينكلو. إن *الذكاء الذى ليس له حدود هو أعظم كنز لدى الإنسان!*».

وأشار إلى الأشياء التى تشبه سماعة الحاكى.

«هذه ماصَّات راكسبارت ـ لإزالة كل مصادر التشتيت من المنطقة المحيطة بالمفكر. وهذه» وأشار إلى الأجنحة الصغيرة وقال: «وأما هذه فريشات بيليويج لإحاطة العقل بإطار من السمو يساعد فى حثه على العمل» وأشار إلى الفجل البرتقالى وقال: «أما البرقوق السيار فوظيفته هى دعم القدرة على تقبل الأشياء غير العادية».

وخطا (زينوفيليوس) عائدًا إلى صينية الشاى التى تمكنت (هرميون) من وضعها فوق إحدى الطاولات الجانبية المزدحمة بالأشياء وموازنتها فوقها بصعوبة.

قال (زينوفيليوس): «تفضلوا جميعًا شراب منقوع جذور الجوردى. نحن نصنعها بأنفسنا» وبينما يصب المشروب، ذا اللون البنفسجى مثل عصير البنجر، وأضاف: «إن (لونا) وراء جسر بوتوم إنها متشوقة جدًا لرؤيتكم. لن تتأخر. لقد اصطادت تقريبًا عدد من البليمبى كافيًا لعمل حساء لنا جميعًا. هيا اجلسوا وضعوا ما تريدون من السكر.

وأزاح كومة من الأوراق من فوق مقعد ذى ذراعين وجلس وقدماه متشابكتان وقال: «والآن، كيف يمكننى مساعدتك يا سيد (بوتر)؟».

قال (هارى) وهو ينظر نحو (هرميون) التى أومأت مشجعة: «حسنًا، إن الأمر يخص ذلك الرمز الذى كنت ترتديه فى حفل زفاف (بيل) و(فلور) يا سيد (لوفجود). كنت تتساءل عن معناه».

رفع (زينوفيليوس) حاجبيه.

«هل تقصدون إلى علامة مقدسات الموت؟».



٢١ حكاية الإخوة الثلاثة

استدار (هارى) لينظر نحو (رون) و(هرميون) لقد بدا أن أيًّا منهما لم يفهم ما قاله (زينوفيليوس).

«مقدسات الموت؟».

قال (زينوفيليوس): «صحيح، نعم، ألم تسمع بها من قبل؟ لست مندهشًا. عدد قليل فقط من السحرة الذين يؤمنون بها. هل تذكر ذلك الشاب المعتوه فى زفاف أخيك». وأومأ إلى (رون) وأضاف: «ذلك الذى هاجمنى لارتداء رمز يخص ساحرًا من سحرة الظلام المشهورين! منتهى الجهل. لا علاقة لمقدسات الموت بالسحر الأسود، أو على الأقل ليس من خلال هذا المنظور الفج. إن الشخص يرتدى الرمز ببساطة ليكشف عن نفسه لباقى المؤمنين بها، على أمل أنهم قد يساعدونه فى الوصول إليها».

وأخذ يقلب عددًا من قوالب السكر داخل مشروب جذور الجوردى وشرب بعضه.

قال (هارى): «أنا آسف، ولكنى مازلت لا أفهم».

وشرب (هارى) رشفة من كوبه أيضًا من باب الذوق، وكاد أن يتقيأها، بعد أن وجد طعمها مثيرًا للاشمئزاز إلى حد كبير، وكأن أحدهم قد حول نكهة الطين فى حبوب كل النكهات إلى مشروب.

قال (زينوفيليوس) وهو يضم شفتيه تعبيرًا عن استحسانه الواضح لمشروب جذور الجوردى.

سألت (هرميون): ولكن ما مقدسات الموت؟».

وضع (زينوفيليوس) كوبه الخالى جانبًا.

«أفترض أنكم تعرفون «حكاية الإخوة الثلاثة»؟».

قال (هارى): «لا». بينما قال (رون) و(هرميون): «نعم».

أومأ (زينوفيليوس) بوقار.

وقال: «حسنًا، حسنًا يا سيد (بوتر)، الأمر كله يبدأ بـ«حكاية الإخوة الثلاثة»... لدى نسخة فى مكان ما..».

ونظر بغموض فى أرجاء الغرفة نحو أكوام الأوراق والكتب، ولكن (هرميون) قالت: «لدى نسخة يا سيد (لوفجود)، إنها معى هنا».

وجذبت كتاب حكايات *(بيدلى) الشاعر* من داخل الحقيبة الصغيرة المطرزة.

تساءل (زينوفيليوس) بجدية: «النسخة الأصلية؟». وعندما أومأت (هرميون)، قال: «حسنًا إذن، لماذا لا تقرئينه بصوت عال؟ إنها الطريقة المثلى لنتأكد من أننا جميعًا قد فهمنا الأمر».

قالت (هرميون) بعصبية: «آ... حسنًا». وفتحت الكتاب ورأى (هارى) الرمز الذى كانوا يتحققون منه على أعلى الصفحة، بينما تنحنحت هى وبدأت تقرأ.

«كان ياما كان، ثلاثة إخوة مسافرون على طريق مقفر كثير الرياح، فى وقت الغسق..».

قال (رون) الذى تمطى ووضع ذراعيه خلف رأسه: «فى منتصف الليل، كما كانت أمى تقول لنا دائمًا». ورمته (هرميون) بنظرة ضيق.

قال (رون): «آسف، إننى فقط أعتقد أنه أكثر تخويفًا عندما يكون فى منتصف الليل!».

قال (هارى) قبل أن يستطيع منع نفسه: «صحيح، وكأننا فى حاجة إلى المزيد من الخوف فى حياتنا، أكملى يا هرميون». لم يكن (زينوفيليوس) منتبهًا لما يحدث وبدا يحدق فى السماء خارج النافذة.

«ووصل الإخوة إلى نهر شديد العمق، لا يمكنهم خوضه، وشديد الخطورة، لا يمكنهم السباحة عبره. ولكن هؤلاء الإخوة كانوا بارعين فى فنون السحر، فقاموا بالتلويح بعصيهم ببساطة، وصنعوا جسرًا يعبر فوق المياه غير المأمونة. وفى منتصف الطريق عبره، ظهر شخص مغطى الرأس وقطع عليهم الطريق».

«وتكلم إليهم الموت».

قاطعها (هارى): «آسف، ولكن *الموت* تكلم معهم؟».

«إنها قصة خيالية يا (هارى)!».

«صحيح، أنا آسف، أكملى».

«وتكلم إليهم الموت، كان غاضبًا ويشعر بأنه خدع وفقد ثلاثة من ضحاياه المعتادين؛ لأن المسافرين عادة يغرقون فى النهر. ولكن الموت كان ماكرًا،

فتظاهر بتهنئتهم على سحرهم، وقال لهم إن كل واحد منهم يستحق جائزة على براعته فى تفاديه.

«وهكذا طلب الأخ الأكبر، والذى كان رجلاً يحب القتال والمشاجرة، عصا سحرية ذات قوى تفوق كل العصى الموجودة، وتفوز لمالكها فى كل المبارزات، عصا جديرة بساحر هزم الموت! وذهب الموت إلى شجرة عجوز على ضفة النهر، وصنع عصا من أحد فروعها، وأعطاها إلى الأخ الأكبر.

«ثم قرر الأخ الثانى، والذى كان رجلاً متعجرفًا، أن يمعن فى إهانة الموت، فطلب منه إعطاءه القدرة على إعادة الموتى إلى الحياة، فذهب الموت والتقط حجرًا من على ضفة النهر وأعطاه إلى الأخ الثانى وأخبره بأن هذا الحجر سيكون لديه القدرة على إعادة الموتى إلى الحياة.

«وسأل الموت ثالث الإخوة وأصغرهم عما يريده. وكان الأخ الأصغر أكثر الإخوة تواضعًا وحكمة، كما أنه لم يكن يثق فى الموت، لذلك سأل عن شىء يساعده على الرحيل من المكان، بدون أن يتبعه الموت، وسلمه الموت مكرها عباءة الإخفاء الخاصة به».

قاطعها (هارى) مرة أخرى: «وهل لدى الموت عباءة إخفاء؟».

قال (رون): «نعم، حتى يتمكن من التسلل إلى الناس؛ لأنه أحيانا يشعر بالملل من الجرى نحوهم وهو يرفرف بذراعيه ويصرخ... آسف يا هرميون».

«ثم تنحى الموت جانبا وترك الإخوة الثلاثة يتابعون طريقهم، وهذا ما فعلوه، استمروا فى طريقهم وهم يتكلمون عن العجائب التى قابلوها فى رحلتهم، ويعبرون عن إعجابهم بهدايا الموت».

«فيما بعد، افترق الإخوة واتجه كل منهم إلى وجهته الخاصة».

«فسافر الأخ الأول لأسبوع أو أكثر حتى وصل إلى قرية نائية وبحث فيها عن ساحر، كان قد تشاجر معه ومن الطبيعى ألا يفشل فى الفوز فى المبارزة التى حدثت بينهما ما دام أن سلاحه هو عصا الكبير. وترك الأخ الكبير عدوه ميتا على الأرض وذهب إلى حانة، حيث أخذ يتفاخر بصوت عال بالعصا القوية التى خطفها من الموت نفسه، وكيف جعلته لا يقهر.

«وفى نفس هذه الليلة، تسلل ساحر آخر إلى الأخ الأكبر وهو نائم فى سريره وسرق العصا وزاد على ذلك قطع عنق الأخ الكبير».

«وبهذه الطريقة، أخذ الموت الأخ الأول.

«وفى هذه الأثناء، سافر الأخ الثانى عائدا إلى منزله، حيث يعيش وحيدا، وهناك أخرج الحجر الذى لديه القدرة على إعادة الموتى إلى الحياة، وقلبه فى يده ثلاث مرات، فظهرت له فورًا فتاة كان يتمنى الزواج منها قبل أن تلقى حتفها، مما أثار تعجبه وسعادته.

«لكن الفتاة بدت تعيسة وباردة، وبعيدة عنه وكأن بينهما حجابًا، ورغم عودتها إلى العالم الفانى، لكنها لم تكن تنتمى إليه فعلا، وظلت تعانى. وفى النهاية، جن الأخ الثانى من الشوق بدون أمل، وقتل نفسه حتى ينضم إليها فعلاً.

«وهكذا، أخذ الموت الأخ الثانى.

«وواصل الموت بحثه عن الأخ الثالث لسنوات طويلة، لكنه لم يستطع الوصول إليه أبدا. ولم يخلع الأخ الأصغر عباءة الإخفاء إلا عندما وصل إلى سن كبيرة جدًا وأعطاها إلى ابنه، ثم حيًا الموت وكأنه صديق قديم ومشى معه سعيدًا، وغادرا الحياة معًا».

أغلقت (هرميون) الكتاب، ومرت لحظة أو اثنتان قبل أن يظهر على (زينوفيليوس) أنه أدرك توقفها عن القراءة، ثم سحب نظره من النافذة وقال: «حسنًا، تلك هى القصة».

قالت (هرميون) محتارة: «آسفة».

قال (زينوفيليوس): «هذه هى مقدسات الموت».

والتقط ريشة كتابة من فوق مائدة مكدسة عند مرفقه، وسحب قطعة رق مقطوعة من بين مجموعة من الكتب.

وقال: «عصا الكبير». ورسم خطًا رأسيًا مستقيمًا فوق الرق، وقال: «حجر البعث». وأضاف دائرة فوق الخط، ثم قال: «عباءة الإخفاء». ورسم مثلث حول الدائرة والخط، ليصنع الرمز الذى أثار فضول (هرميون) وقال: «جميعهم معًا مقدسات الموت».

قالت (هرميون): «ولكن لا يوجد ذكر لعبارة «مقدسات الموت» فى القصة».

قال (زينوفيليوس) مختالا بنفسه: «حسنًا، بالطبع لا، إنها قصة أطفال، هدفها الإمتاع وليس المعرفة ولكن من يفهمون هذه الأشياء يدركون أن القصة تشير إلى الأشياء الثلاثة أو المقدسات التى إذا تجمعت، ستجعل مالكها سيدًا للموت».

ومرت فترة صمت قصيرة، نظر خلالها (زينوفيليوس) من النافذة، وكانت الشمس قد انخفضت قليلاً فى السماء.

وقال بهدوء: «إن (لونا) ستحصل على ما يكفى من البليمبى قريبًا».

قال (رون): «عندما تقول «سيد للموت».

قال (زينوفيليوس) وهو يلوح بيده: «سيد، قاهر، غالب، أيًّا كان المصطلح الذى تفضله».

قالت (هرميون) ببطء: «ولكن... هل تعنى أنك تصدق أن هذه الأشياء - هذه المقدسات - حقيقة وموجودة بالفعل؟». وعرف (هارى) أنها كانت تحاول أن تبعد التشكيك عن صوتها.

ورفع (زينوفيليوس) حاجبيه مرة أخرى.

«نعم، بالطبع».

قالت (هرميون): «ولكن يا سيد (لوفجود)، كيف يمكنك أن تصدق -؟».

وأدرك (هارى) أن امتناعها عن إظهار عدم تصديقها قد بدأ يتهاوى.

قال (زينوفيليوس): «لقد أخبرتنى (لونا) بكل شىء عنك أيتها الشابة، وأنت كما استنتجت لست غير ذكية ولكن محدودة الخيال وضيقة الأفق بشدة».

قال (رون): «ربما عليك أن تجربى القبعة يا هرميون». وأومأ برأسه إلى غطاء الرأس المضحك واهتز صوته وهو يحاول منع نفسه من الضحك.

وبدأت (هرميون) مرة أخرى: «سيد (لوفجود)، نحن جميعا نعرف أن هناك أشياء موجودة مثل عباءة الإخفاء. إنها نادرة، ولكنها موجودة. ولكن».

«آه، ولكن ثالثة المقدسات هى عباءة إخفاء حقيقية، يا آنسه جراينجر! أقصد القول إنها ليست عباءة سفر مشبعه بتعويذة إيهام، أو تحمل لعنة إبهار، أو منسوجة من وبر نصف خفى، والذى يخفى الشخص فى البداية، ولكن تأثيره يخفت مع مرور السنين حتى يصبح معتما تمامًا. نحن نتكلم عن عباءة يمكنها فعلا وحقًا أن تخفى لابسها تمامًا، وتبقى إلى الأبد، ذات تأثير دائم لا يمكن اختراقه مهما ألقيت عليها من تعاويذ. كم عباءة رأيتها مثل هذه يا آنسة (جراينجر)؟».

فتحت (هرميون) فمها للإجابة، ثم أغلقته ثانية، وقد بدت عليها الحيرة أكثر من أى وقت مضى. وتبادلت النظرات مع (هارى) و(رون)، وعرف (هارى) أنهم جميعا يفكرون فى الشىء ذاته: وهو أن هناك عباءة مثل التى قام (زينوفيليوس) بوصفها لتوه موجودة معهم فى الغرفة فى نفس اللحظة.

قـال (زينـوفـيلـيـوس): «بـالضـبـط». كـمـا لـو أنـه هـزمـهـم جـمـيـعًا بـحـجـة منطقية. وأضـاف: «لم ير أى منكم شيئًا مثلها على الإطلاق. إن من يملك شيئًا كهذا، سيكون شديد الغنى، أليس كذلك؟».

وتطلـع من النـافذة مرة أخرى. كـانت السمـاء الآن ملونـة بمسحـة خفيفة من اللون الوردى.

قـالت (هرميون) مرتبكة: «حسنًا، إذا قلنـا إن العبـاءة موجودة... فماذا عن الحجر يـا سيد (لوفـجود)؟ هذا الشىء الذى تطلق عليه حجر البعث؟».

«مـاذا عنـه؟».

«حسنًا، كيف يمكن أن يكون حقيقيًا؟».

«قـال (زينوفيليوس): أثبتـى أنـه ليس كذلك».

نظرت (هـرميون) إليه بسخط.

«ولكن هذا ـ مـع أسفى شىء سخيف تمـامًا! كيف أستطيع إثبات عدم وجوده؟ هل تتوقـع منى أن أمسك بـ... بكل الأحجـار الموجودة فى العـالم وأقوم بـاختبـارهـا؟ مـا أعنيه هو أنك يمكنك الادعـاء بـأن *أى شىء* حقيقى، إذا كـان الأسـاس الوحيد للاعتقـاد، هـو أن أحدًا لم يثبت عدم وجوده!».

قـال (زينوفيليوس): «نعم، يمكنك ذلك. يسرنـى أن أرى أنك بدأت تفتحين عقلك قليلاً».

قـال (هـارى) بسرعة قبل أن تتمكن (هـرميون) من الرد السريـع: «ومـاذا عن عصـا الكبير، أتعتقد أنـهـا موجودة أيضًـا؟».

قـال (زينـوفيليوس): «أوه، حسنًـا، فـى هـذه الحـالـة توجد أدلـة لا نـهـايـة لـهـا، أن عصـا الكبير هـى أسهل أثر يمكن تتبعه، وذلك بسبب الطريقة التى تنتقل بـهـا من يد إلى يد».

سأل (هـارى): «ومـا هـى؟».

«وهـى أن مـالك العصـا يجب عليه أن يـأخذهـا عنوة من مـالكهـا السـابق، حتى يكون هـو سيدهـا فعلا، إنكم بـالتـأكيد سمعتم عن الطريقة التى أتت بـهـا العصـا إلى إجـبـيرت الـفـظـيـع، بـعـد أن ذبـح إميريك الشريـر؟ أو عـن الـكـيـفـيـة الـتـى مـات بـهـا جوديلوت فى قبو منزله بعد أن أخذ ابنـه (هيروارد) منه العصـا؟ وعن لوكسيـاس الرهيب الذى أخذ العصـا من (بـارنـابـاس ديفيريل) بعد أن قتله؟ إن الآثـار الدامية لعصـا الكبير منتشرة عبر صفحـات التـاريخ السحرى».

ونظر (هارى) نحو (هرميون). ووجدها تتطلع إلى (زينوفيليوس) عابسة ولكنها لا تعارض ما يقوله.

سأل (رون): «ولكن فى رأيك، أين هى عصا الكبير الآن؟».

قال (زينوفيليوس) وهو ينظر عبر النافذة: «للأسف، من يدرى؟ من يعرف أين تختفى عصا الكبير؟ إن الأثر يختفى عند أركوس وليفيوس. من يستطيع أن يقول إن أيًّا منهم قد هزم لوكسياس فعلا، وأخذ العصا؟ ومن يعرف من الذى هزمهما؟ للأسف، لا يخبرنا التاريخ عما حدث».

ومرت فترة صمت، وأخيرًا سألت (هرميون) بتصنع: «سيد (لوفجود)، هل هنالك أى علاقة لـ (آل بيفريل) بمقدسات الموت؟».

بدا (زينوفيليوس) مأخوذًا، بينما ومض شىء فى ذاكرة (هارى)، ولكنه لم يستطع تحديده. (بيفريل)... لقد سمع بهذا الاسم من قبل...

قال (زينوفيليوس) وقد اعتدل فى جلسته وأخذ يحدق مستغربًا فى (هرميون): «ولكنك قد قمتِ بتضليلى أيتها الشابة! كنت أظن أنك جديدة فى مسألة البحث عن مقدسات الموت! هناك الكثير من الباحثين عنهم يعتقدون أن (آل بيفريل) لهم علاقة كبيرة.. كبيرة جدًّا بمقدسات الموت!».

سأل (رون): «من هم (آل بيفريل)؟».

قالت (هرميون) وهى ما تزال تراقب (زينوفيليوس): «إنه الاسم الذى وجدته محفورا على القبر الذى عليه الرمز فى جودريك هولو. (إجنوتوس بيفريل)».

قال (زينوفيليوس): «بالضبط!» ورفع سبابته بتحذلق وأضاف «وجود رمز مقدسات الموت على قبر إجنوتوس دليل قاطع!».

سأل (رون): «على ماذا؟».

«على أن الأشقاء الثلاثة فى القصة هم فعلا الإخوة (بيفريل): أنتيوك، وكادموس وإجنوتس! وأنهم الأصحاب الأصليون لمقدسات الموت!».

ونظر نظرة أخيرة نحو النافذة، قبل أن يقف على قدميه، ويلتقط الصينية، ويتوجه إلى السلم الحلزونى.

وقال وهو يختفى نازلاً إلى الطابق الأسفل مرة أخرى: «ستبقون لتناول العشاء؟ إن الجميع يسألوننا دائمًا عن وصفة حساء بليمبى الماء العذب».

قال (رون) بصوت خفيض: «ربما لعرضها على إدارة التسمم الغذائى فى مستشفى سان مانجو».

وانتظر (هارى) حتى أمكنهم الاستماع إلى (زينوفيليوس) وهو يتحرك فى المطبخ فى الطابق السفلى قبل أن يتحدث.

سأل (هرميون): «ما رأيك؟».

قالت متبرمة: «آه يا (هارى)، إنها كومة من القمامة الخالصة. لا يمكن أن يكون هذا ما يعنيه الرمز حقًا. لابد أن رأيه هذا هو العجيب فى الأمر. يالها من مضيعة للوقت!».

قال (رون): «أظن أن هذا هو الرجل الذى جلب لنا السنوركاك مجعد القرن».

سأله (هارى): «أنت أيضًا لا تصدق هذا؟».

«لا، إنها واحدة من تلك القصص التى نرويها للأطفال لتعليمهم الدروس، أليس كذلك؟ 'لا تذهب بحثًا عن المتاعب، لا تتقاتل، لا تعبث فى أشياء من الأفضل أن تتركها فى حالها! فقط أبق رأسك إلى أسفل ولا تتدخل فيما لا يعنيك، وستكون بخير. وإذا أمعنت التفكير فى الأمر، ربما يكون هذا هو السبب فى أن عصا الكبير يفترض أن تكون جالبة لسوء الحظ».

«عم تتحدث؟».

«إحدى تلك الخرافات، أليس كذلك؟ مثل الساحرات الذين يولدون فى شهر مايو يتزوجون من العامة. لعنات الشفق تزول عند حلول منتصف الليل. «عصا الكبير لا تزدهر». لا بد أنكم سمعتم بها. إن أمى لديها الكثير منها».

ذكرته (هرميون): «أنا وهارى تربينا بين العامة. وسمعنا خرافات مختلفة».

وتنهدت، بينما وصلت إليهم من المطبخ رائحة حريفة. وفكر (هارى) أن الشىء الوحيد الجيد فى غضبها من (زينوفيليوس) هو أنه جعلها على ما يبدو تنسى ضيقها من (رون). وقالت له: «أعتقد أنك على حق. إنها مجرد قصة أخلاقية، من الواضح أى الهدايا هى الأفضل، أيها تختار».

وتكلم ثلاثتهم فى الوقت نفسه، قالت (هرميون): «العباءة». وقال (رون): «العصا»، وقال (هارى) «الحجر».

ونظروا إلى بعضهم البعض، وهم نصف مندهشين، ونصف مستمتعين.

قال (رون) لهيرميون: «من المفترض أن نقول العباءة، ولكنك لن تحتاجى إلى أن تكونى متخفية إذا كانت معك العصا. *العصا التى لا تهزم*، هيا يا (هرميون)!».

قال (هارى): «إن لدينا عباءة إخفاء بالفعل».

قالت (هرميون): «وقد ساعدتنا كثيرًا، فى حالة لو أنك لم تلاحظ ذلك! فى حين أن العصا ستجلب علينا المتاعب».

احتج (رون): «هذا إذا أخذت تصيح وتحكى عنها، وهذا لن يحدث إلا إذا كنت أحمق بما يكفى لترقص حول المكان وأنت تلوح بها فوق رأسك، وتغنى: «لقد حصلت على العصا التى لا تهزم، وتعال وجرب إذا كنت تعتقد أنك قوى بما يكفى لمنافستى». لن تكون هناك مشكلة، ما دمت أبقيت فمى مغلقًا..».

قالت (هرميون) وهى تبدو متشككة: «نعم، ولكن هل يمكنك حقًا إبقاء فمك مغلقا؟ أتعلمون أن الشيء الوحيد الصحيح الذى ذكره لنا هو وجود قصص عن عصى ذات قوى خارقة منذ مئات السنين».

سأل (هارى): «هل هذا صحيح فعلا؟».

ظهر الحنق على (هرميون): وبدا تعبيرها مألوفًا بشكل محبب حتى إن (هارى) و(رون) ابتسما ابتسامة عريضة لبعضهما البعض.

«عصا الموت، وعصا المصير، لقد ظلتا تظهران تحت أسماء مختلفة عبر القرون، وعادة ما كانتا فى حيازة أحد سحرة الظلام الذين يتفاخرون بهما. لقد ذكر أستاذ بينز بعضها، ولكن.. أوه، هذا كله هراء. إن قوة العصا من قوة الساحر الذى يستخدمها، لكن بعض السحرة يحبون التفاخر بأن عصيهم أكبر وأفضل من عصى غيرهم».

قال (هارى): «ولكن كيف تعرفين أن هاتين العصوين ـ عصا الموت، وعصا المصير ـ ليستا نفس العصا، وتبرزان على مدى القرون تحت أسماء مختلفة؟».

قال (رون): «ماذا، وإنها جميعا فى الحقيقة عصا الكبير التى صنعها الموت؟».

وضحك (هارى): بدت الفكرة الغريبة التى خطرت له سخيفة. وذكر نفسه، بأن عصاه صنعها (أوليفاندور) من شجر عيد الميلاد ولم تكن عصا الكبير، مهما كان ما فعلته فى تلك الليلة عندما طاردهم (فولدمورت) عبر السماء، وإذا كانت حقًا لا تهزم، فكيف يمكن أن تنكسر؟».

وسأله (رون): «ولكن لماذا تريد أخذ الحجر؟».

«حسنًا، إذا كنت تستطيع إعادة الناس إلى الحياة، يمكننا أن نعيد سيريوس... ماد ـ آى... (دمبلدور)... والداى..».

لم يبتسم (رون) أو (هرميون).

قال (هارى) وهو يفكر فى القصة التى سمعها منذ قليل: «ولكن وفقًا لـ(بيدلى) الشاعر، لن يكونوا راغبين فى العودة، أليس كذلك؟». ثم سأل (هرميون): «ولكنى أفترض أنه ليست هناك قصص كثيرة تحكى عن الحجر الذى يمكنه إحياء الموتى؟».

وردت بحزن: «لا، لا أعتقد أن هناك شخصًا باستثناء السيد (لوفجود) يمكنه خداع نفسه لهذه الدرجة. ربما يكون بيدلى قد أخذ الفكرة من حجر الفيلسوف؛ أتعلمون، بدلاً من أن يجعلك الحجر خالدًا، أصبح الحجر يعكس الموت».

كانت الرائحة القادمة من المطبخ تزداد قوة. وقد بدت أشبه شيء برائحة حرق الملابس الداخلية. تساءل (هارى) عما إذا كان من الممكن أكل ما يكفى مما يطبخه (زينوفيليوس)، حُتى لا يضايقه.

قال (رون) ببطء: «وماذا عن العباءة؟ ألا تدركان أنه على حق؟ لقد تعودت على استخدام عباءة (هارى)، ومدى جودتها، حتى إننى لم أتوقف لأفكر فى الأمر من قبل. إننى لم أسمع من قبل عن عباءة مثل عباءة (هارى). إن تأثيرها لا يخفت، لم يحدث أن اكتشفنا أحدًا ونحن تحتها أبدًا».

«طبعًا لا، لأننا نصبح مختفين ونحن تحتها يا (رون)!».

«لكن جميع الأشياء التى قالها عن العباءات الأخرى حقيقية، رغم غلو ثمنها فى العادة! إن الأمر لم يخطر لى من قبل، رغم أننى سمعت عن زوال تأثير التعاويذ عن العباءات مع مرور الزمن أو تمزق بعضها نتيجة لتعرضها لتعاويذ تسبب فتحات بها. بينما عباءة (هارى) كانت ملك أبيه من قبله، وهى بالتالى ليست جديدة تمامًا، ومع ذلك فى حالة ممتازة تمامًا!».

«نعم، حسنًا، ولكن يا (رون)، *الحجر*..».

وبينما هم يتجادلون همسًا، أخذ (هارى) يتحرك حول الغرفة وهو غير مركز على ما يقولانه. وعندما وصل إلى السلالم الحلزونية، رفع عينيه بذهن شارد إلى المستوى التالى، ورأى ما لفت انتباهه فورا. وجد وجهه يتطلع إليه من سقف الغرفة أعلاه.

وبعد بضع لحظات من الحيرة، أدرك أنها ليست مرآة، ولكن لوحة. ودفعه الفضول إلى صعود السلم إلى أعلى.

«(هارى)، ماذا تفعل؟ لا أعتقد أنك يجب أن تتجول فى المكان فى غير وجوده!».

ولكن (هارى) كان قد وصل بالفعل إلى المستوى التالى.

كانت (لونا) قد زينت سقف غرفة نومها بخمس لوحات جميلة لوجوه: (هارى)، و(رون)، و(هرميون)، وجينى، ونيفيل. لم تكن الصور تتحرك مثل اللوحات الموجودة فى (هوجوورتس)، ومع ذلك شعر بأن هناك سحرًا خاصًّا يحيط بهم. وكأنهم يتنفسون. وشاهد ما بدا مثل سلاسل ذهبية جميلة تحيط باللوحات وتربطها معا، ولكن بعد أن دقق النظر فيها لمدة دقيقة أو نحو ذلك، أدرك (هارى) أن تلك السلاسل فى الحقيقة كلمة واحدة مكتوبة ألف مرة بالحبر الذهبى:
أصدقاء... أصدقاء... أصدقاء...

وشعر (هارى) بقدر كبير من المحبة نحو (لونا). وتطلع فى أرجاء الغرفة. ووجد صورة كبيرة بجانب السرير، لـ (لونا) وهى صغيرة ومعها امرأة تشبهها كثيرًا. كانتا متعانقتين. وبدت (لونا) أكثر جمالاً فى هذه الصورة أكثر من أى مرة رآها فيها (هارى) فى حياته من قبل. ولاحظ أن الصورة مغطاة بالتراب، مما جعل (هارى) يستغرب قليلاً وأخذ يحدق فيما حوله.

كان هناك خطأ ما. وجد السجاد ذا اللون الأزرق الفاتح مغطًّى أيضًا بالتراب الكثيف. ولم تكن هناك أى ملابس فى الدولاب الذى وجد أبوابه مفتوحة جزئيًّا. وبدا السرير باردًا غير ودود كما لو أن أحدًا لم ينم فيه منذ أسابيع. ورأى نسيج العنكبوت يغطى أقرب نافذة إليه وقد أصبحت السماء وراءها حمراء بلون الدم.

سألت (هرميون) (هارى) وهو ينزل السلم: «ما المشكلة؟». ولكن قبل أن يتمكن من الرد، بلغ (زينوفيليوس) أعلى السلم قادمًا من المطبخ، وهو يحمل الآن صينية محملة بالسلطانيات.

قال (هارى): «سيد (لوفجود)، أين (لونا)؟».

«عفوًا؟».

«أين (لونا)؟».

توقف (زينوفيليوس) على أعلى درجات السلم.

«لقد ـ لقد سبق وقلت لكم. إنها فى الأسفل عند جسر بوتوم تصيد البليمبى».

«لماذا إذن وضعت أربعة سلطانيات فقط فوق الصينية؟».

حاول (زينوفيليوس) الكلام، ولكن لم يخرج منه أى صوت. وبقى الضجيج الوحيد الذى يقطع الصمت فى المكان هو الأزيز المستمر للمطبعة، والصوت الطفيف لقعقعة الصينية بسبب اهتزاز يدى (زينوفيليوس).

قال (هارى): «لا أعتقد أن (لونا) أتت إلى هنا منذ أسابيع. ملابسها ليست موجودة، وسريرها لم ينم أحد به. أين هى؟ ولماذا تظل تنظر من النافذة؟».

أسقط (زينوفيليوس) الصينية. وقفزت السلطانيات وتحطمت. وسحب (هارى)، و(رون)، و(هرميون) عصيهم. وجمد (زينوفيليوس) يده التى كانت على وشك الدخول فى جيبه. وفى تلك اللحظة، أتى صوت خبطة عالية من المطبعة وخرجت كمية ضخمة من مجلة *المراوغ* إلى الأرضية من تحت غطاء المائدة، وتوقفت آلة الطباعة أخيرًا.

وانحنت (هرميون) والتقطت إحدى المجلات، وعصاها مازالت موجهة إلى السيد (لوفجود).

«(هارى)، انظر إلى هذا».

واتجه إليها بأسرع ما يمكنه عبر الفوضى التى تسود المكان. كانت الصفحة الأولى من المراوغ تحمل صورته مكتوبًا عليها عبارة «غير المرغوب فيه رقم واحد» أما التعليق على الصورة فكان مبلغ المكافأة.

سأله (هارى) ببرود بينما عقله يعمل بسرعة كبيرة: «يبدو أن المراوغ قد تبنت وجهة نظر جديدة، إذن؟ ما الذى فعلته عندما ذهبت إلى الحديقة يا سيد (لوفجود)؟ هل قمت بإرسال بومة إلى الوزارة؟».

لعق (زينوفيليوس) شفتيه.

وهمس: «لقد أخذوا ابنتى (لونا)، بسبب ما كنت أقوم بكتابته. أخذوا (لونا) ولا أعرف أين هى، أو ما فعلوه بها. ولكن قد يعيدونها إلى لو أننى.. لو أننى..».

أنهت (هرميون) الجملة بدلاً منه: «قمت بتسليم هارى؟».

قال (رون) بحدة: «لن يحدث هذا، ابتعد عن الطريق. سنرحل حالاً».

بدا (زينوفيليوس) شنيعًا، وكأن عمره قرن من الزمن، وقد سحب شفتيه إلى الوراء مبتسمًا ابتسامة مخيفة.

«سيصلون فى أى لحظة. لا بد أن أنقذ (لونا). لا يمكننى أن أخسر (لونا). يجب ألا ترحلوا».

وفرد ذراعيه أمام السلم، وتذكر (هارى) فجأة منظر والدته وهى تفعل الشىء نفسه أمام سريره.

قال (هارى): «لا تجعلنا نؤذيك. ابتعد عن الطريق يا سيد (لوفجود)».

صرخت (هرميون): «(هارى)!».

شاهدوا أشخاصًا فوق مكانس يعبرون بجوار النافذة. وما إن أبعد ثلاثتهم نظرهم عنه، حتى تمكن (زينوفيليوس) من سحب عصاه. وأدرك (هارى) الخطأ الذى قاموا به فى آخر لحظة. رمى بنفسه جانبا دافعا (رون) و(هرميون) معه بعيدا عن الأذى، بينما طارت تعويذة الصعق التى رماهم بها (زينوفيليوس) عبر الغرفة وضربت قرن الإيرومبيت.

وحدث انفجار هائل. حطم دويه الغرفة، وطارت شظايا الخشب والورق والأنقاض فى كل الاتجاهات، وغطت سحابة كثيفة من الغبار الأبيض المكان. وطار (هارى) فى الهواء قبل أن يقع أخيرًا على الأرضية، وهو غير قادر على الرؤية، حيث أخذ الحطام يتساقط عليه ووضع ذراعيه فوق رأسه. وسمع صراخ (هرميون) وصياح (رون) ومجموعة من الخبطات المعدنية العالية التى أخبرته أن (زينوفيليوس) قد وقع إلى الوراء وسقط فوق السلم الحلزونى المعدنى.

حاول (هارى) رفع نفسه من تحت الأنقاض التى دفن تحتها تقريبا. وهو بالكاد يستطيع التنفس أو الرؤية بسبب الغبار الذى يغطى المكان. ورأى أن نصف السقف قد وقع، وكان سرير (لونا) معلقًا من خلال الثقب. وشاهد تمثال روينا رافينكلو ملقى بجواره وقد تحطم نصف وجهه وشاهد شظايا الرقوق الممزقة تسبح فى الجو، بينما وقعت المطبعة على جنبها مغلقة قمة السلم الذى يقود إلى المطبخ. ثم شاهد شكلاً آخر أبيض يتحرك بالقرب منه، ورأى (هرميون) وهى مكسوة بالغبار مثل التمثال، تضغط أصابعها على شفتيها.

وتحطم الباب فى الطابق الأسفل مفتوحًا.

قال صوت حاد: «ألم أقل لك إنه ليست هناك حاجة إلى العجلة يا ترافرز؟ ألم أقل لك إن ذلك المجنون يهذى كالمعتاد؟».

ثم سمعوا صوت خبطة وصرخة ألم من (زينوفيليوس).

«لا... لا... الطابق العلوى... (بوتر)!».

«لقد قلت لك الأسبوع الماضى يا (لوفجود)، إننا لن نعود لشىء أقل من بعض المعلومات الأكيدة! أتذكر الأسبوع الماضى؟ عندما كنت تريد مقايضة ابنتك مقابل هذه القبعة النازفة الغبية؟ والأسبوع الذى قبله..». وسمعوا صوت خبطة أخرى تبعتها صرخة. «..عندما ظننت أننا سنعيدها إليك لو قدمت لنا دليلا على وجود السنوركاك..». خبطة. «..مجعد..». خبطة. «..القرن؟».

قال (زينوفيليوس) وهو ينشج: «لا.. لا.. أرجوك! إنه حقًا (بوتر)! حقًا!».

وصـاح آكـل الموت: «والآن، تـبـين لـنـا أنك دعـوتـنـا هـنـا فـقـط حـتـى تحاول تفجيرنـا!». ثم تبع ذلك وابل من الخبطات تتخلله صرخات ألم من(زينوفيليوس).

وتردد صوت ثان بـارد من خلال السلالم المحطمة: «المكان يبدو على وشك الوقوع يـا سيلوين، وقد سدت السلالم تمـامًا. وقد تؤدى محـاولـة فتحها إلى سقوط المكان فوقنـا».

وصاح الساحر الذى يدعى (سيلوين): «أنت يا قطعة القذارة. هل شاهدت (بوتر) أبدًا فى حياتك؟ لا أظن. هل فكرت أن تغرينا بالحضور إلى هنا حتى تقتلنا؟ هل ظننت أنك ستستعيد ابنتك بهذه الطريقة؟».

«أقسم لكم... أقسم لكم... أن (بوتر) فى الطابق العلوى!».

قال صوت أسفل السلم: «هومينوم ريفيليو».

وسمع (هـارى) شهقة (هرميون) وشعر بإحساس غريب بأن شيئًا ينقض فوقه على ارتفـاع منخفض وقد غطى جسمه بظله.

قال الرجل الثـانى بحدة: «هنـاك شخص مـا فوق بـالفعل يـا سيلوين».

نشـج (زيـنـوفـيـلـيـوس) قـائـلاً: «إنـه (بـوتـر)، أقـول لـكم إنـه (بـوتـر)! أرجـوكم... أرجوكم... أعيدوا لى (لونـا)، فقط أرجعوا لى (لونـا)..».

قال سيلوين: «يمكنك أن تـأخذ فتـاتك الصغيرة يـا (لوفجود). إذا صعدت تلك السلالم وأحضرت لى (هـارى بوتر). ولكن إذا كانت هذه مؤامرة، أو حيلة مـا، أو اتضح أنك قد أعددت كمينًا لنـا، وأن هنـاك شريكًا لك ينتظر فى الأعلى، فسوف نرى إن كـان يمكننا أن نترك لك القليل من ابنتك حتى تقوم بدفنه».

أطلق (زينوفيليوس) صرخة فزع ويأس. وسمعوا أصوات نبش وحك وعرفوا أن (زينوفيليوس) يحـاول المرور من خلال الحطام الموجود على السلم.

وهمس (هـارى): «هيـا، يجب أن نخرج من هنـا».

وبدأ يحـاول إخراج نفسه من تحت الأنقـاض تحت غطاء الضجيج الذى يصنعه (زينوفيليوس) على السلم. كان (رون) مدفونًا على عمق أكبر. وصعد (هـارى) و(هرميون) فوق الحطام حتى وصلا إلى المكان الذى يرقد فيه، بأكبر قدر يمكنهم من الهدوء. وحـاولا إزاحة صندوق أدراج ثقيل من فوق ساقيه. بينمـا الضجيج والنبش الذى يقوم به (زينوفيليوس) يقترب أكثر وأكثر. ونجحت (هرميون) فى تحرير (رون) بـاستخدام تعويذة تحليق.

تنفست (هرميون) قائلة: «حسنًا»، بينما بدأت المطبعة التى تغلق فتحة السلم ترتجف. كان (زينوفيليوس) على بعد قدم واحد منهم. قالت (هرميون) وهى لا تزال تبدو بيضاء من الغبار: «هل تثق بى يا (هارى)؟».

أومأ (هارى) برأسه.

همست (هرميون): «حسنًا إذن، أعطنى عباءة الإخفاء، ستضعها أنت يا رون».

«أنا؟ ولكن هارى..».

«*أرجوك يا (رون)!* أمسك بيدى بشدة يا (هارى). وأنت يا (رون)، تعلق بكتفى».

مد (هارى) يده اليسرى. واختفى (رون) تحت العباءة. بينما بدأت المطبعة التى تغلق السلم فى التذبذب. كان (زينوفيليوس) يحاول تحريكها باستخدام تعويذة تحليق. لم يعرف (هارى) ما الذى تنتظره (هرميون).

همست قائلة: «تمسكوا بشدة... فى أى ثانية الآن..».

وظهر وجه (زينوفيليوس) الذى بدا فى بياض الورق من فتحة السلم.

صاحت (هرميون) وهى تشير بعصاها إلى وجهه: «أوبليفيات!». ثم حولت عصاها إلى الأرضية تحتهم وقالت: «*ديبريمو!*».

وأحدثت ثقبًا فى أرضية غرفة الجلوس. وسقطوا مثل الصخور. وهارى مازال ممسكا بيدها بكل ما يستطيع من قوة، وسمع صراخًا من أسفل، ولمح رجلين يحاولان الابتعاد عن الطريق، بينما تنهمر فوقهم كميات هائلة من الأنقاض والأثاث المحطم بعد أن تحطم السقف. ودارت (هرميون) فى الجو، وسمع (هارى) صوت الهدير الناتج عن انهيار المنزل يرن فى أذنيه، بينما تجذبه (هرميون) إلى داخل الظلام مرة أخرى.



٢٢ مقدسـات المـوت

سقط (هـارى) وهو يلهث على الحشائش، ثم وقف بسرعة. وبدا أنهم قد هبطوا فى زاوية حقل فى وقت الغروب؛ وبدأت (هرميون) على الفور الدوران حول المكان وهى تلوح بعصاها وتقول:

«*بروتيجو توتالوم... سالفيو هيكسيا*..».

قال (رون) ناهجًا وهو يظهر من تحت عباءة الإخفاء ويرمى بها إلى (هـارى): «ذلك الوغد العجوز الغادر. إنك عبقرية يا (هرميون). عبقرية تمامًا. لا أصدق أننا خرجنا من ذلك!».

«كيف حال إنيميكوم... ألم *أقل* لكم إنه قرن إيرومبيت؟ ألم أخبره بذلك؟ والآن انفجر منزله وتحطم تمامًا!».

قال (رون) وهو يفحص القطع فى سرواله الجينز والجروح التى أصابت ساقه: «يستحق ما حدث له، ماذا تظنون أنهم سيفعلون به؟».

زفرت (هرميون): «آه، أتمنى ألا يقتلوه. هذا هو السبب الذى أردت آكلى الموت أن يلمحوا (هـارى) من أجله قبل أن نرحل، حتى يعرفوا أن (زينوفيليوس) لم يكن يكذب!».

سأل (رون): «لكن لماذا قمتِ بإخفائى أنا؟».

«من المفترض أنك فى الفراش مريض بشدة يا (رون). لقد قاموا بخطف (لونا)؛ لأن والدها يساند (هـارى)! ما الذى سيحدث لعائلتك لو عرفوا أنك معه؟».

«ولكن ماذا عن والدك ووالدتك أنت؟».

قال (هـارى): «إنهما فى أستراليا، ويجب أن يكونا بخير، فهما لا يعرفان أى شىء».

كرر (رون) وهو يبدو مبهورًا: «إنك عبقرية».

وافقه (هـارى) بحماس: «صحيح، إنك كذلك فعلا يا (هرميون). لا أعرف ماذا كان يمكننا أن نفعل بدونك؟».

ابتسمت ثم تحول وجهها إلى الجدية فورًا.

«ماذا عن (لونا)؟».
بدأ (رون): «حسنًا: إذا كانوا يقولون الحقيقة وأنا ومازالت على قيد الحياة».
صاحت (هرميون): «لا تقل هذا، لا تقل هذا! إنها حية، لابد أن تكون حية!».
قال (رون): «أتوقع إذن أنها ستكون فى أزكابان، هذا إذا استطعت أن تنجو من المكان... الكثيرون لا يستطيعون...».
قال (هارى) الذى لم يتحمل التفكير فى البديل: «سوف تنجو. إن (لونا) صلبة. أكثر صلابة مما تظن. ربما تكون قد بدأت فى تعريف زملائها بالراكسبارت والنارجلى».
قالت (هرميون) وهى تمسح عينيها بيدها: «أرجو أن تكون على حق، كنت سأشعر بالأسف من أجل (زينوفيليوس)، لو...».
قال (رون): «... لو أنه لم يحاول بيعنا إلى آكلى الموت. صحيح».
وأقاموا الخيمة ودخلوا إليها، حيث صنع لهم (رون) الشاى. وشعروا بأن المكان القديم البارد الذى يغطيه الضباب كأنه منزلهم، آمن ومألوف وودود، خاصة بعد نجاتهم بصعوبة من آكلى الموت.
تأوهت (هرميون) بعد بضع دقائق من الصمت: «آه، ما الذى ذهب بنا إلى هناك؟ لقد كنت على حق يا (هارى)؟ لقد تكرر ما حدث فى جودريك هولو مرة أخرى. مضيعة كاملة للوقت! مقدسات الموت... ياله من هراء.. رغم أنه فى الحقيقة». وبدا أن فكرة مفاجأة قد خطرت لها وأكملت: «هل يمكن أن يكون قد اخترع كل هذا؟ ربما لا يؤمن بوجود مقدسات الموت على الإطلاق، لكنه أراد أن يبقينا مشغولين بالكلام حتى يحضر آكلو الموت!».
قال (رون): «لا أظن ذلك. هناك صعوبة كبيرة فى اختراع القصص وأنت تحت ضغط أكبر مما تتصورين، لقد اكتشفت ذلك عندما قبض على الخطافين. كان من الأسهل أن أتظاهر أننى (ستان)؛ لأننى أعرف بعض الأشياء عنه، عن أن أخترع شخصًا جديدًا تمامًا. وقد كان (لوفجود) العجوز تحت ضغوط كثيرة، وهو يحاول أن يجعلنا ننتظر. لذلك أظن أنه قال الحقيقة، أو على الأقل ما يظن أنه الحقيقة، فقط ليبقينا نتحدث».
تنهدت (هرميون) وقالت: «حسنًا، لا أظن أن ذلك مهم على أية حال، فحتى لو كان صادقا معنا، فلم أسمع مثل هذا الكم من الهراء فى حياتى».
قال (رون): «انتظرى، ألم يكن من المفترض أن غرفة الأسرار مجرد خرافة؟».

«ولكن مقدسات الموت لا يمكن أن تكون موجودة يا (رون)!».

قال (رون): «إنك تكررين ذلك. ولكن أحدهم يمكن أن يكون عباءة الإخفاء الخاصة بهارى..».

قالت (هرميون) بحزم: «إن «حكاية الإخوة الثلاثة» مجرد قصة.. قصة عن خوف البشر من الموت. ولو أن كل ما تتطلبه النجاة منه هو الاختفاء تحت عباءة الإخفاء، لكان لدينا كل ما نريد فعلاً!».

قال (هارى) وهو يدير عصا البرقوق الأسود التى يكرهها بين أصابعه: «لا أعرف، أظن أن العصا التى لا تهزم قد تنفعنا».

«ليس هناك شىء كهذا يا (هارى)!».

«لقد قلتِ إن هناك الكثير من العصى.. عصا الموت أو مهما كانت أسماؤها..».

«حسنًا، إذا كنت تريد خداع نفسك بإقناعها بأن عصا الكبير حقيقة، ماذا إذن عن حجر البعث؟». وصنعت بأصابعها علامات اقتباس حول الاسم وأصبحت لهجتها تقطر سخرية وهى تضيف: «ليس هناك سحر يستطيع إعادة الموتى إلى الحياة، وهذا هو فصل الختام فى هذا الموضوع!».

«عندما اتصلت عصاى بعصا (أنت ـ تعرف ـ من)، جعلت أمى وأبى يظهران... وسيدريك..».

قالت (هرميون): «ولكنهم لم يعودوا فعلاً من الموت، أليس كذلك؟ إن هذا النوع من المحاكاة الباهتة ليست مثل إعادة شخص ما فعلاً إلى الحياة».

«ولكن الفتاة الموجودة فى القصة لم تعد فعلاً إلى الحياة، أليس كذلك؟ إن القصة تقول إن البشر عندما يموتون ينتمون إلى عالم الموتى، ولكن الأخ الثانى مع ذلك كان يستطيع رؤيتها والكلام معها، أليس كذلك؟ بل إنه عاش معها لفترة..».

وشاهد القلق واضحًا فى التعبير المرتسم على وجه (هرميون) وشيئًا آخر أكثر صعوبة فى تحديد كنهه. ثم عندما وجدها تنظر إلى (رون)، أدرك أنه الخوف وعرف أنه أرعبها بكلامه عن الحياة مع بشر ميتين.

وقال بسرعة وهو يحاول أن يبدو شديد التعقل: «بخصوص هذا الشخص من (آل بيفريل) المدفون فى جودريك هولو، هل تعرفين أى شىء عنه؟».

ردت وهى تبدو مرتاحة لتغير الموضوع: «لا، لقد بحثت عنه، بعد أن رأيت الرمز على قبره، ولو كان شخصًا مشهورًا أو صنع أى شىء مهمًا، لكنت قد وجدته فى

أحد كتبنا. المكان الوحيد الذى نجحت فى إيجاد اسم (بيفريل) فيه هى كتاب *النُّبْل الطبيعى* المختصة *بأنساب السحرة*». وشرحت لهم عندما رفع (رون) حاجبيه: «كنت قد استعرتها من كرياتشر. فقد وضع قائمة بجميع العائلات ذات الدم النقى التى اندثر نسبها من الذكور ولم يعد أحد ينسب إليها ومن الواضح أن (آل بيفريل) من أول العائلات التى اختفت».

وكرر (رون): «اندثرت توقف نسل الذكور؟».

قالت (هرميون): «إن ذلك يعنى أن الاسم اختفى، منذ قرون فى حالة (آل بيفريل)، رغم أنه قد يكون لديهم نسل ولكنهم يدعون باسم آخر».

ثم بدت فى عقل (هارى) فجأة الذكرى التى أثارها ذكر اسم (بيفريل) واضحة جلية، وتذكر ذلك الرجل الشيخ البذىء وهو يلوح بخاتم قبيح فى وجه مسئول الوزارة، وصاح بصوت عال: «(مارفالو جاونت)!».

قال (رون) و(هرميون) معًا: «ماذا؟».

«*(مارفالو جاونت)*! جد أنت تعرف من! فى جهاز البنسيف! مع (دمبلدور)! سمعته وهو يقول إنه من نسل (آل بيفريل)!».

ظهرت الحيرة على (رون) و(هرميون).

«الخاتم، الخاتم الذى أصبح هوركروكس، لقد سمعت (مارفالو جاونت) وهو يقول إن عليه شعار النبالة الخاص بـ (آل بيفريل)! ورأيته وهو يلوح به فى وجه مسئول الوزارة، ويكاد يحكه فى أنفه!».

قالت (هرميون) بحدة: «شعار النبالة الخاص بـ (آل بيفريل)! هل رأيت كيف يبدو؟».

قال (هارى) وهو يحاول أن يتذكر: «لا فى الحقيقة، لم يكن به شىء ملفت للنظر، على ما أذكر؛ ربما بضع خطوط، لقد رأيته بعدها وهو مغلق بعد أن تم كسره وفتحه».

وأدرك (هارى) أن (هرميون) فهمت ما يقصده عندما ضيقت عينيها فجأة. بينما أخذ (رون) ينظر من أحدهما إلى الآخر وهو مندهش.

«يا إلهى! هل تظن أنه كان ذلك الرمز مرة أخرى؟ رمز مقدسات الموت؟».

قال (هارى) بحماس: «لمَ لا؟ كان (مارفالو جاونت) رجلاً عجوزًا جاهلاً يعيش مثل الخنازير. وكل ما يهمه هو نسبه. وبما أن هذا الخاتم متوارث عبر القرون، فمن الممكن جدًّا أنه كان جاهلاً لحقيقته. لم يكن هناك أى كتب فى هذا المنزل،

ومن المؤكد أنه لم يكن من النوع الذى يقرأ القصص الخيالية لأولاده. وسيحب أن يعتقد أن هذه الخطوط فوق الخاتم شعار نبالة؛ طالما هو مهتم بأن يكون من ذوى الدماء النقية سيجعلك ملكيًا على نحو ما».

قالت (هرميون) بحذر: «نعم... إن ذلك مثير للاهتمام جدًا. ولكن يا (هارى)، لو كنت تفكر فيما أظن أنك تفكر به».

قال (هارى) تاركا حذره: «حسنًا، لِمَ لا؟ *لِمَ* لا؟ لقد كان حجرًا، أليس كذلك؟ ونظر إلى (رون) ليؤيده ماذا لو كان حجر البعث؟».

فغر (رون) فاه وقال: «ولكن هل سيظل يعمل إن كان (دمبلدور) قد كسره».

قفزت (هرميون) على قدميها وهى تبدو غاضبة و خانقة: «يعمل؟ *يعمل*؟ (رون)، إنه لم يعمل قط. *ليس هناك شىء* يدعى حجر *البعث*! (هارى)، إنك تحاول أن تجعل كل شىء يتوافق مع قصة مقدسات الموت..».

كرر كلامها: «*يتوافق معها*؟ إن كل شىء متوافق معها فعلاً بدون أى تدخل منى! أنا أعرف أن رمز مقدسات الموت كان موجودًا على هذا الحجر! وقد قال جاونت إنه من نسل (آل بيفريل)!».

«لقد أخبرتنا منذ لحظة أنك لم تر الرمز على الحجر جيدًا قط!».

سأل (رون) (هارى): «أين تعتقد مكان الخاتم الآن؟ ما الذى فعله (دمبلدور) به بعد أن فتحه؟».

ولكن خيال (هارى) كان يتحرك بسرعة كبيرة جدًا، متخطيًا خيالى (رون) و(هرميون) بكثير...

ثلاثة أشياء، أو مقدسات، إذا اجتمعت، ستجعل مالكها سيدًا للموت... سيدًا... قاهرًا... غالبًا... آخر عدو سيتم تدميره هو الموت...

ورأى نفسه يواجه (فولدمورت) وهو مالك للمقدسات، الذى لا توازى هوركروكساته مقدسات الموت... وتذكر النبوءة... لا يمكن *أن* يعيش *أحدهم* بينما ينجو *الآخر*... هل هذا هو الحل؟ مقدسات الموت ضد الهوركروكسات؟ هل هناك طريقة تضمن له أن يكون الفائز؟ هل سيكون آمنًا، لو أصبح سيد مقدسات الموت؟

«(هارى)؟».

ولكنه بالكاد سمع (هرميون): كان قد سحب عباءة الإخفاء وأخذ يمررها على أصابعه... قماشها مرن مثل الماء وخفيف مثل الهواء. إنه لم ير قط شىء يضاهيها طوال سبعة الأعوام التى قضاها فى العالم السحرى. كانت العباءة

هى ما وصفه (زينوفيليوس) بالضبط: عباءة *يمكنها فعلاً وحقًا أن تخفى مرتديها تمامًا، وتبقى إلى الأبد، ذات تأثير دائم لا يمكن اختراقه مهما ألقيت عليها من تعاويذ*...

وعندها، شهق لقد تذكر..

«عباءتى كانت لدى (دمبلدور) فى الليلة التى مات فيها والداى!».

واهتز صوته وتغير لون وجهه، ولكنه لم يهتم، وقال: «لقد أخبرت أمى سيريوس أن (دمبلدور) استعار العباءة! هذا هو السبب! لقد أراد فحصها، لأنه ظن أنها ثالث المقدسات! إن (إجنوتوس بيفريل) مدفون فى جودريك هولو... إنه جدى الأعلى! إننى من نسل الأخ الثالث! إن هذا كله منطقى جدًا» وأخذ (هارى) يمشى فى الخيمة وهو لا يكاد يرى أمامه، ويشعر كأن آفاقًا جديدة غير محدودة من الحقائق تفتح فى كل مكان حوله.

وشعر بأنه مسلح باليقين، باعتقاده فى المقدسات، وكأن فكرة امتلاكهم وحدها تعطيه الحماية، وشعر بالابتهاج وهو ينظر إلى الاثنين الآخرين.

قالت (هرميون) مرة أخرى: «(هارى)». ولكنه كان مشغولاً بفتح الجراب الذى يضعه حول عنقه، وأصابعه ترتعش بقوة.

وقال لها وهو يدفع خطاب والدته إليها: «اقرئيه، اقرئيه! لقد أخذ (دمبلدور) العباءة يا (هرميون)! لأى سبب آخر يريدها؟ لم يكن يحتاج إلى العباءة، إنه يستطيع تأدية تعويذة إيهام قوية بما يكفى لكى تخفيه تمامًا!».

وسقط شىء إلى الأرضية وتدحرج وهو يلمع تحت كرسى. كان قد ألقى بالسنيتش خارج الجراب وهو يجذب الخطاب. وانحنى لالتقاطه، ثم قذف إليه ينبوع الاكتشافات المذهلة الجديد منحة جديدة. واشتعلت الصدمة والتساؤل داخله حتى إنه صاح قائلاً:

«إنه **هنا**! لقد ترك لى الخاتم ـ إنه داخل السنيتش!».

«هل ـ هل تظن؟».

لم يستطع أن يفهم لماذا بدا (رون) مصدومًا. كان الأمر ظاهرًا جدًا وواضحًا أمام (هارى). كل شىء متوافق، كل شىء... عباءته هى ثالث المقدسات، وعندما يكتشف كيفية فتح السنيتش سيكون لديه الثانى أيضًا، وعندها سيكون كل ما عليه أن يفعله هو أن يجد الأثر الأول، عصا الكبير، وعندها.

ولكن فجأة، شعر بأن صاعقة قد أصابته وقضت على كل حماسه وآماله وسعادته، وكأن الستائر قد أغلقت على مسرح مضىء، وشعر أنه يقف فى الظلام بعد أن انكسرت التعويذة المجيدة.

«هذا هو ما يبحث عنه».

وجعل التغيير فى صوته (رون) و(هرميون) أكثر خوفًا.

«(أنت ـ تعرف ـ من) يبحث عن عصا الكبير».

وأعطى ظهره لوجوههم المتوترة المتشككة. كان يعرف أن هذه هى الحقيقة. إن الأمر منطقى، لم يكن (فولدمورت) يبحث عن عصا جديدة ولكن عن عصا قديمة، عصا قديمة جدًا، ومشى (هارى) حتى مدخل الخيمة، ونسى (رون) و(هرميون) وأخذ ينظر إلى الليل بالخارج، وهو يفكر...

لقد نشأ (فولدمورت) فى ملجأ للعامة. لا يمكن أن يكون أحد قد أخبره حكايات *(بيدلى) الشاعر* وهو طفل، تمامًا مثل (هارى). كما أن هناك عددًا قليلاً من السحرة الذين يؤمنون بمقدسات الموت. هل هناك احتمال أن يكون (فولدمورت) يعرفهم؟

وأخذ (هارى) يحدق فى الظلمة... لو أن (فولدمورت) عرف بخصوص مقدسات الموت، لكان قد بحث عنهم بالتأكيد، وفعل كل ما يمكنه ليمتلكهم: ثلاثة أشياء تجعل مالكها سيدًا للموت؟ لو عرف عن مقدسات الموت، ربما لم يكن ليحتاج إلى الهوركروكسات أصلاً. ألا تدل حقيقة أنه أخذ إحدى المقدسات وحولها إلى هوركروكس على أنه لا يعرف شيئًا عن هذا السر السحرى العظيم الأخير؟

وهذا يعنى أن (فولدمورت) يبحث عن عصا الكبير بدون أن يعرف القوى الكاملة لها، وبدون أن يفهم أنها واحدة من ثلاثة؛ لأن العصا هى الأثر الذى لا يمكن إخفاؤه، والتى اشتهر وجودها بين الناس... *إن الآثار الدامية لعصا الكبير* منتشرة *عبر صفحات التاريخ السحرى*...

وأخذ (هارى) يراقب السماء الملبدة بالسحب، بينما تنزلق أشكال مستديرة من السحب ذات لون رمادى وفضى أمام وجه القمر الأبيض. وشعر بخفة فى رأسه بسبب الذهول الذى سببته له اكتشافاته.

واستدار عائدًا إلى داخل الخيمة. وشعر بالصدمة عندما رأى (رون) و(هرميون) مازالا واقفين فى نفس الأماكن التى تركهما بها. كانت (هرميون) مازالت تمسك بخطاب ليلى و(رون) واقف بجوارها وقد ظهر عليه القلق إلى حد ما. ألا يدركان إلى أى مدى سافروا فى هذه الدقائق القليلة الأخيرة؟

قال (هارى) وهو يحاول جذبهم إلى داخل حلقة اليقين المندهشة المتوهجة التى تحيط به: «هذا هو الأمر. إن ذلك يفسر كل شيء. مقدسات الموت حقيقة، وأنا لدى واحد منها ـ وربما اثنان..».

ورفع السنيتش بين يديه.

« ـ و(أنت ـ تعرف ـ من) يطارد ثالث المقدسات، ولكنه لا يدرك ذلك... إنه يعتقد أنها عصا ذات قوى خارقة فقط..».

قالت (هرميون) وهى تتحرك مقتربة منه وتسلمه خطاب ليلى: «(هارى)، أنا آسفة، ولكنى أعتقد أنك أدركت الأمور خطأ، كلها خطأ».

«ولكن ألا ترين؟ إن الأمور كلها متوافقة..».

قالت: «لا، إنها ليستُ متوافقة، *ليست متوافقة* يا (هارى). لقد أخذتك أفكارك بعيدا». وعندما حاول مقاطعتها، قالت: «أرجوك، أرجوك أجبنى فقط. لو كانت مقدسات الموت موجودة فعلا، و(دمبلدور) يعرف بوجودها، ويعرف أن الشخص الذى يمتلك الثلاثة يصبح سيدا للموت ـ لماذا إذن لم يخبرك عنها يا (هارى)؟ لماذا؟».

كانت لديه إجابة جاهزة لهذا السؤال.

«ولكنكِ قُلْتِهَا يا (هرميون)! يجب أن يكتشف الإنسان بعض الأمور بنفسه! إنها الضالة المنشودة».

صاحت (هرميون) بحنق: «ولكنى قلت ذلك فقط لأحاول إقناعك بالذهاب إلى (لوفجود)! أنا لا أصدق ذلك فعلا!».

أعرض (هارى) عن كلامها.

وقال: «عادة ما كان (دمبلدور) يتركنى أكتشف الأشياء بنفسى... يتركنى أجرب قوتى وأخاطر. إن هذا يشبه نوع الأشياء التى يمكن أن يفعلها».

«إن ما نحن فيه ليس لعبة أو تمرينًا يا (هارى)! إننا نواجه الواقع الآن وقد ترك لك (دمبلدور) تعليمات محددة جداً: ابحث عن الهوركروكسات ودمرها! إن هذا الرمز لا يعنى شيئا، انس مقدسات الموت، ليس لدينا وقت لأى شيء قد يصرفنا عن هدفنا».

كان (هارى) بالكاد يستمع إليها. وظل يقلب السنيتش مرة بعد مرة فى يده، وهو نصف متوقع أن يفتح، ويكشف عن حجر البعث، ويثبت لهيرميون أنه على حق، وأن مقدسات الموت حقيقة.

ونظرت إلى (رون) تطلب مساعدته.

«إنك لا تصدق هذا الأمر، أليس كذلك؟».

ونظر (هارى) إليه وتردد (رون).

قال (رون) محرجًا: «لا أعرف... أعنى... بعض الأجزاء تتوافق نوعًا معًا. ولكن عندما تنظر إلى الصورة كاملة..». ثم أخذ نفسًا عميقًا وأكمل قائلاً: «أعتقد أننا من المفترض أن نتخلص من الهوركروكسات يا (هارى). هذا ما طلبه منا (دمبلدور). ربما... ربما يجب علينا أن ننسى أمر تلك المقدسات».

قالت (هرميون): «شكرًا يا (رون). سآخذ أول نوبة فى المراقبة».

وخطت مارة بهارى وجلست فى مدخل الخيمة، لتضع نهاية سطر عنيفة تنهى بها المناقشة.

ولكن (هارى) جافى النوم عيونه فى تلك الليلة. لقد تملكته فكرة مقدسات الموت تمامًا، ولا يمكنه أن يرتاح، بينما تلك الأفكار المضطربة تدور داخل عقله: العصا، والحجر، والعباءة، لو كان يستطيع أن يمتلكها كلها...

افتح فى الختام... لكن ما الختام؟ لماذا لا يمكنه الحصول على الحجر الآن؟ لو أن لديه الحجر فقط، كان يمكنه أن يسأل (دمبلدور) شخصيًا هذه الأسئلة... وأخذ (هارى) يغمغم بكلام للسنيتش فى الظلام، جرب كل شىء، حتى لغة الثعابين، ولكن الكرة الذهبية لم تفتح...

والعصا، عصا الكبير، أين المكان الذى تختفى به؟ أين يبحث (فولدمورت) الآن؟ وتمنى (هارى) لو أن ندبته تؤلمه وتريه أفكار (فولدمورت)؛ لأنه للمرة الأولى فى حياته، اجتمع هو و(فولدمورت) على هدف واحد... لن تعجب هذه الفكرة (هرميون) بالطبع... ولكنها، لم تصدق... لقد كان (زينوفيليوس) على حق إلى حد ما... عندما قال إنها *محدودة الخيال وضيقة الأفق*. وعرف أنها فى الحقيقة خائفة من فكرة مقدسات الموت وخاصة حجر البعث... وضغط (هارى) السنيتش على فمه مرة أخرى، وقبله وكاد يبتلعه، ولكن المعدن البارد لم يذعن...

وكان الوقت فجرًا عندما تذكر (لونا)، وهى وحيدة داخل زنزانة فى أزكابان، ومحاطة بالديمنتورات وشعر فجأة بالخجل من نفسه. لقد نسى كل شىء عنها فى أثناء تأمله المحموم لموضوع مقدسات الموت. لو أنهم فقط يستطيعون إنقاذها، ولكن واقعيًا لا يمكن التغلب على ديمنتورات بهذه الأعداد. وعندما فكر بالأمر، تذكر أنه لم يجرب عمل باتروناس بعصا البرقوق الأسود... لابد أن يجرب ذلك فى الصباح...

لو كانت هناك طريقة فقط للحصول على عصا أفضل...

وابتلعته ثانية الرغبة فى عصا الكبير، عصا الموت، التى لا تهزم، ولا تقهر...

وفى اليوم التالى، حزموا الخيمة وتحركوا خلال زخات من مطر كئيب لا ينقطع. وتبعهم المطر المدرار إلى الساحل، حيث نصبوا الخيمة فى هذه الليلة، وظل يلاحقهم طوال الأسبوع فى المناطق الريفية المبتلة التى وجدها (هارى) باردة وكئيبة. لم يكن يفكر فى شىء سوى مقدسات الموت. وكأن هناك شعلة قد أضيئت داخله ولا شىء يستطيع إطفاءها، لا إنكار (هرميون) القاطع ولا شكوك (رون) المستمرة. ومع ذلك، كلما زاد شوقه إلى الحصول على مقدسات الموت شدة، قل ابتهاجه. ولام (رون) و(هرميون) على ذلك، فقد كان تأثير لامبالاتهم التى لا تلين محبطًا تمامًا مثل ذلك المطر الذى لا ينقطع، ولكن لا شىء منهما يستطيع تفتيت يقينه الذى ظل مطلقًا. وشعر (هارى) بأن إيمانه بمقدسات الموت وتوقه إليها استهلكه تمامًا، حتى أصبح معزولاً عن الاثنين الآخرين وهوسهم بالهوركروكسات.

قالت (هرميون) بصوت خافت غاضب: «هوس؟». حيث كان (هارى) قليل الانتباه بما يكفى لاستخدام الكلمة فى إحدى الأمسيات، عندما لفتت (هرميون) نظره إلى قلة اهتمامه بتحديد أماكن هوركروكسات أخرى. وأضافت: «لسنا نحن المهووسين يا (هارى)! فنحن من نحاول أن نفعل ما طلب منا (دمبلدور) أن نفعله!».

ولكن سخريتها المقنعة لم تؤثر فيه. لقد ترك (دمبلدور) رمز مقدسات الموت لـ(هرميون) لتحله، كما أنه كان مقتنعًا أنه ترك حجر البعث مخبئًا داخل السنيتش الذهبى. لا يمكن *أن* يعيش *أحدهم* بينما *ينجو الآخر... سيدًا للموت...* لماذا لا يفهم (رون) و(هرميون) الأمر؟

واقتبس (هارى) بهدوء: «*آخر عدو سيتم تدميره هو الموت*».

ردت (هرميون): «كنت أعتقد أن من يجب علينا محاربته هو (أنت ـ تعرف ـ من)؟». ويئس (هارى) منها.

وحتى لغز الظبية الفضية التى يصر الاثنان الآخران على مناقشته بدا أقل أهمية لـ (هارى) الآن، مجرد موضوع فرعى مثير للاهتمام بصورة مبهمة. الشىء الوحيد الآخر الذى يهمه كان ندبته التى بدأت توخزه من جديد، رغم أنه بذل أقصى ما يستطيع فى إخفاء تلك الحقيقة الاثنين الآخرين.

وأصبح ينشد الوحدة فى كل مرة يحدث ذلك، ولكنه أصيب بخيبة الأمل مما رآه. فقد تغيرت جودة الرؤية التى يتشارك فيها مع (فولدمورت)، وأصبحت غائمة وتتحول بسرعة وكأنها تخرج وتدخل فى بؤرة عدسة. وكل ما استطاع (هارى) أن يراه ملامح غير واضحة لشىء يبدو مثل جمجمة، وشىء يشبه الجبل مظلمًا بشكل يصعب معه تحديد ماهيته. وشعر (هارى) بالإحباط بسبب هذا التغيير نظرًا لأنه اعتاد على رؤية صور واضحة وكأنها حقيقية. وكان قلقًا من أن الوصلة التى تربط بينه وبين (فولدمورت) قد دمرت... الوصلة التى يخافها وبغض النظر عما قاله لهيرميون، يقدرها. وقد ربط (هارى) بصورة ما بين هذه الصور الغائمة غير المرضية والدمار الذى حدث لعصاه، وكأنها غلطة عصا البرقوق الأسود أنه لا يستطيع النظر إلى عقل (فولدمورت) بنفس الجودة التى كانت موجودة من قبل.

ومع مرور الأسابيع، بدأ (هارى) يلاحظ، بالرغم من الانطوائية التى جدت عليه، تولى (رون) لزمام القيادة؛ ربما لأنه مصمم على التعويض عن تركه لهم، أو ربما أيقظت حالة فتور الهمة التى أصابت (هارى) صفاته القيادية الكامنة، وأصبح (رون) الآن الشخص الذى يشجع ويحمس زملاءه على العمل.

وظل يقول: «لم يبق سوى ثلاثة هوركروكسات، نحتاج إلى خطة عمل، هيا! أين المكان الذى لم نبحث فيه؟ لنراجع الأماكن مرة أخرى. الملجأ..»».

وراجع (رون) و(هرميون) مرة بعد مرة الأماكن: حارة دياجون، و(هوجوورتس)، ومنزل (آل ريدل)، وبورجين وبوركيس، وألبانيا، وكل مكان عرفوا أن توم ريدل عاش أو عمل به أو زاره أو قتل فيه. وكان (هارى) ينضم إليهم فقط حتى يتفادى إزعاج (هرميون)، بينما كل ما يوده هو أن يجلس وحده صامتًا ويحاول قراءة أفكار (فولدمورت) ليعرف معلومات أكثر عن عصا الكبير ولكن (رون) أصر على زيارة أبعد الأماكن احتمالاً حتى يستمروا فى الحركة.

ولم ينقطع عن تكرار عبارة: «إنك لا تعرف أبدًا، أن قرية فلاجلى العليا قرية سحرية، ربما أراد أن يعيش هناك. فلنذهب ونتجول فيها».

وأدت زياراتهم المتكررة للأراضى السحرية إلى رؤيتهم للخاطفين أحيانًا.

وقال (رون): إن بعضهم فى مثل وحشية آكلى الموت، ورغم أن المجموعة التى أمسكت بى كانت مثيرة للشفقة، فإن (بيل) يظن أن بعضهم شديد الخطورة. كما أنهم ذكروا فى (بوتروواتش)».

قال (هارى): «ماذا؟».

«*(بوتروواتش)*، ألم أقل لكم إن هذا اسمه؟ إنه ذلك البرنامج الذى أحاول أن أصل إليه فى المذياع، وهو الوحيد الذى يقول لك الحقيقة عما يحدث! فجميع البرامج تقريبًا تتبع خط (أنت ـ تعرف ـ من)، جميعها ماعدا *(بوتروواتش)*. إننى أرغب بشدة أن تسمعوه، ولكن من الصعب الوصول إلى التردد الذى يعمل عليه..».

قضى (رون) أمسية بعد أخرى وهو يستخدم عصاه فى طرقات مختلفة النغمة فوق المذياع، بينما قرص ضبط الترددات يدور. وأحيانًا ما كانوا يلتقطون أجزاء من نصائح عن كيفية معالجة جدرى التنين، وفى إحدى المرات بضعة مقاطع من «مرجل ملىء بحب قوى ساخن» وبينما هو مستمر فى النقر على المذياع، كان (رون) يجرب كلمات سر مختلفة ويغمغم بكلمات عشوائية بصوت منخفض.

وأخبرهما: «عادة ما تكون أشياء لها علاقة بالجماعة، كان (بيل) بارعًا فى استنتاجها وأنا سأصل إليها فى النهاية..».

ولكن (رون) لم ينجح فى ذلك حتى أتى شهر مارس وخدمه الحظ أخيرًا. وبينما يجلس (هارى) فى مدخل الخيمة، يقوم بالحراسة، ويحدق فى مجموعة شجيرات العنب التى شقت طريقها وسط الأرض الجليدية، صاح (رون) بحماس من داخل الخيمة.

«وصلت إليها، وصلت إليها! كلمة السر هى «(ألباس)!» ادخل إلى هنا يا (هارى)!».

وصحا (هارى) من تأملاته حول مقدسات الموت لأول مرة منذ أيام وأسرع عائدًا إلى داخل الخيمة ليجد (رون) و(هرميون) جالسين على ركبهم بجوار المذياع الصغير على الأرضية. ورأى (هرميون) التى كانت تقوم بتلميع سيف جريفندور لتشغل نفسها بشىء تفعله، تجلس وفمها مفتوح وهى تحدق فى السماعة الصغيرة التى يخرج منها صوت مألوف لهم جدًا.

«... نعتذر من أجل غيابنا المؤقت عن الإذاعة، الذى كان بسبب عدد من الزيارات للمنازل فى منطقتنا من آكلى الموت الظرفاء».

قال (هرميون): «ولكن هذا هو (لى جوردان)!».

قال (رون): «أعرف! رائع، هه؟».

وسمعوا لى يقول: «...وقد وجدنا لأنفسنا مكانًا آخر آمنًا، وأنا سعيد لأقول لكم أن اثنين من ضيوف البرنامج المعتادين قد انضموا إلينا فى هذه الأمسية، مساء الخير يا أولاد!».

«أهلاً».

«عمت مساءً يا (ريفير)».

وشرح (رون): «(ريفير) هو لى. إن الجميع يستخدمون أسماء كودية، ولكن فى العادة يمكنك..».

قالت (هرميون): «ششش!».

وأكمل لى قائلاً: «ولكن قبل أن نسمع من (رويال) و(رومولوس)، لنأخذ دقيقة فى إذاعة هذه الوفيات التى لم تعتقد شبكة *أخبار الإذاعة السحرية* ولا *المتنبئ اليومى* أنها مهمة بما يكفى حتى يذكروها. يؤسفنى أن أعلن لمستمعينا نبأ مقتل (تيد تونكس) و(ديرك،كريسويل)».

وشعر (هارى) بانتفاضة مؤلمة فى بطنه وأخذ يتبادل النظر مع (رون) و(هرميون) فى رعب.

«كما قتل قزم أسطورى يدعى (جورنوك) أيضًا. ومن المعتقد أن أحد مواليد العامة ويدعى (دين توماس) وقزم أسطورى آخر هربوا. ولو كان (دين) يسمعنا الآن أو أى شخص لديه أى فكرة عن مكانه، فإن والديه وشقيقته فى شدة القلق عليه وفى شوق سماع أى أخبار عنه.

وفى نفس الوقت، فى جادلى، وجدت عائلة من العامة مكونة من خمسة أفراد مقتولة فى منزلها. وترجع سلطات العامة موتهم إلى تسرب غاز، ولكن أعضاء من جماعة العنقاء أخبرونى أنها لعنة قاتلة - وهو دليل آخر، وكأننا فى حاجة إليه، على أن قتل العامة أصبح نوعًا من الرياضة المجدة للنشاط فى ظل النظام الجديد.

«وأخيرًا يؤسفنا أن نعلن لمستمعينا اكتشاف جثمان (باثيلدا باجشوت) فى جودريك هولو. وتشير الدلائل إلى أنها قد ماتت منذ عدة شهور وأخبرتنى جماعة العنقاء أن آثار الإصابة الظاهرة على جسدها تظهر بوضوح أنها كانت ضحية للسحر الأسود.

«مستمعينا الأعزاء، إننى أود أن أدعوكم لأن تنضموا إلينا فى دقيقة صمت تكريمًا لذكرى (تيد تونكس) و(ديرك كريسويل) و(باثيلدا باجشوت) و(جورنوك) وعائلة العامة غير المعروفة التى قتلها آكلو الموت والتى لسنا أقل حزنًا وأسفًا عليها.

وساد الصمت ولم يتكلم (هارى) و(رون) و(هرميون). وشعر (هارى) أنه موزع بين رغبته فى سماع المزيد وخوفه مما يمكن أن يسمعه بعد. كانت هذه هى المرة الأولى التى يشعر فيها بأنه متصل بالعالم الخارجى منذ مدة طويلة.

قال صوت لى: «شكرًا لكم، والآن نعود إلى ضيفنا المعتاد رويال ليخبرنا بآخر التطورات حول تأثير النظام السحرى الجديد على عالم العامة».

ورد صوت معروف عميق وموزون ومطمئن: «شكرًا يا (ريفير)».

صاح (رون): «(كنجسلى)!».

قالت (هرميون) لتسكته: «نعرف!».

وقال (كنجسلى): «إن العامة مازالوا جاهلين بمصدر معاناتهم، ورغم أنهم يتعرضون لإصابات شديدة، فإننا مازلنا نسمع قصصًا واقعية عن سحرة وساحرات يخاطرون بأمنهم لحماية أصدقائهم وجيرانهم من العامة، عادة بدون حتى أن يعرف العامة ذلك. وأنا أرجو من جميع مستمعينا أن يحذوا حذوهم، ربما بعمل تعاويذ دفاعية فوق أى مساكن للعامة فى شارعهم. يمكننا إنقاذ الكثير من الأرواح لو قمنا بهذه الإجراءات البسيطة».

وسأله لى: «ولكن ما الذى تقوله يا رويال لمستمعينا الذين يردون أنه فى مثل هذه الأوقات الخطرة يجب أن يكون شعارنا هو «السحرة أولاً»..».

رد (كنجسلى): «أقول لهم إن ما يفصل بين «السحرة أولاً» و«ذوى الدم النقى أولاً» خطوة قصيرة، وبعدها تصل إلى «آكلى الموت». نحن جميعًا بشر، أليس كذلك؟ وكل حياة بشرية متساوية فى القيمة وتستحق الإنقاذ».

«لقد أوضحت الأمر بصورة رائعة يا رويال، وسأصوت لك لتكون وزيرًا للسحر إذا قدر لنا الخروج من هذه الفوضى والآن ننتقل إلى رومولوس فى فقرتنا المعتادة: أصدقاء (بوتر)».

قال صوت آخر مألوف جدًا لهم: «شكرًا يا (ريفير)». وبدأ (رون) يتكلم ولكن (هرميون) أحبطته فى همس.

«نعرف أنه *(لوبين)*!».

«رومولوس، هل مازلت تجزم مثل كل المرات التى ظهرت فيها فى برنامجنا من قبل أن (هارى بوتر) مازال على قيد الحياة؟».

قال (لوبين) مؤكدًا: «بالطبع. ليس لدى أى شك أن آكلى الموت سيعلنون موته فى أوسع مدى ممكن فى حالة حدوثه؛ لأنه سيكون ضربة مميتة للروح المعنوية

لهؤلاء الذين يقاومون النظام الجديد. سيظل «الفتى الذى نجا» رمزًا لكل شىء نحارب من أجله: انتصار الخير، وقوة البراءة، والحاجة إلى الاستمرار فى المقاومة».

وفاضت نفس (هارى) بمزيج من التقدير والخجل. ترى، هل سامحه (لوبين) على كل الأشياء الفظيعة التى قالها له فى آخر مرة التقيا فيها؟

«وما الذى تريد أن تقوله لـ (هارى) لو أنه يسمعنا الآن يا رومولوس؟».

قال (لوبين): «أقول له إننا جميعًا معه بأرواحنا». ثم تردد قليلاً وأضاف: «وأقول له أن يتبع غريزته التى هى جيدة وتقريبًا دائمًا على حق».

نظر (هارى) إلى (هرميون) التى اغرورقت عيناها بالدموع.

وكررت: «تقريبًا دائمًا على حق».

قال (رون) متفاجئًا: «أوه، ألم أقل لكم؟ لقد أخبرنى (بيل) أن (لوبين) قد عاد يعيش مع (تونكس)! ومن الواضح أنها تزداد حجمًا لدرجة كبيرة».

وكان لى يقول: «...أما عن آخر أخبار أصدقاء (هارى بوتر) الذين يعانون بسبب ولائهم له؟».

قال (لوبين): «حسنًا، فكما يعرف مستمعونا المعتادون، أن العديد من المؤيدين المعروفين لـ (هارى بوتر) قد سجنوا الآن، بما فيهم (زينوفيليوس لوفجود) رئيس التحرير السابق لمجلة *المراوغ*».

غمغم (رون): «على الأقل مازال على قيد الحياة!».

«كما سمعنا خلال الساعات القليلة الماضية أن (روبياس هاجريد)..». وشهق ثلاثتهم، حتى إنهم لم يسمعوا باقى الجملة تقريبًا، بينما أكمل (لوبين) كلامه قائلاً: « ـ حارس أراضى مدرسة (هوجوورتس) المعروف، أفلت من الاعتقال فى أراضى (هوجوورتس)، حيث أشيع أنه استضاف بعض أفراد جماعة «ساند (هارى بوتر) فى منزله. لكن (هاجريد) لم يقبض عليه ونعتقد أنه هرب».

سأل لى: «أفترض أن وجود أخ غير شقيق طوله 16 قدمًا عامل مساعد لأى شخص للهروب من آكلى الموت؟».

وافقه (لوبين) برزانة: «إنه يعطيك ميزة بكل تأكيد. ولكنى أريد فقط أن أضيف أنه بينما نحن هنا فى (بوتروتش) نشجع شهامة (هاجريد) ونشاطه، لكننا يجب أن نحذر حتى أكثر مساندى (هارى بوتر) تفانيا ضد المضى وراء مبادرة (هاجريد). فجماعات (ساند (هارى بوتر)) تعتبر حمقًا فى ظل المناخ الحالى».

قال لى: «بالفعل هى كذلك يا رومولوس؛ ولذلك نقترح أن تستمروا فى إظهار إخلاصكم للرجل الذى يحمل ندبة تشبه البرق فى جبهته بالاستمرار فى الاستماع إلى (بوترواتش). والآن، لننتقل إلى أخبار الساحر الذى أثبت انه هارب كبير تمامًا مثل (هارى بوتر). ونحب أن نشير إليه باسم آكل الموت الأول. وأحب أن أقدم لكم مراسلنا الجديد رودينت ليقدم لنا رأيه عن بعض أكثر الشائعات التى تدور حوله جنونًا».

قال صوت آخر مألوف أيضًا: «رودنت؟»، وصاح (هارى) و(رون) و(هرميون) فى صوت واحد: «(فريد)!».

«لا ـ هل هو (جورج)؟».

قال (رون): «أعتقد أنه (فريد)». ومال مقتربًا من المذياع، بينما قال التوءم مهما كانت شخصيته: «أنا لن أكون «رودينت» بأى حال من الأحوال. لقد أخبرتك أننى أريد أن أكون «(رابير)!»».

«آه، حسنًا إذن يا (رابير)، هل يمكنك أن تعطينا رأيك فى القصص المختلفة التى نسمعها عن آكل الموت الأول؟».

قال (فريد): «نعم يا (ريفير)، أظن أن مستمعينا يعرفون، إلا إذا كانوا طبعًا قد اختفوا فى قاع بركة فى الحديقة أو مكان مماثل، إن استراتيجية (أنت ـ تعرف ـ من)، فى البقاء فى الظل قد تسببت فى خلق مناخ لطيف من الرعب. واسمحوا لى أن أقول أنه إذا كانت كل المشاهدات المزعومة له حقيقية، فيجب أن يكون هناك تسعة عشر (أنت ـ تعرف ـ من) يطوفون حول المكان».

قال (كنجسلى): «وهذا يلائمه تمامًا بالطبع، فجو الغموض يخلق رعبًا أكثر مما يحدثه إظهاره لنفسه».

قال (فريد): «هذا صحيح لذلك يجب أن نحاول تهدئة أنفسنا قليلاً. إن الأمور سيئة بما يكفى بدون تخيل أشياء. وعلى سبيل المثال، هذه الفكرة الجديدة بأن (أنت ـ تعرف ـ من) يستطيع القتل بنظرة واحدة من عينيه. هذا هو ثعبان *الباسيليك* أيها المستمعون. وهناك اختبار بسيط مساعد وهو أن تتأكد من أن الشخص الذى يحدق بك لديه أقدام. لو كان لديه أقدام، فمن المأمون أن تنظر إلى عينيه، رغم أنه إذا كان فعلاً (أنت ـ تعرف ـ من)، سيظل من المحتمل أن هذا آخر شىء تفعله فى حياتك».

ولأول مرة منذ أسابيع وأسابيع، وجد (هارى) نفسه يضحك وشعر بأن ثقل التوتر ينزاح عن كاهله.

وسأل لى: «هناك شائعات تقول: إنه يُرى كثيرًا فى خارج البلاد؟».

قال (فريد): «حسنًا، من الذى لا يرغب فى إجازة لطيفة، بعد كل المجهود المضنى الذى بذله؟ المهم أن لا توهموا أنفسكم بإحساس خادع بالأمن معتقدين أنه خارج البلاد. ربما يكون أو لا يكون، ولكن الحقيقة تبقى أنه يستطيع الحركة أسرع من سيفيروس سناب فى مواجهة الشامبو، عندما يريد ذلك؛ لذلك لا تعتمدوا على أنه فى مكان بعيد إذا كنتم تخططون لمخاطرة ما. لم أظن أنه سيأتى يوم وأقول هذا الكلام، ولكن ضعوا أمنكم دائمًا فى المقدمة!».

قال لى: «شكرًا جزيلاً لك على هذه الكلمات الحكيمة يا رابير. مستمعينا، بهذا تنتهى حلقة أخرى من برنامجنا *(بوترواتش)*. لا نعرف متى سنكون قادرين على الإذاعة مرة أخرى، ولكن يمكنكم أن تتأكدوا أننا سنعود. استمروا فى تحريك القرص. كلمة السر القادمة ستكون «ماد ـ آى» حافظوا على أمن بعضكم البعض وحافظوا على إيمانكم، وتصبحون على خير».

وأخذ قرص توليف الترددات يدور وانطفأت أضواؤه.

كان (هارى) و(رون) و(هرميون) مازالوا يبتسمون، بعد أن عمل سماع أصوات صديقة مألوفة كمهدئ فوق المعتاد لأعصابهم، وفكر (هارى) أنه اعتاد على عزلتهم وكاد ينسى أن هناك أشخاصًا آخرين يقاومون (فولدمورت). إن ذلك مثل الصحوة بعد فترة نوم طويلة.

قال (رون): جيد، هه؟».

قال (هارى): «رائع».

تنهدت (هرميون) معبرة عن إعجابها: «إنها شجاعة عظيمة منهم، إذا تم إيجادهم..».

قال (رون): «حسنًا، إنهم يستمرون فى التنقل مثلنا».

سأل (هارى) بحماس: «ولكن ألم تسمعوا ما قاله فريد؟ إنه فى الخارج! إنه مازال يبحث عن العصا، كنت أعرف ذلك!». كانت أفكاره قد عادت نحو الهوس الذى يستهلكه بعد أن انتهت الإذاعة.

«(هارى)».

«هيا يا (هرميون)، لماذا أنتِ مصممة على عدم الاعتراف بالأمر؟ فولـ..».

«لا يا (هارى)!».

«دمورت يبحث عن عصا الكبير!».

صاح (رون) وهو يقفز على قدميه: «إن الاسم عليه لعنة تحريم!». وسمعوا صوت فرقعة خارج الخيمة. وقال (رون): «لقد أخبرتك يا (هارى)، لقد أخبرتك، لا يمكننا أن نقوله بعد الآن ـ يجب أن نعيد وضع الحماية حولنا ـ بسرعة ـ إنها الطريقة التى يجدوا..».

ولكن (رون) توقف عن الكلام، وعرف (هارى) السبب. لقد بدأ جهاز الإنذار السحرى فوق الطاولة فى الدوران: وكان بإمكانهم سماع الأصوات وهى تقترب أكثر وأكثر: أصوات متحمسة خشنة. وأخرج (رون) ساحب الضوء من جيبه ونقر عليه: وانطفأت اللمبات.

وأتى صوت خشن من وسط الظلمة: «اخرجوا من هنا وأيديكم مرفوعة! نحن نعرف أنكم بالداخل! هناك نصف دستة عصى موجهة نحوكم ولا يهمنا من الذى سنوجه له لعناتنا!».



٢٣ قصـر (آل مالفـوى)

نـظـر (هـارى) إلى رفـيـقـيـه، اللذين لا يـبـدو مـنـهـمـا سوى الخطوط الخـارجـيـة لأجسامهما فى الظلام ورأى (هرميون) توجه عصاها، ليس إلى الخارج، ولكن نحو وجهه، وسمع صوت خبطة، ورأى دفقة من الضوء الأبيض، وانحنى متلويا من شدة الألم وهو غير قادر على الرؤية. وشعر بأن وجهه يتورم بسرعة تحت يديه، بينما أحاطت به خطوات أقدام ثقيلة.

«انهض أيها الحشرة».

وشعر (هارى) بأيدى أشخاص مجهولين تجره بعنف من الأرض، وقبل أن يتمكن من إيقافهم، أدخل أحدهم يده فى جيبه وأخذ عصاه. وظل (هارى) قابضًا على وجهه المتألم، والذى بدا غريبا تحت أصابعه بعد أن أصبح مشدودا ومتورما وكأنه يعانى رد فعل حساسية شديدة. وتحولت عيناه إلى شقوق ضيقة، لا يكاد يستطيع الرؤية بها، خاصة بعد أن سقطت نظارته وهم يجرونه إلى خارج الخيمة. كان كل ما يستطيع تمييزه هو أشكالاً غائمة لأربعة أو خمسة أشخاص يصارعون (رون) و(هرميون) لإخراجهم من الخيمة أيضًا.

صاح (رون): «ابتعد ـ عنها!». وسمع (هارى) صوتًا واضحًا لارتطام لكمة بجسم وصرخ (رون) من الألم وصاحت (هرميون): «لا! اتركوه، اتركوه!».

سمع صوتًا خشنًا مألوفًا بصورة فظيعة: «سيعانى صديقك أسوأ من ذلك بكثير، لو كان على قائمتى. فتاة لذيذة... يا لها من وليمة! إننى دائمًا أستمتع بالبشرة الناعمة...».

وانقلبت معدة (هارى)، وعرف من هذا، إنه (فينرير جريباك)، المستذئب الذى سمح له بارتداء ثياب آكلى الموت مقابل استئجار وحشيته.

قال صوت آخر: «فتشوا الخيمة!».

وقاموا برمى (هارى) على بطنه على الأرض، ثم سمع صوت هبدة أخبرته بأنهم قد قاموا بإلقاء (رون) بجواره. ووصلته أصوات خطوات وخبطات، عرف منها أن الرجال يلقون بالكراسى جانبًا داخل الخيمة وهم يقومون بتفتيشها.

قال صوت (جريباك) الشامت من فوقهم: «والآن لنر ما حصلنا عليه». وتم قلب (هارى) على ظهره، وما إن وقع ضوء العصا على وجه (هارى) حتى ضحك (جريباك).

«سأحتاج إلى شراب الزبد لأنسى هذا الوجه. ماذا حدث لك أيها القبيح؟».

لم يجب (هارى) على الفور.

وكرر جريباك: «لقد سألتك ماذا حدث لك؟». ثم تلقى (هارى) ضربة فى حجابه الحاجز، جعلته ينثنى متألما بشدة.

غمغم (هارى): «لسعة، تعرضت للسعة».

قال صوت آخر: «أجل، يبدو كذلك فعلاً».

زمجر (جريباك) قائلاً: «ما اسمك؟».

قال (هارى): «ددلى».

«واسمك الأول؟».

«أ ـ فيرنون. فيرنون ددلى».

«راجع القائمة يا سكابيور». وسمعه (هارى) وهو يتحرك جانبا لينظر نحو (رون) وقال: «وماذا عنك، أيها الأحمر؟».

قال (رون): «(ستان شونبيك)».

قال الرجل المدعو سكابيور: «ما أسرع إجابتك! ولكن لسوء الحظ نحن نعرف (ستان شونبيك)، هل تحاول تضليلنا؟».

وسمع (هارى) صوت هبدة أخرى.

وقال (رون): «أنا (باردى)، (باردى ويزلى)». وعرف (هارى) من طريقة نطقه أن فمه ملىء بالدم.

وقال (جريباك) بخشونة: «(ويزلى)؟ إذن، فأنت قريب لخائنى الدم حتى لو لم تكن من ذوى الدم الموحل. وأخيرًا، صديقتك الصغيرة الجميلة..». وجعل التلذذ فى صوته جلد (هارى) يقشعر.

قال سكابيور بصوت يعلو على ضحكات الآخرين: «تمهل يا (جريباك)».

«أوه، أنا لن أعض على الفور. لنرى إن كانت أسرع فى تذكر اسمها من (بارنى). من أنت يا فتاتى؟».

قالت (هرميون): «بينيلوب كليرواتر». وبدت مرتعبة ولكنها مقنعة.

«ما مركز دمك؟».

«هجين».

قال سكابيور: «من السهل التأكد من ذلك. ولكن جماعتكم كلها تبدو مازالت فى سن الذهاب إلى (هوجوورتس)».
قال (رون): «لقد تركناها».
قال سكابيور: «تركتوها، هل فعلتم ذلك حقا يا أحمر؟ وقررتم بعدها الخروج للتخييم؟ وخطر ببالكم استخدام اسم سيد الظلام على سبيل المزاح؟».
قال (رون):لم يكن مزاحا، ولكن حادثا».
«حادث؟». وسمعوا صوت ضحكات هازئة.
وهدر جريباك: «أتعرف من الذى يحب استخدام اسم سيد الظلام، يا ويزلى؟ جماعة العنقاء. هل يعنى هذا الاسم شيئًا بالنسبة إليك؟».
«لا».
«حسنًا، إنهم لا يظهرون الاحترام اللائق لسيد الظلام، ولذلك تم تحريم الاسم. وقد تم تتبع بعض أعضاء الجماعة بهذه الطريقة. عموما، سنرى. قيدوهم مع السجينين الآخرين!».
وأمسك أحدهم (هارى) من شعره وجره لمسافة قصيرة، ثم دفعه إلى وضع الجلوس، وبدأ فى ربطه؛ الظهر فى الظهر مع أشخاص آخرين. كان (هارى) ما زال نصف أعمى، بالكاد يستطيع رؤية أى شيء من خلال عينيه المنتفختين، وعندما انتهى الرجل الذى يقيدهم أخيرًا من عمله، ومشى مبتعدا، همس (هارى) لباقى السجناء.
«أما زال مع أحد منكم عصاه؟».
قال (رون) و(هرميون) من كلا جانبيه: «لا».
«إن ذلك كله خطئى. لقد قلت الاسم. أنا آسف..».
«(هارى)؟».
كان هذا صوتًا جديدًا ولكنه مألوف جدًّا. وقد أتى مباشرة من خلف (هارى)، من الشخص المقيد إلى يسار (هرميون).
«دين؟».
«إنه أنت فعلا! لو أنهم عرفوا من لديهم ـ! إنهم خطافون، يبحثون عن المطلوبين حتى يبيعوهم من أجل الذهب..».
ورأى (هارى) مجموعة من الأحذية ذات الرقبة تمشى قريبة منه ووصلته أصوات المزيد من التحطيم من داخل الخيمة. ثم سمع (جريباك) يقول: «حصيلة جيدة لهذه الليلة. أحد موحلى الدم، وقزم أسطورى هارب، وثلاثة شاردون. هل راجعت أسماءهم فى القائمة يا سكابيور؟».

«أجل، ولا يوجد فيرنون ددلى فيها يا جريباك».

قال جريباك: «شيء مثير للاهتمام،مثير للاهتمام تمامًا».

وانحنى بجوار (هارى) الذى رأى من بين الشقوق الصغيرة التى يرى بها من بين جفونه المنتفخة، وجهًا مغطى بشعر رمادى خشن وأسنانًا سوداء مدببة وقروحًا فى زاويتى فمه وبدت رائحته هى نفس الرائحة التى شمها أعلى البرج فى الليلة التى مات فيها (دمبلدور)، رائحة القذارة، والعرق، والدم.

«إذن فأنت لست مطلوبا يا فيرنون؟ أم أنك فى القائمة تحت اسم آخر؟ فى أى منزل كنت فى (هوجوورتس)؟».

قال (هارى) أليا: «(سليذرين)».

جاء صوت سكابيور الساخر من الظل: «من الغريب أنهم جميعا يظنون أننا نريد سماع ذلك، ولكن أحدًا منهم لم يستطع إخبارنا بمكان الغرفة العامة».

قال (هارى) بوضوح: «إنها فى الزنازين، ويتم الدخول إليها عبر الحائط. وهى مليئة بالجماجم وأشياء مثل هذا وموجودة تحت البحيرة، لذلك، فكل الأنوار بها خضراء».

ومرت فترة صمت قصيرة.

قال سكابيور: «حسنًا، حسنًا، يبدو أننا أمسكنا حقا بأحد طلاب (سليذرين). حظك جيد يا فيرنون؛ لأنه لا يوجد الكثير من موحلى الدم فى (سليذرين). من والدك؟».

قال (هارى) كاذبا: «إنه يعمل فى الوزارة. فى إدارة الحوادث والكوارث السحرية». كان يعلم بأن قصته كلها ستتهاوى عند أقل استفسار، ولكنه من ناحية أخرى، يعلم أيضًا أن الوقت الذى لديه قصير وبمجرد عودة وجهه إلى طبيعته، ستنتهى اللعبة على أية حال.

قال سكابيور: «أتعرف يا (جريباك)، أظن أن (ددلى) هناك فعلاً».

كان (هارى) بالكاد يستطيع التنفس: هل يمكن أن ينقذهم الحظ الجيد وحده ويوصلهم إلى بر الأمان؟

قال جريباك: «حسنًا، حسنًا، إن كان ما تخبرنا به هو الحقيقة أيها القبيح، فلن يكون لديك ما تخشاه من رحلة صغيرة إلى الوزارة. أظن أن والدك سيكافئنا على إعادتك». وشعر (هارى) أنه يستطيع تمييز نبرة الخوف الضئيل فى صوت (جريباك) الغليظ، وعرف بأن (جريباك) يتساءل إن كان حقا قد هاجم وقيد ابن مسئول فى وزارة السحر. وتسارعت نبضات قلب (هارى) من وراء الحبال التى تقيد ضلوعه؛ حتى إنه شعر بأنه (جريباك) يمكنه رؤيته.

جف فم (هارى) وقال: «ولكن، لو أنكم فقط تركتونا..».
وجاءت صيحة من داخل الخيمة: «هيه! انظر إلى هذا يا (جريباك)!».
وجاء شخص مسرعًا نحوهم، ولمح (هارى) وميض الفضة على ضوء عصيهم، وعرف أنهم عثروا على سيف جريفندور.
قال (جريباك) بانبهار وهو يأخذ السيف من زميله: «جميل جدًا، أوه، رائع جدًا بالفعل. يبدو من صنع الأقزام الأسطوريين. كيف حصلتم على شيء كهذا؟».
قال (هارى) كاذبا: «إنه ملك لأبى، لقد استعرناه منه لقطع الحطب..». كان يأمل رغم علمه استحالة ذلك أن يمنع الظلام (جريباك) من قراءة الاسم المحفور على المقبض.
«انتظر لحظة يا جريباك! انظر إلى هذا فى *المتنبئ اليومى!*».
وبينما يتكلم سكابيور، شعر (هارى) بألم رهيب فى ندبته، والتى شدت بقوة فوق جبهته المنتفخة. ورأى بوضوح أكثر مما يميز أى شيء حوله، مبنى عاليًا؛ عبارة عن قلعة مريعة سوداء ومنفرة، وأدرك أن أفكار (فولدمورت) قد عادت حادة كالشفرة من جديد... كان يتجه نحو مبنى شديد الارتفاع وقد تملكه شعور غامر بالغبطة الهادئة لاقترابه من هدفه...
قريبًا جدًا... قريبًا جدًا...
واستخدم (هارى) قوة إرادته الهائلة، حتى يغلق عقله عن أفكار (فولدمورت)، ويسحب نفسه عائدا إلى حيث يجلس مقيدًا إلى (رون) و(هرميون) و(دين) و(جريفوك) فى الظلام، مستمعا إلى (جريباك) وسكابيور.
كان سكابيور يقول: «*هرميون جراينجر، موحلة الدم التى من المعروف أنها تسافر مع (هارى بوتر)*».
واشتد الألم فى ندبة (هارى)، ولكنه بذل جهدا عظيما حتى يبقى نفسه حاضرا، ولا ينزلق إلى عقل (فولدمورت). وسمع صرير حذاء (جريباك) العالى وهو يجلس القرفصاء أمام (هرميون).
«أتعرفين أيتها الفتاة الصغيرة؟ هذه الصورة تشبهك تمامًا».
«هذا غير صحيح! إنها ليست أنا!».
وبدا ارتعاد (هرميون) وخوفها الشديد أشبه بالاعتراف.
وكرر (جريباك) بهدوء: «*...التى من المعروف أنها تسافر مع (هارى بوتر)*».
وساد الصمت المكان. وأصبحت ندبة (هارى) مؤلمة بشكل مريع، ولكنه كافح بكل قوته ضد سحب أفكار (فولدمورت): لم يشعر يوما قط بأهمية بقائه فى عقله الخاص مثل هذه اللحظة.

وهمس جريباك: «حسنًا، هذا يغير الأمور، أليس كذلك؟».

لم يتكلم أحد، وأدرك (هارى) أن عصابة الخطافين قد وقفت ساكنة تراقب الموقف، وشعر بارتجاف ذراع (هرميون) إلى جوار ذراعه. ونهض (جريباك) وسار خطوتين إلى حيث يجلس (هارى)، وانحنى مجددًا ليحدق عن قرب فى ملامحه المشوهة.

وسأل بنعومة: «ما فوق جبينك يا فيرنون؟». وملأت أنفاسه فتحتى أنف (هارى)، بينما رفع إصبعا قذرا نحو ندبة (هارى) المشدودة.

صاح (هارى): «لا تلمسها!».، لم يستطع منع نفسه، خاصة أنه شعر بأنه يكاد يصاب بالغثيان من شدة الألم.

قال جريباك: «أعتقد أنك ترتدى نظارة يا بوتر؟».

صرخ أحد الخطافينّ الواقفين بالخلف: «لقد عثرت على نظارة! وجدتها داخل الخيمة، مهلا يا جريباك..».

وبعد لحظة، وضعت النظارة فوق وجه (هارى) واقترب الخطافون ليتطلعوا إليه.

ثم صاح (جريباك) بصوته الخشن: «إنه هو! لقد أمسكنا بوترا».

وتراجعوا جميعًا عدة خطوات إلى الوراء، وهم مذهولون بما فعلوه. ولم يستطع (هارى) التفكير بأى شىء لكى يقوله. كان لازال يقاوم داخل رأسه المنقسم حتى يبقى حاضرًا، بينما أجزاء من الرؤى تقتحم عقله.

...كان يدور حول الجدران العالية للقلعة السوداء ـ

لا، لقد كان (هارى)، يجلس مقيدًا بلا عصا، معرضًا لخطر شديد ـ

...ينظر إلى أعلى، نحو النافذة العليا، فى قمة أعلى برج فى المبنى ـ

بل هو (هارى)، يستمع إليهم وهم يناقشون مصيره بأصوات هامسة ـ

... حان وقت الطيران ـ

«... إلى الوزارة؟».

صرخ جريباك: «لتذهب الوزارة إلى الجحيم. سينسبون الفضل إليهم ولن نحصل على شىء. رأيى أن نأخذه مباشرة إلى (أنت ـ تعرف ـ من)».

قال سكابيور برعب: «هل ستقوم باستدعائه إلى هنا؟».

زمجر جريباك: «لا، ليس لدى ـ سمعت أنه يستخدم قصر (آل مالفوى) الريفى كمقر. سنأخذ الولد إلى هناك».

وفكر (هارى) بأنه يعرف سبب عدم استدعاء (جريباك) لفولدمورت. فرغم أنهم يسمحون للمستذئب بارتداء ثياب آكلى الموت عندما يريدون استخدامه، لكن دائرة

(فولدمورت) الداخلية فقط هم الذين يمنحون علامة الظلام، وبالطبع لم يمنح (جريباك) أبدًا هذا الشرف العظيم.

واشتعل الألم فى ندبة (هارى) مجددا ـ

...وارتفع خلال الليل، طائرا نحو النافذة التى فى أعلى قمة البرج ـ

«... هل أنت متأكد تمامًا من أنه هو؟ لأنه إن لم يكن هو يا (جريباك)، سيقضى علينا».

هدر (جريباك) ليغطى على لحظة إلقصور السابقة: «من المسئول هنا؟ لقد قلت إنه (بوتر)، وهو بالإضافة إلى عصاه يساويان مائتى ألف جاليون! لو كنتم خائفين لدرجة عدم الذهاب معى، فسأحصل على ذلك كله وحدى، ومع بعض الحظ، سيعطوننى الفتاة أيضًا!».

... كانت النافذة هى المنفذ الوحيد فى هذا المبنى الصخرى الأسود، ولم تكن كبيرة بما يكفى ليدخل أى شخص منها... ورأى شخصًا يشبه الهيكل العظمى من خلالها، ملتفا تحت بطانية... ميت، أو نائم...؟

قال سكابيور: «حسنًا! حسنًا، نحن معك! وماذا عن بقيتهم يا (جريباك)، ماذا سنفعل بهم؟».

«سنأخذ الجميع معنا. لدينا اثنان من ذوى الدم الموحل، هذه عشرة جاليونات إضافية. أعطنى السيف أيضًا. لو أن هذا ياقوت حقيقى، فهو يساوى ثروة صغيرة».

سحبوا السجناء وأوقفوهم على أقدامهم، وسمع (هارى) صوت تنفس (هرميون) سريع ومرتعبة.

قال جريباك: «أمسكوا بهم بقوة، سأتولى أنا أمر بوترا». وأمسك شعر (هارى) بقبضته حتى إن (هارى) شعر بأظافره الصفراء الطويلة تخدش فروة رأسه. وأضاف: «عند العدة الثالثة! واحد ـ اثنان ـ ثلاثة!».

وانتقلوا آنيًّا ساحبين السجناء معهم. وكافح (هارى) محاولا تخليص نفسه من قبضة (جريباك)، ولكن بدون فائدة. كان (رون) و(هرميون) يضغطان عليه بشدة من كلا الجانبين، ولم يستطيع الانفصال عن المجموعة، وشعر بأنفاسه تسحب منه بقوة، بينما زاد الألم فى ندبته أكثر وأكثر ـ

... ومر من شق النافذة الضيق مثل الأفعى وهبط بخفة البخار داخل الغرفة التى تشبه الزنزانة ـ

وتخبط السجناء ببعضهم وهم يهبطون فى طريق ضيق محاط بالأشجار. وأخذت عينا (هارى) اللتان كانتا ما زالتا منتفختين لحظة للتأقلم مع الضوء، ثم

رأى أمامه بوابة من الحديد المشغول، ووراءها ما بدا مثل ممر طويل. وشعر (هارى) ببعض الارتياح الضئيل، فالأسوأ لم يقع بعد: (فولدمورت) ليس هنا. إنه، كما يعلم (هارى) من الرؤية التى يكافح لمقاومتها، فى قمة برج فى مكان غريب يبدو كالقلعة. ولكن كم من الوقت سيستغرق (فولدمورت) فى العودة إلى المكان، ما إن يعلم بوجود (هارى) هنا؟ هذه مشكلة أخرى...

وأمسك أحد الخطافين بالبوابة وهزها ثم قال: «كيف سندخل؟ إنها مغلقة يا (جريباك)، لا أستطيع - يا إلهى!».

أبعد يديه عن البوابة فى خوف. كان الحديد المشغول يتلوى على نفسه وتتغير تكويناته لتشكل وجهًا مخيفًا، تكلم بصوت معدنى رنان: «اذكر السبب الذى أتيت من أجله!».

صاح (جريباك) بنبرة انتصار: «معنا بوتر! أسرنا (هارى بوتر)!».

فتحت البوابة.

قال (جريباك) لرجاله: «هيا».، ودفعوا السجناء عبر البوابة وبدءوا فى صعود الممر المحاط بسياج عال من الشجيرات، كتمت أصوات خطواتهم. ورأى (هارى) شكلاً شبحيًا أبيض فوقه، وأدرك أنه طاووس شديد البياض. وتعثر فى مشيته، وسحبه (جريباك) ليقف على قدميه ثانية، وأخذ يترنح على الجانبين وهو مقيد ظهرا إلى ظهر مع السجناء الأربعة الآخرين. وأغلق عينيه المنتفختين ليسمح للألم فى ندبته بالتغلب عليه للحظة، ليعرف ما يفعله (فولدمورت)، وما إذا كان قد علم بأن (هارى بوتر) قد أسر بعد أم لا -

... تحرك الشخص الهزيل تحت بطانيته واستدار نحوه. وبدت عيناه مفتوحتين فى وجهه الذى يشبه الجمجمة... وجلس الرجل الضعيف، وقد ركز عينيه الكبيرتين الغائرتين عليه، على (فولدمورت)، ثم ابتسم؛ معظم أسنانه قد اختفت...

«*لقد أتيت إذن. فكرت بأنك ستفعل ذلك... يوما ما. ولكن رحلتك بلا فائدة. لم تكن معى أبدًا*».

«*أنت تكذب!*».

وبينما تزايد الغضب داخل (فولدمورت)، شعر (هارى) بأن ندبته توشك على الانفجار من شدة الألم، وأعاد عقله إلى جسده، وكافح ليبقى حاضرا، بينما يدفع الخطافون السجناء فوق الحصى.

وغمرهم ضوء شديد.

وجاء صوت امرأة بارد: «ماذا يحدث هنا؟».

وقال (جريباك) بخشونة: «جئنا لمقابلة (الذى لا يجب ذكر اسمه)!».

«ومن أنت؟».

وأجاب المستذئب وفى صوته رنة استياء: «أنت تعرفيننى! فينرير جريباك! لقد أسرنا (هارى بوتر)!».

وأمسك (جريباك) بهارى وسحبه ليصبح فى مواجهة الضوء، مجبرًا السجناء الآخرين على الدوران أيضًا.

وصاح سكابيور قائلاً: «أعرف أن وجهه منتفخ يا سيدتى، ولكنه هو! إن نظرت إليه عن قرب، سترين الندبة. وهذه هنا، أترين هذه الفتاة؟ إنها موحلة الدم التى ترافقه يا سيدتى. لا شك أنه هو، ولدينا عصاه أيضًا! ها هى يا سيدتى».

ورأى (هارى) (نارسيسا مالفوى) تحدق فى وجهه المنتفخ. وعندما قدم سكابيور عصا البرقوق الأسود إليها، رفعت حاجبيها.

وقالت: «أحضروهم إلى الداخل».

وقاموا بدفع (هارى) والآخرين ليصعدوا سلما حجريًّا عريضًا ويدخلوا إلى صالة محاطة باللوحات على الجانبين.

وقالت (نارسيسا) وهى تقود الطريق عبر الصالة: «اتبعونى، ابنى دراكو فى المنزل من أجل عطلة عيد الفصح. إن كان هذا (هارى بوتر)، سيتعرف عليه».

كان الضوء فى غرفة الاستقبال مبهرا بعد الظلام فى الخارج. واستطاع (هارى) ورغم أن عينيه شبه مغلقتين، أن يميز مدى اتساع الغرفة. ورأى الثريا(*) الكريستال المتدلية من السقف واللوحات الكثيرة المعلقة فوق الجدران البنفسجية الداكنة. وما إن دفع الخطافون السجناء إلى داخل الغرفة، حتى نهض شخصان من كرسيِّهما أمام المدفأة الرخامية.

«ماذا يحدث؟».

سقط صوت (لوشيوس مالفوى) المخيف المتشدق المألوف فى أذنى (هارى)، وبدأ يشعر بالفزع ولم ير أمامه أى طريقة للفرار وأصبح من السهل عليه أن يغلق عقله أمام أفكار (فولدمورت) مع ازدياد خوفه، على الرغم من أن ندبته ظلت تحرقه.

قال صوت (نارسيسا) البارد: «يقولون إنهم أمسكوا (بوتر). تعال إلى هنا يا دراكو».

لم يجرؤ (هارى) على النظر مباشرة إلى دراكو، ولكنه شاهد بزاوية عينيه شخصًا أطول منه ينهض من فوق مقعد ذى ذراعين، ورأى وجهه الشاحب المدبب تحت شعره الأشقر الفاتح.

(*) الثريا: النجفة.

وأجبر (جريباك) السجناء على الالتفاف مرة أخرى، ليضع (هارى) تحت الثريا مباشرة.

وقال المستذئب بصوته الخشن: «حسنًا يا ولد؟».

ووجد (هارى) نفسه مواجها للمرآة المعلقة فوق المدفأة. كانت المرآة مطلية بالذهب ولها إطار مزخرف جميل. ورأى انعكاس صورته عبر شقى عينيه الضيقين لأول مرة منذ غادر منزل شارع جريمولد.

كان وجهه متضخمًا، مشعًا ومتوردًا، وقد شوهت لعنة (هرميون) كل ملامحه وطال شعره الأسود حتى وصل إلى كتفيه، وظهر ظل داكن حول ذقنه. لو لم يكن يعرف أنه هو نفسه الذى يقف هناك، لكان تساءل من هذا الشخص الذى يرتدى نظارته. وقرر ألا يتكلم؛ لأنه كان متأكدًا بأن صوته سيفضحه، وظل يتجنب النظر فى عينى دراكو الذى اقترب منه.

قال (لوشيوس مالفوى) متحمسا: «حسنًا دراكو! هل هو (هارى بوتر)؟».

قال دراكو: «لست... لست متأكدا»، كان يتفادى الاقتراب من (جريباك)، وبدا خائفًا من النظر إلى (هارى) بقدر خوف (هارى) من النظر إليه.

«ولكن انظر إليه جيدًا، انظر! اقترب منه!».

لم يسمع (هارى) (لوشيوس مالفوى) يتكلم بهذه الإثارة من قبل.

«دراكو، إذا قمنا بتسليم (بوتر) إلى سيد الظلام، سيغفـ...».

قال (جريباك) مهددًا: «والآن، أرجو ألا ننسى يا سيد مالفوى من الذى أمسك به حقًا؟».

قال (لوشيوس مالفوى) متململاً: «بالطبع لا، بالطبع لا!».، واقترب من (هارى) ليتفحصه بنفسه، حتى إن (هارى) تمكن من رؤية أدق تفاصيل وجهه الشاحب الهزيل من خلال جفنيه المتورمين. وشعر كأنه ينظر من خلال قضبان قفص بسبب ملامح وجهه المنتفخة.

وسأل (لوشيوس جريباك): «ماذا فعلت به؟ كيف وصل إلى هذه الحالة؟».

«لم نكن نحن».

قال (لوشيوس): «تبدو لى كلعنة لسع».

وثبت عينيه الرماديتين على جبين (هارى).

وهمس: «هناك شىء ما، ربما تكون الندبة، بعد أن شدت بقوة... دراكو، تعال إلى هنا، وانظر جيدًا! ماذا تظن؟».

ورأى (هارى) وجه دراكو بالقرب من وجه والده. كانا متشابهين تمامًا، ولكن بينما تظهر الإثارة والترقب الشديد على وجه الأب، كسا وجه دراكو التردد وربما الخوف.

قال: «لا أعرف». ثم سار مبتعدًا فى اتجاه المدفأة حيث تقف والدته وهى تراقب ما يحدث.

قالت (نارسيسا) لزوجها بصوتها البارد الواضح: «من الأفضل أن نتأكد يا لوشيوس. يجب أن نتأكد تمامًا من أنه (بوتر)، قبل أن نقوم باستدعاء سيد الظلام... يقولون إن هذه عصاه»، ونظرت عن كثب إلى عصا البرقوق الأسود، وأضافت: «ولكنها تبدو مختلفة عن وصف (أوليفاندور)... لو كنا مخطئين، واستدعينا سيد الظلام إلى هنا من أجل لا شىء... هل تذكر ما حدث لـ (رولى) و(دولوهوف)؟».

صرخ (جريباك): «وماذا عن ذات الدم الموحل هذه؟». وكاد (هارى) يقع أرضًا عندما أجبر الخطافون السجناء على الدوران مرة أخرى حتى يقع الضوء على وجه (هرميون) بدلاً منه.

قالت (نارسيسا) بحدة: «انتظر، نعم ـ نعم، لقد رأيتها فى محل مدام مالكين مع (بوتر)! ورأيت صورتها فى *المتنبئ* كذلك! انظر يا دراكو، أليست هذه هى الفتاة (جراينجر)؟».

«أنا... ربما... نعم».

وصاح (لوشيوس) وهو يخطو حول جماعة الأسرى ويقف أمام (رون): «ولكن، أليس هذا هو الفتى ويزلى! إنهما هما أصدقاء بوتر ـ انظر إليه يا دراكو، أليس هذا ابن آرثر ويزلى، ما اسمه ـ؟».

قال دراكو ثانية وظهره نحو السجناء: «نعم، ربما يكون هو».

وفتح باب غرفة الاستقبال. وتكلمت امرأة، وجعل صوتها الخوف يتضاعف داخل (هارى).

«ما هذا؟ ماذا يحصل هنا يا سيسى؟».

وأخذت (بيلاتريكس ليسترانج) تسير ببطء حول السجناء ووقفت إلى يمين (هارى)، وحدقت فى (هرميون) من تحت أجفانها الثقيلة.

وقالت بهدوء: «هذه هى الفتاة ذات الدم الموحل بكل تأكيد؟ هذه جراينجر؟».

صاح (لوشيوس): «نعم، نعم، إنها جراينجر! ونحن نعتقد أن الشخص الذى بجوارها هو بوتر! لقد قبض على (بوتر) وأصدقائه أخيرًا!».

صرخت (بيلاتريكس): «بوتر؟»، وتراجعت إلى الوراء لتنظر إلى (هارى) جيدًا وقالت: «هل أنت متأكد؟ حسنًا، يجب أن نخطر سيد الظلام فورا إذن!».

ثم شمرت كمها الأيسر، ورأى (هارى) علامة الظلام محفورة كالحرق على ذراعها، وعرف أنها على وشك لمسها، لتستدعى سيدها المحبوب ـ

قال (لوشيوس): «كنت على وشك استدعائه!»، وقبض على معصم (بيلاتريكس) ليمنعها من لمس العلامة وأضاف: «سوف أستدعيه *أنا* بنفسى يا بيلا. لقد أتوا بـ(بوتر) إلى منزلى، لذلك فهو فى نطاق سلطتى..».

صاحت به وهى تحاول تحرير يدها من قبضته: «سلطتك! لقد فقدت سلطتك عندما فقدت عصاك يا لوشيوس! كيف تجرؤ! أبعد يدك عنى!».

«إن الأمر لا يعنيكِ، إنك لست من أسر الولد».

قاطعه (جريباك): «اعذرنى يا سيد (مالفوى)، ولكننا نحن من أمسك بـ(بوتر)، ونحن من نستحق الذهبُ».

ضحكت (بيلاتريكس) وهى مازالت تحاول تحرير يدها من قبضة زوج أختها، بينما يدها الحرة تخرج عصاها من جيبها وقالت: «ذهب! خذ ذهبك، أيها الحقير القذر، أنا لا يهمنى أى ذهب. أنا أسعى إلى الشرف... شرف...».

وتوقفت عن المقاومة، ولاحظ (هارى) أن عينيها السوداوين مثبتتان على شىء لا يستطيع رؤيته. ورمى (لوشيوس) يدها سعيدا باستسلامها، وشمر عن ساعده.

صرخت (بيلاتريكس): «**توقف**! لا تلمسها، سنهلك جميعا إذا حضر سيد الظلام إلى هنا الآن!».

تجمد (لوشيوس) وتوقف إصبعه السبابة قبل أن يلمس علامة الظلام فى ذراعه. بينما خطت (بيلاتريكس) خارجة من نطاق رؤية (هارى) المحدود.

وسمعها تقول: «ما هذا؟».

قال أحد الخطافين الذين لا يراهم (هارى): «سيف».

«أعطنى إياه».

«إنه ليس لك يا سيدتى، إنه لى، فأنا من وجدته».

وسمع (هارى) صوت ضربة ورأى ضوءًا أحمر، وعرف أن الخطاف صعق. وعلت صيحات الاستياء والغضب من رفاقه، وسحب سكابيور عصا.

وصاح: «مع من تظنين أنك تعبثين يا امرأة؟».

وصرخت (بيلاتريكس): «*ستوبيفاى، ستوبيفاى!*».

لم يكونوا كفؤًا لها، حتى وإن كانوا أربعة خطافين ضدها وحدها. فهارى يعلم أن (بيلاتريكس) ساحرةذات مهارات استثنائية ولا تملك ذرة ضمير. وسقطوا

جميعا فى أماكنهم، ما عدا (جريباك)، الذى أجبرته على الركوع، وذراعاه مرفوعتان. ورأى (هارى) من زاوية عينيه، (بيلاتريكس) تنحنى فوق المستذئب، وهى تقبض على سيف جريفندور بشدة بين يديها، ووجهها أبيض كالشمع.

وهمست لـ (جريباك) وهى تنتزع عصاه من قبضته بدون أن يقاوم: «من أين جئت بهذا السيف؟».

صاح: «كيف تجرئين على ذلك؟»، كان فمه هو الشيء الوحيد الذى يستطيع تحريكه بينما وجهه مرفوع بدون رغبته لينظر نحوها. وكشف (جريباك) عن أسنانه الحادة المدببة وقال: «اتركينى يا امرأة!».

وكررت وهى تلوح بالسيف أمام وجهه: «أين عثرت على هذا السيف؟ لقد أرسله سناب إلى خزنتى فىَ (جرينجوتس)!».

قال (جريباك) بخشونة: «لقد كان فى خيمتهم، قلت لك حررينى!».

ولوحت بعصاها، فوقف المستذئب على قدميه، ولكنه بدا خائفا من الاقتراب منها. ووقف خلف مقعد ذى ذراعين بينما أمسكت أظافره القذرة الملتوية بظهره.

قالت (بيلاتريكس) وهى تشير إلى الرجال الفاقدين للوعى: «دراكو، أخرج هؤلاء الحثالة إلى الخارج. وإذا كنت لا تملك الشجاعة الكافية للقضاء عليهم، اتركهم فى الفناء من أجلى».

قالت (نارسيسا) بغضب: «كيف تجرئين على الكلام مع دراكو بهذا..». ولكن بيلاتركس صرخت: «اسكتى! الوضع أخطر بكثير مما يمكنك تخيله يا سيسى! إننا نواجه مشكلة خطيرة جدًّا!».

ووقفت وهى تلهث قليلاً، وأخذت تنظر إلى السيف وتتفحص مقبضه، ثم التفتت لتنظر إلى السجناء الصامتين.

وغمغمت تتحدث إلى نفسها: «لو كان هذا (بوتر) حقا، فيجب أن لا يمسه أحد بأذى، إن سيد الظلام يريد القضاء عليه بنفسه... ولكن إذا اكتشف... لابد... لابد أن أعرف..».

والتفتت إلى شقيقتهامرة أخرى.

وقالت: «يجب أن يوضع السجناء فى الزنزانة، حتى أفكر فيما سأفعله!».

«هذا منزلى يا بيلا، لا يمكنك أن تعطى الأوامر فى منزلى».

صرخت (بيلاتريكس): «افعل ما أقوله لك! إنك لا تعرف مدى الخطر الذى نحن فيه!»، وبدت مخيفة ومجنونة، وخرج من طرف عصاها خيط من النار أحرق السجادة وترك بها فجوة.

وترددت (نارسيسا) للحظة ثم وجهت كلامها للمستذئب.
«خذ السجناء إلى الزنزانة بالأسفل يا جريباك».
قالت (بيلاتريكس) بحدة: «انتظر، الجميع ما عدا... ما عدا الفتاة ذات الدم الموحل».
صدر عن (جريباك) صيحة استحسان.
صاح (رون): «لا! أبقينى أنا بدلاً منها!».
وصفعته (بيلاتريكس) بقوة على وجهه، وتردد صدى الصفعة حول الغرفة.
وقالت: «إذا ماتت أثناء الاستجواب، ستكون أنت التالى، خائنو الدم يتبعون أصحاب الدم الموحل فى قائمتى. خذهم إلى الأسفل يا (جريباك)، وتأكد من أنهم مقيدون بإحكام، ولكن لا تفعل لهم شيئًا آخر ـ حاليا على الأقل».
ثم ألقت إلى (جريباك) عصاه، وأخرجت من داخل ملابسها سكينًا فضيًا قصيرًا، وقطعت الحبل الذى يربط (هرميون) بباقى السجناء، وسحبتها من شعرها إلى وسط الغرفة، بينما دفع (جريباك) البقية للتحرك نحو باب آخر يقود إلى ممر مظلم، ورفع عصاه أمامه، وقد خرجت منها قوة خفية لا يمكنهم مقاومتها.
وأخذ يدندن وهو يدفعهم للسير فى الممر: «أحسبها ستترك لى جزءًا من الفتاة عندما تنتهى منها، أظن أننى سآخذ قطمة أو اثنتين، ما رأيك يا أحمر؟».
وشعر (هارى) بارتجاف (رون). وكان (جريباك) الآن يجبرهم على نزول مجموعة من السلالم وهم مازالوا مقيدين الظهر فى الظهر ومعرضين لخطر الانزلاق وكسر رقابهم فى أى لحظة. وفى نهاية الدرج، وجدوا بابًا ثقيلاً. فتحه (جريباك) بنقرة من عصاه، ودفعهم جميعا إلى الدخول إلى غرفة رطبة تنبعث منها رائحة العفن وتركهم فى ظلام شامل. وقبل أن يتلاشى صدى الصوت الناتج عن صفق باب الزنزانة، سمعوا صرخة ألم رهيبة من فوقهم تمامًا.
صرخ (رون): «(**هرميون**)! (**هرميون**)!»، وبدأ يتلوى ويكافح محاولاً تحرير نفسه من الحبال التى تقيدهم معا، فترنح (هارى).
قال (هارى): «اهدأ واصمت يا (رون)! يجب أن نفكر فى حل..».
«**هرميون**! (**هرميون**)!».
«نحتاج إلى خطة، توقف عن الصياح، يجب أن نتخلص من هذه الحبال».
وسمعوا همسًا فى الظلام: «(هارى)؟ (رون)؟ أهذا أنتما؟».
توقف (رون) عن الصياح، وسمعوا صوت حركة قريبة منهم، ثم رأى (هارى) ظلاً يقترب منه.

«(هارى)؟ (رون)؟».
«*(لونا)*؟».
«نعم، أنا! أوه لا، لم أكن أريد أن يمسكوا بكم!».
قال (هارى): «(لونا)، أتستطيعين مساعدتنا فى التخلص من هذه الحبال؟».
«آه، نعم، أظن ذلك... هناك مسمار قديم نستخدمه إذا أردنا كسر أى شىء... انتظر لحظة..».
وسمعوا صراخ (هرميون) مرة أخرى من فوقهم، وكان يمكنهم سماع صراخ (بيلاتريكس) أيضًا، ولكنهم لم يستطيعوا تبين ما تقوله لأن (رون) أخذ يصرخ ثانية: «**هرميون! (هرميون)!**».
وأنصت (هارى) إلى (لونا) وهى تقول: «سيد (أوليفاندور) سيد (أوليفاندور)، هل معك المسمار؟ إذا تحركت للجانب قليلاً... أظن أنه كان بجوار إبريق الماء..».
وعادت بعد ثوان.
وقالت: «يجب ألا تتحركوا».
وشعر (هارى) بها وهى تحفر بين ألياف الحبال المتينة لتفك عقدها، ومن الأعلى جاء صوت (بيلاتريكس).
«سأسألك مرة أخرى! من أين أتيتم بهذا السيف؟ من *أين*؟».
وصرخت (هرميون) مجددا: «وجدناه، وجدناه، أرجوكِ!». فكافح (رون) أكثر من ذى قبل وانزلق المسمار الصدئ إلى معصم (هارى).
وهمست (لونا): «أرجوك ألا تتحرك يا (رون)! أنا لا أستطيع رؤية ما أفعله».
قال (رون): «جيبى! ستجدين ساحب الضوء فى جيبى، وهو ملىء بالنور!».
وبعد لحظات سمعوا نقرة، وطارت كرات الضوء التى امتصها ساحب الضوء من المصابيح فى الخيمة إلى فضاء الزنزانة، وعندما لم يستطيعوا العودة إلى مصادرهم، ظلوا معلقين وسط الهواء مثل شموس صغيرة، وامتلأت الزنزانة بالضوء. ورأى (هارى) (لونا)، كان وجهها أبيض شاحبًا. ورأى جسم (أوليفاندور)، صانع العصا، المتكوم على الأرضية فى ركن الغرفة، بلا حراك. وعندما نظر إلى الجانب الآخر، رأى زملاءه السجناء (دين) و(جريفوك) القزم الأسطورى، والذى بدا فاقد الوعى وقد سندته الحبال التى تقيده إلى البشر وجعلته يظل واقفًا على قدميه.
قالت (لونا): «أوه، هذا أفضل بكثير، شكرا يا (رون). أهلاً يا (دين)!». وبدأت محاولتها لتحريرهم من الحبال مرة أخرى.

وسمعوا صوت (بيلاتريكس) من فوقهم.

«إنك تكذبين يا ذات الدم الموحل القذر، أنا أعرف ذلك! لقد دخلتم إلى خزانتى فى (جرينجوتس)! قولى لى الحقيقة، *قولى الحقيقة!*».

وسمعوا صرخة رهيبة أخرى.

« **هرميون!** ».

«ماذا أخذتم من هناك أيضًا؟ ما الذى حصلتم عليه أيضًا؟ تكلمى، أخبرينى بالحقيقة وإلا، أقسم بأنى سأقطعك بهذا السكين!».

«هناك!».

وشعر (هارى) بالحبال وهى تسقط عنهم. والتفت وهو يدلك معصمه لينظر إلى (رون) الذى أخذ يجرى حول الزنزانة، وهو ينظر إلى السقف المنخفض، ويبحث عن مخرج. أما دين، الذى كان وجهه مليئا بالكدمات والإصابات، فقد قال لـ (لونا): «شكرا». ووقف وهو يرتجف، بينما انهار (جريفوك) على أرضية الزنزانة وقد بدا مترنحا وظهرت آثار الضرب واضحة على وجهه الداكن.

وبدأ (رون) يحاول الانتقال آنيًّا بدون عصا.

وقالت (لونا) وهى تراقب محاولاته الفاشلة: «لا يوجد طريق للهروب من هنا يا (رون)، هذه الزنزانة حصينة ولا يمكن الهروب منها. لقد حاولت فى البداية. كما أن السيد (أوليفاندور) هنا منذ مدة طويلة وقد جرب كل شىء».

وصرخت (هرميون) مرة أخرى، وشعر (هارى) أن صوتها يمر عبر جسده مسببا له آلامًا جسمانية رهيبة، حتى أصبح بالكاد منتبهًا للألم الذى يكوى ندبته، وبدأ هو الآخر يجرى حول الزنزانة، وأخذ يتلمس الحوائط باحثا عن شىء لا يعرفه، وإن كان يدرك فى أعماقه بأن ما يفعله بلا فائدة.

«ماذا أخذتم أيضًا، ماذا أيضًا؟ **أجيبوا! كروشيو!**».

وتردد صدى صرخات (هرميون) فى الحوائط العلوية، وبدأ (رون) يبكى وهو يضرب الحوائط بقبضتيه، أمسك (هارى) بجراب (هاجريد) المعلق حول عنقه يائسا وأخذ يفتش داخله: سحب السنيتش الذى تركه له (دمبلدور) وهزه، وهو لا يعرف ما يأمل به بالضبط ـ ولكن شيئًا لم يحدث؛ ولوح بنصفى عصا العنقاء المكسورة، ولكنها كانت خالية من الحياة وسقطت قطعة المرآة المكسورة على الأرضية، ولمح فيها وميضًا أزرق لامعًا.

ورأى عين (دمبلدور) تحدق إليه فى المرآة.

وصاح من شدة اليأس: «ساعدنا! نحن فى زنزانة فى قصر مالفوى الريفى، ساعدنا!».

رمشت العين ثم اختفت.

لم يكن (هارى) متأكدًا من أنه رآها فعلا. وأخذ يقلب قطعة المرآة من جهة إلى أخرى، ولم ير شيئًا منعكسًا فيها سوى حوائط وسقف سجنهم، وعلا صوت صراخ (هرميون) أكثر فوقهم، بينما ظل (رون) يصيح بجواره: «(هرميون)! (هرميون)!».

وسمعوا (بيلاتريكس) تصرخ: «كيف دخلتم إلى خزنتى؟ هل ساعدكم القزم الأسطورى القصير القذر الذى فى الزنزانة؟».

وقالت (هرميون)، وهى تنشج: «لقد قابلناه الليلة فقط! لم ندخل إلى خزنتك أبدا... إنه ليس السيف الحقيقى! إنه نسخة، مجرد نسخة!».

صاحت (بيلاتريكس): «نسخة؟ هه، قصة محتملة!».

قال لوشيوس: «من السهل التأكد من هذا! دراكو، أحضر القزم الأسطورى، إنه يستطيع إخبارنا هل هذا السيف حقيقى أم لا!».

وأسرع (هارى) إلى المكان الذى يرقد فيه (جريفوك) على أرضية الغرفة.

وهمس فى أذن القزم الأسطورى المدببة: «لابد أن تخبرهم أن السيف مزيف يا (جريفوك)، يجب ألا يعرفوا أنه السيف الحقيقى، أرجوك يا (جريفوك)..».

وسمع صوت شخص يهبط درجات السلم، وبعد لحظة، أتى صوت دراكو المرتجف من خلف الباب.

«ابتعدوا عن الباب. اصطفوا بجوار الجدار الخلفى. ولا تحاولوا أى شيء وإلا قتلتكم!».

وفعلوا كما قال لهم، وبينما يفتح القفل، نقر (رون) ساحب الضوء، فعادت الأضواء مجددا إلى جيبه، تاركة الزنزانة تسبح فى الظلام كما كانت. وفتح الباب ومشى مالفوى داخلا إليها وهو يحمل عصاه أمامه، وقد ظهر الشحوب والتصميم على وجهه. وأمسك بذراع القزم الأسطورى الصغير وسحبه معه وهو يتراجع خارجا من الزنزانة. وما إن صفق الباب وراءه، حتى سمعوا صوت فرقعة عاليًا داخل الزنزانة.

ونقر (رون) ساحب الضوء. وانطلقت ثلاث كرات من الضوء من داخل جيبه لتقف وسط الهواء، وتكشف عن (دوبى) القزم المنزلى، الذى انتقل آنيًا إلى داخل الزنزانة لتوه.

« دوبـ ـ! ».

وضرب (هـاري) (رون) على ذراعه ليمنعه عن الصيـاح، وظهر عن (رون) الذعر من غلطته. وسمعوا صوت خطوات فوقـهم وعرفوا أن دراكو يوصل (جريفوك) إلى مكان (بيلاتريكس).

كانت عينا (دوبى) الضخمتان اللتـان بحجم كرة التنس متسعتين على آخرهما، وقد أخذ يرتجف من قدميه حتى أطراف أذنيه. كان من الواضح أنه مذهول تمامًا بسبب عودته إلى منزل أسياده السابقين.

وهمس (دوبى) بصوت حاد مرتعش: «(هـارى بوتر)، لقد جاء (دوبى) لإنقاذك».

«ولكن كيف ـ؟».

وعلا صوت صرخة فظيعة على كلامه، وعرف (هـارى) أنهم بدءوا يعذبون (هرميون) مرة أخرى. فقرر التركيز على الأهم.

وسأل (دوبى) الذى أومأ برأسه واهتزت أذناه: «هل يمكنك الانتقال آنيًا إلى خارج هذه الزنزانة؟».

«هل يمكنك أخذ بشر معك؟»..

أومأ (دوبى) مرة أخرى.

«حسنًا يا (دوبى)، أريدك أن تأخذ معك (لونا) و(دين) والسيد (أوليفاندور) إلى... إلى...».

قال (رون): «إلى منزل (بيل) و(فلور)، كوخ الأصداف، فى ضواحى تينوورث!».

أومأ القزم للمرة الثالثة.

قال (هـارى): «أريدك أن تعود بعد ذلك إلى هنا،أيمكنك القيام بذلك يا (دوبى)؟».

وهمس القزم الصغير: «بالطبع يا (هـارى بوتر)».، وأسرع متجها نحو السيد (أوليفاندور) الذى بدا بالكاد واعيا، وأمسك بإحدى يدى صانع العصى فى يده، ثم مد الأخرى نحو (لونا) ودين، ولكن أحدا منهما لم يتحرك.

وهمست (لونا): «(هـارى)، نريد مساعدتكم!».

وقال دين: «لا نستطيع ترككم هنا».

«هيا اذهبا! سنراكما فى منزل (بيل) و(فلور)».

وبينما (هـارى) يتحدث، شعر بألم رهيب فى ندبته أسوأ مما شعر به من قبل يوما، ولثوان قليلة، نظر إلى الأسفل، ليس إلى صانع العصى، ولكن إلى رجل آخر، فى نفس عمره ونحوله، ولكنه يضحك ساخرًا.

«اقتلنى إذن يا (فولدمورت)، فأنا أرحب بالموت! ولكن موتى لن يوصلك لما تسعى إليه... هناك الكثير من الأشياء التى لا تفهمها..».

شعر (هارى) بغضب (فولدمورت)، ولكن (هرميون) صرخت ثانية، فأوقف ذلك وعاد إلى الزنزانة والرعب الذى يعايشه حاليا.

وصاح مخاطبا (لونا) ودين: «هيا اذهبا! اذهبا! سنلحق بكما، فقط اذهبا!».

وقبضا على أصابع القزم الممدودة وارتفع صوت فرقعة عالية واختفى (دوبى) و(لونا) و(دين) و(أوليفاندور).

وسمعوا صياح (لوشيوس مالفوى) من فوق رءوسهم: «ماذا كان ذلك؟ هل سمعتم ذلك؟ ما هذه الضجة فى الزنزانة؟».

حدق (هارى) و(رونْ) فى بعضهما البعض.

«لا... ليس دراكو، استدعِ (وورمتيل)! واجعله يتفقد الزنزانة!».

وسمعوا صوت خطوات تقطع الغرفة فى الأعلى، ثم ساد الصمت. وعرف (هارى) أن الناس فى غرفة الاستقبال ينصتون ليسمعوا أى ضجة أخرى تحدث فى الزنزانة.

وهمس إلى (رون): «يجب أن نحاول التغلب عليه».، لم يكن أمامهم خيار آخر؛ لأنه بمجرد دخول أى شخص إلى الزنزانة واكتشافه غياب السجناء الثلاثة، سيفقدون فرصتهم فى النجاة. وعندما سمع شخصًا يهبط السلالم فى الخارج، أضاف: «اترك الأنوار مشتعلة». وتراجعا إلى الحائط على جانبى الباب.

وسمعا (وورمتيل) يقول: «قفوا فى الخلف، ابتعدوا عن الباب. سأدخل الآن».

وانفتح الباب، ولجزء من الثانية، أخذ (وورمتيل) يحدق فى الزنزانة التى تبدو فارغة، والتى يضيئها ثلاث شموس صغيرة تطفو وسط الهواء. ثم انقض (هارى) و(رون) عليه. وامسك (رون) بذراع (وورمتيل) التى تمسك بالعصا ودفعها إلى أعلى، بينما وضع (هارى) يده على فم (وورمتيل) ليمنعه من الصياح. وأخذوا يتقاتلون فى صمت: بينما انبعثت من عصا (وورمتيل) بعض الشرار وأطبق بيده الفضية على حلق هارى.

وجاء صوت (لوشيوس مالفوى) من أعلى: «ماذا وجدت يا (وورمتيل)؟».

أجاب (رون) مقلدا صوت (وورمتيل): «لا شيء! كل شيء على ما يرام هنا!».

كان (هارى) بالكاد يستطيع التنفس.

حاول (هارى) فك أصابع (وورمتيل) المعدنية وغص قائلاً: «هل ستقتلنى؟ بعد أن أنقذت حياتك؟ إنك مدين لى يا (وورمتيل)!».

ارتخت الأصابع الفضية. لم يكن (هاري) يتوقع ما حدث، وحرر نفسه مذهولا ويده ما زالت على فم (وورمتيل). رأى عينى الرجل الضئيل الشبيه بالفأر وهما تدمعان وتتسعان من الخوف والمفاجأة. وبدا مصدوما بقدر صدمة (هاري) لما فعلته يده خلال لحظة الشفقة القصيرة التى مرت به، وأخذ يكافح بقوة أكبر وكأنه يريد إبطال لحظة الضعف التى مرت به.

وهمس (رون) وهو يسحب عصاه من يده الأخرى: «وسنأخذ هذه أيضًا».

واتسع بؤبؤا عينى بيتجرو بفزع عندما وجد نفسه بلا عصا وبلا قوة. وانزلقت عيناه من وجه (هاري) إلى شيء آخر. فقد تحركت أصابعه الفضية وحدها نحو عنقه هو.

وحاول (هاري) سَحب تلك اليد بدون أن يفكر ولو للحظة ولكنه لم يستطع وقفها. وانقلبت الأداة الفضية التى منحها (فولدمورت) لأكثر خدامه جبنا ضد صاحبها الأعزل التافه. وحصد بيتيجرو نتيجة تردده ولحظة الشفقة التى مر بها. كانت يده الفضية تخنقه أمام أعينهم.

«لا!».

وحرر (رون) (وورمتيل) أيضًا، وحاول هو وهارى معا نزع هذه الأصابع المعدنية الساحقة من حول عنق (وورمتيل) ولكن لم تكن هناك فائدة وتحول لون بيتيجرو إلى اللون الأزرق.

وأشار (رون) بالعصا إلى اليد الفضية وقال: «*ريلاشيو!*»، ولكن لم يحدث شيء، ووقع بيتيجرو على ركبتيه، وفى نفس الوقت، أطلقت (هرميون) صرخة فظيعة فى الأعلى. ودارت عينا (وورمتيل) إلى أعلى فى وجهه البنفسجي، وارتعش رعشة أخيرة قبل أن يسكن جسده تمامًا.

وتبادل (هاري) و(رون) النظرات ثم تركا جسد (وورمتيل) على الأرض خلفهما وأسرعا يصعدان السلالم حتى وصلا إلى الممر المظلم الذى يقود إلى غرفة الاستقبال. وأخذا يسيران بحذر فى الممر حتى وصلا إلى الباب الذى كان مفتوحا فتحة صغيرة. وشاهدا (بيلاتريكس) بوضوح وهى تنظر نحو (جريفوك)، والذى كان يحمل سيف جريفندور بين يديه ذات الأصابع الطويلة. وكانت (هرميون) ملقاة تحت قدمى (بيلاتريكس) وتبدو غير قادرة على النهوض.

وقالت لجريفوك: «حسنًا؟ هل هذا هو السيف الحقيقى؟».

وانتظر (هاري) وهو يمسك أنفاسه، ويكافح ألم ندبته بكل قوته.

قال (جريفوك): «لا، إنه مزيف».
لهثت (بيلاتريكس) قائلة: «هل أنت واثق؟ واثق تمامًا؟».
قال القزم الأسطورى: «نعم».
وظهر الارتياح على وجهها وزال التوتر عنها.
وقالت: «جيد». ولوحت بعصاها، محدثة جرحًا عميقًا آخر فى وجه القزم الأسطورى، الذى سقط وهو يصرخ متألما عند قدميها. فركلته لتزيحه جانبًا وقالت بصوت يتفجر بالانتصار: «والآن، حان وقت استدعاء سيد الظلام!».
وشمرت كمها ولمست علامة الظلام بإصبعها.
وشعر (هارى) على الفور بأن ندبته قد انقسمت مرة أخرى. واختفت الأشياء المحيطة به. وأصبح هوَ (فولدمورت)، والساحر النحيل أمامه يضحك كاشفا عن فمه الخالى من الأسنان، وشعر بالغضب من الاستدعاء الذىشعر به، لقد حذرهم وأخبرهم بألا يستدعوه إلا إذا أمسكوا بـ(بوتر). لو كانوا مخطئين...
قال الرجل العجوز بقوة: «*اقتلنى إذن! لن تنتصر، لا يمكنك أن تنتصر! لن تكون تلك العصا ملكًا لك أبدًا..*».
وانفجر غضب (فولدمورت)، وومض ضوء أخضر وملأ الزنزانة وارتفع الجسد العجوز النحيل من سريره ثم سقط عليه مرة أخرى ميتا، وعاد (فولدمورت) إلى النافذة، وهو لا يكاد يستطيع السيطرة على غضبه... إن لم يكن لديهم سبب جيد لاستدعائه، فسيقاسون أشد العقاب...
قالت (بيلاتريكس): «أظن أننا لسنا فى حاجة إلى ذات الدم الموحل بعد الآن. خذها يا (جريباك)، إن كنت تريدها».
«لاااااااااااااااا!».
واندفع (رون) إلى صالة الاستقبال، والتفتت (بيلاتريكس) مصدومة، ووجهت عصاها نحو رون.
ولكن (رون) صاح وهو يوجه عصا (وورمتيل) إلى (بيلاتريكس): «إكسبيليارموس!». وطارت عصاها فى الهواء والتقطها (هارى) الذى دخل مندفعا خلف (رون). والتفت (لوشيوس) و(نارسيسا) و(دراكو) و(جريباك) نحوهم فصاح (هارى): «*ستوبيفاى!*». وانهار (لوشيوس) على الأرض فاقدا للوعى. وانطلقت ثلاث دفقات من الضوء من عصى (نارسيسا) ودراكو وجريباك، ورمى (هارى) بنفسه على الأرض وتدحرج خلف الأريكة ليتفاداهم.

«**توقف وإلا فستموت**!».

ونظر (هارى) وهو يلهث من فوق حافة الأريكة. ورأى (بيلاتريكس) تمسك بهيرميون، التى بدت فاقدة للوعى، وقد وضعت سكينها الفضية الصغيرة على عنقها.

وهمست: «ألقوا عصيكم، ألقوها، وإلاً فسنرى مدى قذارة دمها!».

وتجمد (رون) فى مكانه وهو لا يزال يمسك بعصا (وورمتيل)، بينما وقف (هارى)، وهو يحمل عصا (بيلاتريكس).

صرخت (بيلاتريكس): «قلت لكم ألقوها!». وضغطت بسكينها على عنق (هرميون)، ورأى (هارى) نقطًا من الدم تظهر هناك.

وصاح: «حسنًا!». ورمى عصا (بيلاتريكس) إلى الأرض تحت قدميه وفعل (رون) بعصا (وورمتيل) نفس الشيء، ورفع كلاهما يديه إلى مستوى كتفه.

قالت وهى تبتسم بخبث: «رائع! التقطها يا دراكو! إن سيد الظلام فى الطريق! اقتربت نهايتك يا (هارى بوتر)!».

كان (هارى) يعلم أن كلامها صحيح، أنبأه اشتداد الألم فى ندبته بذلك، كما أنه شعر أن (فولدمورت) يطير فى السماء فوق بحر عاصف مظلم قادما من بعيد، وقريبًا سيصبح قريبًا بما فيه الكفاية لينتقل آنيًّا إلى هنا، ولم يعد (هارى) يرى أمامه أى مخرج.

وقالت (بيلاتريكس) بنعومة بينما يعود دراكو مسرعا ومعه العصى: «والآن، أظن أن علينا أن نقوم بتقييد هؤلاء الأبطال الصغار مرة أخرى يا سيسى، بينما يعتنى (جريباك) بالآنسة ذات الدم الموحل. أنا متأكدة أن سيد الظلام لن يبخل عليك بالفتاة يا (جريباك)، بعد كل ما فعلته الليلة».

وما إن أنهت كلامها، حتى سمعوا صوت صرير غريب يأتى من فوقهم. ونظروا جميعًا إلى أعلى ليروا الثريا الكريستال تهتز بقوة، وهى تصدر صريرا عاليا ينذر بالسوء، ثم سقطت. وتركت (بيلاتريكس)، التى كانت تقف تحتها مباشرة، (هرميون) وأسرعت تلقى بنفسها جانبا وهى تصرخ. وتحطمت الثريا على الأرض وغمرت قطع الكريستال الصغيرة والسلاسل (هرميون) والقزم الأسطورى الذى كان ممسكا بسيف جريفندور. وتطايرت شظايا الكريستال اللامعة فى كل الاتجاهات ورفع دراكو يده ليغطى وجهه الدامى.

وبينما أسرع (رون) ليخرج (هرميون) من تحت الأنقاض، استغل (هارى) الفرصة، ووثب فوق مقعد ذى ذراعين وانتزع العصى الثلاثة من يد دراكو،

ووجهها نحو (جريباك) وصاح قائلاً: «*ستوبيفاى!*»، واقتلعت التعويذة الثلاثية المستذئب من مكانه، واصطدم جسده بالسقف قبل أن يقع أخيرًا إلى الأرض.

سحبت (نارسيسا) دراكو بعيدا لتحميه، وبينما قفزت (بيلاتريكس) على قدميها، وشعرها يتطاير وأخذت تلوح بسكينها الفضى مهددة، وجهت (نارسيسا) عصاها نحو الباب.

وصاحت: «(دوبى)! أنت! *أنت* الذى أوقعت النجفة ـ؟». وتجمدت (بيلاتريكس) فى مكانها.

دخل القزم الصغير مهرولا إلى الغرفة، ولوح بأصابعه المرتجفة نحو سيدته السابقة.

وصاح: «يجب ألا تؤذى (هارى بوتر)».

صرخت (بيلاتريكس): «اقتليه يا سيسى!»، ولكن علا صوت فرقعة أخرى وطارت عصا (نارسيسا) فى الهواء لتسقط فى الناحية الأخرى من الغرفة.

صاحت (بيلاتريكس): «أيها القرد الضئيل القذر! كيف تجرؤ على تجريد ساحرة من عصاها؟ كيف تجرؤ على تحدى أسيادك؟».

صاح القزم بصوته الحاد: «(دوبى) ليس له سيد! (دوبى) قزم حر، حضر (دوبى) لينقذ (هارى بوتر) وأصدقاءه!».

وازداد الألم فى ندبة (هارى) حتى أصبح لا يرى أمامه. وعلم أن أمامهم لحظات أو ثوانى قبل أن يصل (فولدمورت).

وصاح: «رون، أمسك ـ **واذهب**!». ورمى إليه بإحدى العصى، ثم انحنى ليسحب (جريفوك) من تحت الثريا. ورفع القزم المتأوه الذى كان لا يزال ممسكا بالسيف، فوق كتفه وأمسك يد (دوبى) ودار فى مكانه لينتقل آنيًا.

وبينما يدخل فى الظلام، ألقى (هارى) نظرة أخيرة على الغرفة ورأى (نارسيسا) ودراكو شاحبين متجمدين، ولمح لمحة من اللون الأحمر لشعر (رون)، ووميض شىء فضى طائر، هو سكين (بيلاتريكس) الذى رمته عبر الغرفة، نحو المكان الذى اختفوا فيه؛ *منزل (بيل) و(فلور)... كوخ الأصداف... منزل (بيل) و(فلور)...*

كان يتجه نحو المجهول، وكل ما فكر فيه هو تكرار اسم وجهته على أمل أن يكون ذلك كافيا لإيصاله إليها. واشتد الألم فى جبينه، وأرهقه ثقل القزم الأسطورى، وكان يشعر بنصل سيف جريفندور يتأرجح خلف ظهره، وبدأت يد

(دوبى) ترتجف فى يده، وتساءل إن كان القزم يحاول تولى مسئولية توصيلهم إلى الوجهة الصحيحة، وضغط على أصابعه، ليطمئنه بأن كل شىء على ما يرام...

وارتطموا بالأرض الصلبة واستنشقوا رائحة الهواء المالح. ووقع (هارى) على ركبتيه وترك يد (دوبى)، محاولا إنزال (جريفوك) برفق على الأرض.

وسأل القزم الأسطورى حينما تأوه الأخير: «هل أنت بخير؟».، ولكن القزم رد بصوت أنين.

ونظر (هارى) حوله عبر الظلام. ورأى كوخًا على بعد مسافة قريبة تحت السماء الواسعة المليئة بالنجوم، وظن أن أحدًا يتحرك خارجه.

وقبض على العصوين اللتين أحضرهما معه من منزل (آل مالفوى) مستعدًا للقتال إذا لزم الأمر، وهمَس: «(دوبى)، هل هذا هو كوخ الأصداف؟ هل وصلنا إلى المكان الصحيح يا (دوبى)؟».

ونظر حوله. ورأى القزم الصغير واقفا على بعد أقدام منه.

«(دوبى)!».

وترنح القزم بشدة وانعكست النجوم فى عينيه الواسعتين اللامعتين. ونظر هو وهارى معا نحو المقبض الفضى للسكين الذى انغرس فى صدر القزم.

واستدار (هارى) نحو الكوخ والناس القادمين منه صائحًا: «..(دوبى) - لا - النجدة! ساعدونا!».

لم يكن يهتم إن كانوا سحرة أم عامة، أصدقاء أو أعداء، كل ما كان يهمه هو البقعة الداكنة التى انتشرت على صدر (دوبى)، وإلى أنه مد ذراعيه نحو (هارى) وفى عينيه نظرة توسل. وأمسك به (هارى) ووضعه إلى جانبه إلى الأعشاب الباردة.

«(دوبى)، لا، لا تمت، لا تمت..».

ونظر إليه القزم، وارتعشت شفتاه وهو يحاول الكلام.

«(هارى... بوتر)..».

ثم ارتجف جسد القزم بشدة قبل أن يسكن تمامًا، وبدت عيناه مثل كوكبين زجاجيين يلمعان بضوء النجوم التى لم يعد يستطيع رؤيتها.



٢٤ صانـــع العصـــى

شعر (هارى) كأنه يعيش فى كابوس قديم مرة أخرى، وتخيل للحظة أنه يجثو على ركبتيه بجوار جسد (دمبلدور) عند قاعدة أطول برج فى (هوجوورتس)، ولكنه فى الحقيقة كان يحدق فى الجسد الملتف حول نفسه فوق الحشائش، بعد أن طعنه بسكين (بيلاتريكس). كان (هارى) لا يزال يردد: «(دوبى)... (دوبى)...». على الرغم من أنه يعرف أن الجنى قد رحل إلى مكان لا يمكنه أن يستدعيه منه.

وبعد دقيقة أو نحو ذلك، وجد (بيل) و(فلور) و(دين) و(لونا) يحيطون به وهو جاثٍ على ركبتيه بجوار القزم، وأدرك أنهم ورغم كل شىء، وصلوا إلى المكان الصحيح.

وقال فجأة: «(هرميون) أين هى؟».

رد (بيل): «أخذها (رون) إلى الداخل، ستكون بخير».

وعاد (هارى) ينظر نحو (دوبى)، ومد يده وسحب النصل الحاد من جسد القزم، ثم نزع سترته وغطى بها (دوبى) مثل البطانية.

وأتى صوت أمواج البحر وهى تصطدم بالصخور من مكان قريب، وظل (هارى) يستمع إليها بينما يتحدث الآخرون، ويتناقشون ويتخذون القرارات فى أمور لم تكن تثير أى اهتمام لديه. وحمل (دين) (جريفوك) المصاب إلى داخل المنزل وأسرعت (فلور) معهما، وبدأ (بيل) يقدم اقتراحات عن دفن القزم. ووافقه (هارى)، بدون أن يعرف ما يقوله. ثم نظر إلى الجسد الضئيل وبدأت ندبته توخزه بشدة، ورأى فى جزء داخل عقله، (فولدمورت) وهو يعاقب الذين تركوهم خلفهم فى قصر مالفوى وشعر كأنه ينظر من النهاية الخطأ لمنظار مقرب طويل، كان غضبه عظيما لكن حزن (هارى) على (دوبى) بدا كأنه يقلل منه حتى أصبح مثل عاصفة بعيدة تصل إليه عبر محيط صامت واسع.

وكانت أول كلمات نطقها (هارى) وهو واعٍ لكلامه هى: «أريد القيام بذلك بشكل ملائم، ليس بواسطة السحر. **هل لديك مجرفة؟**».

وبعدها بقليل، بدأ العمل، بمفرده، وأخذ يحفر القبر فى المكان الذى أرشده إليه (بيل) فى طرف الحديقة، بين الشجيرات. وبدأ بالحفر وهو يشعر بنوع من الغضب،

ولكنه شعر بالاستمتاع والفخر بالعمل اليدوى دون استخدام السحر، وأحس أن كل نقطة عرق، وكل جلطة فى جلده هدية للجنى الذى أنقذ حياتهم.

وبدأت ندبته تؤلمه مجددا، ولكنه كبح الألم، شعر به، ولكنه ظل بعيدا عنه مع ذلك. لقد تعلم كيف يتحكم فيه أخيرًا، تعلم كيف يغلق عقله أمام أفكار (فولدمورت)، تعلم الشىء الذى كان (دمبلدور) يريده أن يتعلمه من سناب. وفقد (فولدمورت) قدرته على الاستحواذ على (هارى)، تمامًا مثلما حدث عندما استنفده الحزن على سيريوس، ولم تعد أفكاره قادرة على اختراق عقل (هارى) الآن بينما هو حزين على (دوبى). يبدو أن الحزن لم يترك مكانا لفولدمورت داخل عقله... لو كان (دمبلدور) موجودا، بالطبع، لقال إنه الحب...

وأخذ (هارى) يحفر، أعمق وأعمق فى الأرض الصلبة الباردة، وكأنه يغرق حزنه بالعرق الذى يسقط منه، وظل يتجاهل الألم فى ندبته. وبدأ يتذكر الأحداث التى مرت بهم فى قصر مالفوى الريفى بينما يحيط به الظلام، ولا يرافقه شىء سوى صوت أنفاسه وأمواج البحر، وبدأ الفهم يزدهر فى عقله عبر الظلام...

تزامن الإيقاع الثابت لضربات ذراعيه مع أفكاره؛ مقدسات الموت... الهوركروكسات... مقدسات الموت... الهوركروكسات... لم يعد ذلك الشوق الغريب المهووس يستحوذ عليه. لقد قضت عليه الخسارة والخوف. وشعر وكأنه قد صفع حتى يفيق مرة أخرى.

وغرق (هارى) فى القبر أعمق وأعمق، وعرف أين كان (فولدمورت) الليلة، ومن الذى قتله فى أعلى زنزانة فى نورمينجارد، ولماذا...

وفكر فى (وورمتيل)، الذى مات بسبب لحظة شفقة لا واعية صغيرة... لقد تنبأ (دمبلدور) بهذا... ما الأشياء الأخرى التى كان يعرفها أيضًا؟

فقد (هارى) الشعور بالوقت. وعرف أن الظلام قد قل بضع درجات عندما انضم إليه (رون) ودين.

«كيف حال (هرميون)؟».

أجاب (رون): «أفضل، (فلور) تعتنى بها».

كانت إجابة (هارى) جاهزة فى حال ما إذا سأله أحدهما لماذا لم يقم ببساطة بصنع قبر مناسب باستخدام عصاه، ولكنه لم يحتج إليه. لقد قفزا إلى الحفرة التى صنعها ومع كل منهما مجرفة وأكملوا العمل معا صامتين حتى بدت الحفرة عميقة بما يكفى.

ولف (هارى) القزم الصغير بإحكام فى سترته. وجلس (رون) على حافة القبر ونزع حذاءه وجواربه ووضعها فى قدمى القزم العاريتين. وقدم (دين) قبعة صوفية، وضعها (هارى) بحرص فوق رأس (دوبى)، مخفيا أذنيه التى تشبه أذنى الوطواط.

«يجب أن نغلق عينيه».

لم يسمع (هارى) الآخرين وهم قادمون عبر الظلام. كان (بيل) يرتدى عباءة سفر، بينما ترتدى (فلور) مريلة بيضاء، أخرجت من جيبها زجاجة عرف (هارى) أنها دواء إعادة نمو العظام. كانت (هرميون) ملتفة فى عباءة مستعارة، وهى تبدو شاحبة وغير قادرة على الوقوف على قدميها، ووضع (رون) ذراعه حولها عندما وصلت إليه. وركعت (لونا) التى كانت ترتدى أحد معاطف (فلور) بجوار القزم ووضعت أصابعها بلطف فوق جفنيه وأغلقتهما على عينيه الزجاجيتين.

وقالت بلطف: «والآن يبدو وكأنه نائم».

ووضع (هارى) القزم فى القبر، ورتب أطرافه الصغيرة ليبدو كما لو كان مرتاحا، ثم تسلق إلى الخارج وألقى نظرة أخيرة على الجسد الصغير. وأجبر نفسه على ألا ينهار عندما تذكر جنازة (دمبلدور)، وصفوف الكراسى الذهبية، بينما يجلس ووزير السحر فى الصف الأول، والخطبة التى قيلت عن إنجازات (دمبلدور)، والقبر الرخامى الأبيض المهيب. وشعر أن (دوبى) يستحق جنازة على نفس القدر من المهابة، بدلا من أن يتم وضعه بين الشجيرات فى تلك الحفرة العميقة.

وقالت (لونا): «أظن أن علينا أن نقول شيئًا، سأبدأ أنا».

وخاطبت القزم الميت فى قاع القبر، بينما وجه الجميع أنظارهم إليها.

«شكرًا جزيلاً لك يا (دوبى) على إنقاذى من هذه الزنزانة. ليس من العدل أن تموت وأنت بهذه الشجاعة والطيبة. سأظل أذكر ما فعلته من أجلنا دائمًا. وأتمنى أن تكون سعيدًا الآن».

والتفتت لتنظر بترقب إلى (رون)، الذى تنحنح وقال بصوت عميق: «نعم... شكرا لك يا (دوبى)».

وغمغم دين: «شكرًا».

ابتلع (هارى) ريقه.

وقال: «وداعا يا (دوبى)». كان هذا كل ما استطاع قوله، ولكن (لونا) قالت كل ما أراد قوله. ورفع (بيل) عصاه، وارتفعت كومة التراب التى بجوار القبر فى الهواء، ثم سقطت فوقه مكونة تلاً صغيرًا.

وسأل (هارى) الآخرين: «هل تمانعون إن بقيت هنا لدقيقة؟».

تمتموا بكلام لم يفهمه، وشعر بربتات لطيفة على ظهره، ثم عادوا جميعا إلى الكوخ، وتركوه وحده بجوار قبر القزم.

ونظر حوله ورأى عددًا من الصخور البيضاء الضخمة التى جعلتها أمواج البحر ناعمة، موضوعة كحدود على حافة أحواض الزهور، انتقى أكبرها ووضعها مثل الوسادة فوق المكان الذى يرقد فيه رأس (دوبى) الآن، ثم تحسس جيبه باحثا عن عصاه.

ووجد اثنتين. كان قد نسى ما جرى، ولم يستطع تذكر من كانوا أصحابها، كل ما يتذكره أنه انتزعهما من يد أحدهما. واختار الأقصر بينهما، والتى شعر براحة أكثر عندما أمسكها، وأشار بها نحو الصخرة.

وأخذ يغمغم هامسًا، وظهر حفر عميق ببطءٍ فوق سطح الصخرة. وفكر أن (هرميون) ما كانت لتصنعها بطريقة أكثر اتقانًا من ذلك، وربما أكثر سرعة، ولكنه أراد أن يميز مكان القبر بنفسه كما حفره بنفسه. وعندما وقف (هارى) ثانيةً، كان مكتوبا على الحجر:

هنا يرقد (دوبى)، القزم الحر.

تأمل ما قام بعمله لبضع ثوانٍ أخرى ثم سار مبتعدا، بينما ندبته ما زالت تؤلمه قليلاً، وعقله مليء بتلك الأشياء التى فهمها عند القبر، أفكار تشكلت فى الظلام، أفكار تفتن العقل وترهبه فى الوقت نفسه.

وعندما دخل (هارى) إلى الصالة الصغيرة، وجدهم جميعا يجلسون فى غرفة المعيشة، وانتباههم مركز على (بيل)، الذى كان يتكلم. وبدت الغرفة جميلة، مضاءة بأضواء ملونة، بينما هناك نيران صغيرة مشرقة، مشتعلة فى المدفأة. لم يرد (هارى) أن يسقط الطين على السجادة فوقف فى المدخل يستمع إليه.

«... من حسن الحظ أن جينى فى إجازة. لو كانت فى (هوجوورتس) لوصلوا إليها قبلنا. والآن نعرف أنها فى أمان أيضًا».

ونظر حوله ورأى (هارى) واقفا هناك.

وشرح له قائلاً: «لقد أخرجتهم جميعًا من الجحر، ذهبوا إلى منزل الخالة موريل. لأن آكلى الموت يعرفون أن (رون) معك الآن، وسوف يستهدفون العائلة». وعندما رأى التعبير المرتسم على وجه (هارى)، أضاف: «لا تعتذر، لقد كانت المسألة دوما مسألة وقت، لقد ظل أبى يقول هذا لشهور. نحن أكبر عائلة خائنة للدم».

سأل (هارى): «كيف تمت حمايتهم؟».

«لقد وضعنا تعويذة سرية على البيت. أبى هو حافظ السر. وقد وضعنا واحدة على هذا الكوخ أيضًا، وأنا حافظ السر هنا. لا أحد منا يمكنه الذهاب للعمل، ولكن هذا تقريبًا أهم شيء الآن ليس هو المهم الآن. ما إن تتحسن صحة (أوليفاندور) و(جريفوك)، سننقلهما إلى منزل الخالة موريل أيضًا. فالمكان هنا صغير، بينما منزلها هى واسع. لقد بدأت ساقا (جريفوك) فى التحسن، بعد أن أعطته (فلور) دواء إعادة نمو العظام، وربما نتمكن من نقلهما خلال ساعة أو..».

قال (هارى) فجأة: «لا» مما أجفل (بيل)، وأضاف: «أحتاج إلى كليهما هنا. يجب أن أتحدث معهما. إن الأمر مهم».

وسمع نبرة السلطة فى صوته، نبرة اليقين، والثقة من الهدف التى واتته وهو يحفر قبر (دوبى). والتفتوا إليه جميعا وقد ظهرت الحيرة على وجوههم.

وقال (هارى) لبيل وهو ينظر إلى يديه التى يغطيهما دم (دوبى) والطين: «سأذهب لأغتسل، ثم سأكون بحاجة إلى رؤيتهما، على الفور».

ودخل إلى المطبخ الصغير، واتجه إلى الحوض الموجود تحت النافذة التى تطل على البحر. ولاحظ وهو يغتسل أن الفجر قد بدأ ينبلج وقد اكتسى الأفق بألوان وردية وذهبية باهتة، وعادت إليه الأفكار التى واتته فى الحديقة المظلمة...

لن يتمكن (دوبى) من إخبارهم بمن أرسله إليهم فى تلك الزنزانة أبدا، ولكن (هارى) يعرف ما رآه. لقد شاهد عينًا زرقاء ثاقبة تنظر إليه من داخل قطعة المرآة المكسورة، وبعدها أتت المساعدة. *ستقدم المساعدة دائمًا فى (هوجوورتس) لمن يطلبها.*

جفف (هارى) يديه وهو غير مبال لجمال المنظر فى خارج النافذة ولا بغمغمة الآخرين فى غرفة المعيشة. ونظر عبر المحيط وشعر بأنه أقرب من أى وقت مضى إلى فهم مضمون كل شىء.

كانت ندبته ما زالت توخزه، وعرف أن (فولدمورت) سيصل إلى نفس النتيجة أيضًا. وأدرك (هارى) أنه فهم ولم يفهم فى الوقت نفسه. كانت غريزته تنبئه بأمر، بينما عقله يخبره بشىء آخر. ورأى (هارى) بعين عقله (دمبلدور) يبتسم، ويتطلع إليه من فوق أطراف أصابعه المضمومة معا كأنه يصلى.

لقد أعطيت (رون) ساحب الضوء... لقد فهمته... أعطيته طريقة يعود بها...

وفهمت (وورمتيل) أيضًا... عرفت أن داخله بعض الندم فى مكان ما...

وإذا كنت تعرفهم... فما الذى تعرفه عنى يا (دمبلدور)؟

هل كان علىّ أن أعرف ولا أحاول البحث؟ هل عرفت كم سيكون الأمر صعبا؟ هل هذا هو السبب الذى دفعك لتجعله بهذه الصعوبة؟ ليكون لدى الوقت لأفهم هذا؟

وقف (هارى) مكانه ساكنًا، وعيناه لامعتان، وأخذ يراقب المكان الذى انطلقت منه أول أشعة ذهبية للشمس التى بدأت تشرق عبر الأفق. ثم نظر مجددًا إلى يديه النظيفتين وفوجئ للحظة لرؤية الفوطة التى كان لا يزال يحملها بينهما. ووضعها جانبًا وعاد إلى الصالة، وفى أثناء ذلك، شعر بندبته تنبض بالغضب، ثم ومضت الرؤية عبر عقله، سريعة مثل انعكاس صورة يعسوب(*) فوق سطح الماء، ورأى السور الخارجى لبناء يعرفه جيدًا.

ورأى (بيل) و(فلور) يقفان عند أسفل السلم.

قال (هارى): «يجب أن أتحدث مع (جريفوك) و(أوليفاندور)».

قالت (فلور): «لا، عليك أن تنتظر يا (هارى)، فكلاهما مازالا متعبين».

وقال بغير حماس: «آسف، ولكنى لا أستطيع الانتظار. يجب أن أتحدث إليهما الآن. على انفراد منفصلين. إن الأمر عاجل».

وسأله (بيل): «ما الذى يحدث بحق الجحيم يا (هارى)؟ لقد ظهرتم فجأة هنا ومعكم قزم منزلى ميت وقزم أسطورى شبه فاقد الوعى، بينما تبدو (هرميون) كمن تعرضت لتعذيب شديد، ويرفض (رون) إخبارى بأى شىء..».

قال (هارى) بفتور: «لا نستطيع إخبارك بما نفعله. إنك فى الجماعة يا (بيل) ومن المؤكد أنك تعلم أن (دمبلدور) قد ترك لنا مهمة، ليس من المفترض أن نخبر بها أحدًا».

أصدرت (فلور) صوتًا ينم عن التململ ولكن (بيل) لم ينظر إليها، وظل يحدق فى (هارى). وبدا وجهه الملىء بالندوب صعب القراءة. وأخيرًا قال (بيل): «حسنًا، من الذى تريد التحدث إليه أولا؟».

تردد (هارى). كان يعرف أن هناك الكثير المعلق على قراره. لم يبق الكثير من الوقت، لقد حانت لحظة اتخاذ القرار: الهوركروكسات أم مقدسات الموت؟

قال (هارى): «(جريفوك)، سأتحدث مع (جريفوك) أولاً».

وشعر بقلبه ينبض بشدة وكأنه كان يعدو فى سباق وعبر لتوه حاجزًا ضخمًا.

قال (بيل) وهو يقود الطريق: «فلنصعد إلى الطابق العلوى، إذن».

وسار (هارى) عدة خطوات، ثم توقف ونظر إلى الخلف.

(*) اليعسوب أو الرعاش حشرة لها زوجان من الأجنحة الغشائية يتغذى على الكائنات الصغيرة فى الماء.

ونادى على (رون) و(هرميون) اللذين كانا متواريين ونصف مختفيين بجوار مدخل غرفة الجلوس قائلاً: «أحتاج إليكما أنتما أيضًا!».
وتحركا معًا نحو الضوء وقد ظهرت عليهما الراحة بشكل غريب.
وسأل (هارى) (هرميون): «كيف حالك؟ لقد كنت مدهشة؛ اختلقت تلك القصة بينما هى تعذبك بمثل هذه».
ابتسمت (هرميون) ابتسامة ضعيفة بينما ضغط (رون) على كتفيها.
وسأل: «ماذا سنفعل الآن يا (هارى)؟».
«سوف ترى، هيا».
وتبع (هارى) و(رون) و(هرميون) (بيل) صاعدين السلالم حتى وصلوا إلى بسطة صغيرة بها ثلاثة أبواب.
قال (بيل) وهو يفتح باب غرفته هو و(فلور): «هنا». كانت تطل على البحر أيضًا، وقد أضاءتها الأشعة الذهبية للشمس المشرقة. واتجه (هارى) إلى النافذة، ثم أدار ظهره للمنظر الرائع وانتظر، وقد عقد ذراعيه، بينما الألم فى ندبته مازال مستمرا. وجلست (هرميون) على الكرسى الموجود بجوار طاولة الزينة وجلس (رون) على ذراع الكرسى.
وظهر (بيل) مجددا وهو يحمل القزم الأسطورى الصغير، وأجلسه بحرص فوق السرير. وبعد أن شكره (جريفوك)،غادر (بيل) الغرفة، مغلقا الباب عليهم جميعا.
قال (هارى): «أنا آسف لإخراجك من فراشك، كيف حال ساقيك؟».
وأجابه القزم الأسطورى: «مازالتا تؤلماننى، ولكنهما بدأتا تلتئمان».
كان لا يزال قابضا على سيف جريفندور، وقد علت وجهه نظرة غريبة، نصف شرسة ونصف ماكرة. ولاحظ (هارى) بشرة القزم الأسطورى الشاحبة، وأصابعه الطويلة النحيلة، وعينيه السوداوين. كانت (فلور) قد نزعت حذاءه، وبدت قدماه الطويلتان قذرتين. كان أكبر من القزم المنزلى ولكن ليس بكثير، بينما بدا رأسه المستدير أكبر بكثير من رأس الإنسان.
وقال (هارى): «ربما لا تتذكر».
رد (جريفوك): «إننى كنت القزم الأسطورى الذى أوصلك إلى خزنتك، فى أول مرة تأتى فيها إلى (جرينجوتس) إننى أتذكر ذلك جيدا يا (هارى بوتر)، إنك مشهور جدًا حتى بين الأقزام الأسطوريين».
وتبادل (هارى) النظرات مع القزم الأسطورى، وكل منهما يحاول تقييم شخصية الآخر. كانت ندبة (هارى) لا تزال تؤلمه ويريد الانتهاء من هذه المقابلة

مع (جريفوك) بسرعة، وفى نفس الوقت، كان خائفا من القيام بأى حركة خاطئة. وبينما يحاول أن يقرر أفضل طريقة لعرض طلبه، قطع (جريفوك) الصمت.

وقال مظهرًا حقدًا غير متوقع: «لقد قمت بدفن القزم، لقد شاهدتك من نافذة غرفة النوم المجاورة».

قال (هارى): «نعم».

نظر إليه (جريفوك) من زاويا عينيه السوداوين المائلتين.

وقال: «إنك لست ساحرا عاديًا يا (هارى بوتر)».

سأله (هارى) وهو يدعك ندبته بشرود: «كيف؟».

«لقد قمت بحفر القبر».

«وماذا فى ذلك؟».

لم يجبه (جريفوك). وفكر (هارى) أنه يسخر منه لتصرفه مثل العامة، ولكنه لم يهمه سواء استحسن (جريفوك) حفره لقبر (دوبى) أم لا. وجمع شتات نفسه ليبدأ بالهجوم.

«(جريفوك)، أود أن أطلب».

لقد أنقذت قزمًا أسطوريًا أيضًا».

«ماذا؟».

«لقد أحضرتنى إلى هنا، أنقذتنى».

قال (هارى) بقليل من التململ: «حسنًا، لا أظن أنك آسف على ذلك؟».

قال (جريفوك) وهو يبرم لحيته السوداء الرفيعة بإصبع واحد فوق ذقنه: «لا يا (هارى بوتر). ولكنك ساحر غريب جدًا».

قال (هارى): «صحيح، حسنًا، أنا بحاجة إلى بعض المساعدة يا (جريفوك)، وأنت تستطيع تقديمها».

لم يقم القزم بأى إشارة لتشجيع (هارى)، ولكنه ظل ينظر إليه عابسًا وكأنه لم يسبق له رؤية أى شىء مثله من قبل.

«أنا بحاجة لاقتحام خزانة فى (جرينجوتس)».

لم يقصد (هارى) قولها بهذه الطريقة السيئة، اندفعت الكلمات منه عندما اشتد الألم فجأة فى ندبته التى تشبه البرق ورأى مرة أخرى الحدود الخارجية لهوجورتس. وأغلق عقله بحزم. كان بحاجة إلى الاتفاق مع (جريفوك) أولا. وأخذ (رون) و(هرميون) يحدقان فى (هارى) كما لو أنه جُن.

قالت (هرميون): «(هارى)». ولكن (جريفوك) قاطعها.

وكرر القزم الأسطورى مجفلاً قليلاً: «اقتحام خزنة فى (جرينجوتس)؟». وعدل وضعه فوق السرير، وأضاف: «ولكن هذا مستحيل».

عارضه (رون): «لا، ليس مستحيلا، لقد حدث ذلك من قبل».

قال (هارى): «أجل، فى نفس اليوم الذى التقيت بك فيه لأول مرة يا (جريفوك). فى يوم عيد ميلادى، منذ سبع سنوات».

صرخ القزم الأسطورى: «الخزانة المقصودة كانت خالية فى ذلك الوقت، وقد خفضت عليها الحماية».. وأدرك (هارى) أنه بالرغم من أن (جريفوك) قد ترك (جرينجوتس)، لكنه مازال ينزعج من فكرة أن دفاعاته يمكن أن تخترق.

قال (هارى): «حسنًا، إن الخزنة التى نحتاج إلى دخولها ليست خالية، وأتوقع أن حمايتها ستكون قوية جدًا. فهى تخص (آل ليسترانج)».

ورأى (هارى) (رون) و(هرميون) يتبادلان النظرات المندهشة، ولكنه فكر أن الوقت سيكون متسعًا للشرح بعد أن يعطيهما (جريفوك) جوابه.

قال (جريفوك) بفتور: «ليست لديك أى فرصة. لا فرصة على الإطلاق. *إذا كنت تبحث عن كنز تحت أرضنا، كنز ليس لك الحق فيه..*».

قال (هارى): «*نحذرك أيها اللص*. كن مستعدًا، أجل، أعرف، أذكر ذلك. ولكنى لا أحاول الحصول على أى كنز من أجل نفسى، وأنا لا أسعى لأى مصلحة شخصية. هل يمكنك أن تصدق ذلك؟».

نظر القزم من زاوية عينه إلى (هارى)، بينما نبضت ندبته بالألم ولكنه تجاهلها، ورفض الاستسلام لألمها أو دعوتها.

قال (جريفوك) أخيرًا: «إن كان هناك ساحر قد أصدق أنه لا يسعى خلف مصلحته الشخصية، فسيكون أنت يا (هارى بوتر). إن الأقزام الأسطوريين وأقزام المنازل غير معتادين على الحماية أو الاحترام اللذين أظهرتهما الليلة. ليس هذا من دأب حاملى العصى».

كرر (هارى) الجملة: «حاملى العصى».، والتى كان لها وقع غريب على أذنيه ووخزته ندبته حين حول (فولدمورت) أفكاره نحو الشمال، واحترق (هارى) ليسأل (أوليفاندور) فى الغرفة المجاورة.

قال القزم بهدوء: «لقد كان الحق فى حمل العصا موضع نزاع طويل بين السحرة والأقزام الأسطوريين».

قال (رون): «حسنًا، يستطيع الأقزام الأسطوريون استخدام السحر دون عصى».

«لا قيمة لهذا! إن السحرة يرفضون مشاركة علوم وأسرار العصى السحرية مع المخلوقات السحرية الأخرى، وينكرون علينا إمكانية زيادة قوتنا».

قال (رون): «حسنًا، ولكن الأقزام الأسطوريين لا يشاركون أحدًا فى سحرهم أيضًا. لن تخبرونا أبدًا كيف تصنعون السيوف والدروع بالطريقة التى تقومون بها. إن الأقزام الأسطوريين يعرفون كيف يتعاملون مع المعادن بطريقة لم يعرفها السحرة».

قال (هارى) بعد أن لاحظ تغير لون (جريفوك): «هذا لا يهم. إن الأمر لا يخص الصراع بين السحرة والأقزام الأسطوريين أو أى مخلوقات سحرية أخرى».

أطلق (جريفوك) ضحكة كريهة.

وقال: «ولكنه كذلك، إنه كذلك فعلاً! فكلما زادت قوة سيد الظلام، زاد علو جنسكم على جنسى! لقد وقع (جرينجوتس) تحت سيطرة السحرة، وتذبح الأقزام المنزلية، ولم يعارضه أى شخص من حاملى العصى؟».

قالت (هرميون): «نحن نفعل!». كانت قد اعتدلت فى مكانها وعيناها تبرقان: «نحن نعارضه! وأنا مطاردة مثل أى قزم أسطورى أو منزلى يا (جريفوك)! فأنا ذات دم موحل!».

غمغم (رون): «لا تقولى ذلك عن نفسك..».

قالت (هرميون): «ولم لا أفعل؟ أنا ذات دم موحل، وأنا فخورة بذلك! وضعى مثل وضعك فى ظل هذا النظام الجديد يا (جريفوك)! لقد كنت أنا من اختاروها ليعذبوها فى قصر (آل مالفوى!)».

وبينما تتكلم، أزاحت جانبًا ياقة ثوبها لتكشف عن القطع القرمزى الرفيع الذى أحدثته (بيلاتريكس) فى عنقها.

وسألته: «هل تعلم أن (هارى) هو الذى حرر (دوبى)؟ هل تعلم بأننا أردنا تحرير الأقزام المنزلية منذ سنوات؟». (وتململ (رون) بعدم ارتياح على ذراع الكرسى.) وأضافت: «لا يمكنك أن ترغب بتدمير (أنت ـ تعرف ـ من) أكثر منا يا (جريفوك)!».

نظر القزم إلى (هرميون) بنفس الفضول الذى أظهره لـ (هارى).

ثم سأل فجأة: «ما الذى تبحثون عنه فى خزينة (آل ليسترانج)؟ إن السيف الموجود هناك مجرد نسخة. هذا هو السيف الحقيقى». وأخذ ينظر إليهم من واحد إلى آخر، وأضاف: «ولكنى أظن أنكم تعلمون هذا بالفعل. لقد طلبت منى أن أكذب من أجلك هناك».

وسأله (هارى): «ولكن السيف المزيف ليس الشىء الوحيد الموجود فى الخزنة، أليس كذلك؟ ربما تكون قد رأيت الأشياء الأخرى الموجودة بها؟».

كان قلبه ينبض بسرعة أكبر من أى وقت مضى. وقد ضاعف جهده لتجاهل النبض الذى يشعر به فى ندبته.

وبرم القزم لحيته حول إصبعه مرة أخرى.

وقال: «إن الحديث عن أسرار (جرينجوتس) مخالف لقانوننا. نحن حراس الكنوز الخرافية، ولدينا واجب نحو الأشياء التى توضع تحت رعايتنا، والتى، عادة ما تكون مصنوعة بأيدينا».

وأمسك القزم بالسيف وانتقلت عيناه السوداوان من (هارى) إلى (هرميون) إلى (رون) ثم عادت ثانية.

وقال أخيرًا: «إنكم مازلتم صغارًا للغاية، لتقاتلوا كل هؤلاء».

قال (هارى): «هل ستساعدنا؟ ليست لدينا فرصة لاقتحام البنك بدون مساعدة قزم أسطورى. أنت فرصتنا الوحيدة».

قال (جريفوك) بحنق شديد: «سوف... أفكر فى الأمر».

قال (رون) غاضبا: «ولكن». فلكزته (هرميون) فى ضلوعه.

قال (هارى): «شكرًا لك».

أحنى القزم رأسه الضخمة المستديرة موافقا ثم ثنى ساقيه القصيرتين.

وقال وهو يريح نفسه فوق سرير (بيل) و(فلور): «أظن أن دواء إعادة نمو العظام قد أنهى عمله. ربما يمكننى النوم أخيرًا. اعذرونى...».

قال (هارى): «نعم بالطبع». ولكن قبل أن يغادر الغرفة انحنى إلى الأمام وأخذ سيف جريفندور من جانب القزم الأسطورى. لم يعترض (جريفوك)، ولكن (هارى) ظن أنه رأى الاستياء فى عينيه وهو يغلق الباب خلفه.

وهمس (رون): «ذلك الغبى القصير، إنه يستمتع بإبقائنا معلقين».

وهمست (هرميون) وهى تسحب كليهما بعيدًا عن الباب إلى وسط البسطة التى مازالت مظلمة: «(هارى)، هل تقول ما أعتقد أنك تقوله؟ هل تقول إنه يوجد هوركروكس فى خزنة (آل ليسترانج)؟».

قال (هارى): «نعم، ألم تر كم كانت (بيلاتريكس) مرعوبة حتى إنها فقدت السيطرة على نفسها عندما ظنت أننا كنا هناك؟ لماذا؟ ما الذى ظنت أننا رأيناه؟ ما الذى ظنت أننا قد نأخذه من هناك أيضًا؟ شىء كانت مفزوعة من أن يكتشفه (أنت ـ تعرف ـ من)».

قال (رون) بحيرة: «ولكننى ظننت أننا نبحث عن أماكن زارها (أنت ـ تعرف ـ من)، أماكن قام فيها بشىء مهم؟ هل كان يومًا داخل خزنة (آل ليسترانج)؟».

قال (هارى): «لا أعلم إن كان قد دخل إلى (جرينجوتس) من قبل أم لا،لم يكن لديه أى ذهب هناك عندما كان صغيرًا، فهو لم يرث شيئًا من أحد. ولكنه ربما رأى البنك من الخارج فى أول زيارة له لحارة دياجون».

اختلجت ندبة (هارى) بشدة، ولكنه تجاهلها، فقد أراد أن يشرح كل شيء عن (جرينجوتس) إلى (رون) و(هرميون) قبل أن يتحدثوا مع (أوليفاندور).

«أعتقد أنه ربما كان يحسد أى شخص يملك مفتاحًا لخزنة فى (جرينجوتس). وربما كان يراها كرمز حقيقى للانتماء إلى العالم السحرى. ولا تنسوا بأنه يثق فى (بيلاتريكس) وزوجها. فقد كانا من أكثر خدامه إخلاصًا قبل سقوطه، حتى إنهم ذهبوا يبحثون عنه بعد اختفائه. لقد سمعته يقول ذلك فى الليلة التى عاد فيها».

أخذ (هارى) يفرك ندبته.

وأكمل قائلاً: «لا أظن أنه أخبر (بيلاتريكس) أنه هوركروكس مع ذلك. فهو لم يخبر (لوشيوس مالفوى) قط بحقيقة المفكرة. ربما يكون قد أخبرها بأنه شيء ثمين من ممتلكاته، وطلب منها أن تضعه فى خزانتها. فـ (جرنجوتس) يعتبر أكثر مكان آمن فى العالم لتخفى فيه أى شيء، كما أخبرنى (هاجريد)... باستثناء (هوجوورتس) بالطبع».

وعندما أنهى (هارى) كلامه هز (رون) رأسه.

وقال: «إنك تفهمه جيدًا بالفعل».

قال (هارى): «قليلاً... إننى فقط أتمنى لو أننى فهمت (دمبلدور) بنفس القدر. سنرى، هيا لنذهب لرؤية (أوليفاندور)».

ظهرت الحيرة والإعجاب على (رون) و(هرميون) وهما يتبعانه عبر البسطة الصغيرة وطرقوا الباب المقابل لغرفة (بيل) و(فلور). وأجابهم صوت ضعيف قائلاً: «ادخل».

ووجدوا صانع العصى راقدًا على سرير مزدوج بعيدًا عن النافذة. كان (هارى) يعرف أنه ظل محبوسًا فى الزنزانة لمدة تزيد عن سنة، كما أنه عُذِّب لمرة واحدة على الأقل. وبدا شديد النحول، وقد برزت عظام وجهه بشدة من خلف جلده المصفر. وبدت عيناه الرماديتان ضخمتين فى محجريهما الغائرين، ويداه اللتان ترتاحان على البطانية وكأنها تخص هيكلاً عظميًا. وجلس (هارى) على السرير الفارغ، بجوار (رون) و(هرميون). ولم تكن الشمس المشرقة ظاهرة من هنا. كانت الغرفة تطل على الحديقة الموجودة على قمة المنحدر والقبر المحفور حديثًا.

قال (هارى): «أنا آسف لإزعاجك يا سيد (أوليفاندور)».

قال (أوليفاندور) بصوت ضعيف: «لقد أنقذتنا يا بنى العزيز، ظننت أننا سنموت فى ذلك المكان، لن أتمكن أبدًا من إيفائك حقك من الشكر... أبدًا».

«لقد أسعدنا ذلك».

وشعر (هارى) بوخز جديد فى ندبته. وعرف بصورة مؤكدة، أنه لا يملك الوقت الكافى ليسبق (فولدمورت) أو يمنعه من الوصول إلى هدفه. وشعر بالفزع... ولكنه كان قد اتخذ قراره عندما اختار أن يتحدث مع (جريفوك) أولاً. وتظاهر بهدوء لا يشعر به فعلاً، وسحب الجراب الذى يلبسه حول عنقه وأخرج نصفى عصاه المكسورة.

وقال: «سيد (أوليفاندور)، احتاج لبعض المساعدة».

قال صانع العصى بضعف: «أى شىء، أى شىء».

«هل تستطيع إصلاح هذه؟ هل هذا ممكن؟».

ومد (أوليفاندور) يده المرتجفة، ووضع (هارى) فى راحة يده جزئى العصا المكسورة المتصلين بالكاد.

قال (أوليفاندور) بصوت مرتعش: «خشب شجرة عيد الميلاد وريشة عنقاء، طولها إحدى عشرة بوصة، مرنة».

قال (هارى): «أجل، هل تستطيع؟».

همس (أوليفاندور): «لا، أنا آسف، آسف جدًا، إن العصا التى تتعرض لهذه الدرجة من الضرر لا يمكن إصلاحها بأية طريقة أعرفها».

ورغم أن (هارى) كان يتوقع سماع ذلك، فإنه شعر بصدمة مع ذلك. وأخذ نصفى العصا ووضعهما فى الجراب حول رقبته، وظل (أوليفاندور) يحدق فى المكان الذى اختفت فيه العصا المكسورة، حتى أخرج (هارى) من جيبه العصوين اللتين أتى بهما من منزل (آل مالفوى).

«هل يمكنك التعرف على هاتين؟».

أخذ صانع العصى العصا الأولى وقربها من عينيه الذابلتين وأخذ يديرها بين مفاصل أصابعه، ويثنيها بخفة.

وقال: «خشب شجر الجوز وأوتار قلب التنين، طولها اثنتا عشرة بوصة وثلاثة أرباع، بوصةً، صلبة. هذه العصا ملك (بيلاتريكس ليسترانج)».

«وهذه؟».

قام (أوليفاندور) بتفحص العصا الأخرى بنفس الطريقة.

وقال: «خشب زعرور برى، وشعرة حصان أحادى القرن، عشر بوصات بالضبط. معتدلة المرونة. كانت هذه عصا (دراكو مالفوى)».

كرر (هارى): «كانت؟! ألم تعد عصاه؟!».

«ربما لا إذا كنت قد أخذتها منه».

«لقد فعلت».

«إذن، ربما تكون قد أصبحت ملكا لك. إن ذلك يعتمد على الطريقة الذى أخذتها بها، بالطبع. وهناك الكثير يعتمد على العصا نفسها أيضًا. ولكن، بوجه عام، عادة ما يتغير ولاء العصا لتصبح ملكا لمن يكسبها».

وساد الصمت الغرفة، فيما عدا صوت هدير أمواج البحر البعيد.

قال (هارى): «إنك تتحدث عن العصى كما لو كان لديها مشاعر، كما لو أنها تستطيع التفكير بأنفسها».

قال (أوليفاندور): «العصا تختار الساحر. إن ذلك أمر شديد الوضوح لكل من درس علوم العصى السحرية».

سأل (هارى): «ولكن هل يستطيع استخدام عصا لم تختره بالرغم من ذلك؟».

«آه، بالطبع، لو كنت ساحرًا، ستكون قادرًا على تمرير سحرك خلال أى أداة تقريبًا. ولكن أفضل النتائج لا تأتى إلا من خلال الصلة الروحية القوية المتبادلة بين الساحر والعصا. إنها صلات معقدة. تبدأ بالتجاذب المبدئى، ثم الحاجة لتبادل الخبرة، العصا تتعلم من الساحر، والساحر يتعلم من العصا».

وبدا صوت أمواج البحر وهى ترتطم بالشاطئ ثم تنسحب صوتًا مُحزِنًا.

قال (هارى): «لقد انتزعت هذه العصا من دراكو مالفوى بالقوة، هل يمكننى استخدامها بأمان؟».

«أعتقد ذلك. إن القوانين التى تحدد ملكية العصا خادعة، ولكن عادة ما تسلم العصا المقهورة إرادتها لسيدها الجديد».

سحب (رون) عصا (وورمتيل) من جيبه وقال وهو يعطيها لأوليفاندور: «هل يمكننى استخدام هذه إذن؟».

«خشب الكستناء، وأوتار قلب التنين، تسع بوصات وربع، هشة. لقد أجبرت على صنعها بعد اختطافى بوقت قصير. من أجل (بيتر بيتيجر). نعم، إن كنت قد انتزعتها منه، فمن المحتمل أن تنفذ أوامرك، وربما ستفعل ذلك أفضل من أى عصا أخرى».

وسأل (هارى): «وينطبق ذلك على جميع العصى، أليس كذلك؟».

قال (أوليفاندور) وقد ثبَّت عينيه البارزتين على وجه (هارى): «أظن ذلك، إنك تسأل أسئلة عميقة يا سيد (بوتر). إن علوم العصى السحرية فرع معقد وغامض من فروع السحر».

وسأل (هارى): «إذن، ليس من الضرورى أن تقتل المالك السابق للعصا لكى تمتلكها؟».

ابتلع (أوليفاندور) ريقه.

وقال: «ضرورى؟ لا، لم أقل قط إنه من الضرورى أن تقتل».

قال (هارى): «هناك إساطير، أساطير عن عصا أو عصى تنتقل من يد إلى أخرى عن طريق القتل». تسارع نبض قلبه، وازداد الألم فى ندبته قوة. كان واثقًا أن (فولدمورت) قد قرر وضع فكرته قيد التنفيذ.

شحب وجه (أوليفاندور)، وأصبح رماديًا باهتًا، مقارنة بالوسادة شديدة البياض، واتسعت عيناه الضخمتان المحتقنتان وظهر فيهما الخوف.

وهمس: «عصا واحدة فقط، على ما أعتقد».

وسأل (هارى): «و(أنت ـ تعرف ـ من) مهتم بها، أليس كذلك؟».

صاح (أوليفاندور): «أنا؟! كيف؟». ونظر إلى (رون) و(هرميون) طلبًا للمساعدة، وأضاف: «كيف عرفت ذلك؟».

قال (هارى): «لقد أراد منك أن تخبره كيف يتغلب على الصلة التى تربط بين عصاه وعصاى».

ظهر الرعب على (أوليفاندور).

وقال: «لقد عذبنى، يجب أن تفهم هذا! استخدم تعويذة التعذيب، لم.. لم يكن لدى خيار إلا أن أخبره بما أعرفه، أو ما خمنته!».

قال (هارى): «أفهم ذلك، لقد أخبرته عن القلبين التوءم، وقلت له إن كل ما عليه أن يفعله هو استعارة عصا من ساحر آخر؟».

وظهر الرعب والصدمة على (أوليفاندور) من كم المعلومات التى يعرفها (هارى). وأومأ برأسه ببطء.

وأكمل (هارى) قائلاً: «ولكن ذلك لم يفلح، وهزمت عصاى العصا التى استعارها. أتعرف لماذا؟».

هز (أوليفاندور) رأسه بنفس البطء الذى أومأ به.

وقال: «أنا... لم أسمع قط من قبل عن شىء كهذا. لقد قامت عصاك بأداء شىء فريد فى تلك الليلة. إن الصلة بين القلبين التوءم شىء شديد الندرة، لكننى لا أعرف كيف دمرت عصاك العصا المستعارة، لا أعرف..».

«لقد كنا نتحدث عن العصا الأخرى، العصا التى تتناقل بين الأيدى عن طريق القتل. عندما أدرك (أنت ـ تعرف ـ من) أن عصاى قد فعلت شيئًا غريبًا، عاد وسألك عن العصا الأخرى، أليس كذلك؟».

«كيف تعرف هذا؟».

لم يجبه (هارى).

وهمس (أوليفاندور): «نعم، سألنى. أراد أن يعرف كل ما يمكننى إخباره به عن العصا المعروفة باسم عُصا الموت أو عصا القدر أو عصا الكبير».

ونظر (هارى) بطرف عينيه نحو (هرميون)، التى بدت مذهولة تمامًا.

قال (أوليفاندور) بصوت هادئ ينطق بالرعب: «كان سيد الظلام راضيا دائمًا بالعصا التى صنعتها له ـ خشب سدر جبلى، وريشة عنقاء، ثلاث عشرة بوصة ونصف ـ حتى اكتشف الصلة بين القلبين التوءم. إنه الآن يبحث عن عصا أخرى، أكثر قوة؛ لأنها الطريقة الوحيدة ليقهر عصاك».

قال (هارى) بهدوء: «ولكنه سيعرف قريبًا، إن لم يكن قد عرف بالفعل، أن عصاى تحطمت ولا أمل فى إصلاحها».

قالت (هرميون) مرعوبة: «لا! لا يمكنه أن يعرف ذلك يا (هارى)، كيف يمكنه؟».

قال (هارى): «بريورى إنكانتاتم، لقد تركنا عصاك وعصا البرقوق الأسود فى قصر مالفوى يا (هرميون). ولو قاموا بفحصهما جيدًا، وجعلوا يعيدون التعاويذ التى قاموا بها مؤخرًا، سيعرفون أن عصاك كسرت عصاى، وأنك حاولت إصلاحها وفشلت فى ذلك، وسيدركون أننى أستخدم عصا البرقوق الأسود منذ تلك اللحظة».

واختفى اللون الخفيف الذى كانت استعادته منذ وصولهم إلى هنا من وجهها مرة أخرى. ووجه (رون) نظرة تأنيب إلى (هارى) وقال: «دعنا لا نقلق بشأن ذلك الآن».

ولكن (أوليفاندور) قاطعه.

قائلاً: «إن سيد الظلام لم يعد يبحث عن عصا الكبير من أجل تدميرك فقط يا سيد (بوتر). إنه الآن مصمم على امتلاكها؛ لأنه يؤمن بأنها ستجعله ساحرًا لا يقهر».

«وهل ستفعل؟».

قال (أوليفاندور): «إن مالك عصا الكبير دائمًا ما يخشى محاولات السحرة الآخرين لانتزاعها منه، ولكن يجب أن أعترف أن فكرة امتلاك سيد الظلام لعصا الموت، فكرة... مخيفة».

وتذكر (هارى) فجأة كيف كان غير واثق، فى أول مرة رأى فيها (أوليفاندور)، إن كان صانع العصى قد أعجبه أم لا. وفكر أنه حتى الآن، وبعد كل ما تعرض له على يد (فولدمورت) من سجن وتعذيب، مازالت فكرة امتلاك ساحر الظلام لهذه العصا تفتنه بقدر ما تزعجه.

وسألته (هرميون): «أنت، أنت إذن تعتقد أن هذه العصا موجودة فعلاً يا سيد (أوليفاندور)؟».

قال (أوليفاندور): «آهٌ نعم. نعم، من الممكن جدًّا تتبع مسار العصا عبر التاريخ. هناك فجوات بالطبع، وبعضها طويل جدًّا، تختفى فيها العصا، وتظل ضائعة أو مخبأة مؤقتًا، ولكنها ما تلبث أن تعود للظهور مرة أخرى. إن لتلك العصا صفات معينة تجعلها تعرف الذين درسوا علوم العصى السحرية عليها سهلاً. كما أن هناك قصصًا مكتوبة، بعضها شديد الغموض، وقد استهوتنى أنا وبعض صانعى العصى الآخرين وقررنا دراستها. وتوصلنا إلى أنها حقيقية تمامًا».

سألت (هرميون) بأمل: «إذن أنت، أنت لا تظن أنها من الممكن أن تكون قصة خرافية أو أسطورة؟».

قال (أوليفاندور): «لا، ولكنى لا أعرف إن كان يجب أن تنتقل عن طريق القتل؟ إن تاريخها شديد الدموية، ولكن هذا قد يرجع ببساطة إلى حقيقة كونها شيئًا يرغب فيه الكثيرون بشدة، لدرجة أن الرغبة فى امتلاكها أصبحت هوسًا لديهم. إن هذه العصا ذات قوى هائلة، وتصبح فى منتهى الخطورة إذا وقعت فى الأيدى الخطأ، وهى فى نفس الوقت، مصدر افتتان لا يصدق لهؤلاء الذين يدرسون قوى العصى السحرية منا».

قال (هارى): «سيد (أوليفاندور)، لقد أخبرت (أنت ـ تعرف ـ من) أن (جريجوروفيتش) يملك العصا الكبيرة، أليس كذلك؟».

شحب (أوليفاندور) أكثر وأكثر، وبدا فى لون الشبح وهو يبلع ريقه.

وقال: «ولكن كيف ـ كيف عرفت ـ؟».

قال (هارى): «لا يهم كيف عرفت ذلك الآن، لقد أخبرت (أنت ـ تعرف ـ من) أن (جريجوروفيتش) لديه العصا». وأغلق عينيه للحظة، عندما اشتد الألم فى ندبته

ورأى، لثوان قليلة، الشارع الرئيسى فى (هوجسميد)، وهو ما زال مظلمًا؛ لأنها كانت فى أقصى شمال البلاد.

همس (أوليفاندور): «كانت هناك شائعة، شائعة قديمة، منذ سنوات بعيدة، قبل أن تولد بوقت طويل! أنا متأكد أن (جريجوروفيتش) نفسه هو الذى روجها. يمكنك أن تتخيل كيف سيكون ذلك جيدًا لعمله، لو عرف الناس أنه يدرس صفات عصا الكبير ويحاول صنع عصى مثلها!».

قال (هارى): «نعم، يمكننى فهم ذلك». ثم وقف على قدميه، وأضاف: «هناك شيء واحد أخيرًا أريد أن أسألك عنه يا سيد (أوليفاندور)، وبعدها سنتركك لكى ترتاح. ماذا تعرف عن مقدسات الموت؟».

سأل صانع العصى وهو يبدو محتارًا تمامًا: «عن ـ ماذا؟».

« مقدسات الموت».

«أخشى أننى لا أعرف عما تتكلم. هل لهذا علاقة بالعصى؟».

ونظر (هارى) إلى الوجه النحيل وصدق أنه لم يكن يمثل. وأنه لا يعلم أى شيء فعلاً عن مقدسات الموت.

قال (هارى): «شكرا لك، شكرًا جزيلاً. سنتركك الآن لترتاح قليلاً».

وظهر الانزعاج على (أوليفاندور).

وشهق قائلاً: «لقد كان يعذبنى! بتعويذة التعذيب... ليست لديك فكرة عما..».

قال (هارى): «أعرف، أعرف فعلاً. من فضلك استرح قليلاً. وشكرًا لك لإخبارى بكل هذا».

قاد (هارى) (رون) و(هرميون) إلى الأسفل. ولمح (بيل) و(فلور) و(لونا) و(دين) يجلسون حول مائدة فى المطبخ، وأكواب الشاى أمامهم. ونظروا جميعا إلى (هارى) عندما ظهر عند الباب، ولكنه أومأ لهم واستمر فى طريقه إلى الحديقة ومشى (رون) و(هرميون) خلفه. ورأى الرابية المنخفضة التى تغطى (دوبى) أمامهم، فاتجه (هارى) عائدًا إليها، بينما ازداد الألم فى جبينه أكثر وأكثر. وبذل مجهودًا خارقًا فى غلق عقله ضد الرؤى التى تفرض نفسها عليه، ولكنه كان يعلم أن عليه أن يصمد لمدة أطول بعض الشيء. وسيستسلم بعدها؛ لأنه يحتاج للتأكد من صحة نظريته. لابد أن يبذل بعض المجهود البسيط ويتحمل قليلاً حتى ينتهى من شرح الأمر لـ (رون) و(هرميون).

وقال: «كان (جريجوروفيتش) يملك العصا منذ وقت طويل، ولقد رأيت (أنت ـ تعرف ـ من) يحاول العثور عليه. وعندما وصل إليه، اكتشف أنه لم يعد يملكها،

بعد أن سرقها منه (جريندلوالد). كيف عرف (جريندلوالد) أن (جريجوروفيتش) يملكها، لا أعرف - ولكن لو كان (جريجوروفيتش) غبيًا بما يكفى ليروج تلك الشائعة، فلن يكون الأمر صعبًا لهذا الحد».

كان (فولدمورت) قريبًا من بوابات (هوجوورتس)، يستطيع (هارى) رؤيته واقفًا هناك، وأن يرى أيضًا المصباح المتأرجح فى ضوء ما قبل الفجر يقترب أكثر وأكثر.

«واستخدم (جريندلوالد) عصى الكبير ليصبح أكثر قوة. وفى قمة قوته، عندما عرف (دمبلدور) بأنه الوحيد القادر على إيقافه، قام بمبارزته وهزمه، وأخذ عصا الكبير».

قال (رون): «أخذ *(دمبلدور)* عصا الكبير؟ ولكن أين هى الآن إذن؟».

قال (هارى) وهو يناضل بكل قوته ليبقى معهم فى هذه الحديقة عند حافة الجرف: «فى (هوجوورتس)».

قال (رون) متعجلاً: «ولكن، لنذهب إلى هناك إذن! هيا يا (هارى)، دعنا نذهب ونحصل عليها قبل أن يفعل هو ذلك!».

قال (هارى): «فات الأوان لذلك». ولم يعد يستطيع التحمل أكثر، وقبض على رأسه بيديه، ليحاول مساعدتها على المقاومة، وأضاف: «إنه يعلم مكانها. وهو هناك الآن».

قال (رون) بغضب: «(هارى)! منذ متى وأنت تعرف هذا لماذا كنا نضيع الوقت؟ ما الذى جعلك تتحدث مع (جريفوك) أولاً؟ كنا نستطيع الذهاب - ما زال يمكننا الذهاب».

قال (هارى) وهو يركع على ركبتيه على الحشائش: «لا، (هرميون) على حق. لم يكن (دمبلدور) يريدنى أن أحصل عليها. أراد منى أن أعثر على الهوركروكسات».

صاح (رون): «إنها العصا التى لا تقهر يا (هارى)!».

«ليس من المفترض أن أحصل عليها... يجب أن أعثر على الهوركروكسات».

كان كل شىء حوله باردًا ومظلمًا، وقد بدت الشمس بالكاد مرئية عبر الأفق وهو يسير مع سناب، عبر الأراضى متوجهًا نحو البحيرة.

قال بصوته العالى البارد: «سأنضم إليك فى القلعة بعد قليل. اتركنى وحدى الآن».

انحنى له سناب وسار عائدًا عبر الطريق، وعباءته السوداء تتطاير خلفه. ومشى (هارى) متمهلاً، وانتظر حتى اختفى سناب تمامًا. ليس من شأن سناب، أو أى

شخص غيره أن يعرف المكان الذى سيذهب إليه. لم تكن هناك أى أضواء خارجة من نوافذ القلعة، وباستطاعته إخفاء نفسه... وفى لحظة وضع تعويذة إيهام حول نفسه، أخفته حتى عن عينيه هو.

وسار حول حافة البحيرة، فى ظل قلعته المحبوبة، مملكته الأولى، حقه بالوراثة...

ورأى ما يبحث عنه، رأى القبر الرخامى الأبيض بجوار البحيرة، وقد انعكست صورته على مياه البحيرة الداكنة. وفكر أنه لطخة غير ضرورية على الأراضى المألوفة. وشعر بتلك النشوة الخارجة عن السيطرة تسرى بداخله، هذه الرغبة القوية فى التدمير. ورفع عصاه المصنوعة من السدر الجبلى القديمة، من الجميل أن يكون هذا هو آخر عمل عظيم تؤديه عصاه.

وانشق القبر من الرأس حتى القدم. وبدا الشخص الملفوف فى الكفن بنفس الطول والنحول الذى كان عليه فى حياته. ورفع عصاه مرة أخرى.

وفتح الكفن. وظهر وجهه شبه شفاف، وشاحبًا، ونحيلاً، ولكنه مازال محتفظًا بشكله. ورأى نظارته مازالت موجودة فوق أنفه المكسور، وشعر بسخرية شديدة. كانت يدا (دمبلدور) مطويتين فوق صدره، ورآها هناك، تحت يديه، مدفونة معه.

هل تخيل هذا العجوز الأحمق أن الرخام أو الموت سيحمى العصا؟ هل فكر أن سيد الظلام سيخشى انتهاك حرمة قبره؟ وامتدت اليد التى تشبه العنكبوت، وسحبت العصا من قبضة (دمبلدور)، وما إن أخذها حتى انطلق شلال من الشرر من طرفها، وتساقط حول جثة سيدها السابق، وكأنها تعلن استعدادها لخدمة سيد جديد أخيرًا.

٢٥ كــوخ الأصــداف

كان كوخ (بيل) و(فلور) مكانًا منعزلاً جميلاً، يقف وحيدًا على قمة جرف يشرف على البحر، وقد غطيت حوائطه بالأصداف والكلس الأبيض. وكان (هارى) يمكنه سماع أصوات المد والجزر التى لا تنقطع فى كل مكان يذهب إليه داخل الكوخ الصغير أو حديقته، وكأنه صوتُ أنفاس مخلوق عظيم نائم. وقضى (هارى) معظم الأيام القليلة التالية وهو يختلق الأعذار للهروب من الكوخ المزدحم، متشوقًا لمنظر السماء المفتوحة والبحر الخالى من فوق قمة المنحدر والشعور بالريح المالحة الباردة فوق وجهه.

كانت جسامة قراره عدم مسابقة (فولدمورت) إلى العصا لا تزال تخيفه، إنه لا يستطيع أن يتذكر أنه اختار *ألا* يتصرف أبدًا من قبل. كانت لديه شكوك، شكوك لم يسع (رون) إلا أن يذكره بها فى كل مرة يجتمعان فيها معًا.

«ماذا لو أن (دمبلدور) أراد منا فهم ما يعنيه الرمز فى الوقت المناسب لنحصل على العصا؟». «ماذا لو أن فهمك للرمز يجعلك «جديرًا» بالحصول على مقدسات الموت؟». «لو كانت تلك فعلا هى عصا الكبير يا (هارى)، كيف يفترض أن نقضى على.. (أنت - تعرف - من)؟».

لم تكن لدى (هارى) أى إجابات: ومرت عليه لحظات تساءل فيها إن كان قراره ألا يمنع (فولدمورت) من فتح القبر جنونًا صريحًا. لم يستطع حتى صياغة تفسير مُرضى يوضح لماذا اتخذ قراره هذا، وفى كل مرة يحاول إعادة بناء الجدال الداخلى الذى قاده إلى اتخاذ هذا القرار، يبدو أكثر ضعفا.

والغريب فى الأمر هو أن دعم (هرميون) لقراره جعله يشعر بنفس الحيرة التى تشعره بها شكوك (رون)، خاصة أنها بعد أن اضطرت الآن للاعتراف بأن عصا الكبير حقيقية، أصرت على أنها شىء شرير، وأن الطريقة التى امتلكها بها (فولدمورت) مثيرة للاشمئزاز، ولا يجوز وضعها فى الاعتبار.

وكانت تكرر مرة بعد مرة: «لم تكن لتفعل ذلك أبدًا يا (هارى)، لم تكن لتستطيع فتح قبر (دمبلدور)».

ولكن ما كان يخيف (هارى) فعلا لم يكن جثة (دمبلدور) ولكن فكرة أن يكون قد أخطأ فى فهم قصد (دمبلدور) الحى. وشعر بأنه لا يزال يتلمس طريقه وسط الظلام، فرغم أنه قد اختار طريقه، فإنه لا يزال ينظر إلى الوراء، متسائلاً إن كان قد أخطأ فى قراءة العلامات، ويتساءل إن كان ينبغى عليه أخذ الطريق الآخر. وأحيانًا ما كان يتملكه الغضب من (دمبلدور)، عنيفًا مثل التى تضرب بعضها بعضًا وترتطم بسفح الجرف تحت الكوخ، وغضب لكون (دمبلدور) لم يشرح له كل ذلك قبل أن يموت.

وبعد ثلاثة أيام من وصولهم إلى الكوخ، قال (رون): «ولكن هل هو ميت فعلا؟». وكان (هارى) واقفًا يتطلع من فوق الجدار الذى يفصل الحديقة عن المنحدر، عندما عثر عليه (رون) و(هرميون)، وتمنى لو لم يجداه؛ لأنه لم يكن يرغب فى الانضمام إلى جدالهم.

«نعم، إنه ميت يا (رون). من *فضلك* لا تبدأ فى ذلك ثانية!».

وقال (رون) متكلمًا عبر (هارى) الذى استمر يحدق نحو الأفق: «انظرى إلى الحقائق يا (هرميون)، هناك الظبية الفضية، والسيف، والعين التى رآها (هارى) فى المرآة».

«إن (هارى) يقر أنه قد يكون تخيل وجود العين! أليس كذلك يا (هارى)؟».

قال (هارى) دون أن ينظر إليها: «ربما».

وسأله (رون): «ولكنك لا تظن ذلك فعلاً، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «نعم، لا أظن».

وقال (رون) بسرعة قبل أن تعترض (هرميون): «أرأيت! لو لم يكن ذلك (دمبلدور)، فسرى إذن كيف عرف (دوبى) بوجودنا فى هذه الزنزانة يا (هرميون)؟».

«لا أستطيع ـ ولكن هل يمكنك أنت أن تفسر كيف أرسله لنا (دمبلدور) بينما هو يرقد داخل قبره فى (هوجوورتس)؟».

«لا أعرف، ربما كان شبحه!».

قال (هارى): «لم يكن (دمبلدور) ليعود كشبح، لابد أنه استمر». هناك القليل من الأشياء التى يثق فى معرفتها عن (دمبلدور) ومنها أنه لن يكون شبحًا.

سأله (رون): «ما الذى تعنيه بأنه استمر؟»، ولكن قبل أن يستطيع (هارى) قول المزيد، سمعوا صوتًا خلفهم ينادى: «(هارى)».

ورأوا (فلور) وقد خرجت من الكوخ بينما شعرها الطويل الفضى يتطاير فى النسيم.

وقالت: «(هارى)، يريد (جريفوك) التحدث إليك. إنه فى غرفة النوم الصغرى، ويقول إنه لا يريد أن يسمعه أحد».

وبدا استياؤها من قيام القزم الأسطورى بإرسالها لتوصيل رسالته واضحا، فقد بدا عليها الغضب وهى تلتفت عائدة إلى الكوخ.

كان (جريفوك) فى انتظارهم كما قالت (فلور)، فى أصغر غرفة نوم من بين الغرف الثلاث الموجودة فى الكوخ، والتى اعتادت (هرميون) و(لونا) النوم فيها خلال الليل. ولاحظوا أنه أغلق الستائر القطنية الحمراء، حاجبًا السماء المشرقة كثيرة السحاب، مما أعطى الغرفة وهجًا ناريًا يختلف عن الجو المرح المشرق الذى يسود باقى الكوخ.

قال القزم الأسطورى، وهو يجلس على كرسى منخفض ويضع ساقًا فوق ساق وينقر على ذراعيه بأصابعه الطويلة: «لقد اتخذت قرارى يا (هارى بوتر)، رغم أن الأقزام الأسطوريين فى (جرينجوتس) سيعتبرون هذه خيانة عظمى، لكننى قررت مساعدتك».

قال (هارى) وهو يشعر بالارتياح يتدفق داخله: «هذا عظيم! شكرا لك يا (جريفوك)، إننا...».

قال القزم بحزم: «وفى مقابل ذلك، يجب أن تدفعوا لى».

تردد (هارى) وقد فوجئ قليلاً.

وقال: «كم تريد؟ لدى ذهب».

قال (جريفوك): «ليس الذهب. لدى ذهب».

رتألقت عيناه السوداوان، حتى لم يعد هناك أى بياض فيهما.

«أريد السيف. سيف (جودريك جريفندور)».

وتهاوت روح (هارى) المعنوية.

وقال: «لا أستطيع إعطاءك ذلك، أنا آسف».

قال القزم الأسطورى بنعومة: «إذن، فلدينا مشكلة».

قال (رون) بحماس: «نستطيع إعطاءك شيئًا آخر. أراهن أن خزنة (ليسترانج) تحتوى على الكثير من الأشياء، يمكنك أخذ ما تريده منها بمجرد دخولنا إليها».

استشاط (جريفوك) غضبًا، وقال: «لقد أخطأ فيما قاله».

وقال: «أنا لست لصًا يا ولد! أنا لا أحاول أخذ كنوز لا حق لى فيها!».

«السيف ملكنا».

قال القزم الأسطورى: «كلا، إنه ليس كذلك».

«نحن ننتمى لمنزل (جريفندور)، والسيف يخص (جودريك جريفندور)».

اعتدل القزم الأسطورى فى جلسته وصاح: «وقبل أن يكون ملك (جريفندور)، من الذى كان يملكه؟».

قال (رون): «لا أحد، لقد صنع خصيصا له، أليس كذلك؟».

وصاح القزم الأسطورى وهو يهتز من الغضب ويشير بإصبعه الطويل إلى (رون): «لا! عجرفة السحرة مرة أخرى! لقد كان هذا السيف ملكا لـ(راجنوك الأول)، وقد أخذه (جودريك جريفندور) منه! إنه كنز مفقود، تحفة رائعة صنعها الأقزام الأسطوريون! ومكانه معهم! السيف هو ثمن خدماتى، ولكم أن توافقوا على ذلك أو ترفضوا!».

حدق (جريفوك) فيهم. ونظر (هارى) إلى زميليه، ثم قال: «نحتاج إلى مناقشة هذا يا (جريفوك)، هل يمكنك أن تعطينا بضع دقائق؟ إذا سمحت».

أومأ القزم الأسطورى برأسه وقد بدا فظا.

وما إن دخلوا إلى غرفة الجلوس الخالية فى الأسفل، حتى اتجه (هارى) نحو المدفأة وقد عقد حاجبيه وهو يحاول التفكير فيما يجب عليه فعله، وأتى صوت (رون) من خلفه قائلاً: «إنه يمزح. لا يمكننا أن ندعه يأخذ السيف».

وسأل (هارى) (هرميون): «هل هذا صحيح؟ هل سرق (جريفندور) السيف؟».

قالت (هرميون) بيأس: «لا أعلم. إن التاريخ السحرى غالبًا ما يتغاضى عما يرتكبه السحرة فى حق الأجناس السحرية الأخرى، لكن ليس هناك كتاب أعرفه يذكر أن (جريفندور) سرق السيف».

قال (رون): «لابد وأنها واحدة من قصص الأقزام الأسطوريين التى تحكى عن محاولات السحرة الدائمة للتغلب عليهم. افترض أننا يجب أن نعتبر أنفسنا محظوظين بأنه لم يطلب واحدة من عصينا».

قالت (هرميون): «إن لدى الأقزام الأسطوريين أسبابًا وجيهة لكره السحرة يا (رون). لقد عُوملوا بوحشية فى الماضى».

قال (رون): «إنهم ليسوا جماعة من الأرانب الصغيرة اللطيفة أيضًا، أليس كذلك؟ لقد قتلوا الكثير منا. إنهم يحاربون بقذارة أيضًا».

«ولكننى أظن أن الجدل مع (جريفوك) حول أى جنس أكثر احتيالا أو وحشية لن يقنعه بمساعدتنا على كل الأحوال، أليس كذلك؟».

ومرت فترة صمت قصيرة، أخذ كل منهم يفكر فيها فى حل للمشكلة. ونظر (هارى) عبر النافذة إلى قبر (دوبى)، ووجد (لونا) تنسق بعض نباتات اللافندر البحرية فى برطمان بجوار شاهد القبر.

قال (رون): «حسنًا». واستدار (هارى) ليواجهه، وأكمل: «ما رأيكم بهذا؟ نقول لجريفوك أننا بحاجة إلى السيف حتى ندخل الخزنة، ثم يمكنه أخذه. يوجد داخل الخزنة سيف مزيف،أليس كذلك؟ نبدلهما، ونعطيه المزيف».

قالت (هرميون): «إنه يعرف الفرق أفضل منا يا (رون)! إنه الشخص الوحيد الذى أدرك أن السيف مزيف!».

«أجل، ولكن يمكننا أن نهرب قبل أن يدرك».

ولكن نظرة (هرميون) إليه جعلته يتوقف عن الكلام.

قالت بهدوء: «إن هذا عمل حقير. كيف نطلب مساعدته، ثم نخدعه؟ وأنت تتساءل عن سبب كره الأقزام الأسطوريين للسحرة يا (رون)؟».

تحولت أذنا (رون) إلَى اللون الأحمر.

وقال: «حسنًا، حسنًا! كان هذا الشيء الوحيد الذى خطر لى! ما الحل الذى تقترحينه إذن؟».

«نحتاج إلى عرض شيء آخر عليه، شيء له نفس القيمة».

«رائع، سأذهب لإحضار أحد سيوفنا الأثرية الأخرى التى صنعها الأقزام الأسطوريون ويمكنك لفها لنقدمها هدية له».

وساد الصمت بينهم مرة أخرى. كان (هارى) متأكدًا من أن القزم الأسطورى لن يقبل سوى السيف، حتى لو كان لديهم شيء قيمته مساوية له ليعرضوه عليه. وفى نفس الوقت، كان السيف سلاحهم الوحيد الذى لا يستطيعون التخلى عنه ضد الهوركروكسات.

وأغمض عينيه للحظة أو اثنتين وأخذ يستمع إلى صوت هدير البحر. كانت فكرة سرقة (جريفندور) للسيف غير سارة بالنسبة له، لقد كان دائمًا فخورا بانتمائه إلى منزل (جريفندور)، وكان (جريفندور) دائمًا بطل مواليد العامة، الساحر الذى تصدى لـ(سيلذرين) محب ذوى الدم النقى...

قال (هارى) وهو يفتح عينيه: «ربما كان (جريفوك) يكذب. ربما لم يقم (جريفندور) بسرقة السيف. كيف نعرف أن رواية القزم الأسطورى هى الحقيقية؟».

سألت (هرميون): «وهل يمثل ذلك أى فرق؟».

قال (هارى): «ستغير من شعورى نحو الأمر».

وأخذ نفسًا عميقًا.

«سنخبره بأننا سنعطيه السيف بعد أن يساعدنا للدخول إلى الخزنة، ولكننا سنتجنب بحرص إخباره متى بالضبط يمكنه الحصول عليه».

وتحول وجه (رون) إلى الابتسام ببطء، بينما ظهر الحذر على وجه (هرميون).
«(هاري)، لا يمكننا».
أكمل (هاري): «يمكنه أن يأخذه، بعد أن ننتهي من تدمير كل الهوركروكسات.
سأتأكد من حصوله عليه وقتها. سأفي بوعدي».
قالت (هرميون): «ولكن هذا يمكن أن يستغرق سنوات!».
«أعرف، ولكنه لا يحتاج لمعرفة ذلك. ولن أكون كاذبًا... فعلاً».
وقابل (هاري) عينيها بمزيج من التحدي والخجل. وتذكر الكلمات المحفورة على بوابة سجن (نورمينجارد): من *أجل المصلحة العامة*. ولكنه أبعد الفكرة عنه. ما الخيار الآخر أمامهم؟
قالت (هرميون): «لا أحب هذه الفكرة».
أقر (هاري): «ولا أنا».
قال (رون) وهو يقف: «حسنًا، أعتقد أنها فكرة عبقرية. هيا نذهب لنخبره».
وعادوا إلى الغرفة الصغيرة وقام (هاري) بتقديم عرضه الذي حاول صياغته بحذر بحيث لا يعطي أي موعد محدد لتسليم السيف. وظلت (هرميون) تنظر إلى الأرض عابسة وهو يتكلم، وشعر بالاستياء نحوها، وخشي أن تكشف لعبتهم. لكن عيني (جريفوك) لم تنظرا إلى أي شخص آخر سوى (هاري).
«هل تعدني يا (هاري بوتر)، بأنك ستعطيني سيف (جريفندور) إن قمت بمساعدتكم؟».
قال (هاري): «أجل».
وقال القزم الأسطوري وهو يمد يده: «إذن فلنتصافح على ذلك».
أمسك (هاري) بيده وصافحه. وتساءل إن كانت العينان السوداوان قد لاحظتا أي شيء يثير الشك في عينيه. ثم تخلى (جريفوك) عن يده، وصفق بيديه معًا وقال: «فلنبدأ إذن!».
وبدا الأمر أشبه بالتخطيط لاقتحام الوزارة من جديد. وبدءوا يعملون في غرفة النوم الصغرى، والتي ظلت نصف معتمة، بناء على رغبة (جريفوك).
وأخبرهم (جريفوك): «لقد زرت خزنة (ليسترانج) مرة واحدة فقط، في المرة التي طُلب مني فيها وضع السيف المزيف داخلها. إنها واحدة من أكثر الغرف قدمًا. إن العائلات السحرية العريقة تحفظ كنوزها في أعمق مستوى، حيث الخزائن الأكبر حجمًا والأفضل حماية..».

وبقوا محبوسين داخل الغرفة التى تشبه الدولاب لساعات وساعات كل يوم. وتحولت الأيام إلى أسابيع، وأخذوا يحلون مشكلة بعد مشكلة، لم يكن أسهلها أن مخزونهم من وصفة التخفى كان على وشك النضوب.

أمالت (هرميون) الزجاجة أمام المصباح لترى الكم الباقى من السائل الثقيل القوام الذى يشبه الطين وقالت: «يوجد ما يكفى شخصًا واحدًا فقط».

قال (هارى) الذى كان يفحص الخريطة التى رسمها (جريفوك) للممرات العميقة فى البنك: «سيكون هذا كافيًا».

وكان من الطبيعى أن يلاحظ السكان الآخرون لكوخ الأصداف أن هناك شيئًا ما يجرى، خاصة أن (هارى) و(رون) و(هرميون) لم يكونوا يظهرون إلا فى أوقات وجبات الطعام، لكنَّ أحدًا لم يسألهم أى أسئلة، رغم أن (هارى) كان يلاحظ نظرات (بيل) المليئة بالتفكير والقلق إلى ثلاثتهم عبر المائدة.

وشعر (هارى) بأن نفوره من القزم الأسطورى يزداد كلما قضى وقتًا أطول معه. خاصة أنهم اكتشفوا على غير توقع أن (جريفوك) متعطش للدماء، ويسخر من فكرة تعريض المخلوقات الأضعف للألم، كما بدا سعيدًا باحتمال قيامهم بإيذاء سحرة آخرين وهم فى طريقهم للوصول إلى خزنة (ليسترانج). وكان (هارى) يعرف أن الاثنين الآخرين يشاركانه شعوره، ولكنهم لم يناقشوا ذلك، فهم فى حاجة إلى (جريفوك).

كان القزم الأسطورى يتناول الطعام مع بقيتهم على مضض. فقد ظل حتى بعد شفاء ساقيه، يطلب حمل وجباته إلى غرفته، تمامًا مثل (أوليفاندور) الذى لا يزال واهنًا، حتى صعد (بيل) إليه فى أحد الأيام - بعد أن ثارت (فلور) بشدة - وأخبره بأن تلك الترتيبات لا يمكن أن تستمر. وهكذا انضم (جريفوك) إليهم حول المائدة المزدحمة، لكنه ظل يرفض تناول نفس الطعام، وأصر على أن يتناول بدلاً منه اللحم النيء والجذور وأنواعًا مختلفة من الفطر.

وشعر (هارى) بالمسئولية، فقد كان هو الذى أصر على بقاء القزم الأسطورى فى كوخ الأصداف، حتى يتمكن من استجوابه، كما أن خطأه هو الذى دفع (آل ويزلى) بأكملها إلى الاختباء، واضطر (بيل) و(فريد) و(جورج) والسيد (ويزلى) إلى ترك أعمالهم.

وقال لـ(فلور) وهو يساعدها فى إعداد العشاء فى إحدى ليالى أبريل العاصفة: «أنا آسف، لم أقصد أبدًا أن أجعلك تتحملين كل هذا».

كانت قد جعلت بعض السكاكين تعمل على تقطيع وتجهيز بعض شرائح لحم البقر من أجل (جريفوك) و(بيل) الذى أصبح يفضل اللحم دمويا منذ هاجمه

(جريباك)، وبينما كانت السكاكين تقطع الشرائح خلفها، خف التعبير الغاضب المرتسم على وجهها قليلاً.

وقالت: «لقد أنقذت حياة شقيقتى يا (هارى). لن أنسى ذلك أبدًا».

لم يكن هذا حقيقيًا تمامًا، ولكن (هارى) قرر عدم تذكيرها بأن (جابرييل) لم تكن أبدًا فى خطر حقيقى.

وأكملت (فلور) وهى توجه عصاها نحو إناء المرق الذى بدأ يغلى فوق الموقد: «على أى حال، سيغادر السيد (أوليفاندور) إلى منزل (موريل) هذا المساء، مما سيسهل الأمور. يمكن أن ينتقل القزم» وعلا العبوس وجهها عند ذكره، «إلى الأسفل، بينما تأخذ أنتِ و(رون) و(دين) هذه الغرفة».

قال (هارى): «لا مشكلة لدينا فى النوم فى غرفة المعيشة، لا تقلقى بشأننا». كان يعرف أن (جريفوك) لن يعجبه النوم على الأريكة، كما أن إبقاءه سعيدا ضرورىٌ لخطتهم، وعندما حاولت الاعتراض استطرد: «سنرحل قريبًا أيضًا، (رون) و(هرميون) وأنا. لن نحتاج إلى البقاء هنا طويلاً».

قالت وهى تعبس فى وجهه وعصاها موجهة نحو وعاء الطعام المعلق الآن وسط الهواء: «ولكن، ماذا تعنى؟ يجب ألا ترحلوا بالطبع، إنكم هنا فى أمان!».

وفكر أنها تبدو أشبه بالسيدة (ويزلى) إلى حد ما وهى تقول ذلك، وسره أن الباب الخلفى فتح فى تلك اللحظة، ودخلت (لونا) ومعها (دين) وقد ابتل شعرهما من الأمطار فى الخارج، بينما أيديهما محملة بالحطب.

كانت (لونا) تقول: «...وأذناه شديدة الصغر، يشبه فرس النهر قليلاً، كما أخبرنى أبى، لكن لونه بنفسجى ومشعر. وإذا أردت استدعاءه، فيجب أن تدندن، إنهم يفضلون الموسيقى الهادئة مثل الفالس مثلا، لا شىء سريع..».

وهز (دين) كتفيه لـ(هارى) وقد بدا غير مرتاح وهو يمر بجواره، ودخل وراء (لونا) إلى الغرفة التى تستخدم كغرفة جلوس وطعام معًا، ليجد (رون) و(هرميون) يجهزان مائدة الطعام. واستغل (هارى) الفرصة للهرب من أسئلة (فلور)، وحمل إبريقين من عصير القرع وتبعهما.

ووجد (دين) يضيف الحطب للمدفأة، بينما (لونا) تقول: «...لو تمكنت من المجىء إلى منزلنا يوما، سأريك القرن، لقد كتب لى أبى وأخبرنى عنه ولكنى لم أتمكن من رؤيته بعد، لأن آكلى الموت أخذونى من قطار (هوجوورتس) السريع ولم أعد للمنزل فى عيد الميلاد».

نـادتـهـا (هـرمـيـون): «(لـونـا)، لـقـد أخبرنـاك. لـقـد انـفـجـر ذلك الـقـرن. كـان قـرن (إيرومبيت)، وليس سنوركاك مجعد القرن..».

قـالـت (لونـا) بـهدوء: «لا، لقد كـان قرن سنوركـاك بـالتـأكيد، أبى أخبرنـى بذلك. ولابد أنه قد أعاد تشكيل نفسه الآن، إنهم يقومون بإصلاح أنفسهم كما تعرفين».

هزت (هرميون) رأسها واستمرت فى وضع الشوك على المائدة، بينما ظهر (بيل)، وهو يقود السيد (أوليفاندور) إلى أسفل السلم. كان صانع العصى لا يزال يبدو واهنًا بشدة، ويمسك بذراع (بيل) الذى كان يسنده، بينما يحمل حقيبة كبيرة فى يده الأخرى.

قـالـت (لونـا) وهـى تقترب من الرجل العجوز: «سأفتقدك كثيرا يـا سيد (أوليفـاندور)».

قـال (أوليفـاندور) وهو يربت على كتفها: «أنـا أيضًـا سأفتقدك يـا عزيزتـى. لقد كنت مصدرًا عظيما للراحة فى ذلك المكان الفظيع».

قـالـت (فلور) وهـى تقبل خديه: «أورفوار يـا سيد (أوليفـاندور)، أتساءل إن كـان يمكنك توصيل هذه اللفة إلى خالة (بيل)، (موريل)؟ لم أتمكن من إعادة تاجها إليها قطُّ».

قـال (أوليفـاندور) وهو ينحنـى انحنـاءة صغيرة: «سيكون ذلك شرفًا لى، أقل شىء يمكننى فعله مقابل ضيافتك الكريمة».

أخرجت (فلور) حافظة مخملية بالية وفتحتها لتريه لصانع العصى. كان التاج يتألق ويتلألأ فى ضوء المصباح المعلق على مستوى منخفض.

قـال (جريفوك) الذى انسل إلى الغرفة بدون أن يلحظه (هـارى): «أحجار القمر والماس، صنعه الأقزام الأسطوريون كما أعتقد؟».

رد (بيل) بهدوء: «ودفع ثمنه السحرة». ووجه إليه القزم نظرة غضب وتحدٍّ.

وعصفت رياح قوية بنوافذ الكوخ، بينما انطلق (بيل) و(أوليفـاندور) فى الظلام. وجلس الباقون حول المائدة، وقد التصقوا معًا، حتى لم تعد هناك مساحة كافية للحركة، وبدءوا يأكلون. وطقطقت النار فى المدفأة بجوارهم. ولاحظ (هـارى) أن (فلور) تلعب بطعامها، بدون أن تأكله. وتختلس النظر إلى النافذة كل بضع دقائق، ولكن (بيل) عاد قبل أن ينهوا الطبق الأول من وجبتهم، وقد تشابك شعره الطويل بفعل الريح.

وأخبر (فلور): «كل شىء على ما يرام، استقر (أوليفـاندور) هنـاك. أمى وأبى يرسلان لكم تحياتهما. وترسل (جينى) إليكم جميعًا حبها. (فريد) و(جورج) يدفعان (موريل) إلى الجنون، ولا يزالان يديران خدمة توصيل الطلبات بالبوم من غرفتها الخلفية. وقد فرحت باستعادة تاجها، وقالت إنها ظنت أننا سرقناه».

قالت (فلور) بعبوس: «آه، إن خالتك الكبرى هذه فاتنة». ولوحت بعصاها فارتفعت الأطباق المتسخة فى الهواء وتجمعت معًا، والتقطتهم وخرجت من الغرفة.

قالت (لونا): «لقد صنع أبى تاجا».

التقت عينا (رون) بـ (هارى) وهو يبتسم، وعرف (هارى) أنه تذكر غطاء الرأس المضحك الذى شاهدوه أثناء زيارتهم لـ(زينوفيليوس)».

«نعم، إنه يحاول إعادة صنع تاج (رافينكلو) المفقود، ويظن أنه حدد معظم عناصره الأساسية. وقد شكل إضافة أجنحة البيليويج فرقًا كبيرًا..».

وسمعوا خبطًا على الباب الأمامى. وأدار الجميع رءوسهم نحوه. وجاءت (فلور) مسرعة من المطبخ وقد ظهر عليها الخوف، وقفز (بيل) واقفًا ووجه عصاه نحو الباب، وفعل (هارى) و(رون) و(هرميون) مثله. وانزلق (جريفوك) بهدوء مختفيا تحت المائدة.

قال (بيل): «من هناك؟».

علا صوت على صوت عويل الريح: «إنه أنا، (ريموس جون لوبين)!». وشعر (هارى) بالقلق، ما الذى حدث؟ وأكمل الصوت: «أنا مستذئب، متزوج من (نيمفادورا تونكس)، وأنت، حافظ سر كوخ الأصداف، أخبرتنى بالعنوان وطلبت منى الحضور إليك فى الطوارئ!».

تمتم (بيل): «(لوبين)». وأسرع إلى الباب ليفتحه.

سقط (لوبين) على عتبة الباب. كان وجهه شديد البياض وهو ملفوف فى عباءة السفر التى يرتديها، وقد بعثرت الرياح شعره الرمادى. ووقف وأخذ يدير عينيه فى أنحاء الغرفة، ليرى من الموجود فيها ثم صاح بصوت عال: «إنه صبى! لقد أسميناه (تيد)، على اسم والد (دورا)!».

صرخت (هرميون).

«ما...؟ (تونكس)، (تونكس) وضعت الطفل؟».

صاح (لوبين): «نعم، نعم، لقد وضعت الطفل!»، وانطلقت صرخات الفرح، وتنهدات الراحة حول المائدة، وصاحت (هرميون) و(فلور) معًا: «تهانينا!». وقال (رون): «يا إلهى، طفل!». وكأنه لم يسمع عن شىء كهذا من قبل.

قال (لوبين) مرة أخرى: «نعم.. نعم.. صبى». كان يبدو مذهولا من شدة الفرحة. ودار حول المائدة واحتضن (هارى)، وكأن ما جرى بينهما فى قبو منزل شارع (جريمولد) لم يحدث قطُّ.

وقال وهو يحرر (هارى): «ستكون والده الروحى؟».
تلعثم (هارى): «أ.. أنا؟».
«نعم، نعم، بالطبع.. (دورا) موافقة تمامًا، ليس هناك من هو أفضل..».
«أنا.. أجل.. يا إلهى».
شعر (هارى) بالسعادة والدهشة والبهجة، وأسرع (بيل) لإحضار الشراب، وأخذت (فلور) تحاول إقناع (لوبين) بالانضمام إليهم فى الشرب.
والذى قال وهو يبتسم لهم جميعًا: «لا يمكننى البقاء طويلاً، يجب أن أعود. شكرا، شكرا لك يا (بيل)».. وبدا أصغر سنًّا بكثير عن أى مرة رآه فيها (هارى).
ملأ (بيل) الكئوس بسرعة، ووقفوا جميعًا ورفعوها عاليا فى نخب.
وقال (لوبين): «إلى (تيدى ريموس لوبين)، ساحر عظيم قادم فى الطريق!».
وسألته (فلور): «كيف يبدو؟».
«أعتقد أنه يشبه (دورا)، ولكنها تظن بأنه يشبهنى. ليس لديه شعر كثير. كان يبدو أسودَ عند ولادته، ولكنى أقسم أنه تحول إلى اللون الأحمر بعدها بساعة. وربما سيكون قد أصبح أشقر حين أعود. تقول (أندروميدا) إن شعر (تونكس) بدأ بتغيير لونه فى اليوم الذى ولدت فيه». وشرب كأسه، وأضاف مبتسما عندما ملأ (بيل) كأسه مرة أخرى: «أوه! حسنًا، سأشرب واحدًا آخر فقط».
وعصفت الرياح بالكوخ الصغير وطقطقت النيران فى المدفأة، وفتح (بيل) زجاجة شراب أخرى. وشعروا بأن الأخبار التى جاء بها (لوبين) قد أنستهم أنفسهم، وأخذتهم بعيدًا عن حالة الحصار التى يعيشون فيها، كان خبر ميلاد حياة جديدة مبهجًا للجميع، ماعدا القزم الذى بدا غير متأثر بالجو الاحتفالى المفاجئ، وانسل بعد برهة عائدا إلى غرفة النوم التى أصبح يشغلها وحده الآن. وظن (هارى) أنه الوحيد الذى لاحظ ذلك حتى رأى عينى (بيل) تتبعان القزم وهو يصعد السلم.
قال (لوبين) أخيرا، وهو يعتذر عن قبول كأس آخر من الشراب: «لا... لا... يجب أن أعود فعلاً». ووقف على قدميه ولف عباءة السفر حول نفسه وتابع: «وداعًا، وداعًا.. سأحاول إحضار بعض الصور بعد بضعة أيام.. سيكونون سعداء عندما يعرفون أنى رأيتكم..».
وزرر عباءته وودع الجميع، وصافحهم، ثم خرج إلى الليل العاصف بالخارج.
قال (بيل) لـ (هارى) وهما يدخلان إلى المطبخ معًا ليساعدا فى إخلاء المائدة: «والد روحى يا (هارى)! إنه شرف عظيم! تهانينا!».

وبينما يضع (هارى) الكئوس الفارغة التى يحملها، أغلق (بيل) الباب وراءه، فلم يعودا يسمعان أصوات الآخرين العالية، والذين كانوا لا يزالون يحتفلون حتى بعد ذهاب (لوبين).

قال (بيل): «أريد التحدث معك على انفراد يا (هارى). ولم يكن ذلك سهلا، والكوخ مزدحم بالناس بهذا الشكل».

تردد (بيل).

«إنكم تخططون شيئًا مع (جريفوك) يا (هارى)».

لم يكن هذا سؤالاً، بل استيضاحًا؛ لذلك لم يزعج (هارى) نفسه بالإنكار. ووقف ينظر إلى (بيل)، منتظرًا ما سيقوله بعد.

قال (بيل): «إننى أعرف الأقزام الأسطوريين جيدا. لقد عملت فى (جرينجوتس) منذ تخرجى فى (هوجوورتس). ورغم صعوبة وجود صداقة حقيقية بين السحرة والأقزام الأسطوريين، فإن لى أصدقاء بينهم - أو على الأقل، هناك أقزام أسطوريون أعرفهم جيدا، وأحبهم». وتردد (بيل) مرة أخرى، ثم أضاف: «ماذا تريد من (جريفوك) يا (هارى)، وما الذى وعدته به مقابله؟».

قال (هارى): «لا أستطيع إخبارك بذلك، آسف يا (بيل)».

فتح الباب وراءهما، ودخلت (فلور) وهى تحمل المزيد من الكئوس الخالية.

قال (بيل): «انتظرى، للحظة فقط».

تراجعت وأغلقت الباب خلفها مرة أخرى.

وأكمل (بيل): «إذن، يجب أن أقول لك هذا، إذا عقدت أى نوع من الصفقات مع (جريفوك)، وخاصة إن كانت هذه الصفقة تتضمن كنزا، فيجب أن تكون فى غاية الحذر؛ لأن مفاهيم الملكية والدفع والسداد عند الأقزام الأسطوريين تختلف عن مفاهيم البشر لها».

وشعر (هارى) بعدم الراحة، كما لو أن أفعى صغيرة تتحرك بداخله.

وسأله: «ماذا تعنى؟».

قال (بيل): «إننا نتكلم عن سلالة أخرى من الكائنات، لقد ظلت التعاملات بين السحرة والأقزام الأسطوريين مفعمة بالمشاكل لقرون - ولكنك تعرف كل ذلك من قراءتك لتاريخ السحر. كانت هناك أخطاء من كلا الجانبين، لا يمكننى الادعاء بأن السحرة أبرياء. ولكن على كل حال، هناك اعتقاد لدى بعض الأقزام الأسطوريين، وربما يكون العاملون فى (جرينجوتس) أكثر إيمانا به، وهو أنه

لا يمكن الثقة فى السحرة فى المسائل المتعلقة بالذهب والكنوز، وأنهم لا يحترمون ملكية الأقزام الأسطوريين».

قال (هارى): «أنا أحترم...»، ولكن (بيل) هز رأسه.

«إنك لا تفهم يا (هارى)، لا أحد يستطيع فهم ذلك ما لم يكن قد عاش مع الأقزام الأسطوريين. فهم يؤمنون بأن صانع الشيء هو صاحب الحق فيه والمالك الحقيقى له، وليس مشتريه. وينظرون إلى الأشياء التى صنعها الأقزام الأسطوريون على أنها حق لهم وحدهم».

«ولكن إذا كان قد تم شراؤها...».

«...يعتبرونها مستأجِرة لمن دفع المال؛ ولذلك لا يتقبلون فكرة تناقل الأشياء التى صنعها الأقزام الأسطوريون بين السحرة بسهولة. لقد رأيت وجه (جريفوك) عندما رأى التاج ينتقل أمام عينيه. إنه لا يوافق على ذلك. وأنا واثق أنه يعتقد، كمعظم أبناء جنسه، أن التاج كان يجب أن يعود إلى الأقزام الأسطوريين بمجرد أن يموت مشتريه الأصلى. إنهم يعتبرون عاداتنا بالاحتفاظ بالأشياء التى صنعها الأقزام الأسطوريون وانتقالهم من ساحر إلى آخر دون دفع المزيد من المال، شيئًا لا يكاد يختلف كثيرًا عن السرقة».

وبدأ (هارى) يشعر بالقلق، وتساءل إن كان (بيل) قد خمن أكثر مما قاله.

وقال (بيل) وهو يضع يده على الباب المؤدى لغرفة الجلوس: «كل ما أريد قوله، هو أنك يجب أن تكون شديد الحذر عندما تقطع على نفسك عهدا للأقزام الأسطوريين يا (هارى). فاقتحام (جرينجوتس) أقل خطرًا من إخلافك لوعد وعدته لقزم أسطورى».

قال (هارى) و(بيل) يفتح الباب: «هذا صحيح، نعم. شكرًا لك. سأضع هذا فى اعتبارى».

وبينما تبع (بيل) عائدا إلى الآخرين، خطرت بباله فكرة غريبة، أتته بلا شك من تأثير الشراب. وفكر فى أنه ربما سيكون والدًا روحيًا متهورًا لـ(تيد لوبين)، تمامًا كما كان (سيريوس بلاك) بالنسبة إليه.



٢٦ (جريـنجـوتــس)

وانتهوا أخيرًا من وضع خططهم وأكملوا استعداداتهم. ووضعت الشعرة السوداء المجعدة الطويلة التى استخلصوها من السترة التى كانت (هرميون) ترتديها فى قصر (مالفوى) داخل قارورة زجاجية صغيرة على رف المدفأة فى حجرة النوم الصغرى.

وقال (هارى) وهو يومئ إلى العصا المصنوعة من خشب الجوز: «وسوف تستخدمين عصاها الحقيقية، أظن أنك ستكونين مقنعة تمامًا».

وبدت (هرميون) خائفة من أن تقوم العصا بلدغها أو عضها وهى تلتقطها.

وقالت فى صوت خفيض: «إننى أكره هذا الشىء، أكرهها فعلاً، وأشعر أنها لا تلائمنى، ولن تعمل جيدًا معى... إنها جزء *منها*».

وتذكر (هارى) على الفور كيف كانت (هرميون) تستنكر نفوره من عصا البرقوق الأسود، وتصر على أنه يتخيل أشياء عندما لم تعمل معه بصورة جيدة مثل عصاه، وكيف أخذت تقول له إن كل ما عليه هو التدريب على استخدامها، لكنه فضل ألا يعيد عليها نفس نصيحتها مع ذلك، فلم تكن عشية هجومهم على (جرينجوتس) اللحظة المناسبة لمضايقتها على أية حال.

وقال (رون): «ولكنها سوف تساعدك على الاندماج فى الشخصية، على أية حال. فكرى فيما فعلته هذه العصا!».

قالت (هرميون): «ولكن هذا ما قصدته بالتحديد! هذه هى العصا التى عذبت والد (نيفيل) ووالدته، ومن يدرى كم آخرون؟ إن تلك العصا هى التى قتلت (سيريوس)!».

لم يفكر (هارى) فى ذلك من قبل. ونظر إلى العصا وتملكته نزعة وحشية لاختطافها وقطعها إلى نصفين بسيف (جريفندور) الذى كان مسندًا على الحائط بجواره.

وقالت (هرميون) فى أسى: «إننى أفتقد عصاى، كم أتمنى لو أن السيد (أوليفاندور) يستطيع صنع واحدة أخرى لى أنا أيضًا».

كان السيد (أوليفاندور) قد أرسل عصا جديدة، هذا الصباح، إلى (لونا)، والتى كانت حاليًا تختبر قدرتها فى فترة ما بعد الظهر، فى الحديقة الخلفية، بينما وقف (دين)، والذى فقد عصاه أيضًا بعد أن أخذها منه الخطافون، يراقبها بحزن.

ونظر (هارى) إلى العصا المصنوعة من خشب شجر الزعرور البرى، والتى كانت يوما ما تخص (دراكو مالفوى). كان مسرورا، على الرغم من دهشته، عندما اكتشف أنها تعمل جيدًا معه، على الأقل مثلما كانت عصا (هرميون) تفعل. وتذكر (هارى) ما قاله السيد (أوليفاندور) عن أسرار العصى السحرية، وظن أنه يعرف مشكلة (هرميون) فهى لم تكسب ولاء عصا الجوز لها بأخذها شخصيًا من (بيلاتريكس).

انفتح باب غرفة النوم ودخل (جريفوك). وأمسك (هارى) مقبض السيف بصورة تلقائية وسحبه نحوه. ولكنه سرعان ما ندم على ذلك، فقد كان متأكدًا أن القزم الأسطورى قد لاحظ حركته. وقال محاولاً التغطية على اللحظة المحرجة: «لقد كنا نراجع عتادنا للمرة الأخيرة يا (جريفوك)، لقد أخبرنا (بيل) و(فلور) أننا سنرحل غدا وقلنا لهما أن ليس عليهما النهوض لتوديعنا».

والحقيقة أنهم كانوا حازمين فيما يخص هذه النقطة؛ لأن (هرميون) يجب أن تتحول إلى (بيلاتريكس) قبل أن يرحلوا، كما أنه كلما قل ما يعرفه (بيل) و(فلور) عما ينوون فعله، كان ذلك أفضل. وقد أوضحوا لهم أيضًا أنهم لن يعودوا مرة أخرى. وقام (بيل) بإعارتهم خيمة أخرى بدلاً من خيمة (بيركنز) القديمة التى فقدوها فى الليلة التى أمسكهم فيها الخطافون، وهى موضوعة الآن داخل الحقيبة المطرزة، التى انبهر (هارى) عندما عرف أن (هرميون) قد قامت بحمايتها من الخطافين بطريقة بسيطة للغاية، بأن خبأتها داخل جوربها.

وبالرغم من أنه شعر بأنه سيفتقد (بيل) و(فلور) و(لونا) و(دين)، بالإضافة إلى راحة البيت التى تمتع بها خلال الأسابيع الأخيرة، فإنه كان يتطلع إلى الهروب من الحبس الذى شعر به فى كوخ الأصداف، بعد أن أتعبته محاولاته المستمرة للتأكد من أن لا أحد يسمعهم، وضاق صدره من السجن فى غرفة النوم الضيقة المظلمة. والأهم من ذلك كله، أنه يتشوق إلى التخلص من (جريفوك)، لكنه لم يكن يعرف بعد متى وكيف سيتخلصون من القزم الأسطورى دون أن يسلموه سيف (جريفندور). كان من المستحيل أن يقرروا كيف سيفعلون ذلك لأن القزم نادرًا ما كان يترك (هارى) و(رون) و(هرميون) وحدهم لأكثر من خمس دقائق كل مرة.

وقال (رون) متذمرًا: «يمكنه أن يعطى والدتى دروسًا». عندما ظلت أصابع القزم الأسطورى الطويلة بالظهور حول حواف الأبواب بلا انقطاع. وقد جعل تحذير (بيل)، (هارى) يشعر أن (جريفوك) يراقبهم تحسبًا لأى محاولة لخداعه. وكانت (هرميون) ترفض بشدة تلك الخدعة المزدوجة، حتى إن (هارى) يئس من أن تمنحه فكرة جيدة حول كيفية القيام بها. بينما لم يسع (رون)، خلال المرات النادرة التى أمكنهم التحرر فيها من (جريفوك) لدقائق قليلة، سوى أن يقول: «علينا أن نهرب بطريقة ما يا صديقى».

لم ينم (هارى) جيدًا هذه الليلة وظل مستيقظًا حتى الساعات الأولى من الليل وهو يفكر فى الشعور الذى عايشه فى الليلة التى سبقت تسللهم إلى وزارة السحر. تذكر كيف شعر بالتصميم والإثارة. ولكنه الآن يعانى هزات من القلق والشكوك الملحة، ولا يستطيع التخلص من خوفه من فشل خططهم. وأخذ يقول لنفسه أن خطتهم جيدة وأن (جريفوك) يعلم جيدًا ما سيواجهون وأنهم مستعدون جيدًا للصعوبات التى قد تواجههم، لكنه ظل يشعر بالقلق. وسمع (رون) يتحرك فى فراشه مرة أو مرتين وكان متأكدًا أنه لا يزال مستيقظا أيضًا ولكنهما كانا يتشاركان فى غرفة الجلوس مع (دين)، لذلك لم يتكلم (هارى).

وعندما جاءت الساعة السادسة تنفسا الصعداء وخرجا من حقيبتى النوم وارتديا ملابسهما فى الظلام، ثم تسللا إلى الحديقة حيث المكان المتفق عليه لمقابلة (هرميون) و(جريفوك). وكان هواء الفجر باردًا ولكن رياح شهر مايو بدت خفيفة. وأخذ (هارى) ينظر إلى النجوم التى تتلألأ بضعف فى السماء المظلمة ويستمع إلى صوت أمواج البحر وهى تندفع إلى الأمام والخلف نحو صخور الجرف، وشعر أنه سيفتقد هذا الصوت.

ورأى براعم خضراء صغيرة نابتة فوق التربة الحمراء لقبر (دوبى) الآن، وفكر أنه فى هذا الوقت من العام القادم ستكون مغطاة بالزهور. ولاحظ أن الحجر الأبيض الذى يحمل اسم القزم قد بدأ يتحلل بفعل العوامل الجوية، وأدرك الآن أنهم لا يمكن أن يختاروا مكانا أجمل من هذا ليرقد فيه (دوبى) ولكن (هارى) شعر بالأسى لفكرة أنه سيتركه خلفه ويرحل. وأخذ ينظر إلى القبر ويتعجب كيف عرف القزم مكانهم وأتى لينقذهم. وتحركت أصابعه دون وعى منه إلى الجراب الصغير الذى كان لا يزال معلقًا حول رقبته وأخذ يتحسس قطعة المرآة المكسورة، التى كان على تمام الثقة من أنه رأى فيها عين (دمبلدور). ثم سمع صوت باب يفتح، ونظر حوله.

ووجد (بيلاتريكس ليسترانج) تقطع المرج متجهة نحوهم ومعها (جريفوك). وبينما تسير، كانت تضع الحقيبة الصغيرة المطرزة داخل أحد الجيوب الداخلية للملابس القديمة التى أخذوها من قصر جريمولد. ورغم أن (هارى) كان يعرف جيدًا أنها (هرميون)، فإنه لم يستطع كبت رجفة الكراهية التى اعتلته. كانت أطول منه وقد انسدل شعرها متموجًا خلف ظهرها، بينما عيناها ذواتا الجفنين الثقيلين ترمقانه بترفع كلما استقرتا عليه. ولكنها عندما تكلمت، سمع (هرميون) من خلال صوت (بيلاتريكس) الخفيض.

«إن مذاقها مقزز للغاية وأسوأ من جذور الجوردى! تعال إلى هنا يا (رون) حتى أقوم بتجهيزك..».

«حسنًا، ولكن تذكرى أنى لا أحب اللحية الطويلة».

«أوه، بحق السماء، ليس هدفى أن تبدو وسيمًا».

«ليس هذا ما أعنيه، فأنا أبدو وسيمًا فى كل أحوالى، ولكننى أرغب أن يبدو أنفى أقصر قليلاً.. حاولى أن تجعليه مثل المرة السابقة».

تنهدت (هرميون) وبدأت العمل وأخذت تغمغم وهى تغير معالم وجه (رون). كان عليها أن تعطيه هوية زائفة تمامًا، حيث سيعتمدون على جو الكره الذى يحيط (بيلاتريكس) كغطاء له. وفى هذه الأثناء، سيختفى (هارى) و(جريفوك) تحت عباءة الإخفاء.

وقالت (هرميون): «لقد انتهيت، كيف يبدو شكله يا (هارى)؟».

وشعر (هارى) أنه يستطيع تمييز (رون) تحت تنكره، لكنه فكر أن سبب ذلك أنه يعرفه جيدًا جدًا. كان شعر (رون) قد أصبح طويلاً ومتموجًا وله لحية بنية كثيفة وشارب وأنف قصير مفلطح وحاجبان كثيفان وقد زال النمش من وجهه تمامًا.

وقال (هارى): «حسنًا، إنه ليس نوعى المفضل ولكنه سيؤدى الغرض، هل نذهب الآن؟».

وألقى الثلاثة نظرة للخلف نحو كوخ الأصداف، القابع فى ظلام وسكون أسفل تلك النجوم الخافتة، ثم استداروا وتابعوا السير نحو المكان خلف السور الذى تنتهى عنده تعويذته السرية حيث سيكون بإمكانهم الانتقال آنيًا. وبمجرد أن عبروا البوابة، تكلم (جريفوك).

«يجب أن أتسلق ظهرك الآن يا (هارى بوتر)، كما أعتقد».

وانحنى (هارى) وتسلق القزم الأسطورى ظهره وشبك يديه على حنجرة (هارى). لم يكن ثقيلاً ولكن (هارى) لم يسترح للشعور به فوق ظهره والقوة الفجائية التى يمسك بها رقبته. وأخرجت (هرميون) عباءة الإخفاء من الحقيبة المطرزة وألقت بها عليهما معًا.

وقالت وهى تميل قليلاً لتتحقق من أن قدم (هارى) مغطاة: «رائع، لا يمكننى رؤية أى شيء، هيا نذهب».

واستدار (هارى) فى مكانه و(جريفوك) فوق كتفيه وأخذ يركز بكل قوته على المرجل الراشح؛ الحانة التى تمثل مدخلا لحارة (دياجون). وازداد تعلق القزم الأسطورى بعنق (هارِى)، عندما دخلا إلى الظلام الضاغط. ومرت ثوانٍ، وجدت قدما (هارى) بعدها الرصيف وفتح عينيه ليجد نفسه فى شارع (شارنج كروس). ومر بعض العامة مسرعين وعلى وجوههم شعور خمول الصباح الباكر وهم غير مدركين لوجود تلك الحانة الصغيرة.

وكانت حانة المرجل الراشح خالية تقريبًا. ورأوا صاحبها (توم) ذلك الأحدب، عديم الأسنان يقف خلف طاولة البار يلمع نظارته. ونظر اثنان من السحرة كانا يتحدثان باهتمام فى أحد الأركان نحو (هرميون) ثم تراجعا إلى الظل.

وتمتم توم: «مدام (ليسترانج)». وأحنى رأسه بخنوع، بينما تمر به (هرميون).

وردت (هرميون): «صباح الخير». ولاحظ (هارى) نظرة توم المندهشة وهو يمر بجواره، بينما لا يزال يحمل (جريفوك) تحت العباءة.

وهمس فى أذن (هرميون) وهم يتجه خارجا من الحانة إلى الفناء الخلفى الصغير: «تهذيب زائد، يجب أن تعاملى الناس كما لو كانوا مجرد حثالة!».

«حسنًا، حسنًا!».

وسحبت (هرميون) عصا (بيلاتريكس) ودقت على حجر فى الحائط الغريب الموجود أمامهم. وإذا بالأحجار تدور وتتحرك حتى ظهرت فتحة فى وسط الحائط، أخذت تتسع وتتسع حتى شكلت المدخل المقبب الذى يقود إلى الشارع الضيق المبلط المسمى بحارة (دياجون).

كان الهدوء يسود المكان، فموعد فتح المحال قد حان بالكاد، ولا يوجد سوى عدد قليل جدًا من المتسوقين. وشعر (هارى) أن الشارع الصاخب المزدحم الملتوى المرصوف الذى زاره لأول مرة قبل أول سنة دراسية له فى (هوجوورتس) قد تغير تمامًا. أغلقت الكثير من المحال، وافتتحت بدلاً منها

الكثير من المحال المتخصصة فى فنون السحر الأسود، بينما طالعه وجهه من الملصقات المثبتة على الكثير من نوافذ العرض بالمحال وقد كتب تحتها دائمًا، غير *المرغوب* فيه رقم *1* .

ورأوا حشدًا من الناس يرتدون ملابس رثة ويجلسون فى المدخل. وسمعهم يتوسلون إلى المارة القلائل ويطلبون منهم الذهب، بينما يصرون على أنهم سحرة وكان أحدهم يضع عصابة ملوثة بالدماء على إحدى عينيه.

وما إن بدءوا يتقدمون فى الشارع، حتى بدا أن الشحاذين يتبخرون أمامها. كانوا يغطون وجوههم ويفرون بأسرع ما يمكنهم، بمجرد أن يلمحوا (هرميون)، التى أخذت تراقبهم بفضول حتى أتى الرجل ذو العصابة الملوثة بالدماء واعترض طريقها.

وقال بصوت عال مشيرًا إليها: «أولادى! أين أولادى؟ ماذا فُعِلَ بهم؟ أنتِ تعلمين، *أنتِ تعلمين!*». كان صوته أجش ونبراته حادة ويبدو فى حالة اضطراب شديد.

وتلعثمت (هرميون): «أنا.. أنا حقًا...».

واندفع الرجل نحوها وأمسك بعنقها. ولكن ضوءًا أحمر ضربه ودفعه على الأرض فاقد الوعى. ووقف (رون) ولا تزال عصاه ممدودة أمامه، بينما ارتسمت على وجهه تحت لحيته نظرة ذهول. وظهرت وجوه خلف نوافذ العرض من جانبى الشارع، بينما أسرعت مجموعة صغيرة من المارة المتفرجين مهرولة بعيدًا عن المكان.

لا يمكن أن يكون دخولهم لحارة (دياجون) أكثر روعة واجتذابًا للأنظار من هذا. وتساءل (هارى) للحظة عما إذا كان من الأفضل لهم أن يرحلوا الآن ويفكروا فى خطة أخرى. وقبل أن يتحركوا أو يتشاوروا مع بعضهم البعض، سمعوا نداءً من خلفهم.

«لماذا يا مدام (ليسترانج)؟».

واستدار (هارى) للخلف وأمسك (جريفوك) بعنقه بشدة أكبر. ووجد ساحرًا طويلاً نحيلاً، ذا شعر رمادى كثيف وأنف طويل حاد، يتجه نحوهم فى خطا واسعة.

وهمس القزم الأسطورى فى أذن (هارى): «إنه (ترافرز)». ولكن (هارى) فى هذه اللحظة لم يدرك من هو (ترافرز). ورفعت (هرميون) هامتها وقالت فى أقصى درجة ازدراء استطاعت أن تظهرها: «ماذا تريد؟».

وتوقف (ترافرز) عن السير وقد بدا مهانًا.

وشمس (جريفوك): «إنه أحد آكلى الموت!». وانزلق (هارى) جانبًا ليكرر المعلومة على مسمع (هرميون).

وقال (ترافرز) ببرود: «لقد أردت أن أحييك فقط، ولكن إذا كان وجودى غير مرغوب فيه..».

وتعرف (هارى) على صوته وأدرك أنه أحد آكلى الموت الذين تم استدعاؤهم إلى منزل (زينوفيليوس).

وقالت (هرميون) بسرعة محاولة أن تغطى خطأها: «لا، لا، أبدًا يا (ترافرز)، كيف حالك؟».

«بخير، أعترف أننى مندهش أن أراكِ فى الخارج هنا يا (بيلاتريكس)..».

وتساءلت (هرميون): «حقًا؟ لماذا؟».

وقال (ترافرز) وهو يسعل: «سمعت أن سكان قصر (مالفوى) محجوزون هناك بعد الـ...آه... هروب..».

وتمنى (هارى) أن تظل (هرميون) محتفظة بأعصابها. لو كان هذا صحيحًا فإن (بيلاتريكس) يجب ألا تسير فى الخارج على الملأ.

وقالت (هرميون) فى تقليد رائع لأسلوب (بيلاتريكس) الملىء بالازدراء: «إن سيد الظلام يسامح الذين خدموه بإخلاص فى الماضى، ربما رصيدك لديه ليس مثل رصيدى يا (ترافرز)».

وظهر الغضب على آكل الموت، لكنه بدا أقل تشككًا. ونظر إلى الرجل الذى صعقه (رون).

«كيف أزعجك هذا؟».

ردت (هرميون) ببرود: «لا يهم، فهو لن يفعل ذلك ثانية».

قال (ترافرز): «إن بعض الذين لا يحملون العصى قد يكونون مثيرين للمتاعب. ليس لدى اعتراض إذا كان كل ما يفعلونه هو التسول، ولكن إحداهن طلبت إلىَّ الأسبوع الماضى أن أدافع عن قضيتها فى الوزارة». وأخذ يقول بصوت كالصرير مقلدًا إياها: «*إننى ساحرة يا مولاى.. إننى ساحرة.. دعنى أثبت لك هذا!*». وكأنى سوف أترك لها عصاى». ثم تساءل فى فضول: «ولكن عصا من التى تستعملينها الآن يا (بيلاتريكس)؟ لقد سمعت أن عصاك...».

وردت (هرميون) ببرود وهى ترفع عصا (بيلاتريكس): «إن عصاى معى هنا. لا أعرف ما تلك الشائعات التى كنت تسمعها يا (ترافرز)، ولكن للأسف يبدو أنه قد وصلتك معلومات خاطئة».

وبدا (ترافرز) مفاجَأً واستدار إلى (رون).

وقال: «ومن هو صديقك؟ أنا لا أعرفه».

وردت (هرميون): «إنه دراجومير ديسبارد». كانوا قد قرروا أن شخصية خيالية أجنبية ستكون أكثر أمنا كغطاء لـ (رون)، واستطردت: «إنه يتحدث القليل من الإنجليزية ولكنه متعاطف مع أهداف سيد الظلام وقد جاء من (ترانسلفانيا) خصيصا ليرى نظامنا الجديد».

«حقا.. مرحبا بك يا (دراجومير). كيف حالك؟».

وقال (رون) وهو يمد يديه: «وأنت؟».

ومد (ترافرز) إصبعين من يديه ليصافح يد (رون) وكأنه خائف من أن يلوث نفسه.

وسألها (ترافرز): «وما الذى أتى بك وبصديقك المتعاطف إلى حارة دياجون فى هذا الصباح الباكر؟».

ردت (هرميون): «أحتاج إلى زيارة (جرينجوتس)».

وقال (ترافرز): «للأسف، وأنا أيضًا، إنه الذهب ذلك اللعين ولكننا لا نستطيع أن نعيش بدونه، رغم أننى أعترف أنى أكره ضرورة مرافقة أصدقائنا ذوى الأصابع الطويلة».

وشعر (هارى) للحظة أن يدى (جريفوك) تشدد الخناق حول عنقه.

وقال (ترافرز) مشيرا لـ(هرميون) نحو التقدم: «هل نذهب؟».

لم يكن لدى (هرميون) خيار سوى أن تسير بجانبه عبر الشارع الملتوى المرصوف نحو المكان الذى يقف فيه البناء الشاهق البياض والعلو مقارنة بالمحلات الأخرى حوله. وسار (رون) بجانبهما وتبعه (هارى) و(جريفوك).

إن مراقبة آكل موت مترصد هو آخر شىء يحتاجونه، والأسوأ أن (ترافرز) كان يسير بجوار من يعتقد أنها (بيلاتريكس) وأصبح من الصعب على (هارى) الحديث مع (رون) أو (هرميون). وسرعان ما وصلوا إلى السلالم الرخامية المؤدية إلى الأبواب البرونزية الضخمة. ووجدوا أن ما حذرهم منه (جريفوك) صحيح، وأنه قد تم استبدال اثنين من السحرة، يمسك كلٌّ منهما بقضبان ذهبية طويلة بالقزمين الأسطوريين اللذين كانا عادة يقفان على جانبى المدخل.

وتنهد (ترافرز) بطريقة مسرحية قائلاً: «آه، اختبارات الأمانة. بسيطة للغاية ولكنها مؤثرة!».

وصعد السلالم وهو يومئ يمينًا ويسارًا للسحرة وقد رفع كلٌ منهم قضيبه الذهبي وأخذ يمرره إلى أعلى وأسفل جسده. كان (هارى) يعرف أن هذه الاختبارات عبارة عن تعاويذ سحرية كاشفة للتخفى وللأشياء السحرية المخبأة. ويدرك أنه لا يملك سوى ثوان للتصرف، فأسرع يلوح بعصا (دراكو) على الحراس وأخذ يغمغم مرتين: «كونفوندو». وجمد الحراس للحظة عندما ضربتهم التعويذة، ولكن (ترافرز) لم يلاحظ ذلك؛ لأنه كان مشغولاً بالنظر من خلال الأبواب البرونزية إلى القاعة الداخلية.

وتطاير شعر (هرميون) خلفها وهى تصعد درجات السلم.

وقال أحد الحراس وهو يرفع المجس: «لحظة يا مدام».

وقالت (هرميون) فى لكنة (بيلاتريكس) المتعالية الآمرة: «ولكنك فعلت ذلك لتوك». ونظر (ترافرز) وراءه وهو يرفع حاجبيه، وبدا الحارس مرتبكًا وأخذ يحدق بالقضيب الذهبى الطويل، ثم فى زميله الذى قال له فى صوت خفيض مذهول: «أجل، لقد تحققت منهم لتوك يا (ماريوس)».

وتقدمت (هرميون) و(رون) بجانبها وهارى و(جريفوك) خلفهما وهما متخفيان. ونظر (هارى) خلفه وهم يعبرون البوابة فإذا بكلا الحارسين يحكان رأسيهما.

وجدوا قزمين أسطوريين يقفان خلف الأبواب الداخلية المصنوعة من الفضة، والتى تحمل القصيدة التى تحذر من القصاص الشديد الذى سيتعرض له اللصوص المحتملون. ونظر (هارى) إليها و مرت بخاطره فجأة ذكريات حادة للغاية وتذكر بوضوح اليوم الذى أتم فيه عامه الحادى عشر، والذى كان أروع عيد ميلاد فى حياته و(هاجريد) يقف بجواره ويقول: «*كما قلت لك ستكون مجنونا لو حاولت أن تسرقه*». كان (جرينجوتس) يبدو مكانًا عجيبًا فى ذلك اليوم، حين اكتشف مستودع الذهب السحرى الأمين الذى لم يعرف أنه يمتلكه ولم يخطر فى باله وقتها قط أنه سيعود لسرقته.. وبعد ثوانٍ، وصلوا إلى القاعة الرخامية الواسعة للبنك.

كان شباك موظفى البنك مليئًا بالأقزام الأسطوريين الذين يجلسون على مقاعد مرتفعة مستعدين لخدمة أول عملاء يأتون إليهم فى هذا اليوم. واتجهت (هرميون)

و(رون) و(ترافرز) نحو قزم أسطورى، منهمك فى فحص إحدى العملات الذهبية السميكة بعدسة مكبرة. وتركت (هرميون) المجال لترافرز، حتى يسبقها فى الدور، متظاهرة بأنها تصف القاعة لـ (رون).

وألقى القزم العملة التى كان يحملها جانبًا قائلاً دون أن يوجه كلامه لأحد بعينه: «جنى». ثم حيا (ترافرز) الذى أعطاه مفتاحًا ذهبيًا صغيرًا قام بفحصه، ثم أعاده إليه.

وتقدمت (هرميون).

وقال القزم الأسطورى وقد بدا مفزوعًا من رؤيتها: «مدام (ليسترانج)! كيف لى أن أخدمك اليوم؟».

وقالت (هرميون): «أريد أن أدخل إلى خزنتى».

وتراجع القزم العجوز قليلاً. وألقى (هارى) نظرة حوله. لم يكن (ترافرز) وحده الذى يراقب المشهد من الخلف ولكن العديد من الأقزام الأسطوريين قد تركوا أعمالهم لينظروا نحو (هرميون).

وسألها القزم: «هل لديك... إثبات للشخصية؟».

وردت (هرميون): «إثبات شخصية؟ لم يسألنى أحد من قبل عن شيء كهذا!».

وهمس (جريفوك) فى أذن (هارى): *«إنهم يعلمون!.. لابد أنهم قد تلقوا تحذيرًا من إمكانية وجود منتحل لشخصيتها!»*.

وقال القزم وهو يمد يدًا ترتعش نحو (هرميون): «ستفى عصاك بالغرض يا مدام». وشعر (هارى) بالرعب عندما أدرك أن الأقزام الأسطوريين فى البنك يعلمون أن عصا (بيلاتريكس) قد سُرقت.

وهمس (جريفوك) فى أذن (هارى): *«تصرف الآن، تصرف الآن، استخدم تعويذة التحكم!»*.

ورفع (هارى) عصا الزعرور البرى أسفل العباءة ووجهها نحو القزم الأسطورى العجوز وهمس لأول مرة فى حياته: *«أمبريو!»*.

وانتاب (هارى) شعور غريب مر خلال ذراعه، وشعر بوخز خفيف ودفء يتدفق من عقله عبر الأعصاب والعروق التى تربطه بالعصا واللعنة التى انطلقت منها لتوها. وأخذ القزم عصا (بيلاتريكس) وفحصها عن قرب وقال: «آه... لقد حصلت على عصا جديدة إذن يا مدام (ليسترانج)!».

وردت (هرميون): «ماذا؟.. لا.. لا.. إنها عصاى...».

وقال (ترافرز) وهو يقترب من الطاولة مرة أخرى بينما الأقزام الأسطوريون مازالوا يراقبون ما يحدث: «عصا جديدة، ولكن كيف فعلت هذا وأى صانع عصى صنعها لكِ؟».

وتصرف (هارى) بدون تفكير وأشار بعصاه على (ترافرز) وتمتم مرة أخرى: «*إمبريو!*».

وقال (ترافرز) وهو ينظر إلى عصا (بيلاتريكس): «آه، نعم، تبدو رائعة. ولكن هل تعمل جيدا؟ أنا أعتقد دائمًا أن العصا تحتاج إلى المران؟ ألا تظنين ذلك؟».

وبدت (هرميون) مرتبكة للغاية لكنها لم تتكلم. وشعر (هارى) بالراحة لتقبلها التحول الغريب فى الأحداث دون تعليق.

وصفق القزم الأسطورى العجوز بيديه من وراء الطاولة، وظهر قزم آخر أصغر منه سنًّا.

وقال له: «أحتاج إلى الصليل». واندفع القزم الأسطورى الصغير خارجًا وعاد بعد لحظة وهو يحمل بيده حقيبة جلدية تبدو مليئة بمعادن تصدر صليلا عاليا وسلمها إلى رئيسه الذى قال وهو ينزل عن مقعده العالى ويختفى عن نظرهم: «جيد، جيد، هل لك أن تتبعينى إذن يا مدام (ليسترانج).. سوف آخذك إلى خزنتك».

وظهر فى نهاية الطاولة وهو يسرع نحوهم بسعادة، مما جعل محتويات الحقيبة الجلدية تصدر صليلا عاليا، بينما كان (ترافرز) يقف فى مكانه ساكنا وقد فغر فاه وجذب (رون) الانتباه إلى هذه الظاهرة الغريبة بالنظر إلى (ترافرز) بارتباك.

«انتظر لحظة يا (بوجرود)!».

أتى قزم آخر مهرولاً نحو الطاولة وقال لـ (هرميون) وهو ينحنى: «اعذرينى يا سيدتى، ولكن لدينا أوامر خاصة فيما يتعلق بخزنه (ليسترانج)».

وهمس بسرعة فى أذن (بوجرود) ولكن القزم الأسطورى المسحور بتعويذة التحكم زجره.

وقال: «إننى على دراية بالتعليمات، ولكن مدام (ليسترانج) ترغب فى زيارة خزنتها... عائلة عريقة... وعملاء قدامى... تفضلى من هنا إذا سمحتِ..».

وأسرع وهو يصلصل متجهًا نحو أحد الأبواب الكثيرة التى تقود إلى خارج الصالة. ونظر (هارى) للخلف نحو (ترافرز) الذى كان لا يزال متسمرًا فى مكانه وبدا أبله على نحوٍ غير طبيعى، واتخذ قراره بالذهاب معهم، ونقر نقرة خفيفة

بعصاه وبدأ (ترافرز) يمشى معهم باستكانة حتى وصلوا إلى الباب واجتازوه إلى الممر الحجرى الذى تضيئه المشاعل.

وقال (هارى) وهو يخلع عباءة الإخفاء بعد أن أغلق الباب بعنف خلفهم: «نحن فى ورطة.. إنهم يشكون». وقفز (جريفوك) من فوق كتفيه. ولم يظهر على (ترافرز) أو (بوجرود) أى علامة دهشة للظهور المفاجئ لـ (هارى بوتر) فى وسطهم. وأضاف (هارى) ردا على الدهشة التى ظهرت على (هرميون) و(رون) من (ترافرز) و(بوجرود) اللذين يقفان وقد علت وجهيهما نظرة خالية من التعبير: «إنهم تحت تعويذة التحكم، ولكنى لا أعتقد أنى نفذتها بقوة كافية، لا أدرى..».

وتدفقت فى عقله ذكريات أخرى عن (بيلاتريكس ليسترانج) الحقيقية وهى تصرخ فيه عندما حاول أن يستخدم معها واحدة من التعاويذ التى لا تغتفر: «*يجب أن تعنيها حقًا يا (بوتر)!*».

وسأل (رون): «وماذا سنفعل الآن؟ هل نرحل الآن، بينما لا يزال بمقدورنا ذلك؟».

قالت (هرميون): «لو كان بمقدورنا ذلك؟»، ونظرت للخلف نحو الباب المؤدى إلى القاعة الرئيسية والذى لا أحد يعلم ماذا يحدث خلفه.

قال (هارى): «لقد ذهبنا بعيدًا فى هذا الأمر وإنى أرى أن نستمر».

وقال (جريفوك): «جيد، إننا إذن فى حاجة إلى (بوجرود) للتحكم فى العربة؛ لأنه لم يعد لدى السلطة لذلك، ولكن لن يكون هناك مكان للساحر».

ولوح (هارى) بعصاه نحو (ترافرز).

«*إمبريو!*».

استدار الساحر ومشى بعيدًا داخل المسار المظلم بخطوات سريعة.

«ماذا أمرته أن يفعل؟».

قال (هارى): «اختبئ». وأشار بعصاه نحو بوجرود الذى صفر لاستدعاء إحدى العربات الصغيرة، والتى خرجت من الظلام مسرعة ووقفت أمامهم، وكان (هارى) متأكدًا من أنه سمع صراخًا خلفهم فى القاعة الرئيسية، بينما يتسلقون جميعًا إليها، وكان (بوجرود) يجلس فى الأمام مع (جريفوك)، بينما تكوم (هارى) و(رون) و(هرميون) جميعًا فى الخلف.

وتحركت العربة وهى ترتج بشدة وأسرعت مارة (بترافرز) الذى يحاول دخول شق فى الحائط ثم بدأت العربة تلتوى وتنعطف عبر الممرات المتشابكة، وهى تنحدر نحو الأسفل طوال الوقت. ولم يستطع (هارى) سماع أى شىء غير

صوت العربة وهى تقطع المسارات. وكان شعره يطير خلفه وهم يندفعون هابطين إلى داخل الأرض أكثر وأكثر، ولكنه ظل ينظر خلفه. وفكر فى أنهم تركوا وراءهم آثار أقدام، وكلما فكر أكثر بالموضوع شعر بمدى حماقة فكرة تنكر (هرميون) فى شكل (بيلاتريكس) واستعمالها لعصاها فى حين أن آكلى الموت يعلمون من سرقها.

وبدءوا يتجهون إلى ممرات أعمق، لم يزرها (هارى) من قبل فى (جرينجوتس) والتوت العربة بشدة فى ممر شديد الالتفاف، ثم رأوا شلال ماء يقطع طريقهم. وسمع (هارى) (جريفوك) وهو يصيح: «لا!». ولكن لم يكن هناك أى فرصة لاستخدام أى فرامل أو التوقف، وعبروا من خلاله. وملأت المياه عينى (هارى) وفمه، ولم يستطع أن يرى أو يتنفس، ثم شعروا بهزة عنيفة وانقلبت العربة وأصبحوا جميعًا خارجها. وسمع (هارى) صوت العربة وهى تتحطم بعد أن اصطدمت بحائط الممر. وسمع (هرميون) تصيح بشىء وشعر أنه ينزلق نحو الأرض كما لو كان عديم الوزن وحط أخيرا على أرضية الممر الصخرية بدون أن يشعر بأى ألم.

وتمتمت (هرميون)، بينما (رون) يساعدها على النهوض: «تعويذة الإخماد». وشعر (هارى) بالرعب عندما نظر إليها ووجدها لم تعد (بيلاتريكس). ووقفت (هرميون) هناك والماء يتساقط من ملابسها التى أصبحت كبيرة عليها بعد أن عادت إلى شكلها الحقيقى. وعاد (رون) أيضًا أحمر الشعر وبدون لحية مرة أخرى. وأدركوا ما حدث لهم عندما نظر كل منهم إلى الآخر وأخذوا يتحسسون وجوههم.

وقال (جريفوك): «شلال اللص». كان يحاول جاهدًا الوقوف على قدميه وأخذ ينظر خلفه نحو الشلال الذى أدرك (هارى) أنه كان أكثر من مجرد ماء، وأضاف: «أنها تزيل كل التعاويذ ووسائل التخفى السحرية! إنهم يعلمون بوجود دخلاء فى (جرينجوتس) وقد نشطوا كل وسائل الدفاع ضدنا!».

ونظر (هارى) إلى (هرميون) ووجدها تتأكد من وجود الحقيبة المطرزة معها، ودفع يده داخل سترته بسرعة ليتأكد من أنه لم يفقد عباءة الإخفاء، ثم استدار ليرى (بوجرود) يهز رأسه فى حيرة، يبدو أن شلال اللصوص قد أبطل تعويذة التحكم.

قال (جريفوك): «لا نزال نحتاجه، لن نستطيع دخول الخزنة بدون أحد الأقزام الأسطوريين بجرينجوتس، كما نحتاج إلى الصليل!».

وقال (هارى) مرة أخرى: «*إمبريو!*». وتردد صدى صوته عبر الممر الحجرى وشعر مرة أخرى بموجات التحكم التى تتدفق من رأسه إلى عصاه. واستسلم (بوجرود) مرة أخرى لإرادته، وتحولت تعبيراته المرتبكة إلى لامبالاة مهذبة وأسرع (رون) يلتقط الحقيبة الجلدية التى بها الأدوات المعدنية.

وقالت (هرميون): «(هارى)، أعتقد أننى أسمع أشخاصًا قادمين!». ولوحت بعصا (بيلاتريكس) مشيرة نحو شلال المياه وصاحت: «*بروتيجو!*». ثم رأوا تعويذة الدرع تنطلق عبر شلال المياه المسحورة إلى الممر.

وقال (هارى): «فكرة جيدة! لتكن دليل الطريق يا (جريفوك)!».

وتساءل (رون): «كيف سنخرج من هنا مرة أخرى؟». بينما كانوا يسرعون الخطى فى الظلام خلف القزم الأسطورى، و(بوجرود) يلهث خلفهم ككلب عجوز.

وقال (هارى): «دعنا نفكر فى هذا الأمر عندما نصل إليه». وحاول (هارى) أن يستمع حيث كان يعتقد أنه سمع شيئًا يقعقع ويتحرك. سأل: «(جريفوك)، كم تبقى؟».

«ليس الكثير يا (هارى بوتر)، ليس الكثير..».

ثم استداروا حول منعطف ورأوا الشىء الذى كان يتوقعه له (هارى) ولكنه مع ذلك جعلهم جميعًا يتوقفون.

رأوا تنينًا عملاقًا مقيدًا إلى الأرض أمامهم، مانعا الدخول إلى أربع أو خمس خزائن من الخزائن الأعمق فى البنك. كانت قشور الوحش قد أصبحت باهتة ورقيقة، بسبب حجزه لفترات طويلة تحت الأرض وتحولت عيناه إلى اللون الوردى الباهت. بينما كلتا القدمين الخلفيتين تحمل أغلالاً ثقيلة، سلاسلها مربوطة بأوتاد عميقة إلى الأرض الصخرية. وبدا جناحاه الضخمان الشائكان المطويان بجوار جسده، كما لو أنهما سيملآن الغرفة لو قام بفردهما. واستدار الوحش برأسه القبيح إليهم وأخذ يزأر بصوت عال جعل الصخور تهتز من حولهم وفتح فمه ليخرج شعلة من النيران أجبرتهم على التراجع بسرعة خلف المنعطف.

وقال (جريفوك) وهو يلهث: «إن لديه عمى جزئيًا، وربما يكون أكثر وحشية لهذا السبب، على أية حال، لدينا طريقة للسيطرة عليه. لقد تعلم ما يتوقعه عندما يسمع الصليل. أعطنى إياه».

وأعطى (رون) الحقيبة لـ(جريفوك)، الذى سحب منها بعض الأدوات المعدنية التى أخذت تتصادم وتصدر رنات مدوية تشبه صوت المطارق على سندان الحداد وسلمهم (جريفوك) لـ(بوجرود) الذى أخذهم بخنوع.

وقـال (جـريـفـوك) لـ (هـارى) و(رون) و(هـرمـيـون): «تـعـلـمـون مـا عـلـيـكـم فـعـلـه، سيتوقع الألم عندما يسمع الضوضاء لذا سوف يتراجع، ثم سيضع (بوجرود) راحة يده على باب الخزنة».

وتقدموا حول المنعطف مرة أخرى وهم يصلصلون وأخذ صدى الضوضاء يجلجل بشدة فى أركان الحوائط الصخرية وشعر (هارى) بداخل جمجمته يتذبذب مع الصليل. وأطلق التنين زئيرًا عاليًا آخر ثم تراجع. ولاحظ (هارى) أنه يرتجف وعندما اقتربوا منه، وجدوا على وجهه ندوبًا تمت من آثار وحشية وخمن أنهم قد علموه أن يخاف من الضرب بسيوف حارقة عندما يسمع صوت الصليل.

وقال (جريفوك) لـ (هارى): «اجعله يضغط يده على الباب!». والذى قام بدوره بالتلويح بعصاه على (بوجرود) الذى أطاعه وضغط راحة يده على الباب الخشبى واختفى باب الخزنة، ليكشف عن غرفة كبيرة، تشبه الكهف مليئة من الأرض إلى السقف بالعملات والكئوس الذهبية والدروع الفضية وجلود الكائنات الغريبة، بعضها له شوك طويل والبعض الآخر ذو أجنحة متدلية، ووصفات فى قوارير نفيسة مرصعة وجمجمة مازالت ترتدى تاجًا.

وقال (هارى) والجميع يهرع إلى داخل الخزنة: «ابحثوا بسرعة!».

وكان قد وصف كأس (هافلباف) إلى (هرميون) و(رون) ولكن لو كان شىء آخر، هوركروكس غير معروف، هو الذى يكمن فى هذه الخزانة، فإنه لا يعرف شكله. كان لديه بالكاد وقت لينظر حوله، قبل أن يسمعوا صوت قعقعة مكتومًا خلفهم، ويظهر الباب مرة أخرى وإذا بهم غارقون فى ظلام دامس.

وبينما كان (رون) يصدر صيحة تعجب قال (جريفوك): «ليس هناك مشكلة (بوجرود) يستطيع أن يخلصنا أضيئوا عصيكم؟ أسرعوا. ليس لدينا وقت!».

«*لوموس!*».

وأضاء (هارى) عصاه فى الخزنة وسقط ضوءها على الجواهر المتلألئة، ورأى سيف (جريفندور) الزائف يقع على الرف العلوى بين مجموعة من السلاسل. وأضاء (رون) و(هرميون) عصيهما أيضًا، وأخذوا يفحصون أكوام الأشياء المحيطة بهم.

«(هارى) هل يمكن أن تكون...؟ أخ!».

وصاحت (هرميون) فى ألم، وأدار (هارى) عصاه بسرعة نحوها وإذا به يرى إحدى الكئوس النفيسة يسقط من قبضتها. ولكن بينما هو يسقط انقسم وأصبح

مجموعة من الكئوس وفى ثانية غطى المكان صوت جلبة شديد وامتلأت الأرضية بكئوس شبيهة تتدحرج فى كل اتجاه بحيث يستحيل تمييز الكأس الأصلية من بينها.

وصاحت (هرميون) بينما تمتص أصابعها المصابة: «لقد أحرقتنى!».

قال (جريفوك): «لقد أضافوا تعاويذ (جيرمينو) و(فلاجرانت)! كل شيء ستلمسونه سوف يحترق وينقسم ولكن النسخ لا قيمة لها، ولو استمررتم فى لمس الكنوز، سنسحق حتى الموت تحت وزن الذهب المتزايد!».

وقال (هارى) فى يأس: «حسنًا، لا تلمسوا أى شيء!». ولكن حتى وهو يقول ذلك، دفع (رون) بقدمه إحدى الكئوس الواقعة دون عمد فتولد منها عشرون أخرى، بينما كان (رون) يقفز فى مكانه بعد احتراق جزء من حذائه عند لمسه للمعدن الساخن.

وأمسكت (هرميون) بـ(رون) وهى تقول له: «قف مكانك. لا تتحرك!».

وقال (هارى): «انظرا حولكما فقط! وتذكرا أن الكأس صغيرة ومصنوعة من الذهب ومحفور عليها حيوان الغرير وله يدان ـ أو حاولا البحث عن رمز (رافينكلو) فى أى مكان؛ النسر».

أخذوا يديرون عصيهم فى كل ركن وشق وهم يدورون بحذر فى أماكنهم. وكان من المستحيل عدم لمس شيء وقذف (هارى) بشلال صغير من الجاليونات الزائفة على الأرض، حيث انضمت إلى الكئوس وأصبح لديهم بالكاد موطئ لأقدامهم والتهب الذهب المتوهج بالحرارة، حتى أصبحت الغرفة مثل الفرن. وأخذ (هارى) يمرر ضوء عصاه على كل الدروع والخوذات الموضوعة على الرفوف وتصل حتى السقف وأخذ يعلو بشعاع الضوء أكثر وأكثر، حتى وجد شيئًا ما، جعل قلبه ينتفض ويديه ترتعشان.

وقال: *«إنه هناك، إنه فى الأعلى هناك!»*.

ووجه (رون) و(هرميون) عصيهم إليه أيضًا فإذا بالكأس الذهبية تتوهج تحت الضوء المسلط عليها من ثلاثة اتجاهات. إنها الكأس التى كانت تمتلكها (هيلجا هفلباف) ثم انتقلت ملكيتها إلى (هبزيباه سميث) قبل أن يسرقه منها (توم ريدل).

وتساءل (رون): «وكيف بحق السماء نستطيع أن نصعد إلى هناك دون أن نلمس شيئًا؟».

وصاحت (هرميون): «*أكسيو الكأس!*». والتى يبدو أنها نسيت، من يأسها، ما قاله لها (جريفوك) خلال جلساتهم التخطيطية لاقتحام البنك.

ونهرها القزم قائلاً: «لا فائدة، لا فائدة!».

وقال (هارى) وهو يحملق فى القزم الأسطورى: «وماذا سنفعل إذن؟ لو كنت تريد السيف يا (جريفوك) يجب أن تساعدنا أكثر من ـ انتظروا! هل يمكن أن ألمس الأشياء بالسيف؟ (هرميون)، أعطنى إياه!».

وبحثت (هرميون) داخل ملابسها، ثم أخرجت الحقيبة المطرزة وأخذت تبحث فيها لعدة ثوانٍ، قبل أن تسحب السيف اللامع منها. وأمسكه (هارى) من مقبضه الياقوتى وجعل حده يلامس إبريقًا فضيًا كان بالقرب منه ولكنه لم يتضاعف.

«لو أستطيع فقط أن أدخل السيف فى المقبض... ولكن كيف أصعد إلى أعلى هناك؟».

كان الرف الموضوع عليه الكأس بعيدًا عن متناول أى منهم، حتى (رون) الذى كان أطولهم. وارتفعت حرارة الكنوز المسحورة الملتهبة فى موجات، مما جعل العرق يتصبب من وجه (هارى) وظهره. وبينما يفكر فى طريقة للوصول إلى الكأس، سمع صوت زئير التنين من الجهة الأخرى لباب الخزنة، وصوت صليل أخذ يعلو ويعلو.

كانوا محاصرين تمامًا الآن ولا يوجد أمامهم أى طريق للخروج إلا عبر الباب، بينما يبدو أن هناك حشدًا من الأقزام الأسطوريين يقترب على الجانب الآخر له.

ونظر (هارى) إلى (هرميون) و(رون) ورأى الرعب على وجهيهما.

وقال (هارى) وصوت الصليل يرتفع: «(هرميون)، يجب أن أصعد إلى هناك، يجب أن نتخلص منه...».

رفعت (هرميون) عصاها ووجهتها إلى (هارى) وهمست: «*ليفيكوربوس*».

وارتفع (هارى) فى الهواء من كاحله، واصطدم بدرع، فتولدت منه أجسام بيضاء متوهجة، ملأت المكان الضيق، ودفعت (رون) و(هرميون) والقزمين جانبا وهم يصيحون من الألم ويصطدمون بالأشياء الأخرى، والتى أخذت فى الانقسام أيضًا، حتى إن نصفهم دفن وسط الكنوز الحمراء الملتهبة وأخذوا يكافحون ويصرخون، بينما يحاول (هارى) إدخال السيف فى مقبض كأس (هفلباف) ويعلقه فى نصله.

وصاحت (هرميون): «*إمبيرفيوس!*». في محاولة لحماية نفسها، و(رون) والقزمين من المعدن الملتهب.

وأصدر (رون) و(هرميون) صيحة عالية مما جعل (هاري) ينظر إلى أسفل فإذا به يراهم يصلون حتى الوسط أكثر فأكثر في الكنوز ويحاولون جاهدين أن ينقذوا (بوجرود) من الاختفاء تحت هذا الطوفان، بينما اختفى (جريفوك) تمامًا عن الأنظار ولم يعد يظهر منه سوى أطراف أصابعه الطويلة. وأمسك (هاري) بأطراف أصابع (جريفوك) وأخذ يشده وأخذ القزم يظهر شيئا فشيئا وهو يولول.

وصاح (هاري): «*ليبيراتوكوربوس!*». واستقر (هاري) و(جريفوك) فوق الكنوز المتضخمة ولكن السيف طار من يد (هاري).

وصاح (هاري): «أحضره، أين السيف؟ إن الكأس فوقه!». وأخذ يصارع الألم الذي يشعر به من أثر المعدن المتوهج على جلده وتسلق (جريفوك) على كتفيه مرة أخرى وهو مصر على تجنب هذه الأشياء المتوهجة الحمراء المتوالدة.

وارتفع صوت الصليل القادم من الجانب الآخر من الباب إلى حد الصمم ـ لقد فات الأوان ـ

«هناك!».

كان (جريفوك) هو من رآه و(جريفوك) هو الذي اندفع نحوه، وفي هذه اللحظة، أدرك (هاري) أن القزم لم يتوقع منهم الالتزام بوعدهم. وتعلق (جريفوك) بشعر (هاري) جيدًا بأحد يديه ليتأكد من أنه لن يقع في هذا البحر من الذهب الملتهب وأمسك مقبض السيف وأرجحه عاليا بعيد عن متناول (هاري).

وسقطت الكأس الذهبية الصغيرة في الهواء بعد أن كانت مثبتة في نصل السيف. ومال (هاري) والقزم لايزال على كتفيه والتقطها. ورغم أنه شعر بها تحرق جلده، فإنه لم يتركها، وحتى بعد أن انطلق عدد لا حصر له من كئوس (هفلباف) من بين يديه وأخذت تسقط حوله. وانفتح باب الخزنة مرة أخرى ووجد نفسه ينزلق دون تحكم منه وسط طوفان من الفضة والذهب المضطرم مع (رون) و(هرميون) نحو الغرفة الخارجية.

كان (هاري) يشعر بالكاد بألم الحروق التي غطت كل جسده وأخذ يقاوم ذلك الطوفان من الكنوز التي لا تزال تتوالد حوله. ودفع الكأس في جيبه وحاول الصعود لأعلى ليسترد السيف ولكن (جريفوك) اختفى. انزلق من فوق كتف (هاري)، عندما واتته الفرصة وانطلق بأقصى سرعة بين الأقزام الأسطوريين،

ليحتمى بهم وأخذ يلوح بالسيف ويصيح: «لصوص! لصوص! النجدة! لصوص!». ثم اختفى وسط الحشد المتقدم المسلح بالخناجر، والذين تقبلوه بينهم دون سؤال.

وانزلق (هارى) فى هذا المعدن الملتهب وأخذ يقاوم حتى وقف على قدميه. كان يعرف أن الطريق الوحيد للخروج هو عبرهم.

وصاح: «*ستوبيفاى!*». وانضم إليه (رون) و(هرميون)، وتدفق شلال من الضوء الأحمر بين الأقزام مما جعل البعض منهم يسقط ولكنّ آخرين تقدموا كما رأى (هارى) بعض الحراس السحرة يتقدمون حول المنعطف.

وأطلق التنين المقيد زئيرًا وتدفق شلال من اللهب نحو الأقزام الأسطوريين. وفر السحرة عائدين من الطريق الذى أتوا منه. وأتى لـ (هارى) إلهام، أو قد يكون جنونًا حيث أشار بعصاه نحو السلاسل الثقيلة التى تقيد الوحش إلى الأرض وصاح: «*ريلاشيو!*».

وانفكت القيود فى صوت ضجيج عال.

وصاح (هارى): «من هنا!». ثم اندفع نحو التنين الأعمى وهو مازال يطلق من عصاه تعاويذ صعق على الأقزام المتقدمين نحوهم.

وصاحت (هرميون): «(هارى) ـ (هارى) ـ ماذا تفعل؟».

«اصعدا، تسلقا، هيا..».

ولم يدرك التنين بعد أنه أصبح حرًا. ووجدت قدم (هارى) خطاف قدمه الخلفية ثم دفع بنفسه فوق ظهره. وكانت قشوره صلبة مثل المعدن ويبدو أنه حتى لم يشعر به. ومد (هارى) إحدى ذراعيه ودفعت (هرميون) بنفسها معه ثم قفز (رون) خلفهما. وبعد لحظة، أدرك التنين أنه قد تحرر من قيوده.

وأطلق زئيرًا غاضبًا، فتمسك (هارى) به بركبته وأمسك جيدًا بقشوره، بينما فرد التنين جناحيه، وأخذ يقذف بالأقزام الأسطوريين مثل الدمى وهم يصرخون، ثم حلق فى الجو. وتمدد (هارى) و(هرميون) و(رون) فوق ظهره ليتجنبوا الاصطدام بالسقف، ويتوجه التنين نحو الممر المفتوح، بينما أخذ الأقزام الأسطوريون يرشقونه بالخناجر التى كانت تطيش وتسقط على جانبيه.

وصاحت (هرميون): «لن نستطيع الخروج من هنا أبدًا، إنه كبيرا جدًا!». ولكن التنين أخرج نيرانًا من فمه مرة أخرى ونسف النفق وحطم الأسقف والأرضيات. واستمر يناضل بقوة كبيرة ويشق طريقه عبر النفق. وأغلق (هارى) عينيه من

الحرارة والغبار وقد أصابه الصمم من شدة صوت تكسر الصخور وزئير التنين. وتشبث (هارى) بظهر التنين بكل قوته، وهو يتوقع أن يقوم بنفضه فى أى لحظة، ثم سمع (هرميون) تصيح: «*ديفوديو!*».

وعرف أنها تساعد التنين فى توسيع النفق وتحفر له السقف، كان التنين يناضل من أجل الصعود إلى أعلى، نحو الهواء الطلق بعيدًا عن صوت صياح وصليل الأقزام الأسطوريين وأخذ (هارى) و(رون) يقلدانها ويحطمان السقف بالمزيد من تعويذات النسف. ومروا عبر البحيرة الجوفية وبدأ الوحش الضخم المزمجر، على ما يبدو، يشعر بالحرية والفضاء أمامهم. وكان الممر خلفهم مليئًا بذيل التنين الضارب المسنن، وأكوام كبيرة من الصخور، والحليمات العظيمة المحطمة. وخمد صليل الأقزام أكثر وأكثر، بينما نيران التنين تجعل طريق تقدمهم واضحًا.

وفى النهاية، استطاعت قوة تعويذاتهم متحدة مع قوة التنين الغاشمة فتح طريقهم من الممر الحجرى نحو القاعة الرخامية. وصرخ الأقزام الأسطوريون والسحرة وأسرعوا يبحثون عن مكان للاختباء. وأخيرًا، وجد التنين مساحة كافية ليبسط جناحيه ووجه رأسه ذات القرون نحو الهواء البارد الخارجى الذى استطاع أن يشمه بعد أن خرج من المدخل، وأقلع، بينما (هارى) و(هرميون) و(رون) لايزالون متعلقين بظهره. وشق طريقه بالقوة عبر الأبواب المعدنية وتركهم ملتوين ومعلقين على مفاصلهم واتجه عبر حارة (دياجون)، قبل أن ينطلق عاليًا نحو السماء.



٢٧ المخبأ الأخير

لم تكن هناك أى وسيلة للتوجيه، ولم يكن التنين يستطيع رؤية المكان الذى سيذهب إليه، وأدرك (هارى) أنه لو انحرف بشدة أو انقلب فى الجو، سيكون من المستحيل التشبث بظهره. ومع ارتفاعهم أعلى فأعلى، بدت لندن تحتهم مثل خريطة مرسومة باللونيْن الأخضر والرمادى، واجتاح الشعور بالامتنان (هارى) لهروبهم الذى بدا من قبل مستحيلا. وانحنى (هارى) إلى أسفل فوق عنق التنين وتشبث جيدًا بقشوره المعدنية. وأخذت نسمات الهواء الباردة تلطف من آلام جلده المتورم المحترق، بينما أجنحة التنين تضرب الهواء مثل مراوح طاحونة هواء. وسمع (رون) يسب ويلعن بأعلى صوته، بينما تشنَّج (هرميون) فى البكاء خلفه، ولم يعرف إن كان هذا من السعادة أم الخوف.

وبعد حوالى خمس دقائق، خفَّت مخاوف (هارى) من أن يلقى بهم التنين، بعد أن إدراكه أن كل ما يهم الوحش هو الابتعاد قدر المستطاع عن سجنه تحت الأرض. وبقى السؤال حول متى وكيف سوف يترجلون عن ظهر ذلك التنين المخيف، فلم تكن لديهم أدنى فكرة إلى متى يستطيع التنين التحليق دون توقف وكيف يستطيع هذا التنين على الأخص الذى يرى بالكاد أن يختار مكانًا مناسبًا للهبوط. وأخذ ينظر حوله باستمرار، وهو يتخيل أنه يشعر بوخز فى ندبته...

كم من الوقت سيمر قبل أن يعرف (فولدمورت) أنهم دخلوا خزانة (ليسترانج)؟ متى سيخبر الأقزام الأسطوريون (بيلاتريكس)؟ وكم سيستغرقون من الوقت ليعرفوا ماذا فقد بالضبط؟ ومتى سيكتشفون اختفاء الكأس الذهبية؟ وما إن يعرف (فولدمورت) ذلك، حتى يدرك أخيرًا أنهم يصطادون الهوركروكسات...

ويبدو أن التنين كان يلتمس هواء أكثر برودة وانتعاشًا؛ لأنه أخذ يرتفع بثبات حتى وصل إلى مجموعه من السحب شديدة البرودة. ولم يعد (هارى) يميز تلك النقاط الصغيرة الملونة، والتى من المفترض أنها السيارات التى تدخل وتخرج من العاصمة. واستمروا فى الطيران فوق مناطق ريفية، حيث ظهرت مجموعة من

الرقع الخضراء والبنية، ثم فوق طرق وأنهار تتعرج تحتهم وسط الأراضى مثل مجموعة من الشرائط المتداخلة المعتمة و اللامعة.

وصاح (رون) بينما التنين يحلق بهم أكثر فأكثر نحو الشمال: «ما الذى يبحث عنه فى ظنك؟».

وصاح (هارى): «ليس لدى أدنى فكرة». وشعر بالخدر فى يديه بفعل البرد ولكنه لم يجرؤ على تبديل قبضته. وكان يتساءل منذ بعض الوقت ماذا سيفعلون لو رأوا شاطئ البحر أسفلهم، لو أن التنين توجه نحو البحر المفتوح. كان يشعر بالبرودة والخدر، ناهيك عن الشعور بالجوع والعطش. وتساءل متى كانت آخر مرة أكل فيها الوحش نفسه؟ من المؤكد أنه سيشعر بحاجة إلى الطعام قبل مرور وقت طويل. ماذا لو علم، عُندها، أن على ظهره ثلاثة أشخاص صالحين للأكل؟

وانخفضت الشمس فى السماء التى تحولت إلى اللون النيلى ولا يزال التنين يحلق ومرت مدن وقرى أسفلهم، وظل الوحش الضخم ممدَّدًا على الأرض وكأنه سحابة سوداء عملاقة. وشعر (هارى) بأن كل جزء فيه يتألم من المجهود الضخم الذى يبذله للبقاء على ظهر التنين.

وصاح (رون) بعد فترة صمت طويلة: «هل ما يحدث من خيالى أم أننا نفقد ارتفاعنا؟».

ونظر (هارى) إلى أسفل ورأى جبالاً خضراء عميقة وبحيرات تأخذ اللون النحاسى فى وقت الغروب. وبدت الأرض كما لو أنها تتسع وظهر فيها المزيد من التفاصيل، كلما نظر من على جانب التنين. وتساءل إن كان قد تنبأ بوجود الماء العذب عن طريق انعكاس أشعة الشمس.

وأخذ التنين ينخفض إلى أسفل أكثر وأكثر وهو يحلق فى دوائر حلزونية حيث بدا أنه متجه إلى واحدة من البحيرات الصغيرة.

وقال (هارى) للآخرين: «أرى أن نقفز عندما نصبح منخفضين بدرجة كافية! مباشرة نحو الماء قبل أن يدرك أننا هنا!».

ووافقا على ذلك. كانت (هرميون) تبدو شبه فاقدة للوعى. وأصبح (هارى) يستطيع رؤية بطن التنين الأصفر وهو يتموج فوق سطح الماء.

«الآن!».

انزلق فوق جانب التنين وهبط عموديًا بقدميه نحو سطح البحيرة ولكن القفزة كانت أكبر من تقديره فلقد اندفع بقوة فى الماء وسقط مثل حجر وسط عالم متجمد

أخضر، وأخذ يضرب الماء حتى طفا فوق السطح وهو يلهث وإذا به يرى موجات دائرية عالية منبثقة من الأماكن التى سقط فيها (رون) و(هرميون). وبدا أن التنين لم يلاحظ شيئا. كان يقف على بعد حوالى 50 قدمًا وقد مال فوق البحيرة ليشرب منها الماء بفمه المغطى بالندبات. وبينما ظهر (رون) و(هرميون) على السطح من أعماق البحيرة وهما يلهثان، حلق التنين وهو يضرب بجناحيه بشدة حتى استقر فى النهاية على الضفة البعيدة للبحيرة. وتوجه (هارى) و(رون) و(هرميون) نحو الضفة الأخرى ولم تكن البحيرة عميقة. فلم تكن مشكلتهم هى السباحة وإنما خوض طريقهم عبر الطين. وفى النهاية ارتموا على الحشائش الزلقة وهم متشبعون بالماء ولاهثون ومنهكو القوى.

وانهارت (هرميون) وأخذت تسعل وترتجف. وبالرغم من أن أكثر ما يتمناه (هارى) هو الاستلقاء هناك والنوم، فإنه قفز على قدميه وسحب عصاه وأخذ يتمتم بتعاويذ الحماية المعتادة حولهم.

وما إن انتهى من ذلك حتى لحق بالآخرين. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يراهم فيها جيدًا منذ هروبهم من الخزنة، ورأى الحروق الحمراء الملتهبة تغطى وجهيهما وأذرعهما، كما كانا بملابسهما أجزاء عديدة محترقة. وأجفلا وهما يضعان نقطا من روح الديتانى على إصاباتهما الكثيرة. وناولت (هرميون) الزجاجة لـ (هارى) ثم أخرجت ثلاث زجاجات من عصير القرع الذى أحضرته معها من كوخ الأصداف وبعض الملابس الجافة النظيفة للجميع. وغيروا ملابسهم ثم شربوا العصير.

وقال (رون) فى النهاية وهو يراقب جلد يديه وهو ينمو: «حسنًا، الخبر الجيد أننا حصلنا على الهوركروكس، أما الخبر السيئ فهو...».

وأجاب (هارى) وهو يصر على أسنانه من الغيظ: «لا يوجد سيف». كان يضع الديتانى عبر فتحة محترقة فى بنطلونه الجينز فوق حرق ملتهب بشدة.

وكرر (رون): «نعم، لا يوجد سيف، ذلك المخادع الخائن الصغير». وأخرج (هارى) الهوركروكس من جيب سترته المبللة التى نزعها لتوه، ووضعه على الحشائش أمامهم. وأخذ يتلألأ تحت أشعة الشمس جاذبًا أعينهم إليه وهم يشربون زجاجات العصير.

قال (رون) وهو يمسح فمه بظهر يده: «على الأقل لا يمكننا ارتداؤه هذه المرة، فسوف يبدو غريبًا وهو معلق فى أعناقنا».

ونظرت (هرميون) بعيدًا نحو الضفة الأخرى من البحيرة، حيث مازال التنين يشرب.

وسألت: «ماذا سيحدث له فى ظنك؟ هل سيكون بخير؟».

وقال (رون): «تتحدثين مثل (هاجريد)، إنه تنين يا (هرميون)، ويستطيع الاعتناء بنفسه. يجب أن تقلقى علينا نحن».

«ماذا تقصد؟».

أجاب (رون): «حسنًا، لا أدرى كيف أنقل ذلك إليك، ولكنى أعتقد أنهم قد يلاحظون أننا اقتحمنا بنك (جرينجوتس)».

وانفجر الثلاثة فى الضحك، وما إن بدءوا، حتى أصبح من الصعب عليهم أن يتوقفوا. وشعر (هارى) بألم فى ضلوعه، ودوار من شدة الجوع، ولكنه استلقى على الحشائش تحت السماء المحمرة واستمر فى الضحك حتى جفَّ حلقه.

وتساءلت (هرميون) أخيرًا بعد أن عادت إلى جديتها: «ماذا سنفعل، إذن؟ سيعرف. أليس كذلك؟ سيعرف (أنت ـ تعرف ـ من) أننا نعرف عن (الهوركروكسات) خاصته!».

وقال (رون) بأمل: «ربما سيخافون أن يخبروه، ويفضلون التغطية على الموضوع».

واختفت السماء، ورائحة مياه البحيرة، وصوت (رون)، جميعها من أمام (هارى). وأصابه صداع شديد وكأنما ضربه سيف فى رأسه. ووجد (هارى) نفسه يقف فى غرفة ذات إضاءة ضعيفة، بينما يشكل مجموعة من السحرة نصف دائرة أمامه ويركع على الأرضية عند قدميه كائن صغير مرتجف.

وسأل فى نبرة عالية باردة وإن كان الغضب والخوف يشتعلان بداخله: «ما الذى تقوله لى؟». كان هذا هو الشىء الوحيد الذى يخشاه ولكن لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا، لا يستطيع أن يفهم كيف...

كان القزم الأسطورى يرتجف غير قادر على مواجهه العينين الحمراوين فوقه.

وهمهم (فولدمورت) قائلاً: «قل ذلك ثانية، *قله ثانية*».

وأخذ القزم يتهته وقد اتسعت عيناه السوداوان الواسعتان من الرعب، وقال: «مـ ـ مولاى، مـ.. مولاى... لقد حـ.. حاولنا أن نـ.. نوقفهم... ولكن... الد.. دخلاء أقـ.. اقتحموا خـ.. خزنة (ليسترانج)..».

«دخلاء؟ أى دخلاء؟ كنت أعتقد أن البنك لديه وسائله لكشف الدخلاء؟ ومن هم؟».

«كان... كان... الو.. ولد بـ.. بوتر ومعه اثنان شريكاه..».

قال فى صوت عال وقد شعر برعب شديد داخله: «*وماذا أخذوا*؟... أخبرنى! *ما الذى أخذوه*؟».

«كـ.. كأسًا ذهبيةً صـ.. صغيرة، يا مولاى..».

وخرجت منه صيحة غضب واستنكار وكأنما صدرت من شخص آخر. كان فى حالة هياج وجنون، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا، مستحيل، لم يعلم أحد بذلك قط. كيف يمكن للولد أن يكون قد اكتشف سره؟

وضربت عصا الكبير الهواء وملأ ضوء أخضر الغرفة، وإذا بالقزم الراكع ينقلب ميتا، تدافع السحرة الذين كانوا يراقبون الموقف أمامه وهم فى حالة رعب شديد. ودفعت (بيلاتريكس) وَ(لوشيوس مالفوى) الآخرين خلفهم وهم يتسابقون للوصول إلى الباب. وارتفعت العصا مرة بعد مرة لتقتل من بقى فى الغرفة، جميعهم، لجلب هذه الأخبار إليه، لسماعه عن الكأس الذهبية.

وأخذ يسير جيئة وذهابًا وحيدًا وسط الموتى على الأرض. وأخذت الأشياء تمر فى خاطره فى رؤى: كنوزه، ضمانه، مفاتيحه نحو الخلود، تحطمت المفكرة وسرقت الكأس، ماذا لو، *ماذا لو* أن الصبى يعرف عن الآخرين؟ هل يمكن أن يكون عرف؟ أن يكون قد بدأ بالعمل، وتتبع المزيد منهم؟ هل كان (دمبلدور) وراء هذا؟ (دمبلدور)، الذى كان يشك فيه دائمًا، (دمبلدور) الذى مات طبقًا لأوامره، (دمبلدور)، الذى أصبحت عصاه ملكًا له الآن، ولكنه مع ذلك، خرج من هوان الموت ليواجهه من خلال الولد، الولد...

ولكن بالتأكيد لو أن الولد حطم أحد (الهوركروكسات) فإنه هو لورد (فولدمورت)، كان سيعرف، كان سيشعر؟ فهو أعظم ساحر فى الوجود، إنه أقواهم، إنه قاتل (دمبلدور) والكثير من الرجال الآخرين المجهولين عديمى القيمة. كيف يمكن ألا يعلم لورد (فولدمورت) عندما يكون هو نفسه، أهم وأعظم شخصية فى الوجود، يُهاجم ويُمثل به.

إنه حقًا لم يشعر عندما تحطمت المفكرة ولكنه اعتقد أن هذا حدث؛ لأنه لم يكن لديه جسد ليشعر به وقتها.. بل كان أقل من شبح... لا، من المؤكد أن بقيتهم فى أمان... لابد أن (الهوركروكسات) الأخرى سليمة ولم تمس بأى سوء...

ولكنه يجب أن يعرف، يجب أن يتأكد... وأخذ يقطع الغرفة وركل جثة القزم جانبًا، بينما تتوهج الصور وتحترق فى عقله الهائج: البحيرة والكوخ و(هوجوورتس).

وبدأ غضبه يهدأ قليلاً الآن، كيف يمكن للصبى أن يعرف أنه يخفى الخاتم فى كوخ (جاونت)؟ لا أحد عرف أبدًا بصلته بـ(آل جاونت)، لقد أخفى صلته بهم، وجرائم القتل لم ترتبط به أبدًا. من المؤكد أن الخاتم فى أمان.

وكيف يمكن للصبى أو أى شخص آخر أن يعرف عن الكهف أو يخترق حمايته؟ إن فكرة سرقة القلادة تبدو سخيفة...

أما بالنسبة للمدرسة، فإنه الوحيد الذى يعرف أين بالضبط أخفى الهوركروكس فى (هوجوورتس)، لأنه الوحيد أيضًا الذى اكتشف أعمق أسرار هذا المكان.

وهناك أيضًا (ناجينى) الذى يجب أن يظل قريبًا منه، لن يرسله ليحل محله بعد الآن، سيبقى تحت حمايته...

ولكن ليتأكد تمام التأكد، يجب أن يعود إلى كل مخابئه وأن يضاعف الحماية حول كل الهوركروكسات... وهى مهمة مثل البحث عن عصا الكبير، يجب أن يقوم بها وحده...

أيها يجب أن يزوره أولا؟ أيهم فى خطر أكثر؟ وانتابه خاطر أقلقه. لقد كان (دمبلدور) يعرف اسمه الأوسط... وربما يكون قد اكتشف الصلة التى تربط بينه وبين (آل جاونت)... ربما كان بيتهم المهجور هو أقل مخابئه أمنًا. إنه المكان الأول الذى سيذهب إليه...

البحيرة، مستحيل بالتأكيد... ولكنَّ هناك احتمالاً، وإن كان ضعيفًا، أن يكون (دمبلدور) قد عرف بعض التصرفات السيئة فى ماضيه من خلال الملجأ.

(هوجوورتس)... ولكنه يعلم أن الهوركروكس هناك فى أمان، ومن المستحيل أن يدخل بوتر (هوجسميد) دون أن ينكشف أمره، ناهيك عن المدرسة. ومع ذلك، زيادة فى الحرص يجب أن أحذر (سناب) من أن الولد قد يحاول دخول القلعة مرة أخرى... ولكن من الغباء أن أقول لسناب السبب الذى قد يعود الصبى من أجله، بالطبع، لقد ارتكبت خطأً فادحًا بالثقة فى (بيلاتريكس) و(مالفوى). ألم يثبت غباؤهم وإهمالهم كم كان من الحماقة الوثوق بهما؟

سيقوم بزيارة كوخ (جاونت) أولاً، إذن، وسيأخذ (ناجينى) معه. ولن يفترق عن الحية بعد ذلك... ثم خرج من الغرفة فى خطا واسعة، عابرًا الصالة إلى الحديقة المظلمة بالخارج حيث تعمل النافورة، ثم نادى على الحية بلغة الحيات، فزحفت خارجة لتنضم إليه وكأنها ظل طويل يسحبه خلفه.

فتح (هارى) عينيه وانتزع نفسه بقوة ليعود إلى الحاضر. ووجد نفسه يرقد على ضفة البحيرة فى وقت غروب الشمس، بينما (رون) و(هرميون) ينظران إليه. وفهم من نظراتهما القلقة والألم الذى مازال يضرب فى ندبته أن لحظة شروده المفاجئة داخل عقل (فولدمورت) لم تمر دون ملاحظة. وأخذ يكافح لينهض وهو يرتجف، واندهش عندما اكتشف أنه مازال مبللاً حتى الجلد ورأى الكأس ما زالت ملقاة ببساطة فوق العشب أمامه، وبدت البحيرة شديدة الزرقة وقد خطت باللون الذهبى من أثر ضوء الشمس الغاربة.

وقال: «إنه يعرف». وبدا صوته غريبًا وخفيضًا بعد صرخات (فولدمورت) العالية. وأضاف وهو يتابع النهوض على قدميه: «إنه يعلم، وسيذهب للتحقق من مخابئه الأخرى. والهوركروكس الأخير موجود فى (هوجوورتس)؟ *كنت أعرف ذلك*».

«ماذا؟».

فغر (رون) فاه، بينما وقفت (هرميون) وقد بدا عليها القلق.

«ولكن ما الذى رأيته؟ كيف عرفت؟».

«لقد رأيته وهو يكتشف أمر الكأس، لقد كنت... كنت داخل رأسه، إنه».

وتذكر (هارى) القتلى وأكمل قائلاً: «إنه فى حالة غضب شديد وخائف أيضًا، إنه لا يستطيع أن يفهم كيف علمنا بالأمر، وسيذهب الآن ليتفقد (الهوركروكسات) الأخرى، وسيبدأ بالخاتم. إنه يعتقد أن الهوركروكس الموجود فى (هوجوورتس) هو أكثرهم أمنا لأن (سناب) هناك، بالإضافة إلى صعوبة دخول المكان دون ملاحظة. لذلك سيكون آخر مكان يتحقق منه. ولكنه مع ذلك يمكن أن يصل إلى هناك خلال ساعات».

وتساءل (رون) وهو يقفز واقفًا على قدميه أيضًا: «هل رأيت أين هو فى (هوجوورتس)؟».

«لا، كان يركز على تحذير (سناب)، ولم يفكر بمكانه بالتحديد».

وصاحت (هرميون) بينما يلتقط (رون) الهوركروكس ويسحب (هارى) عباءة الإخفاء مرة أخرى: «انتظر، انتظر! لا يمكن أن نذهب هكذا، ليست لدينا خطة، نحتاج إلى...».

وقال (هارى) بحزم: «نحتاج إلى الذهاب». لقد كان يأمل فى الحصول على بعض النوم ويتطلع إلى دخول الخيمة الجديدة ولكن هذا أصبح مستحيلاً الآن وأضاف: «هل يمكن أن تتخيلوا ماذا سيفعل عندما يدرك اختفاء الخاتم والقلادة؟

ماذا سيحدث لو أنه فكر أن الهوركروكس ليس فى أمان كافٍ فى (هوجوورتس) وقرر نقله من هناك؟».

«ولكن كيف سندخل إلى هناك؟».

قال (هارى): «سنذهب إلى (هوجسميد)، ونحاول إيجاد طريقة لدخول المدرسة، بعد أن نعرف طبيعة الحماية الموجودة حولها. ادخلى تحت العباءة يا (هرميون). أريد أن نظل سويا هذه المرة».

«ولكنها لن تكفينا جميعًا».

«سيكون الظلام دامسًا ولن يلاحظ أحد أقدامنا».

وتردد صدى صوت رفرفة الأجنحة الضخمة عبر المياه المظلمة. كان التنين قد شرب كفايته وانطلق فى الهواء مجددًا. وكفوا عن استعداداتهم ليراقبوه وهو يرتفع إلى أعلى وأعلى، وقد أصبح لونه أسود أمام السماء التى تظلم بسرعة، حتى اختفى خلف أحد الجبال القريبة. وتقدمت (هرميون) وأخذت مكانها بين الاثنين الآخرين، وسحب (هارى) العباءة إلى أسفل قدر المستطاع ثم استداروا فى مكانهم معًا ودخلوا إلى الظلام الساحق.



٢٨ المـرآة المفقـودة

لمست قدما (هـارى) الطريق وشعر بـالألم وهو يرى شارع (هوجسميد) الرئيسى المألوف وواجهات المحال المظلمة، والخطوط الخارجية للجبال السوداء خلف القريـة والمنعطف فـى الطريق أمـامـهم الذى يقـود مبـاشرة إلى (هـوجـوورتس)، والأضواء الخارجة من حـانة المكانس الثلاث، وشعر بقلبه يترنح قليلاً وهو يتذكر بدقة مؤلمة كيف هبط فى هذا المكان نفسه قبل سنة تقريبًا، مُساندًا (دمبلدور) وهو فى غاية الضعف. خطر ذلك كله خلال ثانية واحدة، ولكنه ما إن أرخى قبضته حول ذراعى (رون) و(هرميون)، حتى حدث كل شىء.

سمعوا صوت صرخة عالية بدت أشبه بالصرخة التى أطلقها (فولدمورت) عندما عرف بسرقة الكأس: وشعر (هـارى) بها تمزق كل عصب فى جسده، وعرف على الفور أن ظهورهم هو الذى سببها. وبينما ينظر إلى زميليه اللذين يقفان بجواره تحت العباءة، فتح باب حانة المكانس الثلاث واندفع حوالى «دستة» من آكلى الموت الذين يرتدون العباءات ويغطون رءوسهم خارجين منها إلى الطريق وعصيهم مرفوعة.

وأمسك (هـارى) بيد (رون) عندما رفع عصاه، كان من الصعب أن يقوموا بصعق هذا العدد الكبير، وستكشف المحاولة عن مكانهم. ورفع أحد آكلى الموت عصاه فتوقف الصراخ الذى كان صداه مازال يتردد عبر الجبال البعيدة.

وصاح أحد آكلى الموت: «*أكسيو العباءة!*».

أمسك (هـارى) بثنايا العباءة بقوة ولكنها لم تحاول الهروب. لم تؤثر تعويذة الاستدعاء عليها.

وصاح آكل الموت الذى أطلق التعويذة: «لست تحت غطاءك إذن يا (بوتر)؟». ثم صاح فى رفاقه: «هيا انتشروا، إنه هنا».

وجرى ستة من آكلى الموت فى اتجاههم، وتراجع (هـارى) و(رون) و(هرميون) بأسرع ما يستطيعون نحو أقرب شارع جانبى، وأخطأهم آكلو الموت ببوصات

قليلة. وانتظروا فى الظلام، وأخذوا يستمعون إلى الخطوات التى تركض فى الطريق جيئة وذهابًا، بينما أشعة الضوء القادمة من عصى آكلى الموت الباحثين تتحرك بطول الشارع.

همست (هرميون): «هيا نغادر! لننتقل آنيًّا!».

وقال (رون): «فكرة ممتازة!». ولكن قبل أن يتمكن (هارى) من الإجابة، صاح أحد آكلى الموت: «نحن نعلم أنك هنا يا (بوتر)، وليس أمامك طريق للهرب! سنعثر عليك!».

وهمس (هارى): «لقد كانوا مستعدين لنا، وضعوا تعويذة لتحذرهم عند وصولنا، وأظن أنهم فعلوا شيئًا يمنعنا من الخروج من هنا، ويوقع بنا».

وقال آكل موت آخر: «ماذا عن الديمنتورات؟ لنطلق لهم العنان، سيجدونهم بسرعة!».

«إن سيد الظلام يريد قتل (بوتر) بنفسه...».

«..الديمنتورات لن تقتله! إن سيد الظلام يريد حياة (بوتر)، لا روحه. وسيكون قتله أسهل إن قبلته الديمنتورات أولا!».

وعلت ضجة الأصوات الموافقة. وملأ الرعب (هارى)، الوسيلة الوحيدة لمقاومة الديمنتورات هى إطلاق الباتروناس، والتى ستكشف عن مكانهم فورًا.

همست (هرميون): «علينا محاولة الانتقال آنيًّا يا (هارى)!».

وبينما تقول ذلك، بدأ يشعر ببرد غير طبيعى ينتشر فى الشارع. وامتصت الأضواء من المكان الذى يحيط بهم، حتى النجوم اختفت، وشعر وسط الظلام الدامس، ب(هرميون) تمسك بيده ودارا معًا فى مكانهما.

وشعروا بأن الهواء الذى يحتاجونه حتى يتحركوا قد أصبح صلبا: لم يكن بمقدورهم الانتقال آنيًّا. يبدو أن آكلى الموت قد وضعوا تعاويذهم بإتقان. وشعر (هارى) بالبرد يتسلل إلى جسده أكثر وأكثر. وتراجع مع (رون) و(هرميون) نحو نهاية الشارع الجانبى، وهم يتلمسون طريقهم بجوار الحائط، ويحاولون عدم إصدار أى أصوات، ثم ظهرت الديمنتورات بعباءاتها السوداء وأياديها المتعفنة عند المنعطف، وأخذت تنزلق نحوهم بلا صوت. كان عددها عشرة أو يزيد، وبدت مرئية؛ لأنها أكثر إظلامًا مما يحيط بهم. هل تستطيع الشعور بخوف طرائدها؟ كان (هارى) واثقًا من ذلك، وبدأت تتقدم بسرعة نحوهم، وقد علا صوت أنفاسها المشخشخة التى يكرهها، وأخذت تنشر اليأس فى الهواء، وازداد اقترابها.

ورفع عصاه، إنه لا يستطيع ولن يعانى أبدًا قبلة الديمنتورات، مهما كانت النتائج. وفكر بـ (رون) و(هرميون) وهو يهمس: «*إكسبيكتو باترونوم!*»..

واندفع الأيل الفضى من طرف عصاه وانطلق، وتبعثرت الديمنتورات وعلت صيحة انتصار من شخص خارج مجال الرؤية: «إنه هو، هناك، هناك، لقد رأيت الباتروناس الخاص به، إنه أيل!».

تراجعت الديمنتورات وظهرت النجوم ثانية وعلا صوت خطوات آكلى الموت، وأدرك (هارى) الفزع وقبل أن يقرر (هارى) ما سيفعله، سمع صوت فتح مزلاج من مكان قريب، وفتح باب من جهة اليسار فى الشارع الضيق، وسمعوا صوتا خشنا يقول: «(بوتر)، إلىٍ هنا، أسرع!».

وأطاعه (هارى) دون تردد، وأسرع الثلاثة يعبرون الباب المفتوح.

وتمتم الشخص الطويل: «اصعدوا إلى الأعلى، أبقوا العباءة عليكم، وابقوا هادئين!»، ومر بجوارهم خارجا إلى الشارع وصفق الباب خلفه.

لم تكن لدى (هارى) أى فكرة عن مكانهم، ولكنه رأى الآن على ضوء شمعة وحيدة، حانة رأس الخنزير القذرة، نشارة الخشب. وأسرعوا خلف الطاولة وعبروا بابا آخر، وجدوا خلفه سلالم خشبية، تسلقوها بأسرع ما يمكنهم. ووصلوا إلى غرفة جلوس بها سجادة رثة ومدفأة صغيرة علقت فوقها لوحة زيتية كبيرة لفتاة شقراء تحدق فى الغرفة برقة خاوية.

ووصلتهم أصوات صيحات من الشارع فى الأسفل. وأسرعوا نحو النافذة القذرة وهم مازالوا يرتدون العباءة ونظروا إلى الأسفل. كان منقذهم، والذى أدرك (هارى) أنه الساقى فى حانة رأس الخنزير، هو الشخص الوحيد الذى لا يضع غطاء للرأس.

كان يصرخ فى وجه أحد الأشخاص الذين يلبسون غطاء للرأس قائلاً: «ماذا إذن؟ ماذا إذن؟ إذا قمتم بإرسال ديمنتورات إلى شارعى، سأرسل باتروناس خلفهم! لن أدعهم يقتربون منى، لقد أخبرتكم بذلك. لن يحدث ذلك لى!».

قال آكل الموت: «لم يكن ذلك الباتروناس الخاص بك، لقد كان أيلا. إنه يخص (بوتر)!».

سحب الساقى عصاه وهو يصيح: «أيل! أيل! أيها الحمقى، *إكسبيكتو باترونوم!*».

واندفع شىء ضخم ذو قرون خارجا من عصاه. وانطلق نحو الشارع الرئيسى وهو مطأطئ الرأس، وغاب عن الأنظار.

قـال آكل الموت وهو أقل يقينـا: «لم يكن هذا مـا رأيتـه...».
قـال أحد مرافقيه للسـاقى: «تم اختراق حظر التجول، لقد سمعت الضجة، لقد خرج شخص مـا إلى الشـارع مخالفا اللوائح...».
«لو أردت إخراج قطتى من المنزل، سأفعل، ولن يهمنى حظر تجولكم!».
«هل أنت من قـام بإطلاق تعويذة إنذار المواء؟».
«ومـاذا لو فعلت؟ هل سترسلوننى إلى أزكابـان؟ أم تقتلوننى لأننى مددت أنفى خـارج بـاب منزلى الأمـامى؟ افعلوا ذلك إذن، لو أردتم! ولكنى أرجو من أجل صـالحكم ألا تكونوا قد ضغطتم على علامات الظلام الصغيرة فى أيديكم واستدعيتموه؛ لأنه لن يعجبه أن يتم استدعاؤه هنا من أجلى أنا وقطتى العجوز، أليس كذلك؟».
رد أحد أكلة الموت: «لا تقلق بشأننا، اقلق على نفسك، لقد قمت بخرق حظر التجول!».
«وأين ستقومون بتهريب الوصفات والسموم الخاصة بكم إذا أغلقت أنا هذه الحانة؟ مـاذا سيحصل لخطوط نقلكم الجانبية الصغيرة حينها؟».
«هل تهدد...؟».
«إننى أبقى فمى مغلقا، وهذا هو سبب مجيئكم إلى هنا، أليس كذلك؟».
وصـاح آكل الموت الأول: «مـا زلت أقول بـأن البـاترونـاس الذى رأيته كان أيلاً؟».
زمجر السـاقى: «أيل؟ إنه *ماعز* أيها الأحمق!».
قـال آكل الموت الثـانى: «حسنًا، لقد أخطأنا. ولكنك لو خرقت حظر التجول ثـانية، فلن تجدنـا بهذا التساهل!».
وخطـا آكلو الموت عائدين إلى الشارع الرئيسى. وأطلقت (هرميون) زفرة ارتيـاح، وخرجت من تحت العبـاءة وجلست على كرسى هزاز. وأغلق (هـارى) الستـائر بإحكام، ثم رفع العباءة عنه هو و(رون). وسمعوا الساقى فى الأسفل، يعيد غلق بـاب الحـانة بـالمزلاج، ثم يصعد السلالم الخشبية.
ولفت نظر (هـارى) مرآة صغيرة مستطيلة الشكل مستندة على الحائط فوق رف المدفأة، تحت لوحة الفتـاة.
دخل السـاقى الغرفة.
وقـال بفظـاظة وهو ينقل نظره بينهم: «أيها الحمقى، ما الذى كنتم تفكرون فيه؟ مـا الذى أتى بكم إلى هنـا؟».

قال (هارى): «شكرا، لا يمكننا شكرك بما يكفى. لقد أنقذت حياتنا!».

نخر الساقى. واقترب (هارى) منه ونظر إلى وجهه، محاولاً تمييز ملامحه خلف الشعر الرمادى الطويل واللحية. كان يرتدى نظارة. وبدت عيناه خلف العدسات زرقاء لامعة.

«لقد كانت تلك عيناك التى رأيتهما فى المرآة».

وعم الصمت الغرفة، وتبادل (هارى) والساقى النظرات.

«أنت الذى أرسلت (دوبى) إلينا».

أومأ الساقى برأسه وتلفت حوله باحثا عن القزم.

«ظننت أنه سيكون معكم. أين تركته؟».

قال (هارى): «لقد مات، قتلته (بيلاتريكس ليسترانج)».

تجمد وجه الساقى وأصبح خاليًا من التعبير، ثم قال بعد بضع لحظات: «إننى آسف لسماع ذلك، لقد أحببت ذلك القزم».

ثم التفت بعيدًا وبدأ يشعل المصابيح بلمسات من عصاه، بدون أن ينظر إلى أحد منهم.

قال (هارى) لظهر الرجل: «أنت (أبيرفورث)».

لم يؤكد الرجل أو ينفى، ولكنه انحنى ليشعل نيران المدفأة.

وسأله (هارى) وهو يتجه نحو مرآة (سيريوس)، توءم المرآة التى كسرها منذ سنتين تقريبًا: «كيف حصلت على هذه؟».

قال (أبيرفورث): «اشتريتها من (دنج) منذ حوالى سنة. وقد أخبرنى (ألباس) عما تكون. كنت أحاول الاطمئنان عليك من وقت لآخر».

شهق (رون).

وقال بحماس: «الظبية الفضية، هل أنت من أرسلتها أيضًا؟».

قال (أبيرفورث): «ما الذى تتحدث عنه؟».

«شخص ما أرسل إلينا باتروناس على شكل ظبية!».

«يمكنك أن تصبح من آكلى الموت برأس كهذا يا بنى، ألم أبرهن منذ قليل بأن الباتروناس الخاص بى ماعز؟».

قال (رون) بلهجة دفاعية، بينما معدته تصدر كركرة: «آه، نعم... حسنًا، أنا جائع!».

قال (أبيرفورث): «لدى بعض الطعام». وخرج من الغرفة ليظهر بعد لحظات ومعه رغيف كبير من الخبز، وبعض الجبن وأبريق قصديرى به شراب العسل، ووضعهم على مائدة صغيرة أمام المدفأة. وأخذوا يأكلون ويشربون بنهم، ومرت فترة من الصمت، لم يسمع فيها سوى أصوات طقطقة النيران وصليل الكئوس والمضغ.

وعندما شبعوا، جلس (هارى) و(رون) باسترخاء فى مقعديهما، وقال (أبيرفورث): «حسنًا إذن، لابد أن نفكر فى أفضل طريقة لإخراجكم من هنا. ولا يمكن أن نقوم بذلك فى الليل، لقد سمعتم ما يحدث إذا تحرك أى شخص فى الخارج خلال الليل، ستنطلق تعويذة إنذار المواء، وينقضون عليكم مثل البوتروكل على بيض الدوكسى. ولا أظن أننى سأكون قادرًا على أن أقنعهم بأن ما رأوه كان ماعزًا وليس أيلاً مرة أخرى. انتظروا حتى الفجر، عندما يرفع حظر التجول، ويمكنكم وقتها أن ترتدوا عباءتكم وتسيروا على أقدامكم. اخرجوا من (هوجسميد). اذهبوا إلى الجبال، وهناك يمكنكم أن تقوموا بالانتقال آنيًا. وربما ترون (هاجريد). إنه مختبئ فى كهف هناك مع (جراوب) منذ حاولوا القبض عليه».

قال (هارى): «لن نرحل، يجب أن ندخل إلى (هوجوورتس)».

قال (أبيرفورث): «لا تكن غبيًا يا فتى».

قال (هارى): «يجب أن نقوم بذلك».

انحنى (أبيرفورث) إلى الأمام وقال: «ما يجب عليكم فعله هو الذهاب إلى أبعد ما يمكنكم عن هنا».

«أنت لا تفهم، ليس لدينا الكثير من الوقت. يجب أن ندخل إلى القلعة. إن (دمبلدور) ـ أقصد أخاك ـ أرادنا...».

جعل انعكاس ضوء النيران عدسات نظارة (أبيرفورث) المتسخة تبدو بيضاء لامعة ومعتمة للحظة، وتذكر (هارى) العيون العمياء للعنكبوت العملاق (أراجوج).

وقال (أبيرفورث): «لقد أراد أخى (ألباس) الكثير من الأشياء، ومن عادة الناس الإصابة بالأذى وهم ينفذون خططه العظيمة. يجب أن تبتعد عن هذه المدرسة يا (بوتر). اذهب إلى خارج البلاد إن استطعت. وانسَ أخى وخططه الذكية. لقد ذهب إلى مكان لا يمكن لأى شىء من هذا أن يؤذيه فيه، وأنت لست مدينا له بأى شىء».

قال (هارى) مرة أخرى: «إنك لا تفهم».

قال (أبيرفورث) بهدوء: «آه، كيف لا أفهم؟ هل تظن أننى لم أفهم أخى؟ هل تظن أنك تعرف (ألباس) أكثر منى؟».

قال (هارى): «لم أقصد ذلك، ولكنه... لقد ترك لى مهمة». وشعر أن عقله خامل من تأثير الطعام والشراب.

قال (أبيرفورث): «هل فعل حقًا؟ هل هى مهمة لطيفة، كما آمل؟ ممتعة؟ وسهلة؟ من نوع المهام التى يتوقع من سحرة صغار غير مؤهلين إتمامها دون أن يجهدوا أنفسهم بعمل شىء لا يقدرون عليه؟».

ضحك (رون) ضحكة كئيبة، بينما ظهر التوتر على (هرميون).

قال (هارى): «أنا.. إنها ليست سهلة، لا، ولكن يجب أن...».

قال (أبيرفورث) بخشونة: «يجب؟ لماذا «يجب»؟ إنه ميت، أليس كذلك؟ انسَ الأمر يا فتى، قبل أن تلحق به! أنقذ نفسك!».

«لا أستطيع».

«ولم لا؟».

«أنا...»، شعر (هارى) أنه مهدود، ولم يستطع الشرح، فلجأ إلى الهجوم بدلاً من ذلك: «ولكنك تقاتل أيضًا، إنك فى جماعة العنقاء..».

قال (أبيرفورث): «كنت، جماعة العنقاء انتهت. لقد انتصر (أنت ـ تعرف ـ من)، وانتهى كل شىء، وأى شخص يدعى العكس، يخدع نفسه. لن تكون بمأمن هنا أبدًا يا (بوتر)، إنه يريدك بشدة. اذهب إلى خارج البلاد، اختبئ، أنقذ نفسك. ومن الأفضل أن تأخذ هذين الاثنين معك».، وأشار إلى (رون) و(هرميون)، وأكمل: «سيكونان فى خطر طوال حياتهما، الآن، بعدما عرف الجميع أنهما يعملان معك».

قال (هارى): «لا يمكننى الرحيل، لدى عمل..».

«أعطه لشخص آخر!».

«لا أستطيع. يجب أن يكون أنا، لقد شرح لى (دمبلدور) كل شىء..».

«آه، هل فعل ذلك حقًا؟ هل أخبرك بكل شىء، وكان صادقًا تمامًا معك؟».

أراد (هارى) من كل قلبه أن يقول «نعم»، ولكنه لم يستطع النطق بهذه الكلمة البسيطة لسبب ما، وبدا على (أبيرفورث) أنه يعلم ما يفكر فيه.

وقال: «إننى أعرف أخى يا (بوتر). لقد تعلم الكتمان على يد والدتنا. أسرارًا

وأكاذيب، هكذا تربينا، وقد كانت تلك طبيعة (ألباس)..».

واتجهت عينا الرجل العجوز نحو لوحة الفتاة فوق رف المدفأة. وأدرك (هارى) عندما نظر حوله جيدا، أنها الصورة الوحيدة فى الغرفة. لم تكن هناك صورة لـ(ألباس دمبلدور) أو لأى شخص آخر.

قالت (هرميون) بتهيب: «سيد (دمبلدور)، هل هذه هى أختك؟ (أريانا)؟».

قال (أبيرفورث) بإيجاز: «أجل، هل قرأتِ كتاب (ريتا سكيتر) يا آنسة؟».

وبدا احمرار وجه (هرميون) واضحًا، بالرغم من ضعف الضوء فى المكان.

قال (هارى) لينقذ (هرميون) من الحرج: «لقد ذكرها (إلفياس دوج) لنا».

غمغم (أبيرفورث): «ذلك المغفل العجوز». وأخذ رشفة أخرى من شراب العسل، وأضاف: «إنه يظن أن الشمس تشرق من فم أخى. حسنًا، ليس وحده، الكثير من الناس ظنوا ذلك، وثلاثتكم من ضمنهم كما يبدو».

ظل (هارى) صامتا. لم يكن يريد التعبير عن الشكوك والحيرة التى انتابته حول (دمبلدور) طوال شهور. لقد اتخذ قراره وهو يحفر قبر (دوبى)، قرر أن يستمر فى الطريق الطويل الملتوى الخطر الذى حدده له (ألباس دمبلدور)، وأن يثق به ويقبل بحقيقة أنه لم يخبره بكل ما أراد معرفته. ليست لديه الرغبة للعودة إلى الشكوك ثانية، ولا يريد أن يسمع أى شىء يمكن أن يجعله يحيد عن هدفه. وواجه تحديق (أبيرفورث). كانت نظرته تشبه نظرة أخيه بشكل واضح: أعطته العينان الزرقاوان اللامعتان نفس الشعور وكأنها تمسح ما تنظر إليه بالأشعة السينية، وخطر لـ (هارى) أن (أبيرفورث) يعرف ما يفكر به ويحتقره من أجله.

قالت (هرميون) بصوت خفيض: «كان الأستاذ (دمبلدور) يهتم بـ(هارى) كثيرًا».

قال (أبيرفورث): «حقا؟ من الغريب كَمٌّ عدد الناس الذين اهتم بهم أخى كثيرًا وانتهى بهم الأمر فى حالة أسوأ مما لو تركهم فى حالهم».

قالت (هرميون) مبهورة: «ماذا تقصد؟».

«لا تهتمى».

«ولكن ما تقوله أمر خطير جدًّا! هل.. هل تتكلم عن أختك؟».

حدق (أبيرفورث) إليها، وتحركت شفتاه وكأنه يمضغ الكلمات التى يحاول كبحها، ثم انفجر بالكلام.

«عندما كانت أختى فى السادسة من عمرها، هاجمها ثلاثة فتيان من العامة، كانوا يتجسسون عبر سور الشجيرات فى الحديقة الخلفية، ورأوها وهى تؤدى سحرًا.

كانت مجرد طفلة، ولا يمكنها التحكم به. لا يستطيع ساحر أو ساحرة فى ذلك العمر التحكم به. وأظن أن ما رأوه أخافهم، فدخلوا عبر الشجيرات، وعندما لم تتمكن من أن تريهم الخدعة، اندفعوا يحاولون إيقاف الطفلة الصغيرة عن فعل ذلك».

اتسعت عينا (هرميون) فى ضوء النيران وظهر الاشمئزاز على (رون). ووقف (أبيرفورث)، طويلاً مثل (ألباس)، وقد بدا متوترًا فجأة بسبب غضبه وشدة ألمه.

«لقد حطمها ما فعلوه، ولم تعد طبيعية مرة أخرى. امتنعت عن استخدام السحر، ولكنها لم تستطع التخلص منه، فتحول إلى داخلها ودفعها إلى الجنون، وأصبح ينفجر منها عندما لا تستطيع كبته. كانت أحيانا تصبح غريبة وخطرة. ولكنها غالبًا كانت تبدو لطيفة، خائفة غير مؤذية.

قال (أبيرفورث): «وتبع أبى الأوغاد الذين فعلوا بها ذلك، وهاجمهم، وحبسوه فى أزكابان بسبب ذلك. ولكنه لم يقل أبدًا لماذا فعل ذلك؛ لأنه لو علمت الوزارة بحالة (أريانا)، كانت ستسجن فى (سانت مانجو) إلى الأبد. كانوا سيعتبرونها تهديدًا خطيرًا لقانون السرية الدولى، بسبب ما كانت عليه من عدم اتزان، وانفجار السحر منها فى اللحظات التى لا تستطيع فيها إبقاءه فى الداخل لوقت أطول.

«كان علينا أن نبقيها آمنة وهادئة. انتقلنا من منزلنا، وأشعنا أنها مريضة، واعتنت بها أمى، وحاولت أن تبقيها هادئة وسعيدة.

وخيل لهم أنهم يلمحون ولدًا صغيرًا يطل من خلف الوجه ذى التجاعيد واللحية المجعدة، وهو يقول: «لقد كنت المفضل لديها، وليس (ألباس) الذى اعتاد أن يلزم حجرته عندما يعود إلى المنزل، يقرأ كتبه ويعد جوائزه ومراسلاته مع أمثاله من «أكثر الأسماء السحرية شهرة فى ذلك الوقت»، لم يكن يريد أن يزعج نفسه بها. لقد أحبتنى أنا أكثر. كنت أستطيع أن أقنعها بأن تأكل عندما ترفض الطعام من أمى، وأستطيع أن أجعلها تهدأ عندما تكون فى إحدى نوبات غضبها، وعندما تكون هادئة، اعتادت أن تساعدنى فى إطعام الماعز.

قال (أبيرفورث): «وفى يوم، عندما أصبحت فى الرابعة عشرة... لم أكن هناك، لو كنت هناك، لاستطعت أن أهدئها، مرت بإحدى نوبات غضبها، ولم تكن أمى شابة كما كانت، و... كان حادثا. فقدت (أريانا) السيطرة وقتلت أمى».

وشعر (هارى) بمزيج فظيع من الشفقة والاشمئزاز، لم يكن يريد سماع المزيد، لكن (أبيرفورث) استمر فى الكلام، وتساءل (هارى) كم من الوقت مر منذ تحدث عن هذا الأمر، إن كان قد تكلم عنه من قبل.

«وقضى ذلك على رحلة (ألباس) حول العالم مع (دوج) الصغير. وأتى كلاهما إلى المنزل لحضور جنازة أمى ثم رحل (دوج) وحده، واستقر (ألباس) ككبير للعائلة. ها!».
بصق (أبيرفورث) فى نيران المدفأة.
«كنت سأعتنى أنا بها، أخبرته بذلك، لم أكن أهتم بالمدرسة، أردت البقاء فى المنزل والقيام بذلك. ولكنه أخبرنى أننى يجب أن أنهى تعليمى *وأنه* سيتولى شئون العائلة بعد أمى. كان ذلك تراجعا كبيرا للسيد العبقرى، ليست هناك جوائز للاعتناء بأختك نصف المجنونة، ومنعها من تفجير المنزل كل فترة، ولكنه أدى عمله بشكل جيد لبضعة أسابيع... حتى وصل هو».
وظهرت على وجه (أبيرفورث) نظرة خطيرة.
«جريندلوالد. وأخيرا، وجد أخى *ندًا* يستطيع التحدث إليه، شخصا بمثل ذكائه وموهبته. وأصبح الاهتمام بـ(أريانا) فى المرتبة الثانية، بينما كانا يضعان خططهما لنظام سحرى جديد ويبحثان عن مقدسات الموت، أو مهما كان ما يهتمان به. خطط كبيرة لمصلحة جنس السحرة، ولا يهم إذا أهملت فتاة صغيرة واحدة، عندما يعمل (ألباس) من أجل *الصالح العام*.
ولكن بعد مرور بضعة أسابيع، كنت قد اكتفيت تمامًا، خاصة مع اقتراب وقت عودتى إلى (هوجوورتس)؛ ولذلك أخبرتهما، كليهما، وجها لوجه، كما أتكلم معكم الآن»، ونظر (أبيرفورث) إلى (هارى) الذى لم يحتج إلى الكثير من الخيال ليتخيله مراهقا غاضبا يواجه أخاه الأكبر، وأكمل قائلاً: «قلت له، من الأفضل أن تتخلى عن ذلك الآن. لا يمكنك نقلها؛ لأن حالتها لا تسمح بذلك. لا يمكنك أخذها معك، مهما كان المكان الذى تخطط للذهاب إليه، لتلقى فيه خطبك البارعة التى تنوى جمع التابعين حولك بها. لم يعجبه ذلك»، واختفت عينا (أبيرفورث) للحظة عندما انعكس ضوء النار على عدسات نظارته مجددًا، وقال: «ولم يعجب ذلك (جريندلوالد) أيضًا. وغضب بشدة وأخبرنى أننى ولد صغير غبى، لأحاول تعطيله هو وأخى العبقرى... كيف لا أفهم أن أختى المسكينة لن يكون عليها الاختباء عندما يغيران العالم، ويقودان السحرة إلى الخروج من مخابئهم، ويعلمان العامة مكانهم الصحيح؟
«وتشاجرنا... وأخرجت عصاى وأخرج هو عصاه، وأصابتنى تعويذة التعذيب من صديق أخى الصدوق - وحاول (ألباس) إيقافه، وتحول الأمر إلى مبارزة بيننا نحن الثلاثة، وتسببت الأضواء الوامضة والخبطات فى إثارتها، ولم تستطع تحملها».

وانسحب اللون من وجه (أبيرفورث)، وكأنه يعانى جرحًا قاتلاً.

«أعتقد أنها أرادت المساعدة، ولكنها لم تكن تعرف ما تفعله. لا أعرف من منا فعل ذلك، من الممكن أن يكون أى واحد منا... وماتت».

وانقطع صوته عند الكلمة الأخيرة وسقط على أقرب كرسى. وبدا وجه (هرميون) مبللاً بالدموع، و(رون) فى شحوب (أبيرفورث) تقريبًا، بينما لم يشعر (هارى) بأى شيء سوى الاشمئزاز، وتمنى لو أنه لم يسمع شيئًا من هذا، تمنى لو يستطيع تنظيف عقله منه.

وهمست (هرميون): «أنا آسفة... آسفة جدًا».

قال (أبيرفورث) بصوت أجش: «رحلت، رحلت إلى الأبد».

ومسح أنفه فى كم قميصه وتنحنح.

«وهرب (جريندلوالد). كانت فى سجله سابقة مشابهة، فأسرع بالعودة إلى وطنه، حتى لا ينسب موت (أريانا) له. وأصبح (ألباس) حرا، أليس كذلك؟ حرا من عبء أخته، حرا ليصبح أعظم ساحر فى».

قال (هارى): «لم يكن حرا قط».

قال (أبيرفورث): «أستميحك عذرًا».

قال (هارى): «أبدًا. شرب شقيقك فى الليلة التى مات فيها وصفة أفقدته عقله. وبدأ يصرخ، ويرجو شخصا لم يكن موجودًا ويقول: *«أرجوك لا تؤذهم... ائذنى أنا بدلاً منهم»*...».

حدق (رون) و(هرميون) فى (هارى). لم يسبق أن حكى لهما تفاصيل ما حدث فوق الجزيرة وسط البحيرة، غطت عليها الأحداث التى جرت بعد عودته هو و(دمبلدور) إلى (هوجوورتس).

قال (هارى) وهو يتذكر كيف كان (دمبلدور) يتوسل ويتعذب: «لقد اعتقد أنه عاد هناك معك أنت و(جريندلوالد)، أنا متأكد من أنه فعل. لقد ظن أنه يرى (جريندلوالد) يؤذيك أنت و(أريانا)... كان ذلك يعذبه، لو أنك رأيته وقتها، لم تكن لتقول أبدًا إنه كان حرا».

شرد (أبيرفورث) فى تأمل يديه المعقودتين المعروقتين. وبعد فترة صمت طويلة قال: «كيف يمكنك التأكد يا (بوتر) من أن أخى لم يكن مهتما بالصالح العام أكثر من اهتمامه بك؟ كيف يمكنك التأكد من أنك لست شيئًا يمكن الاستغناء عنه، تمامًا مثل أختى الصغيرة؟».

وشعر (هارى) كأن قطعة من الثلج تخترق قلبه.
قالت (هرميون): «لا أصدق ذلك. كان (دمبلدور) يحب (هارى)».
صاح (أبيرفورث): «لماذا إذن لم يطلب منه الاختباء؟ لماذا لَم يقل له، احترس لنفسك، هكذا ستنجو؟».
رد (هارى) قبل أن تتمكن (هرميون) من الإجابة: «لأنه فى بعض الأحيان يكون *عليك* التفكير فيما هو أهم من سلامتك الشخصية! يكون *عليك* التفكير بالصالح العام! هذه هى الحرب!».
«إنك فى السابعة عشرة يا فتى!».
«إننى بالغ، وسأستمر فى القتال حتى لو كنت أنت استسلمت!».
«من قال إننى استسلمْت؟».
كرر (هارى) ما قاله: «جماعة العنقاء انتهت. لقد انتصر، (أنت ـ تعرف ـ من)، وانتهى كل شىء، وأى شخص يدعى العكس، يخدع نفسه».
«أنا لا أقول إننى أحب ذلك، ولكنها الحقيقة!».
قال (هارى): «لا، ليست كذلك. كان أخوك يعرف كيف يقضى على (أنت ـ تعرف ـ من) وقد مرر تلك المعرفة إليّ. وأنا سأستمر فى المحاولة حتى أنجح أو أموت. ولا تظن أننى لا أعرف كيف يمكن أن ينتهى هذا. إننى أعرف ذلك منذ سنوات».
انتظر أن يجادله (أبيرفورث) أو يسخر منه، ولكنه لم يفعل شيئا سوى تقطيب وجهه.
قال (هارى) مرة أخرى: «نحتاج إلى الدخول إلى (هوجوورتس)، إن لم تكن تستطيع مساعدتنا، سننتظر حتى طلوع الفجر، ثم نتركك فى سلام، ونحاول أن نجد طريقة بأنفسنا. وإن كنت تستطيع مساعدتنا فالآن هو الوقت الأمثل لذكر ذلك».
ظل (أبيرفورث) جامدا فى كرسيه، وهو يحدق فى (هارى)، بعينيه اللتين تشبهان عينى أخيه بشكل غير عادى. وأخيرا تنحنح، ووقف على قدميه، ودار حول المائدة الصغيرة، واقترب من لوحة (أريانا).
وقال: «تعلمين ما عليك فعله».
ابتسمت واستدارت ومشت مبتعدة، ولكن ليس كما يفعل الناس عادة فى اللوحات، حين يخرجون من أحد جانبى الإطار، وإنما بطول ما بدا كنفق طويل مرسوم خلفها. وأخذوا يراقبون شكلها الصغير وهو يبتعد حتى ابتلعها الظلام أخيرًا.

قال (رون): «أ... ماذا...؟».

قال (أبيرفورث): «ليست هناك سوى طريقة وحيدة للدخول الآن، يجب أن تعلموا بأن جميع الممرات السرية القديمة مؤمَّنة من كلا الطرفين، والديمنتورات موجودة بجوار جميع الحوائط، كما أن هناك دوريات منتظمة تدور داخل المدرسة كما أخبرتنى مصادرى. لم يشهد المكان حراسة بهذه الكثافة من قبل. ولكن كيف تتوقعون فعل أى شىء عندما تدخلون إلى هناك، مع وجود (سناب) والإخوة (كارو) نائباه - حسنًا، ها هو حارسكم، قد قلتم أنكم مستعدين للموت».

قالت (هرميون) وهى تنظر بتجهم إلى لوحة (أريانا): «ولكن ماذا...؟».

ظهرت نقطة بيضاء صغيرة مرة أخرى فى نهاية النفق المرسوم، وظهرت (أريانا) تسير عائدة إليهم، وهى تكبر أكثر فأكثر كلما تقدمت. كان معها شخص آخر، شخص أطول منها يعرج بجوارها، وقد بدت عليه الإثارة، وطال شعره كثيرا عما يذكره (هارى)، وظهر على وجهه جروح عديدة وتمزقت ملابسه. وأخذا يكبران أكثر وأكثر حتى ملأ رأساهما وكتفاهما اللوحة. ثم تأرجحت اللوحة إلى الأمام عن الحائط مثل باب صغير لتكشف عن مدخل النفق الحقيقى. وخرج منه، بشعره الطويل، ووجهه المجروح، وملابسه الممزقة، (نيفيل لونجبوتم) الحقيقى الذى أطلق صيحة ابتهاج، وقفز من فوق رف المدفأة وهو يصيح: «عرفت أنك ستعود! عرفت ذلك *يا (هارى)!*».



٢٩ التــاج المفقــود

«(نيفيل) ـ ماذا ـ كيف...؟».

ولكن (نيفيل) لمح (رون) و(هرميون)، وأطلق صيحة ابتهاج وأسرع يعانقهما أيضًا. وكلما نظر (هارى) إلى (نيفيل) أكثر، بدا له فى حالة أسوأ، بدت إحدى عينيه منتفخة ولونها أصفرُ وبنفسجى، وظهرت آثار جروح على وجهه، كما أوحى مظهره الرث أنه كان يعيش حياة شديدة القسوة. وعلى الرغم من ذلك، أشرق محياه الملىء بالجروح بالسعادة وهو يترك (هرميون) ويقول: «كنت أعرف أنكم قادمون! وظللت أقول لـ(شيموس) إنها مسألة وقت!».

ما الذى حدث لك يا (نيفيل)؟»..

قال وهو يهز رأسه مقللا من شأن إصاباته: «ماذا؟ هذه؟ إنها لا شىء، حالة (شيموس) أسوأ بكثير. سترون، هل نذهب إذن؟ آه»، والتفت نحو (أبيرفورث) قائلاً: «بالمناسبة، قد يكون هناك المزيد من الأشخاص فى طريقهم إلى هنا».

كرر (أبيرفورث) بنبرة قلقة: «المزيد؟ ما الذى تعنيه بالمزيد، يا (لونجبوتم)؟ هنالك حظر تجول وتعويذة إنذار المواء موضوعة على القرية بأسرها!».

قال (نيفيل): «أعرف، ولذلك، سينتقلون آنيًّا إلى الحانة مباشرة. هل يمكنك أن ترسلهم عبر الممر عندما يصلون إلى هنا؟ أكون شاكرا لك».

مد (نيفيل) يده لـ (هرميون) ليساعدها لتتسلق إلى رف المدفأة ومنه إلى النفق، وتبعها (رون) ثم (نيفيل). توجه (هارى) إلى (أبيرفورث) وقال: «لا أعرف حقًّا كيف أشكرك. لقد أنقذت حياتنا مرتين».

قال (أبيرفورث) بخشونة: «اعتنوا بأنفسكم إذن، فقد لا أكون قادرا على إنقاذها مرة ثالثة».

تسلق (هارى) إلى رف المدفأة عبر الفتحة الموجودة خلف لوحة أرينا. ووجد درجات صخرية ملساء على الجانب الآخر، وبدا الممر وكأنه موجود هناك منذ

سنوات. ورأى مصابيح نحاسية معلقة على الحوائط بينما الأرضية مستوية، وتموجت ظلالهم مثل المروحة على الحوائط وهم يمشون.

سأل (رون) بعد أن بدءوا المسير: «منذ متى هذا الممر هنا؟ إنه ليس على خارطة المارودر، أليس كذلك يا (هارى)؟ ظننت أنه لا يوجد سوى سبعة ممرات فقط من وإلى المدرسة؟»..

قال (نيفيل): «لقد أغلقوا تلك الممرات قبل بداية السنة. وليست هناك فرصة للدخول عن طريق أحدها الآن، ليس بعد أن وضعوا لعنات على المداخل، بينما آكلو الموت والديمنتورات ينتظرون عند المخارج». وبدأ يسير إلى الخلف وهو ينظر إليهم مبتسما وقال: «لا تهتموا بذلك... هل كان ما سمعناه صحيحًا؟ هل حقًا اقتحمتم (جرينجوتس)؟ وهربتم على ظهر تنين؟ إن القصة فى كل مكان، والجميع يتكلم عن ذلك، ضرب (كارو) (تيرى بوت) لأنه صاح بذلك فى البهو العظيم على العشاء!»..

قال (هارى): «نعم، صحيح».

ضحك (نيفيل) بمرح وقال: «وماذا فعلتم بالتنين؟».

قال (رون): «أطلقناه فى البرارى، كانت (هرميون) تريدنا أن نحتفظ به كحيوان أليف».

«لا تبالغ يا (رون)».

«ولكن ماذا كنتم تفعلون؟ كان الناس يقولون إنك هارب فحسب يا (هارى)، ولكننى لا أظن ذلك. وأعتقد بأنك كنت تقوم بشىء ما».

قال (هارى): «أنت محق، ولكن أخبرنا عن (هوجوورتس) يا (نيفيل)، لم نسمع شيئًا من أخبارها».

قال (نيفيل) وقد اختفت الابتسامة من وجهه: «لقد كانت... حسنًا، لم تعد (هوجوورتس) كما كانت. هل سمعتم عن الإخوة (كارو)؟».

«الشقيقان آكلا الموت اللذان يدرسان هنا؟».

قال (نيفيل): «إنهما يفعلان ما هو أكثر من التدريس، فهما مسئولان عن التأديب. إن الإخوة (كارو) يعشقان العقاب».

«مثل (أمبريدج)؟».

«لا، تبدو (أمبريدج) مستأنسة مقارنة بهما. من المفترض أن يسلمنا الأساتذة الآخرون إلى الإخوة (كارو) إذا قمنا بأى خطأ، ولكنهم لا يفعلون لو أمكنهم تجنب ذلك. من الواضح أنهم جميعًا يكرهونهما بقدر ما نكرههم نحن».

«يدرس لنا (أميكوس)، ما يفترض أنه الدفاع عن النفس ضد فنون الظلام، لكنه أصبح فنون الظلام نفسها، حيث يفترض بنا أن نتدرب على تعويذة التعذيب على المعاقبين بالاحتجاز».

«ماذا؟».

وتردد صدى أصوات (هارى) و(رون) و(هرميون) فى الممر.

قال (نيفيل) وهو يشير إلى جرح عَميق فى خده: «نعم، هكذا حصلت على هذه. رفضت القيام بذلك، ولكن البعض يحبون ذلك ومن بينهم (كراب) و(جويل). إنها المرة الأولى التى يتفوقان فيها فى شىء على ما أظن.

وبينما تدرس (أليكتو)، شقيقة (أميكوس)، مادة دراسات العامة، والتى أصبحت إلزامية بالنسبة إلى الجميع. مما اضطرنا جميعًا إلى الاستماع إليها وهى تشرح كيف أن العامة كالحيوانات، أغبياء وقذرون، وكيف أنهم أجبروا السحرة على الاختباء بمعاملتهم الشريرة لهم، وكيف تم إعادة تأسيس النظام الطبيعى»، وأشار إلى جرح عميق آخر فى وجهه وأضاف: «وحصلت على هذه؛ لأننى سألتها عن مقدار ما تحمل هى وشقيقها من دم عامى؟».

قال (رون): «اللعنة يا (نيفيل)، هناك أماكن وأوقات مناسبة لإطلاق الملاحظات الذكية».

قال (نيفيل): «إنك لم تسمعها، لم تكن لتتحمل ذلك أيضًا. الأمر هو أن وقوف أحد فى وجهيهما يمنح الجميع الأمل. لقد كنت ألاحظ ذلك عندما تقوم أنت بذلك يا (هارى)».

قال (رون): «ولكنهما كانا يستخدمانك كمسن للسكاكين». وأجفل قليلاً عندما مروا تحت مصباح وبدت جروح (نيفيل) أكثر وضوحًا.

هز (نيفيل) كتفيه وقال: «لا يهم. لم يرغبوا فى هدر الكثير من الدماء النقية، لذلك اكتفوا بتعذيبنا قليلاً إذا تكلمنا أكثر من اللازم ولكنهما حقًا لن يقوموا بقتلنا».

لم يعرف (هارى) أيهما الأسوأ، الأشياء التى يقولها (نيفيل) أم النبرة الواقعية التى كان يقولها بها.

«الأشخاص الوحيدون الذين تعرضوا لخطر حقيقى هم من لهم أقارب أو أصدقاء فى الخارج يسببون المشاكل. كانوا يأخذونهم رهائن. فعندما تمادى (زينو لوفجود) العجوز قليلاً فى الكلام فى *المراوغ*، سحبوا (لونا) من القطار ونحن عائدون لعطلة عيد الميلاد».

«(نيفيل)، إنها بخير، لقد رأيناها».

«نعم، أعرف، لقد تمكنت من إرسال رسالة لى».

وأخرج من جيبه عملة ذهبية عرف فيها (هارى) أحد الجاليونات المزيفة التى استخدمها أعضاء جيش (دمبلدور) فى تبادل الرسائل.

قال (نيفيل) وهو يبتسم لـ(هرميون): «لقد عملت هذه بصورة رائعة، ولم يكتشف الإخوة (كارو) قط كيف كنا نتصل ببعضنا البعض، وأثار ذلك جنونهما. اعتدنا أن نتسلل خارجًا فى الليل لنكتب على الحوائط: *مازال جيش (دمبلدور) يجند المزيد*، وأشياء مثل هذه، وقد كره (سناب) الأمر حقًا».

قال (هارى)، والذى أدرك صيغة الماضى فى كلامه: «*اعتدتم*؟».

«حسنًا، لقد أصبح الأمر أكثر صعوبة بمرور الوقت، خسرنا (لونا) فى عيد الميلاد، ولم تعد (جينى) قط بعد عطلة الفصح، وقد كان ثلاثتنا نشكل القادة نوعًا ما. وأدرك الإخوة (كارو) أننى خلف الكثير من تلك الأمور، فأصبحوا أكثر شدة معى، ثم قبض على (مايكل كورنر) وهو يقوم بتحرير طالب من السنة الأولى كانوا قد قيدوه بالسلاسل، فعذبوه بشكل مريع، مما أخاف الآخرين».

قال (رون) بينما بدأ الممر بالميل إلى الأعلى: «أحقًا ما تقول؟».

«نعم، لم أستطع أن أطلب من الآخرين المرور بما مر به (مايكل)، لذا فقد تخلينا عن هذه الأمور. ولكننا استمررنا فى القتال، وأخذنا نقوم بالعديد من الأمور فى الخفاء، حتى قبل أسبوعين. عندما قرروا أن هنالك طريقة وحيدة لإيقافى، كما أظن، فاستهدفوا جدتى».

قال (هارى) و(رون) و(هرميون) معًا: «*ماذا* فعلوا؟».

قال (نيفيل): «أجل»، كان يلهث قليلاً؛ لأن الممر الذى يصعدونه أصبح شديد الانحدار وأضاف: «حسنًا، يمكنكم أن تفهموا كيف يفكرون. لقد نجح اختطاف الأطفال فى جعل أقاربهم يحسنون من تصرفاتهم. لذلك أفترض أنها كانت مسألة وقت حتى يقوموا بالأمر بالعكس. الأمر هو، واستدار ليواجههم، ودهش (هارى) لرؤيته يبتسم ابتسامة عريضة، وأضاف: «أنهم قضموا أكثر مما يستطيعون

مضغه مع جدتى. لابد أنهم فكروا أنها ساحرة عجوز ضئيلة تعيش وحيدة، وظنوا أنهم ليسوا بحاجة إلى إرسال شخص قوى إليها، على كل حال»، وضحك (نيفيل) قائلاً: «لا يزال (داوليش) فى (سانت مانجو)، بينما جدتى هاربة. وقد أرسلت إلى رسالة»، ووضع يده على الجيب العلوى فى ملابسه، وأكمل: «لتخبرنى بأنها فخورة بى، وأننى ابن والدىّ حقًا، وأن أواصل ما أفعله».

قال (رون): «رائع».

قال (نيفيل) بسعادة: «نعم، المشكلة الوحيدة هى أنهما ما إن أدركا أنهما لن يستطيعا السيطرة علىّ، قررا أن (هوجوورتس) ستكون أفضل حالاً بدونى. لا أعرف أن خططا لقتلى أو إرسالى إلى أزكابان، ولكننى أدركت أن الوقت قد حان للاختفاء».

قال (رون) متحيرا: «ولكن، ألسنا... ألسنا متجهين مباشرة إلى (هوجوورتس)؟»..

قال (نيفيل): «بالطبع، سترون. لقد وصلنا».

التفوا حول منعطف ليجدوا أمامهم نهاية الممر. وصعدوا بضع درجات قادتهم مباشرة إلى باب يشبه الباب المخبأ خلف لوحة (أريانا)، دفعه (نيفيل) ليفتحه وتسلق داخلا عبره. وتبعه (هارى) وسمعه ينادى أشخاصًا لا يراهم: «انظروا من جاء! ألم أخبركم؟»..

وما إن دخل (هارى) إلى الغرفة التى خلف الممر حتى انطلق الكثير من الصراخ والصياح.

«(هارى)!».

«إنه (بوتر)، إنه (**بوتر**)!».

«(رون)!».

«(*هرميون*)!».

وشعر بالارتباك بسبب اللافتات الملونة والمصابيح والوجوه الكثيرة التى تحيط به، وفى اللحظة التالية، كان هو و(رون) و(هرميون) يتعرضون للعناق وربتات على الظهر والمصافحة بعد أن أطبق عليهم ما بدا كعشرين شخصا. وكأنهم قد فازوا لتوهم بنهائيات الكويدتش.

صاح (نيفيل): «حسنًا، حسنًا، اهدءوا!».، فتراجع الحشد قليلاً، وأصبح بمقدور (هارى) رؤية ما يحيط به.

لم يتعرف على الحجرة. بدت ضخمة، أشبه ببيت شجرة فخم، أو ربما كابينة يخت ضخم. كان هناك الكثير من الأسرة المعلقة ذات الألوان المختلفة مثبتة بأسلاك فى السقف والشرفة التى تدور حول الجدران الخشبية عديمة النوافذ، والمغطاة بلوحات قماش مزينة برسوم مشرقة. ورأى (هارى) أسد (جريفندور) الذهبى مرسومًا باللون القرمزى و حيوان الغرير الأسود الخاص بـ(هفلباف) محاطا باللون الأصفر والنسر البرونزى لـ (رافينكلو) وسط اللون الأزرق. وأدرك أن رمز (سليذرين) الأخضر والفضى وحده هو الغائب عن المكان. ورأى مكتبات مليئة، بعض المكانس مستندة على الجدران، وفى الزاوية مذياع خشبى ضخم.

«أين نحن؟»..

قال (نيفيل): «فى غرفة الطلب بالطبع! تفوقت على نفسها، أليس كذلك؟ كان الإخوة (كارو) يطارداننى، وعلمت أنه ليست لدى سوى فرصة واحدة للاختباء، تمكنت من المرور عبر الباب وهذا ما وجدت! لم تكن هكذا بالضبط عندما وصلت، كانت أصغر بكثير، وهناك سرير معلق وحيد ورمز (جريفندور) فقط. ولكنها أخذت تتسع أكثر وأكثر كلما وصل أحد أعضاء جيش (دمبلدور)».

قال (هارى) وهو ينظر حوله بحثًا عن الباب: «ولا يستطيع الإخوة (كارو) الدخول؟».

قال (شيموس فينيجان) الذى لم يتعرف عليه (هارى) إلا عندما تكلم،بسبب التورم والرضوض التى تغطيه: «لا، إنه مخبأ مثالى، ما دام أحدنا يبقى هنا، لا يمكنهم الوصول إلينا، الباب لن يفتح. كل هذا بفضل (نيفيل). لقد حصل لنا على هذه الغرفة. يجب أن تسألها عما تحتاجه بالضبط... مثل «لا تسمح للدخول لأى شخص ممن يناصرون الإخوة (كارو)»... وستفعل ذلك من أجلك! سيكون عليك فقط التحقق من إغلاق أى ثغرات، (نيفيل) هو رجلنا!».

قال (نيفيل) بتواضع: «لقد جرت الأمور بشكل جيد حقًا. كنت قد أمضيت هنا يومًا ونصف اليوم، وأصبحت جائعًا جدًا، وتمنيت الحصول على أى شىء يؤكل، وفجأة فتح الممر إلى حانة رأس الخنزير. ذهبت عبره والتقيت بـ (أبيرفورث) الذى كان يمدنا بالطعام؛ لأنه ولسبب ما، هذا هو الشىء الوحيد الذى لا تستطيع الغرفة صنعه لنا».

قال (رون) مثيرا دهشة الجميع: «أجل، الطعام هو أحد الاستثناءات الخمسة لقانون (جامب) للتحولات الأساسية».

قال (شيموس): «نحن مختبئون هنا منذ أسبوعين تقريبًا، وما زالت الغرفة تصنع المزيد من الأسرة المعلقة كلما احتجنا إلى واحد منها، بل إنها قدمت لنا أيضًا حماما ممتازا عندما بدأت الفتيات بالانضمام إلينا».

وأكملت (لافيندر براون): «وفكرت أننا ربما نرغب فى الاغتسال، أجل». لم يكن (هارى) قد أدرك وجودها حتى هذه اللحظة. وبدأ ينظر حوله بتركيز، وتعرف على الكثير من الوجوه المألوفة: التوءمين (باتيل)، و(تيرى بوت)، و(إيرنى ماكميليان)، و(أنطونى جولدشتاين) و(مايكل كورنر).

قال (إيرنى): «أخبرونا بما كنتم تفعلون. سمعنا الكثير من الشائعات، وكنا نحاول متابعتكم عبر *(بوتر واتش)*»، وأشار إلى الراديو الخشبى، وأضاف: «إنكم لم تقوموا باقتحام (جرينجوتس)؟».

قال (نيفيل): «لقد فعلوا ذلك! والتنين حقيقة أيضًا!».

انطلق الكثير من التصفيق وصيحات الاستحسان والهتافات، وانحنى لهم (رون) قليلاً.

قال (شيموس) بلهفة: «ما الذى كنتم تسعون إليه؟».

ولكن وقبل أن يتمكن أحدهم من تفادى الإجابة بسؤال آخر، شعر (هارى) بألم فظيع فى ندبته التى تشبه البرق. وأدار ظهره بسرعة عن الوجوه المبتهجة الفضولية، واختفت غرفة الطلب، ووجد نفسه يقف داخل كوخ صخرى مهدم، بينما الأرضية الخشبية العفنة مشقوقة تحت قدميه، ويوجد صندوق ذهبى مفتوح وخال بجانب الحفرة، وترددت صرخة غضب (فولدمورت) داخل رأسه.

وبذل جهدا كبيرا ليسحب نفسه من أفكار (فولدمورت) ويعود إلى حيث يقف فى غرفة الطلب، مترنحا والعرق يتصبب من وجهه وقد سنده (رون) حتى لا يقع.

قال (نيفيل): «أأنت بخير يا (هارى)؟ هل تريد الجلوس؟ أظن بأنك مرهق، أليس... ؟».

قال (هارى): «لا». ونظر إلى (رون) و(هرميون)، محاولا إخبارهم دون كلمات بأن (فولدمورت) قد اكتشف لتوه خسارة هوركروكس آخر. والوقت يجرى بسرعة، لو قرر (فولدمورت) زيارة (هوجوورتس) الآن، سيفقدون فرصتهم.

وأخبرته التعبيرات التى ارتسمت على وجهيهما أنهما فهما الأمر، وقال: «يجب أن نذهب».

سأل (شيموس): «ما الذى سنقوم بفعله، إذن يا (هارى)؟ ما الخطة؟».

كـرر (هــارى): «الخطـة؟ حسنًـا، هـنــالك شـىء يـجب أن نـقـوم بـه أنــا و(رون) و(هرميون)، وبعدهـا سنغـادر المكـان». كـان يبذل كل مـا يملك من قوة إرادة ليمنـع نفسه من الانزلاق مجددًا مع ثورة (فولدمورت)، وندبته لا تزال تؤلمه.

لم يعد أحد يضحك أو يهتف. وظهرت الحيرة على (نيفيل).

وأضـاف: «مـاذا تعنى بـالخروج من هنـا؟».

قـال (هـارى) وهو يحك ندبته محـاولاً تخفيف ألمهـا: «إننـا لم نعد للبقـاء. هنـالك عمل هـام علينـا القيـام بـه».

«مـا هو؟».

«لا، لا يمكننـى إخبـارِكم».

انطلقت موجة من الغمغمة بينمـا عقد (نيفيل) حـاجبيه.

وقـال: «لم لا تستطيع إخبـارنـا؟ إنه شىء يتعلق بقتـال (أنت ـ تعرف ـ من)، أليس كذلك؟».

«نعم».

«إذن، سوف نسـاعدك».

أومـأ بقية أعضـاء جيش (دمبلدور)، البعض بحمـاس والآخرون بوقـار. وترك اثنـان منهمـا مقعديهمـا مظهرين بوضوح استعدادهمـا للعمل على الفور.

قـال (هـارى): «أنتم لا تفهمون، نحن... نحن لا نستطيع إخبـاركم. يجب أن نقوم بذلك وحدنـا». وفكر أنه كرر هذه الجملة كثيرا خلال السـاعـات القليلة المـاضية.

سأل (نيفيل): «لمـاذا؟»..

«لأن..». ووجد (هـارى) صعوبة فى تجميع أفكاره فى غمرة يأسه ليبدأ فى البحث عن الهوركروكس المفقود، أو على الأقل ليحصل على فرصة للحديث مع الاثنين الآخرين على انفراد عن المكـان المحتمل لوجوده، كـانت الندبة لا تزال تتوهج بـالألم. وتـابع بحذر: «ترك (دمبلدور) لثلاثتنـا عملاً، ولا يفترض بنـا أن نخبر به أحدًا؛ أعنى لقد أراد منـا أن نقوم به وحدنـا، نحن الثلاثة فقط».

قـال (نيفيل): «ونحن جيشه، جيش (دمبلدور). إننـا جميعًا فى هذا معًا، وقد أبقينـا الأمر مستمرا، بينمـا ثلاثتكم فى الخـارج».

قـال (رون): «لم يكن الأمر نزهة تمـامًا يـا صديقى».

«لم أقل هذا قط، ولكننى لا أستطيع أن أفهم لمـاذا لا تستطيعون الثقة بنـا. كل فرد فى هذه الغرفة شارك فى القتـال وأجبر على الاختبـاء هربـا من مطاردة الإخوة (كـارو). وقد أثبتوا جميعًا ولاءهم لـ(دمبلدور) وولاءهم لكم».

قال (هارى): «انظر»، لم يكن يعلم ما سيقول، ولكن ذلك لم يكن مهمًا. وفتح باب النفق خلفهم.

«لقد وصلتنا رسالتك يا (نيفيل)! أهلاً بكم أنتم الثلاثة، ظننت أننا سنجدكم هنا». كان هذا (دين) و(لونا). أطلق (شيموس) صيحة ابتهاج كبيرة وانطلق ليعانق صديقه الحميم.

قالت (لونا) بسعادة: «أهلاً، جميعًا! آه، من الرائع جدًا أن نعود!».

قال (هارى) بذهول: «(لونا)، ماذا تفعلين هنا؟ كيف؟».

قال (نيفيل) وهو يرفع الجاليون المزيف: «لقد أرسلت إليها. وعدتها ووعدت (جينى) أننى سوف أخبرهما إن ظهرتم هنا. ظننا أن عودتكم ستعنى الثورة والإطاحة بـ(سناب) والأخوة (كارو)».

قالت (لونا) بابتهاج: «بالطبع، هذا هو ما يعنيه الأمر، أليس كذلك يا (هارى)؟ سنقوم بمقاتلتهم وطردهم من (هوجوورتس)؟».

قال (هارى) بفزع متزايد: «اسمعوا، أنا آسف، ولكن ليس هذا ما أتينا من أجله. هناك شيء علينا عمله وبعدها...».

سأله (مايكل كورنر): «هل ستتركنا فى هذه الفوضى؟».

قال (رون): «لا! إن ما نقوم به فى مصلحة الجميع فى النهاية، وكله يتعلق بالتخلص من (أنت ـ تعرف ـ من)».

قال (نيفيل) بغضب: «إذن دعنا نساعدك! نريد أن نكون جزءًا من الأمر!».

وسمعوا ضجة أخرى خلفهم، والتفت (هارى). وشعر وكأن قلبه يسقط عندما رأى (جينى) تقفز من الفتحة فى الحائط، يتبعها (فريد)، (جورج) و(لى جوردان). ابتسمت (جينى) لـ (هارى) ابتسامة مشرقة: كان قد نسى، أو ربما لم يقدر تمامًا من قبل كم هى جميلة، ولكنه مع ذلك لم يكن قط أقل سعادة برؤيتها من هذه اللحظة.

قال (فريد) وهو يرفع يده ليرد على الهتافات المتعددة: «(أبيرفورث) منزعج قليلاً، أراد الحصول على غفوة، وتحولت حانته فجأة إلى محطة قطار».

فتح (هارى) فمه بدهشة عندما رأى خلف (لى جوردان) صديقته السابقة (تشو تشانج) التى ابتسمت له.

وقالت: «لقد وصلتنى الرسالة». ورفعت الجاليون المزيف الخاص بها وهى تسير لتجلس إلى جانب (مايكل كورنر).

قال (جورج): «إذن ما الخطة يا (هارى)؟».

قال (هارى): «لا توجد خطة». كان لا يزال مرتبكا للظهور المفاجئ لجميع هؤلاء الأشخاص، وغير قادر على التركيز بسبب ألم ندبته الشديد.

قال (فريد): «هل سنبتكرها ونحن نتقدم؟ نوعى المفضل».

قال (هارى) لـ (نيفيل): «يجب أن توقف هذا! لم طلبت منهم جميعًا العودة؟ هذا جنون».

قال (دين) وهو يرفع جاليونه المزيف: «نحن نقاتل، أليس كذلك؟ الرسالة قالت بأن (هارى) عاد، وأننا سنبدأ القتال! يجب أن أحصل على عصا إذن».

قال (شيموس): «ليس لديك عصا؟».

فاستدار (رون) إلى (هارى) فجأة وقال: «لم لا يستطيعون المساعدة؟».

«ماذا؟».

خفض صوته حتى لا يستطيع أى شخص سوى (هرميون) التى كانت تقف بينهما سماعه: «يمكنهم المساعدة، نحن لا نعلم أين هو. ويجب أن نعثر عليه بسرعة. ليس علينا إخبارهم بأنه هوركروكس».

نظر (هارى) من (رون) إلى (هرميون) التى غمغمت: «أظن أن (رون) على حق. نحن لا نعلم حتى عم نبحث، نحن بحاجة إليهم». وعندما بدا (هارى) غير مقتنع، أضافت: «ليس عليك القيام بكل شيء وحدك يا (هارى)».

فكر (هارى) بسرعة، ندبته لا زالت تنبض، ورأسه يهدد بالانقسام مجددًا. لقد حذره (دمبلدور) من إخبار أى شخص آخر عدا (رون) و(هرميون) عن الهوركروكسات. *أسرار وأكاذيب، هكذا تربينا، وقد كانت تلك طبيعة (ألباس)*... هل كان يتحول إلى (دمبلدور) ويبقى أسراره مغلقة داخل صدره ويخاف من الثقة بأى شخص؟ ولكن (دمبلدور) وثق بـ(سناب)، وأين قاده ذلك؟ قاده ليقتل فوق قمة أعلى برج فى (هوجوورتس)...

قال بهدوء للاثنين الآخرين: «حسنًا». وأضاف بقوة لباقى الموجودين بالغرفة فتوقفت كل الضجة: «لا بأس». وصمت (فريد) و(جورج) اللذان كانا يوزعان النكات على من حولهما، ونظر إليه الجميع بحذر وإثارة.

قال (هارى): «هناك شيء علينا العثور عليه، شيء... شيء سيساعدنا على الإطاحة بـ(أنت ـ تعرف ـ من). إنه هنا فى (هوجوورتس)، ولكننا لا نعرف أين. ربما يكون من ممتلكات (رافينكلو). هل سمع أحدكم يومًا عن شيء كهذا؟ هل رأى أحد منكم أبدًا شيئًا يحمل علامة النسر على سبيل المثال؟».

نظر بأمل إلى المجموعة الصغيرة من (رافينكلو)، إلى (بادما)، (مايكل)، تيرى و(تشو)، ولكن (لونا) هى التى أجابت من مكانها على ذراع كرسى (جينى).

«هنالك تاجها المفقود. قد أخبرتك عنه، أتذكر يا (هارى)؟ التاج المفقود لـ(روينا رافينكلو)؟ لقد حاول أبى تقليده».

قال (مايكل كورنر) وهو يدير عينيه: «أجل، ولكن التاج المفقود مفقود يا (لونا). هذا هو أساس الأمر».

قال (هارى): «متى فقد؟».

قالت (تشو): «منذ قرون كما يقال». فشعر (هارى) بقلبه يسقط، وأكملت (تشو): «قال الأستاذ (فليتويك) إن التاج فقد مع (رافينكلو) نفسها. بحث عنه الناس، ولكن»، ونظرت إلى رفاقها من (رافينكلو)، وأضافت: «لم يجد أحد أى أثر يدل عليه، أليس كذلك؟».

هزوا رءوسهم جميعًا.

سأل (رون): «آسف؟ ولكن كيف هو؟».

قال (تيرى بوت): «إنه نوع من التيجان، أعطته (رافينكلو) قدرات سحرية خاصة، ويفترض بأنه يزيد من حكمة مرتديه».

«أجل، أبى أضاف ممص راكسبارت».

ولكن (هارى) قاطعها.

«ولم ير أى منكم قط أى شىء يبدو مثله؟».

هزوا رءوسهم مجددًا. نظر (هارى) إلى (رون) و(هرميون) ورأى خيبة أمله منعكسة على وجهيهما. شىء مفقود منذ هذا الوقت الطويل، ومن الواضح أنه لا يوجد أى أثر يدل عليه، لا يبدو مرشحا ليكون الهوركروكس الأخير المخبأ فى هذه القلعة... وقبل أن يفكر فى زى سؤال آخر، تكلمت (تشو) مجددًا.

«إذا أردت أن ترى كيف من المفترض أن يبدو التاج، فيمكن أن آخذك إلى أعلى؛ إلى غرفتنا العامة وأريه لك يا (هارى). (رافينكلو) ترتديه فى تمثالها الموجود هناك».

احترقت ندبة (هارى) بالألم مجددًا وتموجت غرفة الطلب أمام عينيه، ورأى بدلاً منها الأرض المظلمة تمر تحته، وشعر بالأفعى الضخمة تلتف حول كتفيه. طار (فولدمورت) مجددًا، ولم يعرف (هارى) إن كان ذاهبًا إلى البحيرة الجوفية أو آتيا إلى هنا، إلى القلعة، وعلى كل الأحوال، لم يعد لديهم الكثير من الوقت.

قـال بهدوء لـ (رون) و(هرميون): «إنـه يتـحـرك». ونظر إلى (تشو) ثم إليهما وقال: «اسمعا، أعرف أنه ليس دليلاً قويًا، ولكننى سأذهب لألقى نظرة على التمثال على الأقل لأرى كيف يبدو التاج. انتظرانى هنا وأبقيا الآخر فى أمان».

قـفـزت (تشو) على قدميـهـا، ولكـن (جينى) قـالت بـعـنـف: «لا، (لونـا) ستـرافـق (هـارى)، أليس كذلك (لونا)؟».

قـالت (لونـا) بسعـادة: «آوه، نعم، سأصحب هذا»، فجلست (تشو) مجددًا وبدت خائبة الأمل.

سأل (هـارى) (نيفيل): «كيف نخرج من هنا؟».

«من هنا؟».

وقاد (هـارى) و(لونا) إلى الزاوية، حيث فتحت خزانة صغيرة على سلالم ضيقة.

«إنهـا توصل إلى مكان مختلف كل يوم، ولذلك، لم يكن بمقدورهم يومًا العثور عليها. المشكلة الوحيدة هى أنك لا تعرف أين سينتهى بك الأمر بالضبط عندما تخرج. كن حذرا يا (هـارى)، إنـهم يقومون بدوريات فى الدهـاليز دائمًا فى الليل».

قـال (هـارى): «لا مشكلة، أراك لاحقًا».

أسـرع مـع (لـونــا) يصـعـد السـلالـم، والـتـى كـانت طويـلـة، مضـاءة بـالمشـاعل، وتنعطف فى أمـاكن غير متوقعة. وأخيرًا وصلوا إلى مـا بدا كجدار صلب.

قـال (هـارى) لـ (لونـا): «ادخلى تحت هذا». وأخرج عباءة الإخفاء ورمى بها فوقهم، ثم دفع الحـائط.

ذاب الحـائط عند لمسته فـانزلقـا إلى الخـارج. ونظر (هـارى) خلفه فرأى الحـائط يعيد إغلاق نفسه على الفور. كـانـا يقفـان فى ممر مظلم. وسحب (هـارى) (لونـا) إلى الظلال معه، وبحث فى الجراب الموجود حول عنقه وأخرج خـارطة المـارودر منه. وقربهـا من أنفه وأخذ يبحث حتى وجد مكـان نقطتيهمـا هو و(لونـا).

همس وهو يراقب نقطة فيلش تبتعد فى الطـابق الذى يعلوهمـا: «نحن فى الطـابق الخـامس، تعـالى، من هنـا».

تحـركا معًا.

كـان (هـارى) قد تجول فى القلعة مرارًا فى الليل، ولكن قلبه لم ينبض بهذه السرعة من قبل، ولم يهتم قط بمدى أمن مروره عبر الممرات. وسارا خلال مربعـات نور القمر التى تصل إليهم من النوافذ، مجتـازين الدروع التى تصدر خوذاتهـا صريرًا مع صوت خطواتهم النـاعم ودارا حول منعطفـات من يعلم مـاذا ينتظر

خلفها. سار (هارى) مع (لونا)، وأخذ يتفحص خارطة المارودر كلما وجد ضوءًا كافيًا لذلك، وتوقفا مرتين ليسمحا لشبح بالمرور دون أن يجذبا الانتباه لوجودهما. توقع (هارى) مواجهة عقبة غير متوقعة فى أية لحظة، ولكن خوفه الأكبر كان من (بيفز)، فأخذ يصيخ السمع مع كل خطوة متوخيا أى أثر لاقتراب الشبح المشاغب.

قالت (لونا) بصوت خفيض: «من هنا يا (هارى)». وأمسكت بكمه لتسحبه نحو سلالم حلزونية.

وصعدا سلالم دائرية تصيب بالدوار. لم يسبق لـ (هارى) صعودها. ووصلا فى النهاية إلى باب لم يكن له مقبض أو ثقب مفتاح، عبارة عن باب خشبى قديم ومقرعة باب برونزية على صورة النسر.

مدت (لونا) يدًا شاحبة تطوف فى الهواء دون ذراع أو جسد يدعمها. وقرعتها مرة، وبدا لـ (هارى) كما لو أن مدفعًا قد انطلق وسط السكون. وفتح منقار النسر على الفور، ولكن بدلاً من صوت الطائر، سمعوا صوتًا ناعمًا موسيقيًا يقول: «ما الذى جاء أولاً، العنقاء أم اللهب؟».

قالت (لونا) بتفكير: «همم... ماذا تظن (هارى)؟».

«ماذا؟ أليست هناك كلمة سر؟».

قالت (لونا): «أوه لا، يجب أن تجيب عن السؤال».

«وماذا إذا أجبت إجابة خطأ؟».

«سيكون عليك أن تنتظر حتى يصل من يجيبه بشكل صحيح، بهذه الطريقة تتعلم أكثر، أترى؟».

«أجل... المشكلة أننا لا يمكننا انتظار حضور شخص آخر يا (لونا)».

قالت (لونا) بجدية: «لا، أفهم ما تعنيه. أظن أن الجواب هو أنها دائرة ليست لها بداية».

قال الصوت: «إجابة مقنعة». انفتح الباب.

بدت الغرفة العامة الخالية لـ (رافينكلو) شديدة الاتساع ودائرية، ومرحة أكثر من أى مكان آخر رآه (هارى) فى (هوجوورتس). كانت هناك نوافذ جميلة مقوسة مكسوة بستائر حريرية باللونين الأزرق والبرونزى تغطى الحوائط. وفكر أن طلاب (رافينكلو) يشاهدون منظرًا بديعًا جدًا للجبال المحيطة فى أثناء النهار. كان السقف مقببًا ومزينًا بالنجوم المرسومة وينعكس بنفس تفاصيله على سجادة

بلون سماء منتصف الليل مفروشة على الأرضية. كانت هناك طاولات، ومقاعد، وخزانات للكتب، وشاهد فى كوة مواجهة للباب، تمثالاً من الرخام الأبيض.

تعرف (هارى) على (روينا رافينكلو) من التمثال النصفى الذى رآه فى منزل (لونا). كان التمثال واقفًا بجوار باب، خمن أنه يقود إلى عنابر النوم فى الأعلى. أسرع (هارى) نحو المرأة الرخامية، وشعر بأنها تبادله النظر وعلى وجهها نصف ابتسامة متسائلة. بدت جميلة ولكن مخيفة قليلاً. ورأى حلقة رقيقة مصنوعة من الرخام موضوعة فوق رأسها. لم تكن تشبه التاج الذى ارتدته (فلور) فى زفافها. ورأى كلمات قليلة منقوشة على حافته. خرج (هارى) من تحت العباءة ووقف فوق قاعدة التمثال ليقرأها.

«إن الذكاء الذى ليس له حدود هو أعظم كنز لدى الإنسان».

قال صوت شبيه بنقيق الدجاج: «مما يجعلك مفلسًا فقيرًا تمامًا، يا عديم الذكاء».

استدار (هارى) بسرعة، وقفز من فوق القاعدة إلى الأرض، ورأى (أليكتو كارو) بكتفيها المائلين واقفة أمامه، وقبل أن يرفع (هارى) عصاه، ضغطت بطرف إصبعها فوق علامة الجمجمة والحية على مقدمة ذراعها.

٣٠ طرد (سيفيروس سناب)

احترقت ندبة (هارى) بالألم فى اللحظة التى لمس فيها إصبعه علامة الظلام، واختفت الغرفة المليئة بالنجوم من حوله، ووجد نفسه يقف فوق صخرة تضربها أمواج البحر أسفل الجرف وقد ملأ قلبه شعور غامر بالانتصار ـ *لقد أمسكوا بالولد.*

أعادت فرقعة عالية (هارى) مرة أخرى إلى حيث يقف، فرفع عصاه وهو غير مدرك لما حدث، وإذا بالساحرة التى كانت تقف أمامه تسقط إلى الأمام وترتطم بالأرض بصوت عال جعل زجاج خزانات الكتب يرتج.

قالت (لونا) باهتمام: «لم أقم أبدًا بصعق أى شخص إلا فى دروس جيش (دمبلدور). لقد كان هذا مدويا أكثر مما توقعت أنه سيكون».

وبدأ السقف يرتج ليؤكد كلامها وتردد صدى صوت الأقدام المسرعة وأخذ يعلو أكثر وأكثر من وراء الباب الذى يقود إلى عنابر النوم. لقد أيقظت تعويذة (لونا) طلاب (رافينكلو) الذين ينامون بالأعلى.

«أين أنت يا (لونا)؟ يجب أن أدخل تحت العباءة!».

ظهرت أقدام (لونا) وسط الفراغ، وأسرع (هارى) إلى جوارها وتركت العباءة تسقط فوقهما كليهما ثانية، بينما فتح الباب وتدفق طلاب (رافينكلو) الذين يرتدون ملابس النوم إلى داخل الغرفة، وارتفعت أصوات الشهقات وصيحات الدهشة عندما رأوا (أليكتو) ترقد هناك فاقدة الوعى. والتفوا حولها ببطء وحذر وكأنها وحش شرس يمكن أن يستيقظ فى أى لحظة ويهاجمهم. ثم تقدم نحوها فتى صغير شجاع من طلاب السنة الأولى ونخس ظهرها بإصبع قدمه الكبير.

وصاح بفرح: «أعتقد أنها قد تكون ميتة!».

همست (لونا) بسعادة: «أوه، انظر، إنهم فرحون!».

«نعم... رائع...».

أغلق (هارى) عينيه واختلجت ندبته وقد اختار أن يغوص فى عقل (فولدمورت) مرة أخرى... كان يتحرك بطول النفق داخلا إلى الكهف الأول... لقد اختار أن يطمئن على القلادة قبل الحضور إلى هنا... ولكن ذلك لن يستغرق الكثير من الوقت...

ارتفع صوت طرقات عالية على باب الغرفة العامة وتجمد جميع طلاب (رافينكلو). وسمع (هارى) من الجانب الآخر للباب، الصوت الناعم الموسيقى يصدر من مطرقة الباب التى على شكل نسر ويقول: «إلى أين تذهب الأشياء المختفية؟».

ورد صوت فظ صائحا: «لا أعرف. أغلق فمك! *(أليكتو)*؟ هل أنت هناك؟ هل قبضتِ عليه؟ افتحى الباب!». وعرف (هارى) صوت (أميكوس كارو).

وأخذ طلاب (رافينكلو) يتهامسون فيما بينهم وهم مرعوبون، ثم تعالى صوت دقات مدوية متتابعة فجأة، وكأن أحدهم يطلق النار على الباب.

صاح (أميكوس) وهو يهز الباب بكل ما يستطيع من قوة: «*(أليكتو)*! لو أتى ولم يجد (بوتر) معنا ـ هل تريدين معاناة نفس ما عانته (آل مالفوى)؟ **أجيبينى**!». ولكن الباب لم يفتح وبدأ طلاب (رافينكلو) فى التراجع، أما من أصابهم الرعب منهم، فكانوا قد وصلوا إلى السلالم وأسرعوا عائدين إلى أسرتهم. وبدأ (هارى) يتساءل إن كان عليه أن يفجر الباب ليفتحه ويصعق (أميكوس) قبل أن يقدم آكل الموت على أى شىء آخر، ولكنه سمع صوتًا مألوفًا قادمًا من وراء الباب.

«هل لى أن أسأل عما تفعله هنا يا أستاذ (كارو)؟».

صاح (أميكوس): «أحاول ـ أن أدخل ـ من ذلك الباب ـ اللعين! اذهبى وأحضرى (فيلتويك)! أحضريه ليفتحه الآن!».

سألت الأستاذة (ماكجونجال): «ولكن أليست أختك فى الداخل؟ ألم يدخلها الأستاذ (فيلتويك) مبكرا هذا المساء استجابة لطلبك العاجل؟ ربما يمكنها فتح الباب لك؟ وعندها لن تكون مضطرا إلى إيقاظ نصف الموجودين بالقلعة».

«إنها لا تجيب أيتها العجوز! هيا افتحيه *أنت!* افعلى ذلك الآن!».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) ببرودة فظيعة: «بالتأكيد، إذا أردت ذلك».

وسمعوا صوت دقة رقيقة على مطرقة الباب التى على شكل نسر وارتفع الصوت الموسيقى سائلاً مرة أخرى: «إلى أين تذهب الأشياء المختفية؟».

أجابت الأستاذة (ماكجونجال): «إلى عدم الوجود، مما يلخص كل ما يمكن أن يقال».

ردت مطرقة الباب: «صياغة ممتازة للرد». وفتح الباب.

وأسرع باقى طلاب (رافينكلو) إلى السلالم، عندما اندفع (أميكوس) عابرا عتبة الباب إلى الداخل وهو يلوح بعصاه. كان أحدب الظهر مثل أخته وله وجه شاحب مصفر وعينان صغيرتان. وركع بجوار (أليكتو) الراقدة على الأرض بلا حراك. وأطلق صرخة فزع وخوف.

وصرخ: «ما الذى فعله بها هؤلاء الملاعين الصغار. سأعذبهم جميعًا بتعويذة التعذيب حتى يقولوا لى من فعل ذلك - وما الذى سيقوله سيد الظلام؟». ووقف وضرب جبهته وصاح: «لم نمسك به وقد قتلها هؤلاء الملاعين!».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بنفاد صبر بعد أن مالت على (أليكتو) وفحصتها: «إنها مصعوقة فقط، ستكون فى خير حال».

صاح (أميكوس): «لا، لن تكون بخير أبدًا، ليس بعد أن يمسك بها سيد الظلام! لقد تجرأت واستدعته، لقد شعرت بألم فى علامتى، إنه يعتقد أننا قبضنا على (بوتر)!».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بحدة: «قبضتم على (بوتر)؟ ما الذى تعنيه بالقبض عليه؟».

«لقد أخبرنا أن (بوتر) قد يحاول الدخول إلى برج (رافينكلو) الليلة، وطلب منا أن نرسل إليه لو قبضنا عليه!».

«لماذا يحاول (بوتر) الدخول إلى برج (رافينكلو)، إنه ينتمى إلى منزلى أنا!».

وسمع (هارى) نبرة الفخر الضئيلة المختبئة وراء عدم التصديق والغضب فى صوتها، وشعر بتدفق مشاعره نحو مينيرفا (ماكجونجال).

قال كارو: «لقد أُخبرنا أنه قد يأتى إلى هنا! وأنا لا أعرف لماذا؟».

وقفت الأستاذة (ماكجونجال) ومسحت الغرفة بعينيها، ومرت مرتين فوق المكان الذى يقف فيه (هارى) و(لونا).

قال (أميكوس) وقد ظهر الخبث على وجهه الذى يشبه الخنزير: «يمكننا أن نلقى بالأمر على الأطفال. نعم، هذا ما سنفعله. سنقول إن الأطفال نصبوا كمينا لأليكتو. هؤلاء الأولاد بالأعلى». ونظر إلى السقف المزين بالنجوم نحو عنابر النوم وأضاف: «ونقول إنهم أجبروها على الضغط على علامتها، وهذا هو سبب وصول الإنذار الخطأ إليه... يمكنه أن يعاقبهم... طفلين أكثر أو أقل ليس هناك فارق؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وقد شحب وجهها: «الفارق بين الكذب والصدق، بين الشجاعة والجبن. باختصار، إنه فارق لا تستطيع أنت أو أختك تقديره. ولكن دعني أوضح لك أمرًا؛ لن أدعك تحمل طلاب (هوجوورتس) تبعة أخطائك. لن أسمح لك بذلك».

«معذرة».

تقدم (أميكوس) إلى الأمام حتى أصبح قريبًا من الأستاذة (ماكجونجال)، ووجهه لا يبعد سوى بوصاتٍ من وجهها. ورفضت هي التراجع وظلت تنظر إليه كما لو كان شيئًا قذرًا ملتصقًا بالمرحاض.

«إنها ليست قضية ما ستسمحين أو لا تسمحين به يا مينيرفا (ماكجونجال). لقد انتهى وقتك. ونحنُ المسئولون الآن، وأنت سوف تساندينني وإلا دفعتِ ثمن ذلك غاليا».

وبصق فى وجهها.

سحب (هارى) العباءة من عليه ورفع عصاه وقال: «ما كان ينبغى أن تفعل ذلك».

وبينما استدار (أميكوس) بسرعة، صاح (هارى): «كروشيو!».

ارتفع آكل الموت من قدميه فى الهواء وأخذ يتلوى مثل شخص يغرق وهو يصرخ من الألم، ثم سقط إلى الأرض فاقد الوعى أمام خزانة الكتب محدثا صوت ارتطام عال وتكسر الزجاج.

قال (هارى) والدم يغلى فى عروقه: «لقد فهمت ما قصدته (بيلاتريكس) عندما قالت لابد أن تعنيها حقًا».

همست الأستاذة (ماكجونجال) وهى تمسك قلبها: «(بوتر)! (بوتر) - أنت هنا! ماذا - ؟ كيف - ؟». وحاولت أن تتماسك وقالت: «لقد كان هذا غباء يا (بوتر)!».

قال (هارى): «لقد بصق عليك».

«(بوتر)، أنا - لقد كان هذا - *شهامة* منك - ولكن، ألا تدرك - ؟».

طمأنها (هارى) وقد جعله رعبها يتماسك بشكل ما: «نعم، أعرف. أن (فولدمورت) فى طريقه إلى هنا يا أستاذة (ماكجونجال)».

قالت (لونا) باهتمام وهى تنزع عباءة الإخفاء عنها: «أوه، هل أصبح مسموحا لنا أن ننطق بالاسم الآن؟». بدا أن ظهور شخص آخر قد صدم الأستاذة (ماكجونجال) التى ترنحت إلى الخلف وجلست فى أقرب كرسى وهى تمسك بعنق فستانها الصوفى المقلم القديم.

أخبر (هارى) (لونا): «لا أظن أن نطقنا باسمه سيغير من الأمر شيئًا، إنه يعرف مكانى الآن».

وفى جزء بعيد داخل عقل (هارى)؛ ذلك الجزء المتصل بالندبة المؤلمة الغاضبة، أمكنه أن يرى (فولدمورت) يبحر بسرعة فوق البحيرة المظلمة داخل القارب الأخضر... ورآه يكاد يصل إلى الجزيرة التى يوجد بها الحوض الحجرى...

همست الأستاذة (ماكجونجال): «يجب أن تهرب. الآن يا (بوتر)، بأسرع ما يمكنك!».

قال (هارى): «لا يمكننى ذلك، هناك شىء يجب أن أفعله يا أستاذة، هل تعرفين أين يوجد تاج (رافينكلو)؟».

«تاج را ـ (رافينكلو)؟ بالطبع لا ـ ألم يفقد منذ قرون؟». واعتدلت فى جلستها قليلاً وقالت: «(بوتر)، لقد كان ذلك جنونا، جنونا مطبقا منك أن تدخل هذه القلعة».

قال (هارى): «لقد اضطررت إلى ذلك يا أستاذة، هناك شىء مخبأ يجب أن أجده، ويمكن أن يكون التاج ـ لو أننى فقط أستطيع الكلام مع الأستاذ (فيلتويك)».

وسمعوا صوت حركة وتكسر الزجاج؛ بدأ (أميكوس) يفيق. وقبل أن يتصرف (هارى) أو (لونا)، وقفت الأستاذة (ماكجونجال) ووجهت عصاها إلى آكل الموت المترنح وقالت: «*إمبيريو*».

وقف (أميكوس) ومشى إلى أخته والتقط عصاها، ثم اتجه طائعا نحو الأستاذة (ماكجونجال) وسلمها إليها مع عصاه، وعاد ليستلقى على الأرض بجوار (أليكتو). ولوحت الأستاذة (ماكجونجال) بعصاها ثانية وظهر من العدم حبل فضى لامع وتسلل حول الإخوة (كارو)، وقيدهما معا بإحكام.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تلتفت لتواجه (هارى) ثانية وهى غير مهتمة بمشكلة الإخوة كارو: «(بوتر)، إذا كان (من لا يجب تسميته) يعلم فعلا أنك هنا».

وبينما تقول ذلك، شعر (هارى) بغضب هادر مؤلم يتدفق خلال جسمه. واشتعل الألم فى ندبته، وللحظة وجد نفسه ينظر نحو حوض أصبحت الوصفة الموجودة به شفافة، ويرى أن القلادة الذهبية لا ترقد بأمان تحت السطح ـ

قال صوت: «هل أنت بخير يا (بوتر)؟». وعاد (هارى) ليجد نفسه مستندا على كتف (لونا) حتى لا يقع.

«الوقت يمر بسرعة، و(فولدمورت) يقترب يا أستاذة. إننى أعمل طبقا لأوامر (دمبلدور)، يجب أن أجد ما أراد منى أن أجده! ولكننا يجب أن نخرج الطلاب من

المدرسة، بينما أقوم أنا بالبحث فى القلعة - إن (فولدمورت) يريدنى أنا، ولكنه لن يهتم إن قتل عدد أقل أو أكبر، ليس الآن..». *ليس الآن بعد أن عرف أننى أهاجم الهوركروكسات*، أنهى (هارى) الجملة فى عقله.

كررت ما قاله وقد علت وجهها نظرة تساؤل مدرك: «أنت تعمل طبقا لأوامر *(دمبلدور)*؟». ثم شدت قامتها إلى آخرها.

«وسوف نؤمن المدرسة ضد (من لا يجب تسميته)، بينما أنت تبحث عن هذا - هذا الشىء».

«هل هذا ممكن؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بجفاف: «أعتقد هذا، نحن الأساتذة بارعون فى السحر. أنت تعرف ذلك. أنا متأكدة أننا نستطيع أن نوقفه لبعض الوقت، إذا ما تضافرت جهودنا معا. ولكن بالطبع، يجب أن نفعل شيئًا بخصوص الأستاذ (سناب)».

«دعينى».

«إذا كانت (هوجوورتس) ستدخل حالة حصار، وسيكون سيد الظلام عند أبوابها، فمن الحكمة إخراج الأبرياء منها قدر المستطاع. ولكن مع الرقابة الموجودة على شبكة الفلو واستحالة الانتقال آنيًا داخل أراضيها».

قال (هارى) بسرعة: «هناك طريقة». وشرح لها عن النفق الذى يقود إلى حانة رأس الخنزير.

«(بوتر)، إننا نتكلم عن مئات الطلاب».

«أعرف يا أستاذة، ولكن إذا كان (فولدمورت) وآكلو الموت يركزون على مراقبة حدود المدرسة، فلن يكونوا مهتمين بأى شخص ينتقل آنيًا من حانة رأس الخنزير».

وافقته قائلة: «عندك حق». ولوحت بعصاها نحو الإخوة (كارو) وسقطت شبكة فضية فوق أجسامهم المربوطة وربطت نفسها حولهم ورفعتها فى الهواء وأخذوا يتأرجحون تحت السقف الأزرق والذهبى، فبدوا مثل كائنين بحريين قبيحين وأضافت: «هيا، يجب أن ننذر باقى رؤساء المنازل. ومن الأفضل أن ترتدى العباءة مرة أخرى».

ومشت نحو الباب، ورفعت عصاها واندفعت من طرفها ثلاث قطط، يوجد حول عيونها علامات تشبه النظارات. وانطلقت الباتروناسات الفضية برشاقة،

وأضاءت السلالم الحلزونية بنور فضى، بينما أسرعت الأستاذة (ماكجونجال) و(هارى) و(لونا) نازلين وراءها.

وأسرعوا عبر الممرات، وتركتهم الباتروناسات الواحدة بعد الأخرى وخشخش فستان الأستاذة (ماكجونجال) الصوفى المقلم على الأرضية بينما (هارى) و(لونا) يسرعان وراءها أسفل العباءة.

ونزلوا طابقين آخرين، ثم انضم إلى صوت أقدامهم وقع أقدام أخرى هادئة. وكان (هارى) الذى ما زالت ندبته تنبض بالألم هو أول من سمعها، وتحسس الجراب حول عنقه باحثا عن خارطة المارودر، ولكن قبل أن يتمكن من إخراجها، بدا أن (ماكجونجال) أيضًا قد أدركت أن هناك من يصاحبهم. فوقفت ورفعت عصاها مستعدة للمبارزة وقالت: «من هناك؟».

قالت صوت خفيض: «إنه أنا».

وخرج (سيفيروس سناب) من وراء بذلة حديدية.

وتدفق الكره فى عروق (هارى) بمجرد رؤيته؛ كان قد نسى تفاصيل مظهر (سيفيروس سناب) ولم يعد يتذكر سوى جرائمه؛ ونسى شعره الأسود الناعم الذى ينساب حول رأسه ونظرة عينيه الباردة الميتة. لم يكن يرتدى ملابس النوم، ولكن عباءته السوداء المعتادة، وقد رفع عصاه أيضًا مستعدا للقتال.

وسأل بهدوء: «أين الإخوة (كارو)؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «فى المكان الذى طلبت منهم أن يكونوا فيه يا (سيفيروس)».

خطا (سناب) مقتربا وعيناه تنظران نحو الأستاذة (ماكجونجال) والهواء الذى يحيط بها وكأنه يعرف أن (هارى) هناك. فرفع (هارى) عصاه مستعدا للهجوم.

قال (سناب): «لقد كنت أعتقد أن (أليكتو) قد أمسكت بدخيل».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «حقا؟ ما الذى جعلك تعتقد هذا؟».

وأحنى ذراعه اليسرى قليلاً، حيث علامة الظلام مطبوعة على جلده.

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «آه، صحيح، لقد نسيت أنكم يا آكلى الموت لديكم وسائل اتصالاتكم الخاصة».

تظاهر (سناب) بأنه لم يسمعها. كانت عيناه مازالتا تتجولان فى المكان حولها وهو يتقدم نحوها ببطء شديد لا يكاد يلاحظه أحد.

«لم أكن أعرف أنها ليلتك فى حراسة الدهاليز يا (مينيرفا)؟».

«وهل لديك أى اعتراض؟».

«أتساءل ما الذى أخرجك من فراشك فى هذا الساعة المتأخرة؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «اعتقدت أنى سمعت ضجة».

«حقا؟ ولكن كل شيء يبدو هادئا».

نظر (سناب) فى عينيها.

«هل رأيت (هارى بوتر) يا (مينيرفا)؟ لأنك لو رأيته، فيجب أن أخبر».

تحركت الأستاذة (ماكجونجال) بأسرع مما يستطيع (هارى) التصديق وشقت عصاها الهواء وخلال جزء من الثانية، توقع (هارى) أن يسقط (سناب) إلى الأرض فاقدا الوعى، ولكن قوةُ تعويذة الدرع التى قام بها جعلت (ماكجونجال) تفقد توازنها. ولوحت بعصاها نحو أحد المشاعل المثبتة على الحائط فطار خارجا من حامله. كان (هارى) على وشك رمى لعنة على (سناب) ولكنه اضطر إلى سحب (لونا) بعيداً عن طريق اللهب الساقط، والذى أصبح حلقة من اللهب ملأت الدهليز وطارت مثل الأنشوطة نحو سناب.

ثم لم تعد نارا، ولكن حية ضخمة حولتها (ماكجونجال) إلى دخان، تكثف من جديد وأصبح جامدا فى ثوان متحولا إلى مجموعة من الخناجر المطاردة، تفاداها (سناب) بأن دفع البذلة الحديدية أمامه وتردد صدى صليل الخناجر وهى تخترق صدرها الواحد بعد الآخر.

قال صوت حاد: «(مينيرفا)!». ونظر (هارى) خلفه وهو لا يزال يحمى (لونا) من التعاويذ المتطايرة ورأى الأستاذين (فيلتويك) و(سبراوت) يركضان نحوهم وهما يرتديان ملابس النوم، بينما الأستاذ (سلوجهورن) الضخم يركض فى أعقابهما وهو يلهث.

صاح (فيلتويك) وهو يرفع عصاه: «لا! لن تقتلوا فى (هوجوورتس)!».

وارتطمت تعويذة (فيلتويك) بالبذلة الحديدية التى احتمى خلفها (سناب)، والتى دبت فيها الحياة وأخذ (سناب) يكافح ليحرر نفسه من الأذرع الساحقة، ثم رماها فى الهواء نحو مهاجميه. واضطر (هارى) و(لونا) إلى الانحناء جانبا حتى يتفادوها عندما ارتطمت بالحائط وتحطمت وعندما نظر (هارى) إلى أعلى ثانية، وجد (سناب) يفر هاربا، بينما (ماكجونجال) و(فيلتويك) و(سبراوت) جميعًا

يطاردونه وأسرع (سناب) داخلا إلى أحد الفصول وبعد لحظات، سمع (هارى) (ماكجونجال) تصيح: «جبان! **جبان**!».

سألت (لونا): «ماذا حدث؟ ماذا حدث؟».

ساعدها (هارى) على الوقوف وأسرعوا يركضون فى الممر وهم يسحبون عباءة الإخفاء خلفهم، حتى وصلوا إلى فصل مهجور، يقف فيه الأساتذة (ماكجونجال) و(فيلتويك) و(سبراوت) وأمامهم نافذة محطمة.

قالت الأستاذة (ماكجونجال)، و(هارى) و(لونا) يدخلون إلى الغرفة جريا: «لقد قفز».

وجرى (هارى) نحو النافذة متجاهلاً صيحات الصدمة الصادرة من (فيلتويك) و(سبراوت) بسبب ظهوره المفاجئ: «هل تعنين أنه مات؟».

قالت (ماكجونجال) بمرارة: «لا، لم يمت، بعكس (دمبلدور)، كان لا يزال يحمل عصاه... ويبدو أنه تعلم بعض الحيل من سيده».

واهتز (هارى) من الفزع، عندما رأى على البعد شكلاً ضخمًا يشبه الخفاش يطير خلال الظلام مبتعدًا نحو الأسوار المحيطة بالقلعة.

وسمعوا صوت أقدام ثقيلة خلفهم وصوت لهاث عال وعرف أن (سلوجهورن) لحق بهم.

قال وهو ينهج ويدلك صدره الضخم تحت بيجامته الحريرية الزمردية اللون: «(هارى)، ولدى العزيز... يا لها من مفاجأة! (مينيرفا)، أرجوك اشرحى لى... (سيفيروس)... ماذا...؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تشير نحو الفتحة التى على شكل جسم (سناب) فى النافذة: «إن ناظرنا قد قرر أخذ إجازة قصيرة».

صاح (هارى) ويده على جبينه: «أستاذة!». كان يستطيع رؤية البحيرة الممتلئة بالأجساد الميتة تنساب تحته وشعر بالقارب الصغير الأخضر يرتطم بشاطئ البحيرة الجوفية، وقفز (فولدمورت) منه بينما تملأ قلبه الرغبة فى القتل ـ

«يجب أن نحصن المدرسة يا أستاذة، إنه قادم الآن!».

«حسنًا». وأخبرت الأساتذة الآخرين: «إن (الذى لا يجوز تسميته) فى طريقه إلى هنا». وشهق (سبراوت) و(فيلتويك)، بينما أطلق (سلوجهورن) صيحة صغيرة وأكملت قائلة: «إن (بوتر) لديه عمل يقوم به فى القلعة حسب أوامر (دمبلدور). يجب أن نضع حول المكان كل حماية نستطيع وضعها، بينما يقوم (بوتر) بما يجب عليه عمله».

صاح (فيلتويك): «إنكِ تدركين بالطبع، أن لا شيء مما سنفعله سيكون قادرا على إيقاف (أنت ـ تعرف ـ من) تمامًا؟».

قالت الأستاذة (سبراوت): «ولكننا نستطيع إعاقته».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «شكرا لكِ يا (بومونا)». وتبادلت الساحرتان نظرة تفهم متجهمة وأضافت (ماكجونجال): «أقترح أن نقوم بإقامة دفاعاتنا الأساسية حول المكان، ثم نجمع طلابنا ونلتقى فى البهو العظيم. يجب أن نقوم بإخلاء معظمهم. ولكن إن رغب أى من البالغين فى البقاء والقتال، أظن أننا يجب أن نترك لهم الفرصة».

قالت الأستاذة (سبراوت) وهى تسرع مبتعدة نحو الباب: «موافقة، سألقاكم فى البهو العظيم بعد عشرين دقيقة ومعى طلاب منزلى».

وبينما هى تعدو مبتعدة عن نظرهم، سمعها (هارى) وهى تغمغم: «تينتاكيولا، شرك الشيطان وحبيبات السنارجالوف... نعم، وأود أن أرى آكلى الموت وهم يحاربون هؤلاء».

قال (فيلتويك): «يمكننى أن أعمل من هنا». وأشار بعصاه نحو النافذة المحطمة، رغم أنه بالكاد يستطيع الرؤية عبرها. وأخذ يغمغم بمجموعة من التعاويذ المعقدة وسمع (هارى) صوت اندفاع غريب للرياح وكأن (فيلتويك) أطلق قوة الرياح حول أراضى المدرسة.

واقترب (هارى) من أستاذ التعاويذ البارع وقال: «أستاذ، آسف على مقاطعتك ولكن الأمر هام. هل لديك أى فكرة عن مكان تاج (رافينكلو)؟».

«... بروتيجو *هوريبيليس* ـ تاج (رافينكلو)، إن المزيد من الحكمة له فائدة دائمًا يا (بوتر) ولكنى بالكاد أعتقد أنها ستفيدنا فى هذا الموقف!».

«لقد عنيت فقط ـ هل تعرف أين هو؟ هل رأيته من قبل؟».

«رأيته؟ لم يره أحد من الأحياء! لقد فقد منذ زمن بعيد يا فتى!».

شعر (هارى) بخليط من اليأس وخيبة الأمل والفزع. إذن ما هو الهوركروكس؟

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تشير إلى (هارى) و(لونا) بأن يتبعاها: «سوف نقابلك أنت وطلاب (رافينكلو) فى البهو العظيم يا (فيليوس)!».

كانوا قد وصلوا إلى الباب، عندما بدأ (سلوجهورن) فى الكلام.

قال والعرق ينهمر من وجهه الشاحب الضخم وشواربه التى تشبه شوارب فيل البحر تهتز: «أقول إننى لست متأكدا ما إذا كان ما تريديننا أن نفعله من الحكمة يا (مينيرفا). فهو سيجد طريقه للدخول فى النهاية وسيتعرض كل من حاول إعاقته إلى خطر مميت».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «سأنتظر حضورك مع طلبة (سليذرين) فى البهو العظيم خلال عشرين دقيقة أيضًا وإذا رغبت فى الرحيل مع طلابك، فلن نمنعك. ولكن إذا حاول أحدكم تخريب مقاومتنا أو رفع السلاح ضدنا داخل القلعة، فسيكون علينا أن نتبارز حتى الموت».

قال مشدوها: «(مينيرفا)!».

قاطعته الأستاذة (ماكجونجال): «لقد حان الوقت ليقرر منزل (سليذرين) لمن ولاؤه. اذهب وأيقظ طلابك يا (هوريس)».

لم يبق (هارى) ليشاهد تلعثم (سلوجهورن)، وجرى هو و(لونا) خلف الأستاذة (ماكجونجال) التى اتخذت مكانا فى وسط الدهليز ورفعت عصاها.

«بيرتوتوم ـ أه، بحق السماء، ليس *الآن* يا (فيلتش)».

كان مشرف المدرسة العجوز قد ظهر لتوه وهو يجرى ويصيح: «الطلاب خارج أسرتهم! الطلاب فى الدهاليز!».

صاحت به (ماكجونجال): «يفترض بهم أن يكونوا كذلك أيها الأحمق، اذهب وافعل شيئًا مفيدا الآن! ابحث عن بيفز!».

تلعثم (فيلتش): «بيـ ـ بيفز؟». وكأنه لم يسمع الاسم من قبل.

«نعم بيفز أيها الغبى، بيفز! ألم تكن تشتكى منه طوال ربع قرن؟ اذهب وأحضره فورا!».

بدا على (فيلتش) أنه يعتقد أن الأستاذة (ماكجونجال) قد فقدت عقلها، ولكنه أسرع يبتعد وهو يغمغم بصوت خفيض.

وصاحت الأستاذة (ماكجونجال): «والآن ـ بيرتوتوم *لوكوموتور!*».

وقفزت كل البذل الحديدية والتماثيل الموجودة بطول الدهليز جميعًا من فوق قواعدها، وعرف (هارى) من صوت القرقعة العالى الذى تردد بالطوابق أعلاهم وأسفلهم أن نظراءهم فى كل أنحاء القلعة قد فعلوا نفس الشيء.

صاحت الأستاذة (ماكجونجال): «(هوجوورتس) فى خطر! دافعوا عن الأسوار. احمونا، قوموا بواجبكم نحو مدرستنا!».

وأسرعت حشود التماثيل المتحركة تمر بـ(هارى) وهى تصلصل وتصيح. بدا بعضها صغيرا، بينما بدا البعض الآخر كبيرًا جدًا. وهناك حيوانات أيضًا وبذل حديدية تحمل سيوفًا وسلاسل فى نهايتها كرات من الأشواك.

قالت (ماكجونجال): «والآن يا (بوتر)، من الأفضل أن تعود مع الآنسة لوفجود إلى أصدقائكم وتحضروهم إلى البهو العظيم - سأذهب لإيقاظ باقى طلبة جريفندور».

وافترقوا عند قمة السلالم التالية. وجرى (هارى) و(لونا) عائدين نحو المدخل المخفى لغرفة الطلب. وقابلوا فى طريقهم مجموعات من الطلبة يرتدون عباءات السفر فوق ملابس النوم، يقودهم الأساتذة ورواد الفصول نحو البهو العظيم.

«كأن هذا (بوتر)!».

«*(هارى بوتر)!*».

«نعم هو، أقسم، لقد رأيته لتوى!».

ولكن (هارى) لم ينظر إلى الوراء، وأخيرًا وصلوا إلى مدخل غرفة الطلب، واتكأ (هارى) على الحائط المسحور الذى فتح ليسمح لهم بالدخول، وأسرع هو و(لونا) نازلين السلالم المنحدرة.

«ما...؟».

وعندما ظهرت الغرفة أمامه، نزل (هارى) السلالم القليلة الباقية وهو مصدوم. لقد أصبحت الغرفة مزدحمة أكثر بكثير عما تركها، وعندما وصل أخيرًا وجد (كنجسلى) و(لوبين) ينظران إليه، وكذلك (أوليفر) و(ود) و(كاتى بيل) و(أنجلينا جونسون) و(إليشيا سبينت) و(بيل) و(فلور) والسيد والسيدة (ويزلى).

وقال لوبين وهو يقابله عند نهاية السلم: «ما الذى يحدث يا (هارى)؟».

«(فولدمورت) فى طريقه إلى هنا. إنهم يحصنون المدرسة - وقد هرب (سناب) بحياته - ولكن ما الذى تفعلونه هنا؟ كيف عرفتم؟».

قال (فريد) شارحا: «لقد أرسلنا رسائل لباقى أعضاء جيش (دمبلدور). هل تتوقع أن يفوت أحدنا هذه المتعة يا (هارى) وقد أخبر أعضاء جيش (دمبلدور) جماعة العنقاء، وهكذا تجمع الجميع هنا».

صاح (جورج): «كيف سنبدأ يا (هارى)؟ ماذا يجرى؟».

قال (هارى): «سيقومون بإخلاء الطلاب الصغار وسيلتقى الجميع فى البهو العظيم من أجل التنظيم. سنقاتل».

انطلق صياح الجميع واتجهوا إلى السلالم ودفعوه نحو الحائط وهم يجرون مارين به، كانوا مزيجًا من أعضاء جماعة العنقاء وجيش (دمبلدور) وزملاء (هارى) القدامى فى فريق الكويدتش وقد سحبوا عصيهم، متجهين نحو القلعة الرئيسية

وقال دين وهو يمر ويمد يده الخالية: «هيا يا (لونا)». أخذت (لونا) يده وتبعته صاعدة السلالم مرة أخرى.

وأخذ الزحام يقل حتى لم يبق سوى عدد قليل داخل غرفة الطلب وانضم (هارى) إليهم. كان السيد والسيدة (ويزلى) يتجادلان مع (جينى). ووقف حولهم لوبين و(فريد) وجورج وبيل وفلور.

صاحت السيدة ويزلي فى ابنتها و(هارى) يقترب منهم: «إنك مازلت قاصرا! لن أسمح بذلك! الأولاد نعم، ولكن أنت يجب أن تعودى إلى المنزل!».

«لن أفعل!».

وتطاير شعر (جينى) فى الهواء وهى تسحب ذراعها من قبضة أمها.

«إننى فى جيش (دمبلدور)».

«جماعة من المراهقين!».

قال (فريد): «جماعة من المراهقين لديها الجرأة على المواجهة وهو شيء لم يجرؤ شخص آخر على فعله!».

صاحت السيدة (ويزلى): «إنها ما زالت فى السادسة عشرة! وليست كبيرة بما يكفى! هل فكرتما وأنتما تحضرانها هنا؟».

ظهر بعض الخجل على (فريد) و(جورج).

قال بيل برفق: «إن أمى على حق يا (جينى). لا يمكنك أن تقومى بذلك. سيرحل كل الطلاب القصر من المدرسة ويجب أن تذهبى أيضًا».

صرخت (جينى) والدموع تلمع فى عينيها: «لا أستطيع العودة إلى المنزل! أسرتى كلها هنا، لا يمكننى تحمل الانتظار هناك وحدى، ولا أعرف ما يحدث لهم و...».

والتقت عيناها بعينى (هارى) لأول مرة. ونظرت إليه متوسلة، ولكنه هز رأسه ونظرت بعيدًا بمرارة.

ثم قالت وهى تحدق نحو مدخل النفق الذى يقود إلى حانة رأس الخنزير: «حسنًا، سأقول وداعا الآن إذن، و...».

وسمعوا ضجة وصوت هبدة عالية، وقفز شخص آخر خارجًا من النفق وفقد توازنه قليلاً ووقع، ثم وقف ورمى بنفسه نحو أقرب كرسى، ونظر حوله من خلال

نظارته المائلة قليلاً وقال: «هل أتيت متأخرًا؟ هل بدأت المعركة؟ لقد اكتشفت الأمر لتوى ولذلك، أ ـ أ..».

توقف (بيرسى) عن الكلام. وبدا من الواضح أنه لم يتوقع رؤية معظم عائلته فى المكان. ومرت لحظة صدمة طويلة، كسرتها (فلور) بأن التفتت إلى (لوبين) وقالت فى محاولة جليلة لتخفيف التوتر: «إذن، كيف حال (تيدى) الصغير؟».

رفت عيون (لوبين)، وتلعثم. وبدا كأن الصمت بين أفراد (آل ويزلى) قد تجمد مثل الثلج.

قال (لوبين) بصوت عال: «أنا ـ آه نعم ـ إنه بخير! نعم، (تونكس) معه ـ فى منزل والدتها».

كان (بيرسى) وباقىُ أفراد (آل ويزلى) يحدقون ببعضهم البعض، متجمدين.

صاح (لوبين): «انظرى، إن معى صورة!». وجذب صورة من داخل سترته وأراها لـ(فلور) و(هارى) الذى رأى طفلاً صغيرًا ذا شعر فيروزى يلوح بقبضة ممتلئة نحو الكاميرا.

صاح (بيرسى) بصوت عال حتى إن الصورة كادت تقع من يد (لوبين): «لقد كنت غبيًا! كنت أحمق مغفلاً، كنت ـ كنت..».

قال (فريد): «محبًا للوزارة، عاقًا لأسرتك، متطلعًا للسلطة، أبله».

ابتلع (بيرسى) ريقه.

«نعم كنت كذلك!».

قال (فريد) وهو يمد يده نحو (بيرسى): «حسنًا، لا يمكنك أن تقول أفضل من ذلك».

انفجرت السيدة (ويزلى) فى البكاء واندفعت إلى الأمام ودفعت (فريد) جانبًا وجذبت (بيرسى) إلى حضنها، بينما أخذ هو يربت على ظهرها وعيناه على والده.

قال (بيرسى): «أنا آسف يا أبى».

رفت عينا السيد (ويزلى) بسرعة، ثم أسرع هو أيضًا ليحتضن ابنه.

وسأله (جورج): «ما الذى أعادك إلى رشدك يا (بيرسى)؟».

قال (بيرسى) وهو يمسح عينيه تحت النظارات بركن عباءة السفر التى يرتديها: «لقد حدث ذلك منذ فترة، ولكنى اضطررت إلى البحث عن طريقة للخروج. فالأمر ليس سهلاً بالوزارة، فهم يقومون بسجن الخائنين طوال الوقت. ولكنى تمكنت من الاتصال بـ(أبيرفورث) الذى اتصل بى وأخبرنى أن (هوجوورتس) ستحارب خلال عشر دقائق، وها أنا هنا».

قال (جورج) مقلدًا أسلوب (بيرسى) المتفاخر: «حسنًا، إننا نتوقع من رواد الفصول أن يأخذوا القيادة فى أوقات كهذه. والآن هيا نصعد إلى الأعلى لكى نحارب، وإلا وجدنا أن كل آكلى الموت الجيدين قد قتلوا».

قال (بيرسى) وهو يصافح (فلورا)، بينما يسرع معها هى و(بيل) و(فريد) و(جورج) نحو السلالم: «إذن، فأنت زوجة أخى الآن؟».

صاحت السيدة (ويزلى): «(جينى)!».

حاولت (جينى) تحت ستار لم الشمل أن تتسلل صاعدة السلالم أيضًا.

قال (لوبين): «(مولى)، ماذا عن ذلك، لماذا لا تبقى (جينى) هنا، وستكون على الأقل فى موقع الأحداث وتعرف ما يجرى، ولكنها لن تكون فى وسط القتال؟».

«أنا..».

قال السيد (ويزلى) بحسم: «هذه فكرة جيدة. ستظلين فى هذه الغرفة يا (جينى). هل تسمعين؟».

لم تعجب (جينى) بالفكرة، ولكنها أومأت تحت تأثير نظرة والدها المتجهمة على غير العادة. واتجه السيد والسيدة (ويزلى) مع (لوبين) نحو السلالم أيضًا.

وسأل (هارى): «أين (رون)؟ أين (هرميون)؟».

قالت السيدة (ويزلى) من فوق كتفها: «لابد أنهم ذهبوا إلى البهو العظيم».

قال (هارى): «إننى لم أرهم يمرون بى».

قالت (جينى): «لقد قالوا شيئًا عن حمام بعد رحيلك بوقت قصير».

«حمام؟».

خطا (هارى) عبر الغرفة نحو باب يقود إلى خارج غرفة الطلب ونظر إلى الحمامات وراءه، ووجدها خالية.

«هل أنت متأكدة أنهم قالوا حمام؟».

ولكن ندبته اشتعلت بالألم واختفت غرفة الطلب من حوله. كان ينظر من خلال بوابات عالية مصنوعة من الحديد المشغول، توجد خنازير مجنحة فوق الأعمدة على الجانبين، وأخذ ينظر عبر الأراضى المظلمة نحو القلعة التى كانت متقدة الأضواء. وشعر بنا(جينى) فوق كتفيه، بينما الشعور البارد الوحشى بالهدف الذى يسبق القتل يملأ نفسه.



٣١ معركة (هوجوورتس)

بدا السقف المسحور فى البهو العظيم مظلمًا وقد تناثرت فيه النجوم، بينما اصطف الطلاب المشعثون الذين يرتدى بعضهم عباءات السفر والبعض الآخر ملابس النوم على موائد المنازل الطويلة الأربعة. ولمعت أشباح المدرسة ذات اللون اللؤلؤى هنا وهناك. وتركزت كل العيون الحية والميتة على الأستاذة (ماكجونجال) التى كانت تتكلم من فوق المنصة، أعلى البهو، بينما يقف وراءها باقى أساتذة المدرسة، وبينهم القنطور، (فيرنزى)، وأعضاء جماعة العنقاء الذين وصلوا إلى المدرسة ليقاتلوا.

«وسيشرف السيد (فيلتش) ومدام (بومفرى) على الإخلاء. وأنتم يا رواد الفصول عليكم أن تقوموا بتنظيم طلاب منازلكم وتتولوا مسئولياتكم فى إيصالهم إلى نقطة الإخلاء عندما أعطيكم الإشارة».

وظهر الذهول على بعض الطلاب عندما دخل (هارى) إلى القاعة وأخذ يبحث عن (رون) و(هرميون) على مائدة (جريفندور)، وقف (إيرنى ماكميليان) على مائدة (هافلباف) وصاح: «وماذا لو كنا نريد البقاء والقتال».

تعالى تصفيق استحسان.

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «لو كنت راشدًا، يمكنك البقاء».

وصاحت فتاة من مائدة (رافينكلو): «وماذا عن أشيائنا؟ حقائبنا وبومنا؟».

قالت الأستاذة (ماكجونجال): «ليس هناك وقت لجمع الممتلكات. إن إخراجكم من هنا بأمان أهم».

صاحت فتاة من مائدة (سليذرين): «أين الأستاذ (سناب)؟».

أجابت الأستاذة (ماكجونجال): «لقد هرب من المدرسة». وتعالت هتافات الابتهاج من طلبة (جريفندور) و(هفلباف) و(رافينكلو).

وتحرك (هارى) بطول البهو بجوار مائدة (جريفندور) وهو مازال يبحث عن (رون) و(هرميون). وبينما يمر عبر المكان، التفتت الوجوه فى اتجاهه، وانطلق قدر كبير من الهمس فى أعقابه.

كانت الأستاذة (ماكجونجال) تقول: «لقد وضعنا حماية حول القلعة فعلاً، ولكن من غير المحتمل أن توقفهم لوقت طويل إلا إذا قمنا بتقويتها. ولذلك، يجب أن أطلب إليكم أن تتحركوا بسرعة وهدوء، وتفعلوا ما يقوله رواد فصولكم».

ولكن كلماتها الأخيرة تلاشت، عندما تردد صوت آخر فى أرجاء البهو. كان صوتًا عاليًا باردًا واضحًا. لم يسأل أحد من أين يأتى؛ لقد بدا وكأنه يصدر من الجدران نفسها، كالوحش الذى ظهر فى القلعة قديمًا، بعد أن ظل كامنًا هناك لقرون.

قال الصوت: «أعرف أنكم تستعدون للقتال». تعالت الصرخات بين الطلاب، وأمسك البعض منهم بمن حولهم وهم يتلفتون بحثًا عن مصدر الصوت. وأكمل الصوت: «إن جهودكم لا قيمة لها. لا يمكنكم محاربتى. وأنا لا أريد أن أقتلكم، فأنا أحترم أساتذة (هوجوورتس) بشدة ولا أريد إراقة أى دماء سحرية».

ساد الصمت القاعة الآن. ولكنه كان صمتا من النوع الذى تشعر به وكأنه يضغط على طبلة الأذن ويبدو أضخم من أن تحتويه جدران المكان.

قال صوت (فولدمورت): «سلمونى (هارى بوتر)، ولن يصاب أحد بأذى. سلمونى (هارى بوتر)، وسأترك المدرسة سليمة. سلمونى (هارى بوتر)، وسوف أكافئكم.

«أمامكم حتى منتصف الليل».

وابتلعهم الصمت جميعًا مرة أخرى. والتفَّت كل الرءوس وبدا كأن كل العيون فى المكان قد وجدت (هارى) الذى تجمد فى مكانه تحت تحديق آلاف الأشعة الخفية. ثم وقف شخص من مائدة (سليذرين) وعرف (هارى) أنها (بانسى باركينسون) عندما رفعت ذراعًا ترتجف وصرخت: «ولكنه هناك! (بوتر) *هناك!* فليمسك به أحد!».

وقبل أن يتمكن (هارى) من الكلام، حدثت تحركات ضخمة. ووقف طلاب (جريفندور) أمامه يواجهون، ليس (هارى)، ولكن طلاب (سليذرين). ثم وقف طلاب (هفلباف)، وفى نفس اللحظة معهم تقريبًا طلاب (رافينكلو)، الجميع ظهورهم نحو (هارى)، جميعهم ينظرون نحو (بانسى) بدلاً منه، ورأى (هارى) وهو مبهور العصى تخرج فى كل مكان، البعض يجذبونها من تحت عباءاتهم والبعض الآخر من داخل الأكمام.

قالت الأستاذة (ماكجونجال) بصوت جدى: «شكرًا لكِ يا آنسة (باركينسون). ستتركين القاعة أولا مع السيد (فيلتش). ويتبعك باقى أفراد منزلك».

سمع (هارى) صوت جر المقاعد، ثم طلاب (سليذرين) وهم يخرجون من الجانب الآخر من البهو.

وصاحت الأستاذة (ماكجونجال): «(رافينكلو)، اتبعوهم!».

وببطء، تم إخلاء الموائد الأربع. وأصبحت مائدة (سليذرين) خالية تمامًا، بينما بقى مجموعة من طلاب (رافينكلو) الكبار جالسين فى أماكنهم بعد ذهاب زملائهم. وبقى عدد أكبر من طلاب (هفلباف)، بينما ظل نصف طلاب (جريفندور) فى أماكنهم، مما اضطر الأستاذة (ماكجونجال) أن تنزل من فوق المنصة لتقنع الطلاب الصغار بإخلاء المكان بسرعة.

«بالتأكيد لا يا (جريفى)، اذهب! وأنت أيضًا يا (بيكيز!)».

وأسرع (هارى) إلى (آل ويزلى) الذين كانوا يجلسون معًا على مائدة (جريفندور).

«أين (رون) و(هرميون)؟».

وقال السيد (ويزلى) وهو يبدو قلقًا: «ألم تجد؟».

ولكنه توقف عندما تقدم (كنجسلى) فوق المنصة ليخاطب من بقوا فى المكان.

«إن أمامنا نصف ساعة حتى منتصف الليل، ولذلك علينا أن نتحرك بسرعة! لقد تم الاتفاق على خطة للمعركة بين أساتذة (هوجوورتس) وجماعة العنقاء. سيقوم الأساتذة (فليتويك) و(سبراوت) و(ماكجونجال) بأخذ مجموعات من المقاتلين والذهاب إلى الأبراج الثلاثة العالية بالمدرسة ـ (رافينكلو)، و(الفلك)، و(جريفندور) ـ حيث ستتاح لهم رؤية واسعة للمكان، وأماكن ممتازة لإلقاء التعاويذ. وفى نفس الوقت سيقوم (ريموس)»، وأشار إلى (لوبين) «و(آرثر)»، وأشار إلى السيد (ويزلى) الذى يجلس على مائدة (جريفندور). «وأنا سآخذ مجموعات من المقاتلين إلى الملاعب. وسنحتاج إلى شخص ما لتنظيم الدفاع عن مداخل الممرات المؤدية إلى المدرسة».

قال (فريد) وهو يشير إلى نفسه وإلى (جورج): « ـ تبدو مهمة مناسبة لنا». وأومأ (كنجسلى) رأسه موافقا.

«حسنًا، فليصعد القادة إلى هنا وسنقسم القوات!».

قالت الأستاذة (ماكجونجال) وهى تسرع فى اتجاه (هارى): «(بوتر)، *أليس من المفترض أن تبحث عن شىء ما؟*». كان الطلاب قد ملئوا المنصة وهم يتدافعون للحصول على مكان ويتلقون التعليمات.

قال (هارى): «ماذا، آه نعم!».

لقد كاد ينسى الهوركروكس، كاد ينسى أنهم يحاربون هذه المعركة حتى يتمكن من البحث عنه. لقد جعله الاختفاء غير المفسر لـ (رون) و(هرميون) ينسى كل ما عداه للحظة.

«إذن اذهب يا (بوتر)، هيا!».

«حسنًا، نعم».

وشعر بالعيون تتبعه وهو يجرى خارجًا من البهو العظيم ثانية، ووصل إلى بهو الدخول ليجده مازال مزدحمًا بالطلاب الذين تم إخلاؤهم. وترك نفسه ينجرف معهم صاعدًا السلالم الرخامية، ولكنه عندما وصل إلى الأعلى أسرع يبتعد فى الدهاليز المهجورة. وشعر بالخوف والفزع يعيقانه عن التفكير، حاول تهدئة نفسه حتى يستطيع التركيز على البحث عن الهوركروكس. ولكن أفكاره أزَّت بهياج وبلا نتيجة كدبور محبوس تحت كوب زجاجي. وشعر بأنه غير قادر على ترتيب أفكاره بدون مساعدة (رون) و(هرميون). فأبطأ حتى توقف فى منتصف الدهليز المهجور، ثم جلس على قاعدة تمثال خالية وأخرج خارطة (المارودر) من الجراب المعلق حول عنقه وأخذ يبحث فيها ولكنه لم يجد اسم (رون) و(هرميون) فى أى مكان، ولكنه فكَّر فى أن كثافة نقط الحشود المتجهة نحو غرفة الطلب يمكن أن تكون قد حجبت أسماءهم، فوضع الخارطة جانبًا، وضغط بيديه على وجهه وأغلق عينيه وحاول التركيز...

لقد ظن (فولدمورت) أننى قد أذهب إلى برج (رافينكلو).

هذه حقيقة ثابتة، وهى النقطة التى سيبدأ منها. لقد أرسل (فولدمورت) (أليكتو كارو) إلى غرفة (رافينكلو) العامة، ليس هناك سوى تفسير واحد لذلك: لقد خاف (فولدمورت) أن يكون (هارى) يعرف بالفعل أن الهوركروكس الخاص به له علاقة بهذا المنزل.

ولكن الشىء الوحيد الذى يبدو أن الجميع يربطونه (برافينكلو) هو التاج المفقود... فكيف يكون الهوركروكس هو التاج؟ كيف يمكن أن يكون (فولدمورت)، الذى ينتمى إلى منزل (سليذرين) قد وجد التاج الذى أفلت من أجيال من طلاب (رافينكلو)؟ من الذى أخبره أين يبحث إن كان أحد من الأحياء لم ير التاج أبدًا؟

أحد من *الأحياء*...

وفتح (هارى) عينيه مرة أخرى تحت أصابعه. وقفز واقفًا من فوق القاعدة وأسرع عائدًا من الطريق الذى أتى منه، وهو الآن يطارد أمله الأخير. وأخذ صوت

مئات الأشخاص المتجهين نحو غرفة الطلب يرتفع أكثر وأكثر، كلما تقدم نحو السلالم الرخامية. وسمع رواد الفصول وهم يصيحون بالتعليمات، ويحاولون تنظيم الطلاب التابعين لمنازلهم؛ كان هناك الكثير من التدافع ورأى (هارى) (زاكاريس سميث) وهو يحرك طلاب الصف الأول حتى يصلوا إلى أول الصف. وكان الطلاب الصغار هنا وهناك يبكون بينما الأكبر سنًّا ينادون بيأس على أصدقائهم وأشقائهم... ولمح (هارى) شكلاً لؤلؤى البياض يتحرك فى بهو الدخول بالأسفل وصاح بكل ما يستطيع من قوة فوق الأصوات الصاخبة.

«(نيك)، (نيك)! أريد أن أتكلم معك!».

وشق طريقه عائدًا عبر طوفان الطلاب، ووصل أخيرًا إلى أسفل السلالم، حيث يقف (نيك) شبه مقطوع الرأس، شبح (برج جريفندور) ينتظره.

«(هارى)! ولدى العزيز!».

ومد (نيك) يده وأمسك يدى (هارى) بيديه الاثنين؛ وشعر (هارى) كأنهما قد غاصتا داخل مياه مثلجة.

«(نيك)، يجب أن تساعدنى. من هو شبح برج (رافينكلو)؟».

بدا (نيك) شبه مقطوع الرأس مُفاجأً ومستاءً قليلاً.

«إنها السيدة الرمادية بالطبع، ولكن إذا كانت الخدمة التى تحتاج إليها خاصة بالأشباح؟».

«يجب أن تكون هى؛ هل تعرف أين هى؟».

«لنرى...».

تمايلت رأس (نيك) قليلاً فوق طوق رقبته، عندما التفت هنا وهناك ونظر فوق رءوس الطلاب المندفعين.

«هذه هى، هناك يا (هارى). تلك المرأة الشابة ذات الشعر الطويل».

ونظر (هارى) فى الاتجاه الذى يشير إليه إصبع (نيك) الشفاف ورأى شبحًا طويلاً لامرأة، والتى رفعت حاجبيها عندما رأت (هارى) ينظر إليها واندفعت مبتعدة من خلال الحائط الصلب.

وجرى (هارى) وراءها وعندما دخل من باب الدهليز الذى اختفت به، رآها عند نهاية الممر، وهى مازالت تنزلق بنعومة مبتعدة عنه.

«هيه ـ انتظرى ـ عودى!».

ووقفت وهى تطفو عبر الهواء على بعد بوصات من الأرض. وافترض (هارى) أنها كانت جميلة بشعرها الطويل الذى يصل إلى وسطها وعباءتها التى تصل إلى الأرض ولكنها بدت أيضًا متعجرفة ومتكبرة. وعندما اقترب منها، أدرك أنها أحد الأشباح التى مرَّ بها مرات عديدة فى الدهاليز ولكنه لم يتكلم معها أبدًا.

«أنت السيدة الرمادية؟».

أومأت برأسها ولم تتكلم.

«شبح برج (رافينكلو)؟».

«هذا صحيح».

لم تكن نبرتها مشجعة.

«أرجوكِ، أنا فى حاجة لمساعدتك. أحتاج إلى معرفة كل ما تستطيعين إخبارى به عن التاج المفقود».

قوَّست شفتيها ابتسامة باردة.

قالت وهى تلتفت لتتركه: «أنا آسفة، لا أستطيع مساعدتك».

«**انتظرى**!».

لم يكن يقصد أن يصيح ولكن الغضب والرعب كانا على وشك السيطرة عليه. ونظر نظرة سريعة إلى ساعته، بينما هى تطفو أمامه: لم يبق على منتصف الليل سوى نصف ساعة.

قال (هارى) بقوة: «إن الأمر عاجل، إذا كان التاج فى (هوجوورتس)، فيجب أن أجده بسرعة».

قالت بازدراء: «لست أول طالب يشتهى التاج. لقد أصابنى السأم من كثرة إلحاحهم على مرِّ الأجيال».

صاح (هارى) بها: «إن الأمر لا يتعلق بالحصول على درجات جيدة! إن الأمر يخص (فولدمورت) ـ هزيمة (فولدمورت) ـ أم إنك لست مهتمة بهذا الأمر».

لم تكن قادرة على الاحمرار ولكنَّ خديها ازدادا شفافية وزادت الحدة فى صوتها وهى ترد عليه: «بالطبع ـ كيف تجرؤ على الاقتراح؟!».

«حسنًا، ساعدينى إذن!».

بدت أقل هدوءًا.

وتلعثمت: «إنها ـ إنها ليست مسألة ـ تاج أمى...».

«أمك؟».

بدت غاضبة من نفسها.

قالت بجفاء: «فى أثناء حياتى، كنت (هيلينا رافينكلو)».

«أنت *ابنتها*؟ ولكن، لابد أنك تعرفين ما حدث له!».

قالت وهى تبذل جهداً واضحًا حتى تبدو متماسكة: «على الرغم من أن التاج يعطى لابسه الحكمة، فإنى أشك فى أنه سيزيد فرصك فى هزيمة الساحر الذى يدعو نفسه (لورد)».

قال (هارى) بقوة: «ألم أقل لتوى إننى لست مهتما بلبسه! ليس هناك وقت لأشرح لك الأمر، ولكن إذا كنت تهتمين (بهوجورتس)، وتريدين القضاء على (فولدمورت)، فيجب أن تخبرينى بأى شىء تعرفينه عن التاج!».

بقيت ثابتة فى مكانها وهى تطفو فى الهواء وتحدق فيه واستولى اليأس على (هارى). بالطبع، لو أنها تعرف أى شىء لكانت قد أخبرت (فليتويك) أو (دمبلدور)، اللذين لابد أن يكونا قد سألاها نفس السؤال. وهز رأسه وبدأ يلتفت، ولكنه سمعها تتكلم بصوت خفيض.

«لقد سرقت التاج من أمى».

«ماذا ـ ماذا فعلت؟».

كررت (هيلينا رافينكلو) همسًا: «*لقد سرقت التاج*. رغبت أن أجعل نفسى أكثر ذكاء وأهمية من أمى، فأخذته وهربت».

لم يعرف كيف تمكن من كسب ثقتها، ولم يسألها عن شىء، كل ما فعله هو أنه سمعها فقط وهى تكمل: «يقولون إن أمى لم تعترف قط بأن التاج اختفى، وتظاهرت أنه مازال معها. وأخفت خسارتها وخيانتى الفظيعة لها، حتى عن المؤسسين الآخرين لـ(هوجوورتس)».

«ثم سقطت أمى مريضة بمرض مميت. وعلى الرغم من غدرى بها، رغبت بشدة فى رؤيتى مرة أخرى. فأرسلت رجلاً أحبنى لزمن طويل رغم أننى كنت أحتقر نصائحه، حتى يجدنى. كانت تعرف أنه لن يستريح حتى يصل إلىَّ».

وانتظر (هارى). وسحبت نفسًا عميقًا ثم ألقت برأسها إلى الخلف.

«تتبعنى حتى وصل إلى الغابة التى كنت أختبئ بها وعندما رفضت العودة معه، أصبح شديدَ العنفِ. كان (البارون) دائمًا رجلاً ذا مزاج عصبى. ودفعه غضبه من رفضى وغيرته من حريتى إلى أن يطعننى».

«*البارون*؟ هل تعنين...؟».

قالت السيدة الرمادية وهى تزيح عباءتها لتكشف عن جرح واحد أسود فى صدرها الأبيض: «(البارون)، نعم، عندما رأى ما صنعه، أصابه ندم شديد، فأخذ السلاح الذى قتلنى به واستخدمه فى قتل نفسه». وأضافت بمرارة: «وبعد كل هذه القرون، مازال يلبس سلاسله ليعبر عن ندمه... وهو ما يجب عليه فعله».

«و... والتاج؟».

«ظل حيث خبأته. عندما سمعت أن (البارون) يبحث عنى فى الغابة، أخفيته داخل شجرة مجوفة بالغابة».

كرر (هارى): «شجرة مجوفة؟ أى شجرة؟ أين كان هذا؟».

«غابة فى ألبانيا. مكان ناء، ظننت أنه سيكون بعيدًا عن يد أمى».

كرر (هارى): «ألبانيا». وبدأت الأمور تتضح فى عقله بصورة عجائبية وفهم الآن لِمَ أخبرته هو بما رفضت أن تقوله لـ(دمبلدور) و(فليتويك). وأضاف: «لقد أخبرت شخصًا آخر بهذه القصة، أليس كذلك؟ طالبًا آخر؟».

أغلقت عينيها وأومأت برأسها.

«لم تكن... لدى فكرة... لقد كان... يتملقنى، وبدا أنه... أنه يفهمنى... ويتعاطف معى...».

وفكر (هارى)، بالطبع، من المؤكد أن يفهم (توم ريدل) أن رغبة (هيلينا رافينكلو) فى امتلاك الأشياء الخيالية ليس لها الحق فى امتلاكها.

وغمغم (هارى): «حسنًا، لست أول شخص يتملقه ريدل ليأخذ منه شيئًا، يمكنه أن يكون جذابًا عندما يرغب فى ذلك...».

إذن فقد تمكّن (فولدمورت) من معرفة مكان التاج المفقود عن طريق تملق السيدة الرمادية. وسافر إلى الغابة النائية واسترجع التاج من مخبئه، بمجرد تركه لـ (هوجوورتس)، ربما قبل أن يعمل لدى (بورجين) و(بوركيس)، وبالطبع بدت تلك الغابات المنعزلة فى ألبانيا ملجأ ممتازا عندما احتاج بعدها بوقت طويل إلى مكان يختبئ به بدون إزعاج طوال عشر سنوات طويلة؟

ولكنه لم يكن ليترك التاج بعد أن أصبح أحد (هوركروكساته) الغالية فى هذه الشجرة المنعزلة... لا، لقد أعاده سرًا إلى منزله الحقيقى، ولابد أن (فولدمورت) قد وضعه هنا.

قال (هارى) منهيًا أفكاره: «فى الليلة التى أتى فيها ليطلب وظيفة!».

«ماذا قلت؟».

قال (هارى) بصوت عال مكنه من استيعاب الأمر: «لقد خبأ التاج فى القلعة فى الليلة التى طلب فيها من (دمبلدور) أن يسمح له بالتدريس! لابد أنه أخفى التاج وهو فى طريقه إلى مكتب (دمبلدور) أو بعد أن خرج منه! ولكن موضوع الوظيفة استحق محاولة منه ـ عندها، ربما تتاح له الفرصة للحصول على سيف (جريفندور) أيضًا ـ شكرًا لك، شكرًا!».

وتركها (هارى) تطفو هناك وهى تبدو متحيرة تمامًا. ونظر إلى ساعته وهو يدور حول المنعطف عائدًا إلى بهو الدخول. لم يبق على منتصف الليل سوى خمس دقائق، ورغم أنه يعرف الآن ما الهوركروكس الأخير، لكنه لم يكن قريبًا ليكتشف *أين كان*...

أجيال من الطلاب فشلوا فى إيجاد التاج؛ مما يوحى بأنه ليس فى (برج رافينكلو) ـ ولكن إن لم يكن هناك، فأين هو؟ ما مكان الإخفاء الذى اكتشفه (توم ريدل) داخل قلعة (هوجوورتس)، واعتقد أنه سيظل سريًا للأبد؟

ودار (هارى) حول منعطف وهو غارق فى تأملاته، ولكنه ما إن مشى بضع خطوات قليلة فى الدهليز الجديد، حتى انكسرت النافذة التى على يساره بصوت تحطم يصم الآذان. وبينما يقفز مبتعدًا، طار جسم ضخم من خلال النافذة وضرب الحائط المقابل. وانفصل شىء ضخم مشعر عن القادم الجديد ورمى بنفسه على (هارى).

صاح (هارى) وهو يبعد (فانج) عنه بينما الشىء الضخم ذو اللحية يقف على قدميه: «(هاجريد)! ماذا ـ ؟».

«(هارى)، أنت هنا! *أنت هنا!*».

وانحنى (هاجريد) على (هارى) وعانقه عناقًا سريعًا حطَّم ضلوعه وجرى عائدًا نحو النافذة المحطمة.

وصاح من خلال الفتحة الموجودة فى الزجاج: «ولد طيب يا (جراوب)! سأراك بعد لحظة. إنك فتى طيب!».

ومن وراء (هاجريد)، رأى (هارى) عبر الظلام فى الخارج انفجارات من الضوء على البعد وسمع صرخة عجيبة حادة. ونظر إلى ساعته، فوجد أنها منتصف الليل. لقد بدأت المعركة.

وقال (هاجريد) وهو ينهج: «يا إلهى! يا (هارى)، هذا هو، هه؟ إنه وقت القتال؟».

«(هاجريد)، من أين أتيت؟».

قال (هاجريد) بتجهم: «سمعت (أنت - تعرف - من) فى الكهف. وصلنى صوته وهو يقول لديكم حتى منتصف الليل لتسلمونى (بوتر)؛ وعرفت أنك لابد أن تكون هنا وعرفت ما يحدث وذهبت لـ(فانج) وجئنا لننضم إليكم أنا و(جراوب) و(فانج). شققنا طريقنا عبر الحدود الملاصقة للغابة، كان (جراوب) يحملنا أنا و(فانج) وأخبرته أن ينزلنى عند القلعة، ولذلك دفعنى من خلال النافذة. بارك الله فيه. ليس هذا ما قصدته تمامًا ولكن - أين (رون) و(هرميون)؟».

قال (هارى): «إن هذا سؤال جيد. هيا».

وأسرعا معا بطول الدهليز و(فانج) يسير قفزًا بجوارهم. وسمع (هارى) حركة خلال الدهاليز حولهم: وقع أقدام تجرى وصيحات ورأى من خلال النافذة وميض الأضواء فى الملاعب المظلمة.

قال (هاجريد) وهو يلهث: «إلى أين نحن ذاهبون؟». كان يجرى وراء (هارى) ووقع أقدامه يزلزل الأرض.

قال (هارى) وهو يأخذ منعطفًا عشوائيًا آخر: «لا أعرف بالضبط، ولكن لابد أن (رون) و(هرميون) موجودان هنا فى مكان ما».

وشاهدوا الخسائر الأولى للمعركة متناثرة عبر الدهليز أمامهم. ورأوا التماثيل الحجرية التى عادة ما تحرس المدخل إلى غرفة أعضاء هيئة التدريس مدمرة تمامًا بسبب لعنة دخلت من نافذة محطمة أخرى. وأخذت بقاياهم تتحرك بضعف على الأرض وبينما يقفز (هارى) من فوق رأس أحدها المقطوع، سمعه يئن بضعف قائلاً: «آه، لا تلقى إلىَّ بالا... سأظل متمددًا هنا وأتفتت..».

وجعل وجهه القبيح (هارى) يفكر فجأة بتمثال (روينا رافينكلو) الرخامى الذى رآه فى منزل (زينوفيليوس)، وهو يرتدى غطاء الرأس المجنون - ثم بالتمثال الموجود فى برج (رافينكلو)، والتاج الحجرى الموجود فوق تجعيدات شعرها البيضاء...

وعندما وصل إلى نهاية الممر، عادت إليه ذكرى تمثال حجرى ثالث. تمثال ساحر عجوز قبيح، وضع (هارى) فوق رأسه بنفسه شعارًا مستعارًا وعمامة قديمة. وانطلقت الصدمة خلال (هارى) مثل السخونة التى يسببها الشراب النارى، حتى أنه كاد يتعثر.

وعرف أخيرًا، المكان الذى ينتظره فيه الهوركروكس...

يبدو أن (توم ريدل) الذى لم يثق فى أى شخص وعمل دائمًا وحده كان متعجرفًا لدرجة أنه افترض أنه هو وحده قد اخترق أعمق أسرار قلعة (هوجوورتس). وبالطبع لم يضع (دمبلدور) أو (فليتويك) أقدامهما فى هذا المكان؛ لأنهما كانا تلميذين مثاليين ولكنه قد خرج عن الطريق القويم فى أثناء وجوده فى المدرسة ـ ها هو أخيرًا؛ سر عرفه هو و(فولدمورت) ولم يكتشفه (دمبلدور) أبدًا.

وجعلته الأستاذة (سبراوت) يفيق إلى نفسه، حيث مرت بجواره تجرى، يتبعها (نيفيل) ونحو نصف دستة من الطلاب الآخرين وهم يرتدون واقيًا للأذن ويحملون ما بدا مثل أوعية بها نباتات كبيرة.

وصاح (نيفيل) نحو (هارى) من فوق كتفه وهو يجرى: «(ماندريك)! سنلقى بهم من فوق الجدران ـ لن يُعجبهم ذلك!».

عرف (هارى) الآن إلى أين سيذهب، وأسرع يجرى و(هاجريد) و(فانج) يعدون خلفه. ومروا بلوحة بعد لوحة، والأشخاص المرسومون يسرعون معهم، سحرة وساحرات يرتدون أطواقًا للرقبة وسراويل قصيرة ودروعًا وعباءات، يحشرون أنفسهم فى لوحات بعضهم البعض وهم يصرخون بالأخبار عما يحدث فى الأجزاء الأخرى من القلعة. وعندما وصل إلى نهاية الدهليز، اهتزت القلعة بالكامل، وعرف (هارى) عندما وقعت زهرية عملاقة من فوق قاعدتها من قوة الانفجار، أن سبب ذلك سحر أكثر خطورة من سحر الأساتذة والجماعة.

وصاح (هاجريد): «إن الأمر على ما يرام يا (فانج)، إن الأمر على ما يرام!». ولكن الكلب الضخم هرب عندما طارت قطع الخزف مثل شظايا القنابل فى الهواء وجرى (هاجريد) وراء الكلب المرعوب تاركًا (هارى) وحده.

وشقَّ (هارى) طريقه عبر الدهاليز المهتزة، وعصاه فى وضع الاستعداد. وأخذ الفارس المرسوم الصغير، سير (كادوجان) يسرع متنقلاً من لوحة إلى لوحة بطول الدهلير، وهو يصرخ بالتشجيع، بينما درعه يصلصل ومُهره الصغير السمين يخبخب وراءه.

«متبجحون وملاعين وكلاب وأوغاد، أخرجهم من هنا يا (هارى بوتر)، اطردهم!».

أسرع (هارى) حول المنعطف ووجد (فريد) ومعه مجموعة صغيرة من الطلاب، من ضمنهم (لى جوردان) و(هانا أبوت)، يقفون بجوار قاعدة أخرى خالية كان تمثالها يخفى ممرًا سريًا. وقد رفعوا عصيهم فى وضع الاستعداد ووقفوا يصغون عند الفتحة المخفية.

وصاح (فريد) عندما اهتزت القلعة مرة أخرى: «ليلة لطيفة للمعركة!». واندفع (هارى) يجرى بجوارهم وهو سعيد ومرعوب فى نفس الوقت. واندفع إلى دهليز آخر ليجد بوم فى كل مكان، ورأى السيدة (نوريس) تهسهس وتحاول ضربهم بمخالبها وهى تحاول إعادتهم بدون شك إلى مكانهم المناسب...

«(بوتر)!».

ورأى (أبيرفورث) (دمبلدور) يقف مغلقًا الدهليز أمامه، وعصاه مرفوعة فى وضع الاستعداد.

«هناك المئات من الأطفال يهدرون خلال حانتى يا (بوتر)!».

قال (هارى): «أعرف، لدينا إخلاء، (فولدمورت)».

قال (أبيرفورث): «يُهاجم؛ لأنهم لم يسلموك إليه، نعم، أعرف، لست أصم. لقد سمعته (هوجسميد) كلها. ولم يخطر ببال أحدكم الاحتفاظ ببعض طلاب (سليذرين) رهائن؟ لقد أرسلتم أبناء آكلى الموت إلى الأمان لتوكم. ألم يكن من الذكاء أن تحتفظوا بهم هنا؟».

قال (هارى): «إن ذلك لن يوقف (فولدمورت)، وأخوك لم يكن ليفعل ذلك قط».

صاح (أبيرفورث) مستهجنًا وانطلق يعدو فى الاتجاه المعاكس.

أخوك لم يكن ليفعل ذلك أبدًا... حسنًا، وفكر (هارى) أنها الحقيقة، وبدأ يجرى من جديد، إن (دمبلدور) الذى دافع عن (سناب) لزمن طويل، لن يقوم بحجز الطلاب كرهائن أبدًا...

ثم دار حول منعطف أخير وأطلق صيحة ارتياح وغضب عندما رأى (رون) و(هرميون) اللذين كانت ذراعاهما ممتلئة بأشياء صفراء قذرة ملتوية ضخمة، بينما توجد مكنسة تحت ذراع (رون).

صاح (هارى): «أين كنتم بحق الجحيم؟».

قال (رون): «فى حجرة الأسرار».

قال (هارى) وهو يتوقف أمامهم: «حجرة ـ *ماذا*؟».

قالت (هرميون) بأنفاس متقطعة: «لقد كانت فكرة (رون)، كلها فكرته! أليست فكرة عبقرية تمامًا؟ كنا جالسين هناك بعد أن رحلت وقلت لـ(رون) حتى لو وجدنا الآخر، فكيف سنتخلص منه؟ إننا لم نتخلص من الكأس بعد، وعندها فكر به! الباسيليك!».

«ماذا...؟».

قال (رون) ببساطة: «شيء نتخلص به من (الهوركروكسات)».

ونزلت عين (هارى) إلى الأشياء التى يحملها (رون) و(هرميون) بين ذراعيهما، وأدرك الأمر الآن، إنها أنياب كبيرة مقطوعة من جمجمة حية الباسيليك الميتة.

وسأل وهو يحدق من الأنياب إلى (رون): «ولكن كيف دخلت إليها؟ إنك تحتاج إلى الكلام بلغة الحيَّات!».

همست (هرميون): «لقد فعل! أره يا (رون)!».

وأطلق (رون) هسهسة مخنوقة فظيعة.

وأخبر (هارى) معتذرًا: «إنها ما فعلته لكى تفتح القلادة، لقد اضطررت إلى المحاولة أكثر من مرة حتى قلتها بالشكل الصحيح» وهز كتفيه بتواضع، وقال: «ولكننا نجحنا فى الدخول فى النهاية».

قالت (هرميون): «كان مذهلاً، مذهلاً تمامًا!».

قال (هارى) وهو يكافح ليبقى متابعًا: «إذن... إذن...».

قال (رون) وهو يخرج من تحت سترته بقايا كأس (هفلباف): «دمرنا هوركروكس آخر، قامت (هرميون) بطعنه، ظننت أنها يجب أن تقوم بذلك. فهى لم تنل هذا الشرف من قبل».

صاح (هارى): «عبقرى!».

قال (رون) رغم أنه بدا فرحًا بنفسه: «لم يكن شيئًا يذكر، ولكن ما الجديد معك؟».

وما إن نطق بذلك، حتى سمعوا انفجارًا فوق رءوسهم. ونظر ثلاثتهم إلى أعلى عندما نزل التراب من السقف وسمعوا صرخة بعيدة.

قال (هارى) بسرعة: «أعرف كيف يبدو التاج وأعرف مكانه. لقد أخفاه فى نفس المكان الذى أخفيت فيه كتاب الوصفات القديم الخاص بى، فى نفس المكان الذى يخفى فيه الجميع الأشياء منذ قرون، وفكر أنه الشخص الوحيد الذى وجده. هيا بنا».

وبينما ارتجت الجدران مرة أخرى، قاد الاثنين الآخرين عائدًا إلى المدخل المخفى ثم نزلوا معًا السلالم إلى داخل غرفة الطلب التى كانت خالية إلا من ثلاث نساء؛ (جينى) و(تونكس) وساحرة عجوز ترتدى قبعة بالية، عرفها (هارى) على الفور. كانت جدة (نيفيل).

والتى قالت بحزم وكأنها كانت تنتظره: «آه، (بوتر)، يمكنك أن تخبرنا بما يحدث».

قالت (جينى) و(تونكس) معًا: «هل الجميع بخير؟».

قال (هارى): «نعم، حسب علمنا. هل ما زال هناك طلاب فى الممر إلى رأس الخنزير؟».

كان يعرف أن الغرفة لن تتمكن من التحول ما دام هناك أحد لا يزال بداخلها.

قالت السيدة (لونجبوتم): «لقد كنت آخر شخص عبر خلاله وقمت بغلقه، أعتقد أنه من غير الحكمة أن نتركه مفتوحًا الآن بعد أن ترك (أبيرفورث) حانته. هل رأيت حفيدى؟».

قال (هارى): «إنه يُحارب».

قالت السيدة العجوز بفخر: «طبيعى، اعذرونى، يجب أن أذهب لأساعده».

وأسرعت نحو السلالم الحجرية بسرعة مدهشة.

نظر (هارى) نحو (تونكس).

«أعتقد أنه كان من المفترض أن تكونى مع (تيدى) فى منزل والدتك».

ظهر الألم على (تونكس) وقالت: «لم أستطع تحمل عدم المعرفة، ستعتنى أمى به، هل رأيت (ريموس)؟».

«إنه يخطط لقيادة مجموعة من المقاتلين إلى الملاعب..».

وأسرعت (تونكس) خارجة بدون كلمة أخرى.

قال (هارى): «(جينى)، أنا آسف، ولكن يجب أن ترحلى أيضًا. لوقت قصير فقط. وبعدها يمكنك العودة إلى الداخل».

بدت (جينى) سعيدة لمغادرة ملاذها.

وصاح (هارى) خلفها وهى تجرى صاعدة درجات السلم خلف (تونكس): «وبعدها يمكنك العودة إلى الداخل، *عليك العودة إلى الداخل!*».

قال (رون) بحدة: «انتظر لحظة! لقد نسينا شخصًا!».

سألت (هرميون): «من؟».

«أقزام المنازل، سيكونون تحت، فى المطبخ، أليس كذلك؟».

سأله (هارى): «هل تعنى أنه ينبغى أن نخرجهم ليحاربوا؟».

قال (رون) بجدية: «لا، أقصد أننا ينبغى أن نطلب إليهم الخروج من هنا. لا نريد (دوبى) آخر. لا يمكننا أن نأمرهم بأن يموتوا من أجلنا».

سمع (هارى) صوت قرقعة عندما وقعت أنياب الباسيليك من بين ذراعى (هرميون) وجرت نحو (رون) ألقت بذراعيها حول عنقه وقبلته على فمه. ورمى (رون) الأنياب والمكنسة التى يحملها.

سألهم (هارى) بضعف: «هل هذه لحظة مناسبة؟». وعندما لم يحدث شيء سوى أن (رون) و(هرميون) أمسكا ببعضهما البعض أكثر، وتمايلا فى مكانيهما، رفع صوته قائلاً: «هيه! هناك حرب تجرى هنا!».

انفصل (رون) و(هرميون) عن بعضهما البعض، ولا تزال أذرعهما حول بعضهما البعض.

قال (رون) الذى بدا كمن ضرب على مؤخرة رأسه حديثًا ببلادجر: «أعلم يا صاحبى. إذن، ولكنه الآن، وإلا لا، أليس كذلك؟».

صاح (هارى): «لا تهتم بذلك الآن، ماذا عن الهوركروكس؟ هل تظن أن بإمكانك أن... أن تتماسك حتى نحصل على التاج فقط؟».

قال (رون): «نعم... صحيح... آسف». وأسرع هو و(هرميون) يجمعان الأنياب وقد احمرً وجهاهما.

وكان واضحًا عندما خطا ثلاثتهم عائدين إلى الدهليز، أن الموقف قد تدهور بالقلعة بشدة خلال الدقائق التى أمضوها داخل غرفة الطلب. كانت الأسقف والجدران تهتز أسوأ عن ذى قبل. وقد ملأ الغبار الهواء ورأى (هارى) من خلال النافذة القريبة انفجارات أضواء خضراء وحمراء قريبة من القلعة وعرف أن آكلى الموت قريبون جدًا من دخول المكان وعندما نظر (هارى) إلى أسفل، رأى العملاق (جراوب) وهو يسير ويلوح بما بدا مثل تمثال حجرى اقتلعه من فوق السقف ويزمجر بانزعاج.

قال (رون) بينما سمعوا المزيد من الصرخات تتردد فى أماكن قريبة: «فلنأمل أن يدوس على بعضهم!».

قال صوت: «ما دام ليس من جماعتنا». والتفت (هارى) ليرى (جينى) و(تونكس)، وقد أخرجت كلتاهما عصاها عند النافذة التالية التى فقدت العديد من ألواح الزجاج. ورأى وهو يراقبهم، (جينى) وهى تصوب لعنة موجهة بدقة نحو مجموعة من المقاتلين فى الأسفل.

وصاح شخص يجرى وسط التراب نحوهم: «فتاة رائعة». ورأى (هارى) (أبيرفورث) مرة أخرى، وشعره الرمادى يتطاير وهو يقود مجموعة صغيرة من

الطلاب مارًا بهم قائلاً: «يبدو أنهم يقومون باختراق السور الشمالى، لقد أحضروا معهم عمالقتهم!».

صاحت (تونكس) خلفه: «هل رأيت (ريموس)؟».

صاح (أبيرفورث): «لقد كان يبارز (دولوهوف). ولم أره من وقتها!».

قالت (جينى): «(تونكس)، (تونكس)، أنا متأكدة أنه بخير».

ولكن (تونكس) اندفعت تجرى خلف (أبيرفورث) وسط الغبار.

والتفتت (جينى) فى يأس نحو (هارى) و(رون) و(هرميون).

قال (هارى) رغم أنه يعرف أنها كلمات فارغة: «سيكونون بخير، سنعود بعد لحظة يا (جينى)، ابتعدى عن الطريق فقط واحرصى على نفسك».

وقال لـ (رون) و(هرميون): «هيا!». وجروا عائدين نحو الحائط الذى تنتظر خلفه حجرة الطلب لتنفذ أمر الداخل التالى.

وتوسل (هارى) داخل قلبه: «*أريد المكان المخبأ به كل شىء*». وتجسد الباب فى المرة الثالثة لعبورهم.

واختفت ضجة الحرب الدائرة بمجرد عبورهم الباب وأغلقوا الباب وراءهم؛ بدا كل شىء صامتًا. ووجدوا أنفسهم فى مكان فى حجم كاتدرائية ويشبه المدينة، وذى حوائط عالية مبنية من أشياء أخفاها الآلاف من الطلاب الذين ذهبوا منذ زمن بعيد.

وتردد صوت (رون) وسط صمت المكان: «ولم يدرك أبدًا أن أحدًا يمكنه الدخول إلى هنا؟».

قال (هارى): «لقد اعتقد أنه الوحيد. ولكن لسوء حظه أننى احتجت إلى إخفاء شىء فى وقتى... من هذا الطريق... أظن أنه هناك..».

ومروا بالغول المحنط وكابينة الإخفاء التى أصلحها (دراكو مالفوى) فى العام الماضى وتسببت فى حدوث كوارث، ثم تردد وهو ينظر إلى أكوام الخردة، ولم يستطع تذكر أين يذهب بعد ذلك...

صاحت (هرميون) بيأس: «*(أكسيو التاج)*». ولكن شيئًا لم يطر خلال الهواء نحوهم وبدا لهم أن الغرفة مثل خزانة (جرينجوتس) لن تكشف عن أشيائها المخفية بهذه السهولة.

وقال (هارى) لزميليه: «لنفترق، ابحثوا عن تمثال نصفى لرجل عجوز يرتدى شعرًا مستعارًا وعمامة! إنه واقف فوق خزانة وهو فى مكان قريب من هنا بكل تأكيد..».

وأسرعوا نحو الممرات المجاورة وكان (هارى) يسمع خطوات الآخرين تتردد خلال الأكوام العالية من الخردة والزجاجات والقبعات والصناديق والكراسى والكتب والأسلحة وعصى المكانس والمضارب...

وغمغم (هارى) لنفسه: «فى مكان ما قريب من هنا، مكان ما... مكان ما..».

وأخذ يدخل أكثر وأكثر فى المتاهة وهو يبحث عن أشياء يمكنه تعرُّفها من رحلته السابقة إلى الغرفة. وسمع صوت تنفسه عاليًا فى أذنه، ثم شعر بأن روحه ترتعد. هاهى أمامه، الخزانة القديمة التى كان قد أخفى فيها كتاب الوصفات القديم، وعلى قمتها، التمثال الحجرى للساحر العجوز الذى على رأسه شعر مستعار وما بدا مثل عمامة عتيقة زال لونها.

وكان قد مد يده بالفعل ليمسك به رغم أنه مازال على بعد عشرة أقدام منه عندما سمع صوتًا من خلفه يقول: «توقف يا (بوتر)».

وانزلق متوقفًا ثم التفت ليجد (كراب) و(جويل) واقفين خلفه، كتفًا بكتف وعصيهما موجهة نحوه مباشرة، ومن خلال الفجوة القصيرة التى تفصل بين وجهيهما الساخرين، رأى (دراكو مالفوى).

قال (مالفوى) وهو يوجه عصاه من خلال الفجوة بين (كراب) و(جويل): «هذه عصاى التى تحملها يا (بوتر)».

لهث (هارى) وهو يشدد قبضته على عصا الذعرور البرى: «لم تعد كذلك، إن من يفز بشىء يحتفظ به يا (مالفوى)، من الذى أعارك عصاه؟».

قال (دراكو): «أمى».

ضحك (هارى) رغم عدم وجود ما يضحك فى الموقف، لم يعد يمكنه سماع (رون) و(هرميون) بعد الآن. وبدا أنهما ابتعدا عن مدى السمع، يبحثان عن التاج.

سأل (هارى): «لماذا لستما مع (فولدمورت) إذن؟».

قال (كراب) بصوت ناعم بصورة مدهشة بالنسبة لشخص شديد الضخامة مثله: «سيقوم بمكافأتنا». وفكر (هارى) فى أنه بالكاد سمعه يتكلم من قبل.

كان (كراب) يبتسم مثل طفل صغير وعدوه بحقيبة كبيرة من الحلوى وأضاف: «لقد تخلفنا يا (بوتر). قررنا ألا نذهب إلا وأنت معنا».

قال (هارى) متهكمًا: «خطة جيدة». لم يستطع التصديق أن يكون قريبًا إلى هذا الحد من هدفه ويعطله (مالفوى) و(كراب) و(جويل). وبدأ يتراجع ببطء إلى الوراء

نحو المكان الذى يوجد فيه الهوركروكس فوق التمثال النصفى. لو أمكنه فقط أن يضع يديه عليه قبل أن تندلع المعركة...

وسألهما محاولا تشتيت انتباههما: «ولكن كيف دخلتما إلى هنا؟».

قال (مالفوى) بصوت هش: «لقد عشت طوال العام الماضى داخل غرفة الأشياء المخبأة وأعرف كيف أدخل إليها».

قال (جويل): «لقد كنا نختبئ فى الدهليز بالخارج، يمكننا أداء تعويذة الإيهام الآن!». وظهرت على وجهه ابتسامة حمقاء وأضاف: «ثم ظهرت أنت أمامنا وقلت إنك تبحث عن تاج! أى تاج هذا؟».

وتردد صوت (رونٍ) فجأة من الجهة الأخرى للحائط الموجود على يمين (هارى): «هل تتحدث مع أحد يا (هارى)؟».

وبحركة تشبه حركة السوط، وجه (كراب) عصاه نحو جبل الأثاث القديم والصناديق المحطمة والكتب والملابس القديمة والخردة غير المعروفة، والذى يبلغ طوله 50 قدمًا وقال: «*ديسيندو!*».

وبدأ الجدار يهتز وتساقط فى الممر المجاور حيث يقف (رون).

صاح (هارى): «(رون)!». بينما صرخت (هرميون) من مكان بعيد عن مجال رؤيته، وسمع (هارى) عددًا لا حصر له من الأشياء يسقط إلى الأرض فى الجانب الآخر للحائط غير المستقر، ووجه عصاه نحو الجدار الضخم وصاح: «*فينايت!*». فاستقر.

وصاح (مالفوى) وهو يجذب ذراع (كراب) ويمنعه من تكرار التعويذة: «لا! إذا قمت بها دمرت الغرفة، وقد تدفن هذا التاج!».

قال (كراب) وهو يحرر نفسه منه: «وماذا يهم فى ذلك؟ إن سيد الظلام يريد (بوتر) فقط، من الذى يهمه هذا التاج؟».

قال (مالفوى) وقد نفد صبره من ضعف ذكاء زميليه: «لقد دخل (بوتر) إلى هنا ليحصل عليه ولابد أن هذا يعنى...».

والتفت (كراب) نحو (مالفوى) بشراسة سافرة: «لابد أن يعنى؟ من الذى يهتم بما تفكر به؟ أنا لا آخذ أوامر منك بعد الآن يا *(دراكو)*. لقد انتهيت أنت ووالدك».

وصرخ (رون) مرة أخرى من جانب حائط الخردة: «ما الذى يحدث يا (هارى)؟».

وقلدَّه (كراب) ساخرًا: «ما الذى يحدث يا (هارى) ـ لا يا (بوتر)! *كروشيو!*».

جرى (هارى) نحو التاج، وأخطأته لعنة (كراب) ولكنها أصابت التمثال النصفى الحجرى، والذى طار فى الهواء وحلق التاج إلى أعلى ثم سقط بعيدًا عن مجال الرؤية فى كومة الأشياء التى سقط فوقها التمثال النصفى.

صاح (مالفوى) فى (كراب): «توقف، إن سيد الظلام يريده حيًا..». وتردد صوته عبر الحجرة الضخمة.

وصاح (كراب) وهو يخلص نفسه من ذراع (مالفوى): «أنا لا أقتله، ولكن لو استطعت فسأفعل، إن سيد الظلام يريده ميتًا على أية حال، ما الفر...؟».

ومرت دفقة من الضوء الأحمر على بعد بوصات من (هارى)، وظهرت (هرميون) تجرى عند المنعطف خلفه وأرسلت تعويذة صعق إلى رأس (كراب) مباشرة، كادت أن تصيبه لولا أن (مالفوى) جذبه بعيدًا.

«إنها ذات الدم الموحل! *أفادا كيدافرا!*».

ورأى (هارى) (هرميون) وهى تنحنى جانبًا ومحا غضبه من (كراب) لمحاولته قتلها كل شيء آخر من عقله، فرمى تعويذة صعق نحو (كراب) الذى قفز مبتعدًا عن الطريق وأوقع عصا (مالفوى) من يده، والتى طارت واختفت عن النظر تحت جبل من الأثاث والصناديق المحطمة.

صاح (مالفوى) نحو (كراب) و(جويل) اللذين صوبا عصويْهما نحو (هارى): «لا تقتلوه! لا تقتلوه!». وكان جزءًا من الثانية الذى ترددوا فيه وهو كل ما يحتاجه (هارى).

«*أكسبيليارموس!*».

وطارت عصا (جويل) من يده واختفت داخل متراس الأشياء بجواره، وقفز (جويل) مكانه فى غباء محاولا استعادتها؛ وقفز (مالفوى) مبتعدًا عن مدى تعويذة الصعق الثانية التى أطلقتها (هرميون) ورمى (رون) الذى ظهر فجأة فى نهاية الممر تعويذة تجميد على (كراب)، أخطأته بقليل.

تدحرج (كراب) وصرخ مرة أخرى: «*أفادا كيدافرا!*». وقفز (رون) مبتعدًا عن النظر ليتفادى دفقة اللون الأخضر. وزحف (مالفوى) الذى أصبح بلا عصا وراء دولاب ذى ثلاثة أرجل عندما هجمت عليه (هرميون) وضربت (جويل) بتعويذة صعق وهى تجرى نحوه.

وصاح (هارى) وهو يشير نحو كومة الخردة التى وقعت فيها العمامة القديمة: «إنه فى مكان ما هنا! ابحثى عنه بينما أذهب لمساعدة رو...».

صرخت: «(هارى)!».

وسمع ضجة هادرة خلفه أعطته لحظة إنذار. والتفت ليرى كلا من (رون) و(كراب) يجريان بأسرع ما يمكنهما فى الممر نحوهما.

وهدر (كراب) وهو يجرى: «هل تحبها ساخنة أيها الحثالة؟».

ولكنه بدا غير قادر على السيطرة على ما فعله. ارتفعت ألسنة نيران ذات حجم غير طبيعى تطاردهم وأخذت تلمس جوانب متاريس الخردة، والتى كانت تتفتت وتتحول إلى رماد بمجرد لمس النار لها.

وصاح (هارى): «*أجوامينتى!*». ولكن دفقة الماء التى خرجت من عصاه تبخرت فى الهواء.

«اجرِ!».

وجذب (مالفوى) (جويل) المصعوق وسحبه معه؛ وسبق (كراب) الجميع وقد ظهر عليه الرعب الآن، وجرى (هارى) و(رون) و(هرميون) معا فى أعقابه، بينما النار تطاردهم. لم تكن نارًا طبيعية. استخدم (كراب) لعنة لا يعرفها (هارى)؛ وبينما يلتفتون حول المنعطف، طاردتهم ألسنة النيران وكأنها حية، ولديها شعور ومصممة على قتلهم. وبدأت النيران تتجسد الآن وتكون مجموعة من الوحوش النارية الضخمة. وتصاعدت حيَّات تنفث لهبًا، وكائنات خرافية وتنانين وانخفضت، ثم عادت لترتفع من جديد وأخذ الحطام المتجمع طوال قرون، والتى كانت النيران تتغذى عليه، الآن يطير ليسقط داخل الأفواه ذات الأنياب بعد أن قذفته أقدامها ذات المخالب فى الهواء قبل أن تستهلكه النار.

اختفى (مالفوى) و(كراب) و(جويل) عن النظر وتوقف (هارى) و(رون) و(هرميون) فى أماكنهم؛ كانت الوحوش النارية تحاصرهم وتقترب منهم أكثر وأكثر. وبينما مخالبها وقرونها وذيولها تفرقع وأصبحت النيران صلبة مثل الجدار حولهم.

وصرخت (هرميون) فوق صوت النيران الهادرة التى تصم الآذان: «ماذا يمكننا أن نفعل؟ ماذا يمكننا أن نفعل؟».

«هنا!».

وأمسك (هارى) بزوج من المكانس القوية من كومة خردة قريبة ورمى بواحدة إلى (رون) الذى جذب (هرميون) وراءه فوقها، وأرجح (هارى) قدمه فوق الأخرى وضرب الأرض بقوة، وحلَّق فى الهواء، متفاديًا بأقدام منقار طائر جارح نارى

انقض عليهم. وأحاط الدخان والحرارة بكل شيء ورأوا النيران الملعونة تحتهم وهى تستهلك الأشياء المحظورة التى تخص أجيالاً من الطلاب المطاردين، النتائج الآثمة لآلاف التجارب الممنوعة، أسرار عدد لا حصر له من الأشخاص الذين لجئوا إلى هذه الغرفة. لم يكن (هارى) يرى أى أثر لـ(مالفوى) و(كراب) و(جويل) فى أى مكان، ونزل إلى أسفل قدر ما يجرؤ فوق الوحوش النارية المهاجمة وحاول أن يجدهم ولكنه لم ير شيئًا سوى النار؛ يا لها من طريقة فظيعة للموت... إنه لم يرد ذلك أبدًا...

وصاح (رون): «هيا نخرج من هنا يا (هارى)! هيا نخرج من هنا!». رغم أنه من المستحيل أن يرى أين هو الباب من خلال الدخان الأسود.

ثم سمع (هارى) صرخة إنسانية ضعيفة وسط الاضطراب الفظيع وعاصفة ألسنة اللهب التى تلتهم كل شيء أمامها.

صاح (رون): «إنها - شديدة - الخطورة». ولكن (هارى) دار فى الهواء.

كانت نظارته تعطيه بعض الحماية القليلة ضد الدخان، ودخل إلى العاصفة النارية بالأسفل، بحثًا عن أثر للحياة، ذراع أو قدم أو وجه لم يتفحم مثل الخشب بعد...

ورأى (مالفوى) وذراعاه حول (جويل) الفاقد الوعى وقد جثم كلاهما فوق برج هش من الطاولات المحترقة، وغاص (هارى) نحوهما. ورآه (مالفوى) ورفع ذراعيه نحوه ولكن (هارى) عرف فورا وهو يمسك بها أنها لن تفيد، فقد كان (جويل) شديد الثقل ويد (مالفوى) غارقة فى العرق، فانزلقت فورا من يد (هارى).

وهدر صوت (رون): «**لو متنا من أجلهم، فسوف أقتلك يا (هارى)!**». وبينما يشق المخلوق النارى الضخم طريقه نحوهم، سحب هو و(هرميون) (جويل) إلى مكنستهم وارتفعوا مرة ثانية فى الهواء، وهم يدورون ويتمايلون، بينما صعد (مالفوى) على مكنسة خلف (هارى).

وصرخ (مالفوى) فى أذن (هارى): «الباب، اذهب إلى الباب، الباب!». وأسرع (هارى) يتبع (رون) و(هرميون) و(جويل) خلال الدخان الأسود الهائج، وهو غير قادر على التنفس، بينما الأشياء القليلة الباقية التى لم تحرقها الألسنة المفترسة تطير فى الهواء، حيث كانت المخلوقات التى صنعتها النيران الملعونة ترمى بها إلى الهواء، احتفالاً، ورأى أكوابًا ودروعًا وعقدًا لامعًا وعمامة قديمة ذهب لونها، وصرخ (مالفوى): «*ماذا تفعل.. ماذا تفعل؟ الباب من هذه الجهة*».

ولكن (هارى) انعطف بشدة هابطًا إلى أسفل، وبدا التاج كأنه يقع بالحركة البطيئة، وهو يدور ويلمع ساقطًا نحو معدة حية نارية فتحت فمها إلى آخره، ثم وصل إليه وأمسك به حول معصمه.

وانعطف (هارى) مرة أخرى عندما اندفعت الحية نحوه، وحلق إلى أعلى، متجها مباشرة نحو المكان الذى صلى لأن يكون مكان الباب؛ كان (رون) و(هرميون) و(جويل) قد اختفوا ومالفوى يصرخ وهو يمسك (هارى) بقوة تؤلمه ثم رأى (هارى) من خلال الدخان شكلاً مستطيلاً على الجدار ووجه المكنسة نحوه وبعد لحظات، ملأ الهواء النقى رئتيه واصطدموا بالحائط فى الدهليز وراء الباب وسقط (مالفوى) من فوق المكنسة متمددًا على وجهه وهو يلهث ويسعل. وتدحرج (هارى) جالسًا واختفىٰ باب غرفة الطلب. ورأى (هارى) (رون) و(هرميون) يلهثان على الأرض بجوار (جويل) الذى كان مازال فاقدًا للوعى.

غص (مالفوى) قائلا بمجرد أن استطاع الكلام: «كـ ـ (كراب)، كـ ـ (كراب)..».

قال (رون) بحدة: «لقد مات».

وساد الصمت، لم يكن يسمع سوى صوت اللهاث والسعال، ثم هزت مجموعة من الانفجارات القلعة ومرت بهم مجموعة من الأشكال الشفافة التى تركب الخيول ورءوسهم المحبة للدماء تصرخ تحت أذرعهم.

وترنح (هارى) واقفًا عندما مرت الأشباح التى بلا رءوس ونظر حوله؛ كانت المعركة لا تزال دائرة فى كل مكان حوله. وسمع المزيد من الصرخات أكثر من تلك الأشباح المنسحبة واجتاحه الذعر.

وقال بحدة: «أين (جينى)؟ لقد كانت هنا. من المفترض أن تعود إلى داخل غرفة الطلب».

سأل (رون) وهو يقف ويدلك صدره وينظر يمينًا ويسارًا: «يا إلهى! هل تظن أنها ستظل تعمل بعد الحريق؟ هل نفترق ونبحث...؟».

قالت (هرميون) وهى تقف أيضًا، بينما ظل (مالفوى) و(جويل) جالسين بيأس على أرض الدهليز بعد أن فقدا عصويهما: «لا، لنبق معًا. أقول أن نذهب ـ (هارى)، ما هذا الذى على ذراعك؟».

«ماذا؟ آه، نعم..».

وجذب التاج من معصمه وحمله لأعلى. كان مازال ساخنًا وقد اسود بسبب السخام، ولكنه عندما نظر إليه عن قرب، استطاع بصعوبة أن يميز الكلمات الدقيقة المنقوشة عليه؛ *إن الذكاء الذى ليس له حدود هو أعظم كنز لدى الإنسان.*

ورأى (هارى) مادة تشبه الدماء سوداء ولزجة تتسرب من التاج، وشعر فجأة به يهتز بقوة قبل أن ينكسر إلى عدة أجزاء، وسمع صرخة ألم خافتة قادمة من الشيء الذى تحطم بين يديه وليس من الملاعب بالخارج.

وهمست (هرميون) وعيناها على الشيء المكسور: «لابد أنها كانت نيرانًا شيطانية!».

«آسف؟».

«نيران شيطانية - نيران ملعونة - إنها إحدى المواد التى تدمر الهوركروكس، ولكنى لم أكن لأجرؤ على استخدامها أبدًا؛ لأنها شديدة الخطورة. كيف عرف (كراب) طريقة...؟».

قال (هارى) بتجهم: «لابد أنه تعلم ذلك من الإخوة كارو».

قال (رون): «من العار أنه لم يركز عندما ذكروا كيفية إيقافها، لولا محاولته لقتلنا جميعًا، لكنت شعرت بالأسف لموته». كان شعره هو و(هرميون) محروقًا ووجوههم مسودة.

وهمست (هرميون): «ولكن ألا تدركان ما حدث، إن هذا يعنى أننا لو استطعنا الوصول إلى الحية...».

ولكنها توقفت، عندما ملأ الدهليز أصوات صياح وصراخ وضجيج المبارزات العالى. ونظر (هارى) حوله وشعر بقلبه يسقط. اخترق آكلو الموت (هوجوورتس). وظهر (فريد) و(بيرسى) أمامهم وهما يبارزان رجالاً مقنعين يرتدون أغطية للرأس.

وجرى (هارى) و(رون) و(هرميون) نحوهما ليساعدوهما. وطارت دفقات الضوء فى كل الاتجاهات وتراجع الرجل الذى يبارز (بيرسى) بسرعة وانزلق غطاء رأسه كاشفًا عن جبهة عالية وشعر وخطه الشيب.

وصاح (بيرسى): «مرحبًا أيها الوزير!». وأرسل لعنة جيدة التوجيه مباشرة نحو (ثيكنس)، الذى أسقط عصاه وأمسك بعباءته متألمًا. وأضاف: «هل ذكرت لك أنى مستقيل؟».

وصاح (فريد)، بينما سقط آكل الموت الذى يقاتله تحت تأثير ثلاث تعاويذ صعق: «إنك تمزح يا (بيرسى)!». وسقط (ثيكنس) إلى الأرض، بينما ظهرت أشواك صغيرة فى كل مكان فى جسمه وبدا كأنه يتحول نحو نوع من قنافذ البحر، ونظر (فريد) نحو (بيرسى) بمرح.

«إنك تمزح بالفعل يا (بيرسى)... لا أظن أننى سمعتك تمزح من قبل منذ كنت...».

وانفجر الهواء، كانوا قد اجتمعوا معًا، (هارى) و(رون) و(هرميون) و(فريد) و(بيرسى) بينما آكلو الموت الاثنان عند أقدامهم، واحد مصعوق والآخر متحول؛ وخلال هذا الجزء من اللحظة التى بدأ فيها الخطر بعيدًا عنهم مؤقتًا، تمزق العالم من حولهم. وشعر (هارى) بنفسه طائرًا فى الهواء، وكل ما أمكنه فعله هو التمسك بكل ما يستطيع من قوة بالعصا الخشبية الرفيعة التى كانت سلاحه الوحيد ويحمى رأسه بذراعيه وسمع صراخ وصياح مرافقيه بدون أى بارقة أمل فى أن يعرف ماذا حدث لهم.

ثم اتضحت الرؤية حوله، ووجد نفسه متألمًا وسط العتمة وقد دفن جزئيًا تحت حطام الدهليز الذى تعرض لهجوم شديد وأخبره الهواء البارد أن جانب القلعة قد نسف وعرف من الشىء اللزج الساخن الذى يسيل على خده، أنه ينزف بغزارة، ثم سمع صيحة رهيبة مزقت أحشاءه، بدت تعبر عن ألم من نوع لا تسببه ألسنة النار أو اللعنات، ووقف وهو يتمايل، ويشعر بخوف أكبر مما أحس به فى هذا اليوم، خوف أكبر مما شعر به يومًا ما فى حياته...

كانت (هرميون) تكافح لتقف على قدميها بين الركام، بينما ثلاثة رجال ذوو شعر أحمر مجتمعون على الأرض فى المكان الذى انفجر فيه الحائط. وأمسك (هارى) بيد (هرميون)، وأخذا يتمايلان ويتعثران فوق الحجارة والأخشاب.

وسمع صوتًا يصيح: «لا - لا - لا! لا! (فريد)! لا!».

ورأوا (بيرسى) يهز أخاه، و(رون) راكع بجوارهما، بينما عينا (فريد) تحدقان بدون أن تريا. وشبح ضحكته الأخيرة لا يزال مرسومًا على وجهه.



٣٢ عصــا الكبــيــر

لقد انتهى العالم، لماذا إذن لم تتوقف المعركة ويسود الصمت القلعة فى رعب وينزل كل مقاتل وسلاحه بجواره؟ كان عقل (هارى) يسقط سقوطًا حرًّا ويدور خارجًا عن السيطرة وهو غير قادر على تصديق ما يحدث. لا يمكن أن يكون (فريد ويزلى) قد مات، من المُؤكد أن حواسه تخدعه وتكذب عليه.

ثم سقط جسده عابرًا بجوار فتحة الحائط المنفجر فى جانب للمدرسة، وتطايرت اللعنات من الظلام نحوهم وأخذت تضرب الحائط خلف رءوسهم.

وصاح (هارى): «انبطحوا!». بينما تطاير المزيد من اللعنات خلال الليل وأمسك هو و(رون) بـ (هرميون) وجذباها إلى الأرض ولكن (بيرسى) رمى جسده فوق جسد (فريد) ليحميه من التعرض للمزيد من الأذى وعندما صرخ (هارى): «(بيرسى)، هيا، يجب أن نتحرك!». هز رأسه رافضًا.

ورأى (هارى) الدموع تغرق وجه (رون) المسود وهو يمسك بكتف أخيه الكبير ويحاول جذبه بعيدًا، ولكن (بيرسى) رفض التحرك، وقال: «لا يمكنك فعل شىء له يا (بيرسى)! سوف».

صرخت (هرميون) والتفت (هارى)، ولكنه لم يحتج لسؤالها عن السبب فقد رأى عنكبوتًا ضخمًا فى حجم عربة صغيرة يحاول التسلق من خلال الفتحة الكبيرة الموجودة فى الحائط. لقد قرر أحد أحفاد (أراجوج) الانضمام للقتال.

وصاح (هارى) و(رون) معًا وتشابكت تعاويذهما فوقع الوحش للخلف وأخذت أرجله تتحرك بشكل فظيع قبل أن يختفى وسط الظلام.

قال (هارى) للآخرين وهو ينظر من فوق حافة القلعة من خلال الفتحة التى فجرتها اللعنات فى الحائط: «لقد أحضر معه أصدقاءه!». كان هناك المزيد من العناكب تتسلق جانب المبنى بعد أن تحررت من الغابة المحرمة التى لابد أن آكلى الموت قد اخترقوها. وأخذ (هارى) يطلق تعاويذ صعق باتجاههم، وأسقط الوحش الذى فى المقدمة على أتباعه فتدحرجوا جميعًا لأسفل على جانب المبنى واختفوا

عن الأنظار، ثم جاء المزيد من التعاويذ محلقًا فوق رأس (هارى) وقريبًا منه جدًا حتى إنه شعر بقوتها تفجر شعره.

«هيا، لنتحرك، **الآن**!».

دفع (هارى) (هرميون) أمامه مع (رون) وانحنى ليلتقط جسد (فريد) تحت إبطه وأدرك (بيرسى) ما يفعله (هارى) فتوقف عن التمسك بجسد أخيه وساعده فى حمله. وأخذا يزحفان لئلا تصيبهم اللعنات المتطايرة نحوهم من الملاعب حتى نجحا فى إبعاد (فريد) عن الطريق.

وقال (هارى): «لنضعه هنا». ووضعوه داخل كوة، كان يقف بها أحد البذل الحديدية سابقًا. لم يتحمل النظر إلى (فريد) لأكثر من ثانية، وبعد أن تأكد من أن الجسد مخفى جيدًا أسرع يتبع (رون) و(هرميون)، ووجد أن (مالفوى) و(جويل) قد اختفيا ولكنه رأى فى نهاية الممر الذى أصبح الآن ممتلئًا بالغبار والأحجار الساقطة وزجاج النوافذ المكسورة أشخاصًا كثيرين يعدون إلى الأمام والخلف ولم يستطع تحديد ما إذا كانوا أصدقاء أم أعداء. وما إن دار حول المنعطف حتى سمع (بيرسى) يطلق صيحة قوية: «**روكوود!**». ورآه يندفع فى اتجاه رجل طويل يطارد مجموعة من الطلاب.

صرخت (هرميون): «(هارى)، إلى هنا!».

ورآها (هارى) تجذب (رون) خلف بساط حائط، وبدا كأنهما يتصارعان معًا، وظن (هارى) للحظة جنون أنهما يتعانقان ثانية ثم أدرك أن (هرميون) تحاول منع (رون) وإيقافه عن الجرى خلف (بيرسى).

«اسمعنى ـ **اسمعنى يا (رون)**!».

«أريد أن أساعد ـ أريد أن أقتل آكلى الموت».

كان وجهه مغطى بالأتربة والغبار، وينتفض من الغضب والحزن.

قالت (هرميون): «(رون)! إننا الوحيدون القادرون على إنهاء هذا! أرجوك يا (رون) ـ نحتاج إلى الحية، يجب أن نقتله!».

ولكن (هارى) كان يعرف ما يشعر به (رون)، مطاردة هوركروكس آخر لن تستطيع أن تشعره بالرضا الذى سيشعره بالانتقام وهو أيضًا يريد القتال، يريد معاقبة الناس الذين قتلوا (فريد)، ويريد أن يجد بقية (آل ويزلى)، وقبل كل ذلك يريد التأكد من أن (جينى) لا يمكنه أن يسمح لهذه الفكرة أن تتكون داخل عقله.

قالت (هرميون): «سنقاتل. سيكون علينا ذلك حين نصل إلى الحية! ولكن يجب أن نركز على ما يجب علينا فـ ـ فعله الآن! نحن الوحيدون القادرون على إنهاء هذا!».

كانت تبكى أيضًا ومسحت عينيها ووجهها فى أكمامها الممزقة المحترقة وهى تتكلم وأخذت أنفاسًا عميقة حتى تهدئ نفسها، وهى لاتزال تمسك (رون) بقوة ثم التفتت إلى (هارى).

«نحتاج إلى معرفة مكان (فولدمورت)؛ لأن الحية ستكون معه، أليس كذلك؟ افعل ذلك يا (هارى) ـ انظر إلى داخله!».

لماذا كان الأمر سهلًا؟ لأن ندبته ظلت تؤلمه باستمرار طوال ساعات وهى متلهفة على أن تريه أفكار (فولدمورت)، ولكنه أغلق عينيه وفقًا لأمرها وخفتت أصوات الصراخ والضرب وكل الأصوات المتنافرة للمعركة على الفور وأصبحت بعيدة، كأنه يقف على مسافة بعيدة جدًا عنهم...

كان يقف وسط غرفة مهجورة ولكنها مألوفة بصورة غريبة، يغطى حوائطها ورق حائط مقشور، وكل نوافذها مغلقة ما عدا واحدة. وبدت أصوات الهجوم على القلعة خفيضة وبعيدة. وظهرت من خلال النافذة الوحيدة المفتوحة انفجارات الضوء القادمة من القلعة، ولكن الغرفة نفسها كانت مظلمة من الداخل باستثناء الضوء القادم من مصباح زيت وحيد.

وأخذ يحرك عصاه بين أصابعه وهو يراقبها، بينما أفكاره مركزة على الغرفة الموجودة فى القلعة، الغرفة السرية التى لم يكتشفها غيره قط، الغرفة التى يجب أن تكون ذكيًا وماكرًا وشديد الفضول حتى تكتشفها... كان على ثقة من أن الولد لن يتمكن من الوصول إلى التاج... بالرغم من أن دمية (دمبلدور) تقدم أبعدَ كثيرًا مما كان يتوقع... كثيرًا جدًا...

قال صوت يائس: «مولاى». واستدار ليجد (لوشيوس) (مالفوى) جالسًا فى ركن مظلم وهو يرتدى ملابس بالية، بينما آثار العقاب الذى تلقاه بعد هروب الولد الأخير لاتزال واضحة عليه. كانت إحدى عينيه مغلقة ومتورمة وهو يقول: «مولاى... أرجوك... ابنى...».

«إن كان ابنك قد مات يا (لوشيوس)، فهذا ليس خطئى، فهو لم يأتِ وينضم إلىَّ كباقى طلاب (سليذرين)، ربما قرر أن يصادق (هارى بوتر)!».

همس (مالفوى): «لا ـ أبدًا».

«يجب أن تتمنى ألا يكون قد فعل».

وسأل (مالفوى) بصوت مرتعش: «ألا - ألا تخشى يا مولاى أن يموت (بوتر) على يد شخص آخر غيرك؟ ألن يكون من الحكمة... سامحنى... أن توقف هذه المعركة وتدخل إلى القلعة وتبحث عنه بـ - بنفسك؟».

«لا تتظاهر يا (لوشيوس). إنك تريد وقف المعركة حتى تكتشف ما حدث لابنك. وأنا لا أحتاج للبحث عن (بوتر)، قبل أن تنتهى الليلة سيأتى (بوتر) للبحث عنى».

ونظر (فولدمورت) مرة أخرى إلى العصا الموجودة بين أصابعه، كانت تزعجه، والأشياء التى تزعج لورد (فولدمورت) يجب أن يعاد ترتيبها...

«اذهب وأحضر (سناب)».

«سناب يا - يا مولاى؟».

«(سناب). الآن. أحتاجه. هناك خدمة أريدها منه، اذهب».

غادر (مالفوى) الغرفة وهو خائف، يتعثر فى الظلام. وبقى (فولدمورت) واقفًا داخل الغرفة وهو يقلب العصا فى أصابعه ويحدق بها.

وهمس: «إنها الطريقة الوحيدة، (ناجينى)»، ثم نظر حوله إلى حيث ترقد الحية الضخمة معلقة وسط الهواء وهى تتلوى بنعومة داخل المكان المسحور المحمى الذى صنعه من أجلها، والذى بدا مثل وعاء شفاف يشبه القفص اللامع.

وسحب (هارى) نفسه عائدًا إلى وعيه وهو يشهق، وفتح عينيه فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها أصوات البكاء والصراخ والتحطيم وفرقعات المعركة أذنيه.

«إنه فى الكوخ الصارخ. والحية معه، وهناك حماية سحرية ما تحيط بها. وقد أرسل (مالفوى) منذ لحظة ليبحث عن (سناب)».

قالت (هرميون) بغضب: «يجلس (فولدمورت) فى الكوخ الصارخ؟ إنه حتى... إنه لا *يقاتل*؟».

قال (هارى): «إنه لا يرى حاجةً إلى القتال، فهو يعتقد أننى سأذهب إليه».

«لكن لماذا؟».

«إنه يعلم كونى أبحث عن الهوركروكس - وهو يحتفظ بـ(ناجينى) بالقرب منه - ومن الواضح أنى سأضطر إلى الذهاب إليه لأقترب من الشىء...».

قال (رون) وهو يهز كتفيه: «حسنًا. لا يمكنك الذهاب إذن، فهذا هو ما يريده وما يتوقعه. انتظر أنت هنا واعتنِ بـ(هرميون) وأنا سأذهب وأقتلها»

قاطع (هارى) (رون).

«بل انتظرا أنتما الاثنان هنا، وسأذهب أنا تحت العباءة وأعود بأسرع ما يمكن..».

قالت (هرميون): «لا، سيكون من الحكمة أن أذهب أنا تحت العباءة و...».

صاح (رون): «لا تحاولى حتى مجرد التفكير فى ذلك».

وقبل أن تستطيع (هرميون) أن تقول أكثر من: «(رون) إننى قادرة على...».
فتحت الستارة الموجودة على قمة السلالم التى يقفون فيها.

«**بوترا**».

ووقف اثنان من آكلى الموت المقنعين هناك، ولكن قبل أن يتمكنا من رفع عصيهما، صرخت (هرميون): «*جليسيو!*».

تسطحت الدرجات تحت أقدامهم وانزلقت عليها هى و(هارى) و(رون). كانوا عاجزين عن التحكم فى سرعتهم، ولكنها جعلت تعاويذ الصعق التى أرسلها آكلو الموت تتطاير فوق رءوسهم دون أن تصيبهم. واندفعوا خارجين من بساط الحائط الذى يخفى السلالم، وارتطموا بالحائط المقابل له.

ووجهت (هرميون) عصاها نحو الستارة وصاحت: «*ديرو!*». وسمعوا صوت ارتطام عال، بعد أن تحول البساط إلى حائط صخرى.

صاح (رون): «تراجعوا!». والتصق هو و(هارى) و(هرميون) بأحد الأبواب، حيث اندفع قطيع من المكاتب الرامحة يرعد، تحت إشراف الأستاذة (ماكجونجال) التى تجرى معه، وبدا أنها لم تلاحظهم، كان شعرها مسترسلاً وظهر جرح غائر فى خدها. وما إن التفت حول المنعطف حتى سمعوها تصرخ: «**تشارج!**».

قالت (هرميون): «ارتد أنت العباءة يا (هارى) ولا تهتم بنا..».

ولكنه ألقى بها فوق ثلاثتهم، فحتى لو لم تتسع لهم، فإنه يشك أن أحدًا سيرى أقدامهم خلال الغبار الذى يعبئ الجو والأحجار المتساقطة ووميض التعاويذ.

وجروا نازلين فوق السلم التالى ليجدوا أنفسهم فى دهليز ملىء بالمتبارزين. كانت اللوحات على كلا الجانبين مليئة بشخوص تهتف بالتشجيع والنصائح للمقاتلين بينما آكلو الموت المقنعون وغير المقنعين يقاتلون الأساتذة والطلاب. ورأوا (دين) وقد فاز بعصا يقف فى مواجهة (دولوهوف)، بينما تقف (بارفاتى) ضد (ترافيرز). ورفع (هارى) و(رون) و(هرميون) عصيهم فى الحال استعدادًا للهجوم، ولكن المتبارزين كانوا يلوحون ويتحركون سريعًا مما قد يؤدى إلى إصابة أحد بالخطأ لو أنهم قاموا بإلقاء اللعنات. وبينما هم يقفون فى انتظار

فرصة مناسبة للحركة سمعوا صوت «ووووووووووى!». وعندما نظر (هارى) للأعلى رأى (بيفيز) يطير فوقهم وهو يلقى ببذور نبات سنارجالوف على آكلى الموت الذين غطتهم فجأة درنات خضراء تتلوى تبدو مثل ديدان سمينة.

«يع!».

وأصابت بعض البذور العباءة فوق رأس (رون) فظهرت الجذور الخضراء الرفيعة كأنها معلقة وسط الهواء وهز (رون) رأسه محاولاً إبعادها.

وصاح أحد آكلى الموت المقنعين وهو يشير بيده: «ثمة شخص خفى هناك!».

واستغل دين اللحظة التى تشتت فيها انتباه آكلى الموت وأوقعه بتعويذة صعق وحاول (دولوهوف) الرد عليه ولكن (بارفاتى) رمته بتعويذة تجميد للجسم.

صرخ (هارى): «لنذهب!». ثم التصق هو و(رون) و(هرميون) تحت العباءة وجروا بأقصى ما يمكنهم ورءوسهم محنية بين المتقاتلين وهم يتزحلقون قليلاً فى برك من عصير السنارجالوف، حتى وصلوا إلى السلالم الرخامية التى تقود إلى بهو الدخول.

«أنا (دراكو مالفوى)، أنا (دراكو)، أنا فى صفكم!».

كان (دراكو) يقف على البسطة وهو يتوسل إلى آكل موت مقنع، صعق (هارى) آكل الموت وهم يمرون بجانبه، ونظر (دراكو) حوله باحثًا عن مخلصه، فلكمه (رون) من تحت العباءة فسقط (دراكو) فوق آكل الموت وفمه ينزف وهو متحير تمامًا مما حدث.

وصاح (رون): «هذه ثانى مرة ننقذك فيها الليلة أيها الوغد ذو الوجهين!».

كان هناك المزيد من المتبارزين على السلالم وفى البهو. ونظر (هارى) فوجد آكلى الموت فى كل مكان، ورأى (ياكسلى) يبارز (فيلتويك) بالقرب من الأبواب، بينما يواجه آكل موت مقنَّع (كنجسلى) بجانبهم. والطلاب يركضون فى كل اتجاه، بعضهم يحملون أو يجرون أصدقاءهم المصابين. صوب (هارى) تعويذة صعق تجاه آكل الموت ولكنه أخطأه وكاد أن يصيب (نيفيل).. الذى ظهر فجأة وهو يحمل بين ذراعيه بعض نباتات التينتاكيولا السامة التى ارتمت مبتهجةً نحو أقرب آكل موت وبدأت تلف نفسها حوله.

أسرع (هارى) و(رون) و(هرميون) يهبطون السلالم الرخامية وسمعوا صوت تكسر زجاج على يسارهم والتفتوا ليجدوا ساعة (سليذرين) الزجاجية التى تسجل درجات المنزل قد تحطمت ووقع الزمرد فى كل مكان، حتى أصبح الناس ينزلقون

ويترنحون فى أثناء جريهم. وسقط جسدان من الشرفة فوقهم عندما وصلوا الى الأسفل. وظهر شىء رمادى غير واضح المعالم، واعتقد (هارى) أنه حيوان، وجرى على أربع عبر البهو ليغرس أسنانه فى أحد الساقطين.

صرخت (هرميون): «لا!». ولوحت بعصاها فطار (فينرير جريباك) للخلف مصدرًا صوت انفجار شديد مبتعدًا عن جسد (لافيندر براون) الذى كان يتحرك بضعف. وضرب السلالم الرخامية وحاول أن يقف على قدميه، ثم سطع ضوء وارتفع صوت ارتطام مدوٍّ عندما سقطت كرة كريستالية فوق رأسه فسقط على الأرض دون حراك.

وصرخت الأستاذة (تريلاونى) من فوق الدرابزين: «لدى المزيد! المزيد لكل من يريد ذلك! ها هى..».

ثم بحركة تشبه ضربة البداية فى لعبة التنس، رمت كرة أخرى ضخمة وحركتها فى الهواء بعصاها وجعلت الكرة تتحرك سريعًا عبر البهو وتصطدم بالنافذة، وفى هذه اللحظة تحطمت البوابات الخشبية الكبيرة ودخلت عبره المزيد من العناكب متجهة نحو بهو الدخول.

انطلقت صرخات الرعب فى الهواء، من آكلى الموت ومن مقاتلى (هوجوورتس) واندفعت دفقات الأضواء الخضراء والحمراء فى اتجاه الوحوش المهاجمة، والتى هاجت وزمجرت وأصبحت أكثر إثارة للخوف عن ذى قبل.

صرخ (رون) بصوت عالٍ: «كيف نخرج؟». ولكن قبل أن يتمكن (هارى) أو (هرميون) من إجابته تم دفعهم للجانب. كان (هاجريد) ينزل السلالم بسرعة وهو يلوح بمظلته الوردية.

وأخذ يصيح: «لا تؤذوهم، لا تؤذوهم....».

«**(هاجريد)**، لا!».

ونسى (هارى) كل شىء آخر وانطلق خارجًا من تحت العباءة، وجرى وهو ينحنى متفاديًا اللعنات التى تضىء البهو بأكمله.

«**(هاجريد)، عد إلى هنا!**».

ولكنه لم يكن قطع مجرَّد نصف المسافة بينه وبين (هاجريد) عندما شاهد ذلك يحدث. اختفى (هاجريد) بين العناكب التى احتشدت معًا وتراجعت هاربة أمام غارة التعاويذ، بينما كان (هاجريد) مدفونًا بينها.

«**(هاجريد)**!».

سمع (هارى) صوتًا ينادى باسمه، ولكنه لم يهتم إن كان صديقًا أم عدوًا، واندفع ينزل الدرجات الأمامية إلى الملاعب المظلمة، ورأى العناكب تبتعد بفريستها ولم يستطع أن يرى (هاجريد) بينها بالمرة.

« (**هاجريد**)! ».

وظن (هارى) أنه رأى ذراعًا ضخمة تلوح من بين حشود العناكب، ولكنه عندما حاول أن يطاردها قطعت طريقها قدم ضخمة، تأرجحت قادمة من وسط الظلام وجعلت الأرض ترتج من تحته، ورفع رأسه ليجد أمامه عملاقًا طوله 20 قدمًا ورأسه مختفٍ فى الظلام، لم يظهر منه سوى قصبة رجله التى تشبه الشجرة المشعرة، والتى تضيئها الأضواء الخارجة من أبواب القلعة. وبحركة واحدة من قبضة يده دمر زجاج النافذة العلوية وسقطت الشظايا على (هارى) كالمطر مما اضطره إلى أن يعود أسفل إطار الباب.

وصرخت (هرميون): «يا إلهى!». عندما لحقت هى و(رون) بـ (هارى) ونظرت إلى العملاق الذى كان الآن يحاول أن يمسك بالأشخاص من خلال النافذة بالأعلى.

صاح (رون) وهو يشد يد (هرميون) عندما رفعت عصاها: « **لا تفعلى**، إذا صعقتِه سيحطم نصف القلعة..».

« **هاجير**؟ ».

كان (جراوب) يدور حول ركن القلعة عندما أدرك (هارى) أن (جراوب) فعلاً عملاق ضئيل الحجم. والتفت العملاق الذى كان يحاول إمساك الأشخاص من النافذة العلوية وأطلق زمجرة عالية. وارتجت الدرجات الصخرية تحت أقدامه عندما أسرع نحو قريبه الصغير، وفتح (جراوب) فمه على اتساعه وظهرت أسنانه الصفراء التى فى حجم قوالب الطوب واشتبكا معًا فى قتال شرس كزوج من الأسود.

صرخ (هارى): «اجروا!». وامتلأت الليلة بالصرخات والانفجارات البشعة بينما يتصارع العملاقان. ثم أمسك بيد (هرميون) وأسرع ينزل السلالم إلى الملاعب. ولحق بهم (رون). لم يكن (هارى) قد فقد الأمل فى إنقاذ (هاجريد) فانطلق يجرى بأسرع ما يمكنه فى اتجاه الغابة. وكانوا فى منتصف الطريق إليها عندما اضطروا للتوقف مرة أخرى.

فجأة أصبح الهواء حولهم باردًا وشعر (هارى) بأنفاسه تتجمد داخل صدره، وتحركت أشكال فى الظلام، أشكال من ظلمة متكاثفة، تتحرك فى موجة هائلة باتجاه القلعة، بينما وجوههم مغطاة وأنفاسهم تخشخش...

واقترب (رون) و(هرميون) منه، بينما اختفت أصوات القتال خلفهم فجأة، حيث هبط عليهم الصمت الذى يجلبه الديمنتورات بكثافة خلال الليل...

قالت (هرميون) بصوت قادمٍ من مكان بعيد جدًا: «هيا يا (هارى)! الباتروناس يا (هارى)، هيا!».

ورفع عصاه، ولكنه شعر بيأس شديد ينتشر بداخله: مات (فريد) وأوشك (هاجريد) على الموت أو مات فعلاً، وكم شخص آخر مات لم يعلم به بعد؟ وشعر كأن روحه قد فارقت جسده جزئيًا بالفعل...

وصرخت (هرميون): «**هيا يا (هارى)**!».

كان هناك مائة ديمنتور يتقدمون نحوهم، ويشقون طريقهم تجاهَ يأس (هارى) وهم يعدون أنفسُهم بوليمة...

ورأى كلب الصيد الفضى الخاص بـ (رون) ينطلق فى الهواء، وأخذ يخفق بضعف، ثم اختفى ثم رأى كلب البحر الخاص بـ (هرميون) يلتف فى الهواء ويتلاشى... واهتزت عصاه فى يده وبدأ يرحب بالنسيان القادم، الوعد بلا شىء ولا شعور الشعور.

وفجأة، انطلق أرنب برى وخنزير وثعلب فضى ومرّت فوق رءوس (هارى) و(رون) و(هرميون)، فتراجعت الديمنتورات قبل وصول الباتروناسات إليها وانضم إليهم ثلاثة أشخاص آخرين خارجين من وسط الظلام وعصيهم ممدودة أمامهم، (لونا) و(إيرنى) و(شيموس).

قالت (لونا) بلهجة مشجعة وكأنهم يتمرنون داخل غرفة الطلب على تعويذة جديدة من أجل جيش (دمبلدور): «هذا صحيح يا (هارى)... هيا فكر بشىء سعيد..».

قال بصوت مكسور: «شىء سعيد؟».

وهمست: «مازلنا جميعًا هنا... مازلنا نقاتل، هيا الآن..».

وانطلقت شرارة فضية ثم ضوء باهر ثم انطلق الأيل الفضى من طرف عصا (هارى) بعد أن بذل غايةَ ما بذلَ من جهدٍ طوال حياته، وانطلق إلى الأمام وتراجعت الديمنتورات أمامه وأصبحت الليلة صافية مرة أخرى ولكن أصوات المعركة كانت صاخبةً فى أذنيه.

قال (رون) بارتجاف وهو يلتفت نحو (لونا) و(إيرنى) و(شيموس): «لا يمكننى شكركم بما يكفى، لقد أنقذتم..».

وسمعوا زمجرة وارتجت الأرض تحتهم وظهر عملاق آخر خارج من الظلام من اتجاه الغابة وهو يمسك بهراوة أطول من أى منهم.

وصاح (هارى) ثانية: «اجروا!». لكن الآخرين لم يكونوا فى حاجة لأن يقول لهم أحد شيئًا، انطلقوا جميعًا يجرون دون لحظة تردد واحدة وبعدها بثانية واحدة حطت قدم المخلوق الضخمة فى نفس المكان الذى كانوا يقفون فيه. ونظر (هارى) حوله فوجد (رون) و(هرميون) يتبعانه، بينما اختفى الثلاثة الآخرون عائدين إلى المعركة.

صاح (رون): «لنذهب بعيدًا عن مرمى النيران!». بينما أرجح العملاق هراوته مرة أخرى وتردد خواره خلال الظلام، عبر الملاعب حيث تتطاير الأضواء الحمراء والخضراء مضيئة ظلمةّ الليل.

قال (هارى): «لنذهب إلى شجرة الصفصاف!».

واستطاع بطريقة ما تجميع كل شىء داخل عقله، وجمع فى جزء صغير منه الأفكار التى يجب ألاَّ تشغله الآن حول (فريد) و(هاجريد) وخوفه على كل الذين يحبهم داخل القلعة وخارجها، يجب على كل هؤلاء أن ينتظروا الآن، فعليهم أن يسرعوا حتى يصلوا إلى الحية و(فولدمورت)؛ ولأنه كما قالت (هرميون) هذه هى الطريقة الوحيدة لإنهاء كل ذلك.

وانطلق وهو نصف مصدق أنه يستطيع أن يسبق الموت نفسه، متجاهلاً دفقات الضوء الطائرة فى كل مكان حوله وصوت ارتطام البحيرة بالشاطئ مثل البحر وحفيف أشجار الغابة المحرمة بالرغم من خلو الليلة من الرياح. وجرى عبر الملاعب التى بدت وكأنها تشارك فى الثورة أيضًا. كان يجرى بأسرع مما تحرك يومًا فى حياته، وكان هو من رأى الشجرة الهائلة أولاً؛ شجرة الصفصاف التى تحمى السر الموجود فى جذورها بأغصانها الكبيرة التى تضرب بها من يقترب منها.

وأبطأ (هارى) قليلاً وهو يلهث ويشهق واقترب من فروع الشجرة الضاربة وحدق، عبر الظلام، بجذعها الضخم، محاولاً أن يرى العقدة الموجودة بلحاء الشجرة العجوز التى تشل حركتها، ولحق (رون) و(هرميون) به وقد انقطع نفس (هرميون) حتى إنها لم تتمكن من الكلام.

قال (رون) وهو يلهث: «كيف ـ كيف ندخل إليها؟ يمكننى ـ رؤية المكان ـ لو أن معنا ـ (كروكشانكس) مرة أخرى».

قالت (هرميون) وهى منحنية تمسك بصدرها: «(كروكشانكس)؟ *هل أنت ساحر أم ماذا؟*».

«آه ـ حسنًا ـ نعم..».

نظر (رون) حوله، ثم وجه عصاه نحو غصن على الأرض وقال: «*وينجارديوم ليفيوسا!*». وطار الغصن من الأرض واندفع خلال الهواء وكأن الرياح تحركه واتجه مباشرة نحو جذع الشجرة من خلال الأغصان التى تلوح مهددة ووخزها فى مكان قرب الجذور وتوقفت الشجرة الملتوية عن الحركة فورًا.

قالت (هرميون) وهى تلهث: «ممتاز!».

«انتظرى».

وانتابَ (هارى) التردد للحظة، بينما تتردد أصوات الانهيارات والانفجارات الصادرة من المعركة فى الهواء من حوله. لقد أراده (فولدمورت) أن يفعل هذا، أراده على أن يذهب إليه... ترى هل كان يسوق (رون) و(هرميون) إلى فخ؟

ولكن الحقيقة بدت واضحة أمامه، قاسية وجلية؛ الطريق الوحيد أمامه هو قتل الحية، والحية موجودة فى المكان الذى يوجد فيه (فولدمورت) و(فولدمورت) ينتظره فى نهاية هذا النفق...

قال (رون) وهو يدفعه للأمام: «سنأتى معك يا (هارى)، هيا ادخل إلى هناك!».

زحف (هارى) داخلاً إلى الممر الأرضى المخفى فى جذور الشجرة، كان الممر أكثر ضيقًا عن المرة السابقة التى دخلوه فيها هاهنا، حيث اضطروا للانحناء حتى يتمكنوا من السير داخله منذ أربع سنوات بسبب انخفاض سقف الممر، لكنهم الآن ليس أمامهم سوى أن يزحفوا. ودخل (هارى) إليه أولاً وقد أضاء عصاه وهو يتوقع لقاء عائقًا فى أى لحظة، لكنه لم يجد شيئًا. وتحركوا فى صمت، بينما ثبت (هارى) نظره على شعاع الضوء الصادر من عصاه التى يحملها داخل قبضته.

وأخيرًا، بدأ النفق يتجه إلى الأعلى ورأى (هارى) ضوءًا فضيًا أمامه. وأمسكت (هرميون) بكاحله.

وهمست: «العباءة! ارتدِ العباءة!».

وتلمس وراءه ودفعت قطعة القماش الناعمة فى يده الخالية، وبصعوبة جذبها عليه وهمس: «*نوكس*». فانطفأت عصاه وأكمل زاحفًا على يديه وقدميه بأكبر قدر ممكن من الهدوء، بينما كانت كل حواسه متأهبة، وهو يتوقع أن يكتشف أمره فى أى لحظة أو أن يسمع صوتًا باردًا واضحًا أو يرى شعاع ضوء أخضر.

ثم سمع أصواتًا قادمة من الغرفة الموجودة أمامهم مباشرة، وإن كانت مكتومة شيئًا لكون فتحة النفق قد سُدت حقًا بشيء يشبه القفص القديم. وزحف إلى مدخل النفق وهو يستطيع بالكاد التنفس ونظر للغرفة من خلال المساحة الصغيرة الباقية بين القفص والحائط.

كانت الغرفة وراءه معتمة ولكنه تمكن من رؤية (ناجينى) وهو يتلوى بأمان فى داخل صندوقه الشفاف المسحور ويطفو وسط الهواء بدون شيء يدعمه كحية تحت الماء. واستطاع أن يرى حافة المائدة وأصابع طويلة بيضاء تلعب بالعصا، ثم تحدث (سناب)، فانتفض قلب (هارى)، كان (سناب) على بعد بوصات من المكان الذى يجثم فيه مختبئًا.

«... مولاى، إن مقاومتهم تتفتت...».

قال (فولدمورت) بصوته العالى الواضح: «إن ذلك يحدث بدون مساعدتك. ورغم أنك ساحر ماهر للغاية يا (سيفيروس)، يخالجنى الشك فى إمكان أن تحدث فارقًا الآن، لقد كدنا نصل... تقريبًا».

«دعنى أجد لك الفتى، دعنى أحضر إليك (بوتر)، أنا أعرف أننى أستطيع إيجاده، أرجوك يا مولاى».

وخطا (سناب) مارًّا بالفتحة، فتراجع (هارى) للخلف قليلاً، بينما عيناه مركزتان على (ناجينى) وهو يتساءل إذا كانت هناك أى تعويذة تستطيع اختراق حاجز الحماية الذى يحيط به، ولكنه لم يستطع التفكير فى أى شيء؛ لأنه لو قام بمحاولة واحدة فاشلة فسيكشف عن مكانه...

ووقف (فولدمورت) واستطاع (هارى) أن يراه الآن ويرى عينيه الحمراوين ووجهه المسطح الشبيه بوجه الحيات الذى يتألق قليلاً وسط الإضاءة الخافتة من شدة شحوبه.

قال (فولدمورت) بنعومة: «لدى مشكلة يا (سيفيروس)».

«مولاى؟».

رفع (فولدمورت) عصا الكبير وهو يمسكها برفق وعناية مثلما يحمل قائد الأوركسترا عصاه.

وقال: «لماذا لا تعمل هذه العصا معى يا (سيفيروس)؟».

وتخيل (هارى) أنه يستطيع سماع هسيس الحية وسط الصمت وهى تتلوى وتلتف حول نفسها، أو أنها تنهد (فولدمورت) معلقًا فى الهواء؟

قال (سناب) بخواء: «سيد ـ ى، لا أفهم. لقد ـ لقد أديت بهذه العصا سحرًا غير عادى».

قال (فولدمورت): «لا، لقد أديت بها سحرى العادى. أنا خارق، لكن هذه العصا... كلا. إنها لم تكشف عن العجائب التى يفترض بها أن تؤديها. لا أشعر بأى فارق بين هذه العصا والأخرى التى أخذتها من (أوليفاندور) منذ سنوات طويلة».

كانت نبرة (فولدمورت) هادئة متأملة ولكن (هارى) شعر بندبته تنبض وبدأ يحس بالألم يتجمع فى جبهته، وأمكنه أن يشعر بإحساس الغضب الذى يتجمع داخل (فولدمورت).

وقال (فولدمورت) مُرة أخرى: «لا أشعر بأى فرق».

لم يتحدث (سناب) ولم يستطع (هارى) رؤية وجهه وتساءل إن كان أحس بالخطر ويحاول أن يجد الكلمات المناسبة لتهدئة سيده.

وبدا (فولدمورت) يتحرك فى أنحاء الغرفة، ولم يستطع (هارى) رؤيته لثوانٍ، ثم تحدث بنفس النبرة الموزونة، بينما تصاعدَ الألم والغضب داخل (هارى).

«لقد فكرت طويلاً يا (سيفيروس)... أتعرف لماذا أخرجتك من المعركة؟».

ولثانية رأى (هارى) جانب وجه (سناب)، فوجد عينيه مثبتتين على الحية الملتفة على نفسها داخل قفصها المسحور.

«لا يا مولاى، ولكنى أتوسل إليك أن تعيدنى. دعنى أجد (بوتر)».

«إنك تبدو مثل (لوشيوس)، لا أحد منكما يفهم (بوتر) مثلى. إنه لا يحتاج لمن يعثر عليه. (بوتر) سوف يأتى إلىَّ بنفسه. أنا أعلم نقطة ضعفه، العيب الخطير فى شخصيته. سيكره رؤية الآخرين يسقطون من حوله، وهو يعلم أن هذا يحدث بسببه، وسيرغب فى إيقاف ذلك بأى ثمن، وسيأتى إلىَّ».

«ولكن يا مولاى، قد يقتله أحد غيرك بطريق الخطأ».

«إن تعليماتى لآكلى الموت واضحة تمامًا، اقبضوا على (بوتر). واقتلوا أصدقاءه، وكلما زاد عدد القتلى بينهم، كان هذا أفضل ـ لكن لا تقتلوه».

«ولكن ما أريد التحدث عنه فعلاً هو أنت يا (سيفيروس) وليس (هارى بوتر). لقد كنت دائمًا غاليًا عندى جدًا. غاليًا جدًا».

«مولاى يعلم أننى لا أبغى سوى خدمته. لكن دعنى أذهب وأعثر على الولد يا مولاى. دعنى أحضره إليك، أنا متأكد أننى أستطيع ذلك».

قال (فولدمورت): «لقد قلت لك لا!». ولمح (هارى) البريق الأحمر فى عينيه وهو يلتفت ثانية وكان حفيف عباءته على الأرض مثل صوت زحف الحية. وشعر بنفاد صبر (فولدمورت) فى ندبته، والذى أضاف: «إن اهتمامى الآن يا (سيفيروس) منصب على ما سيحدث عندما أقابل الولد مؤخرًا!».

«ليس هناك شك يا مولاى. بالتأكيد سوف..».

« ـ ولكن هناك شك يا (سيفيروس) هناك».

توقف (فولدمورت) واستطاع (هارى) أن يراه بوضوح مرة أخرى وهو يحرك عصا الكبير بين أصابعه البيضاء ويحدق إلى (سناب).

«لماذا فشلت العصا التى استخدمتها من قبل عندما صوبتها نحو (هارى بوتر)؟».

«لا، لا يمكننى أن أجيب عن هذا السؤال يا مولاى».

«ألا يمكنك؟».

وشعر (هارى) بالغضب كأنما أدخلت شوكة فى رأسه، ووضع يده داخل فمه ليمنع نفسه من الصياح من شدة الألم، وأغلق عينيه، وفجأة أصبح (فولدمورت) الذى ينظر إلى وجه (سناب) الشاحب.

«لقد فعلت عصاى المصنوعة من خشب السدر كل شيء طلبته إلا قتل (هارى بوتر). فشلت فى ذلك مرتين. وأخبرنى (أوليفاندور) تحت التعذيب عن القلب التوءم للعصوين... وأخبرنى أن آخذ عصًا أخرى، ففعلت ذلك، لكن عصا (لوشيوس) تحطمت عندما التقت بعصا (بوتر)».

«لا، لا يوجد لدى تفسير يا مولاى».

لم يكن (سناب) ينظر إلى (فولدمورت) الآن، وكانت عيناه السوداوان لاتزالان مركزتين على الحية التى تتلوى داخل قفصها الدائرى المحمى.

«لقد بحثت عن عصًا أخرى يا (سيفيروس)، عصا الكبير، عصا القدر، عصا الموت. أخذتها من مالكها السابق. أخذتها من قبر (ألباس دمبلدور)».

ونظر (سناب) الآن إلى (فولدمورت) وأصبح وجهه مثل قناع الموت. كان وجهه ساكنًا فى بياض الرخام، وعندما تحدث كان من الغريب أن ترى شخصًا حيًا وراء هاتين العينين الخاويتين.

«مولاى دعنى أذهب إلى الولد».

قال (فولدمورت) بصوت لا يزيد عن الهمس: «لقد قضيت طوال هذه الليلة وأنا على وشك تحقيق الانتصار. ظللت جالسًا فى هذه الغرفة أتساءل... أتساءل لماذا

ترفض عصا الكبير أن تكون حسبما ينبغى أن تكونه؟ ترفض أن تعمل بالطريقة التى تقول الأساطير إنها تعمل بها مع مالكها الشرعى... وأظن أنى أملك الجواب».

لم يتكلم (سناب).

«وربما تعرفه أنت أيضًا؟ فأنت رجل ذكى، رغم كل شىء يا (سيفيروس)، وقد كنت خادمًا جيدًا ومطيعًا وأنا نادم على ما يتوجب أن يحدث».

«مولاى..».

«عصا الكبير لا يمكنها أن تخدمنى كما ينبغى يا (سيفيروس)؛ لأننى لست سيدها الحقيقى، إنها تنتمى إلى الساحر الذى قتل مالكها الأخير. وأنت الذى قتلت (ألباس دمبلدور). ومادمت أنت حيًّا يا (سيفيروس) فلا يمكن لعصا الكبير أن تكون ملكى حقًا».

احتج (سناب) وهو يرفع عصاه قائلاً: «مولاى!».

قال (فولدمورت): «ليست هناك طريقة أخرى، يجب أن أمتلك العصا يا (سيفيروس). وعندما أملكها سأتمكن من (بوتر) أخيرًا».

ولوح (فولدمورت) بعصا الكبير فى الهواء، ولكنها لم تفعل شيئًا لـ(سناب) الذى ظن لجزء من الثانية أنه نجا، ولكن عندها ظهرت نية (فولدمورت) الحقيقية، كان قفص الحية يدور فى الهواء وقبل أن يتمكن (سناب) من فعل أى شىء سوى الصياح، التفت الحية حول رأسه وكتفيه وقال (فولدمورت) بلغة الحيَّات.

«اقتل».

وسمع (هارى) صرخة فظيعة ورأى وجه (سناب) يفقد اللون ويبيض بينما ضاقت عيناه الداكنتان عندما غرزت الحية أنيابها فى عنقه وفشل فى دفع القفص المسحور عنه، وعندما لم تعد ركبتاه قادرتين على حمله، سقط على الأرض.

قال (فولدمورت) ببرود: «يؤسفنى ذلك».

ثم التفت بعيدًا وهو لا يشعر بأى حزن أو أسف. لقد حان الوقت ليغادر الكوخ ويتولى المسئولية مع العصا التى ستفعل كل ما يريده منها الآن... ولوح بها إلى القفص الذى يحمل الحية ليرتفع إلى أعلى مبتعدًا عن (سناب) الذى سقط على جنبه على الأرض والدم يسيل من الجرح الموجود بعنقه. وغادر (فولدمورت) الحجرة دون أن يلقى نظرة إلى الخلف وطارت الحية الضخمة خلفه يحيط بها قفصها الحامى الضخم.

فتح (هارى) عينيه وعاد إلى عقله والنفق. كان الدم قد اختفى من وجهه وأخذ يضغط على مفاصل أصابعه حتى يمنع نفسه من الصراخ بصوت عال ونظر من الشق الضئيل بين القفص والحائط ليرى القدم التى ترتدى الحذاء الأسود العالى ترتجف على الأرض.

وهمست (هرميون) من خلفه: «(هارى)!». لكنه كان قد وجه عصاه بالفعل نحو القفص الذى يحجب المشهد أمامه، فارتفع بوصة للأعلى وتحرك جانبًا، ثم هبط فى صمت. وزحف (هارى) صاعدًا إلى الغرفة بأكبر قدر ممكن من الهدوء.

لم يعلم لماذا يفعل هذا. لماذا يقترب من رجل يحتضر: ولم يعرف بماذا يشعر وهو ينظر إلى وجه (سناب) الأبيض وأصابعه التى تحاول الإمساك بالجرح النازف فى عنقه. وخلَع (هارى) عباءة الإخفاء ونظر إلى الرجل الذى يكرهه. ووجدت عينا (سناب) السوداوان (هارى) وحاول أن يتكلم. وانحنى (هارى) فوقه وأمسك (سناب) بمقدمة ردائه وقربه منه.

وصدرت أصوات حشرجة فظيعة من حنجرة (سناب).

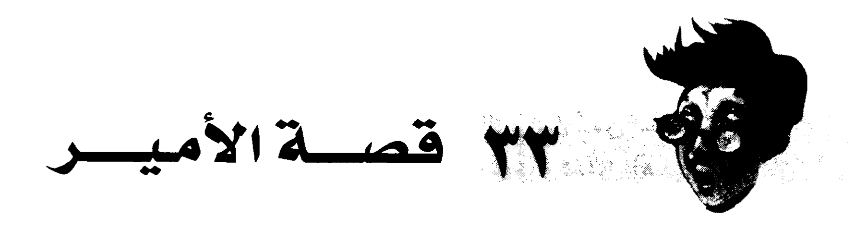
«خذها... خذها...».

كان هناك شىء أكثر من الدماء يتسرب من (سناب). شىء لونه فضى مزرق ليس غازيًّا أو سائلاً. كان يخرج من فمه وأذنيه وعينيه، وعرف (هارى) ما هو ولكنه لم يعرف ما عليه أن يفعله..

ودفعت (هرميون) فى يد (هارى) المرتعشة زجاجة صغيرة جلبتها من الهواء. واستخدم (هارى) عصاه فى ملء الزجاجة بالمادة الفضية. وعندما امتلأت لحافتها، وبدا أنه لم تعد هناك دماء باقية فى جسد (سناب) وتراخت يده القابضة على ملابس (هارى).

وهمس: «انظر... إلى...».

ووجدت العينان الخضراوان العينين السوداوين ولكن بعد ثانية، بدا أن شيئًا ما فى أعماق العينين الداكنتين قد انطفأ وتركهما مثبتتين وخاليتين وخاويتين وسقطت اليد التى تمسك بـ (هارى) ولم يتحرك (سناب) مرة أخرى.



٣٣ قصــة الأميــر

ظل (هارى) راكعًا بجوار (سناب)، يحدق ببساطة إلى وجهه حتى سمع فجأة صوتًا عاليًا وباردًا يتحدث بالقرب منهم، فقفز واقفًا على قدميه، وهو يمسك الزجاجة الصغيرة بإحكام فى يده ويفكر أن (فولدمورت) قد عاد إلى الغرفة مرة أخرى.

وتردد صوت (فولدمورت) من الأرض والحوائط، وأدرك (هارى) أن (فولدمورت) يتحدث إلى (هوجوورتس) وكل المناطق المحيطة حتى يسمعه سكان (هوجسميد) وجميع الذين ما زالوا يحاربون داخل القلعة بوضوح وكأنه واقف بجوارهم ويشعرون بأنفاسه على مؤخرة أعناقهم.

قال بصوته البارد العالى: «لقد حاربتم ببسالة، ولورد (فولدمورت) يعرف كيف يقدر الشجاعة».

«ولكنكم تكبدتم خسائر كبيرة، وإذا استمررتم فى مقاومتى ستموتون جميعًا الواحد تلو الآخر. إننى لا أتمنى حدوث هذا. إن كل قطرة دماء سحرية تسيل خسارة كبيرة».

«لورد (فولدمورت) ملىء بالرحمة. إننى أطلب من قواتى التراجع حالاً».

«أمامكم ساعة واحدة لتدفنوا موتاكم بكرامة وتعالجوا المصابين».

«إننى أتحدث الآن مباشرة إليك يا (هارى بوتر)، لقد تركت أصدقاءك يموتون من أجلك بدلاً من أن تواجهنى بنفسك. سأنتظر لمدة ساعة واحدة فى الغابة المحرمة، وإذا لم تأت إلىّ فى نهاية هذه الساعة وتسلم نفسك. سنستأنف المعركة. سأتدخل فى القتال بنفسى هذه المرة يا (هارى بوتر) وسوف أجدك وسوف أعاقب كل رجل أو امرأة أو طفل حاول أن يخفيك عنى. ساعة واحدة».

وهز (رون) و(هرميون) رأسيهما بشدة وهما ينظران إلى (هارى).

قال (رون): «لا تستمع إليه».

قالت (هرميون) بقوة: «سيكون كل شىء على ما يرام، هيا، هيا نعود إلى القلعة. إذا كان قد عاد إلى الغابة، سنحتاج إلى التفكير فى خطة جديدة».

ونظرت نحو جثة (سناب)، ثم أسرعت عائدة إلى مدخل النفق، وتبعها (رون). وجمع (هارى) عباءة الإخفاء وألقى نظرة نحو (سناب). لم يستطع تحديد ما يشعر به، عدا الصدمة من الطريقة التى قتل بها والسبب الذى مات من أجله...

زحفوا عائدين عبر النفق بدون أن يتحدث أحد منهم، وتساءل (هارى) إن كان (رون) و(هرميون) يمكنهما سماع صوت (فولدمورت) يدوى فى عقليهما مثله:

«*لقد تركت أصدقاءك يموتون من أجلك بدلاً من أن تواجهنى بنفسك. سأنتظر لمدة ساعة واحدة فى الغابة المحرمة. . . ساعة واحدة*».

وبدا كأن هناك حزمًا مبعثرة فى المرج أمام القلعة، لا يمكن أن يكون قد بقى على الفجر أكثر من الساعة، ومع ذلك ظهرت السماء حالكة الظلام. وأسرع ثلاثتهم نحو السلالم الحجرية ورأوا أمامهم كلبًا ضخمًا فى حجم قارب صغير يجلس وحيدًا مهجورًا. ولم يكن هناك أى أثر آخر لـ(جراوب) أو مهاجمه.

كانت القلعة محاطة بصمت غير عادى. لم تعد هناك ومضات ضوء الآن أو أصوات فرقعة أو صراخ أو صياح. ووجدوا أرضية بهو المدخل ملطخة بالدماء. ومازال الزمرد متناثرًا فى كل مكان على الأرض ومعه قطع من الرخام والأخشاب، بينما نسف جزء من الدرابزين.

همست (هرميون): «أين ذهب الجميع؟».

وتقدمهم (رون) متجها نحو البهو العظيم وتوقف (هارى) عند المدخل.

وجدوا موائد المنازل قد اختفت والمكان مزدحمًا، ورأوا الناجين يقفون فى مجموعات وأذرعهم حول أعناق بعضهم البعض، بينما تقوم مدام (بومفرى) بمعالجة الجرحى على المنصة ومعها مجموعة من المساعدين. وشاهدوا (فيرنزى) بين المصابين. كان جنبه ينزف، وجسده يرتجف وهو راقد غير قادر على النهوض.

ورأوا الموتى ممددين فى صف فى وسط القاعة، ولم يستطع (هارى) رؤية جسد (فريد)؛ لأن أفراد عائلته كانوا يحيطون به، و(جورج) راكع عند رأسه، بينما طرحت السيدة (ويزلى) نفسها فوق صدره وجسدها يهتز. والسيد (ويزلى) يمسح على شعرها ودموعه تنساب على خديهِ.

ومشى (رون) و(هرميون) مبتعدين دون أن ينطقا بكلمة إلى (هارى)، ورأى (هارى) (هرميون) تقترب من (جينى) التى بدا وجهها متورمًا وملطخًا واحتضنتها. وانضم (رون) إلى (بيل) و(فلور) و(بيرسى) الذى وضع ذراعه حول

كتفى (رون). وعندما تحركت (جينى) و(هرميون) مقتربتين من باقى العائلة، تمكن (هارى) من رؤية الأجساد التى ترقد بجوار (فريد)، وبدا (ريموس) و(تونكس) شاحبين ساكنين هادئين وكأنهما نائمان تحت سقف القاعة المسحور المظلم.

وبدا البهو العظيم كما لو كان يتضاءل، وينكمش، بينما (هارى) يترنح خارجًا من مدخله. لم يستطع التقاط أنفاسه أو يتحمل النظر إلى أى من الأجساد الأخرى ليرى من أيضًا مات من أجله. لم يستطع الاقتراب من أفراد (آل ويزلى)، أو النظر فى عيونهم. لو أنه سلم نفسه من البداية، ربما لم يكن (فريد) ليموت...

استدار مبتعدًا وأسرع يصعد السلالم الرخامية. (لوبين) و(تونكس)... كم يتمنى لو أنه يفقد الإحساس... لو أنه يستطيع اقتلاع قلبه وكل شىء يصرخ بداخله...

بدت القلعة فارغة تمامًا... حتى الأشباح انضموا إلى الجماعة الحزينة فى البهو العظيم، وجرى (هارى) بأقصى سرعته وهو يمسك بالزجاجة التى تحتوى على آخر أفكار (سناب) ولم يبطئ حتى وصل إلى التمثال الحجرى الذى يحرس مكتب الناظر.

«كلمة السر؟».

قال (هارى) بدون تفكير: «(دمبلدور)!»؛ لأنه كان الشخص الذى يشتاق إلى رؤيته فى هذه اللحظة، واندهش عندما وجد التمثال يتنحى جانبًا كاشفًا عن السلالم الحلزونية التى تختفى خلفه.

ولكن عندما دخل (هارى) المكتب المستدير، وجد به تغييرًا. كانت كل اللوحات المعلقة حول الحائط خالية، ولم يبق بها ناظر أو ناظرة من نظار المدرسة السابقين. وبدا أن الجميع قد انتقلوا إلى اللوحات الأخرى المصطفة فى القلعة ليتمكنوا من رؤية ما يحدث هناك بوضوح.

نظر (هارى) يائسًا نحو إطار لوحة (دمبلدور) الخالى المعلق خلف مقعد الناظر تمامًا، ثم أعطى له ظهره. ورأى البنسييف الحجرى فى مكانه المعتاد. فحمله (هارى) ووضعه فوق المكتب وصب ذكريات (سناب) داخل الحوض الواسع الذى تحيط بحافته الرموز. وفكر أن الهرب إلى داخل رأس شخص آخر سيكون راحة له الآن... فلا شىء، حتى ولو كان (سناب) هو الذى تركه له، يمكن أن يكون أسوأ مما يدور فى فكره الآن. ودارت الذكريات داخل الحوض، فضية وغريبة، وغاص (هارى) فيها بدون تردد وقد تملكه شعور شديد بالتهور، وكأن ذلك سيخفف من حزنه وألمه الشديد.

وهبط بسرعة فى ضوء الشمس، ووجدت أقدامه الأرض الدافئة. ووقف ليجد نفسه فى ساحة لعب مهجورة تقريبًا. وهناك مدخنة وحيدة ضخمة تظهر فى خط الأفق البعيد. ورأى فتاتين تتأرجحان للأمام والخلف، بينما يراقبهما ولد نحيل من خلف دغل الشجيرات. كان الولد ذا شعر طويل وملابس غير متناسقة بشدة وكأنه يتعمد ذلك: حيث يرتدى سروال جينز قصيرًا جدًا ومعطفًا باليًا كبيرًا، يبدو كأنه يخص شخصًا راشدًا، وقميصًا غريبًا.

واقترب (هارى) من الولد. وبدا (سناب) لا يزيد عن التاسعة أو العاشرة من عمره، شاحبًا صغيرًا. وقد ظهرت اللهفة على وجهه بشكل واضح وهو يراقب الفتاة الصغرى وهى تتأرجح أعلى وأعلى من شقيقتها.

وصرخت الكبرى بين الفتاتين: «لا تفعلى ذلك يا (ليلى)!».

ولكن الفتاة تركت الأرجوحة عند أعلى نقطة تصل إليها وطارت فى الهواء، بمعنى الكلمة، ووجهت نفسها نحو السماء وهى تضحك وبدلا من أن تقع فوق أسفلت ساحة اللعب، حلقت مثل لاعب الأكروبات فى الهواء، حيث ظلت لمدة طويلة، قبل أن تهبط أخيرًا على الأرض بخفة كبيرة.

«لقد أخبرتك أمى ألا تقومى بذلك!».

وأوقفت (بيتونيا) أرجوحتها بشد كعب حذائها على الأرض، مصدرة صوتًا عاليًا، ثم قفزت واقفة ووضعت يديها على ركبتيها.

«قالت أمى ليس مسموح لك بذلك يا (ليلى)!».

قالت (ليلى) وهى ما زالت تضحك: «ولكننى بخير يا (تونى). انظرى إلى هذا. راقبى ما يمكننى فعله».

نظرت (بيتونيا) حولها ورأت ساحة اللعب لا يوجد بها أحد سواهما و(سناب)، لكن الفتاتين لم تكونا تعرفان بوجوده. التقطت (ليلى) زهرة واقعة من فوق الدغل الذى يختبئ وراءه (سناب). وتقدمت (بيتونيا) نحوها وقد بدا عليها أنها موزعة بين الفضول وعدم الموافقة على ما تفعله أختها. وانتظرت (ليلى) حتى اقتربت (بيتونيا) بما يكفى لترى جيدًا، ثم رفعت كفها وبدأت الزهرة الموجودة داخله تفتح وتغلق أوراقها، مثل محارة غريبة لها العديد من الحواف.

صاحت (بيتونيا): «أوقفى هذا!».

قالت (ليلى): «إنها لا تؤذيك». ولكنها أغلقت يدها على الزهرة وألقت بها إلى الأرض مرة أخرى.

قالت (بيتونيا): «هذا ليس صوابًا». ولكن عينيها تبعت الزهرة وهى تسقط عائدة إلى الأرض وتأخرت عليها. ثم أضافت بلهجة اشتياق واضحة: «كيف تقومين بذلك؟».

لم يستطع (سناب) تمالك نفسه أكثر من ذلك، فقفز خارجًا من خلف الشجيرات وقال: «إن الأمر واضح، أليس كذلك؟». وصرخت (بيتونيا) وجرت نحو الأراجيح، ولكن (ليلى)، ورغم فزعها الواضح، لم تتحرك من مكانها. وبدا أن (سناب) قد ندم على ظهوره، وظهر الاحمرار فى خديه الشاحبين وهو ينظر إلى (ليلى).

سألته (ليلى): «ما الواضح؟».

وبدا (سناب) عصبيًا متحمسًا وخفض صوته قائلاً وهو ينظر إلى (بيتونيا) التى تتحرك على البعد بجوار الأراجيح: «أنا أعلم ماذا أنت».

«ماذا تعنى؟».

همس (سناب): «أنت... أنت ساحرة».

ظهر عليها الانزعاج.

وقالت: «*إن هذا ليس* شيئًا لطيفًا لتقوله للآخرين!».

ثم استدارت وقد رفعت أنفها عاليًا ومشت عائدة إلى أختها.

قال (سناب) : «لا!». وبدا وجهه شديد الاحمرار الآن، وتساءل (هارى) لماذا لم يقم بخلع المعطف الكبير السخيف إلا إذا لم يكن يريد لأحد أن يرى القميص النسائى الغريب الذى يرتديه تحته، ورفرف المعطف خلفه وهو يسرع خلف الفتاتين، فبدا شديد الشبه بالخفاش، مثلما أصبح وهو كبير.

ونظرت إليه الفتاتان باستهجان، وكلتاهما تمسك بعمود إحدى الأراجيح وكأنه يشعرهما بالأمان.

قال (سناب) لـ(ليلى): «*إنك فعلاً كذلك، أنت سا*حرة. إننى أراقبك منذ مدة. ليس هناك شيء سيئ حول هذا الأمر. فأمى ساحرة وأنا ساحر».

بدت ضحكة (بيتونيا) مثل الماء البارد.

وصرخت وقد عادت شجاعتها إليها بعد أن تخلصت من صدمة ظهوره: «ساحر! أنا أعرف من *أنت*. إنك ابن (آل سناب)!». وقالت لـ(ليلى): «إنهم يعيشون فى نهاية شارع اسبنر أند بجوار النهر». وبدا من لهجتها أنها تعتبر ذلك العنوان تزكية سيئة له وقالت: «لماذا كنت تتجسس علينا؟».

قال (سناب) وهو يبدو حران وغير مرتاح وشعره غير نظيف فى ضوء الشمس: «لم أكن أتجسس، وما كنت لأتجسس *عليك*، على أية حال». وأضاف بخبث: «فأنت من العامة».

ورغم أن (بيتونيا) لم تفهم ما تعنيه الكلمة فإنها لم تكن لتخطئ فى فهم النبرة. فقالت بحدة: «هيا يا (ليلى) سنرحل!». وأطاعتها (ليلى) على الفور، بينما أخذت تنظر إلى (سناب) وهى راحلة. ووقف هو يراقبهم وهم يخرجون من بوابة ساحة اللعب ولم يبق سوى (هارى) يراقب (سناب)، ولاحظ خيبة الأمل المريرة على وجهه، فأدرك أن (سناب) قد خطط لهذه اللحظة لفترة ولكن كل شىء جرى بطريقة خاطئة...

واختفى المشهد وظهر آخر قبل أن يدرك (هارى) ما يحدث. ووجد نفسه وسط غابة صغيرة من الأشجار وأمكنه أن يرى نهرًا يلمع تحت ضوء الشمس من خلال جذوع الأشجار. وكانت ظلال الأشجار تصنع بقعًا من الظل الأخضر اللطيف، ورأى طفلين يجلسان على الأرض فى مواجهة بعضهم البعض. كان (سناب) بدون معطفه هذه المرة وبدا قميصه أقل غرابة فى الضوء الضعيف.

«... ومن الممكن أن تعاقبك الوزارة لو قمتِ باستخدام السحر خارج المدرسة وتصلك خطابات..».

«لكننى قمت بأداء سحر خارج المدرسة!».

«لا بأس بذلك، مادامت ليست لدينا عصى بعد. إنهم لا يتركونك عندما تكونين صغيرة ولا تستطيعين منع نفسك. ولكن بمجرد أن تبلغى الحادية عشرة»، ثم أضاف وهو يومئ برأسه مؤكدًا: «ويبدءون فى تدريبك، عليك أن تحترسى».

وساد الصمت لوقت قصير. والتقطت (ليلى) غصنًا وأخذت تحركه فى الهواء وعرف (هارى) أنها تتخيل شررًا يخرج منه، ثم رمت الغصن ومالت على الولد وقالت: «إن هذا حقيقى، أليس كذلك؟ إنها ليست مزحة؟ إن (بيتونيا) تقول إنك تكذب علىَّ وليس هناك مكان يدعى (هوجوورتس). إنها حقيقة، أليس كذلك؟».

قال (سناب): «إنها حقيقية لنا وليس لها. ستصلنا الخطابات أنا وأنتِ».

همست (ليلى): «حقًا؟».

قال (سناب): «بكل تأكيد». وعلى الرغم من شعره غير المنسق وثيابه الغريبة، بدا مثيرًا للإعجاب إلى حد كبير وهو يتمدد أمامها وقد ملأته الثقة فى المصير الذى ينتظره.

همست (ليلى): «وهل ستصلنا حقًا مع البوم؟».

قال (سناب): «هذا هو المعتاد. ولكنك من مواليد العامة وسيكون على أحد من المدرسة أن يأتى ليشرح الأمور لوالديك».

«وهل يشكل كونى من مواليد العامة فارقًا؟».

تردد (سناب). وانتقلت عيناه من اللهفة فى العينين الخضراوين المتجهمتين إلى الوجه الشاحب والشعر الأحمر الداكن.

ثم قال: «لا، ليس هناك أى فارق».

قالت (ليلى) مسترخية: «جيد». وبدا من الواضح أنها كانت قلقة من ذلك.

وقال (سناب): «إنك تملكين الكثير من المهارات السحرية. لقد رأيت ذلك عندما كنت أراقبك..».

وخفت صوته حتى سكت. لم تكن تنصت إليه ولكنها تمددت على الأرض التى تغطيها أوراق الشجر وأخذت تنظر نحو ستارة الأغصان فوقهما. وأخذ يراقبها بنفس اللهفة التى كان ينظر إليها بها فى ساحة اللعب.

وسألته (ليلى): «ما آخر الأخبار فى منزلك؟».

ظهر تقطيب بسيط بين عينيه.

وقال: «جيدة».

«هل توقفا عن الجدال؟».

قال (سناب): «آه، لا، مازالا يتجادلان»، ثم ملأ يده بأوراق الشجر وبدأ يمزقها، وبدا من الواضح أنه غير مدرك لما يفعل، أضاف: «ولكنى سأرحل قريبًا».

«ألا يحب والدك السحر؟».

قال (سناب): «إنه لا يحب أى شىء عمومًا».

«(سيفيروس)؟».

ظهرت ابتسامة صغيرة على فمه عندما نطقت اسمه.

«نعم؟».

«أخبرنى عن الديمنتورات ثانية».

«ما الذى تريدين معرفته عنهم؟».

«إذا قمت باستخدام السحر خارج المدرسة».

«انهم لن يسلموك إلى الديمنتورات من أجل هذا، إن الديمنتورات من أجل الناس الذين يفعلون أشياء شديدة السوء. إنهم يحرسون سجن السحرة، أزكابان. وأنت لن تذهبى أبدًا إلى أزكابان، فأنت شديدة..».

احمر وجهه مجددًا، وأخذ يقطع المزيد من أوراق الشجر. وصدر صوت حفيف من خلف (هارى) جعله يلتفت، ليرى (بيتونيا) التى كانت مختبئة خلف شجرة، قد زلت قدمها ووقعت.

قالت (ليلى) بصوت مرحب ومندهش: «(تونى)»، بينما قفز (سناب) واقفًا.

وصاح: «من الذى يتجسس الآن؟ ماذا تريدين؟».

كانت (بيتونيا) تلهث وهى مصدومة من انكشاف أمرها. وعرف (هارى) أنها تكافح بحثًا عن شىء جارح لتقوله.

وقالت وهى تشير إلى (سناب): «ما هذا الذى ترتديه، على أى حال؟ قميص والدتك؟».

سمعوا صوت فرقعة، ثم سقط فرع شجرة فوق كتف (بيتونيا) فصرخت (ليلى)، وصدم الفرع كتف (بيتونيا) التى ترنحت للخلف وانفجرت فى البكاء.

«(تونى)!».

ولكن (بيتونيا) جرت مبتعدة والتفتت (ليلى) إلى (سناب).

«هل جعلت ذلك يحدث؟».

قال وقد ظهر عليه التحدى والخوف معًا: «لا».

قالت وهى تتراجع مبتعدة عنه: «لقد *فعلت!* لقد آذيتها!».

«لا، لا لم أفعل!».

ولكن (ليلى) لم تقتنع بكذبه ورمته بنظرة نارية، قبل أن تجرى من الغابة الصغيرة لتلحق بشقيقتها وبدا (سناب) بائسًا ومرتبكًا.

وتشكل المشهد من جديد، ونظر (هارى) حوله، ليجد نفسه على الرصيف رقم تسعة وثلاثة أرباع، ورأى (سناب) يقف بجواره ومعه امرأة نحيفة شاحبة الوجه، تظهر عليها حدة الطبع وتشبهه لدرجة كبيرة. وكان (سناب) يحدق إلى أسرة مكونة من أربعة أفراد يقفون على مسافة قريبة منه. وقفت الفتاتان على بعد قليل عن والديهما وبدت (ليلى) وكأنها تناشد أختها، فاقترب (هارى) منهما ليسمع.

«... أنا آسفة يا (تونى). أنا آسفة! اسمعى..». وأمسكت بيد شقيقتها وضغطت عليها، رغم أن (بيتونيا) حاولت جذبها، وأضافت: «ربما عندما أصل إلى هناك.. لا، استمعى إلىَّ يا (تونى)! ربما عندما أصل إلى هناك سأتمكن من لقاء الأستاذ (دمبلدور) وأقنعه بتغيير رأيه!».

قالت (بيتونيا): «أنا ـ لا أريد ـ الذهاب ـ إلى ـ هناك!». وهى تحاول سحب يدها من يد شقيقتها، وأضافت: «أتظنين أننى أريد الذهاب إلى تلك القلعة الغبية وأتعلم كيف أكون؟».

وتحركت عيناها الشاحبتان فوق الرصيف، ونظرت إلى القطط التى تموء بين أذرع أصحابها والبوم الذى يرفرف وينعق إلى بعضه البعض داخل الأقفاص، ثم

إلى الطلاب الذين ارتدى بعضهم عباءتهم السوداء الطويلة بالفعل وهم يسحبون حقائبهم الثقيلة متجهين نحو القطار ذى البخار القرمزى أو يحيون بعضهم بصياح مرح بعد فراقهم طوال الصيف.

« ـ هل تظنين أننى أريد أن أكون ـ أكون غريبة الأطوار؟».

وامتلأت عينا (ليلى) بالدموع، بينما نجحت (بيتونيا) فى سحب يدها.

وقالت (ليلى): «أنا لست غريبة الأطوار، إن ما قلتِهِ شىء سيئ جدًّا».

قالت (بيتونيا) بتشفٍّ: «هذا هو المكان الذى ستذهبين إليه، مدرسة خاصة لغريبى الأطوار. أنتِ وهذا الولد (سناب)... إنكما غير طبيعيين، ومن الجيد أن يتم فصلكما عن الناس العادِيين، إن فى ذلك أمانًا لنا».

وألقت (ليلى) نظرة إلى والديها اللذين كانا ينظران إلى الرصيف حولهما ببهجة واستمتاع وقد أذهلهما المشهد، ثم نظرت ثانية إلى أختها ووجهت إليها بصوت خفيض غاضب:

«إنك لم تظنى أنها مدرسة لغريبى الأطوار، عندما أرسلت إلى ناظرها، وتوسلت إليه أن يقبلك بين طلابها».

تحول وجه (بيتونيا) إلى اللون القرمزى.

«توسلت؟ أنا لم أتوسل!».

«لقد رأيت رده الذى كان شديد اللطف».

همست (بيتونيا): «لم يكن ينبغى أن تقرئيه. إنه يخصنى.. كيف أمكنك.. ؟».

فضحت (ليلى) نفسها باختلاسها نظرة نحو المكان الذى يقف فيه (سناب) بالقرب منهم، فشهقت (بيتونيا):

«هل وجده هذا الولد! تسللت أنت وذلك الولد إلى حجرتى!».

قالت (ليلى) وقد تحول موقفها إلى الدفاع: «لا ـ لم نتسلل ـ لقد رأى (سيفيروس) الظرف، ولم يصدق أن أحد العامة قد أمكنه مراسلة (هوجوورتس)، هذا كل ما فى الأمر! وقال إنه لابد من وجود ساحر يعمل متخفيًا فى مصلحة البريد ليتولى أمر..».

قالت (بيتونيا) وقد شحب وجهها: «من الواضح أن من عادة السحرة أن يدسوا أنوفهم فى كل مكان!». ثم رمت أختها بالكلمة: «*غريبة الأطوار*». وأسرعت عائدة إلى المكان الذى يقف به والداها...

وتغير المشهد ثانية، وظهر (سناب) يمشى مسرعًا فى ممرات قطار (هوجوورتس) السريع، بينما يطقطق القطار عابرًا الأراضى الريفية. كان قد ارتدى

ملابس المدرسة بالفعل، وربما يكون قد انتهز أول فرصة ليخلع ثياب العامة الفظيعة التى اعتاد ارتداءها، ثم توقف أخيرًا أمام مقصورة يتحدث داخلها مجموعة من الفتية المشاغبين. ورأى (ليلى) تجلس فى مقعد فى ركن المقصورة بجوار النافذة ووجهها ملتصق بالزجاج.

فتح (سناب) باب المقصورة المنزلق وجلس فى مواجهة (ليلى) التى نظرت إليه، ثم حولت نظرها إلى النافذة مرة أخرى. لقد كانت تبكى.

وقالت بصوت متوتر: «لا أريد التحدث معك».

«لماذا؟».

«(تونى) تكرهنى، لأننا رأينا الخطاب الذى وصلها من (دمبلدور)».

«وما المشكلة؟».

رمته بنظرة نفور شديدة.

«المشكلة أنها شقيقتى!».

قال: «إنها مجرد..». ثم توقف عن الكلام بسرعة، ولكن (ليلى) لم تسمعه بسبب انشغالها بمسح عينيها دون أن يلاحظ أحد بكاءها.

قال وهو غير قادر على كبت نبرة السرور فى صوته: «ولكننا رحلنا! ونحن فى طريقنا إلى (هوجوورتس)!».

فأومأت برأسها وهى مازالت تمسح عينيها وارتسمت على وجهها نصف ابتسامة على الرغم منها.

قال (سناب) وقد شجعه الابتهاج القليل الذى ظهر عليها: «من الأفضل أن تكونى فى (سليذرين)».

«(سليذرين)؟».

وتنبه أحد الأولاد الذين يشاركونهم المقصورة. لم يكن قد أظهر أى اهتمام بحديث (ليلى) و(سناب) حتى هذه اللحظة، ولكنه نظر نحوهم عندما سمع هذه الكلمة. ورأى (هارى) والده الذى لم يكن قد لاحظه من قبل بسبب تركيزه مع الاثنين بجوار النافذة. كان شعره أسود مثل (سناب) ولكنه على عكسه، بدا من الواضح عليه أنه حظى بالاهتمام والحب الذى يفتقر إليهما (سناب) بشدة.

«من الذى يرغب فى الذهاب إلى (سليذرين)؟ أظن أننى قد أترك المدرسة»، ثم وجه كلامه للولد الجالس أمامه: «ألن تفعل ذلك؟». وشعر (هارى) بالصدمة، عندما أدرك أنه (سيريوس). ولكن (سيريوس) لم يبتسم.

ولكنه قال: «لقد كانت عائلتى بأكملها فى (سليذرين)».
قال (جيمس): «يا إلهى، وأنا الذى ظننت أنك تبدو جيدًا!».
تجهم (سيريوس).
وقال: «ربما سأكسر أنا هذه التقاليد. ولكن إلى أين ستذهب، لو أن لديك الخيار؟».
رفع (جيمس) سيفًا غير مرئى.
وقال: «*(جريفندور)*، حيث *تستوطن الشجاعة فى القلوب* مثل أبى».
أصدر (سناب) صوت استخفاف منخفضًا، فالتفت إليه (جيمس).
«هل لديك اعتراض على ذلك؟».
قال (سناب): «لا»، وإن دل التهكم البسيط الظاهر على وجهه على عكس ذلك وأضاف: «إذا كنت تفضل الجسم القوى عن العقل».
وقاطعه (سيريوس) قائلاً: «ولكن ما المنزل الذى تأمل فى الالتحاق به، خاصة أنه يبدو عليك أنك لا تملك أيًّا منهما؟».
وانفجر (جيمس) فى الضحك. فاعتدلت (ليلى) فى جلستها، وقد احمر وجهها وأخذت تنظر من (جيمس) لـ(سيريوس) بنفور شديد.
«هيا بنا يا (سيفيروس)، لنبحث عن مقصورة أخرى».
«أووووه..».
أخذ (جيمس) و(سيريوس) يقلدان صوتها المتعالى وحاول (جيمس) أن يعرقل (سناب) وهو خارج.
ونادى صوت وهما يغلقان باب المقصورة: «سوف نراك فى وقت لاحق يا (سنيفيلوس)!».
وتغير المشهد مرة أخرى...
ووجد (هارى) نفسه يقف خلف (سناب) فى مواجهة موائد المنازل المضاءة بالشموع، والتى تصطف عليها الوجوه المنتبهة. ثم قالت الأستاذة (ماكجونجال): «(ليلى) إيفانز!».
وشاهد أمه تتقدم بقدمين مرتعشتين وتجلس على المقعد المتداعى، ووضعت الأستاذة (ماكجونجال) قبعة التنسيق على رأسها، وبعد أقل من ثانية من لمسها للشعر الأحمر الداكن، صاحت القبعة: «*(جريفندور)!*».
وسمع (هارى) (سناب) يصدر صيحة ضيق منخفضة، بينما خلعت (ليلى) القبعة وسلمتها للأستاذة (ماكجونجال)، وأسرعت فى اتجاه طلبة (جريفندور)

الذين يحيونها، ولكنها ألقت نظرة نحو (سناب)، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة صغيرة. ورأى (هارى) (سيريوس) وهو يتحرك فوق المقعد ليفسح لها مكانًا، ولكنها ألقت نظرة واحدة نحوه، وبدا أنها تذكرت ما فعله بالقطار، ثم عقدت ذراعيها وأعطته ظهرها.

واستمر الطلاب فى التقدم الواحد بعد الآخر وشاهد (هارى) (لوبين) و(بيتجرو) ووالده وهم ينضمون لـ(ليلى) و(سيريوس) على مائدة (جريفندور)، وأخيرًا، عندما لم يبق سوى حوالى اثنى عشر طالبًا، نادت الأستاذة (ماكجونجال) اسم (سناب).

ومشى (هارى) معه نحو المقعد العالى وراقبه وهو يضع قبعة التنسيق على رأسه، والتى صاحت: «(سليذرين)!».

وذهب (سيفيروس سناب) نحو الجهة الأخرى للبهو، مبتعدًا عن (ليلى)، متوجهًا إلى طلاب (سليذرين) الذين يحيونه وجلس بجوار (لوشيوس مالفوى) الذى ربت على ظهره، بينما شارة رائد الفصل تلمع على صدره...

وتغير المشهد من جديد.

ورأى (هارى) (سناب) و(ليلى) يقطعان فناء القلعة وهما يتجادلان. فأسرع يلحق بهما ويستمع إلى ما يقولانه، وعندما وصل إليهما، أدرك أن طولهما قد زاد، وعرف أن عدة أعوام مضت منذ التنسيق.

وسمع (سناب) يقول: «... لقد اعتقدت أنه من المفترض أننا أصدقاء، أصدقاء مقربون؟».

«نحن فعلاً كذلك يا (سيف)، ولكنى لا أحب بعض الأشخاص الذين تتجول معهم! أنا آسفة، ولكنى لا أكره (أفيرى) و(مولسيبر)! *(مولسيبر)!* ماذا يعجبك فيه يا (سيف)؟ إنه يجعل بدنى يقشعر! هل تعلم ما الذى حاول أن يفعله فى (مارى ماكدونالد)؟».

كانت (ليلى) قد وصلت إلى عمود فاستندت إليه، ونظرت نحو وجه (سناب) النحيف الشاحب.

قال (سناب): «لم يكن ذلك شيئًا، مزحة بسيطة، لا أكثر..».

«كان هذا سحرًا أسود وإذا كنت تظن أنه شىء مضحك..».

وسألها (سناب) بوجه محتقن وقد بدا غير قادر على كبت استيائه: «وماذا عما يفعله (بوتر) ورفقاؤه؟».

قالت (ليلى): «وما علاقة (بوتر) بالموضوع؟».

«إنهم يتسللون ليلاً، وهناك شىء غريب يخص (لوبين) هذا، أين يختفى باستمرار؟».

قالت (ليلى): «إنه مريض، يقولون إنه مريض..».

قال (سناب): «كل شهر عند اكتمال القمر؟».

قالت (ليلى) ببرود: «أنا أعرف نظريتك، ولكن لماذا أنت مهووس بهم، على أية حال لماذا تهتم بما يفعلونه ليلاً؟».

«إننى فقط أحاول أن أوضح لك أنهم ليسوا رائعين كما يراهم الجميع على ما يبدو».

جعلتها نظرته المركزة عليها تحمر خجلا.

وخفضت صوتها قائلة: «ولكنهم لا يستخدمون السحر الأسود، مع ذلك، كما أنك ناكر للجميل، لقد سمعت بما حدث فى تلك الليلة، لقد تسللت إلى النفق الموجود عند شجرة الصفصاف، وأنقذك (جيمس بوتر) من الشيء الموجود هناك مهما كان..».

التوى وجه (سناب) بالكامل وقال: «أنقذنى؟ أنقذنى؟ أتعتقدين أنه أدَّى دور البطل؟ لقد أنقذ رقبته وأصدقاءه أيضًا، إنك لن.. لن أتركك..».

«تتركنى؟ تتركنى؟».

ضاقت عينا (ليلى) الخضراوان اللامعتان، فتراجع (سناب) على الفور.

قال (سناب) وكأن الكلمات تخرج منه ضد إرادته: «لم أقصد.. أنا فقط لا أريدك أن تخدعى ـ إنه معجب بك، (جيمس بوتر) معجب بك!». وأضاف وقد جعلت المرارة والبغض كلامه غير مترابط: «إنه ليس... الجميع يظنون... بطل الكويدتش الكبير..». وأخذ حاجبا (ليلى) يرتفعان أكثر وأكثر.

وقاطعته قائلة: «أنا أعلم أن (جيمس بوتر) متعجرف وثقيل الظل، ولا أحتاج منك أن تخبرنى بذلك. ولكن فكرة (مولسيبر) و(أفيرى) عن المزاح شريرة يا (سيف). وأنا لا أفهم كيف يمكنك أن تكون صديقا لهم؟».

وشك (هارى) أن يكون (سناب) قد سمع انتقادها حول (مولسيبر) و(أفيرى). فقد استرخى جسده تمامًا فى اللحظة التى أهانت فيها (جيمس بوتر)، وحينما مشيا مبتعدين، لاحظ (هارى) أن خطواته أصبحت أكثر خفة...

وتغير المشهد مرة أخرى...

ورأى (هارى) (سناب) يغادر البهو العظيم بعد أن انتهى من اختبارات السحر العامة فى مادة الدفاع ضد فنون الظلام وراقبه وهو يبتعد عن القلعة ويذهب غير واعٍ نحو الشجرة الزان التى يجلس تحتها (جيمس) و(سيريوس) و(لوبين) و(بيتجرو) معًا. ولكن (هارى) ظل بعيدًا هذه المرة؛ لأنه يعلم ما حدث بعد أن علق (جيمس) (سيفيروس) فى

الهواء وسخر منه؛ إنه يعلم ما حدث وما قيل ولم يكن سعيدًا برؤيته مجددًا. وراقب (ليلى) وهى تنضم إلى المجموعة وتدافع عن (سناب)، ثم سمعه على البعد يصيح من شدة إحساسه بالإهانة والغضب بالكلمة التى لا تغتفر: «*ذات الدم الموحل*».

ثم تغير المشهد...

«أنا آسف».

«لا يهمنى ذلك».

«أنا آسف!».

«لا تتعب نفسك».

كان الوقت ليلاً ووقفت (ليلى) وقد عقدت ذراعيها أمام لوحة السيدة البدينة وهى ترتدى «روب» عند مدخل برج (جريفندور).

«لقد خرجت فقط لأن (مارى) أخبرتنى أنك تهدد بالنوم هنا».

«لقد هددت بذلك فعلاً وكنت سأفعله، لم أقصد أن أدعوك بذات الدم الموحل، لقد..».

قاطعته قائلة: «خرج ذلك منك دون قصد؟». لم يكن هناك أى شفقة فى صوت (ليلى)، وأضافت: «لقد تأخرت. لقد تقبلت أعذارك لسنوات. لا أحد من أصدقائى يمكنه أن يفهم لماذا أتحدث إليك أصلاً: أنت وأصدقاؤك آكلو الموت الصغار الطيبون - أرأيت، إنك حتى لا تنكر الأمر! لا يمكنك أن تنكر أن هذا هو ما تهدف إليه، إنك لا تطيق صبرًا حتى تنضم إلى (أنت - تعرف - من)، أليس كذلك؟».

وفتح فمه ثم أغلقه ثانية دون أن يتكلم.

«لا يمكننى أن أتظاهر بعد الآن، لقد اخترت طريقك واخترت أنا طريقى».

«لا.. انتظرى، أنا لم أقصد..».

«..أن تدعونى بذات الدم الموحل؟ ولكنكم تدعون مواليد العامة مثلى، بذوى الدم الموحل يا (سيفيروس). لماذا سأكون أنا مختلفة؟».

وكافح ليجد ما يرد به عليها، ولكنها رمته بنظرة احتقار ثم استدارت وعبرت خلال فتحة اللوحة عائدة إلى الداخل...

وتلاشى الدهليز، وأخذ تشكل المشهد الجديد فترة أطول من المعتاد. وشعر (هارى) كأنه يطير عبر أشكال وألوان متغيرة حتى تجمد المشهد المحيط به مرة أخرى ووجد نفسه يقف على قمة تل بارد مهجور فى الظلام والريح تصفر خلال فروع الأشجار القليلة الخالية من الأوراق حوله. ورأى (سناب) الراشد يدور فى مكانه وهو يلهث ويمسك عصاه بقوة بين يديه. وبدا فى انتظار شىء ما أو شخص

مـا... وانتقل خوفه إلى (هـارى) رغم أنه يعلم أن لا أحد يمكنه أن يؤذيه ونظر من فوق كتفيه، وهو يتساءل عما ينتظره (سناب).

ثم ظهرت دفقة من ضوء أبيض باهر وسط الهواء، وفكر (هـارى) بالبرق ولكن (سناب) سقط على ركبتيه، وطارت عصاه من يده.

«لا تقتلنى!».

«لم تكن هذه نيتى».

يبدو أن صوت الرياح قد غطى على أى صوت صدر من الانتقال الآنى لـ(دمبلدور)، ووقف أمام (سناب) وعباءته تخفق حوله. وظهرت معالم وجهه واضحة فى ضوء عصاه.

«حسنًا يا (سيفيروس)؟ ما الرسائل التى لدى لورد (فولدمورت) من أجلى؟».

«لا ـ لا توجد رسالة ـ أنا هنا من أجل أمر يخصنى بنفسى!».

كان (سناب) يلوح بيده وبدا مجنونًا إلى حد ما وشعره الأسود المبعثر يتطاير من حوله.

«لقد ـ لقد جئت ومعى إنذار.. لا، إنه طلب.. أرجوك..».

ولوح (دمبلدور) بعصاه ورغم أن الفروع والأوراق استمرت فى الطيران خلال هواء الليل، لكن الصمت عم المكان الذى يواجه فيه هو و(سناب) أحدهما الآخر.

«ما الطلب الذى يمكن لآكل موت أن يريده منى؟».

«الـ.. النبوءة... التنبؤ... تريلاونى..».

قال (دمبلدور): «آه، نعم، ما الذى نقلته منهـا إلى لورد (فولدمورت) بالضبط؟».

قال (سناب): «كل شىء.. كل شىء سمعته! ومن أجل ذلك ـ لهذا السبب ـ يعتقد أن النبوءة تقصد (ليلى) إيفانز!».

قال (دمبلدور): «إن النبوءة لم تشر إلى امرأة، إنها تتكلم عن طفل يولد فى نهاية شهر يوليو..».

«أنت تعرف ما أقصده، إنه يظن أن النبوءة تخص ابنها، سيتتبع أثرها، ويقتلهم جميعًا».

قال (دمبلدور): «إذا كانت تعنيك لهذه الدرجة، من المؤكد أن لورد (فولدمورت) سيعفو عنها؟ ألا يمكنك أن تطلب الرحمة من أجل الأم فى مقابل ابنها؟».

«لقد فعلت.. لقد طلبت إليه».

قال (دمبلدور): «إنك تثير اشمئزازى». لم يسمع (هارى) أبدًا هذا القدر من الازدراء فى صوت (دمبلدور) من قبل. وظهر الانكماش قليلاً على (سناب) وأكمل (دمبلدور): «ألا تهتم، إذن، لموت زوجها وطفلها؟ يمكنهم أن يموتوا مادمت ستحصل أنت على ما تريد؟».

لم يقل (سناب) شيئًا وأخذ ينظر إلى (دمبلدور) صامتًا.

قال: «قم بإخفائهم جميعًا، إذن، حافظ عليها ـ عليهم ـ فى مكان آمن، أرجوك».

«وماذا ستعطينى فى مقابل هذا يا (سيفيروس)؟».

وحدق (سناب) فاغرًا فاه فى (دمبلدور)، وقال: «فى.. فى المقابل؟». وتوقع (هارى) اعتراضه، ولكنه بعد مرور لحظة طويلة قال: «أى شىء».

واختفى التل ووجد (هارى) نفسه فى مكتب (دمبلدور) وشىء ما يصدر صوتًا فظيعًا كصوت حيوان مجروح. ورأى (سناب) يجلس منهارًا على مقعد ووجهه بين يديه و(دمبلدور) يقف أمامه متجهمًا. وبعد دقيقة أو اثنتين رفع (سناب) وجهه وبدا مثل رجل عاش مئات السنين من البؤس منذ ترك قمة التل.

«لقد ظننت... أنك سوف... تبقيها... فى أمان..».

قال (دمبلدور): «لقد وضعت هى و(جيمس) ثقتهما فى الشخص الخطأ، مثلك يا (سيفيروس)، ألم تكن ترجو ألا يقتلها لورد (فولدمورت) من أجلك؟».

كان (سناب) يتنفس بصعوبة.

قال (دمبلدور): «لقد نجا ابنها».

وصدرت عن (سناب) هزة رأس صغيرة، وكأنه يبعد ذبابة متعبة.

«ابنها حى. وله نفس عينيها بالضبط. من المؤكد أنك تذكر شكل ولون عينى (ليلى) إيفانز؟».

صاح (سناب): «لا تفعل! لقد انتهت... ماتت..».

«هل هذا ندم يا (سيفيروس)؟».

«أتمنى... أتمنى لو كنت ميتًا..».

قال (دمبلدور) ببرود: «وما فائدة ذلك لأى شخص؟ لو أنك أحببت (ليلى) إيفانز، لو أنك أحببتها حقًا، إذن، فالطريق أمامك واضح».

وبدا (سناب) كأنه يرمقه من خلال غلالة من الألم، ومر وقت طويل حتى وصلته كلمات (دمبلدور).

«ماذا.. ما الذى تعنيه؟».

«أنت تعلم كيف ولماذا ماتت. تأكد أن موتها لم يضع سدى. ساعدنى كى نحمى ابن (ليلى)».

«إنه لا يحتاج إلى الحماية، لقد انتهى سيد الظلام..».

«..سيعود سيد الظلام وسيكون (هارى بوتر) فى خطر عظيم عندئذ».

ومرت فترة صمت طويلة، وبدأ (سناب) يستعيد تحكمه بنفسه ببطء وأمكنه تنظيم أنفاسه. وقال أخيرًا: «حسنًا، حسنًا جدًّا. ولكن عليك ألا تقول ذلك لأى شخص أبدًا.. أبدًا يا (دمبلدور)! يجب أن يبقى هذا بيننا فقط! أقسم! لا يمكننى تحمل ذلك... خاصة ابن (بوتر).. أريد وعدًا منك بذلك!».

«تريد وعدًا منى يا (سِيفيروس)، ألا أكشف عن أحسن ما فيك؟

تنهد (دمبلدور) ونظر إلى وجه (سناب) المعذب وقال: «إذا كنت مصرًّا..».

وتلاشى المكتب ثم تجسد على الفور، ورأى (سناب) يخطو جيئة وذهابا أمام (دمبلدور).

«..مشاكس ومتعجرف مثل أبيه ولا يلتزم بالقوانين وسعيد بأن يجد نفسه شهيرًا ويحب لفت الأنظار إليه، ووقح..».

قال (دمبلدور) دون أن يرفع عينيه عن جريدة التحويل اليوم: «إنك ترى ما تتوقع رؤيته يا (سيفيروس)، لقد قال عنه أساتذة آخرون إنه متواضع ومحبوب وموهوب بدرجة معقولة. شخصيًّا، أجده طفلاً طيبًا».

قلب (دمبلدور) الصفحة، دون أن يرفع عينيه عن الجريدة وقال: «أبقِ عينيك على (كويريل)، هل يمكنك ذلك؟».

ودارت الألوان حول (هارى) ثم أظلم كل شىء ورأى (سناب) و(دمبلدور) يقفان فى بهو الدخول بعد أن مر بهما آخر شخص من حفل عيد الميلاد ذاهبًا لينام.

غمغم (دمبلدور): «حسنًا؟».

نظر (سناب) إلى جانب وجه (دمبلدور) ذى الأنف المكسور: «إن علامة كاركاروف تزداد سوادًا أيضًا وقد أدركه الفزع، إنه يخشى الانتقام، فأنت تعلم كم ساعد الوزارة بعد سقوط سيد الظلام. إنه ينوى الهرب إذا ما بدأت العلامة تحرقه».

قال (دمبلدور) بلطف بينما دخلت (فلور ديلاكور) ومعها (روجر ديفيس) من الملاعب وهما يضحكان: «هل سيفعل؟ وأنت راغب فى الانضمام إليه؟».

قال (سناب) وهو ينظر إلى (فلور) و(روجر) وهما ينسحبان مبتعدين: «لا، أنا لست جبانًا لهذه الدرجة».

وافقه (دمبلدور): «لا، إنك أشجع بكثير من (أيجور كاركاروف)، أتعرف؛ إننى أحيانًا أظن أننا نتسرع فى الحكم على الناس».

ثم مشى مبتعدًا، تاركًا (سناب) يبدو مصدومًا...

ووجد (هارى) نفسه يقف فى مكتب الناظر ثانية. كان الوقت ليلاً، ورأى (دمبلدور) جالسًا على مقعده الشبيه بالعرش وراء المكتب، ويبدو شبه فاقد للوعى، بينما يده اليمنى متدلية بجانبه سوداء ومحروقة. ورأى (سناب) يقف بجواره ويغمغم بتعويذة ويشير بعصاه نحو رسغ اليد، بينما يفرغ بيده اليسرى كأسًا بها وصفة ذهبية كثيفة القوام فى حلق (دمبلدور). وبعد دقيقة أو اثنتين تحرك جفنا (دمبلدور) وفتح عينيه.

وقال له (سناب) على الفور: «لماذا؟ ما الذى جعلك ترتدى هذا الخاتم؟ إنه يحمل لعنة ومن المؤكد أنك أدركت ذلك. ما الذى جعلك تلمسه أصلاً؟».

ورأى (هارى) خاتم (مارفولو جاونت) موضوعًا فوق المكتب أمام (دمبلدور)، وسيف (جريفندور) راقد بجواره.

قطب (دمبلدور) وجهه.

«لقد... كنت أحمقَ، وتملكنى الإغراء..».

«إغراء ماذا؟».

لم يجبه (دمبلدور).

قال (سناب) غاضبًا: «إن تمكنك من العودة إلى هنا معجزة! إن هذا الخاتم يحمل لعنة شديدة القوة، إن أقصى ما يمكننا أن نأمل فيه هو احتواؤها. لقد قمت بحصر اللعنة فى يد واحدة حاليًا».

ورفع (دمبلدور) يده السوداء العقيم وأخذ يفحصها وعلى وجهه تعبير شخص يشاهد تحفة نادرة.

«لقد أحسنت صنعًا يا (سيفيروس)، كم بقى لدى من الوقت فى ظنك؟».

كانت نبرة (دمبلدور) محايدة، وكأنه يسأل عن توقعات الطقس. وتردد (سناب) قليلاً ثم قال: «لا يمكننى أن أقول، ربما عام. لا يمكن وقف مثل هذه اللعنة للأبد. سوف تنتشر فى النهاية، إنها من أنواع اللعنات التى تزداد قوة بمرور الوقت».

وابتسم (دمبلدور)، وكأن فكرة أن أمامه عامًا أو أقل ليعيشه مسألة قليلة الأهمية أو لا أهمية لها على الإطلاق.

«أنا محظوظ، محظوظ جداً أنك معى يا (سيفيروس)».

قال (سناب) غاضبًا: «لو أنك فقط استدعيتنى مبكرًا قليلاً، ربما أمكننى أن أقوم بأكثر من ذلك وأكسب لك المزيد من الوقت!». ثم نظر إلى الخاتم المكسور والسيف وأضاف: «هل ظننت أن كسر الخاتم سيقوم بكسر التعويذة؟».

قال (دمبلدور) وهو يعتدل فى مقعده بصعوبة: «شىء من هذا القبيل... لقد كنت أهذى بلا... حسنًا، إن هذا يجعل الأمور أكثر وضوحًا فعلاً».

ظهرت الحيرة على (سناب) وابتسم (دمبلدور).

«إننى أعنى الخطة التى يدبرها لورد (فولدمورت) حولى، خطته فى أن يجعل الفتى مالفوى المسكين يقتلنى».

وجلس (سناب) على المقعد أمام مكتب (دمبلدور)، الذى طالما جلس عليه (هارى). وأدرك (هارى) أنه كان يود أن يتحدث أكثر عن موضوع يد (دمبلدور) الملعونة. لكن شعر برفض (دمبلدور) المهذب الحديث عن الأمر أكثر من ذلك، فقال عابسًا: «إن سيد الظلام لا يتوقع نجاح (دراكو). إن تكليفه بهذه المهمة عقاب لـ(لوشيوس) على إخفاقاته الأخيرة، تعذيب بطىء لوالدى (دراكو) بينما يشاهدون ابنهم يفشل ويدفع الثمن».

قال (دمبلدور): «باختصار، الولد محكوم عليه بالموت مثلى تمامًا، والآن، أفكر أن المرشح المثالى لأداء هذه المهمة، عندما يفشل دراكو، هو أنت؟».

مرت لحظة صمت.

«أعتقد أن هذه هى خطة سيد الظلام».

«إن لورد (فولدمورت) يتطلع إلى لحظة فى المستقبل القريب لن يحتاج فيها إلى جاسوس فى (هوجوورتس)؟ أليس كذلك؟».

«إنه يعتقد أن المدرسة ستصبح فى قبضته قريبًا، نعم».

قال (دمبلدور): «وإذا وقعت فى قبضته فعلاً، هل تعدنى أن تبذل كل ما فى وسعك لتحمى طلاب (هوجوورتس)؟».

أومأ (سناب) برأسه:

«حسن. والآن، يجب أن تكون أولى أولوياتك هى اكتشاف ما ينويه (دراكو). إن مراهقًا خائفًا مثله خطره على نفسه، بقدر خطورته على الآخرين، اعرض عليه المساعدة والإرشاد. يجب أن يقبل منك ذلك فهو يحبك..».

«لم يعد كذلك، منذ أن فقد والده حظوته لدى سيد الظلام. إن (دراكو) يلومنى، ويظن أننى اغتصبت مكانة (لوشيوس)».

«حاول على أية حال. أنا لست قلقًا على نفسى بقدر قلقى من سقوط ضحايا أبرياء بسبب أى خطط قد تخطر للفتى. وفى النهاية، بالطبع، ليس أمامنا سوى شىء واحد نفعله حتى ننقذه من انتقام لورد (فولدمورت)».

رفع (سناب) حاجبيه وبدت لهجته ساخرة وهو يسأله: «هل تنوى أن تدعه يقتلك؟».

«كلا بالتأكيد. *أنت* الذى يجب أن تقتلنى».

وساد صمت طويل لم يقطعه سوى صوت تكتكة غريب، يصدر عن (فاوكس) طائر العنقاء الذى كان يقرض عظم حبار.

سأل (سناب) بسخرية واضحة: «هل تود أن أقوم بذلك الآن؟ أم أنتظر لحظات قليلة، حتى تقوم بتأليف شىء ليكتب على شاهد قبرك؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «لا، ليس بعد. أعتقد أن هذه اللحظة ستأتى فى الوقت المناسب، ونظرًا لما حدث الليلة». وأشار إلى يده المحترقة وأكمل: «يمكننا أن نكون متأكدين أن هذا سيحدث خلال عام».

قال (سناب) بحدة: «إذا كنت لا تمانع فى الموت، فلماذا لا تدع (دراكو) يقوم بذلك؟».

قال (دمبلدور): «إن روح الفتى لم تدمر تمامًا بعد، وأنا لا أريدها أن تتمزق بسببى».

«وماذا عنى أنا يا (دمبلدور)؟ ماذا عن روحى؟».

قال (دمبلدور): «أنت وحدك الذى يعلم إن كانت مساعدة رجل عجوز فى تجنب الألم والمهانة ستؤذى روحك. إننى أطلب منك هذه الخدمة الوحيدة الكبيرة يا (سيفيروس)؛ لأنه من المؤكد أن الموت سيأتى إلى كتأكيد مجىء فريق مدافع (تشادلى) فى المرتبة الأخيرة فى دورى هذا العام. وأنا أعترف بأننى أفضل موتًا سريعًا خاليًا من الألم عن الموت طويل الأمد والفوضى التى ستحدث، لو تدخل (جريباك)، على سبيل المثال فقد سمعت أن (فولدمورت) قد جنده؟ أو العزيزة (بيلاتريكس) التى تحب أن تلعب بطعامها قبل أن تأكله».

كانت لهجته عادية ولكن عيناه الزرقاوان كانتا تخترقان (سناب) كما تفعلان مع (هارى) عادة وكأن الروح التى يتناقشان حولها ظاهرة أمامه وفى النهاية، أعطى (سناب) إيماءة مقتضبة برأسه.

وظهر الرضا على (دمبلدور).

«شكرًا لك يا (سيفيروس)..».

واختفى المكتب، ورأى (هارى) (دمبلدور) و(سناب) يخطوان معًا فى ملاعب القلعة الخالية فى وقت الشفق.

وسأل (سناب) فجأة: «ما الذى تفعله مع (بوتر) خلال كل تلك الليالى التى تجتمعان فيها معًا؟».

بدا (دمبلدور) مرهقًا.

«لماذا؟ إنك لا تحاول أن تعاقبه بالاحتجاز مجددًا، يا (سيفيروس)؟ سيصبح الوقت الذى أمضاه الولد فى الاحتجاز عما قريب أكثر من الذى قضاه فى الخارج».

«إنه مثل والده».

«ربما فى المظهر، ولكن داخله يشبه أمه أكثر. إننى أقضى وقتًا مع (هارى)؛ لأن لدى أشياء يجب أن أناقشها معه، معلومات يجب أن أخبره بها قبل فوات الأوان».

كرر (سناب): «معلومات. إنك تثق به.... ولا تثق بى».

«إن المسألة لا علاقة لها بالثقة. إن الوقت الباقى لى محدود كما يعلم كلانا، ومن الضرورى أن أعطى الولد معلومات كافية حتى يقوم بما يجب عليه فعله».

«ولماذا لا يمكننى الحصول على نفس المعلومات؟».

«أفضل عدم وضع كل أسرارى فى سلة واحدة، خاصة ليس فى سلة تقضى الكثير من الوقت متعلقة فى ذراع لورد (فولدمورت)».

«وهو شىء أفعله بناء على أوامرك!».

«وأنت تفعل ذلك بشكل ممتاز. لا تظن أننى أقلل من شأن الخطر الدائم الذى تتعرض له يا (سيفيروس)، إنك تعطى (فولدمورت) معلومات تبدو قيمة، بينما تخفى عنه الأهم. إنه عمل لا أئتمن عليه أحدًا سواك».

«ومع ذلك تضع ثقة أكبر فى فتى غير قادر على الأوكلومينسى وقواه السحرية متوسطة، وهناك اتصال مباشر بينه وبين عقل سيد الظلام!».

قال (دمبلدور): «إن (فولدمورت) يخاف من هذا الاتصال. وقد ذاق منذ وقت قريب ما يمكن أن يناله من مشاركة (هارى) عقله، وكان الأمر مؤلمًا بشكل لم يتعرض له من قبل، وأنا متأكد من أنه لن يحاول أن يستحوذ على (هارى) ثانية. ليس بهذه الطريقة».

«لا أفهم».

«إن روح (فولدمورت)، بكل ما هى عليه من تشويه، لا تتحمل اتصالاً قريبًا مع روح مثل روح (هارى). سيكون الأمر مثلما تضع اللسان فوق فولاذ متجمد أو تضع لحمًا فى النار».

«أرواح؟ نحن نتكلم عن عقول!».

«فى حالة (هارى) و(فولدمورت) عندما تتحدث عن أحدهما، فأنت تتحدث عن الآخر».

ونظر (دمبلدور) حوله ليتأكد أنهم وحدهم. كانوا قريبين من الغابة المحرمة، الآن، ولكن لم يكن هناك أثر لأى شخص قربهم.

«بعد أن تقتلنى يا (سيفيروس)..».

صاح (سناب) وقد ظهر غضب حقيقى على وجهه الآن: «إنك ترفض أن تخبرنى بكل شيء، ومع ذلك، تتوقع منى أن أؤدى لك هذه الخدمة الصغيرة؟ إنك تثق فى الأمور أكثر من اللازم يا (دمبلدور)! ربما أكون قد غيرت رأيى!».

«لقد وعدتنى يا (سيفِيروس)، وبينما نتحدث عن الخدمات أذكرك بأنك مدين لى، أظن أنك وافقت أن تراقب صديقنا الصغير من (سليذرين) عن قرب؟».

وظهر الغضب والثورة على (سناب) وتنهد (دمبلدور).

«تعال إلى مكتبى فى الساعة الحادية عشرة الليلة يا (سيفيروس)، ولن تشكو من أننى لا أثق بك..».

عادوا إلى المكتب ثانية، كانت النافذة مظلمة و(فاوكس) يجلس صامتًا و(سناب) يجلس ساكنًا و(دمبلدور) يمشى حوله وهو يتكلم.

«يجب ألا يعلم (هارى)، ليس حتى اللحظة الأخيرة، عندما يصبح من الضرورى أن يعرف وإلا كيف سيحصل على القوة ليقوم بما يجب عليه عمله؟».

«لكن ما الذى يجب عليه عمله؟».

«هذا بينى وبين (هارى). والآن، أنصت إلى جيدًا يا (سيفيروس). سيأتى وقت بعد موتى بفترة طويلة - لا تجادلنى أو تقاطعنى - سيأتى وقت يبدو فيه لورد (فولدمورت) خائفًا على حياة حيته».

ظهرت الدهشة على (سناب)، وقال: «يخاف على (ناجينى)؟».

«بالضبط، عندما يأتى هذا الوقت الذى يتوقف فيه لورد (فولدمورت) عن إرسال الحية لتقوم بالأعمال بدلاً منه ويبقيه آمنًا بالقرب منه، تحت حماية سحرية، عندها، أظن أنه سيكون من الأأَمَن أن تخبر (هارى)».

«أخبره بماذا؟».

أخذ (دمبلدور) نفسًا عميقًا وأغلق عينيه.

«أخبره أنه فى الليلة التى حاول فيها (فولدمورت) قتله، وعندما وضعت (ليلى) حياتها مثل الدرع بينهما، ارتدت لعنة القتل نحو (فولدمورت) وانفصل جزء من

روح (فولدمورت) وألصق نفسه بالروح الوحيدة التى بقيت حية فى المبنى المنهار. هناك جزء من لورد (فولدمورت) يعيش داخل (هارى)، وهو الذى يعطيه القدرة على التحدث مع الحيَّات والاتصال الذى يربط بين عقله وعقل (فولدمورت) الذى لم يفهمه أبدًا. ومادام هذا الجزء من الروح، والذى لم يفتقده (فولدمورت)، ظل ملتصقًا ومحتميًا بـ(هارى)، فلا يمكن أن يموت لورد (فولدمورت)».

وشعر (هارى) كأنه يشاهد الرجلين من الجهة الأخرى لنفق طويل، بدوا بعيدون جدًا عنه وصدى أصواتهم يتردد فى أذنه بطريقة غريبة.

وسأل (سناب) بهدوء: «إذن فالفتى... الفتى يجب أن يموت؟».

«ولابد أن يقوم (فولدمورت) نفسه بذلك يا (سيفيروس). إن ذلك ضرورى».

مرت فترة صمت طويلة، ثم قال (سناب): «لقد اعتقدت... طوال هذه السنين... أننا نقوم بحمايته من أجلها، من أجل (ليلى)».

قال (دمبلدور) وعيناه مازالت مغلقة بقوة: «لقد قمنا بحمايته؛ لأنه كان من الضرورى أن نعلمه ونربيه ونعطيه الفرصة لتجربة قواه. وفى نفس الوقت، نما الاتصال بينهما وأصبح أكثر قوة؛ وكذلك لغة الحيَّات أحيانًا كنت أظن أنه يرتاب فى ذلك. وإذا كان ظنى فيه فى محله، فإنه سيرتب الأمور بحيث إنه عندما يتجه لملاقاة حتفه سيكون متأكدًا أن هذا يعنى نهاية (فولدمورت)».

وفتح (دمبلدور) عينيه ووجد (سناب) يبدو مفزوعًا.

«لقد أبقيته على قيد الحياة حتى يمكنه الموت فى اللحظة المناسبة؟».

«لا تجعل الأمر يصدمك يا (سيفيروس). كم رجل وامرأة شاهدتهم وهم يموتون؟».

قال (سناب): «مؤخرًا، والذين لم أستطع إنقاذهم فقط». ووقف على قدميه وقال: «لقد قمت باستغلالى».

«ماذا تعنى؟».

«لقد تجسست من أجلك، وكذبت من أجلك، وعرضت نفسى لأخطار قاتلة من أجلك، وكان من المفترض أن هذا كله من أجل إبقاء ابن (ليلى بوتر) آمنًا، والآن تخبرنى أنك قمت بتربيته مثل الخنزير ليذبح».

قال (دمبلدور) بجدية: «إن ذلك مؤثر يا (سيفيروس). هل أصبحت مهتمًا بالفتى؟».

صاح (سناب): «مهتمًا به؟ *إكسبيكتو باترونوم!*».

واندفعت من طرف عصاه الظبية الفضية هابطة على أرض المكتب. وقفزت مرة واحدة عبر المكتب وحلقت من النافذة. وراقبها (دمبلدور) وهى تطير مبتعدة

وعندما تلاشى بريقها الفضى، التفت نحو (سناب) ليجد عينيه ممتلئتين بالدموع.

«بعد كل هذا الوقت؟».

قال (سناب): «دائمًا».

وتغير المشهد. ورأى (هارى) (سناب) يتحدث إلى لوحة (دمبلدور) المعلقة خلف مكتبه.

قال (دمبلدور): «يجب أن تخبر (فولدمورت) بالموعد الحقيقى لرحيل (هارى) من بيت خالته وزوجها؛ لأنك إن لم تفعل ذلك ستثير شكوك (فولدمورت) الذى يعتقد أن معلوماتك محل ثقة، لكنك يجب أن تزرع فكرة الأشباه التى أعتقد أنها سوف تضمن سلامة (هارى). ضع تعويذة خلط على (مندنجس فليتشر). وإذا أجبرت على المشاركة فى المطاردة يا (سيفيروس)، يجب أن تمثل دورك بإقناع... إننى أعتمد عليك أن تبقى مقربًا من لورد (فولدمورت) لأطول وقت ممكن وإلا ستترك (هوجوورتس) تحت رحمة الإخوة كارو..».

رأى (سناب) الآن يقف أمام (مندنجس) فى حانة غريبة، ووجه (مندنجس) خالٍ من التعبير تمامًا، بينما وجهه (سناب) مقطب من شدة التركيز.

غمغم (سناب): «سوف تقترح على جماعة العنقاء استخدام أشباه خداعية. وصفة التخفى. توءمين مطابقين لـ(بوتر). إن هذا هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينجح. سوف تنسى أننى الذى اقترحت هذا، وتطرح الفكرة كأنها فكرتك أنت، هل تفهم؟».

غمغم (مندنجس) وعيناه بلا تركيز: «أجل أفهم».

ووجد (هارى) نفسه الآن يطير فوق مكنسة بجوار (سناب) عبر الليل المظلم الصافى: كان بصحبتهم آكلو موت آخرون يرتدون أغطية رأس تغطى وجوههم. ورأى أمامهم (لوبين) و(هارى) الذى كان فى الحقيقة (جورج)... تحرك آكل الموت أمام (سناب) وأشار بعصاه نحو ظهر (لوبين).

صاح (سناب): «*سيكتومسيمبرا!*».

ولكن التعويذة الموجهة نحو يد آكل الموت الممسكة بالعصا أخطأته وأصابت جورج بدلاً منه.

فى المشهد التالى شاهد (هارى) (سناب) يركع على أرضية غرفة نوم (سيريوس) القديمة، بينما تتساقط الدموع من طرف أنفه المعقوف وهو يقرأ خطاب (ليلى) القديم. لم تكن الصفحة الثانية تحمل سوى القليل من الكلمات:

«هل يمكن أن يكون هناك صداقة مع (جيليرت جريندلوالد)، أنا شخصيًا أعتقد أنها فقدت عقلها!

مع حبي،

(ليلي)

أخذ (سناب) الصفحة التي تحمل توقيع (ليلي) وحبها ووضعها داخل ملابسه. ثم مزق الصورة التي يحملها إلى جزءين وأخذ الجزء الذي تضحك فيه (ليلي)، وألقى الجزء الذي يظهر فيه (جيمس) و(هاري) إلى الأرض، تحت مجموعة من الأدراج...

كان (سناب) يقف الآن داخل مكتب الناظر مرة أخرى، وأسرع (فينياس نيجيلوس) عائدًا إلى لوحته.

«أيها الناظر! إنهم يخيمون في غابة دين! ذات الدم الموحل».

«لا تستخدم هذه الكلمة!».

«ذكرت الفتاة جراينجر المكان وهي تفتح حقيبتها وقد سمعتها!».

صاحت لوحة (دمبلدور) من وراء كرسي الناظر: «حسن. حسن جدًّا! الآن يا (سيفيروس)، السيف! ولا تنس أن شروط الحصول عليه هي الحاجة إليه والشجاعة، كما أنه يجب ألا يعرف من أعطاه إياه! فقد يقرأ (فولدمورت) عقل (هاري) ويرى أنك تعمل من أجله».

قال (سناب) باختصار: «أعرف». ثم اقترب من لوحة (دمبلدور) وسحب جزءًا من جانبها، فتأرجحت إلى الأمام، كاشفة عن فجوة مخفية وراءها، وأخرج من داخلها سيف (جريفندور).

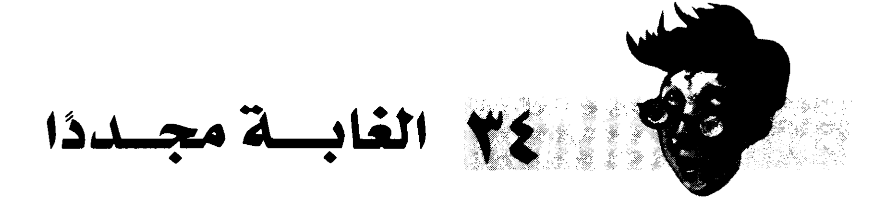
قال (سناب) وهو يرتدي عباءة السفر فوق ملابسه: «ألازلت مصممًا على عدم إخباري عن السبب الذي يجعل إعطاء السيف لـ (هاري بوتر) مهمًّا؟».

قالت لوحة (دمبلدور): «لا، لا أظن ذلك، سيعرف هو ما عليه أن يفعله به. كن حذرًا يا (سيفيروس)، فهم لن يكونوا سعداء برؤيتك بعد مصيبة (جورج ويزلي)».

واستدار (سناب) متوجهًا نحو الباب.

وقال بلطف: «لا تقلق يا (دمبلدور)، لدي خطة..».

وترك (سناب) الغرفة. وصعد (هاري) خارجًا من البنسييف وبعد لحظات، وجد نفسه راقدًا على أرضية الحجرة المغطاة بالسجاد في نفس الغرفة التي أغلق (سناب) بابها لتوه.



٣٤ الغابـــة مجـددًا

أخيرًا، الحقيقة. وبينما كان (هارى) مستلقيا على وجهه فوق السجادة المتربة فى المكتب الذى ظن يومًا أنه يتعلم فيه أسرار الانتصار، أدرك أخيرًا أنه ليس من المفترض له أن ينجو. كانت مهمته أن يسير بهدوء نحو ذراعى الموت المرحبة، بينما يتخلص خلال الطريق من الروابط الباقية التى تربط (فولدمورت) بالحياة. وهكذا، عندما يلقى بنفسه أخيرًا فى طريق (فولدمورت)، ولا يرفع عصا للدفاع عن نفسه، ستأتى النهاية نظيفة وتنتهى المهمة التى كان ينبغى أن تنتهى فى جودريك هولو: لا أحد سيعيش، لا أحد يمكنه النجاة.

وشعر بقلبه ينبض بعنف داخل صدره. كم هو غريب أن يقوم قلبه بالضخ بقوة وشجاعة أكبر ليبقيه حيًا، فى أثناء شعوره بالفزع من الموت. ولكن عليه أن يتوقف قريبًا، إن الدقات الباقية له معدودة. كم سيتبقى أمامه من الوقت، عندما ينهض ويمشى عبر القلعة للمرة الأخيرة، ويخرج منها إلى الملاعب ثم يدخل إلى الغابة؟

وغمره الرعب وهو راقد على الأرض، بينما تدق الطبول الجنائزية بداخله. هل سيكون الموت مؤلمًا؟ فى كل هذه المرات التى ظن فيها أنه على وشك الموت، ونجا، لم يفكر أبدًا فى الموت ذاته، كانت رغبته فى الحياة دائمًا أقوى من خوفه منه. ومع ذلك لم يخطر فى باله الآن أن يحاول الهرب، أو الفرار من (فولدمورت). كان يعرف أن كل شىء انتهى، ولم يبق أمامه سوى الشىء ذاته: الموت.

لو أنه فقط مات فى تلك الليلة الصيفية التى ترك فيها المنزل رقم 4 فى شارع بريفت درايف للمرة الأخيرة، عندما أنقذته عصا ريشة العنقاء النبيلة! لو أنه فقط مات مثل (هيدويج)، بسرعة كبيرة لا يعلم معها بما حدث! أو لو أنه رمى بنفسه أمام عصا لينقذ شخصا يحبه... إنه يحسد حتى والديه على الطريقة التى ماتا بها الآن. إن المسير عامدًا نحو موته سوف يتطلب نوعًا آخر من الشجاعة. وشعر بأصابعه ترتجف قليلا وبذل مجهودًا للتحكم بها، رغم أن لا أحد يراه؛ جميع اللوحات على الجدران كانت خالية.

وجلس معتدلاً ببطء شديد. وبينما يفعل ذلك، شعر بأنه على قيد الحياة وأصبح واعيًا بجسده الحى أكثر من أى وقت مضى. لماذا لم يقدر أبدًا من قبل مدى ما يملكه من معجزات، مخ وأعصاب وقلب نابض؟ سيذهب كل ذلك الآن... أو على الأقل، سيذهب هو ويتركهم. وخرجت أنفاسه بطيئة وعميقة، وشعر بجفاف شديد فى فمه وحلقه ولكن كذلك كانت عيناه.

خيانة (دمبلدور) لم تعد شيئًا تقريبًا. بالطبع، كانت هناك خطة أكبر، ولكن (هارى) ببساطة كان غبيًا جدًا، فلم يدرك ذلك. إلا أنه أدركه الآن. وما شكَّ أبدًا فى افتراضه بأن (دمبلدور) يريده حيًا. ولكنه أدرك الآن أن مدة حياته كانت دائمًا محددة بالوقت الذى يلزم لتدمير كل الهوركروكسات. وقد ترك له (دمبلدور) مهمة تدميرهم، واستمر هو مطيعًا قطع الروابط، التى لا تربط (فولدمورت) وحده بالحياة، ولكن تربطه هو أيضًا! كم هو جميل ورائع ألا نضيع المزيد من الأرواح بأن نعطى المهمة الخطيرة إلى الولد الذى وسم بعلامة الموت بالفعل! والذى لن يكون موته خسارة، ولكن ضربة أخرى ضد (فولدمورت).

كان (دمبلدور) يعرف أن (هارى) لن يتراجع وأنه سيستمر إلى النهاية، حتى لو كانت نهايته هو؛ لأنه خاض عناء التعرف إليه، أليس كذلك؟ إن (دمبلدور) يعرف مثل (فولدمورت) تمامًا أن (هارى) لن يدع أحدًا آخر يموت من أجله، وخاصة بعد أن اكتشف أنه يستطيع إيقاف ذلك. وعادت إلى عقله صور (فريد) و(لوبين) و(تونكس) وهم ممددون موتى فى البهو العظيم، وللحظة لم يتمكن من التنفس؛ إن الموت دائمًا متعجل...

ولكن (دمبلدور) بالغ فى تقديره، لأنه فشل فى مهمته، ولاتزال الحية على قيد الحياة. لا يزال هناك هوركروكس يربط (فولدمورت) بالأرض، حتى بعد قتل (هارى)، وإن كان هذا سيسهل المهمة لشخص ما. وتساءل من سيقوم بها... سيعرف (رون) و(هرميون) ما عليهما فعله، بالطبع... هذا هو السبب الذى جعل (دمبلدور) يطلب منه أن يضع ثقته فى اثنين آخرين... وهكذا، لو أنه لاقى مصيره المحتم مبكرًا، فبوسعهما أن يكملا المهمة...

وانهمرت تلك الأفكار على السطح الجامد للحقيقة التى لا يمكن إنكارها، مثلما يتساقط المطر على نافذة باردة. الحقيقة أنه يجب أن يموت. يجب *أن أموت*. لابد أن ينتهى الأمر.

وبدا (رون) و(هرميون) بعيدين جدًا عنه، وكأنهما فى بلد بعيد لا يمكن الوصول إليه، وشعر كأنه قد انفصل عنهم منذ زمن بعيد. إنه مصمم على ألا يكون هناك وداع أو تفسيرات، فهذه رحلة لن يستطيعا الذهاب فيها معه وستتسبب محاولاتهم لمنعه فى إضاعة وقت ثمين. ونظر فى ساعته الذهبية التى كانت هدية عيد ميلاده السابع عشر. لقد مرت نصف ساعة تقريبًا من الساعة التى حددها (فولدمورت) لاستسلامه.

ووقف (هارى). وشعر بقلبه يقفز بين ضلوعه مثل طائر مجنون. وفكر أنه ربما يعرف أنه لم يعد أمامه سوى القليل من الوقت، ربما كان مصممًا على إنجاز عدد ضربات يكفى عمرًا بِأكمله قبل النهاية. ولم ينظر إلى الخلف وهو يغلق باب المكتب.

كانت القلعة خالية. وشعر وهو يسير فيها وحيدًا كما لو أنه شبح، كما لو أنه مات بالفعل. ولاحظ أن الأشخاص مازالوا مفقودين من داخل لوحاتهم. كان المكان كله مازال يبدو مفزعًا، وكأن كل دماء الحياة قد تركزت فى البهو العظيم، حيث يحتشد الموتى، والذين يبكونهم.

ووضع (هارى) عباءة التخفى عليه وهبط الأدوار، وأخيرًا، مشى نازلاً السلالم الرخامية إلى بهو الدخول. ربما كان جزء صغير منه يتمنى لو يشعر به، أو يراه أحد، ويمنعه ولكن العباءة ظلت كعهدها دائمًا منيعة، ومحكمة ووصل إلى الأبواب الأمامية بسهولة.

وكاد (نيفيل) أن يصطدم به. كان يحمل مع زميل له جسدًا من الملاعب إلى الداخل. ونظر (هارى) لأسفل وشعر بضربة قوية فى معدته: إنه (كولين كريفى)، رغم أنه مازال قاصرًا، لابد أنه تسلل عائدًا مثلما فعل (مالفوى) و(كراب) و(جويل). كان يبدو شديد الصغر وهو ميت.

قال (أوليفر وود): «أتعرف ماذا أستطيع أن أحمله وحدى يا (نيفيل)؟». ورفع (كولين) على كتفيه، كما يفعل رجال المطافئ، وحمله إلى داخل البهو العظيم.

واستند (نيفيل) على إطار الباب للحظة ومسح جبهته بظهر يده. وبدا كأنه رجل عجوز، ثم انطلق نازلاً السلالم ثانية عائدًا إلى الظلام ليستعيد المزيد من الجثث.

وألقى (هارى) نظرة أخيرة نحو مدخل البهو العظيم. ورأى الناس يتنقلون فى المكان وهم يحاولون تعزية بعضهم البعض، ويشربون، ويركعون بجوار الموتى. ولكنه لم ير أحدًا من الناس الذين يحبهم، لا أثر لـ (هرميون) أو (رون)

أو (جينى) أو أى شخص من (آل ويزلى)، أو حتى (لونا). وشعر بأنه مستعد للتخلى عن كل الوقت المتبقى له من أجل نظرة واحدة أخيرة لهم فقط، ولكن هل ستكون لديه القوة وقتها ليتوقف عن النظر إليهم؟ إن الأمر أفضل هكذا.

وتحرك نازلاً السلالم ومنها إلى الظلام. كانت الساعة الرابعة صباحًا تقريبًا وأشعره الهدوء المميت للملاعب كما لو أنهم يمسكون أنفاسهم، منتظرين ليرو إن كان سيمكنه فعل ما لابد أن يفعله.

واتجه (هارى) نحو (نيفيل)، الذى كان منحنيًا فوق جثة أخرى:

«(نيفيل)».

«يا إلهى يا (هارى)، لقد كدت أن تسبب لى أزمة قلبية!».

ورفع (هارى) العباءة عنه، لقد خطرت الفكرة له فجأة، ربما ولدت من رغبته للتأكد من الأمر تمامًا.

سأله (نيفيل) متشككًا: «إلى أين ستذهب وحدك؟».

قال (هارى): «إنه جزء من الخطة، هناك شىء لابد أن أفعله. استمع إلىَّ يا (نيفيل)».

ظهر الخوف فجأة على (نيفيل) وقال: «(هارى)! إنك لا تفكر فى تسليم نفسك يا (هارى)؟».

كذب (هارى) ببساطة: «لا، بالطبع لا... إنه شىء آخر. ولكنى قد أبتعد عن الأنظار لفترة. هل تعرف حية (فولدمورت) يا (نيفيل)؟ إن لديه حية ضخمة... ويدعوها ناجينى..».

«لقد سمعت عنها، نعم... ماذا عنها؟».

«يجب أن تقتل. إن (رون) و(هرميون) يعرفون ذلك، ولكن فى حالة أنهم..».

وخنقته فظاعة هذا الاحتمال للحظة، وجعلت من المستحيل أن يكمل كلامه. ولكنه تمالك نفسه مرة أخرى: إن هذا أمر قاطع، لا بد أن يكون مثل (دمبلدور)، ويحتفظ بذهن هادئ ويتأكد من وجود أشخاص آخرين ليستكملوا المهمة. لقد مات (دمبلدور) وهو يعلم أن هناك ثلاثة أشخاص يعرفون عن الهوركروكسات؛ والآن، سيحل (نيفيل) مكان (هارى): وبذلك سيكون مازال هناك ثلاثة يعرفون السر.

«فى حالة انشغالهم وأنت لديك الفرصة».

«أقتل الحية؟».

كرر (هـارى): «اقتل الحية».
«حسنًا يا (هـارى)، إنك بخير، أليس كذلك؟».
«أنا بخير. شكرا يا (نيفيل)».
ولكن (نيفيل) أمسك بمعصم (هـارى) عندما بدأ يتحرك.
«سنستمر جميعًا فى القتال يا (هـارى). أنت تعلم ذلك؟».
«نعم، أنا..».
منعه الشعور بالاختناق من إكمال جملته، لم يستطع الاستمرار فى الكلام. وبدا على (نيفيل) أنه لم يجد ذلك شيئًا غريبًا، فقد ربت على كتف (هـارى) وترك يده ومشى مبتعدًا ليبحث عن المزيد من الجثث.
ورمى (هـارى) بالعباءة على نفسه واستأنف المشى. ورأى شخصًا ما يتحرك قريبًا منه، وينحنى لينظر إلى شخص آخر ممدد على الأرض. وعندما أصبح (هـارى) على بعد قدم واحد منها، أدرك أنها (جينى).
وتوقف عن إكمال طريقه. ورآها منحنية فوق فتاة تهمس منادية لأمها.
وسمع (جينى) تقول لها: «إن الأمر على ما يرام. ستكونين بخير. سننقلك إلى الداخل الآن».
وهمست الفتاة: «ولكننى أريد الذهاب إلى *البيت*. لا أريد أن أقاتل أكثر من ذلك!».
قالت (جينى) بصوت منكسر: «أعلم، كل شىء سيكون على ما يرام».
وشعر (هـارى) بموجات من الصقيع تجتاح جلده. وأراد أن يصرخ خلال الليل، أراد أن تعرف (جينى) أنه هنا، أرادها أن تعرف إلى أين سيذهب. أراد أن يوقفه أحد، أن يعيده، أن يرسلوه إلى البيت...
ولكنه كان فى بيته. (هوجوورتس) هى أول وأفضل بيت عرفه. هو و(فولدمورت) و(سناب)، وكل الأولاد المتروكين، كلهم وجدوا البيت هنا...
وشاهد (جينى) تركع بجوار الفتاة الجريحة، وتمسك بيدها. وبذل جهدًا كبيرًا ليرغم نفسه على المضى قدمًا. وظن أنه رأى (جينى) تنظر حولها وهو يمر وتساءل إن كانت شعرت بأحد يمشى بالقرب منها، ولكنه لم يتكلم ولم ينظر إلى الخلف.
وظهر كوخ (هاجريد) وسط الظلام. ولم ير أى ضوء أو يسمع صوت (فانج) يخربش فى الباب، وينبح مرحبًا بهم. وتذكر زياراتهم لـ(هاجريد)، وبخار الغلاية النحاسية على النار، والكعك الحجرى والديدان العملاقة، ووجهه الكبير الذى تغطيه اللحية، و(رون) وهو يتقيأ الدود و(هرميون) وهى تساعده على إنقاذ (نوربيرت)...

وتحرك إلى الأمام حتى وصل إلى أطراف الغابة، وتوقف.

ورأى مجموعة من الديمنتورات تنزلق بين الأشجار، وشعر بالبرودة التى يسببونها. لم يكن متأكدًا إن كان يستطيع المرور بينهم بأمان. لم تعد لدية قوة للباتروناس. ولا يمكنه أن يمنع نفسه من الارتجاف أكثر من ذلك. فلم يكن الموت شيئًا سهلاً على أية حال. وبدت كل ثانية يتنفس فيها ورائحة الحشائش فى أنفه والهواء البارد على وجهه كلها أشياء غالية جدًا. وفكر بأن الناس لديهم أعوام وأعوام ليعيشوها، الكثير من الوقت ليضيعوه، بينما يتمسك هو بكل ثانية. وفى نفس اللحظة شعر بأنه لن يتمكن من الاستمرار، ولكنه يعرف أنه لابد أن يفعل. المباراة الطويلة انتهت، وتم الإمساك بالسنيتش، وحان الوقت لترك الهواء...

السنيتش. تحسس الجِراب المعلق حول عنقه بأصابعه الواهنة، وأخرجها...

افتح فى الختام.

وأخذ يتنفس بسرعة وصعوبة، وهو يحدق فى السنيتش. وشعر أن الوقت يتسارع، الآن عندما أصبح يريده أن يمضى بأبطأ ما يمكن، وتدفق الفهم بسرعة إليه، حتى بدا وكأنه يسبق التفكير. هذا هو الختام. هذه هى اللحظة.

وضغط المعدن الذهبى على شفتيه وهمس: «أنا على وشك الموت».

انفتح الغطاء المعدنى. ورفع عصا (دراكو) تحت العباءة بيد مرتجفة وتمتم: «*لوموس*».

وظهر الحجر الأسود بشقه المسنن الذى يدور حول منتصفه، بين نصفى السنيتش. ووجد حجر البعث مشقوقًا مكان الخط الرأسى الذى يمثل عصا الكبير، بينما المثلث والدائرة اللذان يمثلان عباءة الإخفاء والحجر مازالا مرئيين.

وتدفق الفهم فى عقل (هارى) مرة أخرى دون أن يفكر. ليس من المهم أن يعيدهم؛ لأنه على وشك اللحاق بهم. إنه لا يحضرهم فعلاً، إنهم هم من سيحضرونه.

وأغمض عينيه، وأدار الحجر فى يده ثلاث مرات.

وعرف أنه حدث؛ لأنه سمع أصوات تحركات خفيفة حوله، تدل على أن أجسامًا ضعيفة تحرك أقدامها على الأرض المغطاة بالأغصان بأطراف الغابة الخارجية. وفتح عينيه ونظر حوله.

ورآهم، لم يكونوا أشباحًا ولا هم بالأجساد الحقيقية أيضًا. كانوا أقرب ما يكون إلى (ريدل) الذى هرب من المفكرة منذ وقت طويل، والذى كان عبارة عن ذاكرة

أصبحت كأنها حقيقة تقريبًا. بدت أجسامهم أقل مادية من الأجسام الحية، ولكنها أكثر من الأشباح بكثير، وتحركوا باتجاهه، وعلى وجه كل واحد منهم نفس الابتسامة المحبة.

كان (جيمس) بطول (هارى) تمامًا، ويرتدى نفس الملابس التى مات بها وشعره غير مرتب، وبدت نظاراته مائلة قليلاً كنظارة السيد (ويزلى).

وبدا (سيريوس) طويلاً ووسيمًا وأصغر بكثير مما سبق لـ (هارى) رؤيته فى أثناء حياته. وكان يقفز بخفة ويداه فى جيبه وابتسامة فوق وجهه.

وبدا (لوبين) أصغر أيضًا، وأفضل هندامًا، وشعره أكثر كثافة وسوادًا. وبدا أنه سعيد بعودته فى هذا المكان المألوف الذى شهد الكثير من تجوالهم فى أثناء المراهقة.

وبدت ابتسامة (ليلى) أكثر اتساعًا منهم جميعًا. ودفعت شعرها الطويل للخلف وهى تتقدم نحوه، وأخذت عيناها الخضراوان، والتى تشبه عينيه كثيرًا، تحدق فى وجهه بنهم، وكأنها لن تتمكن من الاكتفاء بالنظر إليه أبدًا.

«لقد كنت شجاعا جدًا».

لم يستطع الكلام، وعيناه مثبتتان على عينيها. وظلت عيناه تنظر إلى عينيها، وشعر أنه يود أن يقف وينظر إليها إلى الأبد، وأن ذلك سيكون كافيًا.

قال (جيمس) : «لقد كدت تصل. اقتربت جدًا. نحن... فخورون بك جدًا».

قال (هارى) : «هل يؤلم؟».

اندفع السؤال الطفولى من بين شفتى (هارى) قبل أن يتمكن من إيقافه.

قال (سيريوس): «الموت؟ لا يؤلم بالمرة. إنه أسرع وأسهل من النوم».

قال (لوبين): «وسيرغب هو فى جعله سريعًا، لأنه يريد إنهاء الأمر».

قال (هارى): «لم أرد لك الموت، ولا لأى واحد منكم، أنا آسف..». خرجت الكلمات بدون أن يستطيع منعها.

كان حديثه موجهًا إلى (لوبين) أكثر من أى واحد منهم، متوسلاً إليه.

«بعد أن أنجبت ابنك مباشرة... أنا آسف يا ريموس».

قال (لوبين): «أنا آسف أيضًا. آسف لأننى لن أعرفه أبدًا... ولكنه سيعرف لماذا مت، وآمل أن يتفهم الأمر. لقد كنت أحاول صنع عالم يمكنه أن يعيش فيه حياة سعيدة».

هبت نسمة باردة، تبدو آتية من قلب الغابة، ورفعت الشعر عن جبهة (هارى). كان (هارى) عرف أنهم لن يطلبوا منه الذهاب، وأن هذا يجب أن يكون قراره هو.

«هل ستبقون معى؟».

قال (جيمس): «حتى النهاية».

سأل (هارى): «لن يتمكنوا من رؤيتكم؟».

قال (سيريوس): «نحن جزء منك ولن يرانا شخص آخر».

نظر (هارى) إلى أمه.

وقال بهدوء: «ابقى بالقرب منى».

وبدأ يمشى. لم تؤثر عليه برودة الديمنتورات، مر عبرها مع رفاقه. كانوا كالباترونااسات من أجله، ومشوا معًا عبر الأشجار العجوز التى نمت متقاربة وتشابكت أغصانها والتوت جذورها تحت أقدامهم. وأمسك (هارى) العباءة حوله بإحكام وسط الظلام، وهو يتوغل أكثر وأكثر إلى الغابة، بينما لا توجد لدية فكرة عن مكان (فولدمورت) بالتحديد، ولكنه كان واثقا من أنه سيعثر عليه. ومشى بجواره (جيمس) و(سيريوس) و(لوبين) و(ليلى) دون أن يصدر عنهم صوت يذكر. وشعر (هارى) أنه يستمد شجاعته من وجودهم وأنه السبب الذى مكنه من المتابعة فى وضع القدم أمام الأخرى.

وشعر بأن جسده وعقله غير متصلين الآن، وكأن أطرافه تعمل بدون أمر واعٍ منه، كما لو أنه مجرد مسافر، وليس السائق للجسد الذى يوشك على مغادرته. وبدا الموتى الذين يسيرون بجواره عبر الغابة حقيقيين بالنسبة له أكثر من الأحياء فى القلعة: وشعر أن (رون) و(هرميون) و(جينى) والآخرين جميعا هم الأشباح الآن وهو يتعثر وينزلق نحو نهاية حياته، نحو (فولدمورت)...

وسمع ضربة وهمس: وبدا أن هناك بعض الكائنات الحية تحركت فى مكان قريب. وتوقف (هارى) تحت العباءة وأخذ يتلفت حوله منصتًا، وتوقف والده ووالدته و(لوبين) وسيريوس أيضًا.

وسمعوا صوتًا حادًا يهمس من مكان قريب: «هناك شخص ما هنا. إنه يملك عباءة إخفاء. هل يمكن أن؟».

وظهر شخصان من خلف شجرة قريبة، وعصاهما متوهجتان، ورأى (هارى) (ياكسلى) و(دولوهوف) يحدقون فى الظلام نحو المكان الذى يقف فيه (هارى) ومعه والدته ووالده وسيريوس و(لوبين). وبدا واضحًا أنهما لا يستطيعان رؤية أى شىء.

قال (ياكسلى): «أنا واثق أننى سمعت شيئًا، هل تظن أنه حيوان ما؟».

قال (دولوهوف) وهو ينظر من فوق كتفه: «ذلك الأحمق (هاجريد) يحتفظ بمجموعة من الأشياء هنا».

نظر (ياكسلى) إلى ساعته.

«لقد انتهى الوقت تقريبًا، وحصل (بوتر) على ساعته. لن يأتى».

«كان واثقًا من مجيئه! لن يكون سعيدًا».

قال (ياكسلى): «من الأفضل أن نعود لنعرف ما الخطة الآن».

واستدار هو و(دولوهوف) ومشيا إلى داخل الغابة. وتبعهما (هارى) وهو يعرف أنهما سيقودانه إلى حيث يريد الذهاب. وتلفت إلى جواره، ليرى والدته تبتسم له، ووالده يومئ برأسه مشجعًا له.

ومشوا لعدة دقائق حتى رأى (هارى) ضوءًا أمامه، وتقدم ياكسلى ودولوهوف داخلين إلى منطقة خالية من الأشجار وعرف (هارى) أنه المكان الذى كان يعيش فيه الوحش أراجوج من قبل. كانت بقايا شبكاته العنكبوتية الضخمة لا تزال موجودة، لكن آكلى الموت قد سيطروا على أسراب العناكب المنحدرين من سلالته وأخرجوهم ليقاتلوا من أجلهم.

كانت هناك نيران مشتعلة وسط المكان، بينما يسقط ضوءها المرتجف فوق حشد صامت منتبه من آكلى الموت، بدا بعضهم لايزال مرتديًا قناعه وغطاء رأسه، بينما كشف آخرون عن وجوههم. وجلس عملاقان على أطراف المجموعة، ملقين ظلالاً ضخمة فوق المشهد بوجوههم القاسية وكأنها نحتت من الصخر. ورأى (هارى) فينرير متواريًا وهو يمضغ أظافره الطويلة؛ ورولى الأشقر الضخم يعض على شفته التى تنزف. ورأى لوشيوس مالفوى الذى بدا مهزومًا ومرعوبًا ونارسيسا بعينيها الغائرتين الممتلئتين بالخوف.

وبدت كل العيون مركزة على (فولدمورت) الذى وقف حانيا رأسه، ويده البيضاء مغلقة على عصا الكبير أمامه. ربما كان يدعو، أو يحسب بصمت فى ذهنه. وفكر (هارى) بسخافة، وهو يقف ساكنًا يراقب المشهد، أنه يشبه طفلاً يعد فى لعبة الاختفاء. ورأى خلف رأسه، الحية الضخمة ناجينى تتلوى وتلتف حوله وهو يطفو فى الهواء داخل قفصه المسحور اللامع مثل الهالة ضخمة.

وما إن انضم دولوهوف وياكسلى إلى الدائرة، حتى نظر (فولدمورت) نحوهم.

قال دولوهوف: «لا أثر له يا مولاى».

لم يتغير تعبير وجه (فولدمورت). وبدت عيناه الحمراوان كما لو كانتا تحترقان فى ضوء النار. وسحب عصا الكبير بين أصابعه الطويلة.

«مولاى».

تكلمت (بيلاتريكس) التى كانت تجلس بالقرب من (فولدمورت)، شعرها مشعث، ووجهها دامٍ قليلا، ولكنها عدا ذلك بدت سليمة.

ورفع (فولدمورت) يده لإسكاتها، فلم تنطق بكلمة أخرى، ولكنها ظلت تنظر إليه بافتتان أقرب للعبادة.

قال (فولدمورت) بصوته العالى الواضح وعيناه على النيران المتقافزة: «ظننت أنه سيأتى، توقعت منه أن يأتى».

لم ينطق أحد منهم. بدَوا جميعًا خائفين بقدر خوف (هارى) الذى شعر بأن قلبه يرمى بنفسه نحو ضلوعه، وكأنه مصمم على الهروب من الجسد الذى أوشك على السقوط. كانت يداه تعرقان وهو يسحب عباءة الإخفاء ويضعها تحت ملابسه مع عصاه السحرية. لم يكن يريد أن يتم إغراءه ليقاتل.

قال (فولدمورت): «لقد كنت، كما يبدو... مخطئًا».

«لم تكن».

قال (هارى) ذلك بأعلى ما يمكنه، وبكل ما يملكه من قوة: لم يرد أن يبدو خائفا. وانزلق حجر البعث من بين أصابعه التى أصابها الخدر، وبينما هو يخطو نحو ضوء النيران، رأى من زاوية عينيه والديه وسيريوس و(لوبين) وهم يختفون. وشعر فى تلك اللحظة بأن لا شخص آخر يهم سوى (فولدمورت). كانا هما الاثنين فقط.

واختفى الوهم بنفس السرعة التى تكون بها، وزأر العملاقان بينما وقف آكلو الموت جميعًا معًا، وسمع (هارى) العديد من الصيحات والشهقات، وحتى بعض الضحكات. وتجمد (فولدمورت) فى المكان الذى يقف فيه، ولكن عيناه الحمراوان وجدا (هارى) وأخذ يحدق فى (هارى) وهو يتقدم نحوه، حتى لم يعد بينهما سوى النيران.

ثم صاح صوت:

«(هارى!) لا!».

التفت (هارى) ليرى (هاجريد) مقيدًا إلى شجرة قريبة. بينما يهز جسده العملاق الأغصان فوق رأسه وهو يكافح بيأس محاولاً تحرير نفسه.

«**لا! لا! يا (هارى)، ما أنت؟**».

صاح رولى: «صمتًا!». وبحركة من عصاه صمت (هاجريد).

كانت (بيلاتريكس)، التى قفزت واقفة على قدميها تنظر بترقب من (فولدمورت) إلى (هارى)، وهى تلهث. لم يكن هناك شيء يتحرك فى المكان سوى ألسنة النيران والحية التى كانت تلتف وتنبسط داخل القفص اللامع خلف رأس (فولدمورت).

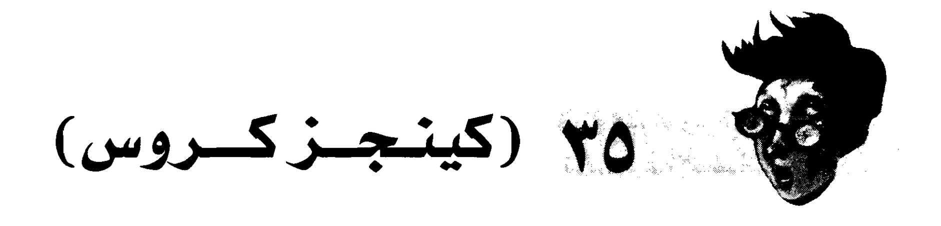
وشعر (هارى) بعصاه أمام صدره، ولكنه لم يقم بأى محاولة لسحبها. كان متأكدًا أن الحية محمية تمامًا، ويعلم أنه حتى لو نجح فى تصويب عصاه نحو ناجينى، فإن خمسين لعنة ستصيبه أولا. وظل (فولدمورت) و(هارى) يتبادلان النظرات فى سكون، حتى أحنى (فولدمورت) رأسه قليلاً نحو الجانب، متأملاً الفتى الذى يقف أمامه، وتقوس فمه الذى بلا شفتين فى ابتسامة غريبة خالية من الرحمة.

وقال بنعومة شديدة كما لو كان صوته جزءًا من فرقعة النيران: «هارى بوتر، الصبى الذى نجا».

لم يتحرك أحد من آكلى الموت. وبدوا منتظرين، كل شيء ينتظر. كان (هاجريد) لازال يكافح لتخليص نفسه، و(بيلاتريكس) تلهث، بينما اتجهت أفكار (هارى) بدون تفسير نحو (جينى) ونظرتها المتوهجة وملمس شفتيها على شفتيه.

ورفع (فولدمورت) عصاه، بينما ظلت رأسه مائلة إلى الجانب قليلا، كطفل فضولى، يتساءل ماذا سيحدث إذا تابع. ونظر (هارى) مجددًا نحو العينين الحمراوين، أراد أن ينتهى الأمر الآن، سريعًا، بينما لازال يمكنه الوقوف، قبل أن يفقد السيطرة على نفسه، وقبل أن يخونه الخوف.

ورأى الفم يتحرك ووميض ضوء أخضر، ثم اختفى كل شيء.



٣٥ (كينجز كروس)

كان مستلقيًا على وجهه، يستمع إلى الصمت. وشعر أنه وحيد تمامًا. لا أحد يراقبه. لم يكن هناك أحد غيره، بل إنه لم يكن متأكدًا تمامًا من وجوده هو نفسه هناك.

وبعد وقت طويل، أو لا وقت على الإطلاق، خطر بباله أنه لابد أن يكون موجودًا، لابد أنه أكثر من مجرد فكرة بدون جسد؛ لأنه كان مستلقيًا، بكل تأكيد مستلق، على سطح ما. وهو يشعر بملمس ذلك السطح. إذن، لابد أن هذا الشيء الذى يرقد عليه موجود أيضًا.

وما إن وصل إلى هذا الاستنتاج، حتى أدرك أيضًا أنه عارٍ، ولكن هذا لم يزعجه؛ لأنه كان متأكدا من أنه وحيد تمامًا، لكنه أثار فضوله قليلاً. وتساءل إن كان يستطيع الرؤية كما يستطيع الشعور. واكتشف أن لديه عينين عندما فتحهما.

كان يرقد وسط ضباب متوهج، لكنه لا يشبه أى ضباب عرفه من قبل. لم يكن المكان حوله مختفيًا خلف غيوم ضبابية، أو ربما لم تتشكل الغيوم الضبابية بعد، حتى تخفى ما حوله. وبدت الأرضية التى يرقد عليها بيضاء، لم تكن دافئة ولا باردة، وإنما عبارة عن شيء فارغ مسطح يمكن أن يرقد عليه.

وجلس. كان جسده يبدو سليمًا. ولمس وجهه؛ لم يكن يرتدى نظارته.

وصلت إليه ضجة عبر الفضاء عديم الشكل الذى يحيط به: صوت خبطات ناعمة ضعيفة لشيء يخفق ويدق ويناضل. كان صوتًا مثيرًا للشفقة، وإن بدا غير مريح قليلا. وتكون لديه شعور مزعج بأنه يختلس السمع إلى شيء خفى مخزٍ.

وتمنى للمرة الأولى، لو كان مرتديًا لثيابه.

وما إن تشكلت هذه الأمنية فى رأسه، حتى ظهرت ملابس على مقربة منه. وأخذها وارتداها: كانت ناعمة ونظيفة ودافئة. وفكر كم من الغريب ظهورها بهذه البساطة فى اللحظة التى أرادها فيها...

ووقف، ونظر حوله. وفكر. هل هو فى حجرة طلب كبيرة؟ وكلما أطال النظر فيما حوله، رأى أشياء أكثر. ورأى سقفًا زجاجيًا كبيرًا مقببًا يتألق تحت ضوء الشمس فوقه. ربما كان فى قصر ما. كان كل شيء حوله هادئًا وساكنًا، باستثناء ذلك الضجيج العجيب والنشيج القادم من مكان ما قريب وسط الضباب...

وتلفت (هارى) ببطء حوله، وبدا كما لو أن الأشياء المحيطة به تتشكل أمام عينيه، كان محاطًا بمساحة واسعة مفتوحة ومتألقة ونظيفة؛ قاعة أكبر بكثير من البهو العظيم، لها سقف زجاجى مقبب شفاف. وبدا المكان خاليًا تمامًا، ليس به شخص سواه.

وتراجع فجأة، عندما رأى الشيء الذى يصدر الضجيج. بدا فى صورة طفل صغير عارٍ متكور على الأرض، وله جلد مسلوخ خشن. كان يرتعد تحت المقعد حيث تم تركه، غير مرغوب فيه، رغبة فى إبعاده عن الأنظار، وهو يكافح من أجل أخذ نفسه.

وشعر بالخوف منه، ولم يرغب فى الاقتراب منه، رغم أنه بدا صغيرًا وضعيفًا وجريحًا. ولكنه اقترب ببطء وهو متأهب للقفز إلى الوراء فى أى لحظة. وبعد قليل، أصبح قريبًا بما يكفى لكى يلمسه، لكنه لم يستطع دفع نفسه ليقوم ذلك. وشعر بأنه جبان وفكر أن عليه أن يخفف عنه، ولكنه لم يستطع ذلك.

«لا يمكنك المساعدة».

والتفت وراءه بسرعة، فوجد (ألباس دمبلدور) يسير نحوه بخفة ونشاط واستقامة، وهو يرتدى عباءة بلون زرقة السماء فى منتصف الليل.

وفتح ذراعيه على وسعيهما وبدت كلتا يديه سليمتين وقال: «(هارى)، إنك فتى رائع. أنت شجاع، رجل شجاع حقًا. دعنا نمشى».

وتبعه (هارى) وهو مذهول وهو يخطو مبتعدًا عن الطفل المسلوخ الباكى، وقاده (دمبلدور) إلى مقعدين، لم يسبق لـ (هارى) ملاحظتهما، موضوعين على بعد قريب تحت السقف العالى اللامع. وجلس (دمبلدور) فى أحدهما، بينما رمى (هارى) نفسه فى الآخر، وهو يحدق فى وجه ناظر مدرسته العجوز. وبدا (دمبلدور) بشعره ولحيته الطويلين الفضيين، وعينيه الزرقاوين الثاقبتين وراء نظارته نصف الدائرية، وأنفه المكسور، وكل شيء فيه كما يذكره. ولكن...

قال (هارى): «ولكنك ميت».

قال (دمبلدور) بلهجة تقرير واقع: «أوه، نعم».

«إذن... أنا ميت أيضًا؟».

قال (دمبلدور) وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «آه، هذا هو السؤال، أليس كذلك؟ وعلى العموم، يا فتاى العزيز، لا أعتقد ذلك».

ونظروا إلى بعضهما البعض، والرجل العجوز لايزال يبتسم.

كرر (هارى): «لا؟».

قال (دمبلدور): «لا».

رفع (هارى) يده غريزيًا نحو الندبة التى تشبه البرق فى جبهته، والتى بدت غير موجودة وقال: «لكن... ولكن كان يجب أن أموت، فأنا لم أدافع عن نفسى! لقد قصدت أن أتركه يقتلنى!».

قال (دمبلدور): «وهذا، كما أظن، هو ما أحدث كل الفرق».

بدت السعادة تشع من (دمبلدور) مثل الضوء؛ أو مثل النار. لم يسبق لـ (هارى) أن رأى الرجل فرحا بهذا الشكل من قبل.

قال (هارى): «اشرح لى».

قال (دمبلدور) وهو يشبك إبهاميه معًا: «ولكنك تعلم ذلك بالفعل».

قال (هارى): «لقد تركته يقتلنى، ألم أفعل ذلك؟».

قال (دمبلدور) وهو يومئ برأسه: «لقد فعلت، أكمل!».

«إذن، فذلك الجزء من روحه الذى كان بداخلى..».

أومأ (دمبلدور) بحماس أكبر، ليحث (هارى) على الاستمرار وقد ارتسمت ابتسامته عريضة مشجعة على وجهه.

«... هل ذهب؟».

قال (دمبلدور): «أوه، نعم! نعم، لقد دمره. لقد أصبحت روحك كاملة وكلها ملكك يا (هارى)».

«ولكن إذن..».

ونظر (هارى) من فوق كتفه إلى المخلوق الصغير المشوه الذى يرتجف تحت المقعد.

«ما هذا يا أستاذ؟».

قال (دمبلدور): «شىء لا يمكن لكلينا مساعدته».

وبدأ (هارى) مجددًا: «ولكن إذا استخدم (فولدمورت) اللعنة القاتلة، ولم يمت أحد من أجلى هذه المرة، فكيف يمكننى أن أكون حيًا؟».

قال (دمبلدور): «أعتقد أنك تعلم، فكر مرة أخرى. تذكر ما فعله، فى غمرة جهله وجشعه وقسوته».

وفكر (هارى). وأخذت عيناه تتجولان فى المكان الذى يحيط به. لو كان المكان الذى يجلسان فيه قصرًا حقًا، فإنه قصر غريب، كانت به .مقاعد موضوعة فى صفوف قصيرة. وهناك أجزاء من قضبان حديدية هنا وهناك، ومع ذلك، كان هو و(دمبلدور) والمخلوق المصعوق تحت الكرسى الأشخاص الوحيدين فى المكان، ثم قفز الجواب إلى شفتيه بسهولة، ودون أى جهد.

قال (هارى): «لقد أخذ دمى».

قال (دمبلدور): «بالضبط! لقد أخذ دمك وأعاد بناء جسده الحى به! دمك يجرى فى عروقه يا (هارى)، حماية (ليلى) موجودة داخل كل منكم! لقد ربطك بالحياة ما دام هو حيا!».

«أنا أعيش... ما دام هو حيًا؟ ولكنى اعتقدت... اعتقدت أن الأمر العكس! اعتقدت أننا، نحن الاثنين، يجب أن نموت؟ أم أنه الأمر نفسه؟».

وشتته نشيج وخبط المخلوق المعذب خلفهما وعاد بنظره إليه من جديد.

«هل أنت متأكد أننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا؟».

«ليست هناك أى مساعدة ممكنة».

قال (هارى): «اشرح لى... أكثر». وابتسم (دمبلدور).

«كنت أنت الهوركروكس السابع يا (هارى)؛ الهوركروكس الذى لم يقصد أبدًا صنعه. لقد جعل روحه غير مستقرة، لدرجة أنها تحطمت عند ارتكابه تلك الأفعال الشريرة التى لا توصف، وقتله لوالديك ومحاولته لقتل طفل. ولكن ما هرب من هذه الغرفة كان أقل مما يظن، لقد ترك ما هو أكثر من جسده خلفه. لقد ترك جزءًا من روحه ملتصقًا بك، بالضحية التى نجت.

وبقى علمه غير مكتمل بصورة بائسة يا (هارى)! وهذا ما لم يقدره (فولدمورت) ولم يتعب نفسه فى محاولة فهمه. إن (فولدمورت) لا يعرف أو يفهم شيئًا عن الجنى المنزلى وحكايات الأطفال والحب والوفاء والبراءة، لا شىء على الإطلاق. إنه لم يفهم أبدًا حقيقة أن كل هذه الأشياء تملك قوة أكبر من قواه، وتفوق قوة أى سحر.

لقد أخذ دمك معتقدًا أنه سيزيد من قوته. لقد أدخل فى جسده جزءًا ضئيلاً من السحر الذى وضعته والدتك حولك عندما توفيت لأجلك. وأصبح جسده يُبْقِى

تضحيتها حية، وما دام السحر مستمرًا، ستبقى أنت ويبقى أمل (فولدمورت) الأخير لنفسه».

وابتسم (دمبلدور) لـ (هارى) وحدق (هارى) فيها.

«وكنت أنت تعلم ذلك؟ كنت تعلمه طوال الوقت؟».

قال (دمبلدور) بسعادة: «لقد خمنت. ولكن تخميناتى عادة جيدة». وجلسا فى صمت لفترة بدت طويلة، بينما استمر المخلوق وراءهما ينشج ويرتجف.

قال (هارى): «ولكن هناك المزيد، هناك المزيد على ذلك. لماذا دمرت عصاى؛ العصا التى اقترضها؟».

«لا يمكننى أن أجزم فيما يخص ذلك».

قال (هارى): «خمن إذن». وضحك (دمبلدور).

«ما يجب أن تفهمه يا (هارى)، أنك ولورد (فولدمورت) قد سافرتما معًا إلى عوالم سحرية لم تكن معروفة ولا مجربة حتى الآن. ولكن هذا ما أظن أنه حصل، وهى سابقة لا مثيل لها، ولا أعتقد أن هناك صانع عصى سحرية يمكنه أن يتنبأ بذلك، أو يستطيع تفسيره لفولدمورت».

«لقد ضاعف لورد (فولدمورت) الرابطة بينكما بدون أن يقصد عندما عاد لصورة البشر، كما تعرف الآن. كان جزء من روحه لا يزال ملتصقًا بروحك، ولتقوية نفسه، أخذ جزءًا من تضحية أمك إلى داخله. لو أنه تمكن من فهم القوة الرهيبة والدقيقة لتلك التضحية، ربما ما جرؤ على لمس دمك... ولكنه لو كان قادرًا على الفهم، لما أصبح لورد (فولدمورت)، وربما لم يكن ليقتل على الإطلاق.

وفى ظل وجود هذه الرابطة المزدوجة بينكما، وارتباط قدريكما معًا بقوة أكبر مما سبق بين أى ساحرين فى التاريخ، هاجمك (فولدمورت) بعصا سحرية لها نفس قلب عصاك. وعندها حدث شىء عجيب، كما نعلم. لقد تفاعلت قلوب العصوين بطريقة لم يتوقعها، لورد (فولدمورت) الذى لم يعرف أبدًا أن عصاك توءم لعصاه.

لقد كان أكثر خوفا منك فى تلك الليلة يا (هارى). لقد قبلت، وربما رحبت، باحتمال الموت، وهذا شىء لم يكن اللورد (فولدمورت) قادرًا على القيام به يومًا. لقد انتصرت شجاعتك، وتفوقت عصاك على عصاه. وفى أثناء ذلك، حدث شىء بين العصوين، شىء عكس صدى العلاقة بين صاحبيهما.

«وأعتقد أن عصاك قد تشربت بعضًا من قدرات وخصائص عصا (فولدمورت) فى تلك الليلة، وهو ما ترتب عليها احتواؤها على القليل من (فولدمورت) نفسه. وهكذا تعرفت عصاك عليه عندما طاردك فى تلك الليلة، تعرفت على الرجل الذى كان قريبًا وعدوًا لدودًا، ولذلك رمت العصا ببعض سحره ضده، سحر أقوى بكثير من أى شىء قامت به عصا لوشيوس من قبل. وأصبح لدى عصاك الآن قوة شجاعتك الهائلة ومهارات (فولدمورت) ذاته القاتلة. فما الفرصة التى تملكها عصا لوشيوس مالفوى المسكينة أمامك؟».

وسأل (هارى): «ولكن، لو كانت عصاى قوية بهذه الصورة، كيف إذن تمكنت عصا (هرميون) من كسرها؟».

قال (دمبلدور) برفق: «ولدى العزيز، تلك القوى الرائعة للعصا موجهة فقط نحو (فولدمورت) الذى تعامل بدون حكمة مع أعمق قوانين السحر. كانت العصا قوية بشكل يفوق الطبيعى ضده فقط. أما فى الأحوال الأخرى، فهى عصا كغيرها من العصى... مع أننى واثق أنها كانت جيدة».

وجلس (هارى) يفكر لفترة طويلة، أو ربما هى بضع ثوان. من الصعب جدًا التأكد من أمور مثل الوقت فى هذا المكان.

«قتلنى بعصاك».

صحح (دمبلدور) لـ (هارى): «*فشل* فى قتلك بعصاى، أعتقد أننا يمكننا أن نتفق على أنك لم تمت، لكننى بالطبع»، وأضاف وكأنه خائف من أن يكون فظًا: «لا أقلل من معاناتك، والتى أثق من أنها كانت شديدة».

قال (هارى) وهو ينظر إلى يديه النظيفتين السليمتين: «إننى أشعر أننى بخير تمامًا فى هذه اللحظة، أين نحن بالتحديد؟».

قال (دمبلدور) وهو ينظر حوله: «حسنًا، لقد كنت على وشك سؤالك عن هذا، أين تظن أننا موجودون؟».

لم يكن (هارى) يعلم ذلك حتى اللحظة التى سأل فيها (دمبلدور)، ولكنه وجد لديه جوابًا الآن.

قال ببطء: «تبدو مثل محطة كينجز كروس، ولكنها نظيفة وخالية، ولا توجد بها أى قطارات كما أرى».

ضحك (دمبلدور) بشدة وقال: «محطة كينجز كروس! يا إلهى، حقًا؟!».

سأل (هارى) بنبرة دفاعية قليلا: «حسنًا، أين تظن أننا موجودون إذن؟».

«ليس لدى أى فكرة يا ولدى العزيز. هذه، كما يقولون، حفلتك».

لم تكن لدى (هارى) أى فكرة عما يقصده؛ كان (دمبلدور) يغيظه. وحدق فيه، ثم تذكر سؤالاً أكثر إلحاحًا بكثير من مكانهم الحالى.

قال (هارى): «مقدسات الموت». وشعر بالسعادة عندما محت الكلمة الابتسامة عن وجه (دمبلدور).

قال (دمبلدور): «آه نعم؟». وظهر عليه بعض القلق.

«حسنًا؟».

وشعر (هارى) للمرة الأولى منذ التقى (دمبلدور) بأنه يبدو أقل من مجرد رجل عجوز، أقل بكثير. بدا مثل طفل صغير ضبط وهو يرتكب عملاً خاطئًا.

وقال: «هل يمكنك أن تغفر لى؟ هل يمكنك أن تغفر لى عدم ثقتى بك؟ وعدم إخبارك؟ (هارى)، لقد خشيت فقط أن تفشل كما فشلت أنا. خشيت أن ترتكب نفس أخطائى. أرجوك أن تسامحنى يا (هارى)، فقد عرفت منذ بعض الوقت أنك الرجل الأفضل».

سأل (هارى) وقد أجفلته لهجة (دمبلدور) والدموع فى عينيه: «ما الذى تتحدث عنه؟».

غمغم (دمبلدور): «المقدسات، مقدسات الموت، حلم رجل يائس!».

«ولكنها حقيقية!».

قال (دمبلدور): «حقيقية وخطيرة، ومغرية للحمقى، وقد كنت أنا مجرد أحمق. ولكنك تعرف، أليس كذلك؟ ليس لدى أى أسرار أخفيها عنك بعد الآن. أنت تعرف».

«ما الذى أعرفه؟».

وتحول (دمبلدور) بكامل جسده ليواجه (هارى)، والدموع لاتزال تتلألأ فى عينيه الزرقاوين اللامعتين.

«سيد الموت يا (هارى)، قهر الموت! هل كنت فى نهاية الأمر أفضل من (فولدمورت)؟».

قال (هارى): «طبعًا كنت أفضل. طبعًا! كيف يمكنك أن تسأل مثل هذا السؤال؟ إنك لم تقتل أحدًا أبدًا لو كان يمكنك تجنب هذا!».

قال (دمبلدور): «صحيح، صحيح». بدا كطفل يحتاج إلى الاطمئنان وأضاف: «ولكنى أيضًا بحثت عن طريقة لقهر الموت يا (هارى)».

قال (هارى): «ليس بالطريقة التى استخدمها هو». وشعر بمدى غرابة جلوسه هنا تحت هذا السقف العالى المقبب ليدافع عن (دمبلدور) ضد نفسه بعد كل غضبه عليه وأضاف: «مقدسات الموت ليست كالهوركروكسات».

غمغم (دمبلدور): «المقدسات وليس الهوركروكسات بالتحديد».

ومرت لحظة صمت، وسمع (هارى) الكائن يبكى ولكنه توقف عن الالتفات إليه.

وسأل: «كان (جريندلوالد) يبحث عنها أيضًا».

أغمض (دمبلدور) عينيه للحظة وأومأ برأسه.

وقال بهدوء: «لقد كان هذا هو أكثر شيء جمع بيننا. كنا صبيين عبقريين جمع بينهما هاجس واحد. لقد أراد المجيء إلى جودريك هولو من أجل قبر (إجنوتوس بيفريل)، أنا متأكد من أنك خمنت ذلك، أراد استكشاف المكان الذى مات فيه الأخ الثالث».

سأل (هارى): «الأمر صحيح إذن؟ كله صحيح؟ الإخوة (بيفريل)..»

قال (دمبلدور) وهو يومئ برأسه: « ـ كان الإخوة الثلاثة فى القصة. أوه، نعم، أعتقد ذلك. ولكننى لا أعتقد فى قصة لقائهم بالموت فى طريق معزول... أظن أنهم على الأرجح كانوا سحرة موهوبين وخطرين، نجحوا فى صنع تلك الأشياء القوية، أما قصة كونها مقدسات تخص الموت، فتبدو لى نوعًا من الأساطير التى عادة ما تنشأ حول هذا النوع من الابتكارات المبهرة..».

«العباءة، كما لابد أنك تعلم الآن، وُرثت عبر العصور، من الأب إلى الابن، ومن الأم إلى ابنتها، حتى وصلت إلى آخر حفيد لـ (إجنوتوس)، والذى ولد مثله فى قرية جودريك هولو».

وابتسم (دمبلدور) لـ (هارى).

«أنا؟».

«نعم أنت. وأنا أعرف أنك خمنت لماذا كانت العباءة معى فى الليلة التى مات فيها والداك. كان (جيمس) قد أرانى إياها قبل ذلك بعدة أيام. وقد أوضحت الكثير من أخطائه التى لم تكن تكتشف أيام كان فى المدرسة! لم أستطع تصديق ما أراه. وطلبت منه استعارتها، حتى يمكننى فحصها. كنت قد تخليت عن حلم تجميع المقدسات منذ زمن طويل، ولكنى لم أستطع المقاومة، لم أستطع منع نفسى من فحصها عن قرب... لقد كانت عباءة لم أر مثيلاً لها، شديدة القدم، ولكنها ممتازة من جميع النواحى... ثم مات أبوك، وأصبح أخيرًا لدىَّ اثنان من المقدسات لى وحدى!».

كانت نبرة صوته شديدة المرارة.

قال (هارى) بسرعة: «لم تكن العباءة لتساعدهم على النجاة. كان (فولدمورت) يعلم مكان أمى وأبى. والعباءة لم تكن لتجعلهما محصنين ضد اللعنات».

تنهد (دمبلدور) وقال: «صحيح، صحيح».

انتظر (هارى)، ولكن (دمبلدور) لم يتكلم، فقام بحثه على الكلام.

«كنت إذن قد تخليت عن البحث عن الآثار عندما رأيت العباءة؟».

قال (دمبلدور) بخفوت: «أوه، نعم». وبدا كأنه أجبر نفسه على النظر لعينى (هارى). وأضاف: «أنت تعلم بما حدث. لا يمكنك أن تحتقرنى أكثر مما أحتقر نفسى».

«لكننى لا أحتقرك».

قال (دمبلدور): «إذن، فعليك ذلك» وأخذ نفسًا عميقًا وأكمل: «تعلم سر ضعف صحة أختى الصغيرة، وما فعله هؤلاء العامة بها وكيف أصبحت بعدها. وتعرف كيف سعى أبى المسكين نحو الانتقام، وكيف دفع الثمن، ومات فى (أزكابان). وتعرف كيف تخلت أمى عن حياتها حتى تقوم برعاية (أريانا).

«ولكننى تضايقت من كل ذلك يا (هارى)».

قال (دمبلدور) ذلك بصراحة، وبرود. كان ينظر الآن من فوق رأس (هارى)، نحو البعد.

«لقد كنت موهوبًا عبقريًّا. أردت الفرار، أردت التألق. أردت المجد».

«لا تسئ فهمى»، وكسا الألم وجهه، فبدا عجوزًا جدًّا مرة أخرى وأضاف: «لقد أحببتهم. أحببت والدى، وأحببت أخى وأختى، ولكنى كنت أنانيًّا يا (هارى)، أكثر أنانية مما يمكنك أن تتخيل، فأنت شخص خالٍ من الأنانية تمامًا».

«ولذلك، عندما ماتت أمى، وتركت لى مسئولية أخت محطمة وأخ متمرد، عدت إلى قريتى وأنا ملىء بالغضب والمرارة. وظننت أننى سأظل محاصرًا ومهدر القدرات! وعندها بالطبع، جاء هو..».

نظر (دمبلدور) مباشرة فى عينى (هارى) ثانية.

«(جريندلوالد). لا يمكنك أن تتخيل كيف استهوتنى أفكاره وأثارتنى. إجبار العامة على الخضوع لنا. ونصبح، نحن السحرة، السادة المظفرين، و(جريندلوالد) وأنا القائدين الشابين العظيمين للثورة.

«صحيح أنه كانت لدى بعض الشكوك، لكننى هدأت ضميرى بكلمات جوفاء. بأن ذلك كله سيكون من أجل المصلحة العامة، وأن أى ضرر سيحدث، سيتم إصلاحه مائة مرة بالفوائد التى سيجنيها السحرة. هل عرفت فى أعماقى ما كان عليه (جيليرت جريندلوالد)؟ أعتقد أننى عرفت، ولكنى أغلقت عينى. لو أثمرت الخطط التى وضعتها، ستتحقق معها كل أحلامى».

«وكانت مقدسات الموت فى قلب مخططاتنا! كم كانت تفتنه، كم كانت تفتن كلينا! العصا التى لا تهزم، السلاح الذى سيقودنا إلى السلطة! حجر البعث بالنسبة له، رغم تظاهرى بعدم المعرفة، كان يعنى جيشًا من الأنفيرى! بالنسبة لى، أعترف، بأنه كان يعنى عودة والدى، ورفع كل المسئوليات عن كاهلى».

«والعباءة... لسبب ما، لم نكن نناقش أبدًا موضوع العباءة يا (هارى). كلانا كان يستطيع إخفاء نفسه جيدًا بدون العباءة، ولكن سحرها الحقيقى، بالطبع، إنها تستطيع حماية وإخفاء الآخرين بجانب مالكها. وكنت أعتقد أننا لو وجدناها، ستكون مفيدة فى إخفاء (أريانا)، ولكن اهتمامنا الأساسى بالعباءة كان منحصرًا فى كونها تكمل الثلاثية؛ لأن الأسطورة قالت إن الرجل الذى يوحد الأشياء الثلاثة سيصبح سيدًا حقيقيًّا للموت، والتى فهمتها بمعنى لا يقهر».

«أسياد الموت الذين لا يقهرون، (جريندلوالد) و(دمبلدور)! شهران من الجنون، والأحلام القاسية، والإهمال للشخصين الوحيدين اللذين بقيا لى من أفراد أسرتى».

«وعندها... أنت تعلم ما حصل. عدت إلى الواقع الذى تجسد فى صورة أخى الخشن غير المتعلم والمستحق للإعجاب. لم أكن أريد الاستماع إلى الحقائق التى صاح بها فى وجهى. لم أكن أريد أن أسمع أنه ليس بمقدورى السعى خلف مقدسات الموت ومعى أخت ضعيفة غير متزنة فى مسئوليتى».

«وتحول الجدال إلى قتال. وفقد (جريندلوالد) السيطرة. وهو شىء شعرت به دائمًا فى شخصيته، ولكننى تظاهرت بأننى لم أفعل، وتحول إلى كائن فظيع. ووقعت (أريانا)... بعد كل ما بذلته أمى من رعاية وحذر... وقعت ميتة على الأرض».

وأطلق (دمبلدور) شهقة صغيرة وبدأ يبكى بشدة. ورفع (هارى) يده وكان سعيدًا عندما وجد أنه يمكنه أن يلمسه، وقبض على ذراعه بقوة واستعاد (دمبلدور) السيطرة على نفسه تدريجيًّا.

«هرب (جريندلوالد)، كما تنبأ الجميع ما عداى، واختفى مع خططه للاستيلاء على السلطة، ومخططاته لتعذيب العامة، وأحلامه بمقدسات الموت، الأحلام التى شجعته وساعدته عليها. هرب وتركنى أدفن أختى، وأتعلم الحياة مع شعورى بالذنب والحزن الفظيع، ثمن الخزى الذى لحق بى».

«ومرت السنوات. وسمعت شائعات عنه. قالوا إنه حصل على عصا لها قوة عظيمة. وفى أثناء ذلك، عرض على منصب وزير السحر، ليس لمرة واحدة، ولكن مرات عديدة. وكان من الطبيعى أن أرفضه. بعد أن علمتنى التجربة أننى غير مؤتمن على السلطة».

صاح (هارى) قائلاً: «ولكنك كنت ستكون أفضل، أفضل بكثير من (فودج أو سكريمجور)».

سأل (دمبلدور) بتثاقل: «حقًا؟ لست متأكدًا. لقد ثبت لى وأنا شاب صغير أن السلطة هى نقطة ضعفى وإغرائى. الشىء الغريب يا (هارى)، هو أنه ربما يكون الأشخاص الأصلح للسلطة هم الذين لم يطلبوها أبدًا. هؤلاء، الذين هم مثلك تمامًا، فرضت عليهم مسئولية القيادة. وقاموا بها مضطرين، واكتشفوا لدهشتهم أنهم يستطيعون أداءها بنجاح.

«كنت أشعر بأمان أكثر فى (هوجوورتس). وأظن أننى كنت معلمًا جيدًا».

«كنت أنت الأفضل».

«إنك شديد اللطف يا (هارى). ولكن فى أثناء انشغالى أنا بتدريب السحرة الصغار، كان (جريندلوالد) يبنى جيشا. يقولون إنه كان يخشانى، وربما كان ذلك صحيحًا، ولكن خوفى منه كان أكبر على ما أظن».

وقال (دمبلدور) ردًا على نظرة التساؤل فى عينى (هارى): «لا، ليس الموت، ليس مما يمكنه أن يفعله بى بالسحر. كنت أعرف أننا متكافئان، بل ربما كنت أنا أكثر مهارة منه بقليل. ولكنى كنت أخشى الحقيقة. لم أعرف أبدًا من منا الذى أطلق اللعنة التى قتلت أختى خلال ذلك القتال الأخير الرهيب. يمكنك أن تعتبرنى جبانًا وستكون على حق. ولكنى كنت أخاف، أكثر من أى شىء آخر، من معرفة أننى الذى تسببت فى موتها، ليس بغطرستى وغبائى فقط، ولكن من أن أكون أنا الذى أطلقت الضربة التى أودت بحياتها.

«وأعتقد أنه عرف ذلك. عرف ما يخيفنى. لقد أجلت مقابلته للنهاية، حتى أصبح من العار أن أتأخر أكثر من ذلك. كان الناس يموتون ولم يعد أحد قادرًا على إيقافه، وعلى أن أفعل كل ما يمكننى فعله».

«حسنًا، أنت تعلم ما حدث بعدها. فزت بالمبارزة وفزت بالعصا».

مرت فترة صمت أخرى. لم يسأل (هارى) عما إذا كان (دمبلدور) قد عرف يومًا من الذى قتل (أريانا). لم يكن يريد أن يعرف، لم يرغب أن يخبره (دمبلدور) بذلك. وأخيرًا عرف ما رآه (دمبلدور) عندما نظر فى مرآة أريسيد وعرف سبب تفهم (دمبلدور) لتأثيرها الفاتن على (هارى).

وجلسا فى صمت لمدة طويلة. لم يعد بكاء المخلوق وراءهما يزعجه.

وقال (هارى) أخيرًا: «لقد حاول (جريندلوالد) منع (فولدمورت) من الحصول على العصا. لقد كذب، وتظاهر بأنه لم يحصل عليها قط».

أومأ (دمبلدور) برأسه وهو ينظر إلى حجره والدموع لا تزال تلمع على أنفه المكسور.

«يقولون إنه أظهر الندم فى السنوات اللاحقة، وهو وحيد فى زنزانته فى (نورمينجارد). وأتمنى أن يكون ذلك صحيحًا. كم أود أن أعتقد أنه شعر بفظاعة وخزى ما قام به بالفعل. ربما كان كذبه على (فولدمورت) محاولة منه للتعويض... لمنع (فولدمورت) من أخذ المقدسات..».

وقال (هارى) مقترحًا: «... أو ربما لمنعه من اقتحام قبرك؟». ومسح (دمبلدور) عينيه.

وبعد فترة صمت قصيرة أخرى، قال (هارى): «لقد حاولت استخدام حجر البعث».

أومأ (دمبلدور) برأسه.

«عندما اكتشفته، بعد كل تلك السنوات، مدفونًا فى المنزل المهجور لعائلة (جاونت)، فقدت عقلى يا (هارى). كان هذا هو الأثر الذى تمنيته أكثر من غيره - رغم أننى فى شبابى كنت أريده لأسباب مختلفة. لقد نسيت تمامًا أنها هوركروكس الآن، وأنه من المؤكد أن الخاتم يحمل لعنة. فأخذته، وارتديته، وتخيلت لثانية أننى على وشك رؤية (أريانا) ووالدتى ووالدى وأننى سأخبرهم كم كنت آسفًا جدًّا جدًا...

«كنت أحمق يا (هارى). بعد كل هذه السنين لم أتعلم شيئًا. لم أكن جديرًا بتجميع مقدسات الموت وقد أثبت ذلك مرارًا وتكرارًا وكان هذا هو الإثبات الأخير».

قال (هارى): «لماذا؟ كان ذلك طبيعيًّا! أردت رؤيتهم ثانية. ما الخطأ فى ذلك؟».

«ربما رجل فى المليون يمكنه تجميع المقدسات يا (هارى). لم أكن أصلح سوى لتملك أحقرهم وأقلهم روعة. كنت صالحًا لامتلاك عصا الكبير فقط، وليس للتفاخر بها أو القتل بها. لقد سمح لى باستخدامها؛ لأننى أخذتها ليس كمكسب لى، ولكن لحماية الآخرين منها.

«أما العباءة، فقد أخذتها بدافع من الفضول الخالص، ولا يمكنها أبدًا أن تفعل لى ما تفعله من أجل مالكها الحقيقى. أما الحجر، فقد أردت استخدامه فى محاولة لإعادة هؤلاء الذين وجدوا السلام، وليس لتشجيعى على القيام بالتضحية بذاتى كما فعلت أنت. إنك الشخص الجدير بامتلاك مقدسات الموت».

وربت (دمبلدور) على يد (هارى)، ونظر (هارى) نحو الرجل العجوز وابتسم؛ لم يستطع منع نفسه. كيف يمكنه أن يظل غاضبًا من (دمبلدور) الآن؟

«لماذا كان عليك أن تجعل الأمر بهذه الصعوبة؟».

ارتجفت ابتسامة (دمبلدور).

«أخشى أننى اعتمدت على الآنسة (جراينجر) لإبطائك يا (هارى). خشيت أن يسيطر عقلك المتحمس على قلبك الطيب. وخفت إن أنا مددتك بالحقائق حول هذه الأشياء المغرية بطريقة مباشرة، أن تحاول الحصول على المقدسات كما فعلت أنا، فى الوقت الخطأ وللأسباب الخطأ. كنت أريدك، عندما تتمكن أخيرًا من وضع يدك عليها، أن يكون ذلك بأمان. إنك الآن السيد الحقيقى للموت؛ لأن السيد الحقيقى لن يسعى للهرب من الموت. ولكنه سيتقبل أنه يجب أن يموت، ويفهم أن هناك أمورًا فى عالم الأحياء أسوأ بكثير جدًا من الموت».

«ولكن، ألم يعلم (فولدمورت) أبدًا بشأن مقدسات الموت؟».

«لا أعتقد ذلك؛ لأنه لم يتعرف على حجر البعث وحوله إلى هوركروكس. ولكنه حتى لو عرف بهم يا (هارى)، أشك أنه سيهتم بأيهم ما عدا الأول. إنه لن يعتقد بحاجته للعباءة، أما الحجر، من الذى سيريد إعادته من الموت؟ إنه يخاف الموت. ولا يعرف كيف يحب».

«ولكنك توقعت منه السعى خلف العصا؟».

«كنت متأكدًا من أنه سيحاول، منذ اللحظة التى هزمت عصاك عصا (فولدمورت) فى مقبرة (ليتل هانجليتون). فى البداية، خاف أن تكون قد تفوقت عليه بسبب امتلاكك لمهارات فائقة. ولكنه عندما خطف (أوليفاندور)، اكتشف وجود القلوب التوائم. وظن أن ذلك يفسر كل شىء. ولكن العصا المستعارة لم تتمكن من الوقوف

أمام عصاك أيضًا! وبدلاً من أن يسأل (فولدمورت) نفسه عن الخاصية التى تملكها وتمد عصاك بكل هذه القوة، عن الهبة التى تمتلكها ولا يملكها هو، كان من الطبيعى أن يذهب للبحث عن العصا التى يقال عنها إنها قادرة على هزيمة أى عصا أخرى. وأصبحت عصا الكبير بالنسبة له هوسًا يناظر هوسه بك. لقد آمن بأن عصا الكبير ستمحو ضعفه الأخير وتجعله لا يقهر فعلاً. مسكين (سيفيروس)..».

«إذا كنت قد خططت لقيام (سناب) بقتلك، فقد أردته إذن أن يحصل على عصا الكبير. أليس كذلك؟».

قال (دمبلدور): «أعترف بأن تلك كانت نيتى، ولكن الأمر لم يجر كما خططت، أليس كذلك؟».

قال (هارى): «لا، لم يُنجح هذا الجزء».

أخذ المخلوق خلفهما يرتعش ويئن وجلس (هارى) و(دمبلدور) بدون كلام لأطول مدة ممكنة بعد. وبدأ إدراك ما سيحدث بعد ذلك يغمر عقل (هارى) تدريجيًا خلال الدقائق الطويلة، مثل الثلج الذى يسقط بنعومة.

«يجب أن أعود، أليس كذلك؟».

«إن ذلك يرجع إليك».

«هل لدى الخيار؟».

قال (دمبلدور) مبتسمًا: «أوه، نعم. إننا فى محطة (كينجز كروس) كما تقول؟ وأعتقد أنك إذا قررت عدم العودة، فستكون قادرًا على... دعنا نقل... ركوب قطار».

«وإلى أين سيأخذنى؟».

قال (دمبلدور) ببساطة: «إلى الأمام».

ومرت فترة صمت جديدة

«عصا الكبير موجودة لدى (فولدمورت)؟».

«صحيح، (فولدمورت) لديه العصا».

«ولكن هل تريدنى أن أعود؟».

قال (دمبلدور): «أعتقد أنك إذا اخترت العودة، ستكون هناك فرصة للقضاء عليه إلى الأبد. لا يمكننى أن أعد بذلك. ولكنى أعرف يا (هارى) أن ما لديك لتخشاه من العودة أقل بكثير مما لدى (فولدمورت)».

ونظر (هارى) مجددًا نحو الشىء المسلوخ الذى يرتعد ويختنق فى الظل تحت الكرسى البعيد.

«لا تشفق على الموتى يا (هارى). أشفق على الأحياء، وخاصة هؤلاء الذين يعيشون دون حب. إذا عدت، يمكنك أن تتحقق من أن عددًا أقل من الأرواح سينتهى، وعددًا أقل من الأسر سيتمزق. إذا بدا لك هذا كهدف جدير بعودتك، إذن فسنقول وداعًا للوقت الحاضر».

أومأ (هارى) برأسه، ثم تنهد. لن يكون تركه لهذا المكان بصعوبة السير إلى داخل الغابة أبدًا. ولكن المكان هنا كان دافئًا ومضيئًا ومسالمًا وهو يعرف أنه سيعود إلى الألم والخوف من خسارة المزيد. ووقف (هارى)، وفعل (دمبلدور) مثله وأخذ كلاهما ينظر إلى وجه الآخر لوقت طويل.

قال (هارى): «أخبرنى بشىء أخير. هل هذا حقيقى؟ أم أنه يحصل داخل رأسى؟».

ابتسم (دمبلدور) له، وبدا صوته عاليًا قويًا فى أذنى (هارى) رغم أن الضباب المتألق قد بدأ ينزل مرة أخرى مخفيًا شخصه تمامًا.

«بالطبع يحدث داخل رأسك يا (هارى) ولكن لماذا بحق السماء ينبغى أن يعنى ذلك أنه ليس حقيقيًا؟».

٣٦ الخلل فى الخطة

وجد نفسه راقدًا على وجهه على الأرض مرة أخرى، وملأت روائح الغابة أنفه. كان يشعر بالأرض الباردة الصلبة تحت خده، ومفصلة نظارته التى أزيحت جانبًا مع سقوطه أرضًا وتسببت فى جرح صدغه. وشعر بكل بوصة بجسمه تؤلمه، أما المكان الذى ضربته فيه لعنة القتل، فشعر كأن به كدمة أصابته من لكمة مكسوة بالحديد. لم تصدر منه أى حركة وبقى فى نفس مكان سقوطه وذراعه اليسرى ملتوية بزاوية خرقاء وفمه مفتوح.

وتوقع أن يسمع صياح الانتصار والتهليل إثر موته، لكنه سمع بدلاً منها خطوات أقدام مسرعة وهمسات وتمتمة قلقة فى المكان حوله.

«مولاى... مولاى..».

كان ذلك صوت (بيلاتريكس)، والتى تحدثت كأنها تتكلم إلى حبيبها. ولم يجرؤ (هارى) على فتح عينيه، ولكنه سمح لحواسه الأخرى باستكشاف المأزق الذى يواجهه. كان يعلم أن عصاه لا تزال موجودة تحت ملابسه؛ لأنه كان قادرا على الشعور بها بين صدره والأرض. كما أخبره القماش الخفيف الذى شعر به فى منطقة البطن أن عباءة الإخفاء موجودة هناك أيضًا، بعيدًا عن الأنظار.

«مولاى..».

قال صوت (فولدمورت): «يكفى ذلك».

سمع (هارى) وقع خطوات أكثر: تراجع العديد من الأشخاص مبتعدين عن نفس المكان. وفتح (هارى) عينيه ميليمترًا واحدًا لرغبته الشديدة فى معرفة ما يجرى.

وبدا (فولدمورت) كأنه يقف على قدميه، بينما العديد من آكلى الموت يسرعون مبتعدين عنه، عائدين إلى الحشد المصطف حول المكان، بينما بقيت (بيلاتريكس) وحدها راكعة بجوار (فولدمورت).

أغلق (هارى) عينيه وأخذ يفكر فيما رآه. تجمع آكلو الموت حول (فولدمورت)، الذى بدا أنه سقط على الأرض. لقد حدث شىء ما عندما ضرب (هارى) بلعنة

القتل. هل انهار (فولدمورت) أيضًا؟ يبدو أن الأمر كذلك فعلاً. يبدو أن كليهما قد فقد وعيه لفترة قصيرة، وكلاهما قد عاد الآن...

«مولاى، دعنى».

قال (فولدمورت) ببرود: «أنا لا أحتاج للمساعدة». ورغم أن (هارى) لا يرى، إلا أنه تخيل (بيلاتريكس) تسحب يدها المساعدة التى عرضتها عليه، وأضاف: «الصبى... هل هو ميت؟».

وساد المكان صمت كامل. ولم يقترب أحد من (هارى)، ولكنه شعر بنظراتهم تتركز عليه وكأنها تضغطه أكثر داخل الأرض، وشعر بالرعب من اختلاج إصبع أو جفن.

قال (فولدمورت): «أنتِ»، وسمع صوت خبطة وصرخة ألم صغيرة وأكمل: «افحصيه، وأخبرينى إن كان ميتًا أم لا؟».

ولم يعرف (هارى) من الذى أرسله ليتحقق من موته. ولم يسعه سوى الرقود هناك، وقلبه ينبض خائنًا له، والانتظار حتى يتم فحصه. وفى نفس الوقت شعر ببعض الارتياح عندما لاحظ أن (فولدمورت) يخشى الاقتراب منه وأنه يشك فى عدم سير الأمور طبقًا للخطة...

وشعر (هارى) بيدين تلمسان وجهه، أكثر نعومة مما توقع، وقلبت إحدى جفنيه لترى عينيه. وتسللت أسفل قميصه إلى صدره وتحسست قلبه. كان يستطيع سماع صوت تنفس المرأة السريع وشعر بشعرها الطويل يدغدغ وجهه. وعرف أنها تستطيع الشعور بنبض قلبه المنتظم بالحياة مقابل ضلوعه.

«هل (دراكو) حى؟ هل هو فى القلعة؟».

كانت الهمسة مسموعة بالكاد. لم تكن شفتاها تبعد عن أذنه أكثر من بوصة واحدة وأحنت رأسها لأسفل بشدة حتى يحجب شعرها الطويل وجهه عن مراقبى المشهد.

فهمس (هارى) قائلاً: «نعم».

وشعر بيدها على صدره تنقبض ووخزته أظافرها، ثم سحبت يدها واعتدلت.

أعلنت (نارسيسا مالفوى) للمشاهدين: «إنه ميت!».

وبدأ الجميع يصيحون ويهتفون مبتهجين بالنصر، ويضربون الأرض بأقدامهم. ورأى (هارى) من خلال جفنيه دفقات من الضوء الأحمر والفضى تنطلق فى الهواء تعبيرًا عن الاحتفال.

وبينما يفتعل الموت على الأرض، فهم لماذا فعلت (نارسيسا) هذا. كانت الطريقة الوحيدة التى ستسمح لها بالدخول إلى (هوجوورتس) لتجد ابنها، هى دخولها كجزء من الجيش المنتصر. إنها لم تعد تهتم بانتصار (فولدمورت).

وعلا صوت (فولدمورت) على الضجة: «أترون؟ لقد مات (هارى بوتر) بيدى، ولا يوجد رجل حى يمكنه تهديدى بعد الآن! انظروا! كروشيو!».

كان (هارى) يتوقع هذا: عرف أن جثته لن يسمح لها أن تبقى نقية فوق أرض الغابة، بل يجب أن تتعرض للإذلال لإثبات نصر (فولدمورت). وتم رفعه فى الهواء، واستخدام كل ما يملكه من قوة إرادة ليظل لينًا، ولكن الألم الذى توقعه لم يأت. وتم إلقاؤه فى الهواء مرة، مرتين، ثلاث مرات. وطارت نظارته وشعر بعصاه تنزلق قليلاً تحت عباءته، ولكنه أبقى نفسه رخوًا بلا حياة، وعندما سقط إلى الأرض للمرة الأخيرة، تردد صدى الضحكات حول المكان.

قال (فولدمورت): «الآن، حان الوقت للذهاب إلى القلعة، لنريهم ما حدث لبطلهم. من الذى سيجر الجثة؟ لا.. انتظروا..».

وانطلقت الضحكات مرة أخرى وبعد لحظات، شعر (هارى) بالأرض ترتجف تحته.

قال (فولدمورت): «احمله أنت. سيكون جميلاً وظاهرًا بين ذراعيك، أليس كذلك؟ التقط صديقك الصغير يا (هاجريد). والنظارة.. ضع النظارة على وجهه.. حتى يمكنهم تمييزه».

وأعاد شخص ما وضع نظارة (هارى) على وجهه بقوة متعمدة، ولكن اليدين الضخمتين اللتين رفعتاه فى الهواء كانتا رقيقتين جدًا. وشعر (هارى) بذراعى (هاجريد) ترتجفان من قوة نشيجه؛ وتساقطت قطرات دموعه الهائلة عليه، و(هاجريد) يحتضنه بين ذراعيه، ولكن (هارى) لم يجرؤ على إصدار حركة أو كلمة ليطمئن (هاجريد) بأن كل شىء لم يفقد بعد.

قال (فولدمورت): «تحرك». وتعثر (هاجريد) وهو يتحرك إلى الأمام، شاقًا طريقه خلال الغابة بين الأشجار المتلاصقة. وكانت الأغصان تشتبك بشعر (هارى) وملابسه ولكنه ظل راقدًا بغير حراك وقد فغر فاه وأغلق عينيه. وفى وسط الظلام، ورغم احتشاد آكلى الموت حولهم وبينما (هاجريد) مازال ينتحب، لم يفكر أحد أن ينظر ويرى إن كان هناك نبض فى عنق (هارى بوتر) المكشوف...

وسمع (هارى) صرير الأشجار وسقوطها وهم يمرون، فعرف أن العملاقين يسيران فى الخلف، كانا يحدثان ضجة شديدة، جعلت الطيور تطير إلى السماء وهى تصيح، حتى إن صوتها غطى على ضحكات آكلى الموت. وتحرك الموكب المنتصر متجهًا نحو الملاعب المكشوفة، وبعد قليل، أدرك (هارى) أن الظلام قد خف من خلال جفونه المغلقة، وعرف أن كثافة الأشجار قد بدأت تقل.

«بين!».

كادت صرخة (هاجريد) الشديدة غير المتوقعة أن تجعل عينى (هارى) تفتحان.

قال (هاجريد): «هل أنتم سعداء الآن لأنكم لم تقاتلوا، أيتها الأحصنة الجبانة؟ هل أنتم سعداء الآن بأن (هارى بوتر) قد.. ما.. مات... ؟».

لم يستطع (هاجريد) إكمال حديثه، بل انهار فى نوبة جديدة من البكاء. وتساءل (هارى) كم قنطورًا يراقبون مرور موكبهم؛ ولم يجرؤ على فتح عينيه لينظر. وأخذ بعض آكلى الموت يهينون القناطير الذين تركوهم خلفهم. وبعد قليل، شعر (هارى) من انتعاش الهواء أنهم وصلوا إلى حافة الغابة.

«توقف».

وفكر (هارى) أن (هاجريد) قد اضطر إلى طاعة (فولدمورت)؛ لأنه ترنح قليلاً. وشعر (هارى) الآن ببرودة تحيط بهم فى المكان الذى وقفوا فيه وسمع شخشخة أنفاس (الديمنتورات) المميزة التى تحرس الأشجار الخارجية. لا يمكنهم التأثير عليه الآن، بينما حقيقة نجاته تشتعل بداخله وكأنها تميمة ضدهم، وكأن الآيل الخاص بوالده ما زال يحرسه فى قلبه.

ومر أحدهم بالقرب من (هارى) الذى عرف أنه (فولدمورت) نفسه؛ لأنه تكلم بعدها بلحظة، وقد تضخم صوته بطريقة سحرية وتموج خلال الملاعب واصطدم بطبلة أذن (هارى).

«لقد مات (هارى بوتر)، قتل وهو يحاول الهرب، فى محاولة لإنقاذ نفسه، بينما أنتم تضحون بحياتكم من أجله. وقد أتينا لكم بجثته كدليل على أن بطلكم انتهى.

«كسبت المعركة. لقد فقدتم نصف مقاتليكم، وآكلو الموت يفوقونكم عددًا، والصبى الذى نجا انتهى. يجب ألا يكون هناك المزيد من الحرب. وأى شخص سيستمر فى المقاومة، سواء كان رجلاً أم امرأة أم طفلاً، سيذبح، وكذلك كل فرد فى أسرهم. اخرجوا من القلعة الآن، واركعوا أمامى، وسأعفو عنكم، وسيعيش آباؤكم وأبناؤكم وإخوتكم وأخواتكم وسأسامحهم، وستشاركوننى فى العالم الجديد الذى سنبنيه معًا».

وساد الصمت الملاعب والقلعة. كان (فولدمورت) قريبًا جدًا من (هارى)، فلم يجرؤ على فتح عينيه مرة أخرى.

قال (فولدمورت): «هيا». وسمعه (هارى) يتحرك إلى الأمام واضطر (هاجريد) إلى أن يتبعه. وفتح (هارى) عينيه قليلاً الآن، ورأى (فولدمورت) يخطو أمامهم وهو يضع حول كتفيه الحية الضخمة (ناجينى) التى كانت خارج قفصها المسحور الآن. ولكن (هارى) ليست لديه فرصة لإخراج العصا المخبأة تحت ملابسه دون أن يلحظه آكلو الموت الذين يسيرون على جانبيهما خلال الظلام الذى بدأ يزحف ببطء...

وأخذ (هاجريد) يبكي: «(هارى)، أوه، (هارى)... (هارى)...».

وأغلق (هارى) عينيه بقوة مرة أخرى، بعد أن عرف أنهم يقتربون من القلعة وفتح أذنيه محاولا تمييز أى أصوات تدل على الحياة داخل القلعة، من خلال أصوات آكلى الموت الشامتة ووقع أقدامهم.

«توقفوا».

توقف آكلو الموت؛ وسمعهم (هارى) ينتشرون فى صف مواجه للأبواب الأمامية المفتوحة للمدرسة. وأمكنه أن يرى من خلال أجفانه المغلقة الوهج الأحمر الذى يدل على أن الضوء ينساب إليهم من بهو الدخول. وانتظر، فى أى لحظة سيراه الناس الذين حاول الموت من أجلهم وهو راقد يبدو ميتا بين ذراعى (هاجريد).

«لا!».

كانت الصرخة من أفظع ما يمكن؛ لأنه لم يتوقع أو حتى يحلم أن يصدر عن الأستاذة (ماكجونجال) صوت كهذا أبدًا. وسمع امرأة أخرى تضحك بالقرب منه، فعرف أنها (بيلاتريكس) تتشفى فيما انتاب (ماكجونجال) من يأس. وفتح عينيه مرة أخرى لثانية واحدة، فشاهد المدخل ممتلئًا بالناس. كان الناجون من المعركة قد خرجوا إلى السلالم الأمامية ليواجهوا المنتصرين عليهم، ويرون حقيقة موت (هارى) بأنفسهم. ورأى (فولدمورت) يقف على بعد قريب أمامه، وهو يخبط على رأس ناجينى بأحد أصابعه البيضاء، فأغلق عينيه مرة أخرى.

«لا!».

«لا!».

«(هارى)! (هارى)!».

كانت صرخات (رون) و(هرميون) و(جينى) أسوأ من صرخة (ماكجونجال)؛ وتمنى (هارى) أكثر من أى شىء آخر لو أنه يستطيع الرد عليهم، ولكنه ظل ممددا بصمت، وبدت صيحاتهم مثل الضغط على الزناد؛ فقد انطلق حشد الناجين فى الصراخ والصياح وتوجيه الشتائم إلى آكلى الموت، حتى...

صاح (فولدمورت): «**صمتًا!**». وارتفع صوت دوى وانطلق وميض ضوء ساطع، وأجبر الصمت على الجميع. وأكمل (فولدمورت): «انتهى الأمر! ضعه على الأرض عند قدمى يا (هاجريد)، فى مكانه الصحيح!».

وشعر (هارى) بنفسه يهبط ويوضع فوق الحشائش.

قال (فولدمورت): «أترون؟ مات (هارى بوتر)! هل تفهمون الآن أيها الموهومون؟ لم يكن شيئًا سوى صبِى صغير يعتمد على تضحية الآخرين بأنفسهم من أجله!».

وشعر (هارى) به وهو يخطو إلى الوراء وإلى الأمام بجوار المكان الذى يرقد فيه.

وصاح (رون): «لقد هزمك!». وانكسرت التعويذة وانطلق المدافعون عن (هوجوورتس) يهتفون ويصرخون مرة أخرى حتى صدر صوت دوى شديد، كتم أصواتهم مرة أخرى.

قال (فولدمورت) متلذذًا بكذبه: «لقد قتل وهو يحاول التسلل خارجًا من أراضى القلعة، قتل وهو يحاول إنقاذ نفسه».

لكن (فولدمورت) توقف فجأة: وسمع (هارى) صوت صراع وصياح، ثم دوى آخر ووميض ضوء، وصرخة ألم، وفتح عينيه بقدر ضئيل، ورأى أحدهم قد خرج من الحشد وهاجم (فولدمورت)، وشاهد (هارى) الشخص يسقط إلى الأرض وقد نزع سلاحه. و(فولدمورت) يرمى العصا التى انتزعها من المهاجم جانبًا وهو يضحك.

وقال بصوته الذى يشبه الفحيح: «ومن هذا؟ من ذلك الذى تطوع لتوضيح ما سيحدث للذين سيواصلون القتال بعد أن خسروا المعركة؟».

ضحكت (بيلاتريكس) بسعادة.

وقالت: «إنه (نيفيل لونجبوتم) يا مولاى! ذلك الصبى الذى كان يسبب المتاعب للإخوة (كارو)! ابن مقاتلى السحر الأسود، أتتذكره؟».

قال (فولدمورت): «آه، نعم، أتذكر». وهو ينظر إلى (نيفيل) الذى كان يكافح للوقوف على قدميه، وهو أعزل بلا حماية فى المنطقة الخالية بين الناجين وأكلة الموت. وسأل (فولدمورت) (نيفيل): «ولكنك ذو دم نقى، أليس كذلك يا فتاى الشجاع؟» الذى وقف يواجهه ويده الخالية مضمومة على شكل قبضة.

رد (نيفيل) بصوت عال: «وماذا لو كنت كذلك؟».

«لقد أظهرت قوة وشجاعة ولك أصل نبيل، يمكنك أن تصبح آكل موت ممتازاً. نحتاج إلى نوعك يا (نيفيل) لونجبوتم».

قال (نيفيل): «سأنضم إليكم عندما يتجمد الجحيم». ثم صاح: «جيش (دمبلدور)!». وارتفع هتاف يجيبه من الحشود، والتى لم تستطع تعويذة (فولدمورت) على ما يبدو إسكاتها.

قال (فولدمورت): «حسنًا»، وشعر (هارى) بخطورة صوته الناعم أكثر من أقوى اللعنات وهو يضيف بصوت هادئ: «إذا كان هذا هو اختيارك يا (لونجبوتم)، فلنعد إذن للخطة الأصلية، ولتتحمل النتيجة».

وأخذ (هارى) يراقب من بين رموشه (فولدمورت) وهو يلوح بعصاه. وبعد ثوان، طار شىء عبر أحد نوافذ القلعة المحطمة، شىء يبدو مثل طائر مشوه خلال الضوء الباهت، وحط فوق يد (فولدمورت) الذى هز هذا الشىء الرخو من طرفه المدبب فتدلى فارغًا ورثًا: كانت قبعة التنسيق.

قال (فولدمورت): «لن يكون هناك المزيد من التنسيق فى مدرسة (هوجوورتس). ولن يكون هناك المزيد من المنازل، سيفى شعار ودرع وألوان جدى الأعظم النبيل، (سالازار سليذرين) بحاجة الجميع. أليس كذلك (نيفيل) (لونجبوتم)؟».

وأشار بعصاه إلى (نيفيل) الذى تجمد فى مكانه، ثم وضع القبعة بالقوة على رأسه، حتى إنها انزلقت على عينيه. وبدأت الجموع المحتشدة أمام القلعة تتحرك، ورفع آكلو الموت جميعًا عصيهم معًا. ليمنعوا مقاتلى (هوجوورتس) من التدخل.

قال (فولدمورت): «سيظهر لنا (نيفيل) هنا ما سيحدث لأى شخص لديه ما يكفى من الحماقة بحيث يواصل معارضته لى». وبحركة من عصاه، اندلعت النار فى قبعة التنسيق.

وشق الصراخ الفجر، كان (نيفيل) يحترق، وهو متجمد فى مكانه غير قادر على الحركة، لم يستطع (هارى) تحمل ذلك. يجب أن يتصرف.

وعندها، حدث الكثير من الأشياء فى نفس اللحظة.

سمعوا ضجيجًا من ناحية حدود المدرسة البعيدة، بينما ظهر ما بدا مثل المئات من الناس مندفعين من فوق الأسوار الخارجة عن نطاق الرؤية وهم يجرون بأسرع ما يستطيعون فى اتجاه القلعة وهم يصيحون صيحات حرب عالية. وفى نفس الوقت، ظهر (جراوب)، يمشى متثاقلا حول جانب القلعة ويصيح:

«(هاجير)!». وأجاب عمالقة (فولدمورت) على صياحه بزئير عال وانطلقوا نحوه مثل ذكور الأفيال مما تسبب فى زلزلة الأرض. ثم أتت أصوات حوافر وهزيم أقواس وبدأت السهام تسقط فجأة بين آكلى الموت الذين اختلت صفوفهم وأخذوا يصيحون من الدهشة. وأسرع (هارى) بسحب عباءة الإخفاء، وفردها على نفسه، ووثب على قدميه، بينما تحرك (نيفيل) أيضًا.

فى حركة سريعة رشيقة، تحرر (نيفيل) من لعنة ربط الجسد؛ وسقطت القبعة المشتعلة من فوق رأسه والتقط من أعماقها شيئًا فضيًّا له مقبض ياقوتى متألق.

ولم يسمع أحد صوت خروج النصل الفضى بسبب زئير الحشود القادمة، وأصوات العمالقة المتصارعة وضربات حوافر القناطير على الأرض. ولكن بدا أنه جذب كل العيون. وبضربة واحدة قطع (نيفيل) رأس الحية الضخمة، والتى طارت عاليًا، ولمعت فى الضوء القادم من بهو الدخول. وفتح فم (فولدمورت) فى صرخة غضب لم يسمعها أحد، وارتطم جسد الحية بالأرض عند قدميه.

وألقى (هارى)، المختبئ تحت عباءة الإخفاء، تعويذة درع بين (نيفيل) و(فولدمورت) قبل أن يتمكن الأخير من رفع عصاه. ثم ارتفعت صرخة (هاجريد) على صراخ وزئير ودقات أقدام العمالقة المتصارعة المدوية.

صاح (هاجريد): «(هارى)! (هارى).. أين (هارى)؟».

وسادت الفوضى المكان وبدأت القناطير المهاجمة تشتت آكلى الموت، وكان الجميع يحاولون الهروب من تحت أقدام العمالقة وبدأت التعزيزات، والتى لا يعرفون من أين أتت، تقترب أكثر وأكثر. ورأى (هارى) كائنات ذات أجنحة عملاقة تحلق حول رءوس عمالقة (فولدمورت). كانت كائنات الثيسترال وباك بيك الهيبوجراف تخدش عيون العمالقة، بينما يكيل لهم (جراوب) اللكمات. وأجبر السحرة، سواء من المدافعين عن (هوجوورتس) أو آكلى الموت على العودة إلى القلعة. وكان (هارى) يطلق تعاويذ ولعنات على أى آكل موت يراه أمامه، والذين كانوا ينهارون وهم غير مدركين من أو ما ضربهم، وكانت الجماهير المتراجعة تدوس أجسادهم.

وشق (هارى) طريقه بصعوبة نحو بهو الدخول وهو لا يزال مختبئًا تحت عباءة الإخفاء، وأخذ يبحث عن (فولدمورت) ورآه عبر الغرفة، وهو يطلق التعاويذ من عصاه، ثم تراجع نحو البهو العظيم وهو لا يزال يصرخ بالتعليمات إلى أتباعه؛ ويرسل اللعنات يمينًا ويسارًا؛ وأخذ (هارى) يلقى المزيد من تعاويذ الدروع على

كل ضحايا (فولدمورت) المحتملين، مثل (شيموس فينيجان) و(هانا ابوت) اللذين اندفعا مارين به وهما داخلان إلى البهو العظيم، حيث انضما إلى المعركة المشتعلة بالداخل.

والآن كان هناك المزيد، فقد اندفع المزيد من الناس صاعدين الدرجات الأمامية للقلعة ورأى (هارى) (تشارلى ويزلى) يسابق (هوريس سلوجهورن) الذى كان لا يزال يرتدى بيجامته الزمردية. وبدا أنهما قد عادا على رأس ما بدا مثل عائلات وأصدقاء كل طالب من طلاب (هوجوورتس) بقى للقتال ومعهم أصحاب المحال والمنازل فى (هوجسميد)، واندفع القناطير (بين) و(رونان) و(ماجوريان) إلى داخل البهو، وعلا صوت حوافرهم القوية فى المكان، بينما انتزع الباب المؤدى إلى المطابخ خلف (هارى) من مفصلاته.

واندفع أقزام المنازل بهوجورتس نحو بهو الدخول وهم يصرخون ويلوحون بالسكاكين والسواطير الحادة، وفى مقدمتهم (كريياتشر) الذى كانت قلادة (ريجولوس بلاك) تتراقص على صدره وهو يصيح بصوته الشبيه بنقيق الضفادع، الذى علا على ضوضاء المعركة: «قاتلوا! قاتلوا! قاتلوا من أجل مولاى المدافع عن أقزام المنازل! قاتلوا سيد الظلام باسم الشجاع (ريجولوس!) قاتلوا!».

كانوا يطعنون آكلى الموت فى كواحلهم وسيقانهم، وقد اشتعلت وجوههم الصغيرة بالحقد، وفى كل مكان ينظر إليه (هارى) الآن، يجد آكلو الموت قد يقعون بعد أن تغلبت عليهم التعاويذ، أو ينزعون السهام من الجروح أو يطعنون فى الأرجل من أقزام المنازل أو بكل بساطة يحاولون الهرب بدون فائدة حيث تبتلعهم الحشود القادمة.

ولكن الأمر لم ينته بعد، وأسرع (هارى) بين المتبارزين مارًا بالمحاصرين الذين يحاولون الهروب، واندفع داخلا إلى البهو العظيم.

ورأى (فولدمورت) فى قلب المعركة، وهو يضرب كل من فى متناول يده، ولم يستطع (هارى) أن يصوب عليه بوضوح، فشق طريقه مقتربًا منه، وهو لا يزال خفيًا، وازداد البهو العظيم ازدحامًا، بعد أن وجد كل من يستطيع الوقوف على أقدامه طريقه إليه.

ورأى (هارى) (ياكسلى) وقد طرحه (جورج) و(لى جوردان) أرضًا، و(دولوهوف) يسقط صارخًا على يدى (فليتويك)، و(والدن ماكنير) يطير عبر القاعة بعد أن رماه

(هاجريد)، ثم يصطدم بالحائط الحجرى المقابل وينزلق إلى الأرض مغشيًا عليه. ورأى (رون) و(نيفيل) يقضيان على (فينرير جريباك). و(أبيرفورث) يصعق (روكوود)، و(آرثر) و(بيرسى) يسقطان (ثيكنس) و(لوشيوس) و(نارسيسا مالفوى) يجريان وسط الحشود، وهما لا يحاولان القتال ولكن يناديان ابنيهما.

ورأى (فولدمورت) الآن يبارز (ماكجونجال) و(سلوجهورن) و(كنجسلى) كلهم فى آن واحد، وظهرت الكراهية الباردة على وجهه وهم يلوحون ويميلون، غير قادرين على القضاء عليه.

وكانت (بيلاتريكس) لا تزال تقاتل أيضًا على بعد خمسين ياردة من (فولدمورت) وقد تصدى لها ثلاثة مثل سيدها. كان (هرميون) و(جينى) و(لونا) يقاتلون بأقوى ما يستطيعون لكن (بيلاتريكس) كانت تساويهم فى القوة وتحول اهتمام (هارى)، حين رأى لعنة قاتلة تطير بالقرب من جينى، وتتجاوزها ببوصة واحدة.

فغير اتجاهه وجرى ناحية (بيلاتريكس)، بدلاً من (فولدمورت) ولكن قبل أن يقطع أكثر من عدة خطوات، وجد نفسه يدفع جانبًا.

«ليس ابنتى أيتها العاهرة!».

خلعت السيدة (ويزلى) عباءتها ورمتها وهى تجرى نحو (بيلاتريكس) التى دارت فى مكانها وانفجرت تضحك عندما رأى متحديتها الجديدة.

وصاحت السيدة (ويزلى) فى الفتيات الثلاث: «ابتعدوا عن الطريق!».. وبضربة قوية من عصاها، بدأت المبارزة. وأخذ (هارى) يراقب بمزيج من الفزع والإعجاب عصا (مولى ويزلى) وهى تقطع الهواء وتدور وقد بدأت ابتسامة (بيلاتريكس ليسترانج) تتلاشى وتتحول إلى زمجرة. انطلقت دفقات الضوء من كلا العصوين وأصبحت الأرض حول أقدام الساحرتين حارة ومتشققة، كانت كلتا المرأتين تقاتلان لتقتلا.

وعندما جرى بعض الطلاب إلى الأمام ليحاولوا مساعدة السيدة (ويزلى)، صاحت مولى: «لا! ابتعدوا! *ابتعدوا!* إنها لى!».

واصطف المئات من الناس حول الحوائط الآن، يراقبون المبارزتَيْن، (فولدمورت) ضد متحديه الثلاثة، و(بيلاتريكس) وضد (مولى)، ووقف (هارى) مختفيًا وممزقًا بين كليهما، يريد أن يهاجم ويحمى فى نفس الوقت، لكنه كان يخشى إن حاول القتال أن يصيب أحد الأبرياء.

قالت (بيلاتريكس) ضاحكة بجنون وهى تقفز متفادية لعنات (مولى) التى تتراقص من حولها: «ماذا سيحدث لأطفالك عندما أقتلك؟ عندما تموت (مامى) بنفس الطريقة التى مات بها (فريدى)؟».

صرخت السيدة (ويزلى): «لن تلمسى أحدًا من أولادنا أبدًا مرة أخرى!».

وضحكت (بيلاتريكس) نفس الضحكة المرحة التى أطلقتها عندما وقع ابن عمها (سيريوس) من خلال الستار، وفجأة، عرف (هارى) ما سيحدث قبل حدوثه.

حلقت لعنة (مولى) أسفل ذراع (بيلاتريكس) الممدودة وأصابتها فى الصدر، مباشرة فوق قلبها.

تجمدت الابتسامة المتشفية على وجه (بيلاتريكس) وجحظت عيناها، وللحظة قصيرة، عرفت ما حدث، ثم سقطت وهدرت الجموع المشاهدة بالفرحة، بينما صرخ (فولدمورت).

وشعر (هارى) كأن المشهد تحول للحركة البطيئة: رأى (ماكجونجال) و(كنجسلى) و(سلوجهورن) يطيرون إلى الوراء، وهم يتخبطون ويتلوون فى الهواء، أثر انفجار غضب (فولدمورت) من سقوط آخر وأفضل ملازم لديه مثل القنبلة وسطهم. ورفع عصاه ووجهها إلى (مولى ويزلى).

صاح (هارى): «*بروتيجو!*». وامتدت التعويذة وسط البهو وحدق (فولدمورت) حوله باحثًا عن مصدرها، بينما خلع (هارى) عباءة الإخفاء أخيرًا.

وانطلقت الصيحات الصادمة وهتافات الفرحة والصراخ من كل جانب: «(هارى)!». «إنه حى!». ثم خمدت على الفور. كانت الحشود خائفة وسادهم الصمت التام بغتة، عندما حدق (فولدمورت) وهارى فى بعضهما البعض، وبدأ كلاهما يدور حول الآخر.

قال (هارى) بصوت عال: «لا أريد أى شخص آخر أن يحاول المساعدة. لابد أن يكون الأمر هكذا. لا بد أن أكون أنا». وانتقل صوته عبر الصمت التام الذى ساد المكان مثل البوق.

وانطلق فحيح (فولدمورت).

قال وقد اتسعت عيناه الحمراوان: «إن (بوتر) لا يعنى هذا، هذه ليست الطريقة التى يعمل بها، أليس كذلك؟ من الذى ستستخدمه كدرع واق اليوم يا (بوتر)؟».

قال (هارى) ببساطة: «لا أحد، ليست هناك هوركروكسات أخرى. لم يعد هناك أحد سوى أنت وأنا. لا يمكن أن يعيش أحدنا بينما ينجو الآخر. واحد منا على وشك الرحيل إلى الأبد..».

قال (فولدمورت) ساخرًا: «واحد منا؟». وتوتر جسده وحدقت عيناه الحمراوان، فأصبح أشبه بالثعبان الذى على وشك الانقضاض، وأضاف: «هل تعتقد أنك من سينجو؛ الصبى الذى نجا بالمصادفة، أو لأن (دمبلدور) كان يحركه بالخيوط كالدمى؟».

وسأله (هارى): «هل كان موت أمى لإنقاذى مصادفة؟». كانا لا يزالان يتحركان إلى الجانب، ويصنعان تلك الدائرة الكاملة، بينما يحافظان على المسافة التى تفصل بينهما ولم يكن (هارى) وهو يتكلم يرى أحدًا سوى وجه (فولدمورت): «أكانت مصادفة عندما قررت مقاتلتك فى تلك المقبرة؟ أم أنها مصادفة أننى لم أدافع عن نفسى الليلة، ومع ذلك نجوت، وعدت لقتالك مرة أخرى؟».

صرخ (فولدمورت): «*مصادفات!*». لكنه لم يحاول الهجوم بعد، وتجمدت الحشود المشاهدة تمامًا وكأنهم قد تحجروا، وبدا أنه لا أحد من المئات الموجودين فى البهو يتنفس سواهما، وأضاف (فولدمورت): «مصادفة وحظ وحقيقة أنك كنت تختبئ باكيًا خلف عباءات رجال ونساء أعظم وتسمح لى بقتلهم من أجلك!».

قال (هارى) وهما يدوران ويحدقان فى عينى بعضيهما، الخضراء فى الحمراء: «لن تستطيع قتل أى شخص آخر الليلة، لن تستطيع قتل أى واحد منهم ثانية أبدًا. ألا تفهم؟ لقد كنت على استعداد للموت لأمنعك من إيذاء هؤلاء الناس».

«ولكنك لم تمت!».

«ولكنى عنيت ذلك، وهذا ما أحدثه. لقد فعلت ما فعلته والدتى. إنهم محميون منك. ألم تلاحظ أن كل التعاويذ التى أطلقتها عليهم لم تستمر؟ لا يمكنك أن تعذبهم أو تمسهم. إنك لا تتعلم أبدًا من أخطائك يا (ريدل)؟».

«*هل تجرؤ؟!*».

قال (هارى): «نعم أجرؤ، فأنا أعرف أمورًا لا تعرفها يا (توم ريدل). أعرف الكثير من الأشياء الهامة التى لا تدرى عنها أنت شيئًا. أتريد أن تسمع بعضها، قبل أن ترتكب خطأ آخر جسيمًا؟».

لم ينطق (فولدمورت)، وظل يتحرك فى دائرة، وعرف (هارى) أنه قد أبقاه مؤقتًا مترددًا وقلقًا من احتمال أن (هارى) ربما يعرف فعلاً سرًا أخيرًا...

قال (فولدمورت) وقد ارتسم التهكم على وجهه الشبيه بالثعبان: «هل هو الحب، مرة أخرى؟ حل (دمبلدور) المفضل، *الحب*، والذى يدعى أنه يهزم الموت، الحب الذى لم يحمه من السقوط من فوق البرج، والانكسار مثل تمثال شمعى قديم؟ *الحب* الذى

لم يمنعنى من سحق أمك ذات الدم الموحل مثل الصرصور يا (بوتر) ـ ويبدو أنه لا أحد هنا اليوم يحبك بما يكفى للقفز أمامك، وتلقى لعنتى بدلا منك. ما الذى سيمنعك من الموت عندما أصوب نحوك هذه المرة؟».

قال (هارى): «شىء واحد فقط». وظلا يدوران حول بعضيهما، ولا شىء يوقفهما من الهجوم سوى السر الأخير.

قال (فولدمورت): «إذا لم يكن الحب هو ما سينقذك هذه المرة. فأنت إذن تعتقد أن لديك سحرا لا أملكه، أو سلاحا أكثر قوة من سلاحى؟».

قال (هارى): «أعتقد بأن لدىَّ كليهما». ورأى الصدمة تعبر الوجه الشبيه بالثعبان للحظة، لكنها تبددت على الفور؛ وبدأ (فولدمورت) يضحك، وبدا صوت ضحكه الجنونى الخالى من المرح مخيفًا أكثر من صراخه؛ وتردد صداه عبر البهو الصامت.

وقال: «هل تعتقد أنك تعرف سحرًا أكثر مما أعرفه؟ أكثر منى أنا، لورد (فولدمورت) الذى أدى سحرًا لم يحلم (دمبلدور) نفسه به أبدًا؟».

قال (هارى): «آه، لقد حلم به فعلا، ولكنه كان أكثر معرفة منك، عرف ما يكفى كى لا يفعل ما فعلته».

صرخ (فولدمورت): «تعنى أنه كان ضعيفًا؛ أضعف من أن يجرؤ، أضعف من أن يأخذ ما كان يمكن أن يصبح ملكه، ما سيصبح ملكى أنا!».

قال (هارى): «لا، كان أمهر منك. ساحرًا أفضل ورجلاً أفضل».

«لقد تسببت فى وفاة (ألباس دمبلدور)!».

قال (هارى) : «لقد اعتقدت أنك فعلت ولكنك مخطئ».

وللمرة الأولى، يضطرب الحشد المشاهد، والتقط مئات الناس الذين يقفون حول الحوائط أنفاسهم معًا.

«دمبلدور ميت!». رمى (فولدمورت) الكلمات نحو (هارى) وكأنها ستسبب له ألمًا لا يطاق، وأضاف: «إن جسده يتحلل داخل قبره الرخامى فى ملاعب القلعة، لقد رأيته يا (بوتر)، إنه لن يعود!».

قال (هارى) بهدوء: «نعم، (دمبلدور) ميت. ولكنك لم تتسبب فى قتله. هو الذى اختار الطريقة التى يموت بها، اختارها قبل شهور من وفاته، ورتب كل شىء مع الرجل الذى كنت تعتقد أنه خادم لك».

قال (فولدمورت): «أى حلم طفولىٍّ هذا؟». ولكنه ظل ممتنعًا عن الهجوم، بينما عيناه الحمراوان مثبتتان على عينى (هارى).

قال (هارى): «(سيفيروس سناب) لم يكن معك. لقد أصبح (سناب) مع (دمبلدور) منذ اللحظة التى بدأت فيها مطاردة والدتى. ولكنك لم تدرك ذلك أبدًا؛ لأنه شىء لا يمكنك أن تفهمه. إنك لم تر (سناب) يؤدى تعويذة باتروناس من قبل، أليس كذلك يا (ريدل)؟».

لم يجبه (فولدمورت)، وظلا يدوران حول بعضيهما كالذئاب التى تستعد لتمزيق بعضها البعض.

قال (هارى): «كانِ باتروناس (سناب) ظبية، تمامًا مثل باتروناس والدتى، لأنه أحبها طوال حياته تقريبًا، منذ كانا طفلين. كان عليك أن تدرك ذلك». ورأى (هارى) فتحتى أنف (فولدمورت) تتمددان وأضاف: «ألم يسألاك الإبقاء على حياتها؟».

قال (فولدمورت) متهكمًا: «لقد رغب بها، هذا كل ما فى الأمر، وعندما رحلت، وافقنى على أن هناك نساءً أخريات أنقى دمًا منها تناسبنه أكثر».

قال (هارى): «بالطبع، قال لك ذلك، ولكنه أصبح جاسوسًا لدمبلدور منذ اللحظة التى هددتها فيها! وظل يعمل ضدك منذ ذلك الوقت! لقد كان (دمبلدور) يحتضر بالفعل عندما قتله (سناب)!».

صرخ (فولدمورت): «كل ذلك لا يهم!». بعد أن تابع كل كلمة قيلت باهتمام شديد، ولكنه الآن أطلق ضحكة مجنونة وأضاف: «إن ذلك لا يهم سواء كان (سناب) معى أو مع (دمبلدور) أو مهما كانت العوائق الحقيرة التى حاولا وضعها فى طريقى! لقد سحقتهم تمامًا مثلما سحقت أمك التى من المفترض أنها حب (سناب) العظيم! أوه، ولكن هذا يفسر الأمور يا (بوتر) بطرق لا تفهمها أنت!

كان (دمبلدور) يحاول منعى من الحصول على عصا الكبير! أراد أن يكون (سناب) السيد الحقيقى للعصا، ولكنى وصلت إلى ذلك قبلك أيها الفتى، وصلت إلى العصا قبل أن تتمكن من وضع يدك عليها، فهمت الحقيقة قبل أن تصل إليها أنت. وقد قتلت (سيفيروس سناب) منذ ثلاث ساعات، وقد أصبحت عصا الكبير؛ عصا الموت، عصا القدر ملكى فعلا! وفشلت خطة (دمبلدور) الأخيرة يا (هارى بوتر)!».

قال (هارى): «نعم، فشلت. أنت على حق. ولكن قبل أن تحاول قتلى، أنصحك بالتفكير فى كل ما فعلت... فكر، وحاول أن تندم يا (ريدل)..».

«ما هذا؟».

لم يصدم (فولدمورت) من أى شىء من الأشياء التى قالها له (هارى) مثل هذا، مهما كان ما به من إفشاء وتقريع، ورأى (هارى) بؤبؤى عينيه يضيقان، والجلد حول عينيه يبيض.

قال (هارى): «إنها فرصتك الوحيدة والأخيرة، كل ما بقى لديك... لقد رأيت ما ستصبح عليه إن لم تفعل... كن رجلاً... وحاول... حاول أن تندم..».

قال (فولدمورت) مجددًا: «هل تجرؤ؟».

قال (هارى): «نعم، أجرؤ؛ لأن خطة (دمبلدور) الأخيرة لم تنقلب علىَّ بالمرة. ولكنها انقلبت عليك أنت يا (ريدل)».

ارتجفت يد (فولدمورت) على عصا الكبير، وقبض (هارى) على عصا (دراكو) بقوة. إن لحظة النهاية لا تبعد سوى ثوان قليلة.

«إن تلك العصا مازالت لا تعمل بشكل جيد معك؛ لأنك قتلت الشخص الخطأ. لم يكن (سيفيروس سناب) أبدًا السيد الحقيقى لعصا الكبير؛ لأنه لم يهزم (دمبلدور) أبدًا».

«لكنه قتل».

«ألم تستمع لما قلته لك؟ لم يهزم (سناب) (دمبلدور) أبدًا! لقد دبرا معًا موت (دمبلدور) الذى تعمد الموت غير مهزوم، ليكون آخر سيد حقيقى للعصا! ولو سار الأمر كما خطط له، لماتت قوة العصا معه؛ لأن أحدًا لم ينتصر عليه أبدًا!».

وقال (فولدمورت) وصوته يهتز باستمتاع خبيث: «وماذا بعد يا (بوتر) وكأن (دمبلدور) أعطانى تلك العصا! لقد سرقتها من قبر سيدها الأخير! وأخذتها ضد رغبة سيدها الأخير! وأصبحت قواها ملكًا لى!».

«مازلت لا تفهم يا (ريدل)، أليس كذلك؟ الحصول على العصا لا يكفى! لا حملها ولا استخدامها يجعلها ملكًا لك. ألم تستمع إلى (أوليفاندور)؟ العصا تختار الساحر... لقد تعرفت عصا الكبير على سيد جديد قبل أن يموت (دمبلدور)، شخص لم يضع يده عليها أبدًا من قبل، ولكنه انتزع العصا من (دمبلدور) ضد إرادته، وبدون أن يدرى ما فعله بالضبط، أو يعرف أن أخطر عصًا فى العالم قد منحته ولاءها..».

وأخذ صدر (فولدمورت) يعلو ويهبط بسرعة، وشعر (هارى) أن اللعنة قادمة، شعر بها تتجمع داخل العصا الموجهة إلى وجهه.

«السيد الحقيقى لعصا الكبير كان (دراكو مالفوى)».

وظهرت الصدمة واضحة على وجه (فولدمورت) للحظة، ثم اختفت.

وقال بنعومة: «وماذا يهم فى ذلك كله؟ حتى لو كنت على حق يا (بوتر)، فإن هذا لا يؤثر علينا أنا وأنت. إنك لم تعد تملك عصا العنقاء، وستعتمد نتيجة المبارزة بيننا على المهارة وحدها... وبعد أن أقتلك، يمكننى أن أذهب إلى (دراكو مالفوى)..».

قال (هارى): «ولكنك جئت متأخرًا، وضاعت منك الفرصة، ووصلت إليها أنا أولاً. لقد هزمت (دراكو) منذ أسابيع، وأخذت هذه العصا منه».

وهز (هارى) عصا الزعرور البرى بين يديه وشعر بأن عيون جميع من فى البهو اتجهت إليها...

وهمس (هارى): «إن الأمر كله يتوقف على شىء واحد، أليس كذلك؟ هل تعرف العصا التى فى يدك أن آخر سيد لها قد نزع منه سلاحه؟ لأنها لو كانت تعرف... أكون أنا السيد الحقيقى لعصا الكبير».

وسطع وهج أحمر ذهبى فجأة عبر السماء المسحورة فوقهما، حيث ظهر شعاع من أشعة الشمس الساطعة على حافة أقرب النوافذ إليهما، وسقط الضوء على وجهيهما فى نفس الوقت. وتوهج (فولدمورت) فجأة مثل اللهب. وسمع (هارى) صراخه العالى فى نفس اللحظة التى صاح هو أيضًا بأفضل أمنية لديه نحو السماء وهو يصوب عصا (دراكو)...

«*(أفادا كيدافرا)!*».

«*(أكسبيليارموس)!*».

ودوى انفجار مثل انطلاق مدفع وحدد اللهب الذهبى الذى نشأ بينهما فى مركز الدائرة التى كانا يدوران فيها، النقطة التى اصطدمت عندها التعويذتان ورأى (هارى) أشعة (فولدمورت) الخضراء تلتقى بتعويذته، ثم رأى عصا الكبير تطير عاليًا، لونها قاتم فى مواجهة شروق الشمس، ثم تدور عبر السقف المسحور مثل رأس (ناجينى)، تدور فى الهواء متجهة نحو سيدها الذى لم تكن لتقتله، والذى جاء ليستحوذ عليها أخيرًا. والتقطها (هارى) فى يده الخالية بمهارته الرائعة كباحث، فى نفس اللحظة التى سقط فيها (فولدمورت) للخلف وقد امتدت ذراعاه بجواره ودار بؤبؤا عينيه الأحمران لأعلى. وقع (توم ريدل) إلى الأرض بختام مشهود، وأصبح جسده واهنًا منكمشًا ويداه البيضاوان خاليتين، ووجهه الشبيه بالحية خاليًا من التعبير، غير مدرك. سقط (فولدمورت) ميتًا، مقتولاً

بـلـعـنـتـه الـتـى ارتـدت عـلـيـه، ووقـف (هـارى) يـحـدق فـى جـسـد عـدوه، وهـو يمسك بعصوين فى يديه.

وامتدت صدمة اللحظة لثانية من الصمت المرتعش. ثم انطلقت الضوضاء، وشق صراخ وهتاف وزئير المشاهدين الهواء حول (هارى) واخترقت أشعة الشمس الجديدة الساطعة النوافذ، بينما يسرعون نحوه، وكان أول من وصل إليه (رون) و(هرميون)، والتفت أيديهم حوله، وأصمته صيحاتهم غير المفهومة، ثم جاءت (جينى) و(نيفيل) و(لونا) ثم جميع أفراد (آل ويزلى) و(هاجريد) و(كنجسلى) و(ماكجونجال) و(فيلتويك) و(سبراوت)، ولم يكن (هارى) يميز أى كلمة من صياحهم، ولا أى يد تمسك به أو تشده أو تحاول ضم جزء منه، وازدحم المئات، كلهم مصممون على لمس الصبى الذى عاش، وسبب ذلك أن الأمر قد انتهى أخيرًا.

وارتفعت الشمس تدريجيًا فوق (هوجوورتس) وتوهج البهو العظيم بالحياة والضوء. وكان (هارى) جزءًا ضروريًا من الفيض المختلط من عبارات الابتهاج والحداد، من الحزن والاحتفال. لقد أرادوه بينهم، قائدهم ورمزهم، مخلصهم ومرشدهم، ولم يخطر ببال أحد منهم أنه لم يذق النوم، أو أنه يشتاق إلى رفقة عدد قليل منهم فقط. كان عليه أن يتحدث مع الذين فقدوا أحباءهم، يمسك أيديهم، ويشهد دموعهم، ويتلقى شكرهم، ويسمع الأخبار التى بدأت الآن تزحف من كل صوب بعد طلوع الصباح، والتى أخبرتهم بعودة من كانوا تحت تعويذة التحكم إلى أنفسهم فى جميع أنحاء البلاد. وأن آكلى الموت يحاولون الفرار أو قبض عليهم، وأن أبرياء أزكابان يطلق سراحهم فى هذه اللحظة، وأن (كنجسلى شاكليبولت) قد عين وزير السحر المؤقت...

كانوا قد نقلوا جثة (فولدمورت) ووضعوها فى غرفة بعيدة عن البهو، بعيدًا عن جثث (فريد) و(تونكس) و(لوبين) و(كولين كريفى) وخمسين شخصًا آخرين ماتوا وهم يقاتلونه. وأعادت (ماكجونجال) وضع موائد المنازل مرة أخرى ولكن لم يعد أحد يجلس حسب منزله، كان الجميع مختلطين معًا، المدرسون والطلاب والأشباح والأهل والقناطير وأقزام المنازل، ورقد (فيرنزى) يرتاح فى أحد الأركان، بينما ينظر (جراوب) من خلال إحدى النوافذ المهشمة، وكان الناس يلقون بالطعام فى فمه الضاحك، وبعد مرور بعض الوقت، وجد (هارى) نفسه يجلس على مقعد بجوار (لونا) وهو مرهق بشدة.

قالت (لونا): «لابد أنك فى حاجة إلى بعض الهدوء والسكينة».
فأجابها: «كم أتمنى ذلك».
قالت: «سأشتت انتباههم جميعًا. استخدم عباءتك».
وقبل أن يرد عليها صاحت بصوت عال: «أووه، انظروا. إنه (بليبيرينج هومدينجر)!». وأشارت إلى خارج النافذة، فنظر كل الذين سمعوها حولهم ووضع (هارى) العباءة حوله، ووقف على قدميه.
يمكنه الآن التحرك عبر البهو دون أن يعوقه أحد. ورأى (جينى) على بعد مائدتين؛ تجلس ورأسها على كتف والدتها، سيكون هناك وقت لتبادل الحديث فيما بعد، هناك ساعات وأيام وربما سنوات يتبادلون فيها الحديث. ورأى (نيفيل) وقد وضع سيف (جريفندور) بجوار طبقه وهو يأكل، بينما يحيط به مجموعة من المعجبين به. ومشى عبر الممرات الموجودة بين الموائد وشاهد أفراد (آل مالفوى) الثلاثة متجمعين معًا، وكأنهم غير واثقين إن كان وجودهم فى المكان مفترضًا أم لا، ولكن لم يكن هناك من يوجه اهتمامه لهم. وفى كل مكان ينظر إليه، يرى عائلات اجتمع شملها، وأخيرًا، رأى الاثنين اللذين يشتاق لرفقتهما...
وتمتم وهو ينحنى بينهما: «إنه أنا، ألا تأتيان معى؟».
ووقفا على الفور، وتركوا البهو العظيم معًا هو و(رون) و(هرميون). كانت هناك أجزاء كبيرة من الرخام مفقودة من السلالم، بينما تهدم جزء من الدرابزين، تناثرت الأنقاض وبقع الدم على الدرجات التى يصعدون عليها...
وسمعوا (بيفز) فى مكان ما على بعد، يطير فى الدهاليز وهو يغنى أغنية للنصر، قام بتأليفها:

لقد فعلناها وقمنا بسحقهم، وانتصر (بوتر).
وأصبح (فولدى) متعفنا، هيا بنا نمرح.

قال (رون) وهو يدفع الباب ليدخل (هارى) و(هرميون): «إن ذلك يعطى مجالاً للتفكير فى مدى المأساة فى الأمر، أليس كذلك؟».
وفكر (هارى) أن السعادة سوف تأتى، ولكنها فى هذه اللحظة مكتومة بسبب الإرهاق وألم فقد (فريد) و(لوبين) و(تونكس)، والذى يوخزه مثل جرح فى جسمه

كل بضع خطوات. ولكن أكثر شيء يشعر به الآن هو إحساس عميق بالارتياح ورغبة شديدة فى النوم. ولكنه أولاً، يدين بتفسير لـ (رون) و(هرميون) اللذين رافقاه لوقت طويل ويستحقان معرفة الحقيقة. وأخذ يقص عليهما كل ما رآه فى البنسييف وما حدث فى الغابة، ولم يكونا قد بدأا حتى فى إبداء صدمتهما وتعجبهما، عندما وصلوا إلى المكان الذى اتجهوا إليه معًا، دون أن يحدد أحد منهم وجهته.

ووجد (هارى) أن التمثال الذى يحرس مدخل مكتب الناظر قد ابتعد إلى الجانب منذ آخر مرة رآه (هارى) فيها. كان يقف مائلاً ويبدو دائخًا قليلاً، وتساءل (هارى) إن كان قادرًا على تمييز كلمات السر بعد الآن.

وسأله: «هل يمكننا الدخول؟».

تأوه التمثال وقال: «افعلوا ما تريدون».

تخطوه إلى السلالم الحجرية الحلزونية التى دارت ببطء صاعدة بهم مثل السلالم المتحركة. ودفع (هارى) الباب الذى فى قمة السلالم.

وألقى نظرة قصيرة نحو البنسييف الحجرى الذى مازال موجودًا على المكتب حيث تركه، ثم اندلع فجأة ضجيج عال، جعله يصيح وهو يفكر فى اللعنات وعودة آكلى الموت وميلاد (فولدمورت) من جديد.

ولكنه كان تصفيقًا. ورأى نظار وناظرات (هوجوورتس) السابقين الموجودين فى جميع اللوحات حول الغرفة، يحيونه ويهتفون له ويلوحون له بقبعاتهم، وفى بعض الحالات بباروكات الشعر، وخرجوا من جوانب لوحاتهم ليسلموا على بعضهم البعض. وأخذوا يتقافزون على الكراسى التى رسموا فوقها، وبكت (ديليس ديروينت) بدون خجل، وأخذ (ديكستر فورتيسكيو) يلوح بسماعة أذنه التى تشبه البوق، وقال (فينياس نيجيلوس) بصوته العالى: «دعونا نذكر دائمًا أن منزل (سليذرين) قد قام بدوره! يجب ألا تنسى مشاركتنا!».

ولكن تركيز (هارى) كله كان مع الرجل الذى يقف فى أكبر اللوحات خلف مكتب الناظر مباشرة. ورأى الدموع تنزلق من خلف النظارة الهلالية إلى لحيته الفضية الطويلة، وملأ الفخر والامتنان اللذان يشعان منه (هارى) بالهدوء الذى تشعره به أغنية العنقاء.

وأخيرًا، رفع (هارى) يديه، وصمتت اللوحات، وأخذوا يبتسمون ويمسحون عيونهم وينتظرون بحماس سماع ما سيقوله، لكنه وجه كلامه إلى (دمبلدور)

وحرص على اختياره بعناية كبيرة. كان عليه أن يبذل مجهودًا أخيرًا، رغم شدة إرهاقه ويسأله نصيحة أخيرة.

«لقد أسقطت الشىء الذى كان مخفيًا داخل السنيتش فى الغابة. وأعرف أين وقع بالضبط، ولكنى لن أذهب للبحث عنه ثانية، هل توافق؟».

قال (دمبلدور): «أوافق تمامًا يا بنى العزين». وظهرت الحيرة والفضول على زملائه فى الصور الأخرى. وأضاف: «قرار حكيم وشجاع، ولكنه ليس أقل مما أتوقع منك، هل يعرف أى شخص آخر أين سقط؟».

قال (هارى): «لا، لا أحد». وأومأ (دمبلدور) برضًا.

قال (هارى): «ولكنى سوف أحتفظ بهدية (إجنوتوس)». وابتسم (دمبلدور).

«ولكن بالطبع يا (هارى)، إنها لك إلى الأبد، حتى تمررها!».

«وهناك هذه أيضًا».

ورفع (هارى) عصا الكبير ونظر إليها (رون) و(هرميون) بتبجيل لم يحب (هارى) رؤيته حتى وهو فى هذه الحالة من الإرهاق والحرمان من النوم.

قال (هارى): «أنا لا أريدها».

قال (رون) بصوت عال: «ماذا؟ هل أنت مجنون؟».

أجابه (هارى) بملل: «أعرف أنها قوية، ولكننى كنت سعيدًا بعصاى. لذلك..».

وبحث داخل الجراب المعلق حول عنقه وأخرج منه نصفى العصا المصنوعة من خشب شجرة عيد الميلاد، اللذين كانا لا يزالان متصلين بجزء من ريشة العنقاء. كانت (هرميون) قد قالت إنه لا يمكن إصلاحها وإن الضرر الذى حدث بها شديد. وفكر أنه إذا لم يصلحها ذلك، فلا شىء آخر سينفع.

وضع (هارى) العصا المكسورة على مكتب الناظر ولمسها بطرف عصا الكبير، وقال: «ريبارو».

وأطلقت عصاه شررًا أحمر من طرفها، وعرف (هارى) أنه نجح. والتقط عصاه المصنوعة من خشب شجرة عيد الميلاد وريشة العنقاء، وشعر بدفء مفاجئ فى أصابعه. وكأن العصا واليد مبتهجتان باتحادهما مرة أخرى.

وأخبر (دمبلدور) الذى كان يراقبه بمحبة وإعجاب شديدين: «سأعيد عصا الكبير إلى المكان الذى أتت منه وستبقى هناك. إذا انتهت حياتى بوفاة طبيعية مثل (إجنوتوس)، ستنتهى قوتها، أليس كذلك؟ إذا لم يتعرض مالكها السابق للهزيمة، سيكون فى ذلك نهايتها».

أومأ (دمبلدور) برأسه. وابتسما لبعضهما البعض.

قال (رون) وفى صوته رنة شوق بسيطة وهو ينظر إلى عصا الكبير: «هل أنت متأكد؟».

قالت (هرميون) بهدوء: «أعتقد أن (هارى) على حق».

قال (هارى): «إن هذه العصا تسبب متاعب أكثر مما تستحق. وبصراحة تامة»، والتفت بعيدًا عن اللوحات المرسومة وكل ما يفكر فيه هو السرير ذو الأعمدة الذى ينتظره ببرج (جريفندور)، ويتساءل إن كان (كرياتشر) يستطيع أن يجلب له بعض السندوتشات هناك، وأضاف: «لقد مررت بمتاعب تكفينى طوال حياتى».

بعد ثمانية عشر عامًا

بدا الخريف كما لو أنه أتى فجأة هذا العام. وكان صباح اليوم الأول من شهر سبتمبر هشًّا وذهبيًّا مثل تفاحة. وبينما تعبر العائلة الصغيرة الطريق المزدحم باتجاه المحطة المعتمة الضخمة، تلألأ الدخان الخارج من أنابيب العادم بالسيارات وتنفس المارة مثل نسيج العنكبوت في الهواء البارد. وأخذت البومتان الموجودتان داخل القفصين الكبيرين الموضوعين فوق الحقائب، تنعقان بسخط، بينما يدفع الأبوان عربتى نقل الأمتعة. وتبعت الفتاة ذات الشعر الأحمر أخويها وهى دامعة ومتشبثة بذراع والدها.

أخبرها (هارى): «لن يمضى وقت طويل، وستذهبين أنتِ أيضًا».

قالت (ليلى) باكية: «بعد سنتين. أريد أن أذهب *الآن*».

وأخذ المسافرون يحدقون بفضول فى البوم، بينما تتجه الأسرة نحو الحاجز الذى يفصل بين الرصيفين تسعة وعشرة. وعلا صوت (ألباس) على الضجيج المحيط بهم، وعرف (هارى) أن ولديه قد استأنفا الجدال الذى بدآه فى السيارة.

«لا! لن *أكون* فى (سليذرين)!».

قالت (جينى): «(جيمس). كف عن هذا!».

قال (جيمس) وهو يبتسم لأخيه الأصغر: «كنت فقط أقول إنه *ربما*، لا يوجد ما يسوء فى ذلك. ربما يذهب إلى (سليذرين)».

لكن (جيمس) لمح عينى والدته وسكت فورًا. واقترب أفراد (آل بوتر) الخمسة من الحاجز. ونظر (جيمس) من فوق كتفه إلى أخيه نظرة تباهٍ، ثم أخذ العربة من أمه وانطلق يجرى وهو يدفعها أمامه، وبعد لحظة، اختفى.

وسأل (ألباس) أبويه فورًا مستفيدًا من الغياب اللحظى لأخيه: «سترسلان لى الخطابات، أليس كذلك؟».

قالت (جينى): «كل يوم إذا أردتنا أن نفعل ذلك».

قال (ألباس) بسرعة: «ليس *كل* يوم، يقول (جيمس) إن معظم الناس تصلهم الرسائل من أهليهم مرة فى الشهر».

قالت (جينى): «لقد كنا نرسل الرسائل إلى (جيمس) ثلاث مرات أسبوعيًّا فى العام الماضى».

تدخل (هارى) قائلاً: يجب عليك ألا تصدق كل شىء يقوله لك عن (هوجوورتس)، فأخوك يحب المزاح».

ودفعا عربة الأمتعة الثانية معًا إلى الأمام وأخذوا يزيدون من سرعتهم، وعندما وصلوا إلى الحاجز، أجفل (ألباس)، ولكن لم يحدث أى اصطدام، بل ظهرت العائلة على

الرصيف رقم تسعة وثلاث أرباع، والذى كان محجوبًا بالبخار الكثيف الأبيض الذى يخرج من قطار (هوجوورتس) السريع القرمزى ولم يستطيعوا تمييز الأشخاص الواقفين على الرصيف بسبب الضباب الكثيف الذى كان (جيمس) قد اختفى فيه بالفعل.

وسال (ألباس) باهتمام وهو ينظر إلى الأشكال غير الواضحة التى يمرون بها وهم يمشون عبر الرصيف: «أين هم؟».

قالت (جينى) لتطمئنه: «سوف نجدهم».

ولكن البخار كان كثيفًا ومن الصعب التعرف على وجه أى شخص. وبدت الأصوات عالية بطريقة غير طبيعية. وظن (هارى) أنه سمع (بيرسى) يتكلم بصوت مرتفع عن قواعد استخدام عصى المكنسة، وسر أن لديه العذر حتى لا يتوقف ويلقى عليه التحية.

وقالت (جينى) فجأة: «أعتقد أنهم هنا..».

وظهرت مجموعة من أربعة أشخاص من وسط الضباب، يقفون أمام آخر عربة فى القطار. ولم تظهر وجوههم بوضوح إلا عندما وصل إليهم (هارى) و(جينى) و(ليلى) و(ألباس).

قال (ألباس) وقد بدا مرتاحًا للغاية: «مرحبًا».

وابتسمت له (روز) التى كانت ترتدى ملابس (هوجوورتس) الجديدة.

سأل (رون) (هارى): «هل وجدت مكانًا جيدًا لإيقاف السيارة إذن؟ لقد فعلت. لم تكن (هرميون) تصدق أننى أستطيع النجاح فى اختبارات القيادة الخاصة بالعامة. أليس كذلك؟ ظننت أننى يجب أن أقوم بسحر الممتحن».

قالت (هرميون): «لا، لم أعتقد ذلك. فلدى ثقة كاملة فيك».

همس (رون) لـ (هارى) وهما يرفعان معًا حقيبة (ألباس) وقفص البومة إلى داخل القطار: «الحقيقة أننى قمت برمى تعويذة خلط عليه فعلاً، لقد نسيت أن أنظر فى المرآة الجانبية فقط. على أية حال، يمكننى أن أستخدم تعويذة مساعدة فى ذلك الأمر».

وعند عودتهم إلى الرصيف، وجدوا (ليلى) و(هوجو) شقيق (روز) الصغير يتناقشان بحماس حول المنزل الذى سيتم تنسيقهما فيه عندما يذهبان أخيرًا إلى (هوجوورتس).

قال (رون): «إذا لم تذهبا إلى (جريفندور)، سنحرمكما من الميراث، ولكننا لن نضغط عليكما».

«رون!».

ضحكت (ليلى) و(هوجو)، بينما ظهرت الكآبة على (ألباس) و(روز).

قـالت (هـرمـيـون) و(جـيـنـى) مـعًـا: «إنـه لا يـعـنـى ذلك». لـكـن (رون) تـوقـف عن الاهتمام بالأمر، كان يومئ برأسه الآن نحو مكان على بعد خمسين قدمًا تقريبًا. وهو ينظر إلى (هارى). بعد أن خف البخار للحظة ورأوا ثلاثة أشخاص يقفون براحة كبيرة أمام البخار المتصاعد.

«انظر من هناك».

كان (دراكو مالفوى) يقف هناك مع زوجته وابنه، وهو يرتدى معطفًا قاتمًا أزراره مغلقة حتى عنقه، وقد تراجع شعره بعض الشىء، مما ساعد على إظهار ذقنه المدببة أكثر. وبدا ابنه يشبهه، تمامًا كما يشبه (ألباس) (هارى). ولمح (دراكو) (هارى) و(رون) و(جينى) و(هرميون) ينظرون إليه، فأومأ بالتحية، ثم التفت مرة أخرى.

قال (رون) بصوت هامس: إذن هذا هو (سكوربيوس) الصغير. تأكدى من التفوق عليه فى كل الاختبارات يا (روزى). الحمد لله أنكِ قد ورثت ذكاء والدتك».

قالت (هرميون) وهى نصف متجهمة ونصف مستمتعة: «بحق السماء يا (رون)، لا تحاول تحريضهم على بعضهم حتى قبل أن تبدأ المدرسة!».

قال (رون): «إنك على حق، آسف». لكنه لم يستطع منع نفسه، فأضاف: «لكن لا تكونى صديقة له يا (روزى)؛ لأن جدك (ويزلى) لن يسامحك إذا تزوجتِ أحد ذوى الدم النقى».

«هيه!».

وظهر (جيمس) مجددًا، ولكن بدون الصندوق والبومة والعربة، وكان يبدو عليه أنه قد أتى ببعض الأخبار.

قال وهو يلهث ويشير إلى الخلف من فوق كتفه نحو سحب البخار الكثيفة: «لقد رأيت (تيدى لتوى)، إنه يقف هناك! وخمنوا ماذا كان يفعل؟ كان يعانق (فيكتويرى)!».

وأخذ يحدق فى الكبار وظهرت عليه خيبة الأمل لعدم وجود رد فعل منهم.

فأكمل قائلاً: «إنه (تيدى لوبين)! يعانق *(فيكتويرى)! ابنة خالنا!* وقد سألت تيدى ماذا كان يفعل».

قالت (جينى): «هل قمت بمقاطعتهم؟ إنك تشبه (رون) كثيرًا».

«وأخبرنى أنه أتى ليودعها! ثم طلب منى أن أذهب بعيدًا». ثم كرر كلامه مرة أخرى وكأنه قلق من أنه لم يوضحه بما يكفى: «كان يعانقها!».

وهمست (ليلى) بشغف: «سيكون جميلاً لو تزوجا، عندئذ سيكون (تيدى) أحد أفراد العائلة فعلاً».

قال (هارى): «إنه يأتى لتناول العشاء معنا أربع مرات فى الأسبوع بالفعل. لماذا لا ندعوه ليعيش معنا وننتهى من هذا الأمر؟».

قال (جيمس) بحماس: «نعم. أنا لا أمانع فى مشاركة (آل) فى غرفته. ويمكن أن يأخذ (تيدى) غرفتى».

قال (هارى) بحزم: «لا، سأتركك أنت و(آل) تتشاركان فى غرفة واحدة فقط عندما أريد هدم المنزل فقط».

ونظر (هارى) إلى الساعة القديمة التى كانت فيما مضى ملكًا لـ(فابيان بريوت).

«إنها الحادية عشرة تقريبًا. من الأفضل أن تصعدوا إلى القطار».

وقالت (جينى) لـ (جيمس) وهى تعانقه: «لا تنس أن تبلغ حبنا إلى (نيفيل)».

قال (جيمس): «يا أمى لا يمكننى أن أبلغ حبكم إلى أستاذ يا أمى».

«ولكنك تعرف (نيفيل)».

أدار (جيمس) عينيه.

«فى الخارج، نعم، ولكنه فى المدرسة الأستاذ (لونجبوتوم). أليس كذلك؟ لا يمكننى أن أدخل إلى حصة علم النباتات السحرية وأبلغه حبكم..».

وهز رأسه أمام غباء أمه، ونفث عن غضبه بركل (ألباس).

«أراك لاحقًا يا (أل). كن حذرًا من الثيسترال».

«كنت أعتقد أنهم خفيون؟ أنت قلت إنهم خفيون!».

لكن (جيمس) ضحك فقط وهو يسمح لأمه بتقبيله، ثم احتضن أباه بسرعة وقفز صاعدًا إلى القطار الذى امتلأ بالمسافرين. وشاهدوه يلوح لهم، قبل أن ينطلق مبتعدًا عبر الممرات باحثًا عن أصدقائه.

وأخبر (هارى) (ألباس): «لا تقلق بشأن الثيسترال، إنها مخلوقات لطيفة. وليست مخيفة بالمرة. وعلى أية حال، أنت لن تذهب إلى المدرسة بالعربات، ولكن بالقوارب».

وقبلت (جينى) (ألباس) مودعة.

«نراك فى إجازة عيد الميلاد».

قال (هارى): «وداعًا يا (آل)». وأضاف وهو يعانقه: «لا تنس دعوة (هاجريد) لتناول الشاى يوم الجمعة القادم. ولا تعبث مع (بيفز). ولا تبارز أى شخص، قبل أن تتعلم كيف. ولا تدع (جيمس) يتلاعب بك».

«ولكن ماذا لو ذهبت إلى منزل (سليذرين)؟».

كان يهمس لوالده وحده، وفهم (هارى) أن لحظة السفر فقط هى التى أجبرت (ألباس) على الكشف عن مدى عظمة وعمق خوفه.

وجلس (هارى) القرفصاء، حتى أصبح مستوى وجه (ألباس) أعلى من وجهه بقليل. كان (ألباس) هو الوحيد الذى ورث عينى جدته (ليلى) من بين أولاد (هارى) الثلاثة.

قال (هارى) بهدوء: «(ألباس) (سيفيروس)»، حتى لا يسمعه أحد سوى (جينى)، لكنها كانت لبقة بما يكفى لتتظاهر بأنها تلوح لـ(روز) التى كانت قد ركبت القطار. وأكمل (هارى): «لقد سميت على اسم اثنين من نظار (هوجوورتس). أحدهما كان من منزل (سليذرين) وربما يكون أشجع رجل عرفته فى حياتى».

«ولكن لو أنه..».

« ـ سيكسب منزل (سليذرين) إذن سيكون طالبًا ممتازًا، أليس كذلك؟ إن الأمر لا يهمنا يا (أل). ولكن لو أنه مهمٌّ بالنسبة لك، ستكون إذن قادرًا على اختيار (جريفندور)، لأن قبعة التنسيق تأخذ اختيارك فى الحسبان».

«حقًا؟».

قال (هارى): «لقد فعلت ذلك معى».

لم يكن قد أخبر أيًّا من أولاده بذلك من قبل، ورأى التعجب فى وجه (ألباس) عندما أخبره بذلك. ولكن أبواب العربات بدأت تغلق بطول القطار القرمزى، واقتربت حشود الآباء من القطار وسط الضباب من أجل القبلات المودعة وتعليمات اللحظات الأخيرة. وقفز (ألباس) فى العربة وأغلقت (جينى) الباب خلفه. وبدا الطلاب متجمهرين بجوار النوافذ القريبة منهم. وبدا أن عددًا كبيرًا من الوجوه، سواء داخل أو خارج القطار ينظرون نحو (هارى).

وتساءل (ألباس): «لماذا يحدقون هكذا؟». وأخذ هو و(روز) يتلفتان حولهما وينظران إلى الطلاب الآخرين.

قال (رون): «لا تجعل ذلك يقلقك، إنه أنا، ألا تعرف أننى مشهور جدًّا».

وضحك (ألباس) و(روز) و(هوجو) و(ليلى)، وبدأ القطار يتحرك ومشى (هارى) بجواره وأخذ يراقب وجه ابنه النحيف الذى بدأ يتوهج بالحماس. وظل (هارى) يبتسم ويلوح وهو يشعر بالقليل من الحرمان وهو يشاهد ابنه يبتعد عنه.

واختفى آخر أثر للبخار فى هواء الخريف. والتف القطار حول أحد المنعطفات. ولكن يد (هارى) كانت لا تزال مرفوعة لتودعهم.

غمغمت (جينى): «سيكون بخير».

نظر (هارى) إليها وخفض يده فى شرود ولمس الندبة التى تشبه البرق فى جبينه.

«أعرف».

لم تؤلم الندبة (هارى) طوال تسعة عشر عامًا. كل شيء على ما يرام..


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع


هـارى بوتر ومقدسات الموت
يجلس هارى فى المنزل رقم 4 فى شارع بريفت درايف
فى انتظار جماعة العنقاء القادمين لاصطحابه
إلى مكان آمن، دون علم فولدمورت وأعوانه -
إن أمكنهم ذلك- لكن ماذا سيفعل هارى
حينئذ؟ كيف يستطيع إنجاز المهمة
الخطيرة التى تركهـــا له
الأستاذ دمبلدور فى وصيته؟
جنيه مصرى
35.00
نوبار
01061000000017030
هارى بوتر ومقدسات الموت
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
6 221133 335652